

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي
وفلسفته في الإحياء

بعض

الدكتور عبدوي طيانة

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
بجامعة القاهرة

فيها كتب قيمة

مكتبة محمد بن إسماعيل حمزي المقدسي

From the Library of
Muhammad S. Hosain

الجزء الثالث

مكتبة وطلعة "كرياض فوترا" سماراغ

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ »

(فران كرم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب شرح عجائب القلب)

وهو الأول من ربيع للمهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تحرير دون إدراك جلاله القلوب والحواطر ، وتدعى في مبادئ إشراق أنواره الأحداق والنواظر ، للطلع على خفيات السرائر ، العالم بمكنونات الضمائر ، السمتنى في تدبير مملكته عن الشاور والوازر ، مقرب القلوب وغفار الذنوب ، وستار الصيوب ، ومفرج الكرب . والصلاة على سيد المرسلين ، وجامع شمل الدين ، وقاطع دابر للحدن ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وسلم كثيرا .

أما بعد : فصرف الانسان وفضيله التي فاق بها جملة من أصناف الخلق باستمداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكاله ونفقه وفي الآخرة عذبه ونفقه وإعنا استمداده لمعرفة بقلبه لا بمجرد جوارحه ، فالتلب هو العالم بالله وهو المتقرب إلى الله وهو المامل لله وهو الساعي إلى الله وهو المكشوف بما عند الله ولديه ، وإعنا الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الزاعي للرعية والصانع لآلة فالتلب هو القبول عند الله إذا سلم من غير الله وهو المحبوب عن الله إذا صار مستغرقا بغير الله وهو الطالب وهو المخاطب وهو الملتصق وهو الذي يسعد بالتقرب من الله فينبغ إذا زكاه وهو الذي يجيب وينشئ إذا دنسه ووساه وهو اللطيف بالحقيقة قد تعالى وإعنا الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره ، وهو المعاني للتردد على الله تعالى وإعنا السارى إلى الأعضاء من الفواحش آثاره ، وإعلامه واستنارته تظهر بحاسن الظاهر ونسأويه إذ كل إناء ينضج بما فيه ، وهو الذي إذا عرفه الانسان قد عرف نفسه وإذا عرف نفسه قد عرف ربه وهو الذي إذا جهل نفسه قد جهل ربه وإذا جهل ربه قد جهل نفسه فله فهو بغيره أجهل إذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم وبين أنفسهم فإن الله يحول بين البره وقلبه ويحولته بأن يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية قلبه بين أصابع من أصابع الرحمن وأنه كيف يهوى مرة إلى أسفل السافلين وينفض إلى أفق الشياطين وكيف يرتفع أخرى إلى أعلى علين ويرتقي إلى عالم الملائكة القربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه وبراعيه ويترصده لما يلوح من خزان السكوت عليه وبهذه فهو بمن قال الله تعالى فيه - نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون - فمعرفة القلب حقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين . وإذ فرغنا

(مكتاب محجوب القلب)

[الباب الثلاثون في

تفاصيل أخلاق

الصوفية]

من أحسن أخلاق

الصوفية التواضع ولا

يلبس العبدلية أفضل

من التواضع ومن ظفر

بكمز التواضع والحكمة

قيم نفسه عند كل

أحد ممدادا يعلم أنه

بقيمه وقيم كل أحد

على ماعنده من نفسه

ومن رزق هذا فقد

استراح وأراح وما

يقتلها إلا العالمون .

أخبرنا أبو زرعة عن

أبيه الحافظ القدسي

قال أنا عثمان بن عبد الله

قال أنا عبد الرحمن

ابن إبراهيم قال ثنا

عبد الرحمن بن حمدان

قال ثنا أبو حاتم الرازي

من الشطر الأول من هذا الكتاب من النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا أن نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلب من الصفات الهللكة والنجيات وهو العلم الباطن فلبدأنا نقدم عليه كتابين كتاباً في شرح محاسن صفات القلب وأخلاقه وكتاباً في كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه ثم تتدفق بعد ذلك في تفصيل الهللكات والنجيات فلنذكر الآن من شرح محاسن القلب بطريق ضرب الأمثال ما يقرب من الأنهام فإن التصريح بسجانيه وأسراره الداخلة في جملة عالم المكنون مما يكمل عن دركه أكثر الأنهام ..

(بيان معنى النفس ، والروح ، والقلب ، والعقل ، وما هو المراد بهذه الأسماء)

اعلم أن هذه الأسماء الأربعة تستعمل في هذه الأبواب ، ويقال في حوال المصباح من محيط هذه الأسماء واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها ، وأكثر الألفاظ منشؤها الجهل بمعنى هذه الأسماء . واشترأ كل بين مسميات مختلفة ونحن نشرح في معنى هذه الأسماء ما يتعلق بضرنا . اللفظ الأول : لفظ القلب وهو يطلق لعينين : أحدهما اللحم الضویری الشكل اللودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وباطنه مجوف وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه ، وللسنا قصد الآن شرح شكله وكيفيته إذ يتعلق به غرض الأطباء ولا يتعلق به الأغراض الدينية وهذا القلب موجود للهائم بل هو موجود للرب ونحن إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فإنه قطعاً لم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة إذ تدركه الهائم خاصة البصر فضلاً عن الأدبیین .

واللغى الثاني هو لطيفة رانية روحانية لها هذا القلب الجسماني تملق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهو للدرك العالم العارف من الانسان وهو الخادب والمعاني والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول أكثر الحاق في إدراك وجه علاقته فان تعلقه به يضاهى تعلق الأغراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات أو تعلق الالتمس للآلة أو تعلق التمكن بالمكان وشرح ذلك مما توقعه لعينين : أحدهما أنه متعلق باليوم السكشنة وليس غرضنا من هذا الكتاب إلا علوم المعاملة . والثاني أن تحقيقه يستدعي إنشاء سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) فليس لغيره أن يتكلم فيه ، والقصد أننا إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقة في ذاتها وعلم المعاملة . فنترقى لمعرفة صفاتها وأحوالها ولا نفتقر إلى ذكر حقيقتها . اللفظ الثاني : الروح وهو أيضاً يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لعينين : أحدهما جنس لطيف منبعه مجويف القلب الجسماني فينتشر بواسطة الروق الضواري إلى سائر أجزاء البدن وجزياته في البدن وفيضاً أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والتم منها على أعضاءها يضاهى فيضاً النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا يتهى إلى جزء من البيت إلا ويستبصر به والحياة مثلاً النور الحاصل في الحيطان والروح مثلاً السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا اللغى وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا إذ يتعلق به غرض الأطباء الذين يماجلون الأبدان ، فأما غرض أطباء الدين اللطيفين لاقاب حتى ينساق إلى جوار رب العالمين فليس يتعلق شرح هذه الروح أصلاً . اللغى الثاني هو اللطيفة المعاملة للدرك من الانسان وهو الذي

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يتكلم في الروح متفق عليه من حديث ابن مسعود في سؤال اليهود عن الروح وفيه فأمكنك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم فقلت أنه يوحى إليه الحديث وقد تقدم .

قال ثنا النضر بن عبد الجبار قال أنا ابن لجمعة عن يزيد بن أبي جبب عن سنان بن سعد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضوا ولا يفتخروا بعضكم على بعض » وقال عليه السلام في قوله تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني - قال على البر والتقوى والرهبة وذلة النفس ، وكان من تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيب الله عليه ولواها جرة لن أو غذارب ويكأى عليها وأيا كلها

شرحناه في أحاديث القلب وهو الذى أراده الله تعالى بقوله - قل الروح من أمر ربي - وهو أمر عبيد ربي تميز أكثر العقول والأنفهام عن ذلك حقيقة . اللفظ الثالث : النفس وهو أيضاً مشترك بين معانٍ ويطلق بضرمانه معيّن : أحدها أنه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان على مائاتٍ شرحة وهذا استعمال هو الغالب على أهل التصوف لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان فيقولون لابد من مجاهدة النفس وكسرها وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « أعدى عدوك نفسك التي بين جنبك »^(١) . والثاني الذي هو اللطيفة التي ذكرناها التي هي الإنسان بالحقيقة وهي نفس الإنسان وذاته ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها فإذا سكنت تحت الأسر وزال بها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات حيث النفس اللطيفة قال الله تعالى في مثلها - يأيتها النفس اللطيفة ارجعي إلى ربك راضية مرضية - والنفس بالمعنى الأول لا يتصور رجوعها إلى الله تعالى فإنها مبعدة عن الله وهي حزب الشيطان وإذالم يتم سكوتها ولكنها سارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعرضة عنها حيث النفس القوامة لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه قال الله تعالى - ولأنقسم بالنفس القوامة - وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمتنقى الشهوات ودواعي الشيطان حيث النفس الأمارة بالسوء قال الله تعالى إخباراً عن يوسف عليه السلام وأمرأة العزيز - وما يرى نفسي إن النفس لأمارة بالسوء - وقد يجوز أن يقال للراد بالأمارة بالسوء هي النفس بالمعنى الأول فاذن النفس بالمعنى الأول مذمومة غاية الذم والمعنى الثاني محمود لأنها نفس الإنسان أي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات . اللفظ الرابع : العقل وهو أيضاً مشترك لمعانٍ مختلفة ذكرناها في كتاب العلم ، والمتابع بضرمانه معيّن : أحدها أنه قد يطلق ويراد به العلم بمقائق الأمور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي عمله القلب . والثاني أنه قد يطلق ويراد به الإدراك فيكون هو القلب أعني تلك اللطيفة ، ونحن نعلم أن كل عالم فله في نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الوصف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به عمل الإدراك أعني الإدراك وهو الراد بقوله عليه السلام « أول ما خلق الله العقل »^(٢) فإن العلم عرض لا يتصور أن يكون أول مخلوق بل لابد وأن يكون لهل مخلوقاً قبله أو معه ولأنه لا يمكن الخطاب بمعه وفي الخبر أنه قاله تعالى أقبل فأقبل ثم قاله أدبر فأدبر الحديث فاذن قد انكشف لك أن معنى هذه الأسماء موجودة وهي القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية . والعلوم فهذه أربعة معانٍ يطلق عليها الألفاظ الأربعة ومعنى خامس : وهي اللطيفة العالمة للإدراك من الإنسان والألفاظ الأربعة بحسب اعتبارها على المعاني خمسة والألفاظ الأربعة وكل لفظ أطلق لعينين وأكثر العلماء قد اتسب عليهم اختلاف هذه الألفاظ وتواردتها فترام يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر القلب وهذا خاطر النفس وليس يرى الناظر اختلاف معاني هذه الأسماء ، ولأجل كشف الغطاء عن ذلك قدما شرح هذه الأسماء وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الإنسان ويعرف حقيقة الأشياء وقد بينه عنى بالقلب الذي في الصدر لأن بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فإنها وإن كانت متعلقة بأسرار البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الأول بالقلب وكأنه محلها ومحلستها على ما ومطبتها ولذلك شبه السري القلب بالعرش والصدر بالكسرى فقال القلب هو العرش

(١) حديث أمدي عدوك نفسك التي بين جنبك البيهقي في كتابه الزهد من حديث ابن عباس وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الرواة عن (٢) حديث أول ما خلق الله العقل وفي الخبر أنه قال له أقبل فأقبل وقال أدبر فأدبر الحديث تقدم في العلم .

ولا يتكبر عن إجابة لامة والمساكين وأخبرنا أبو زرعة إجازة عن ابن خلف إجازة عن السلي قال أنا أحمد بن علي القرني قال أنا محمد ابن النبال قال حدثني أن عن محمد بن جابر الجبائي عن سليمان بن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من رأس النواضع أن تبدأ بالسلام على من أتيت وترد على من سلم عليك » وأن ترضى بالقدون من المجلس وأن لا تجب الدعة والزكية والبر « وورد أيضاً عنه عليه السلام « طوبى لمن تواضع من غير

والصدر هو الكرسي ولا يظن به أنه يرى أنه عرش الله كرسبه فان ذلك حال بل أراد به أنه مملكة وأجهرى الأول لتدبيره وتصرفه فيها بالنسبة إليه كالعرش والكرسي للنبية إلى الله تعالى ولا يستقيم هذا التشبيه أيضا إلا من بعض الوجوه وشرح ذلك أيضا لا يلقى بضرنا فلتنبؤوه .

(بيان جنود القلب)

قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو - فطسبحانه في القلوب والأرواح وغيرها من الموممجنود مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها إلا هو ونحن الآن نشرى إلى بعض جنود القلب فهو الذى يتلقى بضرنا وله جندان جند يرى بالأبصار وجند لا يرى إلا بالباطن وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والأعوان فهذا معنى الجند فأما جندهم الشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والأذن واللسان وسائر الأعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعا خادمة لقلب ومسخرة له فهو التصرف فيها وللرد لها وقد خلقت مجبولة على طاعته لا تستطيع له خلافا ولا عليه تحردا فاذا أمر العين بالافتتاح اختصت وإذا أمر الرجل بالحركة تحركت وإذا أمر اللسان بالكلام وجزم الحسب تكلم وكذا سائر الأعضاء وتسخير الأعضاء والحواس لقلب يشبه من وجه تسخير اللائكة لله تعالى فانهم مجبولون على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يصون الله أمرهم ويغفلون ما يؤمرون وإنما يفرقون في عهده وهو أن اللائكة عليهم السلام عالمه بطاعتها وامتثالها والأجناف تطيع القلب في الافتتاح والانطباع على سبيل التسخير والآخر لها من نفسها ومن طاعتها لقلب وإنما افتر القلب إلى هذه الجنود من حيث اقتداره إلى المركب والوارد لسفره الذى لأجله خلق وهو السفر إلى الله سبحانه وقطع للتأزل إلى لقائه فلا جله خلقت القلوب قال الله تعالى - وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون - وإنما مركبه اليدين وزاده الطروغ والأسباب التى توصله إلى الزاد وتمكنه من الزود منه هو العمل الصالح وليس يمكن العبد أن يصل إلى الله سبحانه ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان التأزل الأدنى لا بد من قطعه للوصول إلى التأزل الأعلى فالدنيا مزرعة الآخرة وهى منزل من منازل الهدى وإنما سميت دنيا لأنها أدنى للزلازل فاضطر إلى أن يزود من هذا العالم فاليدين مركبه التى يصل به إلى هذا العالم فاقتصر إلى تصديق البدن وحفظه وإنما يحفظ البدن بأن يجلب إليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وأن يدفع عنه ما ينافيه من أسباب الهلاك فاقتصر لأجل جلب الغذاء إلى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والأعضاء الجارية للغذاء وتخلق في القلب من الشهوات ما احتاج إليه وخلقت الأعضاء التى هى آلات الشهوات فاقتصر لأجل دفع الملهكات إلى جندين باطن وهو الغضب الذى به يدفع الملهكات وينتقم من الأعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذى بهما يصل بمقتضى الغضب وكل ذلك بأمور خارجة فالجوارح من البدن كالأسلحة وغيرها ثم المحتاج إلى الغذاء عالم يعرف الغذاء لم تنفع شهوة الغذاء وإلغته فاقتصر للمعرفة إلى جندين باطن وهو إدراك السمع والبصر والشم والذوق وظاهر وهو العين والأذن والأنف وغيره وتفصيل وجه الحاجة إليها وجه الحكمة فيها بطول ولا تحويه مجلدات كثيرة وقد أشرنا إلى طرف يسير منها في كتاب الشكر فليقتنع به فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة أصناف صنف باعث ومستحث إما إلى جلب النافع والوافق كالشهوة وإما إلى دفع الضار النافى كالغضب وقد جبر عن هذا الباعث بالإرادة والثانى هو المهرك للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد وجبر عن هذا الثانى بالقدرته وهى جنود ميثونة فى سائر الأعضاء لا سيما العضلات منها والأوتار والثالث هو المدرك للتصرف للأعضاء كالحواس والشم والذوق والبصر والسمع والشم والذوق والشم وهى ميثونة فى أعضاء ميثونة يعبر عن هذا بالمدرك والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهى الأعضاء المركبة من الشحم والحم والصب

منقصة وفد له فيه
من غير مسكنة - مثل
الجند من التواضع
قال: خضى الجناح
وليل الجانب . مثل
الفضل من التواضع
قال: خضى لحي
وتقاد له وخيله من
قاله وتسمع منه . وقال
أيضا من رأى نفسه
قبسة فليس له في
التواضع نصيب وقال
وهب من عبته مكتوب
في كتب الله إلى
أخرجت الدر من
صلب آدم فلم أجد قلبا
أخذ تواضعا إلى من
قلب موسى عليه
السلام فلذلك اصطفت
وكلمته ، وقيل من
عرف كوامن نفسه
لم يطعم في العلو

والدم والمظلم التي أعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش إنما هي بالأصابع وقوة البصر إنما هي بالعين وكذا سائر القوى ولسنا نتمكن في الجنود الظاهرة أعنى الأعضاء فانها من عالم الملك والشهادة وإنما نتمكن الآن فيما أيدت به من جنود لم نرها وهذا الصف الثالث وهو للدرك من هذه الجملة ينقسم إلى ما قد أسكن للنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس أعنى السمع والبصر والشم والذوق واللمس وإلى ما أسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي أيضا خمسة فان الانسان يمد رؤيته التي يشمع عينه فيدرك صورته في قسوه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظة ثم يتفكر فيها يحفظه فيركب بعض ذلك إلى البعض ثم يتذكر كقائه نسيه ويعود إليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات في الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله قوة الحفظ والتفكر والله كره التخيل لكان الدماغ غلوا عنه كما غلوا اليد والرجل عنه فذلك القوى أيضا جنود باطنة وأما كتبها أيضا باطنة فهذه هي أقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدرك فهم الضغاء بضرب الأمثلة يطول ومقصود مثل هذا الكتاب أن ينتفع به الأنبياء والقول من العلماء ولكننا نتجهد في فهم الضغاء بضرب الأمثلة ليقرب ذلك من فهمهم .

(بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة)

اعلم أن جندى الغضب والشهوة قد يتقادان لقلب اقتيادا تاما فينبغي ذلك في طريقه الذي يسلكه وتحسن مراقبتهما في السفر الذي هو صده وقد يستصيان عليه استصناع بشي فترد حتى يتلكاه ويستبدله وفيه هلاك وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله إلى سعادة الأبد لقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سيأتي شرحه وحقه أن يستعين بهذا الجند فانه حزب الله تعالى في الجند الذين الآخرين فانها قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستغانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حالة أكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيها يغتفر العقل إليه ونحن نقرب ذلك إلى فهمك بثلاثة أمثلة . المثال الأول : أن تقول مثل نفس الانسان في بدنه أعنى بالنفس اللطيفة للذكورة كمثل ملك في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وجوارحها وقواها بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المنكرة له كالشمس والناسخ والوزير العاقل والشهوة له كالسيد السوء يجلب الطعام واللذة إلى المدينة والغضب والحيقة كصاحب الشرطة والبدن الجالب للامعة كذاب مكار خديع يمثّل بصورة الناسخ ويحث نفسه الشرائع والناسخ القاتل وديده وعادته متنازعة الوزير الناسخ في آرائه وتديراته حتى إنه لا يحلوم من متنازعة ومعارضته ساعة كما أن الوالي في مملكته إذا كان مستغنيا في تديراته . وزيره ومستشاره والمعارضين إشارة هذا البدن الخبيث مستدلا بأشارته في أن الصواب في تقييد رأيه أذبه صاحب شرطته وماسه لوزيره وجعله مؤمرا له مسلطا من جهته على هذا البدن الخبيث وأنبأه وأنصاه حتى يكون البدن موسما لآلائها ومأمورا بمدبرها لا أميرا مدبرا مستقاما أمر ببلده وانتظم العدل بسببه فكذلك النفس متى استعانت بالعقل وأدبت بحكمة الغضب وسلطتها على الشهوة واستعانت باحداها على الأخرى تارة بأن تقبل مرتبة الغضب وتلوأه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بجمع الشهوة وقهرها بتسلط الغضب والحيقة عليها وتبقيع مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت أخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه - أفأريت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم - وقال تعالى سوا تبغ هواه فله كمثل السكاب إن عمل عليه يلهث أو تركه يلهث - وقال عز وجل فيمن نهي النفس عن الهوى

والعرف ويسلك سبيل التواضع فلا يخاضع من يهمله ويشكر الله لمن يحمده وقال أبو حنيفة من أحب أن يتواضع قلبه فليسحب الصالحين وليزهد في محرماتهم فمن شدة تواضعهم في أنفسهم يتندى بهم ولا يشكر . وقال لقمان عليه السلام لكل شيء مطية ومطية العمل التواضع . وقال النوري خمسة أنس أعز الخلق في الدنيا عالم زاهد وقيه صوفي وغنى متواضع وقدير هاكمو شريف سى . وقال الجلال لولا تشرّف التواضع كنا إذا مشينا نخطو وقال يوسف بن أسباط وقدمت لما غاية التواضع قال أن تخرج

- وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى - وسيأتي كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسلطها عليها على بعض في كتاب رياضة النفس إن شاء الله تعالى . الثالث الثاني : اعلم أن البدن كالمدينة والعقل أعني للدرك من الانسان كذلك مدبرها وقواه الدرك من الحواس الظاهرة والباطنة كجوده وأموانه وأعضاؤه وكرهه والنفس الأمارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كمدى تنازعه في مملكته ويسعى في إهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وتفرغته كقيم فيه مرابط فان هو جاهد عدوه وهزمه وقهره على ما يحب محمد أنه إذا عاد إلى الحضرة كما قاله تعالى - والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعد بن درجة - وإن ضيع ثمره وأهمل رعيته ذم أنه فاتتكم منه عند الله تعالى فيقال له يوم القيامة ياراعى السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم تأو الصالة ولم تجبر الكسير اليوم أنتم منكم (١) كما ورد في الخبر إلى هذه المجاهدة الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «رجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» (٢) للثالث الثالث : مثل العقل مثل فارس متعب وشبهه كفرسه وغضبه ككبه فلي كان الفارس حادقا وفرسه مبروذا وكبه مؤدبا معطيا فارس جديرا بالنجاح ومن كان هوى نفسه أقوى من الفرس وجواج والكلب تغفورا فلا فرسه يثبت تحته متقادا ولا كلبه يتسربل بأشارته مطعيا فهو خلق بأن يطلب فضلا عن أن يقال ما طلب وإنما خرق الفارس مثل جهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثل غلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستتلاته . نسأل الله حسن التوفيق بطلعه .

(بيان خاصة قلب الانسان)

اعلم أن حجة ما ذكرناه قد أقدم الله به على سائر الحيوانات سوى الأدمي إذ للحيوان الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة أيضا حتى إن الشاة ترى القتب يغيرها فتعلم عداوته بقلها فتقرب منه فتدركه هو الإدراك الباطن فلذلك ما يختص به قلب الانسان ولأجله عظم شرفه واستأهل القرب من الله تعالى وهو راجع إلى علم وإرادة أما العلم فهو العلم بالأمور الدينية والأخرية والحقائق العقلية فان هذه أمور وراء المحسوسات ولا يشترك فيها الحيوانات بل العلوم السكلية الضرورية من خواص العقل إذ يحكم الانسان بأن الشخص الواحد لا يتصور أن يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل شخص ومعلوم أنه لم يدرك بالحس إلا بعض الأشخاص فحكمه على جميع الأشخاص زائد على ما أدركه الحس وإذا فهمت هذا في العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظر بآيات أظهر وأما الإرادة فانه إذا أدرك بالمثل عاقبة الأمر وطريق الصلاح فيه انبث من ذاته شوق إلى جهة الصلحة وإلى تعاطي أسبابها والإرادة لها وذلك غير إرادة الشهوة وإرادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن القصد والحجامة والعقل يربدها ويطلبها ويسئل للمال فيها والشهوة تميل إلى لذائذ الأطمعة في حين للرض والعاقل يجد في شه زاجرا عنها وليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل للعرف بواقب الأمور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للأعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل مثلها على التحقيق فاذن قلب الانسان اختص بعلم وإرادة يفك عنها سائر الحيوان بل يفك عنها الصبي في أول القطرة وإنما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ وأما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة في حق الصبي ثم الصبي في حصول هذه العلوم فيه بدرجتان : إحداها أن يشتمل قلبه

(١) حديث يقال يوم القيامة ياراعى السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الصالة الحرام لم أجد له أصلا (٢) حديث رجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر البيهقي في الزهد من حديث جابر وقال هذا إسناد فيه ضعف .

من ينك فلا تلق
أحدا إلا رأيته خيرا
منك ورأيت شيئا
ضياء الدين أباه النجيب
وحسنت معه في
سفره إلى الشام وقد
بث بعض أبناء الدنيا
له طعاما على رؤوس
الأسارى من الأفرنج
وهم في قيودهم فلا
مدت السفر والأسارى
ينتظرون الأوانى حتى
تضرب قال للخدام
أحضر الأسارى حتى
يقعدوا على السفرة مع
الفرقاء فجاء بهم
وأصدم على السفرة
صفاوا حدائقهم الشيخ
من سجادة ومضى
إليهم وقصد بينهم
كالواحد منهم فأكل
وأكلوا وظهر لنا على
وجهه ما نازل بطلته

على - ثم العلوم الضرورية الأولية كالملم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيها غير حاصلة إلا أنها صارت ممكنة قرية الاسكان والحصول ويكون حاله بالإضافة إلى العلوم كمال الكاتب الذي لا يعرف من الكتابة إلا الدولة والقلم والحروف الفردة دون المركبة فانه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد . الثانية أن تحصل له العلوم للكتسبة بالتجارب والسكر فتكون كالحفوة عنده فاذا شاء رجع إليها وحاله حال الحاذق بالكتابة إذ يقال له كتاب وإن يكن مباشرًا للكتابة بقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لأخصى متفاوت الخلق فيها بكثره للمعلومات وقلتها ونسبها للمعلومات وخسئها وبطريق تحصيلها إذ تحصل لبعض القلوب بالهام إلى على سبيل اللبادة والكشفة ويضيهم بنم واكتساب وقد يكون سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول وفي هذا اللقائ تباين منازل العلماء والحكماء والأنبياء والأولياء فدرجات الترقى فيه غير محصورة إذ معلومات الله سبحانه لا نهاية لها وأقصى الرتبة التي التي تنكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكلف بل يكشفه على في أسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قريبا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والسافة ومراق هذه الدرجات هي منازل السائرين إلى الله تعالى ولا حصر لثلك المنازل وإنما يعرف كل سالك منزله الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به إيمانا بالقلب كما أنا نؤمن بالنبوة والتي ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة إلا النبي وكلا لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال العليم وما يفتش له من العلوم الضرورية ولا العليم حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لا يعرف العاقل ما افتتح الله على أوليائه وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته - ما يفتش الله للناس من رحمة فلا يحسك لها - وهذه الرحمة مبدوءة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضمون بها على أحد ولكن إنما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم « إن لربكم في أيام دهركم لنفحات لا تفرسوا لها » (١) « والتعرض لها بتطهير القلب وتركه من الحث والكدورة الحاصلة من الأخلاق السمومة كاسيأت يانه وإلى هذا الجود الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « ينزل الله كل ليلة إلى سماه الدنيا يقول هل من داع فاستجب له » ويقول عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه عز وجل « قد طال شوق الأبرار إلى لقائي وأنا إلى قائلهم أشد شوقا » (٢) « ويقول تعالى « من تقرب إلى شبرا تقرب إليه ذراعا » (٣) « كل ذلك إشارة إلى أن أنوار العلوم لم تعجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة اللثم ، تعالى عن البخل والتع عوا أكيرا ولكن حببت لثت وكدورة وعقل من جهة القلوب فان القلوب كالأواني لها دامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء فاقلوب الشغولة بغير الله لا تدخلها البرقة بجلال الله تعالى وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « ولولا أن الشياطين يهيمون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء » (٤) « ومن هذه الجملة يتبين أن خاصة الانسان العلم والحكمة

(١) حديث إن لربكم في أيام دهركم نفحات الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وقد تقدم (٢) حديث يقول الله عز وجل قد طال شوق الأبرار إلى لقائي الحديث لم أجده أصلا إلا أن صاحب التردوس خرجته من حديث أبي الدرداء ولم يذكر له ولمه في مسند التردوس إسنادا (٣) حديث يقول الله من تقرب إلى شبرا تقرب إليه ذراعا متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث لولا أن الشياطين يهيمون على قلوب بني آدم الحديث أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه وقد تقدم في الصيام .

من التواضع لله والانكسار في نفسه والتسلاخه من التكبر عليهم بإيمانه وعلمه وعمله . أخيرا تأبوزرعة إجازة عن أبي بكر بن خلف إجازة عن السلي قال صممت أبا الحسين الفارسي يقول صممت الجبري يقول صممت عند أهل العرفة أن الذين رأس مال خمسة في الظاهر وخسة في الباطن فأما اللواتي في الظاهر فسدد في القنآن وسخاوة في الملك وتواضع في الأبدان وكف الأذى واستأله بلا إياه . وأما اللواتي الباطن غلب وجود سيده خوف القراق من سيده ورجاء الوصول إلى سيده

وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله فيه كمال الانسان وفي كاله سعاده وصلاحه لحوار
حضرة الجلال والكمال فالبدن مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته
التي لأجله خلق وكما أن القرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية السكر والفر
وحسن الهيئة فيكون القرس مخلوقاً لأجل تلك الخاصية فان تعطلت منه نزل إلى حضيض رتبة الحمار
وكذلك الانسان يشارك الحمار والقرس في أمور ويغارقهما في أمور هي خاصيته وتلك الخاصية من
صفات الملائكة القريبين من رب العالمين والانسان على رتبة بين الالهام والملائكة فان الانسان من
حيث يتغذى وينسل فينبات ومن حيث يحس ويتحرك بالأختيار طيوان ومن حيث صورته وقامته
فكالمصورة المتوقفة على الحائط وإنما خاصيته معرفة حقائق الأشياء فمن استعمل جميع أعضائه وقواه
على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة تحقيق بأن يلحق بهم وجدير بأن يسمى
ملكاً وربانياً كما أخبر الله تعالى عن صوابات يوسف عليه السلام بقوله - ما هذا بشراً إن هذا
إلى ملك كريم - ومن صرف همه إلى اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الأنعام فقد انحط إلى
حضيض أفق البهائم فيصير إما غمراً كدود وإما شرهاً كخنزير وإما ضريباً ككباب أو سنوراً أو حقوداً
كجمل أو متسكرين كخمر أو ذوا روغان ككلب أو يجمع ذلك كله كشیطان مريد وما من عضو من
الأعضاء ولا حاسة من الحواس إلا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول إلى الله تعالى كما سيأتى
بيان طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة
السعادة في ذلك أن يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا مثله والبدن مركبه
والأعضاء خدمه فيستقر هو أعي المذرك من الانسان في القلب الذي هو وسط علمه كنه كماله ويجرى
القوة الخيالية الودنية في مقدم الدماغ يجري صاحب برده إذ تجتمع أخبار الحسوسات عنده ويجرى
القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ يجري خازنه ويجرى اللسان يجري ترجمانه ويجرى الأعضاء
للتحركه يجري كتابه ويجرى الحواس الخمس يجري جواسيسه فيوكل كل واحد منها بأخبار مفع من
الأصقاع فيوكل العين بعالم الألوان والسمع بعالم الأصوات والشم بعالم الروائح وكذلك سائر أفعالها
أصحاب أخبار يلتفتونها من هذه العوالم ويؤدونها إلى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد
ويسلها صاحب البريد إلى الخازن وهي الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها
ما يحتاج إليه في تدبير مملكته وإتمام سفره الذي هو بصدده وقع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع
قواطع الطريق عليه فإذا فعل ذلك كان موقفاً سعيداً شاكراً نعمة الله وإذا عطل هذه الجملة
أو استعملها لكن في مراعاة أعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحفظوظا المأجلة أو في عمارة طريقه
دون منزله إذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان مخذلاً خفياً كافراً بتمتع
الله تعالى مضيقاً لجنود الله تعالى ناصراً لأعداء الله مخذلاً لحرب الله فيستحق القتل والابادة في القلب
والماد تعود بالله من ذلك وإلى المثال الذي ضربناه أشار كعب الأخبار حيث قال دخلت على عائشة
رضي الله عنها فقلت للانسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جنانان ورجلاه برید
والقلب منه ملك (١) فإذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول - وقال على رضى الله عنه في تيميل القلوب : إن الله تعالى في أرضه آتية وهي القلوب فأجها

(١) حديث عائشة الانسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان الحديث أبو نعيم في الطب النبوي
والطبراني في مسند الشاميين والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة نحوه ولهؤلاء من حديث
أبي ذر أما الأذن قصع وأما العين فمارة لما يوعى القلب ولا يصح مها نيه .

والنسم على فصله
والحياء من ربه وقال
يحيى بن معاذ التواضع
في الخلق حسن ولكن
في الأغنياء أحسن
والتكبر جميع في الخلق
ولكن في الفقراء
أجمع . وقال ذو النون
ثلاثة من علامات
التواضع تصغير النفس
معرفة بالعب وتكظيم
الناس حرمة للتوحيد
وقبول الحق والصيحة
من كل واحد . وقيل
لأبي يزيد متى يكون
الرجل متواضعاً إذا
لم يرى لنفسه حقاً ولا
حلاً من حله يجرها
وازدادها ولا يرى أن
في الحق شراً منه .
قال بعض الحكماء
وجدنا التواضع مع
الجهل والبخل أحمد

إليه تعالى وأرقها وأصفها وأصلها ثم فسره فقال أصلها في الدين وأصداها في اليقين وأرقها على الإخوان وهو إشارة إلى قوله تعالى - أشداء على الكفار رحماء بينهم - وقوله تعالى - مثل نوره كشكة فيها مصباح - قال أبي بن كعب رضى الله عنه معناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى - أو كظلمات في بحر لجي - مثل قلب النافق وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى - في لوح محفوظ - وهو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي فنهذه أمثلة القلب .

(بيان مجاميع أوصاف القلب وأمثله)

اعلم أن الإنسان قد اصطحب في خلقه وزركيه أربع شوائب فذلك المجتمع عليه أربعة أنواع من الأوصاف وهي الصفات السبعة والبهيمة والشيطانية والربانية فهو من حيث سخط عليه الغضب يتعاطى أهوال السباع من العداوة والبغضاء والترجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث سخط عليه الشهوة يتعاطى أهوال البهائم من الشره والحرص والشيق وغيره ومن حيث إنه في نفسه أمر رأتى كما قال الله تعالى - قل الروح من أمر ربي - فإنه يدعى لنفسه الربوية وهب الاستلاء والاستعلاء والتخصص والاستبعاد بالأمور كلها والتفرد بالرياسة والانسلاخ عن رقة العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعى لنفسه العلم والعرفة والاحاطة بمقتضى الأمور ويخضع إذا نسب إلى العلم ويمجن إذا نسب إلى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع المخلوقات من أوصاف الربوية وفي الإنسان حرص على ذلك ومن حيث يتغنى من البهائم بالتيار مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية صار شررا يستعمل التميز في استنباط وجوه الشر ويتوصل إلى الأغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه أخلاق الشياطين وكل إنسان فيه شوب من هذه الأصول الأربعة أعنى الربانية والشيطانية والسبعة والبهيمة وكل ذلك مجموع في القلب فكان المجموع في إهاب الإنسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فإنه لم يكن الخنزير منسوما لونه وشكله وصورته بل لجشمه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فإن السبع الضاري والكلب العقور ليس كلبا وسما باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعة الفراوة والعدوان والعقور في باطن الإنسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشيقه فالخنزير يدعوا بالشهوة إلى الفجاءة والفساد والسبع يدعو بالغضب إلى الظلم والإيذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير ويغضب السبع ويغري أحدهما بالآخر ويحسن لها ماها مجبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره بأن يكشف عن تلبسه بيهينه النافذة ونوره للشرق الواضح وأن يكسر شره هذا الخنزير بتسلط الكلب عليه إذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسلط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهورا تحت سياسته فإن فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الأمر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى السكل على الصراط المستقيم وإن هجز عن قهرها قهره واستخدمه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفسك ليشبع الخنزير ويرضى الكلب فيكون دائماني عبادة كلب وخنزير وهذا حال أكثر الناس مهما كان أكثر همهم البطن والفرج ومنافسة الأعداء والمحب منه أنه ينكر على عبدة الأصنام عبادتهم لعبارة ولو كشف الغطاء عنه: ككشف حقيقة حاله ومثله حقيقة حاله كما يمثل المكشوفين إما في النوم أو في اليقظة رأى نفسه مائلا بين يدي خنزير ساجدا له مرة ورا كما أخرى ومنتظرا لإشارته وأمره فلهما حاج الخنزير لطلب شيء من شهواته أنبت على الفور خدمته وإحسان شهوته أو رأى نفسه مائلا بين يدي كلب عقور عابدا له مطعما مائلا مقتضيه ويأتمس به مدهقا

من الكبر مع الأدب
والسخاء وقيل لبعض
الحكماء هل تعرف
نعمة لا يحسد عليها
وبلاء لا يرجم صاحبه
عليه قال نعم أما النعمة
فالتواضع وأما البلاء
فالكبر . والكشف
عن حقيقة التواضع
أن التواضع رعاية
الاعتدال بين الكبر
والضمة فكبر رفع
الإنسان عنه فوق
فردم والضمة وضع
الإنسان عنه مكانا
يزرى به ويضئ إلى
تضييع حقوقه فاتهم
من كثير من إشارات
الشيخ في شرح التواضع
أشياء إلى حد أقاموا
التواضع فيه مقام
الضمة وبلوغ فيه
المسوى من أوج

فاذا هوزع وتاب عقل وإن عاد زيد فيها حتى يلو قلبه فهو الران وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن أجرد فيه سراج زهر وقلب الكافر أسود منكوس» (١) فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشهوات مصقلة لقلب ومعاويه مسودات له فمن أقبل على المعاصي أسود قلبه ومن أتبع السيئة الحسنة ومحاً أثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرأة التي يتنفس فيها ثم تنفس ويتنفس ثم تنفس فيها لا تخلو عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم «القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج زهر فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب منفع فيه إيمان وثاق» (٢) فمثل الإيمان فيه كمثل البقعة بعدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة بعدها التبيح والصيد فأى اللادتين غلبت عليه حكم لها وفي رواية ذهبت به قال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - فأخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر وأنه لا يشك منه إلا الذين اتقوا افتقروا باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز بقاء الله تعالى .

(بيان مثل القلب بالاضافة إلى العلوم خاصة)

اعلم أن عمل العلم هو القلب أعنى اللطيفة اللدرة لجميع الجوارح وهي الطاعة المهدومة من جميع الأعضاء وهي بالاضافة إلى حقائق المعلومات كالمرأة بالاضافة إلى صور التلونات فكما أن التلونات صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في الرآة ومحصل بها كذلك لكل معالوم حقيقة وتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتنضج فيها وكما أن الرآة غير وصور الأشخاص غير وحصول مثالها في الرآة غير فهي ثلاثة أمور فكذلك ههنا ثلاثة أمور وحقائق الأشياء - وحصول نفس الحقائق في القلب وحدورها فيه فالعلم عبارة عن القلب الذي فيه محل مثال حقائق الأشياء والمعلوم عبارة عن حقائق الأشياء والعلم عبارة عن حصول المثال في الرآة وكما أن القبض مثلا يستدعي قباضا كاليده وقبوضا كالسيف ووصول بين السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمى قبضا فكذلك وحصول مثال المعلوم إلى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصل لأن العلم عبارة عن وصول الحقيقة إلى القلب كما أن السيف موجود واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والأخذ حاصل لعدم وقوع السيف في اليد ، ثم القبض عبارة عن حصول السيف بينه في اليد والمعلوم بينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم تحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها فتشبهه بالمرأة أولى لأن عين الانسان لا تحصل في المرأة وإنما يحصل مثال مطابق له وكذا حصول مثال مطابق لحقيقة العلوم في القلب يسمى علما وكما أن المرأة لا تشكف فيها الصورة لحسة أمور : أحدها نقصان صورتها كجوهه الحديدي قبل أن يدور وبشكل ويسفل : والثاني لخبثه وصدته وكدورته وإن كان تام الشكل . والثالث لكونه معدولا عن جهة الصورة إلى غيرها كما إذا كانت الصورة وراء المرأة . والرابع لطباب مرسل بين المرأة والصورة . والخامس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطاوعة حتى يمتدح بسببه أن يخافى بها عطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لأن ينجلي فيها حقيقة الحق في الأمور كلها وإنما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الأسباب الخمسة أولها نقصان في ذاته كقلب الصبي فإنه لا ينجلي له المعلومات لنقصانه . والثاني

النفس السمع عند نزول الوارد على القلب والنفس إذا استرقت السمع عند ظهور الوارد على القلب ظهرت بصفتها على وجهه لا يحفو على الوقت وصلافة الحال فيصكون من ذلك كلمات مؤذنة بالمعجب كقول بعضهم من تحت خضراء السماء مثلى وقول بعضهم قدعى على ربة جميع الأولياء وكقول بعضهم أصرجت وأخت وطفنت في أنظار الأرض وقتل هل من مبارز فلم يخرج إلى أحد إشارة منه في ذلك إلى ضرره في وقته ومن أشكل عليه ذلك ولم يعلم أنه من

(١) حديث قلب المؤمن أجرد فيه سراج زهر الحديث أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد وهو بعض الحديث الذي يليه (٢) حديث القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج زهر الحديث أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد الحدرى وقد تقدم .

لكدورة العاصي والنجس الذي يترام في وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكبه وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ومن قارف دنيا فارقه قتل لا يموت إليه أبدا (١) أي حصل في قلبه كدورة لا يزال أرهاها فإذ غابته أن يتبين حسنة يحويها فلا جاء بالحسنة ولم تقدم السببة لآزاد لاهاته إشراق القلب فلما تعتمت السبب سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها إلى ما كان قبل السببة ولم يزد بها نوراً فهذا خسران مبين وقصان لاجبة له فليست للراءة التي تدنس ثم تنسج بالصفة كالتنسج بالصفة زيادة جادة لا يمان في غير ذلك سابق فالإقبال على طاعة الله والأعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب وصفه وذلك قاله تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلاً - وقال صلى الله عليه وسلم ومن حمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم (٢) . الثالث أن يكون معدولاً به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب الطبع الصالح وإن كان صافياً فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لأنه ليس يطلب الحق وليس محافياً غير أنه يطرأ المطلوب بل ربما يكون مستوهب لهم بتفصيل الطاعات البدنية أو نبذة أسباب السببة واللبصر في فكره إلى التأمل في حجرة الربوبية والحقائق الخفية الإلهية فلا ينكشف إلا لما هو متشكك فيه من دقائق آفات الأعمال وخفايا عيوب النفس إن كان متفكراً فيها أو مصالح السببة إن كان متفكراً فيها وإذا كان غيبه لهم بالأعمال وتوضيل الطاعات مانعاً عن انكشاف جلية الحق لما تنكشف فيمن صرف لهم إلى الشهوات الدنيوية وقادها وعلاها فيكشف لامتنع عن الكشف الحقيقي . الرابع الحجاب فان الطبع القاهر لشهواته للتجرد الفكر في حقيقة من الحقائق فلا ينكشف ذلك لكنه محجوب عنه باعتقاد سبق إليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظواهر التقليد وهذا أيضاً حجاب عظيم به حجب أكثر التكلمين وللتعصين للأذهاب بل أكثر المالحين للتفكير في ملكوت السموات والأرض لأنهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمعت في توسمهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجاباً بينهم وبين أدراك الحقائق . الخامس أهل الجاهة التي يتبع منها المنور في الطلب فان طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول إلا بالتدكر للعلوم التي تناسب المطلوب حتى إذا تدكر كراهوتها في نفسه تترى محسوساً يمرره الماء بطرق الاعتبار فندد ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتبطل حقيقة المطلوب قلبه فان العلوم المطلوبة التي ليست فطرية لا تختص إلا بشبكة العلوم الحاصلة بكل علم لا يصلح إلا عن علمين سابقين بأنفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث يتناول ما يحصل النتائج من ازدواج الفعل والأثر ثم كما أن من أراد أن يستجهر حكمه يمكنه ذلك من حمار وبير وإنسان بل من أصل مخصوص من الجليل الأثني وذلك ازدواج يحصل من ازدواج مخصوص فنكشف كل علم على علم مخصوصاً وبها طريق إلى ازدواج يحصل من ازدواج مخصوص بالعلم السلفاء الطوبى فاجلبت تلك الأصول وبكيفية الازدواج من السامع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجمل الجالبة التي الصورة فيها بل مثاله أن يريد الازدواج أن يرى قضاة مثلاً فإنه إذا عثر للراءة أنما وجهه لا يمكن قد حاذيها شرط التقاف فلا يظهر فيها التقاف وإن رفضها وراء القفا وصاداه قد نعد عمل بالراءة عن عتبه فلا يرى للراءة ولا صورة التقاف فيها فيحتاج إلى امرأة أخرى يصيرها واقفاً وهنم مقابلتها بحث يصيرها ويرعى مناسبة بين وضمن الرأى حتى تطبع صورة التقاف للراءة أما هذا بقضائهم تطبع صورة

استراق النّفس المح
ظرفن ذلك عيزان
أهّاب رسول أفصل
أفعله وسلم وتواضعه
واجتنابهم أمثال هذه
الكلمات واستبداهم
أن يجوز لهد الظاهر
جى من ذلك ولكن
يحمل الكلام الصادق
وجه في الصحة ويقال
إن ذلك طمع عليهم
في سكر الحال وكلام
السكرى يحمل فاشاح
أرباب التحكيم ما علوا
في النفوس هذا الباء
الدين بالقوا في شرح
التواضع إلى حد أفقوه
بالصّفة تبدأ والامر يبدن
والاعتدال في التواضع
أن يرضى الانسان
بنزلة دون ما يستحقه
ولو أمن الشخص
جوع النفس لأرقها

(١) حدث من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود إليه أبدا لم أر له أصلا (٢) حديث من عمل بمعالم وورثه الله علم ما لم يعلم أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وقد خدم في العلم.

هذه للآفة في المرأة لأخرى التي في مقابلة العين ثم تدرك العين صورة التفاف كذلك في اقتناص العلوم طرق مجيبة فيها لزوورات وتخرجات أعجب مما ذكرناه في المرأة يمزج على بسيط الأرض من يهتدى إلى كيفية الحيلة في تلك الزوورات في هذه هي الأسباب اللامعة للقلوب من معرفة حقائق الأمور وإفكتل قلب فهو بالقطرة ساطع لمرفة الحقائق لأنه أمر رباني شريف فاروق سائر جواهر العلم الهادية الخاصة والترف وإليه الإشارة بقوله عز وجل - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان - إشارة إلى أن له خاصة تميز بها عن السموات والأرض والجبال بها صار منطقاً لحل أمانة الله تعالى وتلك الأمانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحل الأمانة ومطبق لها في الأصل ولكن يشطه عن التهوض بأعبائها والوصول إلى تحقيقها الأسباب التي ذكرناها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وإنا أوفاه يهودانه أو نصرانه أو مجسانه ^(١) » وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن الشياطين مجومون على قلب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء ^(٢) » إشارة إلى بعض هذه الأسباب التي هي المحجابين بين القلب وبين الملكوت وإليه الإشارة بما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قيل لرسول الله « يا رسول الله إن الله في الأرض أوفى السماء قال في قلوب عباده المؤمنين ^(٣) » وفي الخبر « قال الله تعالى لم أسمعن أرضي ولا سمائي ووسمى قلب عبدي المؤمن اللين الوديع ^(٤) » وفي الخبر « أنه قيل يا رسول الله من خير الناس قال كل مؤمن مخوم القاب قفيل وما مخوم القلب فقال هو النبي الذي لا غش فيه ولا ضي ولا غدر ولا غل ولا حسد ^(٥) » ولذلك قال محمد رضي الله عنهما في قلبي ربي إذا كان قد دفع الحجاب بالتمويه ومن ارتفع الحجاب بينه وبين الله تعالى صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى حجة عرض بعضها السموات والأرض أما حملتها فأكثر سعة من السموات والأرض لأن السموات والأرض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وإن كان واسع الأطراف متباعد الأكناف فهو متناه على الجلة وأما عالم الملكوت وهي الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار المخصوصة بأدراك البصائر فلا نهاية له، نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالإضافة إلى علم الله لا نهاية له وجملة عالم الملكوت إذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لأن الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات إذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وأفضاله وملكته وعباده من أفعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هي الجنة ببينها عند قومه وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته ويقدر ما يتجلى له من الله وصفاته وأفعاله وإبسا مراد الطاعات وأعمال الخوارج كلها نصفية القلب وتركيبه وجلاؤه قد أفلح من زكاها ومراد تركبته حصول أنوار الإيمان فيها أي إشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - وبقوله لا آمن من شرح الله

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث لولا أن الشياطين مجومون على قلوب بني آدم الحديث تقدم (٣) حديث ابن عمر أن الله قال في قلوب عباده المؤمنين لم أجده بهذا اللفظ وللطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني برفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله آتية من أهل الأرض وآتية ربك قلوب عباده الصالحين الحديث فيه بقية بن الوليد وهو مدلس لكنه صرح فيه بالتحديث (٤) حديث قال الله ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسمى قلب عبدي المؤمن اللين الوديع لم أره أصلاً وفي حديث أبي عتبة قبله عند الطبراني بعد قوله وآتية ربك قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه ألبها وأرقها (٥) حديث قبل من خير الناس قال كل مؤمن مخوم القلب الحديث هـ من حديث عبيد الله بن عمر بإسناد صحيح .

على حد يستحقه من غير زيادة ولا نقصان ولكن لما كان الجحوج في جبة النفس لكونها مخلوقة من صلصال كالفخار فيها نسبة النارية وطلب الاستسلام بطبيعتها إلى مركز النار احتاجت للتسدوى بالتواضع وإيقانها دون ما تستحقه لئلا يتطرق إليها الكبر فالكبر ظن الإنسان أنه أكبر من غيره والتكبر إظهاره ذلك وهذه صفة لا يستحقها إلا الله تعالى ومن ادعىها من الخلق فإن يكون كاذباً والكبر يتولد من الإعجاب والإعجاب من الجهل بحقيقة الحامس والجهل بالانسلاخ من الانسانية حقيقة وقد

صدره لاسلام فهو على نور من ربه - ثم هذا التجل وهذا الإيمان له ثلاث مراتب . الرتبة الأولى : إيمان العوام وهو إيمان التقليد الحسن . والثانية : إيمان التكميلين وهو مزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة إيمان العوام . والثالثة : إيمان العارفين وهو للشاهد بنور اليقين وبنين لك هذه الاربئ مثال وهو أن تصديقك يكون زيد مثلا في الدار له ثلاث درجات . الأولى : أن يخبرك عن جريته بالصديق ولم تفرقه بالكذب ولا تهتم في القول فإن قلبك يسكن إليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع وهذا هو الإيمان بمجرد التقليد وهو مثل إيمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وأمهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وإرادته وقدرته وسائر صفاته وبينة الرسل وصدقهم وما جادوا به وكما سمعوا به قبله وثبتوا عليه واطمأنوا إليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لهم لحسن ظنهم بآبائهم وأمهاتهم ومعلمهم وهذا الإيمان سبب النجاة في الآخرة وأهله من أوائل رب أصحاب العيين وليسوا من القريين لأنه ليس فيه كشف وبصرة وانسراح صدر بنور اليقين إذ الخطأ يمكن فباسم من الأحاد بل من الأعداد فما ينطق بالاعتقادات تغلوب اليود والتصارى أيضا مطعنة بما يسمعون من آبائهم وأمهاتهم إلا أنهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لأنهم أتقوا إليهم الخطأ واللسون اعتقدوا الحق لاطلاعهم عليه ولكن أتقوا إليهم كذا الحق . الرتبة الثانية : أن تستمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون إيمانك وتصديقك وبينك يكون في الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك إذا قيل لك إنه في الدار ثم سمعت صوته ازدادت به يقيناً لأن الأصوات تدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فيمكن قلبه بأن هذا صوت ذلك الشخص وهذا إيمان مزوج بدليل والخطأ أيضا يمكن أن ينطق إلى إذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكافؤ بطريق المحاكاة إلا أن ذلك قد لا يخطر ببال السامع لأنه ليس يحمل للتمعة موضعا ولا يقدر في هذا التلبس والمحاكاة غرضا . الرتبة الثالثة : أن تدخل الدار فتنظر إليه بينك وتشاهده وهذه هي المعرفة الحذيقية والشاهدة البينية وهي تشبه معرفة القريين والصدقين لأنهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في إيمانهم إيمان العوام والتكميلين ويتميزون بمزية بيئة يستحيل معها إمكان الخطأ نهمهم أيضا يتفاوتون بمقادير العلوم ودرجات الكشف وأما درجات العلوم فثالثه أن يصير زيدا في الدار عن قرب وفي ضمن الدار في وقت إشراق الشمس فيكفل إدراكه والآخر يدركه في بيت أو من بعد أوفى وقت غشية فيتمثل له في صورته ما يستيقن معه أنه هو ولكن لا يتمثل في نفسه البدة تقي والمخايا من صورته ومثل هذا منصور في تفاوت للمشاهدة للأمور الالهية وأما مقادير العلوم فهو بأن يرى في الدار زيدا وعمرا وبكرا غير ذلك وآخر لا يرى إلا زيدا لمعرفة ذلك تزيد بكترة المعلومات لعمالة فيها حال القلب بالاضافة إلى العلوم والله تعالى أعلم بالصواب .

(بيان حال القلب بالاضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والأخرية)

اعلم أن القلب بفرزته مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تخلف في تقسيم إلى عقلية وإلى شرعية والعقلية تنقسم إلى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة إلى دنيوية وأخرية أما العقلية فتشبهها ما تنقضها غيرزة العقل ولا توجد بالتقليد والسماع وهي تنقسم إلى ضرورية لا يدري من أين حصلت وكيف حصلت كعلم الانسان بأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشيء الواحد لا يكون خادما قد يما وجودا معدومهما فان هذه علوم يجد الانسان نفسه منها اصبا مغطورا عليها ولا يدري متى حصله هذا العلوم لأن من حملها أعى أنه لا يدري له - بإقربا وإلغايس غنى عليه أن الله هو الذي خلقه وهذه إلى علوم مكتسبة وهي الاستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلال على رضى الله عنه :

عظم الله تعالى شأن
السكر بمجوله تعالى - إنه
لا يجب للتكبرين -
وقال تعالى - أليس في
جهنم مثوى للتكبرين -
وقد ورد « يقول الله
تعالى: السكبراء رداً
والعظمة إذ أرى من
نازعى واحدا منها
قصمته » وفي رواية قد جبه
في نار جهنم . وقال غز
وجل رداً لالسان في
طفانيه إلى حصد :
- ولا تغش في الأرض
مرحاً إنك لن تحرق
الأرض ولن تبلغ
الجال طولاً - وقال
تعالى - قل ينظر الانسان
م خلق خلق من ماء
دافق - وأبلغ من هذا
قوله تعالى - قل الانسان
ما أكفره من أي شئ
خلقه من نقطة خلقه

وأيت العقل عقلي فطوبوع ومسعود ولا ينفع مسعود
إذا لم يك مطبوع كالاتفخ الشمس وضوء العين بمنوع

والأول هو الراد قوله صلى الله عليه وسلم لعل «ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل»^(١) والثاني هو الراد قوله صلى الله عليه وسلم لعل رضى الله عنه «إذا تقرب الناس إلى الله تعالى بأنواع البر تقرب أنت بمثل»^(٢) إذ لا يمكن التقرب بالفرصة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمسكنة ولكن مثل على رضى الله عنه هو الذى يقدر على التقرب باستعمال العقل فى اقتباس العلوم التى بها يتاله القرب من رب العالمين فالقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر فى العين وقوة الإبصار لطيفة تفقد فى العمى وتوجد فى البصر وإن كان قد غمض عينه أو جن عليه الليل والعلم الحاصل منه فى القلب جار مجرى قوة إدراك البصر فى العين ورويته لأعيان الأشياء وتأخر العلوم عن عين العقل فى مدته الصبالى أو أن التميز أو البلوغ يضاهى تأخر الرؤية عن البصر إلى أو أن إشراق الشمس وضيان نورها على البصائر والقلم الذى سطر الله به العلوم على صفحات القلوب مجرى مجرى قرص الشمس وإنما لم يحصل العلم فى قلب الصبي قبل التمييز لأن لوح قلبه لم يتيسر بعد لقبول نفس العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله سبباً لحصول نفس العلوم فى قلوب البشر قال الله تعالى - الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم - وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما لا يشبه وصفه وصف خلقه فليس قلبه من تصبوا لا خشب كما أنه تعالى ليس من جوهر ولا عرض فالوازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه لأنه لا امتناصة بينهما فى الشرف فإن البصيرة الباطنة هي عين النفس التى هي اللطيفة المدركة وهي كالقارس والبدن كالقارس وعمى القارس أضل من القارس من عمى القارس بل لانتاسة لأحد الضررين إلى الآخر ولوازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر صام الله تعالى باسمه فقال - ما كذب القواد ما رأى - مى إدراك القواد رؤية وكذلك قوله تعالى - وكذلك نرى إبراهيم منكسوت السموات والأرض - وما أراد به الرؤية الظاهرة فإن ذلك غير مخصوص بإبراهيم عليه السلام حتى يعرض فى معرض الامتنان ولذلك سمى إدراكه عمى قال تعالى - فأنها لاتسمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التى فى الصدور وقال تعالى - ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلاً - فهذا بيان العلم العقلى . أما العلوم الدينية فهى للأخوة بطريق التقليد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وفهم معانيه بعد السماع وبه كال صفة القلب وسلامته عن الأدواء والأمراض فالعلوم العقلية غير كافية فى سلامة القلب وإن كان محتاجاً إليها كما أن العقل غير كاف فى استدامة صحة أسباب البدن بل محتاج إلى معرفة خواص الأدوية والعقاقير بطريق التعلم من الأطباء إذ مجرد العقل لا يمتد إلى ذلك ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه إلا بالعقل فلاغنى العقل عن السماع ولاغنى السماع عن العقل فالله اعلم إلى بعض التقليد مع عزل العقل بالسكنية جاهل والمكتفى بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور فلياك أن تكون من أحد الفريقين وكن جامعا بين

الأصلين فإن العلوم العقلية كالأغذية والعلوم الشرعية كالأدوية والشخص المريض يستضرر بالعداء متى فاته الدواء فكذلك أمراض القلوب لا يمكن علاجها إلا بالأدوية للاستفادة من الشريعة وهي وظائف العبادات والأعمال التى ركبها الأنبياء صلوات الله عليهم لإصلاح القلوب فمن لا يداوى قلبه (١) حديث ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من : نقلت الحكيم فى نوادر الأصول باستناد ضيف وقد تقدم فى العلم (٢) حديث إذا تقرب الناس إلى الله بأنواع البر تقرب أنت بمثل قال أبو نعيم من حديث طى باستناد ضعيف .

قد مر وقد قال بعضهم لبص التكبير أو تلك نطفة مفردة وآخره جيفة قدرة وأنت فيها بين ذلك حامل المذرة وقد نظم الشاعر هذا للى :

كيف يزهو من رجبه
أبد الدهر ضججه
وإذا رحل التواضع
من القلب وسكن
السكبر انتشر أثره فى
بعض الجوانح وترشح
الانام بما فيه قنارة
يظهر أثره فى العنق
بالحنابل وتارة فى الحد
بالصبر قال الله تعالى
- ولا تصغر حذرك
لناس - وتارة يظهر
فى الرأس عند استمضاء
النفس قال الله تعالى
- لوأا رومهم
ورأيهم يصدون وم

الربى بمجالات العبادة الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استغنى بها كما يستغنى الربى بالتعاووظن من بطن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن هوطن صادر عن جمى في عين البصيرة تؤيد بالله منه بل هذا القائل ربما يناقض عنه بعض العلوم الشرعية لبعض فيجوز عن الجمع بينهما فيظن أنه تناقض في الدين فيتحيز به فينسل من الدين أنسال الشرعة من المعين وإعسا ذلك لأن مجرته في نفسه خيل إليه نقصا في الدين وهبات وإنسانا له مثال الأعلى الذى دخل دار قوم فحضر فيها بأوائى الدار فقال لهم ما بال هذه الأوائى تركت على الطريق إلى أتردى إلى مواضعها قالوا له تلك الأوائى في مواضعها وإعسا أنت لست تهتدى للطريق لعمالك فالعجب منك أنك لا تحيل عثرتك على عمالك وإعسا تحيلها على قصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية إلى العلوم العقلية . والعلوم العقلية تنقسم إلى دنيوية وأخرية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والمهندسة والجووم وسائر الحرف والصناعات والأخرية كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال والعلم بالله تعالى ونصافته وأفعاله كالنفساء في كتاب العلم وهما علمان متنافيان أعنى أن من صرف عنايته إلى أحدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الأكثر ولذلك ضرب على رضى الله عنه لدنيا والآخرة ثلاثة أمثلة فقال له ككتفى البزاة وكالشرق والغرب وكالضربين إذا أرضيت إحداها أضخطت الأخرى ولذلك ترى الأكياس في أمور الدنيا وفى علم الطب والحساب والمهندسة والفلسفة جهلا في أمور الآخرة والأكياس في دقائق علوم الآخرة جهلا في أكثر علوم الدنيا لأن قوة العقل لا تنفى بالأمرين جميعا في الغالب فيكون أحدهما ناعما من الكمال في الثانى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن أكثر أهل الجنة البه (١) » أمى الله في أمور الدنيا . وقال الحسن في بعض مواضعه لقد أدرنا أوقاما لو رأيتهم لقام مجانين ولو أدرنا كرمهم لقاموا عياشين فهما صحت أمرا غريبا من أمور الدين جعده أهل الكياسة في سائر العلوم فلا يفرنك جودهم عن قوله إذ من الهال أن ينظر سالك طريق للشرق بما يوجد في الغرب فكذلك يجرى أمر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى - إن الدين لارجون لقاء نار وضوايا الحياة الدنيا وأطعما نوناهم - الآية وقال تعالى - يظنون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وقال عز وجل - فأعرض عنهم تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك بل منهم من المرى فالجمع بين كمال الاستعداد في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر إلا لمن رسخه الله لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الأنبياء للؤيودن روح القدس الستمدون من اقوة الالهية التى تسع لجميع الأمور ولا تنقضى عنها فأما قلوب سائر الخلق فانها إذا استقلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيها . (بيان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار) اعلم أن العلوم التى ليست ضرورية وإعسا تحصل في القلب في بعض الأحوال تختلف الحال في حصولها فإذرة تهجم على القلب كأنه أنقى فيه من حيث لا يدري ونارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذى يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى إلهاما والذى يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستعدادا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهد من البعد ينقسم إلى مالا يدري والى هو أنه كيف حصل له ومن أين حصل وإلى ما يطلع على السبب الذى منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة تلك اللقى في القلب والأول يسمى إلهاما ونشأ في الروع . والثانى يسمى حياوتخص به الأنبياء والأول يخص به الأولياء والأصفاء والذى قبله الكسب وهو بطريق الاستدلال يخص به

(١) حديث أكثر أهل الجنة البه ، البزاة من حديث أنس وضعفه وصححه القرطبي في التذكرة وليس كذلك قد قال ابن عدى إنه منكر .

مستكبرون - وكأن
الكبر له اقسام على
الجوارح والأعضاء
تنشعب منه شعب
فكذلك بعضا ككث
من البعض كالتيه
والزهو والعزة وغير
ذلك لأن العزته تنشعب
بالكبر من حيث
الصورة وتختلف من
حيث الحقيقة كاشتباه
التواضع بالضعفة
والتواضع بمحمود والضعفة
مذمومة والكبر
مذموم والعزة محمودة
قال الله تعالى - وفيه
العزة ولرسوله
والمؤمنين - والعزة
غير الكبر ولا جهل
لؤمن أن بذل نفسه
الفازة معرفة الانسان
حقيقة نفسه وإكرامها
أن لا يضمها لأغراض

الطعام وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لأن تنجلي فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها وإما جعل بينه وبينها بالأسباب المحضة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب للسدد الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به إلى يوم القيامة وتجلى حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة فبالها والحجاب بين المرأتين تارة زوال اليد وأخرى يزول بهبوب الريح تحركه وكذلك قد تهب رياح الأنطاف وتكشف الحجب عن أعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند النام فيعلم به ما يكون في المستقبل ونعم ارتفاع الحجاب بالموت فيه ينكشف الغطاء وينكشف أيضا في القطة حتى يرتفع الحجاب بطلع خلق من الله تعالى فيلعب في القلوب من وراء ستر القليب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف وأخرى على التوالي إلى حد ما ودوامه في غاية التدور فلم يبارق الإلهام الاكتساب في نفس العلم ولا في عمله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار العبد ولم يبارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك القيد للعلم فان العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة للاتك واليه الاشارة بقوله تعالى - وما كان ليشأن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء - فإذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التطبيقية فذلك لم يحرموا على دراسة العلم وتحصيل ماصنفه الصنفون والبحث عن الآقايل والأدلة كدورة بل قالوا الطريق تقدم المجاهدة ومحو الصفات للزوم وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمعة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو التولى لقلب عبده والتسكف له بتدويره بأنوار العلوم وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة واشرق النور في القلب وانشرح الصدور وانكشف لمر الكسوت واهتض عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة فلا تلبث فيه حقائق الأور والإلهام فليس على العبد إلا الاستعداد لتخصية المجردة وإحضار الهمعة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والتردد بدوام الانتظار لما يفتح الله تعالى من الرحمة فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وقاض على صدورهم النور بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتغريغ القلب من شواغلها والاقبال بكنه الهمعة على الله تعالى فمن كان الله كان الله له وزعموا أن الطريق في ذلك أولاته قطع علائق الدنيا بالكلية وتغريغ القلب منها وقطع الهمعة عن الأهل والوالد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل بصير قلبه إلى حالة يستوى فيها وجود كل شيء وعدمه ثم غلب نفسه في زاوية مع الانقراض على الفناء والرواتب ويجلس فارغ القلب بمجموع الهم ولا يفكر في فكره بترامه فراق ولا يتأمل في تغريغ ولا يكتب حديث ولا غيره بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى فلا يزال بدو جلوسه في الخوفة لا لبس الله الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهي إلى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ثم يصير عليه إلى أن يعي أثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظبة على الذكر ثم يواظب عليه إلى أن يعي عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيته الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضرة أفعاله كأنه لازم له لا يفارقه وله اختيار إلى أن ينتهي إلى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى بل هو عاضده صار مستمرا في حاشية رحمة الله فلا يفتق إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كفتحهم على الأنبياء والأولياء بهذه الطريق وعند ذلك إذا صدقت إرادته وصفت همه وحسنت مواظبته فلم يجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تنعم لواعي الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد تأخر وإن عاد فقد ثبت وقد يكون غافلا وإن ثبت قد بطول بانه وقد لا بطول وقد يظهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على دفن واحد ومنازل وأولياء الله تعالى

جاجة دنيوية كما أن
الكبر جعل الانسان
بنفسه وإزالتها فوق
منزلتها . قال بينهم
الحسن ما أعظمك في
تصك قال است بطم
ولكن عزز ولما
كانت العزة غزير
منومة فبها سكا
بالكبر قال الله تعالى
- تستكبرون في
الأرض بغير الحق -
فيه إشارة خفية لإيثار
العزة بالحق فالوقوف
على حد التواضع من
غير انحراف إلى الضعة
ووقوف على صراط المدة
للتصوب على متن نار
الكبر ولا يؤيد في
ذلك ولا يثبت عليه
إلا أقدام العلماء
الراسخين والسادة
للقرين ورؤساء
الابدال والصديقين .

فيه لا يحصر كما لا يحصى تفاوت خلقهم واختلافهم وقد رجع هذا الطريق إلى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استمداد وانتشار قطط ، وأما النظار وذو الاعتبار فلم يشكروا وجود هذا الطريق وإمكانه وإضافته إلى هذا القصد على التدور فإنه أكثر أحوال الأنبياء والأولياء ولكن استوعبوا هذا الطريق واستبطئوا ثمرة واستجماع شروطه وزعموا أن نحو العلائق إلى ذلك الحد كالتشدد وإن حصل في حال كفايته أبعد منه إذ أدنى وسواس وخاطر يشوش القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن أشد تقلبا من القدر في غلباتها» (١) وقال عليه أفضل الصلاة والسلام «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» (٢) وفي أثناء هذه المجاهدة قد يغسد الزواج ويختلط العقل ويمرض البدن وإذا لم تقدم رياضة النفس وتهذيبها بمحائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس إليها مدة طويلة إلى أن يزول وينقضي العمر قبل النجاح فيها فكيف من صوفي سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد آتقن العلم من قبل لانتفع له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فلا اشتغال بطريق التعلم أوفق وأقرب إلى الغرض ، وزعموا أن ذلك يضاهي ما لو ترك الإنسان تعلم الفقه ، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم ذلك وصار قلبه بالوحى والألهام من غير تكرار وتعليل وأنا أيضا ربما انتهت في الرياضة والواظبة إليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء الثور على كثر من الكدور فإن ذلك يمكن ولكنه بعيد جدا ، فكذلك هذا ، وقالوا لا بد أولا من تحصيل ماحصل العلماء وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما ينكشف لآثر العلماء فضاء ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة .

(بيان الفرق بين التامين بمثال محسوس)

اعلم أن محائب القلب خارجة عن مداركات الحواس ، لأن القلب أيضا خارج عن إدراك الحس والماليس مدركا بالحواس تضعف الأفهام عن دركه إلا بمثال محسوس ونحن نهرب ذلك إلى الأفهام الضعيفة بمثالين : أحدهما أنه لو فرضنا حوضا مفعورا في الأرض احتمل أن يساق إليه الماء من فوقه بأنهار تنفتح فيه ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقرب من ، مستقر الماء الصافي فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أغزر وأكثر فذلك القلب مثل الحوض والعالم مثل الماء وتكون الحواس الحس مثل الأنهار ، وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علما ويمكن أن تسد هذه الأنهار بالخلوة والمرقة وغض البصر ويسمد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات المحجب عنه حتى تنفجر ينابيع العلم من داخله . فان قلت فكيف ينفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه . فاعلم أن هذا من محائب أسرار القلب ولا يسبح بذكره في علم العامة بل القدر الذي يمكن ذكره أن حقائق الأشياء مسطورة في الوحد المحفوظ بل في قلوب اللائكة القريبين ، فكما أن الهندس يصور أبنية الدار في رياض ثم يخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والأرض كتب نسخة العالم من أوله إلى آخره في الوحد المحفوظ ثم أخرجه إلى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج إلى الوجود بصورة تتأدى منه صورة أخرى إلى الحس والخيال فإن من ينظر إلى السماء والأرض ثم يفتن بصره يرى صورة السماء والأرض في خياله حتى كأنه ينظر إليها ولو اندمدت السماء والأرض وبقي هو في نفسه لوجد صورة السماء والأرض في نفسه كأنه يشاهدها وينظر إليها ثم يتأدى من خياله أثر إلى القلب

(١) حديث قلب المؤمن أشد تقلبا من القدر في غلباتها ، أحمد و ك وبهجه من حديث اللقداد بن الأسود (٢) حديث قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن م من حديث عبد الله بن عمر .

قال بعضهم من تكبر
قد أخبر عن ندالة
نفسه ومن تواضع قد
أظهر كرم طبعه . وقال
الترمذى التواضع على
ضربين : الأول أن
يتواضع العبد لأمر الله
ونهيه فإن النفس
تطلب الراحة تتلهى
عن أمره والشهوة التي
فيها تهوى في نهيها فإذا
وضع نفسه لأمره ونهيه
فهو تواضع . والثاني أن
يسخى نفسه لعظمة الله
فإن اشتبهت نفسه شيئا
عما أطلق له من كل نوع
من الأنواع منها ذلك
وجهة ذلك أن يترك
مخشيته لمشيئة الله تعالى .
واعلم أن العبد لا يبلغ
حقيقة التواضع إلا بعد
لحمان نور للشهادة في
قلبه فبعد ذلك تدوب

فيحصل فيه حقائق الأشياء التي دخلت في الحس والخيال والحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا من خيال الانسان وقبلة والعالم الوجود موافق للنسخة الوجود في اللوح المحفوظ فكأن للعالم أربع درجات في الوجود : وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسدي ويتبعه وجوده الحقيقي ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي أعني وجود صورته في القلب ويتبع هذه الوجودات روحانية وبضها جسيانية والروحانية ببضها أشد روحانية من البعض وهذا اللطف من الحكمة الإلهية ، إذ جعل حدتك على صغر جسمها بحيث تنطبق صورة العالم والسماوات والأرض على اتساع أكنافها فيها ثم يسرى من وجودها في الحس وجود إلى الخيال ثم منه وجود في القلب فانك أبدا لا تدرك إلا ما هو واصل إليك فلو لم يجعل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر عما يبين ذلك فسبحان من دبر هذه العجائب في القلوب والأبصار ثم أهمي عن دركها القلوب والأبصار حتى صارت قلوباً كثر الخلق جاهلة بأنفسها وبعبائهم . ولترجع إلى الفرض المقصود فقول : القلب قد يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر إليها وتارة من النظر إلى الماء الذي يقابل الشمس وعكس صورتها فلهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الأشياء فيه وتغير إليه العالم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كفتخر الماء من عمق الأرض ، ومهما أقبل على الخيلات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما أن الماء إذا اجتمع في الأنهار منع ذلك من التغير في الأرض وكما أن من نظر إلى الماء الذي عكس صورة الشمس لا يكون ناظرا إلى نفس الشمس ، فاذن القلوب بابان : باب مفتوح إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملكوت وباب مغلق إلى الحواس الحساسة المتمسكة بعالم الملك والشهادة وعالم الشهادة والملك أيضا يحاكي عالم الملكوت نوعا من الحكمة فأما افتتاح باب القلب إلى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك وأما افتتاح باب الملك إلى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فقله علما يغنيها بالتأمل في عجيب الرؤى وإطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل أو كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وإنما يفتح ذلك الباب لمن اقتدر بذكر الله تعالى وقال عليه السلام سبق الفردون قبل ومنهم الفردون بإرسول الله ؟ قال التزهوني بذكره تعالى وضع الفكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال في وصفهم إخبارا عن الله تعالى ثم أقبل بوجهي عليهم أرى من واجهته بوجهي يعلم أحد أي شيء أريد أن أعطيه ثم قال تعالى أول ما أعطيتهم أم أقذف النار في قلوبهم فيخبروني عنى كما أخبر عنهم ^(١) ومدخل هذه الأخبار هو الباب الباطن فاذا الفرق بين علوم الأولياء والأنبياء وبين علوم العلماء والحكماء هذا وهو أن علومهم تأتي من داخل القلب من الباب المتفتح إلى عالم الملكوت وعلى الحكمة يأتي من أبواب الحواس للتوجه إلى عالم الملك والعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة والقلب لا يمكن أن يستقصى في علم العامة فهذا مثال بطلان الفرق بين مدخل العالمين .

النفس وفي ذواتها صفاتها من غش الكبر والعجب تالين وتطبع الحق والخلق لمحو آثاره وسكون وهجها وغبارها وكان الحظ الأوفى من التواضع لثبنتا عليه السلام في أوطان القرب كما روى عن عائشة رضى الله عنها في الحديث الطويل قالت قد قدت رسول صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فأخذني ما يأخذ النساء من الفجرة ظنا منى أنه عند بعض أزواجه فطلبت في حجر نسائه فلم أجده فوجدته في السجدة ساجدا كالقرب الخلق وهو يقول في سجوده سجد لك سوادى وخيالى وأمن بك

(١) حديث سبق الفردون قبل ومنهم قال السهتروتون بذكر الله الحديث م من حديث أبي هريرة مقتصر على أول الحديث وقال فيه وما الفردون قال الله كرون الله كثيرا والدا كرات ورواه له بلفظ قال القين يستهزئون بذكر الله وقال صحيح على شرط الشيخين وزاد فيه البيهقي في الشعب ينعن الذكر عنهم اتقاهم ويأتون يوم القيامة خفافا ورواه هكذا الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي هريرة دون الزيادة التي ذكرها المصنف في آخره وكلاهما ضعيف .

الثالث ٥: يفرق الفرق بين العمليين : أعني عمل العلماء وعمل الأولياء فان العلماء يعملون في اكتساب
 تنج العلوم واجتلابها إلى القلب وأولياء الصوفية يحملون في جلال القلوب وتطهيرها وتصفيتها وتصفيلها
 قط ، وقد حكى أن أهل الصين وأهل الروم يجاهون بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النش والتصور
 فاستقر رأي الملك على أن يسلم إليهم صفة لنش أهل الصين منها جانباً وأهل الروم جانباً ورعى بينهما
 حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر فعمل ذلك لجمع أهل الروم من الأصباغ القريفة ما لا ينحصر
 ودخل أهل الصين من غير صبح وأقبلوا يحملون جانبهم وصقلونه فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين
 أنهم قد فرغوا أيضاً فحبب الملك من قولهم وأنهم كيف فرغوا من النش من غير صبح فقبل وكف
 فرغم من غير صبح فقالوا ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا وإذا بجانبهم بتلاً أنه من عجائب الصنائع
 الرومية مع زيادة إشراق وبريق إذا كان قد صار كالمرآة المبلوعة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم
 بمزيد التصقيل ؛ فكذلك عناية الأولياء بتطهير القلب وجلالة وتركته وصفاته حتى يتلأأ في عجلة
 الحق بنهاية الاشتراق كفضل أهل الصين وعناية الحكماء والعلماء بالاكتساب ونش العلوم وتحصيل
 تشبها في القلب كفضل أهل الروم . فكيفما كان الأمر قلب المؤمن لا يوت وعلمه عند الموت لا يعمى
 وصفاءه لا يتكدر وإليه أشار الحسن رحمه الله بقوله التراب لا يأكل محل الإيمان بل يكون
 وسيلة وقربة إلى الله تعالى ، وأما ما حصله من نفس العلم وما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نفس
 العلم فلا غنى به عنه ولا مساعدة لأحد إلا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات أشرف من بعض كآلها لا غنى
 إلا بالمال صاحب الدرهم غنى وصاحب الخزانة المترعة غنى وتفاوت درجات السعادات بحسب تفاوت المعرفة
 والإيمان كما تفاوتت درجات الأغنياء بحسب قلة المال وكثرة المال أو لاسيما المؤمنين إلى
 لقاء الله تعالى إلا بأنوارهم قال الله تعالى - يسمى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم - وقد روي في الخبر
 « إن بضهم يعطى نوراً مثل الجبل وبضهم أصفر حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوراً على إيمانهم
 قدميه فيضه مرة وينطقه أخرى فإذا أضاء قدم قدميه فثنى وإذا أطفىء قام ومرورهم على الصراط
 على قدر نورهم فمنهم من يمر كالفرس الأبيض ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من
 يمر كالفضاض السكواك ومنهم من يمر كالفرس إذا اشتد في ميدانه ، والذي أعطى نوراً على إيمانهم
 قدمه محبوبوا على وجهه ويديه ورجليه يمر بدا ويلق أخرى ويصيب جوانبه النار فلا تزال كذلك
 حتى يخلص (١) الحديث فهذا يظهر تفاوت الناس في الإيمان ولو وزن إيمان أن بكر إيمان العالمين
 سوى النبيين والمرسلين لرجح ، فهذا أيضاً يضاهي قول القائل: لو وزن نور الشمس بنور السراج كلها
 لرجح ، فإيمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبضهم نوره كنور الشمع وإيمان الصديقين
 نوره كنور القمر والنجوم وإيمان الأنبياء كالشمس ، وكما يتكشف في نور الشمس صورة الآفاق
 مع اتساع أنظارها ولا يتكشف في نور السراج إلا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت انشراح
 الصدر بالمعارف وانكشاف سمة للسلوك لقلوب المارقين ، ولذلك جاء في الخبر « أنه يقال يوم القيامة
 أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ونصف مثقال ذرة من محبة ومثقال ذرة من (٢)
 كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الإيمان وأن هذه المقادير من الإيمان لا تمنع دخول النار ، وفي

فؤادي وأقربك لسان
 وها أنا ذا بين يديك
 يا عظيم يا غافر القديب
 العظيم « وقوله عليه
 السلام « سجد لك
 سواي وخيالي »
 استقصاء في التواضع
 بمحو آثار الوجود حيث
 لم تتخلف ذرة منه عن
 السجود ظاهرها وباطن
 ومع لم يكن للصوفي
 حظ من التواضع
 الخاص على بساط
 القرب لا يتوفر حظه في
 التواضع للخلق وهذه
 سعادات إن أقبلت
 جاءت بكنيتها والتواضع
 من أشرف أخلاق
 الصوفية . ومن أخلاق
 الصوفية : للدلالة
 واحتمال الأدنى من
 الخلق وبلغ من مداراة

(١) حديث إن بضهم يعطى نوراً مثل الجبل حتى يكون أصفرهم رجل يعطى نوره على إيمانهم قدمه
 الحديث الطبراني و ك من حديث ابن مسعود قال ك صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث يقال
 يوم القيامة أخرجوا من النار من في قلبه ربع مثقال من إيمان الحديث متفق عليه من حديث
 أبي سعيد وليس فيه قوله ربع مثقال

مفهومه أن من إسمائه يزيد على مثقل فانه لا يدخل النار إذ لو دخل لأمر باخراجه وألا ومن في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وإن دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم «ليس شيء خيرا من ألف مثله إلا الإنسان للؤمن» (١) إشارة إلى تخفيف قلب العارف بالله تعالى للؤمن فاعلم من ألف قلب من المومنين وقد قال تعالى - وأتمم الأعمال وإن كنتم مؤمنين - تخفيفا للمؤمنين على السليين والراغب في المؤمن العارف دون القليل - وقال عز وجل - رفع الله الدين آمنوا منكم والدين أوتوا العلم درجات - فأراد هنا بالدين آمنوا بالدين صدقوا من غير علم وميزم عن الدين أوتوا العلم وذلك على أن اسم المؤمن يقع على القليل وإن لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف. وفسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى - والدين أوتوا العلم درجات - فقال رضي الله العارف للؤمنين بسبب ما تدرج به من كل درجتين كما بين السماء والأرض ، وقال **عليه السلام** «أكثر أهل الجنة بالله وعليون لدوى الألياب» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابي» (٣) وفي رواية «كفضل القصر ليلة البدر على سائر الكواكب» فهذه الشواهد يتضح على تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ، ولهذا كان يوم القيامة يوم التنازع إذ المحروم من رحمة الله عظيم التبع والحسران والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره إليها كمنظر النقي الذي يملك عشرة دراهم إلى النقي الذي يملك الأرض من الشرق إلى المغرب وكل واحد منهما غنى ولكن ما أعظم الفرق بينهما وما أعظم التبع على من ينسر حظه من ذلك ولا خروا كبر درجات وأكبر تفضيل.

(بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في الكتاب)

للمعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المتأد

اعلم أن من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام والوقوف على القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك نفسه قط فينبغي أن يؤمن به بأن درجة للمعرفة بغير عزرة جدا ، ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات : أما الشواهد فقوله تعالى - والدين جاهدوا فينا لهديتهم سبيلنا - فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإلهام ، وقال صلى الله عليه وسلم «من عمل بمساعلم ورثه الله علمه علمه لم يوفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفقه فيما يعمل حتى يستوجب النار» (٤) وقال الله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا - من الإشكالات والشبه - ويزقه من حيث لا يحتسب - يعلمه علما من غير تعلم ويغفنه من غير تجربة وقال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن تنو الله يجعل لكم فرقا - قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ، ولذلك كان **عليه السلام** يكثر في دعائه من سؤال النور فقال عليه الصلاة والسلام « اللهم أعطني نورا وادني نورا وجعل لي في قلبي نورا وفي قري نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا حتى قال في شكري وفي بشرى وفي طمحي وعظمي » (٥) « وادني نورا »

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وجد تجيلا من أصحابه بين اليهود فلم يحف عليهم ولم يزيد على ما الحق بل ودام بمائة ناقصين قبله وإن بأصحابه حاجة إلى بصر واحد يتقون به ، وكان من حسن مداراته أن لا يذم طامعا ولا ينهر خادما. أخبرنا الشيخ العالم شهاب الدين عبد الوهاب ابن طي قال أنا أبو الفتح الكرخي قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا الجراسمي قال أنا أبو البباس الجبوري قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا قتيبة قال ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال خدمت

(١) حديث ليس شيء خيرا من ألف مثله إلا الإنسان أو المؤمن ، الطبراني من حديث سلمان بن بلظظ الانسان ولأحمد من حديث ابن عمر لاتعلم شيئا خيرا من مائة مثله إلا الرجل للؤمن وإسناده أحسن (٢) حديث أكثر أهل الجنة بالله وعليون لدوى الألياب تقدم دون هذه الزيادة ولم أجد لهذه الزيادة أصلا (٣) حديث فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابي ت من حديث أبي أمامة وصححه وقد تقدم في العلم وكذلك الرواية الثانية (٤) حديث من عمل بمساعلم الحديث ختم في العلم دون قوله ووفقه فيما يعمل فلم أرها (٥) حديث اللهم أعطني نورا وادني نورا الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس .

صل الله عليه وسلم عن قول الله تعالى : « ان شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه » ما هذا الشرح فقال هو التوراة إن النور إذا قذف به في القلب اتسع له الصدر واتسع ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس « اللهم قهقهه في الدين وعلمه التأويل ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم ما عندنا شيء أسمره النبي صلى الله عليه وسلم إلينا إلا أن يؤتى الله تعالى عبدا فيها في كتابه وليس هذا بالتلمس ^(٣) وقيل في تفسير قوله تعالى : يؤتى الحكمة تعالى : يؤتى القهقهة في كتاب الله تعالى وقال تعالى : فقهناها سليمان : خسرنا انكشف باسم الله . وكان أبو البرداء يقول للؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر يرفق والله إنه الحق يقذه الله في نوره وبهره على ألسنتهم ، وقال بعض السلف طن المؤمن كمانة ، ويقال صلى الله عليه وسلم « اخروا فرامة للؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى ^(٤) » وإليه يشير قوله تعالى : إن في ذلك لآيات للتوحيين - وقوله تعالى - قدينا الآيات لقوم يوقنون - وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « العلم علان ضل بطن في القلب فذلك هو العلم النافع ^(٥) » وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو فقال هو سر من أسرار الله تعالى يقذه الله تعالى في قلوب أحبائه ليطلع عليه ملكا ولا جبرا وقد قال ^(٦) « إن من أمم محدثين ومعلمين ومكلمين وإن عمر منهم ^(٧) » وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما - وما أزلنا من قبلك من رسول ولا نبى ولا عهدت - مع المؤمنين والمحدثين هو العلم واللهم هو الله الذي انكشفه من باطن قلبه من جهة الداخل لامن جهة المصنوع الخارجة والقرآن مسموح أن انتهى مفتاح الهداية والكشف ذلك علم غير تعلمي ، وقال الله تعالى - وما خلقت الله في السموات والأرض لآيات قوم يتقون - خصصا بها من غير علمي - هذا بيان للناس وهدى وموعظة للفتين - وكان أبو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذنا نسي يحفظه صار جاهلا إنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء يلاحظ ولا درس ، وهذا هو العالم الرباني وإليه الإشارة بقوله تعالى - وعلمناه من لدنا علما - مع أن كل علم من لدنه ولكن بضما يوسائط تعليم الخلق فلا يسي ذلك علما لدنيا بل الدين الذي ينتج في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج فيه شاهد التقل ولجميع كل ماورد فيه من الآيات والأخبار والآثار مخرج عن المحصر . وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضا خارج عن المحصر وطريق ذلك على الصعابة والتأنيب ومن يبدى . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لائمة رضي الله عنها عند موته : إنما هما أخوات وأختاك وكانت زوجة حاملا فولدت بنتا فكان قد عرف قبل الولادة أنها بنت ، وقال عمر رضي الله عنه في أثناء خطبته بإسارية الجبل الجبل ، إذ انكشف له أن العدو قد تأثر عرف عليه غدره لمعرفه ذلك ثم بلغ صوته إليه من جهة السكرامات العظيمة ، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال دخلت على عائش رضي الله عنه وكنت قد قليت امرأة في طريق فنظرت إليها حزرا وتاملت محاسنها فقال عائش رضي الله عنها لما دخلت يدخل على أحدكم وأثر الزنا ظاهر على عييه أماغلت أن زنا النبيين ^(٨)

(١) حديث مثل عن قوله تعالى- أفن شرح الله صدره للاسلام- الحديث وفي الاستدرك من حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم (٢) حديث اللهم قهقهه في الدين وعلمه التأويل قاله لابن عباس متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله وعلمه التأويل فأخرجه بهذه الزيادة أحمد وحسب و ك وصححه وقد تقدم في العلم (٣) حديث ط ما عندنا شيء أسمره إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يؤتى الله عبدا فيها أو يؤتى الله عبدا فيها في كتابه وليس هذا بالتلمس (٤) حديث اخروا فرامة للؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى (٥) حديث ط ما عندنا شيء أسمره إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يؤتى الله عبدا فيها أو يؤتى الله عبدا فيها في كتابه وليس هذا بالتلمس (٦) حديث ط ما عندنا شيء أسمره إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يؤتى الله عبدا فيها أو يؤتى الله عبدا فيها في كتابه وليس هذا بالتلمس (٧) حديث ط ما عندنا شيء أسمره إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يؤتى الله عبدا فيها أو يؤتى الله عبدا فيها في كتابه وليس هذا بالتلمس (٨) حديث ط ما عندنا شيء أسمره إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يؤتى الله عبدا فيها أو يؤتى الله عبدا فيها في كتابه وليس هذا بالتلمس

رسول الله صلى الله
عليه وسلم عشر سنين
لما قال لي أظف وما
قلت لشيء منته لم
تنت ولا شيء من تركه
لم تركه وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
من أحسن الناس خلقا
وما مسست خزا قط
ولاحر برا ولا شيئا كان
أثمن من كسر رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ولا شمت مكا قط
ولا عطرا كان أطيب
من عرق رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فلندارة مع كل أحد
من الأهل والأولاد
والجيران والأصحاب
والخلق كافة من
أخلاق الصوفية
وأحوال الأدي ينظر
جوهر النفس وقد قيل

النظر لتوبن أولاً عزرتك قلت أوحى بدائي ؟ قال لا ولكن بصيرة وبرهان وقراءة صادقة . وعن
 أبي سعيد الخدري قال دخلت المسجد الحرام فرائت قبراً عليه خرثان قلت في نفسي هذا وأشياحه كل على
 الناس فنادى وقال - والله أعلم ما في أعينكم فاحذروه - فاستغفرت الله في سرى فنادى وقال - وهو الذي
 يقبل التوبة عن عباده - ثم غاب عني ولم أره . وقال ذكرياً بن داود دخل أبو العباس من مسروق على أبي
 القضل الهاشمي وهو عليل وكان ذاعيل ولم يعرف له سبب يمشي به قال فما قلت قلت في نفسي من
 أين تأكل هذا الرجل قال فصاح يا أبا العباس رد هذه الهمة الدنية فإن لله تعالى أطباقاً خفية . وقال
 أحمد النقيب دخلت على الشبل فقال مفتونا يا أحمد قلت ما الحبر ؟ قال كنت جالساً بخري خاطري
 أنك غيل قلت ما أنا غيل فنادى خاطري وقال بل أنت غيل قلت ما فتح اليوم على بشي ؟ إلاضنة
 إلى أول قبر يلقاني قال لما استم الحاطر حتى دخل على صاحب اللؤس الحامد ومعه خمسون ديناراً
 فقال اجلس في مصالحك قال وقت فأخذتها وخرجت وإذا بفقيه مكوف بين يدي مزين يخلق رأسه
 فخدمت إليه وتاوله الهذيان قال أعطها للزبن قلت إن جعلتها كذا وكذا قال أليس قد قلنا لك
 أنك غيل قال فاولتها للزبن قال للزبن قد عقدنا لما جلسي هذا الفقير بين أيدينا أن نأخذ عليه
 أجراً قال فرميت بها في دجلة وقلت ما أعزك أحد إلا أنه الله عز وجل . وقال حمزة بن عبد الله العلوي
 دخلت على أبي الخير التيناني واعتقدت في نفسي أن أسلم عليه ولا أكل في داره طعاماً فما خرجت من
 عنده إذا به قد لقيني وقد حمل طبقاً فيه طعام وقال يا بني كل فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان أبو الخير
 التيناني هذا مشهوراً بالكرامات . وقال إبراهيم الرقي قصدهت مسلماً عليه فغضرت صلاة للزبن فبكم
 بقراً الفاتحة مستوياء قلت في نفسي ما عت سرفي فما علم خرجت إلى الطيارة قد صدقني سبع فهدت إلى أبي
 الخير وقلت قد صدقني سبع فخرج وصاح به وقال ألم أقل لك لا تترس من لضيغاني فتضي الأسد فتطهرت فما
 رجعت قال امتثلتم بتقويم الظاهر غفتم الأسد وامتثلنا بتقويم الباطن غفنا الأسد . وما حكى من
 غرض الشايخ وإخبارهم عن اعتقادات الناس وضائرم يخرج عن الحصر بل ما حكى عنهم من مشاهدة
 الحضور عايه السلام والسؤال منه ومن سماع صوت المائف ومن ثبوت الكرامات خارج عن الحصر
 والحكاية لا تنفع الماحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن أنكر لأمر أنكر التفصيل . والدليل القاطع الذي
 لا يقدر أحد على جده أمران : أحدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها الرب إذا جاز ذلك في النوم
 فلا يستحيل أيضاً في اليقظة فلم يفرق النوم اليقظة إلا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالهوسات فكيف
 من مستيقظاً لم يسمع ولا يصر لا اشتغال بنفسه . الثاني إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
 النبي وأمور في المستقبل كما اشتمل عليه القرآن وإذا جاز ذلك النبي صلى الله عليه وسلم إني أنبيء
 عن شخص كوشف بحقائق الأمور وشغل بإصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكشوف
 بالحقائق ولا يستحيل بإصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبياً بل يسمى ولياً فمن آمن بالأنبياء وصفق بالرويا
 الصحيحة فومه لاهالة أن يقر بأن القلب بابان باب إلى خارج وهو الحواس وباب إلى اللسكون من داخله
 القلب وهو باب الإلهام والنفس في الروح والوحي فإذا أفرهما جميعاً لم يمكن أن يحصر العلوم في التسليم
 ومباشرة الأبواب الثلاثة بل يجوز أن تكون المجاهدة سبيلاً إليه فهذا ما بينه على حقيقة ما ذكرناه من
 عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم اللسكون وأما السبب في انكشاف الأمر في المنام بالمثل المحو
 إلى التمييز وكذلك مثل اللسكون للأنبياء والأولياء بصور مختلفة فذلك باضمناً أسرارها بباب القلب ولا
 يليق ذلك إلا بعلم الكاشفة فلتنص على ما ذكرناه فانه كاف للاحتشاح على المجاهدة وطلب الكشف
 منها فقد قال بعض المكشفين ظهر لي الملك نسائي أن أملك عليه شيئاً من ذكرى الخفي عن مشاهدتي

لكل شيء جوهر
 وجوهر الإنسان العقل
 وجوهر العقل الصبر .
 أخبرتنا أبو زرعة
 طاهر عن أبيه الحافظ
 للقدس قال أنا أبو محمد
 الصريخي قال أنا
 أبو القاسم عبيد الله
 ابن حبة قال أنا
 أبو القاسم عبيد الله بن
 محمد بن عبد العزيز قال
 حدثنا علي بن الجهم قال
 أنا خبة عن الأعشى
 عن يحيى بن وثاب
 عن شيخ من أصحاب
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قلت من
 هو قال ابن عمر عن
 النبي صلى الله عليه
 وسلم أنه قال هو المؤمن
 الذي يباشر الناس
 ويصبر على أقدم خير
 من الذي لا يغالبهم

من التوحيد وقال ما نكتب لك حملوا نحن نحب أن نصدقك بعمل تقرب به إلى الله عز وجل قلت ألسنا
تكتبان القرآن قلنا بل قلت فيكيبك كذاك وهذه إشارة إلى أن السكران الكاتبين لا يطمعون على أسرار
القلب وإنما يطمعون على الأعمال الظاهرة . وقال بعض العارفين سألت بعض الأبدال عن مسألة من
مشاهدة اليقين فالتفت إلى شهاب وقال ما تقول رحمك الله ثم التفت إلى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم
أشرف إلى صدره وقال ما تقول رحمك الله ؟ ثم أجاب بأغرب جواب سمعته فأسأله عن الفتاة فقال لم يكن
عندي في للسألة جواب عتيده فسألت صاحب الشهاب فقال لأدرى فأسألت صاحب اليقين وهو أعلم منه
فقال لأدرى فظفرت إلى قلبي وسأله فحدثني بما أجبتهك فاذهاو أعلم منها ما كان هذا هو معنى قوله عليه
السلام « إن في أمي محدثين وإن عمرهم » وفي الآخر : « إن الله تعالى يقول أبعاد طمعت على قلبه فرأيت
القالب عليه التمسك بذكري فقلت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسته . وقال أبو سلمان الداراني
رحمة الله عليه القلب بمنزلة القبة الضرورية حولها أبواب مغلقة فأبى باب فتح له حمل فيه قد ظهر
اختراع باب من أبواب القلب إلى جهة للكوكب وللأطهر وينفتح ذلك الباب للجأهدة والورع
والإعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد احفظوا ما تسمعون
من اللطيفين فاتهم ينجل لهم أمور صادقة . وقال بعض العلماء يد الله على أفواء الحكام لا ينعون ولا
بما هيأ الله لهم من الحق . وقال آخر لو شئت قلت إن الله تعالى يطلع الخائضين على بعض سره .
(يان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها)

اعلم أن القلب كما ذكرناه مثال قبة ضرورية لها أبواب تنصب إلى الأحوال من كل باب ومثاله أيضا
مثال هدف تنصب إليه سهام من الجواب أوهو مثال معركة منصوبة عليها أضافات مختلفة
فتدري أنها قبة ضرورية بعد صورة ولا تخلو عنها أومثال حوض تنصب فيه مياه مختلفة فمن أشهر مفتوحة
إليه وإنما مداخل هذه الآثار للتجدد في القلب في كل حال أأمان الظاهر فالحواس الخمس وأمان
الباطن فالخيال والشهوة والغضب والأخلاق الركبة من مزاج الإنسان فانه إذا أدرك بالحواس شيئاً
حصل منه أثر في القلب وكذلك إذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الأكل وبسبب قووة للزواج
حصل منها في القلب أثر وإن كلف عن الإحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال
من شيء إلى شيء . وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال آخر والتقصود أن القلب
في التغير والتأثر دائماً من هذه الأبواب وأخص الآثار الحاصلة في القلب هو الحواطر وأغنى الحواطر
ما يحصل فيه من الأفكار والأذكار وأغنى به إدراكه علومها إما على سبيل التجدد وإما على
سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث إنها تغتر بعد أن كان القلب غافلاً عنها والحواطر هي الحركات
للأحداث فان الية والعزم والارادة إنما تكون بعد خضوع النوى لآلية أبدأ الأفعال
الحواطر ثم الحواطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك الية والية تحرك الأعضاء
والخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر أغنى إلى ما يضر في العاقبة وإلى ما يدعو إلى
الخير أغنى إلى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فاختص إلى اسمين مختلفين فالخاطر الحمود
يسمى إلهاما والخاطر للنوم أغنى الداعي إلى الشر يسمى وسواساً ثم إنك تعلم أن هذه الحواطر حادثة
ثم إن كل حدث فلا بد له من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الأسباب هذا
ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب السبب على الأسباب فيها استتارت حيطان البيت بنوارث
وأظلم سقفه ولسود بالخشن غلقت أن سبب السواد غير سبب الاستتارة وكذلك أنوار القلب وظلته
سببان مختلفان فسبب الحاطر الداعي إلى الخير يسمى ملكاً وسبب الحاطر الداعي إلى الشر يسمى شيطاناً

ولا يصبر على إقامه
وفي الخبر « أيسر أحدكم
أن يكون حسان
ضمضم قبل ماذا كان
يصنع أبو ضمضم قال
كان إذا أصبح قال
الهم إنني تصدقت
اليوم بمرض على من
ظلمني فمن ضروبي
لا أضربه ومن شتمني
لا أنتمه ومن ظلمني
لا أنظمه » . وأخيراً
ضياء الدين عبد الوهاب
قال أنا أبو الفتح
المروى قال حدثنا
الترقي قال أنظر لاجري
قال أنا الجبوني قاله
أنا أبو عيسى الترمذي
قال ثابن أبي عمر
قال ثنا سفيان عن
عبد بن السكدر عن
عروة عن عائشة
رضي الله عنها قالت

واللطيف الذي نبأ به القلب لقبول إلهام الخير يسمى توفيقاً والذى به يتربص لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواء، وخذلانا فإن للماني المختلفة تختفر إلى أسامي مختلفة، واللك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه إفاضة الخير وإفاضة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والأمر بالمعروف وقد خلقه وسخره للخلق والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والأمر بالمعصية والتخويف عند علم الخير بالقرع فالوسوسة في مقابلة الإلهام والشيطان في مقابلة اللك والتوفيق في مقابلة الخذلان وإليه الإشارة بقوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين - فإن الوجودات كلها مقابلة من زوجة إلى الله تعالى فاعرفد لامقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للأزواج كلها فالقلب متجاذب بين الشيطان واللك وقد قال صلى الله عليه وسلم « في القلب ثمان لمة من اللك إحداهن بالخير وتصدق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله ولة من العدو إحداهن بالشر وتكذب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى - الشيطان يدكم الفقر ويأمركم بالفساد - الآية وقال الحسن إنهما هما جان جولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبداً وقف عند همه فساكن من الله تعالى أمضاه وما كان من عدوه جاهدوه لتجاذب القلب بين هذين السلطين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن »^(١) فالله تعالى عن أن يكون له أصبع مركبة من لحم وعظم وهم وصعب منقسمة بالأنامل ولكن روح الأصبغ سرعة القلب والقدرة على التحريك والتغيير فأنك لا تريد أصبعك لتسكنه بل تسكنه في القلب والتغيريد كما أنك تتماهى بالأضال بأصابعك والله تعالى يعمل ما يعمل ما يغفل بالستخار لللك والشيطان واستغفران بقدرته في قلب القلوب كما أن أصابعك مسخرة لك في قلب الأجسام مثلاً والقلب بأصل القطرة صالح لقول آثار لللك ولقبول آثار الشيطان صلاحاً ومتأسواً وليس يرجع أحدهما إلى الآخر وإنما يرجع أحد الجانبين بتأثير الهوى والإكباب على الشهوات أو الإعراض عنها ومخالفاتها فإن اتبع الإنسان مقتضى النضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عسى الشيطان ومعه لأن الهوى هو مرعى الشيطان ومرتمه وإن جاهد الشهوات ولم يسلب على نفسه وشبهه بأخلاق اللائكة عليهم السلام صار قلبه مستقر لللائكة ومهيئ لهم ولما كان لا يغفل عن شهوة وتغضب وحرص وطعم وطول أمل إلى غير ذلك من صفات البشرية للشهوة عن الهوى لاجرم غلب قلبه عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « ما منكم من أحد إلا له شيطان قالوا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمر إلا بخير »^(٢) وإنما كان هذا لأن الشيطان لا يعرف إلا بواسطة الشهوة فمن أعانته الله على شهوته حتى صار لا تنبسط إلا حيث ينبغي وإلى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو إلى الشر فالشيطان التدرج بها لا يأمر إلا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بتفضيئات الهوى وجد الشيطان مجالاً فوسوس ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله تعالى أرغى الشيطان وشاق مجاله وأقبل لللك والهوى والتضاد بين جندي لللائكة والتياطين في مركز القلب دائم إلى أن يفتح القلب لأحدهما فيستوطن ويستمكن ويكون اجياز الثاني اختلاصاً وأكثر القلوب قد فتحها جنود التياطين وتعلكتها فامتلات بالوسواس الداعية إلى إثارة الحاجة وإطراح الآخرة مبدأ امتلاكها اتباع الشهوات والهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك إلا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى

« استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فقال يش ابن العشرة أو أخو العشرة ثم أذن له فلأن له القول فخرج قلت يا رسول الله قلت له ما قلت ثم أنت له القول قال يا فتية إن من شر الناس من يترك الناس أو يدعه الناس إضاه خلفه « وروى أبو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » فأتاه يستدل به على قوة عقل الشخص ووفور عقله وحله كحسن السدادة ، والنفس

(١) حديث في القلب ثمان لمة من اللك إحداهن بالخير الحديث وحسنه وإن الكبرى من حديث ابن مسعود (٢) حديث المؤمن بين أصبعين الحديث تقدم (٣) حديث ما منكم من أحد إلا وله شيطان الحديث م من حديث ابن مسعود

والشبهات وعمارته يذكر الله تعالى الذي هو مطرح أثر اللاتسكة . وقال جابر بن عبيدة المدوي شكوت إلى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال : إنما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به القصوص فإن كان فيه شيء عالجوه وإلا مضوا وتركوه . يعني أن القلب الخالي عن الهوى لا يبدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك سلب الله عليه الشيطان وقال تعالى - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه -

وهو إشارة إلى أن من الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك قال عمرو بن العاص [١] للنبي صلى الله عليه وسلم «بارسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقرأتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتوضأ بالله منه واتصل على يسارك ثلاثا قال فقلت ذلك فأذهب الله عني (٢) » وفي الخبر «إن اللوضوء شيطانا يقال له الوهنا فاستعينوا بالله منه (٣) » ولا يعمو وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر ماسوي مايوسوس به لأنه إذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به فيجوز أيضا أن يكون مجالل للشيطان وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويسلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يبالغ الشيء إلا بصدقه ومنه جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم والحوال ولا حول إلا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر عليه إلا اللتقون الغالب عليهم ذكر الله تعالى وإنما الشيطان يطوف عليهم في أوقات الفتات على سبيل الخلسة قال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وقال مجاهد في معنى قول الله تعالى - من شر السواوس الخناس - قال هو منسبط على القلب فإذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض وإذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى وسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار وتضادها قال الله تعالى - استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله - وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الشيطان وأضع خرطومه على قلب ابن آدم فإن هو ذكر الله تعالى خنس وإن نسي الله تعالى التعم قلبه (٤) » وقال ابن وضاح في حديث ذكره : إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يقب مسح الشيطان وجهه بيده وقال بأبي وجهه من لا يفلح (٥) وكأن الشبهات متمتجة بيلم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضا سارية في لحمه ودمه ومجربة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فغضوا مجاريه بالوجع (٦) » وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ويجري الشيطان الشهوة ولأجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى إخبارا عن إبليس - لأفعلن لهم صراطك التسقيم

(١) حديث ابن أبي العاص إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي الحديث م من حديث ابن أبي العاص (٢) حديث إن اللوضوء شيطانا يقال له الوهنا الحديث م ت من حديث أبي بن كعب وقال غريب وليس إسناداه بالقوي عند أهل الحديث (٣) حديث أنس إن الشيطان وأضع خرطومه على قلب ابن آدم الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب مكاييد الشيطان وأبو يعلى الوصلي وابن عدي في الكامل ومنه (٤) حديث ابن وضاح إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يقب مسح الشيطان بيده وجهه وقال بأبي وجهه من لا يفلح م أجد له أصلا (٥) حديث إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم تقدم [١] قوله عمرو بن العاص كذا في النسخ قال الشارح والصواب غيبان بن أبي العاص ، وفي العراق ما يشير لذلك هـ .

لا تزال تشتم من
يسكن مرادها
ويستغزها النبط
والغضب والمداواة قطع
حمة النفس ورد طيشها
وغورها . وقد ورد
«من كظم غيظا وهو
يستطيع أن ينفذه
دعاه الله يوم القيامة على
ردوس الخلاق حتى
يخيره في أي الحول
شاء » - وروى جابر
رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال «ألا أخبركم
على من تحرم النار ؟ على
كل حين لين سهل
قريب » - وروى
أبو مسعود الأنصاري
رضي الله عنه قال أتى
النبي عليه السلام برجل
فكلمه فأرعد فقال
هون عليك فاني لست

ثم لا تبتغي من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم - وقال صلى الله عليه وسلم
 « إن الشيطان قد لاين آدم بطرق قدّم له بطريق الإسلام فقال أسلم وترك دينك ودين آياتك
 ففصاه وأسلم ثم قدّم له بطريق الهجرة فقال أتأجير أئمة أرضك وسمائك ففصاه وهاجر ثم قدّم له
 بطريق الجهاد فقال أتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل تقتل فتسكن نسائك ويقيم مالك
 ففصاه وجاهد^(١) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فمن فعل ذلك فمات كان حقاً على الله أن
 يدخله الجنة » فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخاطر
 للجهاد أنه يقتل وتسكن فساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة ، فإذا
 الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطره له سبب ويقتل إلى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور
 أن ينفك عنه آدمي وإنما يختلفون بصيانه ومتابته ولذلك قال عليه السلام « مامن أحد إلا وله
 شيطان^(٢) » قد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والإلحاح والملك والشيطان
 والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان أنه جسم لطيف أو ليس بجسم وإن
 كان جسماً فكيف يدخل بدن الإنسان ما هو جسم فهذا الآن غير محتاج إليه في علم المأملة بل
 مثل الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثيابه حية وهو محتاج إلى إزالتها ودفع ضررها فافتشلت
 بالبحث عن ثوبها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عن الجهل فمماثلة الخواطر الباعثة على الشر
 قد علقت وولد ذلك على أنه عن سبب لا محالة وعلم أن الداعي إلى الشر المحدث في المستقبل عدو
 قد عرف العدو لأهالة ، فينبغي أن يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة
 من كتابه ليؤمن به ويجترز عنه فقال تعالى - إن الشيطان لك عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو
 حزبه ليكونوا من أصحاب السعير - وقال تعالى - ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان
 إنه لكم عدو مبين - فينبغي للبعد أن يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالأسوال عن أصله ونسبه
 ومسكته ، ثم ينبغي أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك
 كافٍ للمؤمن ، فأما معرفة ذاته وصفاته وحقيقته نموذجاً لله منه وحقيقة الملائكة فذلك ميدان السارفين
 المتفلسفين في علوم الكشافات فلا يحتاج في علم المأملة إلى معرفته ، ثم ينبغي أن يعلم أن الخواطر تنقسم
 إلى ما يسلط قطعاً أنه داع إلى الشر فلا ينبغي كونه وسوسة وإلى ما يميل أنه داع إلى الخير فلا يشك في
 كونه إلهاً ما وإلى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من لمة الملك الشيطان فانه من مكاييد الشيطان
 أن يمرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض وأكثر البالد به يهلكون فان الشيطان
 لا يقدر على دعائهم إلى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كيقول للمأم بطريق الوعظ أمانتنظ
 إلى الخلق وهم موثق من الجهل هلكت من الفلفة فذاشرفوا على النار أما للكرمة على عباده التي تقدم
 من المائب بنسبك ووعظك وقد آمن الله عليك قلب صير لسان ذكي ولهجة مقبولة فكيف
 تكفر نعمة الله تعالى وتعرض لسلطه وتسكت عن إشاعة العلم ودعوة الحق إلى انصراف السليم ؟
 ولا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجره بلطف الجليل إلى أن يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوهم بصد
 ذلك إلى أن يتزين لهم ويصنع بتحسين اللفظ وإظهار الخير ويقول له إن لم تفعل ذلك سقط وقع
 كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا إلى الحق ولا يزال يقرر ذلك عنده وهو في أثنائه يؤكد فيه شواهد
 البراهين ويقول الخلق ولله الجاه والتمركز بكثرة الأتباع والملم والنظر إلى الخلق بين الاحتراف فيستدرج

علك إنما أنا ابن امرأة
 من قريش فكانت
 تأكل القديد » وعن
 بعضهم في معنى ليل
 جانب الصوفية :
 هيئون ليون أيسار
 يتوسر
 سواس مكرمة أبناء
 أيسار
 لا ينطقون عن الفحشاء
 إن نطقوا
 ولا يعادرون إن ماروا
 بلا كثار
 من تلق منهم نقل
 لا قبل سيدم
 مثل النجوم التي يسرى
 بها الساري
 وروى أبو البرداء عن
 النبي صلى الله عليه وسلم
 قال « من أعطى حظه
 من الرفق قد أشطى
 منظره من الخير ومن
 حرم حظه من الرفق

(١) حديث إن الشيطان قد لاين آدم بأطرقه الحديث ن من حديث سيرة بن أبي فاكه باسناد
 صحيح (٢) حديث مامن أحد إلا له شيطان الحديث تقدم .

للكسين بالنصح إلى الهلاك فيتركهم وهو يظن أن قصده الخير وإنما قصده الجاه والقبول فيه لك سببه وهو يظن أنه عند الله بكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم» (١) «وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» (٢) ولذلك روى أن إبليس لعنه الله تمثل لعيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فقال له قل لا إله إلا الله فقال كفة حق ولا أقولها بقولك لأن له أيضا تحت الخير تلبسات وتلبسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبها يكمل العلماء والعباد والزهاد والفقراء والأغنياء وأصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرمون لأنفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة، وسنذكر جملة من مكاييد الشيطان في كتاب

الغرور في آخر هذا الرابع ولعلنا إن أمهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسبه [تلبس إبليس] فانه قد انتشر الآن تلبسه في البلاد والعباد لا حيا في اللذاهب والاعتقادات حتى لم يبق من الغريات إلا رصعها كل ذلك إذعانا لتلبسات الشيطان ومكايده خلق على العبد أن يقف عند كل مخطر له ليم أنه من لمة لذلك أوله الشيطان وأن يمتن النظر فيه بعين البصرة لا يهوى من الطبع ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى والبصرة وغزارة العلم كما قال تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا - أي رجعوا إلى نور العلم - فإذا هم مبصرون - أي ينكشف لهم الإشكال فأما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه إلى الإذعان بتلبسه بتأية الهوى فيكثر فيه غلظه وتبجل فيه هلاكه وهو يشمر وفي مثله قال سبحانه وتعالى - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون - قيل هي أعمال ظنوها حسنة فإذا هي سيئات، وأغشى أنواع علوم العامة الوقوف على خدع النفس ومكاييد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد أهمل الخلق واشتغلوا بعلوم يستعرج إليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسجم عداوته وطريق الاحتراز عنه ولا ينجي من كثرة الوسواس إلا أحد أبواب الخواطر وأبوابها الحواس الخمس وأبوابها من داخل الشهوات ولذات الدنيا والخلو في بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن الأهل والسال يقل مدخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنه في التخليلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع إلا يشغل القلب بذكر الله تعالى ثم إنه لا يزال يجاذب القلب ويتنازع ويهله عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها إلا الموت إذ لا يتخلص أحد من الشيطان مادام حيا، نعم قد يقوى بحيث لا يتفادله ويدفع عن نفسه شره بالجهد ولكن لا يستغنى قط عن الجهاد والدفاع مادام اللحم يجري في بدنه فانه مادام حيا فأبواب الشيطان مفتوحة إلى قلبه لا تنطق وهي الشهوة والغضب والحمد والطمع والشره وغيرها كما يأتي شرحها، ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يدفع إلا بالحراسة والمجاهدة. قال رجل لهسن بأبي سعيد أينام الشيطان تنبسم وقال لولم لا استرحنا فاذن لا خلاص للؤمن منه، نعم له سبيل إلى دفعه وتضييف قوته. قال صلى الله عليه وسلم «إن المؤمن ينشئ شيطانه كما ينشئ أحكم بمره في سفره» (٣) وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزوله، وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل المصفور قلت وذلك؟ قال لا تدبني بذلك

الله تعالى فأهل التقوى لا يتدبر عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أعني الأبواب الظاهرة والطرق الجلية التي غشى إلى المعاصي الظاهرة وإنما يتشرون في طرقه الفاضلة فاتهم لا يتبدون إليها (١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم من حديث أنس بإسناد جيد (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر متفق عليه عن حديث أبي هريرة وقد تقدم في العلم (٣) حديث إن المؤمن ينشئ شيطانه الحديث أحمد من حديث أبي هريرة وفيه ابن لهجة.

قد حرم حظه من الخير «حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب إسماعيل قال ثنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبي عبد الله اللائي قال أنا أبو الحسين عبد الرحمن بن أبي طلحة الهادي قال أنا أبو محمد عبد الله المحمدي السرخسي قال أنا أبو عمران عيسى بن حمير السمرقندي قال أنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال أنا محمد بن أحمد بن أبي خلف قال ثنا عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن إسحاق قال حدثني عبد الله بن أبي بكر عن رجل من العرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيحسوها كما أشرفنا إليه في غرور الملاء والوعاط . وللتكلم أن الأبواب المفتوحة إلى القلب للشيطان كثيرة وباب الثلاثة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الأبواب الكثيرة فالعبد فيها كالسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق فامضة السالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق إلا بعين بصيرة وطول وعشم مشرقة والعين البصيرة هي القلب الصفي بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير السفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مما يهدي إلى غوامض طرقة وإلا لافترقه كثيرة وغامضة . قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه « خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا - وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل - لتلك الخطوط (١) » فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقة وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقة وهو الذي يخدع به العلماء والعباد السالكين لشهواتهم السالكين عن العاصم الظاهرة ، فلنذكر مثالا لطرقة الواضح الذي لا يخفى إلا أن يضطر الأدي إلى سلوكه وذلك كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « كان راهب في بني إسرائيل فصد الشيطان إلى جارية فحقتها وألقى في قلوب أهلها أن دوامها عند الراهب فأثابها إليه فأبى أن يقبلها فلم يرزأوا به حتى قبلها فلما كانت عندهم ليأجلها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقفها فحملت منه فوسوس إليه وقال الآن فتنفس بأنيك أهلها فاقبلها فان سألوكم قتل ماتت فقتلها ودفعها فأبى الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى في قلوبهم أنه أهلها ثم قبلها ودفعها فأثاب أهلها فأسألوها قتل ماتت فأخذوا وليقتلوهما فأثابا الشيطان فقال أنا الذي حقتها وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها فطعن تنج وأخلصك منهم قال بعداذا ؟ قال اسجد لي سجدتين فنجده له سجدتين فقال له الشيطان إني برى منك ، فهو الذي قال الله تعالى فيه - كفل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني برى منك - (٢) » فانظر الآن إلى حيله واضطراره الراهب إلى هذه السكائر وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو أمرهين وربما يظن صاحبه أنه خير وحسنه فيحسن ذلك في قلبه يخفى الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الأمر بعد ذلك عن اختياره ويجره اليه البعض إلى البعض بحيث لا يجد حيمسا فتعوز بالله من تفويض أوائل الأمور وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه (٣) »

(بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب)

اعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولى عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بخرامة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلوه لا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدري أبوابه لحاية القلب من وسواس الشيطان واجبة وهو فرض عين على كل عبد مكلف ومالا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بالعرفه (١) حديث ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الله الحديث في الكبرى وك وقال صحيح الاسناد (٢) حديث كان راهب في بني إسرائيل فأخذ الشيطان جارية فحقتها وألقى في قلوب أهلها أن دوامها عند الراهب الحديث بطلوه في قوله تعالى - كفل الشيطان إذ قال للانسان اكفر - ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان وابن مردويه في تفسيره في حديث عبيد بن أبي رفاعه مرسل وللحاكم نحوه موقوفا على علي بن أبي طالب وقال صحيح الاسناد ووصله بطريق في مسنده من حديث علي (٣) حديث من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه متفق عليه من حديث الثمان بن بشير من يرفع حول الحمى يوشك أن يواقعه لفظه .

يوم حين وفي رجل
فعل كشيعة فوطش بها
على رجل رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فتفتحن فتحة بسوطي
بهم وقال باسم الله
أوجعتني قال فبت
نفسى لأنسا أقول
أوجعت رسول الله قال
فبت بلبلة كما يعلم الله
فما أسبغنا إذا راجل
يقول أين فلان قلت هذا
والله الذي كان معي
بالأس قال فانطلقت
وأنا متخوف فقال لي
إنك وطلت بملك على
رجلي بالأس فأوجعتني
فتفتحن فتحة بسوط
فهذه مما تون نعمة
غفناها بها . ومن
أخلاق الصوفية الإغارة
والواسة وعملهم على
ذلك فرط الشفقة

مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخل الشيطان وأبوابه صعات البدوي كثيرة ولكننا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية بحرى الهروب إلى لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان . فمن أبوابه العظيمة الغضب والشهوة فإن الغضب هو غول العقل وإذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومنها غضب الإنسان لعب الشيطان كما يلعب الصبي بالكرة ، فقد روى أن موسى عليه السلام قلبه إبليس فقال له يا موسى أنت الذى اصطفاك الله برمائه ولكك تسكبنا وأنا خلق من خلق الله أذنبت وأريد أن أنوب فافشنى إلى ربي أن يتوب على . قال موسى نعم فلما صعد موسى الجبل وكلم ربه عز وجل وأراده النزول قال له ربه أذ الأمانة قال موسى يا رب عبدك إبليس يريد أن يتوب عليه فأوحى الله تعالى إلى موسى قد قضيت حاجتك مره أن يسجد لقبر آدم حتى يتاب عليه فافى موسى إبليس فقال له قد قضيت حاجتك أمرت أن تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك فغضب واستكبر وقال لم أسجد له حيا أسجد له ميتا ثم قال له يا موسى إن لك على حق ما شغمت في إلى ربي فاذكرني عند ثلاث لأهلكك فيهن : اذكرني حين تغضب فإن روحى في قلبك وعينى في عينك وأجرى منك بحرى الدم ، اذكرني إذا غضبت فإنه إذا غضب الإنسان شغقت في أفعاله فادرى ما يصنع واذكرني حين تلقى الزحف فإن آتى ابن آدم حين يلقي الزحف فأذكره زوجته وولده وأهله حتى يولى ويؤك أن تجلس إلى امرأة ليست بذات حرم فافى رسولها إليك وسو لك إليها فلا أزال حتى أفتك بها وأفتها بك فقد أشار بهذا إلى الشهوة والغضب والحرس فإن الترام من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه من السجود لآدم ميتا هو الجسد وهو أعظم مداخله وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لإبليس أرني كيف تغلب ابن آدم فقال آخذه بعيد الغضب وعند الهوى ، قد حكن أن إبليس ظهر لراهب فقال له لراهب أى أخلاق بن آدم أعون لك قال الحدة فإن البعد إذا كان حديدا فبأنه كما يغلب الصبيان الكرة ، وقيل إن الشيطان يقول كيف يناعى ابن آدم وإذا رضى جث حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه ومن أبواب العظيمة الجسد والحرس فهما كان البعد حرصا على كل شيء أحماء حرصه وأصمه إذ قال صلى الله عليه وسلم « جيك لشيء يسمى وصم »^(١) ونور البصرة هو الذى يعرف مداخل الشيطان فإذا غطاء الجسد والحرس لم يصرف فبئذ بعد الشيطان فرسة فيحسن عند الحرس كل ما يوصله إلى شهوته وإن كان منكرا وفاحشا فقد روى أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى في السفينة شيئا لم يعرفه فقال له نوح ما دخلك فقال دخالت أصعب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معى وأبدانهم معك فقال له نوح أخرج منها يا بعدو الله فإنك لعين فقال له إبليس : خمس أهلك بهن الناس وأسعدك منهن ثلاث ولأبدنك بالمتين فأوحى الله تعالى إلى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاث فليجندك بالاثنتين فقال له نوح ما الاثنتان فقال هما الاثنتان لا تخافاني فهما أهلك الناس : الحرس والجسد ، فالجسد لغت وجعلت شيطانا رجا وأما الحرس فإنه أيسر لآدم الجسة كلها إلا الشجرة فأصبت حاجتي منه بالحرس . ومن أبواب العظيمة الشبع من الطعام وإن كان حلالا صافيا فإن الشبع يقوى الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان ، فقد روى أن إبليس ظهر ليعسى بن زكريا عليها السلام فرأى عليه ما يليق من كل شيء فقال له إبليس ما هذا لما لى ؟ قال هذه الشهوات التى أصبت بها ابن آدم قال فهل فيها من شيء ؟ قال ربما هبمت فتفلك عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك ؟ قال لا قال له على أن لا أملا بطمن الطعام أبدا فقال له إبليس وعلى أن لا تصنع مسلا أبدا . وقال في كثرة

(١) حديث جيك لشيء يسمى وصم أو داود من حديث أبي الدرداء باسناد ضعيف .

والرحمة طبعاً وقوة
التي شرعاً يؤثرون
بالوجود ويصبرون على
اللقود . قال أبو زيد
البسطامي ما غلبني
أحد ما غلبني شاربين
أهل بلغ قدم علينا
حاجا فقال لي يا أبا زيد
ما حد الزهد عنكم
قلت إذا وجدنا أكلنا
وإذا قدنا صبرنا فقال
هكذا عندنا كلاب
بلغ قلت له وما حد
الزهد عنكم ؟ قال
إذا قدنا شكرنا وإذا
وجدنا آثرنا . وقال
ذو النون من علامة
الزهد والشروع صدره
ثلاث : تخريق الجموع
وترك طلب اللقود
والإشارة بالقوت روى
عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما قال

الأكل ست خصال مذمومة : أولها أن يذهب خوف الله من قلبه . الثاني أن يذهب رحمة الخلق من قلبه لأنه يظن أنهم كلهم شياطين . والثالث أنه يتول عن الطاعة . والرابع أنه إذا سمع كلام الحكمة لا يجد لذة . والخامس أنه إذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع في قلوب الناس . والسادس أن يهيج فيه الأمراض . ومن أبواب حب التزين من الأثاث والياب والدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أثنيها ويدعوها باض فيه وفرح فلا يزال يدعو إلى همة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أثنيها ويدعوها إلى التزين والياب والدار ويستغفر فيها طول عمره وإذا أوقع في ذلك قد استغنى أن يعود إليه ثانية فان بعض ذلك يجره إلى البعض فلا يزال يؤديه من شيء إلى شيء إلى أن يصاب إلى أجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخفى من ذلك سوء العاقبة بالكفر كنوز بالله منه . ومن أبواب العظيمة الطمع في الناس لأنه إذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحجب إليه التمتع والتزين لمن طمع فيه بأنواع الربا والتلبس حتى يسير للطموع فيه كأنه معبود فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتعجب إليه ويدخل كل مدخل للوصول إلى ذلك ، وأقل أحواله التناهي عليه بما ليس فيه والداخلة له برك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقد روى صفوان بن سليم أن إبليس نزل لعبد الله بن حنظلة قبله يا ابن حنظلة احفظ عني شيئا أغضبك به فقال لأجابه لي به قال انظر فإن كان خيرا أنضجت فاني أملكك شرًا ورددت يا ابن حنظلة لتأسل أحد أغنياء الله سؤال الرغبة وانظر كيف تكون إذا غضبت فاني أملكك إذا غضبت . ومن أبواب العظيمة العجلة وترك التثبت في الأمور وقال صلى الله عليه وسلم « العجلة من الشيطان والتأني من الله تعالى » (١) وقال عز وجل « خلق الإنسان من عجل » وقال تعالى « وكان الإنسان مجحولا » وقال ثنينة صلى الله عليه وسلم « ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه » وهذا لأن الأعمال ينبغي أن تكون بعد البصيرة والعرفه والبصيرة تحتاج إلى تأمل ونهول والعجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الإنسان من حيث لا يدري ، فقد روى أنه لما ولد عيسى ابن مريم عليه السلام أتت الشياطين إبليس فقالوا أصبحت الأضنام قد نسكت ردها وسبها فقال هذا حادث قد حدثت مكانكم فطار حتى أتى خافق الأرض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد وإذا للأفلاك حافقين به فرجع إليهم فقال إن نبيا قد ولد الباصرة ما حملت أنبي قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها لا هذا فأبوسوا من أن تبد الأضنام بهذه الليلة ولكن التواهي آدم من قبل العجلة والحفزة . ومن أبواب العظيمة الدرامم والدنانير وسائر أصناف الأموال من العروض والدواب والمعار فان كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر للشيطان فان من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه عشر شهوات تحتاج كل شهوة منها إلى مائة دينار أخرى فلا يكتبه ما وجد بل يحتاج إلى تسعة أخرى وقد كان قبل وجود المائة مستنيا فلأن ما وجد مائة ظن أنه صار بها غنيا وقد صار محتاجا إلى تسعة ليشتري دارا يعمرها وليشتري جارية وليشتري أثاث البيت وليشتري الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعي شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع في هاوية آخرها حتى يحرق جهنم فلا آخر له سواه . قال ثابت البناني (٢) لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ما هو فانظروا حتى أعياوا ثم جاءوا وقالوا ما ندري قال أنا أتيتكم بالحق فذهبتم جاء وقال قد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما صبحنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى مسلاتهم فيمضي ذلك فقال إبليس رويدا بهم عبي الله أن يفتح لهم الدنيا (١) حدث العجلة من الشيطان والتأني من الله ثم من حديث سهل بن سعد بلفظ الأمانة وقال حسن

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم التنصير لا نصار وإن شتمت فسمت للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الفتيحة وإن شتمت كانت لكم دياركم وأموالكم وتقسم لكم شيئا من الفتيحة وقالت الأنصار بل تقسم لهم من أموالنا وديارنا وتؤثرهم بالفتية ولا تشاركونهم فيها ، فأنزل الله تعالى « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابه جهد فقال يا رسول الله إني جائع فأطعمني فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى

فصيب منهم حاجتا (١). وروى أن عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فمر به إبليس فقال يا عيسى رغبني في الدنيا فأخذه عيسى صلى الله عليه وسلم فمرى به من تحت رأسه وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسد به عند النوم قد ملك من الدنيا ما يمكن أن يكون عنه للشيطان عليه فإن القائم بالليل مثلا لصلاة معها كان بالقرب منه حجر يمكن أن يتوسده فلا يزال يدعوهم إلى النوم وإلى أن يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك بالولا لا تحرك رغبته إلى النوم هذا في حجر فكيف بمن يملك الحاد الوثير والقرش الوطنية وللتزهات الطيبة في ينشط لقيادة الله تعالى ؟ ومن أبواب العظيمة البخل وخوف الفقر فإن ذلك هو الذي يمنع من الاتحاق والتصدق ويدعو إلى الادخار والكز والمذاب الأليم وهو للعود للمكارتين كما نطق به القرآن العزيز. قال خزيمة بن عبد الرحمن إن الشيطان يقول ما غلبني ابن آدم غلبة فلن يظني لي ثلاث أن أسره أن يأخذ لئال من غير حقه وإفائه في غير حقه ومنعه من حقه . وقال سفيان ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فإذا قبل ذلك منه أخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء . ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الأذى والجمع السال والأسواق هي معش الشياطين . وقال أبو أمامة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يارب آتني إلى الأرض وجعلني رجلا فأجلى لي بيتا قال الجاهل قال اجعل لي مجلسا قال الأسواق وجامع الطرق قال اجعل لي طعاما قال طعامك ما لم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شربا قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذنا قال الزمير قال اجعل لي قرآنا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصايد قال النساء (٢) ومن أبواب العظيمة التوصل: التحسب للمذاهب والأهواء والمخذ على الخصوم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستغفار وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا فإن الطعن في الناس والاستغفار بذلك تركتصم صفة مجبولة في الطبع من الصفات السبعة فإذا خيل إليه الشيطان أن ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حالته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن أنه يسمي في الدين وهو ساع في اتباع الشياطين فترى الواحد منهم يتصب لأنى بكر الصديق رضى الله عنه وهو أكل الحرام ومطابق اللسان بالفضول والكذب ومتعاطا لأنواع الفساد ولو رآما أبو بكر لكان أول عدوه إذ هو إلى أنى بكر من أخذ سبيله وصار يسيره وحفظ ما بين عليه . وكان من سيرته رضى الله عنه أن يضع حصاة في فيه ليكشف لسانه عن الكلام فيا لا يسه فأتى لهذا الفضول أن يدعى ولاء وجهه ولا يسير بسيرة توترى فضوليا آخر يتصب لملى رضى الله عنه وكان من زهد على سيرته أنه ليس في خلافته نوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس السكين إلى الرغ ورمى الفاسق لابساً ثياب الحرير ومتجلا بأموالاً كتبها من حرام وهو يشاطى حب على رضى الله عنه ويدعيه وهو أول خصائمه يوم القيامة وليت شرى من أخذ ولدا عزيزا لآسان هورقة عنه ورواة قلبه فأخذ يشربه ويغزقه ويثقف شعره ويقطعه بالقرص وهو مع ذلك يدعى حب أبيه وولاه فكيف يكون حاله عنده ومعلوم أن الدين والشرع كانا أحب إلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضى الله عنهم من الأهل والولد بل من أنفسهم

(١) حديث ثابت لما بث الله على عليه وسلم قال إبليس لى شياطينة لقد حدث أمر الحديث ابن آدم في الدنيا في مكابدة الشيطان هكذا مرسل (٢) حديث أبي أمامة إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يارب آتني إلى الأرض وجعلني رجلا فأجلى لي بيتا قال الجاهل الحديث الطبراني في الكبير وإسناده ضيف جدا ورواه نحوه من حديث ابن عباس بإسناد ضيف أيضا .

أزواجه هل عند كبر
شئ فشكلون قلن
والذى بينك بالحق
نبيا ما عندنا إلا الساء
قتال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما عندنا
ما نطعمك هذه الليلة
ثم قال من يضيف
هذا هذه الليلة رحمه
الله فقام رجل من
الأنصار فقال أنا
يا رسول الله فأتى به
منزله فقال لأهله هذا
ضيف رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأكرمه
ولا تدخرى عنه شيئا
فقال ما عندنا إلا قوت
الصبي فقال تقويهم
عليهم عن قوتهم حتى
يناموا ولا يطمعون
شيئا ثم أسرجى فإذا
أخذ الضيف ليأكل
قوي فكانت تصاحين
السراج فأطفئ فيه

والقبحون للعاصي التبرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بفاريس الشهوات ويتوددون به إلى عدو الله إبليس وعدو أوليائه فترى كيف يكون حالم يوم القيامة عند الصحايق وعند أولاء الله تعالى لابل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما به الصحابة في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا أن يجروا على اللسان ذكرهم مع قبيح أنفسهم ثم إن الشيطان يخيل إليهم أن من مات محباً لا يكرهه عمر فالنار لا تخوم حوله ويخيل إلى الآخر أنه إذا مات محباً لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فاطمة رضى الله عنها وهي بضعة منه ^(١) «اعلمي فاني لأخفي عنك من الله شيئاً ^(٢)» وهذا مثال أوردناه من جملة الأهواء ، وهكذا حكم التمسعين للشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من الأئمة فكل من ادعى مذهب إمام وهو ليس بيسيرسيرته فذلك الإمام هو خصمه يوم القيامة إذ يقول له كان مذهبي الفصل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لأجل العمل لأجل الهدى فإلا بالان خافني في العمل والسيره التي هي مذهبي ومسلكي الذي سلكته وذهبت فيه إلى الله تعالى ثم ادعت مذهبي كاذباً وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالمين ودست للدارس لأفوام قل من الله خروجه وصنفت في الدين بصيرتهم وقوت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستبعا حرصهم ولم يتمكنوا من الاستبعا وإقامة الجاه إلا بالنصب فحبسوا ذلك في صدورهم ولم يبرهوا في تكايد الشيطان فيل يباووا عن الشيطان في تنفيذ مكرهته فاستمر الناس عليه ونسوا أهملات دينهم قد هلكوا وأهلكوا فإنا لله تعالى يتوب علينا وعليهم وقال الحسن لعننا أن إبليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) «عاصي قصصوا ظهوري بالاستغفار فسرولت لهم دنوباً لا يستغفرون الله تعالى منها وهي الأهواء وتصدق اللون قائم لا يظنون أن ذلك من الأسباب التي تجر إلى المعاصي فكيف يستغفرون منها . ومن عظم حيل الشيطان أن يشغل الإنسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات قال عبد الله بن مسعود جلس قوم يذكرون الله تعالى فأقام الشبان ليقيمهم عن مجلسهم ويزق بينهم فلم يستطع فأتى رقة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم ققاموا يقتتلون وليس بإمام يريد ، ققام الذين يذكرون الله تعالى فاشتغلوا بهم يفصلون بينهم فنفروا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم . ومن أبواب حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكير ذات الله تعالى وصفاته في أمور لا يسلطها حد عقولهم حتى يشككهم في أصل الدين أو يخيل إليهم في الله تعالى خيالات يتعالى عنها بصير بها كافر أو مبتدعا وهو به فرج مسرور متهيج بما وقع في صدره بظن ذلك والمرقة والبصير تواتر انكشافه ذلك بذكائه وزيادة عقله فأشد الناس حماقة أو اعم اعتقاداً في عقل نفسه وأثبت الناس عقلاً ثم انهم انهم أنفسهم وأكثرم سؤالاً من العلماء . قالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فان ذلك يذهب عنه ^(٤)» «والتي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بالبحث في علاج هذا الوسواس فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وإنما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويشغلتوا بعبادتهم ومعاشيهم ويتركوا العلم للعلماء فالعالم يزي ويسرق خبراً فهو آمن أن يشكك في العلم فانه من تكلم في الله وفي دينه من غير إتيان العلم وقع في الكفر من حيث لا يدري

ونال تخلف الشيطان
لنصف رسول الله صلى
يشيع ضيف رسول
الله قامت إلى الصبية
فصلتهم حتى ناموا عن
قوتهم ولطموا شيئاً
ثم قامت فأردت
وأسرجت فلما أخذ
الضيف ليأكل قامت
كأنها تصلح السراج
فأطعمها فجعلها مضغان
الستمر الضيف رسول
الله وغان الضيف أنهما
يأكلان معه حتى شبع
الضيف وباتا طويلاً
فلما أصبحوا غدوا
إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما نظر
إليهما تبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم
قال لقد حجب الله من
فلان وفلاة هذه الليلة
وأترك الله تعالى -
ويؤثرون على أنفسهم

(١) حديث فاطمة بضعة مني متفق عليه من حديث السور بن مخرمة (٢) حديث إن لأخفى عنك من الله شيئاً قاله فاطمة متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث عائشة إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله الحديث أحمد والزار وأبو يعلى في مسانيدهم ورجاله ثقات وهو متفق عليه من حديث أبي هريرة .

كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكابد الشيطان فيما يتعلق بالمقاومة والمذهب لأخصر وإنما أردنا بما أوردناه المثال . ومن أبوابه سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم - فمن يحكم بسر على غيره بالظن يثب الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالنسبة فيهلك أو يقصر في القيام بخوفه أو يتوانى في إكرامه وينظر إليه بين الاحترار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من الهلكات ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض لغيره فقال الله عليه وسلم (١) واثنوا مواضع التهم (٢) حتى احترزوا ^{عليهم} من ذلك روى عن ابن حسين أن صفة بنت حني بن أخضب أخبرته و أن النبي صلى الله عليه وسلم كان متسكفا في المسجد قالت فأتيته فتحدثت عنده فلما سميت انصرفت أقام يثني معي فمر به رجلان من الأنصار فلما تم انصرفا فناداهما وقال لهما صفة بنت حني قالوا يا رسول الله ما نظن بك إلا خيرا فقال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من الجسد وإن خشيته أن يدخل عليك (٣) فانظر كيف أشفق ^{عليهم} على دينهما فخرسهما وكيف أشفق على أمته فسلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في أسوأه فيقول مثل لا يظن به إلا الخير إجماعا منه بنفسه فان أروع الناس وأعظم وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم إليه بين واحد بل بين الرضا بضمهم وبين السخط بضمهم ولذلك قال الشاعر :

و بين الرضا عن كل عيب كلفة ولكن عين السخط تبتدى السابيا

فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار فان الأشرار لا يظنون بالناس كلهم إلا الشر فها رأيت إنسانا يسمى الظن بالناس طالبا لليوب فاعلم أنه خبيث في الباطن وأن ذلك خسته يترفع منه وإنما رأى غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب المآثر والتائق يطلب اليوب واللؤم من سلم الصدر في حق كافة الخلق فبهذا بعض مداخل الشيطان إلى القلب ولوأردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الآخرة مذمومة إلا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله فان قلت فما العلاج في دفع الشيطان أو هل يكفي في ذلك ذكر الله تعالى وقول الإنسان لا حول ولا قوة إلا بالله . فاعلم أن علاج القلب في ذلك سهو المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات الذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات الهلكات وتحتاج كل صفة إلى كتاب منفرد على ما سبأ شرحه . ثم إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كان الشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار وبمنه من الاجتياز ذكر الله تعالى لأن حقيقة الذكر لا تستكن من القلب إلا بعد حجارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات الذمومة وإلا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسم طامب من الشيطان تذكروا فأدام بصرون - خصص بذلك للفقير الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك خبز أو لحم فانه يبرزجر بأن تقول له احسأ فجرد الصوت يدهم فان كان بين يديك لحم وهو جائع فانه يهجم على اللحم ولا يدفع مجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان يبرزجر عنه مجرد الله كذا فاما الشهوة إذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر إلى حوائج القلب فلم يتمكن من سويدها فيستتر الشيطان في سويده القلب وأما قلوب التفتن الحالية من الهوى والصفات الذمومة فانه بطريقها الشيطان لاقتبسات بل خلوها بالشفقة عن الذكر فاذا عاد إلى الذكر خشي الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى - فاستمد بالله من الشيطان الرجيم - وسائر الأخبار والآيات

(١) حديث اتقوا مواضع التهم لم أجده أصلا (٢) حديث صفة بنت حني أن النبي صلى الله عليه وسلم كان متسكفا فأتيته فتحدثت عنده الحديث وفيه إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم متفق عليه .

ولو كان بهم خصاصة -

وقال أنس رضى الله

عنه أهدي لبعض

أصحابه رأس شاة

مشوى وكان جهودا

فوجه به إلى جاره

فتداوله سبعة أشهر

ثم عاد إلى الأول فأنزلت

الآية لذلك. وروى أن

أبا الحسن الأنطاكي

اجتمع عنده نيف

وثلاثون رجلا بقرية

بقرى الرى وله أرغفة

معدودة لم تنبع

حصة منهم فكسروا

الزغفان وأطعموا

السراج وجلسوا للطعام

فصاروا الطعام فاذا

هو محال لم يأكل أحد

منهم إشارا منه على

نفسه . وحكى عن

حذيفة العدوى قال

انطلقت يوم اليرموك

لطبيب ابن عمى

الواردة في الذكر . قال أبو هريرة النقي شيطان اللؤم وشيطان الكفر فإذا شيطان الكفر بهين كاس وشيطان اللؤم مهزول أشعث أغبر عار قال شيطان الكفر لشيطان اللؤم مالك مهزول قال أنا مع رجل إذا أكل مني الله فأطعم جاعها وإذا شرب مني الله فأطعم عطشانا وإذا لبس مني الله فأطعم عرياننا وإذا ادهن مني الله فأطعم شعثا قال لك مع رجل لا يمل شيئا من ذلك فأنا أشاركه طعامه وشرا به ولبائه . وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بمصلاة الصبح : اللهم إنك تسلمت علينا عدوا بصيرا بيوتنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نرام اللهم فأبسه منا كما أبسته من رحمتك وقطعه منا كما قطعه من عفوك وابعده بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك إنك على كل شيء قدير قال قتلته له إبليس يوما في طريق المسجد فقال له يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن أنت قال أنا إبليس قال وما تريد قال أريد أن لا تم أحد هذه الاستانة ولا تعرض لك قال والله لا أنصنها من أرادها فاصنع ماشئت . وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان شيطان يأتي النبي ﷺ يده شعة من نار فيقوم بين يديه وهو يسلي فقرا ويتمود فلا يذهب فأناه جبرائيل عليه السلام قال له قل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يليج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يرجم فيها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا بطرق غير بابي رحل قال ذلك فطفت شعلته وخر على وجهه (١) وقال الحسن « نبئت أن جبرائيل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن غفرتنا من الجن يكيدك فإذا أويت إلى فراشك اقرأ آية الكرسي (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لقد أتاني الشيطان فنازعني ثم نازعني فأخذت بحلقه فوالذي بيثني بالحلق ما أرسلته حتى وجدت برد ماء لسانه على يدي ولولا دعوة أخي سليمان عليه السلام لأصبح طريحا في المسجد (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ماسلك عمر لجأ لإسلاك الشيطان لجأ غير الذي سلكه عمر (٤) » وهذا لأن القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات لهما طمعت في أن يدفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما نادى عن عمر رضي الله عنه كان محالا وكنت كمن يطعم أن يضرب دواء قبل الاحتواء والمنة مشغولة بغليظ الأطعمة وطعم أن ينفعه كما نفع الذي شر به بسد الاحتواء وتخليه للمنة والذكر الدواء والتقوى احتواء وهي تخلي القلب عن الشهوات فإذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تدفع الملة بنزول الدواء في المدة الحالية عن الأطعمة قال الله تعالى - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب - وقال تعالى - كتب

(١) حدث عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان الشيطان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم يده شعة من نار الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان هكذا مرسلنا ولما لك في اللواط نحوه عن يحيى بن سعيد مرسلنا ووصله ابن عبد البر في التهديد من رواية يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن عياش الشامي عن ابن مسعود . ورواه أحمد والبراز من حديث عبد الرحمن بن يحيى وقيل له كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليه كادته الشياطين فذكر نحوه (٢) حديث الحسن نبئت أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن غفرتنا من الجن يكيدك الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان هكذا مرسلنا (٣) حديث أناني شيطان فنازعني ثم نازعني فأخذت بحلقه الحديث ابن أبي الدنيا من رواية الشامي مرسلنا هكذا ولبخاري من حديث أبي هريرة أن غفرتنا من الجن تملت على البارحة أو كة نحوه ليقطع على سلاتي فأكنى الله منه الحديث و ن في الكبرى من حديث عائشة كان يسلي فأناه الشيطان فأخذه فصرعه فخنقه قال حق وجدت برد لسانه على يدي الحديث وإسناده ضعیف (٤) حديث ماسلك عمر فجاء لإسلاك الشيطان فجاء غير فجع متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص بلقظ يا ابن الخطاب ما لي بك الشيطان سالكا فجا .

ومعنى من ماء وأنا أقول إن كان به رمق سقته ومسحت وجهه فإذا أنا به قتلته أسفك فأشار إلى أن نعم فإذا رجل يقول آه قال ابن عمي انطلق به إليه لجئت إليه فإذا هو هشام بن الناص قتل أسفك فسمع هشام آخر يقول آه قال انطلق به إليه فبحثت إليه فإذا هو قد مات ثم رجعت إلى هشام فإذا هو أيضا قد مات ثم رجعت إلى ابن عمي فإذا هو أيضا قد مات . وسئل أبو الحسن البوشنجي عن الفتوة قال الفتوة عندي ما وصف الله تعالى به الأنصار في قوله - والذين تبوءوا الدار والإيمان - قال ابن

عليه أنه من تولاه فإنه يضلّه ويبدّيه إلى عذاب السعير - ومن ساعد الشيطان بعمله فهو موابه وإن ذكر الله بلسانه وإن كنت تقول الحديث قد ورد مطلقاً بأن الذكر يطرد الشيطان (١) ولم تنهم أن أكثر محومات الشرع مخصوصة بشروط تعلّقها بآداب الدين إلى تفكك فليس المحرك العاين وتأمّل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة فراقك فليك إذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان إلى الأسواق وحساب الماعين وجواب الماعدين وكيف يمر بك في أودية الدنيا وماها لك حتى إنك لا تدري ما قد نسيت من فضول الدنيا إلا في صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك إلا إذا صليت بالصلاة محك القلوب فيها يظهر حاسنها ومساوئها فاصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بجهوات الدنيا فلا يجرم لا يطرد عنك الشيطان بل ربما يزدحم عليك الوسواس كما أن الدواء قبل الاحتيا لربما يزدحم عليك الضرر فإن أردت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتيا بالتوكل ثم أرفقه بدواء الله كبر الشيطان منك كما فر من عمر رضى الله عنه ، ولذلك قال وهب بن منبه : اتق الله ولا تنسب الشيطان إلى العالانية وأنت صديقه في السر أي أنت مطيع له . وقال بعضهم يا عجبا لمن يصي الحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه ، وكان أن الله تعالى قال - ادعوني أستجب لكم - وأنت تدعوه ولا يستجيب لك فكذلك تذكر أنه لا يهرب الشيطان منك لقد شرط الله ذكر والدعاء ، قال لا يراهي ابن آدم ما لا تدعو فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى - ادعوني أستجب لكم - ؟ قال قل فلو لم يكن منية قليلوما الذي أماتها ؟ قال نعمان خصال : عرقم حق الله ولم تقوموا بحقه وترأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعملوا بسنته وقلتم نخشى الوت ولم تستدوا له وقال تعالى - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا - فواطأوه على المعاصي وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها وإذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراهم فلو لم يقرضهم عيوب الناس أماركم فأسخطهم بركم فكيف يستجيب لكم - فإن قلت فالداعي إلى المعاصي المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفون ؟ فاعلم أنه لا حاجة لك إلى معرفة ذلك في المأملة فاشتمل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كل البقل من حيث يؤتى ولا تسأل عن البقلة ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار في شواهد الأخبار : أنهم جنود مجنونة وأن لكل نوع من المعاصي شيطاناً يغصه ويدعو إليه فأما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكتفيك القدر الذي ذكرناه وهو أن اختلاف السميات يدل على اختلاف الأسباب كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان . وأما الأخبار فقد قال مجاهد لإبليس خمسة من الأولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره : ثبر والأعور ومبسوط وداسم وزليبور ، فأما ثبر فهو صاحب اللصائب الذي يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الحدود ودعوى المجاهلة وأما الأعور فإنه صاحب الزنا يأمر به ورزبه وأما مبسوط فهو صاحب الكذب وأما داسم فإنه يدخل مع الرجل إلى أهله يريهم باليب عند وينضيه عليهم وأما زليبور فهو صاحب السوق فيسببه لأزلاون متظلمين وشيطان الصلاة يسمى خرب (٢) وشيطان الوضوء يسمى الوهان (٣) وقد ورد في ذلك أخبار كثيرة ، وكما أن الشياطين فيهم كثرة فكذلك في اللاتكة كثرة ، وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة اللاتكة واختصاص كل واحد منهم بعمل مفرد به ، وقد قال أبو أمامة الباهلي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه

(١) الحديث الوارد بأن الذكر يهجر يطرد الشيطان تقدم (٢) حديث إن شيطان الصلاة يسمى خرب م من حديث عثمان بن أبي العاص وقد تقدم أول الحديث (٣) حديث إن شيطان الوضوء يسمى الوهان تقدم وهو عندك من حديث أبي .

عطاء يؤثرون على أنفسهم جودا وكريما ولو كان بهم خصاصة يعني جوعا وقرا . قال أبو حفص الإشار هو أن يقدم حظوظ الأخوان على حظوظه في أمر الدنيا والآخرة وقال بعضهم الإشار لا يكون عن اختيار إنما الإشار أن تقدم حقوق الخلق أجمع على حقك ولا تميز ذلك بين أخ وصاحب وذو معرفة . وقال يوسف ابن الحسين من رأى نفسه ملكا لا يصح منها الإشار لأنه يرى نفسه أحق بالثب برؤية ملكه إنما الإشار من يرى الأثبات كلها لاحق فن وصل إليه فهو أحق به فإذا وصل شيء من ذلك

ما لم يقدر عليه من ذلك ليجر سبعة أملاك يذيون عنه كما يذب القباب عن قصبة الصل في اليوم الصائف وما لو بدالك لم أرئوه على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغراه ولو وكل البعد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين (١) وقال أيوب بن يونس بن يزيد : بلغنا أنه يوسع أبناء الإنس من أبناء الجن ثم ينشئون معهم . وروى جابر بن عبد الله أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض قال يارب هذا الذي جعلت بيني وبينه عداوة إن لم تكن علي لأقوى عليه قال لا يولد لك ولد إلا وكل به ملك قال يارب زدني قال أجزى بالسيرة سيئة والحسنة عشرة إلى ما تريد قال رب زدني قال يارب التوبة مفتوح مادام في الجسد الروح قال إبليس يارب هذا البعد الذي كرمته على إن لا تضي عليه لأقوى عليه قال لا يولد له ولد إلا ولد لك ولد قال يارب زدني قال تجري منهم بحري الدم وتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدني قال أجلب عليهم غيظك ورجلك إلى قوله غرورا ، وعن أبي البراءة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلق الله الجن ثلاثة أصناف : صنف حيات وعقارب وشعشاش الأرض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الثواب والعقاب وخلق الله تعالى الإنس ثلاثة أصناف : صنف كالبهائم قال قال تعالى - لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أبصار لا يبصرون بها ولم أذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل - وصنف أجسامهم أجسامهم آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف في ظل الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله (٢) وقال وهيب بن الورد بلغنا أن إبليس يمثل ليبي بن زكريا عليها السلام وقال إنني أريد أن أضحكك قال لأجاجة في ضحكك ولكن أخبرني عن بني آدم قال هم عندنا ثلاثة أصناف : أما صنف منهم وهم أشد الأنساف علينا فيقبل على أدمهم حتى تقتله وتسمكن منه فيفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركما منه ثم نهود عليه فيمود فلا نحن نياس منه ولا نحن نمدرك منه حاجتنا فنحن منه في عناء وأما الصنف الآخر فهم في أيدينا بمنزلة السكر في أيدي صبيانكم فقلبيهم كيف شئنا قد كفونا عنهم وأما الصنف الثالث فهم مثلك مصومون لا تغدر منهم شيء . فإن قلت كيف يمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض وإذا رأى صورة فهل هي صورته الحقيقية أو هو مثال يمثل به فان كان على صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين . فاعلم أن الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتها ولا تدرك حقيقة صورتها بالمشاهدة إلا بأحوال التوبة لما رأى النبي ﷺ جبرائيل عليه أفضل الصلاة والسلام في صورته لإمرتين (٣) وذلك أنه سأله أن يريه نفسه على صورته فواعده بالبيع وظهر له بحراء فسد الأفق من الشرق إلى الغرب ورآه مرة أخرى على صورته ليلة العراج عند سدة التنهي وإعما كان يراه في صورة الآدمي غالبا (٤)

(١) حديث أبي أمامة وكل المؤمن مائة وستون ملكا يذيون عنه الحديث ابن أبي الدنيا في المكاييد الشيطان وطب في اللحم الكبير بإسناد ضيف (٢) حديث أبي البراءة خلق الله الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب والحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان وحسب في الضعفاء في ترجمة يزيد بن سنان وضعه ولا نحوه مختصرا في الجن فقط ثلاثة أصناف من حديث أبي ثعلبة الحنفي وقال صحيح الاسناد (٣) حديث أنه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل في صورته لإمرتين الشيطان من حديث عائشة وسئل هل رأى محمد ربه وفيه ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين (٤) حديث أنه كان يرى جبريل في صورة الآدمي غالبا الشيطان من حديث عائشة وسئل فأبى قوله : فمنا قتلى ، قالت ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل الحديث .

إليه يرى نفسه ويده فيه يد أمانة يوصلها إلى صاحبها أو يؤذيها إليه . وقال بعضهم حقيقة الأيات أن تؤثر عظم آخرتك على إخوانك فإن الدنيا أقل خطرا من أن يكون إيثاريها محل أو ذكروهم هذا المعنى ما قبل أن بعضهم رأى أخا له فلم يظهر البشر الكثير في وجهه فأنكر أخوه ذلك منه فقال يا أخي صمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا اتقى السلطان ينزل عليها مائة رحمة : تسعون لك كرمها بشرا وعشرة لأقلمها بشرا » فأردت أن أكون أقل بشرا منك ليكون لك الأكثر

فكان يراه في صورة دحية الكلبي^(١) وكان رجلا حسن الوجه والأكثر أنه يكشف أهل الكشفة من أرباب القلوب بمثل صورته فيشتعل الشيطان له في اللحظة فيراه بينه وبينه ويسمع كلامه بأذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لأكثر الصالحين وإنما للكاشف في اللحظة هو الذي اتى إلى رتبة لا يمنه اشتغال الحواس بالدنيا عن للكشفة التي تكون في المنام فيرى في اللحظة ما يراه غيره في المنام كما روى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب أبي آدم فرأى في النوم جسدا رجلا شبه البلوري داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكب الأيسر بين منكب وأذنه له خرطوم دقيق قد أدخله من منكب الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه فاذا ذكر الله تعالى خنس ، ومثل هذا قد يشاهد بينه في اللحظة قد رآه بعض المكشفين في صورة كلب جائع على جيفة يدعو الناس إليها وكانت الجيفة مثال الدنيا ، وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فإن القلب لا يد وأن تظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل عالم الملكوت وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذي يقابل عالم الملك والشهادة لأن أحد ما متصل بالآخر وقد بينا أن القلب له وجهان وجه إلى عالم التيب وهو مدخل الألهام والوحى وجه إلى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي على جانب عالم الشهادة لا يكون إلا صورة متخيلة لأن عالم الشهادة كله متخيلات إلا أن الأحوال تارة يحصل من النظر إلى ظاهر عالم الشهادة فيجوز أن لا تكون الصورة على وفق التي حق يرى شخصا جميل الصورة وهو خبيث الباطن فيبع السر لأن عالم الشهادة عالم كثير التليس . أما الصورة التي تحصل في الخيال من إشراق عالم الملكوت على باطن سر القلوب فلا تكون إلا عاكسة للصفة وموافقة لها لأن الصورة في عالم الملكوت ناسئة للصفة وموافقة لها فلا يرى التي القبيح إلا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيرها ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان الماني وعاكسة لها بالصدق ولذلك بدل القرد والخنزير في النوم على إنسان خبيث وتدل الشاة على إنسان سليم الصدر وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير وهذه أسرار هيبية وهي من أسرار هجاب القلب ولا يليق ذكرها بعم العامة وإنما المقصود أن تصدق بأن الشيطان ينكشف لأرباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق التخييل والمحاكاة كما يكون ذلك في النوم وتارة بطريق الحقيقة والأكثر هو التخييل بصورة عاكسة للمني هو مثال المنى لا عين إلا أنه يشاهد بالعين مشاهدة محقة ويفرد بمشاهدته للكاشف دون من حوله كالنام .

(بيان ما يؤخذ به العبد من وساوس القلوب وهما وخواطرها

وتصورها وما ينبغي عنه ولا يؤخذ به)

اعلم أن هذا أمر غامض ، وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة بلنس طريق الجمع بينها إلا على مجامسة العلماء بالترفع فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « عني عن أمي ما حدثت به ثوبها ما لم تتكلم به أو تعمل به »^(٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول للحفظة إذا هم عبدي بسيرة فلا تكتبوها فإن عملها فاكذبوها سيرة وإذا هم بحسنة لم يعملها فاكذبوها حسنة فإن عملها فاكذبوها عشرا »^(٣) وقد خرجه البخاري ومسلم في الصحيحين وهو

(١) حديث أنه كان يرى جبريل في صورة دحية الكلبي الشيخان من حديث أسامة بن زيد أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أمهلة فجعل يحدث ثم قام قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول للحفظة إذا هم عبدي بسيرة فلا تكتبوها فإن عملها فاكذبوها سيرة وإذا هم بحسنة لم يعملها فاكذبوها عشرا »^(٢) حديث عني لأمي ما حدثت به ثوبها ما لم تتكلم به عن حديث أبي هريرة إن الله تجاوز لأمي ما حدثت به أن عملها الحديث (٣) حديث أبي هريرة يقول الله إذا هم عبدي بسيرة

أخبرنا الشيخ ضياء الدين أبو النجم إجازة قال أنا أبو حفص عمر ابن الصغار النيسابوري قال أنا أبو بكر أحمد ابن خلف الشيرازي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا القاسم الرازي يقول سمعت أبا بكر بن أبي سعدان يقول : من محب الصوفية فليصحبهم بلا تقى ولا قلب ولا ملك فمن نظر إلى شيء من أسبابه قطعه ذلك عن بلوغ مقصده . وقال سهل بن عبد الله الصوفي من يرى دمه هدرًا وملوكه مباحا وقال روم الصوف مبي على ثلاث خصال الملك بالفقر والافتقار والتعق باليسئل

دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسبئية وفي لفظ آخر « من هم بحسنة فلم يعملها كسبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كسبت له إلى سبعائة ضنف ومن هم بسبئية فلم يعملها لم تسببت عليه وإن عملها كسبت » وفي لفظ آخر « وإذا تحدث بأن يعمل سبئية فأنا أغفرها له ما لم يعملها » وكذلك يدل على العفو فأما ما يدل على المؤاخاة فقول سببعاته - إن تبدوا مالي أشكم أو أغفوه بحاسبك به الله فيغفر لمن يشاء ويمدب من يشاء - وقوله تعالى - ولا تخف مالي لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مشعولا - فدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يفتي عنه وقوله تعالى - ولا تسكتوا شهادة من يكتمها فإنه آثم قلبه - وقوله تعالى - لا يؤخذكم الله بالقول في أمكانكم ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم - والحق عندنا في هذه المسألة لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن يظهر العمل على الجوارح . فقول : أول ما ردد على القلب الحاطر كالخطر له مثلا صورة امرأة وأهوارها ظهره في الطريق لو التفت إليها لراها . والثاني هيجان الرغبة إلى النظر وهو حركة الشهوة التي في القلب وهذا يتولد من الحاطر الأول ونسجه ميل الطبع وبسبب الأول حديث النفس . والثالث حكم القلب بأن هذا ينبغي أن يفعل أي ينبغي أن يظهر إلى فان الطبع إذا مال لم تنبت الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فإنه قد يمنعه حياء أو خوف من الاتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون تأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسبب هذا اعتقادا وهو يتبع الحاطر والليل . الرابع نصيب العزم على الاتفات وجزم النية فيه وهذا نسيجه ما بالقلب ونية وقصدا وهذا المبدأ قد يكون له مبدأ ضعيفا ولكن إذا أضنى القلب إلى الحاطر الأول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكد هذا الهم وصار إرادة عزيمة فإذا اهتزت الإرادة فرما بدم بعد الجزم يترك العمل وربما يغفل بارض فلا يعمل به ولا يلتفت إليه وربما يهتف عائق فيستتر على العمل فهنا أربع أحوال للقلب قبل العمل بالجراحة : الحاطر وهو حديث النفس ثم إلى ثم الاعتقاد ثم الهم . فقول : أما الحاطر فلا يؤخذ به لأنه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الليل وهيجان الشهوة لأنها لا يدخلان أيضا تحت الاختيار وهما للرادان بقوله عنه « عني عن أمي ما حدثت به نفسي » حديث النفس عبارة عن الحواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل ، فأما الهم والعزم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما روى عن عثمان بن مظعون حيث قال لني صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله نفسي تحدثني أن أطلق خولة . قال مهلا إن من سنن النكاح . قال نفسي تحدثني أن أحب نفسي . قال مهلا خساء أمي دؤب الصيام . قال نفسي تحدثني أن أترهب . قال مهلا رهبانة أمي الجهاد والحج . قال نفسي تحدثني أن أترك اللحم . قال مهلا فاني أحبه ولو أوصيته لأكلته ولو سألت الله لأطعمنيه (١) »

فلا تسببها عليه الحديث قال للصف: أخرجه م خ في الصحيحين قلت هو كما قال واللفظ لسل فلماذا والله أعلم قدسمة في الله كره (١) حديث إن عثمان بن مظعون قال يا رسول الله نفسي تحدثني أن أطلق خولة قال مهلا إن من سنن النكاح الحديث ت الحكيم في نوادر الأصول من رواية علي بن زيد عن سعيد بن المسيب مرسل نحوه وفيه القاسم بن عبيد الله العمري كذبه أحمد بن حنبل ومحي بن معين والدارمي من حديث سعد بن أبي وقاص لما كان من أمر عثمان بن مظعون الذي كان من ترك النساء يفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عثمان إن لم أومر بالرهبانة الحديث وفيه من رغب عن سنن فليس مني وهو عند م بلفظ رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لأختمتني والبنوي والطبراني في معجمي الصحابة بإسناد حسن من حديث عثمان بن مظعون أنه قال يا رسول الله إن رجلا تشق على هذه المزوبة في التنازي فأذن لي يا رسول الله في الحياء فأختمني قال لا

والإيثار وتترك التمرض والاختيار. قيل لعل في التمسوة ونحو الجريد بالهفه وتنبس على التمسام والرقام والتوروى وبسط النطق لغرب رقابهم تقدم التوروى قبله له إلى ماذا تبادر ؟ فقال أوثر إنشوان بضل حياة ساعة ، وقيل دخل التروذي باري دار بعض أصحابه فوجده غائبا فباب به متعلق فقال سوف وله باب مفارق انكسروا الباب فكسروه وأمر جميع ما وجدوا في البيت أن يباع فأفسدوه إلى السوق وأخذوا رقما من الثمن وقصدوا في الإيثار فدخل صاحب القمل ولم يقل شيئا ودخلت امرأته وعليها

فهذه الحواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن معه عزم وهم بالفضل . وأما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يغفل فهذا تردد بين أن يكون اضطرارا أو اختيارا والأحوال يختلف فيه فالاختيارى منه يؤخذ به والاضطرارى لا يؤخذ به . وأما الرابع وهو الهم بالفضل فانه ، يؤخذ به إلا أنه إن لم يغفل نظر فإن كان قد تركه خوفا من الله تعالى ونمدا على همه كتب له حسنة لأن همه سيئة واستناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع مما يدل على تمام القفلة عن الله تعالى والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج إلى قوة عظيمة فجاءه في عاقبة الطبع هو العمل لله تعالى والعمل لله تعالى أشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكسبه حسنة لأنه رجع جده في الامتناع وهم به على همه بالفضل وإن تموى الفعل يباقي أو تركه يبدل لاختوفا من الله تعالى كسبت عليه سيئة فإن همه فعل من القلب اختيارى . والدليل على هذا التفصيل ما روى في الصحيح منصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قالت اللاتكة عليهم السلام رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به قال اربوه فإن هو عملها فاكسبوها له بمثلها وإن تركها فاكسبوها له حسنة إنما تركها من جرائى »^(١) وحيث قال فإن لم يعملها أراد به تركها فاما إذا عزم على فاحشة فعلمت عليه بسبب أو غفلة فكيف تسكتب له حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم « إنما يحشر الناس على نياتهم »^(٢) ونحن نعلم أن من عزم ليلا على أن يصبح ليقول مسلما أو زنى بأمرأة مات تلك الليلة مات مصرا وعشر على نيته وقد هم بسية ولم يعملها . والدليل القاطع فيه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا التقى المسلمان بسيفيهما ذاقاقتا والقتول في النار قبل يارسول الله هذا القاتل لما بالالقول قال لأنه أراد قتل صاحبه »^(٣) وهذا نص في أنه صار مجرد الرادة من أهل النار مع أنه قتل مظلوما فكيف يظن أن الله لا يؤخذ بالنية والهم به كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذه به إلا أن يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة فذلك كسبت له حسنة فأما فوت الراد يباقي فليس بحسنة وأما الحواطر وحديث النفس وهي جان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت اختيار فالؤاخذه به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى - وإن تبدوا

ولكن عليكم باين مظنون بالصيام فانه بحجرة والأحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث عبد الله ابن عمرو خضا أمق الصيام والقيام وله من حديث سعيد بن العاص بإسناد فيه ضعف إن عثمان بن مظنون قال يارسول الله اتنن لى فى الاختصاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قد أبدلك بالرهانية الخفيفة المسحة والتكبير على كل شرف الحديث و به سند ضعيف من حديث عائشة التلعك من سنن وأحمد وأب يعلى من حديث أنس لكل نبى وقال أبو يعلى لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد فيسبل الله وفيه زيد العلمى وهو ضعيف ولأبى داود من حديث أبى أمامة إن سياحة أمق الجهاد فى سبل الله وإسناده جيد (١) حديث قالت اللاتكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر الحديث قال الصنف إنه فى الصحيح وهو كما قال فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة (٢) حديث إنما يحشر الناس على نياتهم . من حديث جابر دون قوله إنما وله من حديث أبى هريرة إنما يحشر الناس على نياتهم وإسناده حسن وم من حديث عائشة يخبرهم الله على نياتهم وله من حديث أم سلمة يعشرون على نياتهم (٣) حديث إذا التقى المسلمان بسيفيهما فاقاتلوا والقتول فى النار الحديث متفق عليه من حديث أبى بكر .

كاه فدخلت بيتا فرمت بالكاه وقالت هذا أيضا من خبة للناس فيبوء فقال الزوج لها لم تكلف هذا باختيارك قالت أصبكت مثل الشيخ ياسطنا وبكم علينا ويقي لنا شي ندفعه عنه . وقيل مرض قيس بن سعد فاستبطأ إخوانه فى عبادته فسأل عنهم فقالوا إنهم يستحيون بمالك علم . من الدين فقال أخزى الله ما يمنع الاخوان عن الزيارة ثم أمر منافدا بنادى من كان قيس عليه مال فهو منه فى حل فكسرت عتبة داره بالحق لشكره عواده . وقيل أن رجلا صديقا له وفق عليه الباب فلما خرج قال لماذا

ما في أنفسكم أو يخفوه بحاسبكم به الله - جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا كلنا مالا نطبق إن أحدا لم يحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك قال صلى الله عليه وسلم : لعلكم تقولون كما قالت اليهود سمنا وعصينا قولوا مسحنا وأطعنا فقالوا سمنا وأطعنا (١) فأزل الله الفرج بعد سنة بقوله - لا يكلف الله شيئا إلا وسعها - فظهر به أن كل مالا يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به فهذا هو كشف التطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن أن كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الأنقسام الثلاثة فلا بد وأن يسلط وكيف لا يؤاخذ بأعمال القلب من السكر والمحب والرياء والتفاني والحسد وجملة الحيات من أعمال القلب بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً أي ما يدخل تحت الاختيار فهو وقع البصر بغير اختيار بل غير ذي حرم لم يؤاخذ به فإن أتبينا نظرة ثانية كان مؤاخذاً به لأنه مختار فكذا خواطر القلب تجري هذا الجري بل القلب أولى بمؤاخذته لأنه الأصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «التقوى ههنا وأشار إلى القلب (٢)» وقال الله تعالى - لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم - وقال صلى الله عليه وسلم «الإثم حواز القلوب (٣)» وقال «البر ما أطمان إليه القلب وإن أدرك وأتوك (٤)» حتى إذا تقول إذا حكم القلب التقى بإعجاب شيء وكان خطأ فيه صار مثاباً عليه بل من قد ظن أنه تطهر فليبه أن يصل فان قيل ثم تذكر أنه لم يتوصلاً كان له ثواب بغيره فان تذكر ثم تركه كان معاقباً عليه ومن وجد على فراشه امرأة فظن أنها زوجته لم يمس بوطئها وإن كانت أجنبية فان ظن أنها أجنبية ثم وطئها عصى بوطئها وإن كانت زوجته وكل ذلك نظر إلى القلب دون الجوارح .

(١) بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكيفية عند الذكر أم لا)

اعلم أن العلماء للراغبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعملاتها اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق : فقالت فرقة الوسوسة تنقطع بذكر الله عز وجل لأنه عليه السلام قال « فإذا ذكر الله خنس (٥) » والحنس هو السكوت فكأنه يسكت . وقالت فرقة لا ينعدم أصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له أثر لأن القلب إذا صار مستوعباً بالله كان محبوباً عن التأثير بالوسوسة كالمشغول بهمه فانه قد يكتم ولا يهيم وإن كان الصوت يمر على سمعه . وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضاً ولكن تسقط غلبتها القلب فكأنه يوسوس من بعد وعلى ضعف . وقالت فرقة ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر في لحظة ويتأنيب في أزمة متفاربة يظن لتقاربها أنها متساوقة وهي كالكرة التي عليها قط متفرقة فانك إذا أردتها بسرعة رأيت القط دوار بسرعة تواسلها بالحركة واستدل هؤلاء بأن الحنس قد ورد ونحن ن شاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له إلا هذا . وقالت فرقة الوسوسة والذكر يتساوفاً في الدوام على القلب تساوفاً لا ينقطع وكأن الإنسان قد يرى بينه شيئين في حالة واحدة فكذلك

(١) حديث لما نزل قوله تعالى - وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله - جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كلنا ما لا نطبق الحديث م من حديث أبي هريرة وإن عباس نحوه (٢) حديث التقوى ههنا وأشار إلى القلب م من حديث أبي هريرة وقال إلى صدره (٣) حديث الإثم حواز القلوب تقدم في العلم (٤) حديث البر ما أطمان إليه القلب وإن أدرك وأتوك الطبراني من حديث أبي ثعلبة والأحد نحوه م من حديث وابصة وفيه وإن أتاك الناس وأتوك وقد تقدم (٥) حديث وإذا ذكر الله خنس ابن أبي الدنيا وابن عدي من حديث أنس في أثناء حديث إن الشيطان وأمع خطمه على قلب ابن آدم الحديث وقد تقدم قريبا .

جنتي ؟ قال لأمر بهيمة

درهم دين على فدخل

الدار ووزن أربع مائة

درهم وأخرجها إليه

ودخل الدار بأصعبا

فقال امرأته هلا تملكت

حين عبق عليك الإجابة

فقال إنما أبكى لأن لم

أعتقد حاله حتى احتاج

أن يغتنى . وأخبرنا

الشيخ أبو زرعة عن

أبيه الحافظ القدسي

قال أنا محمد بن محمد بن

جامع أصفهان قال ثنا

أبو عبد الله الجرجاني

قال أنا أبو طاهر محمد بن

الحسن المحدث أباذي

فدنا أبو البختري قال

ثنا أبو أسامة قال ثنا

زيد بن أبي بردة عن

أبي موسى قال قال

رسول الله صلى الله

عليه وسلم « إن

الأشعرين إذا أرموا

القلب قد يكون مجرى لشئين قد قال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد إلا وله أربعة أعين عيان في رأسه يصير بهما أمر دينه وعينان في قلبه يصير بهما أمر دينه (١) » وإلى هذا ذهب الهامس والصحيح عندنا أن كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الإحاطة بأصناف الوساوس وإنما نظر كل واحد منهم إلى صنف واحد من الوساوس فأخبر عنه . والوساوس أصناف: الأول أن يكون من جهة التلبس بالحق فإن الشيطان قد لبس بالحق فيقول للإنسان ترك التمسك بالآيات فإن العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم فند هذا إذا ذكر البعد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال لنفسه الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار أشد منه ولا بد من أحدهما فإذا ذكر البعد وعد الله تعالى ووعدوه وجدد إيمانه وبقينه خنس الشيطان وهرب إذ لا يستطيع أن يقول له النار أيسر من الصبر على المصاعب ولا يمكنه أن يقول للصبة لا تخفى إلى النار فإن إيمانه بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فيقطع وسوسه وكذلك قال الله تعالى بالصبر بسمه فيقول أي عبد عرف الله كما تعرفه وبسببه كما تبده فما أعظم مكانك عند الله تعالى فيذكر البعد حينئذ أن معرفته وقلبه وأعضائه التي بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله تعالى فمن أين يجب به فيخنس الشيطان إذ لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله فإن المعرفة والإيمان يدفعه فهذا نوع من الوساوس ينقطع بالكسبية عن العارفين المستبشرين بنور الإيمان والمعرفة . الصنف الثاني : أن يكون وسوسه بتحريك الشهوة وهيجانها وهذا ينقسم إلى ما يميل البعد يقينا أنه مصيبة وإلى ما يظنه ضالاب الظن فإن علمه يقينا خنس الشيطان عن تهيج يؤثر في تحريك الشهوة ولم يخنس عن التهيج وإن كان مظنونا فربما يبق مؤثرا بحيث يحتاج إلى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة . الصنف الثالث : أن تكون الوسوسة مجرد الحواطر وتذكر الأحوال الغالبة والتفكير في غير الصلاة مثلا فإذا أقبل على الذكر تصور أن يندفع ساعة ويمود ويندفع ويسود فيتماقب الذكر والوسوسة ويتصور أن يتساقوا جميعا حتى يكون القهقهة مشتملا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الحواطر كأنهما في موضعين من القلب وبسبب جدا أن يندفع هذا الخنس بالكسبية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا إذ قال عليه السلام « من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه شيء من أمر الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه (٢) » فلو لا أنه متصور لما ذكره إلا أنه لا يتصور ذلك إلا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمتستر فإنما قد ترقى السعوب القلب يبدو تأذي به قد ينشكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر بباله غير حديث عدوه وكذلك المستغرق في الحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه ويفوس في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كله غيره لم يسمح ولو اجتاز بين يديه أحد لكان كأنه لا يراه وإذا تصور هذا في خوف من عدو وعند الحرص على مال وجهه فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزير لضعف الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وإذا تأملت جملة هذه الأصناف وأصناف الوساوس علمت أن لكل مذهب من المذاهب وجهها ولكن في محل مخصوص . وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة أو ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمرا طويلا لا يسجدوا عمال

(١) حديث مامن عبد إلا وله أربعة أعين عيان في رأسه يصير بهما أمر دينه وعينان في قلبه يصير بهما أمر دينه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ بن بلطغ الأخرى مكان دينه وفيه الحديثين بن أحمد بن محمد الهروي السامعي الحافظ كذبه كالأفة منه (٢) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه شيء من الدنيا تقدم في الصلاة .

في القزو وقل طعام
عالمهم جموا ما كان
عندهم في ثوب واحد
اقتسموا في إنا واحد
بالسوية فهم من وأنا
منهم . وحديث جابر
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه إذا أراد
أن يغزو قال يا مشرك
الهاجرين والأنصار
إن من إخوانكم قوما
ليس لهم مال ولا عدة
فليضم أحدكم إليه
الرجل والرجلين
والثلاثة لأحدكم من
ظهر جملته إلا عقبة
كفية أحدهم . قال
فضممت إلى اثنين
أو ثلاثة مالى إلا عقبة
كفية أحدهم من جملة .
وروى أنس قال لما قدم
عبد الرحمن بن عوف
للدينة آخى النبي عليه
السلام بينه وبين سعد

في الوجود ولو تخاف أحد من وساوس الشيطان بالخواطر وتيسر الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم قد روى « أنه نظر إلى علم توبه في الصلاة فسلم ربه بذلك التوب وقال شغلي عن الصلاة وقال اذهبوا به إلى أبي جهم واتوني بأجانيته (١) ». وكان في يده خاتم من ذهب ففطر اليهود هو على التبر ثم ربه به وقال نظرة إليه ونظرة إليكم (٢) » وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحركه النظر إلى خاتم الذهب وعلم التوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فذلك لبس ثم ربه به فالتفتع وسوسة عروضا الدنيا وهداها إلا بالربى والمنافة فإدام عليك شيئا وراء حاجته ولو دنا راحدا لا يده الشيطان في صلاته من الوسوسة في الفكر في ديناره وأنه كيف يحفظه وقباضا يفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به أحدا وكيف يظهره حتى يتباهى به إلى غير ذلك من الوساوس فمن أنشب محالة في الدنيا وطمع أن يتخلص من الشيطان كان كمن اتهم في السمل وظن أن الدباب لا يقع عليه فهو حال فالدنيا باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس له باب واحد بل أبواب كثيرة قال حكيم من الحكماة الشيطان يأتي ابن آدم من قبل العاصي فإن امتنع أتاه من وجه النسيئة حتى يلقيه في بدعة فإن أدى أمره بالتحرج والشدّة حتى يحرم ما ليس محرما فإن أبى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرج عن العلم فإن أبى خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابرا غفيا فتدبر قلوبهم إليه فيحبب بنفسه وبه يهلكه وعند ذلك تشتد الحاجة فانها آخر درجة ويسلم أنه لو جاوزها أثلت منه إلى الجنة .

(بيان سرعة قلب القلب واتهام القلوب في التبر والتائب)

اعلم أن القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتصب إليه الآثار والأحوال من الأبواب التي وصفتها فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فإذا أصابه شيء يتأثر به أصابه من جانب آخر مما يضاعف تخيير صفته فإن زل به الشيطان فدها إلى الهوى زل به الملك وصرفه عن ذنبه شيطان إلى شر جذب شيطان آخر إلى غيره وإن جذب به ملك إلى خير جذب آخر إلى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان لا يكون قطعه ملا إلى الإشارة بقوله تعالى - وتقلب أقدتهم وأبصارهم - ولا طلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عجب صنع الله تعالى في هجاب القلب وتقلبه كان مخلف به في قول « لا ومقلب القلوب (٣) » وكان كثير ما يقول « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا أو تخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء (٤) » وفي لفظ آخر « إن شاء أن يبرحه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه » وضرب له صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثلة فقال « مثل القلب مثل الصفور يتقلب في كل ساعة » (٥) وقال عليه السلام

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم نظر إلى علم في توبه في الصلاة الحديث تقدم فيه (٢) حديث كان في يده خاتم من ذهب ففطر ربه إليه على التبر فرماه فقال نظرة إليه ونظرة إليكم ن من حديث ابن عباس وتقدم في الصلاة (٣) حديث لا ومقلب القلوب خ من حديث ابن عمر (٤) حديث يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك الحديث ن من حديث أنس وحسنه و ن من حديث جابر وقال إن أبي الدنيا صحيح على شرطه ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك ون في الكبرى . ن وصححه على شرطه م من حديث الثواس بن سمعان مامن قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه ون في الكبرى بإسناد جيد نحوه من حديث عائشة (٥) حديث مثل القلب مثل الصفور يتقلب في كل ساعة ن في الاستدراك وقال صحيح على شرطه والبيهقي في الشعب من حديث أبي عبيدة بن الجراح . قلت ورواه البيهقي معجبه من حديث أبي عبيد غير منسوب وقال لا أدري له صحة أم لا .

ابن الريح قال ه أقاسمك مالي صغيرولى امرأتان فأطلق إحداهما فإذا اتقت عدتها فزوجها فقال ه عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك ومالك فما حمل السوفى على الاشارة لإطماره نفسه وشرف غريزته وما جله الله تعالى صوفيا إلا بسند أن سوى غريزته لذلك وكل من كانت غريزته السخا والسخرى يوشك أن يصير صوفيا لأن السخا صفة القرينة وفي مقابله الشح والشح من لوازم صفة النفس قال الله تعالى

- ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - حكم بالفتح لن يوقى الشح وحكم بالفتح

ومثل القلب في قلبه كالقدر إذا استجمعت غلياته (١) وقال : مثل القلب كشل ريشة في أرض فلاة
 قلبها الرياح ظهرا لبطن (٢) وهذه التنبؤات ومهاجبت صنع الله تعالى في قلبها من حيث لا تهدي إليه
 للفرقة لا يعرفها إلا المراقبون والمراعون لأحوالهم مع الله تعالى . والقلوب في الثبات على الخير والشر
 والتردد بينهما ثلاثة : قلب عمر بالتقوى وزكا بالرياضة وطهر عن ضيائات الأخلاق تنقد فيه خواطر
 الخير من خزان القلب ومدخل للسكرات فيصرف العقل إلى التفكير فما خطرته ليرفد دقائق الخير فيه
 ويطلع على أسرار فوائده فيكتشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بأنه لا بد من فقه فيستحثه عليه
 ويدعوه إلى العمل به وينظر للكل إلى القلب فيجده طيا في جوهره طاهرا يتقواه مستترا ببناء العقل
 معمورا بأنوار المعرفة فيراه سالما لأن يكون له مستقرا ومهيئا فسد ذلك عنده مجنود لا يرى ويهديه
 إلى خيرات أخرى حتى ينجر الخير إلى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى إمداده بالترغيب بالخير
 وتيسير الأمر عليه وإليه الإشارة بقوله تعالى - فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسييسره
 اليسرى - وفي مثل هذا القلب يشرق نور الصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفى
 الذى هو أخفى من ديب الظلمة السوداء في الليلة الظلماء فلا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه
 شيء من تكيد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحى زخرف القول غرورا فلا يلتفت إليه وهذا القلب
 بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمتجيات التي تستذكرها من الشكر والصبر والخوف
 والرجاء والفرق والفرقة والمجبة والرضا والشوق والتوكل والتفكير والمجاهبة وغير ذلك وهو القلب الذى
 أقبل الله عز وجل بوجهه عليه وهو القلب للطمع الراد بقوله تعالى - ألا بدركاهه تطمعن القلوب -
 وقوله عز وجل - يا أيها النفس اللطيفة . القلب الثانى : القلب الخندول المشحون بالهوى الدنى
 بالأخلاق القسومة والحماة المتروحة في أبواب الشياطين للسود عنه أبواب اللاتسكة وبدء التنوير فيه
 أن يتقدس فيه خاطر من الهوى ويهجم فيه فينظر القلب إلى حاكم العقل ليستفيق منه ويستكشف
 وجه الصواب فيه فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأنس به واستمر على انسياط الحيل له وعلى
 مساعدة الهوى فتستولى النفس وتساعد عليه فيشرح الصدر بالهوى وتتبسط فيه فطاناته لأنجاس
 جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه
 بالترغيب والترغور والأمانى ويوحى بذلك زخرفا من القول غرورا فيضف سلطان الإيمان بالوعد
 والوعيد ونحو نور اليقين لحرف الأخيرة إذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم إلى القلب "علا" جوانبه
 حتى تنطفئ أنواره فيدير العقل كالميلن التي ملأ الدخان أجفانها فلا يقدر على أن ينظر وهكذا تفعل
 غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب إمكان التوقف والاستبصار ولو بصرة واعظ وأصمعه ماهو
 الحق فيه حتى عن النهم وسم عن السمع وهاجت الشهوة فيه وسطا الشيطان وتحركت الجوارح
 على وفق الهوى فظهورت الصبة إلى عالم الشهادة من عالم القلب قضاء من الله تعالى وقدره وإلى
 مثل هذا القلب الاغارة بقوله تعالى - أرايت من اتخذ له هواها قانت تكون عليه وكلا - ثم أحسب
 أن أكثرهم يسمعون أو يستأنون إن لم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا - ويقول عز وجل - لقد حق
 القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون - ويقول تعالى - سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون -
 ورب قلب هذا حاله بالإضافة إلى بعض الشهوات كالتى يتورع عن بعض الأشياء ولكنه إذا رأى

(١) حديث مثل القلب في قلبه كالقدر إذا استجمعت غلياته أحمد وك وقال صحيح على شرطه من
 حديث القناد بن الأسود (٢) حديث مثل القلب كشل ريشة في أرض فلاة الحديث الطبراني في الكبير والبيهقي
 في الشعب من حديث أبي موسى الأشعري بإسناد حسن ولجزأ نحوه من حديث أنس بإسناد ضعيف .

لمن ألقى وبذل قتال
 - وعارز قام ينفقون
 أولئك على هدى من
 ربهم وأولئك هم
 الفالحون - والفلاح
 أجمع اسم لسادة
 الدارين والتي عليه
 السلام به قوله ثلاث
 مهلكات ، وثلاث
 منجيات فجعل إحدى
 المهلكات شحا مطاعا
 ولم يقل مجرد الشح
 يكون مهلكا بل يكون
 مهلكا إذا كان مطاعا
 فأما كونه موجودا في
 النفس غير مطاع فانه
 لا ينكر ذلك لأنه من
 لوازم النفس مستمدا
 من أصل جبلتها التراب
 وفي التراب قبض
 وإمساك وليس ذلك
 بالمعجب من الآدمي
 وهو جبل في وإنما
 المعجب وجود السخاء

وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش غفه وسقط مساك قلبه أوكادى لا يملك قسه فباينه الجاه والرياسة
والسكر ولا يقي معه مسكة لتثبت عند ظهور أسبابه أوكادى لا يملك قسه عند الغضب مهما استحق
وذكر عيب من عيوبه أوكادى لا يملك قسه عند القدرة على أخذ درهم أو دينار بل يبتالك عليه نهاك
الواله السهر فيفسى فيه الرومة والتموى فكل ذلك لتساعد دخان الهوى إلى القلب حتى ينظم وتطيق
منه أنواره فيظن: نور الحياء والروءة والإيمان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان . القلب الثالث
قلب يمدو فيه خواطر الهوى قدعوه إلى الشر فليحظه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير فتثبت النفس
بجهتها إلى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمع والتشم فيثبت العقل إلى خاطر الخير ويدفع
في وجه الشهوة ويحبس قلبها وينسحب إلى الجهل ويشبهها بالبيضة والسبع في نهجها على الشر وقلة
اكثرها بالمواقب تحبيل النفس إلى نصح العقل فيعمل الشيطان حيلة على العقل فيقوى داعي الهوى
ويقول ما هذا الصرح البارد ولم تحتج عن هؤلاء فتؤذي نفسك وهل ترى أحدا من أهل عصرك خالف
هواه أو ترك غرضه أفتترك لهم ملاذ الدنيا ينتمون بها وتجر على نفسك حتى تخرى محروما غنيا متورا
ينسبك عليك أهل الزمان أترى أن يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما فعلت وقد
ينتموا أمارى العالم القلاني ليس يمتز من مثل ذلك ولو كان ذلك شرا لانتفع منه تحبيل النفس إلى
الشيطان وتقلب إليه فيعمل لذلك حيلة على الشيطان ويحول هلكه إلا من اتبع لغة الحال ونسى
الماتية أفتضع بقلة بسيرة وترتك لك الحيلة ونعيمها أبدأ أبدأ أم تستقل أم الصبر عن شهواتك ولا تستقل
أم النار أتمتر بفضلة الناس عن أنفسهم وأتباعهم وهوام ومساعدتهم الشيطان مع أن عذاب النار لا يخففه
عنك مصيبة غيرك أرايت لو كنت في يوم صائف شديد الحر ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك
بيت بارد أكنت تساعد الناس أو تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس
ولا تخالفهم خوفا من حر النار فخذ ذلك تمتل النفس إلى قول الملك فلا زال يتردد بين الجنتين متجاذبا
بين الحزين إلى أن يطلب على القلب ما هو أولى به فإن كانت الصفات التي في القلب النال عليها الصفات
الشيطنية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب إلى جنسه من أحزاب الشيطان معرمان حزب
الله تعالى وأوليائه ومساعدوا لحزب الشيطان وأعدائه وجري على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب
بسه عن الله تعالى وإن كان الأغلب على القلب الصفات للسكر لم يصنع القلب إلى إغواء الشيطان
وتخرجه إليه على العاجلة وتهويه أمر الآخرة بل مال إلى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب
ماسبق من القضاء على جوارحه قلب المؤمن بين أصعبين من أصابع الرحمن أى يبين تجاذب هذين
الجنتين وهو الغالب أفعى القلب والانتقال من حزب إلى حزب أما البتات على الهوى مع حزب للاستحكة
أومع حزب الشيطان فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزانة القلب إلى عالم الشهادة
بواسطة خزانة القلب فانه من خزانة للسكرات وهى أيضا إذا ظهرت كانت علامات تعرف أرباب
القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة يسر له أسباب الطاعات ومن خلق للنار يسر له أسباب
المعاصي وسلط عليه أقران السوء وألقى في قلبه حكم الشيطان فانه بأنواع الحكم يفر الحق بوجه إن
الله رحيم فلا تبال وإن الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخافهم وإن المرمر طويل فاصبر حتى تنوب
غدا - يمدحهم ويتهمهم وما يمدحهم الشيطان إلا لغروا - يمدحهم التوبة ويعتبههم التفرة قبلكم ما بنى الله تعالى
بهذه الحيل وما يجرى مجراها فيوسع قلبه قبول التورود ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله
وقدره فلن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضل يجل صدره شيئا خرجا كما تجمد
في الساء . - إن نصركم الله فلا غالب لكم وإن ضدكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده - فهو الملقى

في التربة وهو ففوس
الصوفية المعاصي لم إلى
البذل والابتزاز والسوء
أم وأكل من الملود
ففي مقابلة الملود البخل
وفي مقابلة السخاء
الشح والملود والبخل
يتطرق إليها
الاكتساب بطريق
العادة بخلاف الشح
والسخاء إذا كان من
ضرورة التربة وكل
سخى جواد وليس كل
جواد سخيا والحق
صباحته وتعالى
لا يوصف بالسخاء لأن
السخاء من نتيجة
الرائد والله تعالى
متره عن التربة
والجود يتطرق إليه
الرياء ويأتى به
الانسان لتطلبا إلى
عوض من الخلق أو
الحق بمقابل ما من

والفضل يصل ما يشاء ويحكم ما يريد لا أراد حكمه ولا مقب لفضائه خلق الجنة وخلق لها أهلاً فاستعلمهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها أهلاً فاستعلمهم بالمعصية وعرف الخلق علامة أهل الجنة وأهل النار قال - إن الأبرر لي نعيم وإن الفجار لي جحيم - ثم قال تعالى فبأروى عن نبيه صلى الله عليه وسلم هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي^(١) فقال الله الملك الحق لا يستل عما يعملون ويمشون ولتقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر هجائب القلب فإن استقصاءه لا يليق بلم العامة وإنما ذكرنا منه ما يحتاج إليه لمعرفة أغوار علوم اللامعة وأسرارها ليتفتح بها من لا يتفتح بالظواهر ولا يجترى بالقتل من اللباب بل يتشوق إلى معرفة دقائق حقائق الأسباب وفيما ذكرناه كفاً بقلوبهم إن شاء الله تعالى والله ولي التوفيق . ثم كتاب هجائب القلب وفيه الحمد والثناء ، ويتلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ، والحمد لله وحده وصلى الله على كل عبد مصطفى .

﴿ كتاب رياضة النفس ﴾

(وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب ، وهو الكتاب الثاني من ربيع المهلكات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي صرف الأمور بتدبيره وعدل تركيب الخلق وأحسن في تصويره وزين صورة الإنسان بحسن توقيعه وتغييره وحرسه من الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الأخلاق إلى اجتهد العبد وتشميره واستحسنت على تهذيبها وتخفيفه وتخديره وسهل على خواص عباده تهذيب الأخلاق بتوقيفه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل معبه وغيره . والصلاة والسلام على محمد عبد الله ونبيه وحبيه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح أنوار النبوة من بين أساريره ويستكشف حقيقة الحق من غايته ويتأخيره وعلى آله وأصحابه الذين طهروا وجه الإسلام من ظلمة الكفر ودياجيريه وحسموا مادة الباطل فلم يتردئوا بقلبه ولا بكبره .

أما بعد : فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شرط الدين وغرّة مجاهدة اللعين ورياضة للتبدين والأخلاق السنية هي السموم القاتلة والهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والردائل الواضحة والحائث البعدة عن جوار رب العالمين للخطرطة بصاحبها سلك الشياطين وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى للوقدة التي تطلع على الأفتدة كأن الأخلاق الجليظة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن والأخلاق الخبيثة أمراض القلوب وأقسام النفوس إلا أنه مرض يفوت حياة الأبد . وأين منه للرض الذي لا يفوت إلا حياة الجسد . ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان وليس في مرضها إلا فوات الحياة الفانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لأعراض القلوب وفي مرضها فوات حياة باقية أولى وهذا النوع من الطب واجب نفسه على كل ذي لب إذ لا ينال قلب من القلوب عن أسقام لو أهملت تراكت وترادفت الملل وتظاهرت فيحتاج العبد إلى تأنيق في معرفة عقابها وأسبابها ثم إلى تشمير في علاجها وإصلاحها الله الجنها هو الراد بقوله تعالى - قد أفلق من زكاهما - وإلهامها هو الراد بقوله - وقد خاب من دسها - ونحن نشير في هذا الكتاب إلى جمل من أمراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة على غير تفصيل

(١) حديث قال الله عز وجل: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي. أحمد وابن حبان من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي وقال ابن عبد البر في الاستيعاب إنه مضطرب الاستناد .

﴿ كتاب رياضة النفس ﴾

النساء وغيره من
الخلق والثواب من
الله تعالى والسعيا
لا يتطرق إليه الرياء
لأنه ينبع من النفس
الزكية الرخصة . عن
الأعوان دنيا وآخرة
لأن طلب العوض مشعر
بالبخل لكونه معلولاً
بطلب العوض فما
تمحض سعياً فالسقاء
لأهل الصفاء والابتناء
لأهل الأنوار ويجوز
أن يكون غزله تعالى
- إنما نطمح لوجه
الله لا نريد منك
جزاء ولا عكراً - وأنه
نفى في الآية الإطعام
لطلب الأعوان حيث
قال لا نريد بصد
قوله لوجه الله
فما كان قد لا يشمر
بطلب العوض بل
التمسيرة لطهارتها
تجنب إلى مراد الحق

لعلاج خصوص الأمراض فان ذلك يأتي في بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الآن النظر السكبي في تهذيب الأخلاق وتعميد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب من الأفهام دركه وينضج ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم يان حقيقة حسن الخلق ثم يان قبول الأخلاق لتغيير بالرياضة ثم يان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم يان الطرق التي بها يعرف تفصيل الطرق إلى تهذيب الأخلاق ورياضة النفوس ثم يان العلامات التي بها يعرف مرض القلب ثم يان الطرق التي بها يعرف الانسان عيوب نفسه ثم يان شواهد النقل على أن طريق الامالة للقلب بترك الشهوات لا غير ثم يان علامات حسن الخلق ثم يان الطريق في رياضة الصبيان في أول النشوء ثم يان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهي أحد عشر فصلا يجمع مقاصدها هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

(يان فضيلة حسن الخلق ومصلحة سوء الخلق)

قال الله تعالى فيه وحبيه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه - وإنك لمل خلق عظيم - وقالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن » (١) « وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق فقال قوله تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین - ثم قال صلى الله عليه وسلم : « هو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتقو عن ظلك » (٢) « وقال صلى الله عليه وسلم « إنما يشت لأتم مكارم الأخلاق » (٣) وقال عليه « أتعمل ما يوضع في اليزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق » (٤) « وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال « يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق فأثابه من قبل يمينه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم أثابه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم أثابه من رأته فقال يا رسول الله ما الدين قالت إله وقال أما تفقه هو أن لا تنضب » (٥) « وقيل « يا رسول الله ما الشؤم قال سوء الخلق » (٦) « وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال « اتق الله حيث كنت قال زدني قال أتبع السنة الحسنة تحمها قال زدني قال خالق الناس خلق حسن » (٧) « وسئل عليه السلام « أي الأعمال أفضل قال خلق حسن » وقال صلى الله عليه وسلم « ما حسن الله خلق عبده وخلقه فيطعمه النار » (٨) « وقال الفضيل [٩] قبل لرسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من أهل النار » وقال أبو البراءة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أول ما يوضع في اليزان حسن الخلق والسعادات والخلق الله الإيمان

للعرض وذلك أكل

السخاء من أظهر

الرائز. وروى أصحابنا

أبي بكر قالت : قلت

يا رسول الله ليس لي من

شيء إلا ما أدخل على

الزير فأعطيني قال نعم

لا توكي فيوكي عليك .

ومن أخلاق الصوفية

التجاوز والعفو ومقابلة

السببة بالحسنة . قال

سفیان الاحسان أن

تحسن إلى من أساء

إليك فان الاحسان

إلى الحسن متاجرة

تكتفد السوق خذ

شيئا وهات شيئا وقال

الحسن الاحسان أن

تم ولا تحسن كالشس

والريح والتبث .

وروى أنس قال

قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم

« وأبش قصور وأشرفه

(١) حديث عائشة كان خلقه القرآن تقدم وهو عند (٢) حديث تأويل قوله تعالى - خذ العفو - الآية هو أن تصل من قطعك الحديث ابن مردويه من حديث جابر وقيس بن سعد بن عبادة وأنس بأسياد حسان (٣) حديث يشت لأتم مكارم الأخلاق أحمد و ك والبيهقي من حديث أبي هريرة وتقدم في آداب الصعبة (٤) حديث أتعمل ما يوضع في اليزان خلق حسن د وصححه من حديث أبي البراءة (٥) حديث جابر رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال ما الدين قال حسن الخلق الحديث محمد بن نصر اللوزي في كتاب تعظيم قدر الصلاة من رواية أبي العلاء بن الشخير مرسل (٦) حديث ما الشؤم قال سوء الخلق أحمد من حديث عائشة الشؤم سوء الخلق ولأبي داود من حديث رافع بن مكيت سوء الخلق شؤم وكلاهما لا يصح (٧) حديث قال رجل أوصني قال اتق الله حيث كنت الحديث ت من حديث أبي ذر وقال حسن صحيح (٨) حديث ما حسن الله خلق امرئ وخافه فطعمه النار تقدم في آداب الصعبة .

[٩] قوله وقال الفضيل الخ لم يخرج العراقي ولينبه عليه وقد تقدم في باب الصعبة فليأمل .

ذلّ الله قوتي قنوه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر ذلّ الله قوتي قنوه بالخل وسوء الخلق^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لديكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزيتوا دينكم بهما^(٢)» وقال عليه السلام «حسن الخلق خلق الله الأعظم^(٣)» وقيل «يارسول الله أي المؤمنين أفضل إيماناً قال أحسنهم خلقاً^(٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فدعهم ببسط الوجه وحسن الخلق^(٥)» وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم «سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل السل^(٦)» وعن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنكم امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك^(٧)» وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً^(٨)» وعن أبي مسعود البدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً^(٩)» وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتر الدعاء فيقول «اللهم إني أسألك الصفة والمأفة وحسن الخلق^(١٠)» وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «كرم المؤمن دينه وحسبه حسن خلقه ومروءته عقله^(١١)» وعن أسامة بن شريك قال «شهدت الأناريب يسألون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ماخير ما أعطى العبد قال : خلق حسن^(١٢)»

(١) حديث أبي الدرداء أول ما يوضع في اللباز حسن الخلق الحديث لم أقف له على أصل هكذا ولأبي داود وث من حديث أبي الدرداء ما من شيء في اللباز أقتل من حسن الخلق وقال غريب وقال في بعض طرقه حسن صحيح (٢) حديث إن الله استخلص هذا الدين لنفسه الحديث الدارقطنى في كتاب التبتاد والخرابى في مكارم الأخلاق من حديث أبي سعيد الخدرى بإسناد فيه لين (٣) حديث حسن الخلق خلق الله الأعظم الطبرانى في الأوسط من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف (٤) حديث قيل يارسول الله أي المؤمنين أفضلهم إيماناً قال أحسنهم خلقاً د ن ك من حديث أبي هريرة وتقدم في النكاح بلفظ أكل المؤمنين ولطبرانى من حديث أبي أسامة أفضلكم إيماناً أحسنكم خلقاً (٥) حديث إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فدعهم ببسط الوجه وحسن الخلق البزار وأبو يعلى والطبرانى في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة وبعض طرق البزار رجاله ثقات (٦) حديث سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل السل ابن جبان في الضعفاء من حديث أبي هريرة والبيهقى في الشعب من حديث ابن عباس وأبي هريرة أيضاً وضمفما ابن جرير (٧) حديث إنكم امرؤ قد حسن الله خلقك فأحسن خلقك الخرابى في مكارم الأخلاق وأبو العباس الدغولى في كتاب الآداب وفيه ضعف (٨) حديث البراء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً الخرابى في مكارم الأخلاق بسند حسن (٩) حديث أبي مسعود البدرى اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى الخرابى في مكارم الأخلاق هكذا من رواية عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي مسعود البدرى وإنما هو ابن مسعود أي عبد الله هكذا رواه ابن جبان في صحيحه ورواه أحمد من حديث عائشة (١٠) حديث عبد الله بن عمرو اللهم إني أسألك الصفة والمأفة وحسن الخلق الخرابى في مكارم الأخلاق بإسناد فيه لين (١١) حديث أبي هريرة يحكم للره دينه ومروءته عقله وحسن خلقه حب ولا وصحه على شرطكم والبيهقى . قلت فيه مسلم بن خالد الزنجي وقد تكلم فيه قال البيهقى وروى من وجهين آخرين ضعيفين ثم رواه موقوف على عمر وقال إسناده صحيح (١٢) حديث أسامة بن شريك شهدت الأناريب يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ماخير ما أعطى العبد قال خلق حسن ه وتقدم في آداب الصفة .

على الجنة قلت
باجبريل لمن ههنا
قال للكاملين التيط
والعافين عن الناس
روى أبو هريرة رضى
الله عنه «أن أبابكر
رضي الله عنه كان
مع النبي صلى الله
عليه وسلم في مجلس
فجاء رجل فوقع في
أبي بكر وهو ساكن
والنبي عليه السلام
يتبسم ثم رد أبو بكر
عليه بعض الذي قال
فغضب النبي وقام
فلحظه أبو بكر فقال
يارسول الله شتمني
وأنت تبسم ثم رددت
عليه بعض ما قال
فغضبت وقتل
إنك حيث كنت
ساكناً كان معك
ملك يرد عليه فلما
تكلمت وقع الشيطان

فما استأذن عمر رضى الله عنه بمادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمسك فقال عمر رضى الله عنه "م" فضحك بأى أنت وأبى يارسول الله فقال عجبت لمؤلا، اللان كن عندى لما سمعن منك بمادرن الحجاب فقال عمر أنت كنت أحمق أن يهينك يارسول الله ثم أتبل عليهن عمر فقال يا عدوت أنفسهن أهينين ولا تهين رسول الله صلى الله عليه وسلم قلن نعم أنت أغضب وأظن من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم إياها يا ابن الخطاب والذى نفسى بيدي ما عليك الشيطان قط سالكا جفا إلا ضحك جفا غير ضحك^(١) وقال صلى الله عليه وسلم "سوء الخلق ذنب لا يضر وسوء الظن خطيئة تفوح"^(٢) وقال عليه السلام "إن البديل بلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم"^(٣) الآثار : قال ابن تيمان الحكيم لأيه يا أبت أمتي الحاصل من الإنسان خير قال الدين قال فإذا كانت اثنين قال الدين واللالم قال فإذا كانت ثلاثا قال الدين واللالم والحياء قال فإذا كانت أربعة قال الدين واللالم والحياء وحسن الخلق وسوء الخلق قال فإذا كانت ستا قال يابن إذا اجتمعت فيه الخس خسال فهو شى شى لله ولى ومن الشيطان يرى وقال الحسن : من ساء خلقه عذب نفسه ، وقال أنس بن مالك : إن البديل بلغ بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك في جهنم وهو عابد ، وقال يحيى بن معاذ في سمة الأخلاق كنوز الأرزاق ، وقال وهب بن منبه : مثل السيء الخلق كشل الفخارة المكسورة لاحتراق ولاناد طينا ، وقال الفضيل : لأن يصحبنى فأجر حسن الخلق أحب إلى من أن يصحبنى عابد سيء الخلق . وصحب ابن المبارك رجلا سيء الخلق في سفر فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى فقبل له في ذلك فقال بكيت رحمة له فارقت وخلفه معه لم يفارقه . وقال الجنيد : أربع ترفع البديل إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلفه : العلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الإيمان ، وقال السكاني التصوف خلق فن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف . وقال عمر رضى الله عنه خالطوا الناس بالأخلاق وزايجهم بالأعمال ، وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لاتنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لاتضر معها كثرة السيئات ، وسئل ابن عباس ما الكرم فقال هو ما بين الله في كتابه العز - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - قيل فما الحسب قال أحسنكم خلقا أفنسلكم حيا ، وقال لكل بيان أساس وأساس الإسلام حسن الخلق ، وقال عطاء : ما ارتفع من ارتفع إلا بالخلق الحسن ولم ينل أحد كاله إلا للمطفي صلى الله عليه وسلم فأقرب الخلق إلى الله عز وجل السالكون آثاره بحسن الخلق .

(بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق)

اعلم أن الناس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق وأنه ماهو وما ترضوا لحقيقته وإنما ترضوا لثمرته ثم لم يتصوروا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضرا في ذهنه ولم يصرفوا النية إلى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول

- (١) حديث إن عمر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرهن الحديث متفق عليه (٢) حديث سوء الخلق ذنب لا يضر الحديث طعن من حديث عائشة مامن من "إله توبة إلا صاحب سوء الخلق فإنه لا يتوب من ذنب إلا عاد في شر منه واستاده ضئيف (٣) حديث إن البديل بلغ من سوء خلقه أسفل من درك جهنم الطبراني والحرابي في مكارم الأخلاق وأبو الشيخ في طبقات الأصفيين من حديث أنس بإسناد جيد وهو بعض الحديث الذى قبله يحيى بن .

حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تكونوا إمة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا » يارسول الله الرجل أمر به فلا يقربى ولا يضيغ فيعربى فأجزيه قال لا اقرب . وقال الفضيل الفتوة الصفح عن عثرات الاخوان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الواسل الكافي » ولكن الواسل الذى إذا قطعت رحمة وصلها » وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مكارم الأخلاق

الحسن : حسن الخلق بسط الوجه وبذل اليد وكف الأذى . وقال الواسطي هو أن لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى ، وقال شاه الكرمانى : هو كف الأذى واحتمال اللؤم . وقال بعضهم هو أن يكون من الناس قريبا وقبلا بينهم غريبا وقال الواسطي مرة هو إرضاء الخلق فى السراء والضراء وقال أبو عبيان هو الرضا عن الله تعالى ، وسئل سهل التستري عن حسن الخلق فقال أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه ، وقال مرة أن لا يهجم الخلق فى الرزق ويشق به ويسكن إلى الوفاء بما ضمن قطيعه ولا يهيمه فى جميع الأمور فبا يته ويته وقبلا بينه وبين الناس . وقال طى رضى الله عنه حسن الخلق فى ثلاث خصال اجتناب الحارم وطلب الحلال والتوسعة على المال ، وقال الحسين بن منصور هو أن لا يؤثر فك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق ، وقال أبو سعيد الخراز هو أن لا يكون لك هم غير الله تعالى فهذا وأمثاله كثير وهو معرض لثمرات حسن الخلق لأن نفسه ثم ليس هو عيضا بجميع الثمرات أيضا وكشف الغطاء عن الحقيقة الأولى من كل الأقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارةتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق أى حسن الباطن والظاهر فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة ، وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ، ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما فيحية وإما هيئة فانفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد للدرك بالبر . ولذلك عظم أمره بامتناعه إليه إذا قال تعالى - إني خالق بشرى من طين فإذا سوتته ونحت فيه من روصى فقولوا له ساجدين - فيه طى أن الجسد منسوب إلى الطين والروح إلى رب العالمين ، ولتراد بالروح والنفس فى هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة فى النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجلية المحمودة عقلا وشرا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التى هى للصدر خلقا سيئا وإنما قلنا إنها هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل للئال طى النذور لحاجة عارضة لا يغال خلقه السخاء مالم يثبت ذلك فى نفسه ثبوت رسوخ وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية لأن من تسكف بذل للئال أو السكوت عند الغضب يجهد وروية لا يغال خلقه السخاء والحلم ، فهنا أربعة أمور : أحدها فعل الجليل والتبجح . والثانى القدرة طايها . والثالث العفة بهما . والرابع هيئة لنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبدل إما لفقد للئال أو لمنازع وربما يكون خلقه البخل وهو يبدل إما لباعث أولياءه وإيس هو عبارة عن القوة لأن نسبة القوة إلى الامساك والاعطاء بل إلى الضدين واحد وكل إنسان خلق بالنطرة قادر على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن العفة فإن العفة تتعلق بالجميل والتبجح جمعا على وجه واحد بل هو عبارة عن اللئى الرابع وهو الهيئة التى بها تستند النفس لأن يصدر منها الامساك أو البذل فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما أن حسن الصورة الظاهر مطلقا لا يهيم بحسن العينين دون الأنف والقدم واحد بل لا يهيم من حسن الجميع لئيم حسن الظاهر فكذلك فى الباطن أربعة أركان لا يهيم من الحسن فى جميعها حتى يتم حسن الخلق فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتساوت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث . أما قوة العلم غسها وصلاحها فى أن تصبر بحيث يسهل بها ذلك التفرق بين الصدق والكذب فى الأقوال وبين الحق والباطل فى الاعتقادات وبين الجليل والتبجح فى الأفعال فإذا

أن تنمو من ظلك
وتصل من قطك
وتعطى من حرملك
ومن أخلاق الصوفية
البشرى وطلاقة الوجه.
الصوفى بكأوه فى خلوته
وبشره وطلاقة وجهه
مع الناس فالبر طى
وجهه من آثار أنوار
قلبه وقد تنازل باطن
الصوفى منازل الجلية
ومواهب قدسية
يرتوى منها القلب
ويتلى فرحا وسروا
قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا -
والسرور إذا تمكن من
القلب فاض طى الوجه
آثاره قال الله تعالى
موجود يومئذ مسفرة
أهى مضئئة مشرقة
معبشرة تعالى فرحة
فيل أشرفت من طول
ما أخبرت فىصيل

صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الأخلاق الحسنة وهي التي قال الله فيها - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - وأما قوة الغضب فحسبنا في أن يصير انقباضها وانساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في أن تكون تحت إشارته الحكمة أعني إشارة العقل والشرع . وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة العقل والشرع فالعدل مثاله مثال الناصع للشر وقوة العدل هي القدرة ومثاله مثال للعدل المعنى لإشارة العقل والغضب هو الذي تنفذ فيه الإشارة ومثاله مثال الكلب الصيد فإنه يحتاج إلى أن يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الإشارة لا يحسب هيجان شهوة النفس والشهوة مثاله مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فإنه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جوحا فمن استوت فيه هذه الحصال واعتدل فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدله فيها دون البعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض أجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة العقلية واعتدالها يبرع بها الشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يبرع عنه بالهفة فإن مالت قوة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة تسمى بهورا وإن مالت إلى الضعف والتهتان تسمى جينا وخورا وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة تسمى شرها وإن مالت إلى النقصان تسمى جمودا والمحدود هو الوسط وهو الفضيلة والظرفان زبيلتان مضمومتان والعدل إذا فات فليس له طرفا زيادة ونقصان بل له ضد واحد ومقابل وهو الجور . وأما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة خيلا وجريزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذن أمهات الأخلاق وأصولها أربعة : الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ، وتنفى بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الأحوال الاختيارية ، وتنفى بالعدل حالة للنفس وقوة بها تتوسد الغضب والشهوة وتعملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والاعتدال على حسب مقتضاها ، وتنفى بالشجاعة كون قوة الغضب متفاداة للعقل في إقدامها وإحجامها وتنفى بالعفة تأديب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجيدة كلها إذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الدهن وتجابة الرأي وإصابة الظن والتفطن لذائق الأعمال وخفايا آفات النفوس ومن إفراطها تصدر الجريزة للسكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر إليه والتمارة والحق والجنون ، وأعلى بالتمارة قلة التجربة في الأمور مع سلامة التخليل فقد يكون الإنسان غفرا في شيء دون شيء والفرق بين الحق والجنون أن الأحق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة في سلوك الطريق الوصول إلى الغرض . وأما الجنون فإنه يختار مالا ينبغي أن يختار فيكون أصل اختياره وإثارة فاسدا . وأما خلق الشجاعة فيصدر منه السكر والتجدة والشهامة وكسر النفس والاحبال والحلم والثبات وكظم النغيظ والوقار والتودد وأمثالها وهي أخلاق محمودة وأما إفراطها وهو الهور فيصدر منه الصلف والخبث والاستنشاط والتكبر والعجب . وأما تفريطها فيصدر منه الهانة والقلة والجور والخساسة وسر النفس والاعتياض عن تناول الحق الواجب . وأما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والساعة والتفانعة والورع والطاقة والساعدة والظرف وقلة الطمع ، وأما ميلها إلى الإفراط أو التفريط فيحصل منه الحرص والشرع والواقعة والغيث والتبذير والتقصير والرياء والمنسكة والمجانبة والبهت والفاق والحسد والشبهة والتدليل للأغنياء واستمطار الفقراء وغير ذلك فأمهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربع هي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع إلا الرسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بعدهم متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربته من

الله ومثال فيض النور على الوجه من القلب كفيضان نور السراج على الزجاج والشكاة فالوجه مشكاة والقلب زجاج والروح مصباح فإذا تتم القلب بلابد للسامرة ظهر البشر على الوجه قال الله تعالى - تعرف في وجوههم نضرة النسيم - أي نضارته وبريقه غاله أنشرب النبات إذا أزهرو ونور - وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة - فلما نظرت نضرت فأراب للمشاهدة من الصوفية تنورت بصائرهم بنور الشهادة وانضلت مرآة قلوبهم وانعكس فيها نور الجمال الأذلى وإذا شرقت الشمس على المرأة للصقولة استنارت

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكاً مطاعاً يرجع الخلق كلهم إليه ويتقنون به في جميع الأفعال ، ومن اتقى عن هذه الأخلاق كلها والصف بأندادها استحق أن يخرج من بين البلاد والعباد فإنه قد قرب من الشيطان العين البديهة في أن يمد كما أن الأول قرب من الملك القرب فينبئ أن يقتدى به ويتقرب إليه فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت إلا ليتم مكارم الأخلاق كما قال (١) وقد أشار القرآن إلى هذه الأخلاق في أوصاف المؤمنين فقال تعالى - إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون - فالإيمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو عمدة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع إلى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال فقد وصف الله تعالى الصالحين فقال - أشداء على الكفار رحماء بينهم - إشارة إلى أن للشدة موضعاً والرحمة موضعاً فليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان أركانه وثمراته وفروعه.

(بيان قبول الأخلاق للتشهير بطريق الرياضة)

اعلم أن بعض من غلبت البطالة عليه استغفل المجاهدة والرياضة والاشتغال بركة النفس وتهذيب الأخلاق فلم تسمح نفسه بأن يكون ذلك لقصوره ونقصه وحيث دخلته فزع أن الأخلاق لا يتصور تغييرها فإن الطباع لا تتغير واستدل فيه بأمرين : أحدهما أن الخلق هو صورة الباطن كأن الخلق هو صورة الظاهر فالخلق الظاهر لا يغير على تغييرها فالقصور لا يغير أن يجعل نفسه طويلاً ولا الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيراً ولا القصير يقدر على تحسين صورته فكذلك القلب الباطن يجرى هذا الجرى والثاني أنهم قالوا حسن الخلق يمنع الشهوة والغضب ، وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى الزاج والطبع فإنه قط لا ينقطع عن الآدى فاستغله به تشجيع زمان بغير فائدة فإن المطلوب هو قطع التفات القلب إلى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده . فقل لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لطلت الوصايا والوعاظ والتأديبات ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسنوا أخلاقكم » (٢) وكيف يسكر هذا في حق الآدى وتغيير خلق الريحه يمكن إذ ينقل البازي من الاستيحاش إلى الأسي والكعب من شره الأكل إلى التأديب والامساك والتخيلة والفرس من الجراح إلى السلامة والاحتياط وكل ذلك تغير للأخلاق . والقول الكاشف لغطاء عن ذلك أن قول الوجودات منقسم على ما لا يدخل للآدى واختياره في أصله وتفصيله كالبناء والكواكب بل أعضاء البدن داخل خارجاً وسائر أجزاء الحيوانات وبالجملة كل ماهو حاصل كامل وقع التفرغ من وجوده وكأله إلى ما وجد وجوداً تاماً وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد أن وجد شرطه وشرطه قد ربط باختيار السعد بأن التوبة ليست بتجاذل ولا تخال إلا أنها خلقت خلقه يمكن أن تصير نحلة إذا انضاف الترية إليها ولا تصير نحلة أصلاً ولا ترية غافلاً صارت التوبة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الأحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم تقدر عليهما أصلاً ولو أردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليهما وقد أمرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاحنا ووصولنا إلى الله تعالى . ثم الحيلولة مختلفة بعضها سرية القبول وبعضها بظنية القبول ولاختلافها سببان : أحدهما قوة الترية في أصل الحيلة وامتداد مدة الوجود فإن قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الإنسان ولكن أصعب أمراً وضعها

الجدران قال الله تعالى
- سبحانه في وجوههم
من أثر السجود وإذا
تأثر الوجه بسجود
الظلّال وهي التوابل
في قول الله تعالى
- وظلالهم بالسجد
والأصنام - كتب لا يتأثر
بشهود الجبال . أخبرنا
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن علي قال أنا
الكركشي قال أنا
الترقياني قال أنا الجراحي
قال أنا المحبوبي قال أنا
أبو عيسى الترمذي قال
ثنا خيبة قال ثنا
السكندر بن محمد بن
السكندر عن أبيه عن
جابر بن عبد الله قال
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كل معروف
صدقون من المعروف
أن طلق أخاك بوجه
طلق وأن تخزع من

(١) حديث بشت لأنهم مكارم الأخلاق تقدم في آداب الصلحة (٢) حديث حسنوا أخلاقكم أبو بكر
ابن لال في مكارم الأخلاق من حديث معاذ بن أمية حسن خلقك للناس منقطع ورجاله ثقات

على التغير قوة الشهوة فأنها أقدم وجوداً إذ الصبي في مبدأ الفطرة تخلقه الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الضرب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني أن الخلق قدباً كد بكرة العمل بتقواه والطاعة له واعتقاد كونه حسناً ومرشياً والناس فيه على أربع مراتب : الأولى وهو الإنسان القليل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجبل والقيح بل يقي كأنظر عليه خالياً عن جميع الاعتقادات ولم تستمر شهرته أيضاً باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جداً فلا يحتاج إلا إلى علم ومرشد وإلى باحث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في أقرب زمان . والثانية أن يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم يتعود العمل الصالح بل يزن له سوء عمله فتداهم اعتياده لشهوته وإعراضاً عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه ولكن علم تقصيره في عمله فأمره أصعب من الأول إذ قد تضاعفت لوظيفة عليه إذعليه قلع مارسخ في نفسه أولاً من كثرة الاعتداء للفساد والآخر أن يفسد في نفسه صفة الاعتقاد الصالح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة إن انتهى لها بحمد وتشمير وحزم . والثالثة أن يستند في الأخلاق القيحة أنها الواجبة للتحسنه وأنها حق وجبيل وتربي عليها فهذا يكاد تنتفع بمعالجته ولا يرجى صلاحه إلا على التدور وذلك لتضاعف أسباب الضلال . والرابعة أن يكون مع نفسه على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويصا به ويظن أن ذلك يرفع قدره وهذا هو أصعب للرابب وفي مثله قيل ومن الغناء رياضة الهرم ومن التعذيب شهيد الديب والأول من هؤلاء جاهل قط والثاني جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشريء ، وأما الخيال الآخر الذي استدلوا به وهو قولهم إن الأذى مادام حياً فاستقطع عنه الشهوة والضرب وجب الدنيا وسائر هذه الأخلاق فهذا غلط وقبح لطائفة ظنوا أن القصد من المجاهدة قمع هذه الصفات الكليكة ومحوها وهيئات فإن الشهوة خلقت لقائدة وهي ضرورية في الجلبية فلا انطقت شهوة الطعام لمهلك الإنسان ولو انطقت شهوة الودع لانتطعت التسلولو اندم الغضب بالكليكة ليدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما بقي أصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله إلى الشهوة حتى يحمله ذلك على إسكاف المال وليس المطلوب إمادة ذلك بالكليكة بل المطلوب ردها إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفریط والمطلوب في صفة الغضب حسن الحجة وذلك بأن يغلو عن الثبور وعن الجبن جميعاً وبالجملة أن يكون في نفسه قويا ومع قوته مقداداً للمقل ولذلك قال الله تعالى - أشداء على الكفار رحماء بينهم - وصفهم بالشدّة وإحساناً تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل الجهاد وكيف يقصد قلع الشهوة والغضب بالكليكة والأنبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك إذ قال صلى الله عليه وسلم «إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر» (١) . «وكان إذا تكلم بين يديه بما يكره يغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول إلا حقاً فكان عليه السلام لا يخرج غضبه عن الحق» (٢) وقال تعالى - والكافرين القبيظ والماعين عن الناس - ولم يقل والقاعدون القبيظ فرد الغضب والشهوة إلى حد الاعتدال بحيث لا يهين واحد منهما العقل ولا يجلبه بل يكون العقل هو الضابط لها والناظر عليها

(١) حديث إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر م من حديث أنس وله من حديث أبي هريرة إنما عمده بشر يغضب كما يغضب البشر (٢) حديث أنه كان يتكلم بين يديه بما يكره فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول إلا حقاً فكان الغضب لا يخرج عن الحق الشيخان من حديث عبد الله بن الزبير في قصة شراح الحرة فقال لأن كان ابن عمك فتكون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهما من حديث أبي سعيد الخدري وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه لها من حديث عائشة وما انتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فمسل ما ينال منه شيء قط فينتقم من صاحبه الحديث .

دلوك في إناء أخيك»
وقال سعد بن عبد الرحمن الزبيدي يسبني من التراء كل سهل طلق مضحك . فأما من تلقاه بالبشر وبقاك بالبوس كأنه يمن عليك فلا أكثر اتق في القراء مثله ومن أخلاق الصوفية السبوة ولين الجانب والتزول مع الناس إلى أخلاقتهم وطباعهم وترك التصف والتكلف وقد روى في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخيار وأخلاق الصوفية تحاكي أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول عليه الصلاة والسلام «أما إن أمتزج ولا أقول إلا حقاً» روى «أن رجلاً قيل له زاهر

يمكن وهو اللزاد بتفسير الخلق فانه ربما تستولى الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها على الانسباط إلى الفواحش وبالإيافة تعود إلى حد الاعتدال فدل أن ذلك يمكن والتعبر بقوله للشهادة تدل على ذلك دلالة لاشك فيها والذي يدل على أن للطلوب هو الوسط في الأخلاق دون الطرفين أن السخاء خاف محمود شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد أنشأ الله تعالى عليه قتال - والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما - وقال تعالى - ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وكذلك للطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجود قال الله تعالى - سوكوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين - وقال في الغضب - أشداه في الكفاة رحمة بهم - وقال ﷺ « خير الأمور أوسطها » (١) وهذا ليس وتحقيق وهو أن السعادة منوطه بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى - إلامن آتى الله قلب سليم - والبخل من عوارض الدنيا والتبذير أيضا من عوارض الدنيا وشرط القلب أن يكون سليما منها أي لا يكون ملتغا إلى المال ولا يكون حريصا على إنفاقه ولا على إمساكه فان الحريص على الاتفاق مصروف القلب إلى الاتفاق كما أن الحريص على الامساك مصروف القلب إلى الامساك فكان كمال القلب أن يسف عن الوصفين جميعا وإذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الأشبه لمدم الوصفين وأبعد عن الطرفين وهو الوسط فان القاتل لشارو ولا بارد بل هو وسط بينهما فكأنه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والصفة بين التره والجود وكذلك سائر الأخلاق فكلها طرق الأمور ذم هذا هو للطلوب وهو ممكن ، ثم يجب على الشيخ المرشد للريد أن يبيع عنده الغضب رأسا ويذم إمساك المال رأسا ولا يرخس له في شيء منه لأنه لو رخص له في أحد شيء اتخذ ذلك عدرا في استيقاء محله وغضبه وظن أن القدر الرخص فيه فإذا قصد قطع الأصل والبالغ فيه ولم يتيسر له إلا كسر سوره بحيث يعود إلى الاعتدال فالضواب له أن يقصد قلع الأصل حتى يتيسر له القدر المقصود فلا يكشف هذا السر للريد فانه موضع غرور الحق إذ يظن بنفسه أن غضبه بحق وأن إمساكه بحق .

(بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة)

قد عرف أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوة العقل وكال الحكمة وإلى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها للعقل مطيعة وللتشريع أيضا وهذا الاعتدال يحصل في وجهين : أحدهما بجود إلى وكال فطري بحيث خلق الله الانسان ووباد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب بل خلقنا متدبرين متقادين للعقل والتشريع قصير عالما بغير تعلم ومؤدبا بغير تأديب كمي بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام وكذا سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ولا يبعد أن يكون في الطبع والقطرة ما قد ينال بالاكتساب فربما يصيب خلق صادق اللهجة صغيا جريا وربما خلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتقاد ومخالطة التخلقين بهذه الأخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياسة وأغنى به حمل النفس على الأعمال التي تقتضيها الخلق للطلوب بل أراد مثلا أن يحصل لنفسه خاف الجود فطريقه أن يكلف نفسه لصل الجواد وهو بذلك النال فلا يزال يطلب نفسه ويراطب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبيعا له ويتيسر عليه فيصير به جوادا وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواطى على أفعال التواضع مدة مدبرة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكفل إلى أن يصير ذلك خلقا له وطبيعا فيتيسر عليه وجميع الأخلاق المحمودة شرطا تحصل بهذا الطريق ولما يتبين أن يصير العقل الصادر منه لفيذا فالسخي هو الذي يستدل بذلك اللال الذي يذله دون الذي يذله عن كراهة والتواضع هو الذي يستدل التواضع ولن ترسخ (١) حديث خير الأمور أوسطها البيهقي في شعب الإيمان من رواية مطرف بن عبد الله معضل .

إن حرام وكان بدويا وكان لا يأتي إلى رسول الله إلا جاء بطرفة يهدى إلى رسول الله فجاء يوما من الأيام فوجده رسول الله في سوق المدينة يبيع سلعة له ولم يكن أناه ذلك اليوم فاحتضنه النبي عليه السلام من ورائه بكنيته فالتفت فأبصر النبي عليه السلام وقيل كفيه فقال النبي عليه السلام من يشتري العبد قال إذن يشتري كاسدا يارسول الله فقال ولكن عند الله ربيع ثم قال عليه السلام لكن أهل حضر بادية وآل مهنتا هرا بن حرام .

وأخيرا أبو زرة طاهر بن الحافظ القدسي عن أبيه قال

الأخلاق الدينية في النفس مالم تعود النفس جميع العادات الحسنة ومالم تترك جميع الأفعال السيئة ومالم تواظب عليها مواظبة من يشاق إلى الأفعال الجليلة وينتقم بها ويكره الأفعال القبيحة وتأنم بها كقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « وَجَعَلْتُ قِرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ ^(١) » ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستقلال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به ، نعم الواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالإضافة إلى تركها لا بالإضافة إلى فعلها عن طوع ولذلك قَالَ اللَّهُ تَعَالَى - وَإِنَّا لَكَبِيرَةٌ لِّأَهْلِ الْخَامِسِينَ - وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اُعْبُدِ اللَّهَ فِي الرِّضَا فَإِنَّهُ لَمْ يَسْتَعِظْ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ ^(٢) » ثُمَّ لَا يَكُنْ فِي نَيْلِ السَّعَادَةِ الْوَعْدَةِ عَلَى حَسَنِ الْخُلُقِ اسْتِغْنَاءً عَنِ الطَّاعَةِ وَاسْتِكْرَاهِ الْعَصِيَةِ فِي زَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَلَى الدَّوَامِ وَفِي جَمْلَةِ الْعُمُرِ وَكَمَا كَانَ الْعُمُرُ أَطْوَلَ كَانَتْ الْفَضِيلَةُ أَرْسَخَ وَأَكْثَلَ وَلِذَلِكَ « لِمَا سَلَّ صَلَّي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ السَّعَادَةِ قَالَتْ : طَوْلُ الْعُمُرِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى ^(٣) » وَلِذَلِكَ كَرِهَ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْلِيَاءُ الْمَوْتَ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ وَكَمَا كَانَتْ الْعِبَادَاتُ أَكْثَرَ يَطْوِلُ الْعُمُرُ كَانَ الثَّوَابُ أَجْزَلَ وَالنَّفْسُ أَزْكَى وَأَطْهَرَ وَالْأَخْلَاقُ أَقْوَى وَأَرْسَخَ وَإِنَّمَا مَقْصُودُ الْعِبَادَاتِ تَأْثِيرُهَا فِي الْقَلْبِ وَإِنَّمَا يَأْتِي كَدُّ تَأْثِيرِهَا بِكَرَّةٍ لِلْوَاظِبَةِ عَلَى الْعِبَادَاتِ وَغَايَةُ هَذِهِ الْأَخْلَاقُ أَنْ يَنْقَطِعَ عَنِ النَّفْسِ حُبُّ الدُّنْيَا وَيَرْسَخَ فِيهَا حُبُّ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا يَكُونُ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ قَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ فَلَا يَسْتَعْمَلُ جَمِيعَ مَالِهِ إِلَّا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُوْصَلُ بِهِ وَغَضَبُهُ وَشَهْوَتُهُ مِنَ السُّخْرَاتِ لَهُ فَلَا يَسْتَعْمَلُهَا إِلَّا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُوْصَلُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلِذَلِكَ بَانَ يَكُونُ مَوْزُونًا بِمِزَانِ التَّرَبُّعِ وَالْعَقْلِ ثُمَّ يَكُونُ بِمَدِّ ذَلِكَ فَرَحًا بِمُسْتَقْلًا لَهُ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَعْدِمَ مَعِيرِ الصَّلَاةِ لِأَنَّ حُدَّ صَبْرِ هِيَ قِرَّةُ الْعَيْنِ وَمَعِيرِ الْعِبَادَاتِ لَذِيذَةُ فَإِنَّ الْعَادَةَ تَنْقَضِي فِي النَّفْسِ بِحَاجِبٍ أَغْرَبَ مِنْ ذَلِكَ فَانْتَابَ رَدُّ الْمُلُوكِ وَالنَّصَبِينَ فِي أَجْزَانٍ دَائِمَةٍ وَرَأَى الْقَامِرَ لِلْفُلْسِ قَدْ يَلْبَسُ عَلِيمِنَ الْفَرَحِ وَأَلْفَ مَقَامَرٍ وَمَا هُوَ فِيهَا بِمُاسْتَقِلٍّ مَعَ فَرَحِ النَّاسِ بَعْدَ قَارِ مَعَ أَنْ الْقَامِرَ بِمَسَالِيهِ مَالِهِ وَخَرِبَ يَتَوَكَّرُ مَعْلَسًا وَمَعَ ذَلِكَ فُتُو بِهِ وَيَلْتَدُّ بِهِ وَذَلِكَ لِطَوْلِ إِلَهِهِ لَهُ وَصَرَفَ نَفْسَهُ إِلَيْهِ مَدَّةً وَكَذَلِكَ اللَّاعِبُ بِالْخِمَامِ قَدْ يَفْقَطُ طَوْلُ الْبَهَارِ فِي حَرِّ الشَّمْسِ قَامًا رَجُلِيَهُ وَهُوَ يَحْسُ بِأَمْرِ الْفَرَحِ بِالطُّرُوقِ وَحَرَكَاتِهَا وَطِيرَانِهَا وَتَحْلِيْقِهَا فِي جَوِ السَّمَاءِ بَلْ رَأَى الْفَاجِرَ الْبَارِ يَنْتَحِرُ بِمَا يَلْقَاهُ مِنَ الضَّرْبِ وَالْقَطْعِ وَالصَّبْرِ عَلَى السَّيَاطِطِ عَلَى أَنْ يَتَقَدَّمَ بِهِ لِلصَّبْرِ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُتَبَجِّحٌ بِنَفْسِهِ وَبِقُوَّتِهِ فِي الصَّبْرِ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَرَى ذَلِكَ نَفَرًا لِنَفْسِهِ قُوَّةً طَعْمَ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ إِرَادًا بِإِذَا بَلَغَ أَنْ يَمُرَّ بِمَا تَطَاهَا أَوْ تَطَاهَا غَيْرُهُ فَيَصِرُ عَلَى الْإِتْكَارِ وَلَا يَبَالِي بِالْمَقُوبَاتِ فَرَحًا بِمَا يَسْتَعْدُّ كَالْوَلَاةِ جَاعَةً وَرَجُولِيَةً قَدْ صَارَتْ أَحْوَالُهُ مَعَ مَا فِيهَا مِنَ النِّكَالِ قِرَّةَ عَيْنِهِ وَسَبَبَ إِفْتِخَارِهِ بِأَلَا حَالَةَ أَخْسَ وَأَقْبَحَ مِنْ حَالِ الْخُنْثَى فِي تَشَبُّهِهَا بِالْأَنَاثَةِ فِي تَنَفُّهِ الشَّعْرِ وَرُشْمِ الْوَجْهِ وَمَخَاطَلَةِ النِّسَاءِ فَتَرَى الْخُنْثَى فِي فَرَسِ خَالِهِ وَإِفْتِخَارِ بِكَمَالِهِ فِي تَخَنُّتِهِ بِتَاهِيهِ مَعَ الْخُنْثَى حَقَّ يَجْرِي بَيْنَ الْحَجَابِيِّينَ وَالْكَسَانِيِّينَ الْفَتَاخِرُ وَالْبَاهِيَّةُ كَمَا يَجْرِي بَيْنَ الْمُلُوكِ وَالْمَلَاءِ فَكُلُّ ذَلِكَ نَتِيجَةُ الْعَادَةِ وَالْوَاظِبَةِ عَلَى نَمَطٍ وَاحِدٍ عَلَى الدَّوَامِ مَدَّةً مَدِيدَةً وَتَسَاهُدَةً ذَلِكَ فِي الْهَاطِلِينَ وَالْعَارِفِ فَإِذَا كَانَتْ النَّفْسُ بِالْعَادَةِ تَسْتَلِذُّ الْبَاطِلَ وَتَقِيلُ إِلَيْهِ وَإِلَى التَّلَاقِ فَكَيْفَ لَا تَسْتَلِذُّ الْحَقَّ لَوْرَدَتْ إِلَيْهِ مَدَّةً وَتَزِمَتْ الْوَاظِبَةَ عَلَيْهِ بِأَنَّ مِلَّ النَّفْسِ إِلَى هَذِهِ الْأُمُورِ الشَّنْعَةِ خَارِجٌ عَنِ الطَّبِيعِ بِضَاهِيهِ إِلَيْهِ إِلَى أَكْلِ الطَّيْنِ قَدْ يَلْبَسُ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ ذَلِكَ بِالْعَادَةِ ،

(١) حَدِيثٌ وَجَعَلْتُ قِرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ نَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ وَقَدْ تَقَدَّمَ (٢) حَدِيثٌ اُعْبُدِ اللَّهَ فِي الرِّضَا فَإِنَّهُ لَمْ يَسْتَعِظْ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ طَب (٣) حَدِيثٌ سَلَّ صَلَّي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ السَّعَادَةِ قَالَتْ : طَوْلُ الْعُمُرِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي مُسْنَدِ الْفَرَدُوسِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ هُرَيْرٍ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ وَلِلزَّمَنِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ وَصَحَّحَهُ أَيُّ النَّاسِ خَيْرًا قَالَ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسَنَ عَمَلُهُ

أَنَا الطَّهْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ
الْقَبِيحُ قَالَ أَنَا أَبُو
الْحَسَنِ قَالَ أَنَا أَبُو عَمْرٍو
ابْنُ حَكِيمٍ قَالَ أَنَا
أَبُو أُمَيَّةٍ قَالَ حَدَّثَنَا
عَبِيدُ بْنُ إِسْحَاقَ الطَّاهِرُ
قَالَ ثَمَّ سَنَانُ بْنُ
هَرُونَ عَنْ حَمِيدٍ عَنْ
أَنَسٍ قَالَ « جَادَ رَجُلٌ
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ احْمَلْنِي
عَلَى جِلِّ قَتْلِ أَحْمَلِكْ
عَلَى ابْنِ الْوَاظِبَةِ قَالَ أَقُولُ
لَكَ احْمَلْنِي عَلَى جِلِّ
وَتَقُولُ احْمَلِكْ عَلَى
ابْنِ الْوَاظِبَةِ قَالَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ فَاجْلِبْ ابْنُ
النَّاقَةِ وَرَوَى صَيْبُ
قَالَ وَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَبَيْنَ يَدَيْهِ تَمْرٌ بِأَكْلٍ
قَالَ أَصَبَ مِنْ هَذَا
الطَّعَامِ جَلْبَتُ أَكْلٍ

فأما ميله إلى الحكمة وحب الله تعالى ومفرقه وعبادته فهو كالليل إلى الطعام والشراب فانه مقتضى طبع القلب فانه أمر رباني وميله إلى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته وعارض على طبعه وإن اغداه القلب الحكمة والعرفه وحب الله عز وجل ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد دخل به كما قد يحل للرض بالبعد فلا تشتهى الطعام والشراب وهما سببان لحياتها فكل قلب مال إلى حبشي سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله إلا إذا كان أحب ذلك الشيء ولكو نعيمنا على حب الله تعالى وعلى دينه فمقد ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذن قد عرفت بهذا قطعاً أن هذه الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرباطة وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعاً انتهياً وهذا من محجب العلاقة بين القلب والجوارح أعنى النفس والبدن فان كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة وكل فعل يجري على الجوارح فانه قد يرتفع منه أثر إلى القلب والأمر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو أن من أراد أن يصير الخلق في الكتابة له صفة نقية حتى يصير كاتباً بالطبع فلا طريق له إلا أن يتعاطى بمحاربة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيكتبه بالكاتب تكلفاً ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعاً كما كان يصدر منه في الابتداء فكلفاً فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسناً ولكن الأول بتكلف لأنه انما يرتفع منه أثر إلى القلب ثم اغض عن القلب إلى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن والطبع وكذلك من أراد أن يصير قبه النفس فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال القهواء وهو التكرار للفقته حتى تمتص منه على قلبه صفة الفقهاء فيمير قبه النفس وكذلك من أراد أن يصير سخيًا غفيف النفس حليماً متواضعا فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفاً حتى يصير ذلك طبعاً له فلا علاج له إلا ذلك وكما أن طالب قبه النفس لا يأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليله ولا ينالها بتكرار ليله فكذلك طالب تركية النفس وتكليفها ومحبته بالأعمال الحسنة لا ينالها ببداية يوم ولا يحرم عنها بعضيان يوم وهو معنى قولنا إن الكبيرة الواحدة لا توجب الشفاء الوؤيد ولكن العطلة في يوم واحد تدعو إلى مثلها ثم تتداعى قليلاً قليلاً حتى تأتس النفس بالكدل وتجهز التحصيل راساً فينوتها فضيلة الفقته وكذلك صفات المعاصي يجر بعضها إلى بعض حتى يفوت أصل السعادة بهدم أصل الإيمان عند الغاية وكما أن تكرار ليله لا يمس تأثيره في قبه النفس بل يظهر قبه النفس شيئاً فشيئاً على التدرج مثل غو البدن وارتضاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يمس تأثيرها في تركية النفس وتطهرها في الحال ولكن لا ينبغي أن يستبان بقليل الطاعة فان الجملة الكبيرة منها مؤثرة وإنما اجتمعت الجملة من الأحاد فكل واحد منها تأثير فسامن طاعة الأولها أثر وان غنى فله ثواب لا محالة فان الثواب بازاء الأثر وكذلك العصية وكما من قبه يستبين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالى يسوف خسه يوماً فيوماً إلى أن يخرج طبعه عن قول الفقته فكذلك من يستبين صفات المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالى إلى أن يخطئه الموت بنية أو حترام ظلة الذنوب على قلبه وتعمد عليه التوبة إذ القليل يدعو إلى الكثير فيصير القلب مقيداً بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه من محالها وهو للمنى بانسداد باب التوبة وهو الراد بقوله تعالى - وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً الآية ولذلك قال على رضى الله عنه : إن الإيمان لا يدنو في القلب نكتة يضاهي كما ازداد الإيمان ازداد ذلك اليأس فاذا استكمل العبد الإيمان ايضاً القلب كله وان التفاق ليدنو في القلب نكتة سوداء كلما ازداد التفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل التفاق اسود القلب كله فاذا عرفت أن الأخلاق الجميلة تارة تكون بالطبع والقطرة وتارة تكون باعتياد الأفعال الجميلة وتارة بعشادة أرباب الفعاليات

من التمر فقال أناسك وأنت رمد قلت إذن أمضغ من الجانب الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم « وروى أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم يا أبا الأذنين . وسئلت عائشة رضى الله عنها « كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا في البيت قالت كان ألين الناس بساما ضحاكاً ووروثاً أيضاً « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقت ثم سابقها بعد ذلك فسبقتها قال هذه بتلك . وأخبرنا الشيخ العبد المعاصى العبد عبد الوهاب بن على قال أنا أبو القتح الحمرى قال أنا أبو نصر

ومصاحبهم وهم قرناء الخير وإخوان الصالح إذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جيبا لمن
تظاهرت في حقها الجهات الثلاث حتى صار فاضلة طبيا واعتيادا وتلما فهو في غاية الفضيلة ومن
كان ردلا بالطبع واخفق له قرناء السوء قطع منهم ويستره آسياب الشر حتى اعتادها فهو في غاية
البدن من الله عز وجل وبين الرتبين من اختلاف في هذه الجهات ولكل درجة في القرب
والبعد محبب مانع فيه صفته وحاله - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره .. وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون - .

(بيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق)

قد عرفت من قبل أن الاعمال في الأخلاق هو صحة النفس واللبس عن الاعتدال سقم ومرض فيها
كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له واللبس عن الاعتدال مرض فيه فلتنخذ البدن مثالا . فنقول
مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها وجاب الفضائل والأخلاق الجيدة إليها مثال
البدن في علاجه بمحو العال عنه وكسب الصحة له وجلبها إليه وكما أن الغالب على أصل المزاج الاعتدال
وإنما تكثر اللدنة الضرة بؤارض الأغذية والأهوية والأحوال فكذلك كل مولود يولد مودع متدلا
صحيح الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو نصرانه أو يمجسانه أي بالاعتدال والتعلم تكتسب الرذائل
وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وإنما يكمل ويقوى باللشؤ والتربة بالنفاد فكذلك النفس
تخلق ناقصة قابلة للكمال وإنما تكمل بالتربة وتهذيب الأخلاق والتغذية بالملم وكما أن البدن إن كان
صحيحا فشان الطبيب تعييد القانون الحافظ للصحة وإن كان مريضا فشأنه جلب الصحة إليه فكذلك
النفس من كان كانت زكية طاهرة مهذبة فينبى أن تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة إليها وإياها واكتساب
زيادة صفاتها وإن كانت عديمة الكمال والصفا فينبى أن تسعى لجلب ذلك إليها وكما أن الله الغيرة
لاعتدال البدن الوجبة للعرض لانهلج لا يرضعها فإن كانت من حرارة في البرودة وإن كانت من برودة
في الحرارة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجلب بالتعلم ومرض
البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتى تكلفا وكما أنه لا بد من
الاحتمال لمرارة الدواء وشدة الصبر عن الشبهات لمعالج الأبدان للريضة فكذلك لا بد من احتمال مرارة
المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى فإن مرض البدن يغلب منه بالموت ومرض القلب
والعباد بالله تعالى مرض يدوم بعد الموت أبد الآباد وكما أن كل مريد لا يصلح لعله سبها الحرارة إلا إذا
كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه بالكثرة والقلّة ولابد له من
معيار يعرف به مقدار النافع منه فإنه إن لم يحفظ مميّاره زاد الفساد فكذلك التقاض التي تعالج بها
الأخلاق لا بد لها من معيار وكان أن معيار الدواء مأخوذ من غير الملة حتى إن الطبيب لا يبالغ ما لم يعرف
أن الملة من حرارة أو برودة فإن كانت من حرارة فيعرف درجتها أي ضيق أم قوية فإذا عرف
ذلك انتفى إلى أحوال البدن وأحوال الزمان وصناعة المرض وسنن وأحواله ثم يعالج بحسبها فكذلك
الشيخ المتبوع الذي يطب نفوس الريدين ويالج قلوب المسترشدين ينبى أن لا يهجم عليهم بالريضة
والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم وأمراسهم وكما أن الطبيب
لو عالج جميع المرضى بملاخ واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على الريدين بنسخ واحد من
الريضة أمهلهم وأما فقههم بل ينبى أن ينظر في مرض الريد وفي حاله وسنن ومزاجه وما يحمله
بنيته من الريضة ويبى في ذلك ريضته فإن كان الريد متبدعا جاهلا بمحدود الشرع فيمله أولا
الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وإن كان متفولا بمال حرام أو مفارقا لمصلحة فأمره أولا بتركها

الترقي قال أنا

أبو محمد الجراسي

قال أنا أبو العباس

المحبوب قال أنا

أبو عيسى الحافظ

الترمذي قال أنا

عبد الله بن الوضاح

الكوفي قال أنا

عبد الله بن إدريس

عن شعبة عن أبي

التياح عن أنس رضي

الله عنه قال إن كان

رسول الله صلى الله

عليه وسلم ليخاطبنا

حتى إنه كان يقول

لأع لى صغير يا أبا حمير

مامل الخير والتغير

عصفور صغير . وروى

أن عمر سابق زيرا

رضي الله عنها فسبته

الزبير قال : سبكتك

ورب الكعبة ثم صاحبه

مرة أخرى فسبته همر

قال همر : سبكتك

فإذا تزين ظاهره باللبادات وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظراً لقرآن الأحوال إلى باطنه لينتظن
لأخلاقه وأمراض قلبه فإن رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته أخذ منه وصرفه إلى الخيرات وافرغ
قلبه منه حتى لا يلتفت إليه وإن رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيأمره أن يخرج إلى
الأسواق للكدية والسؤال فإن عزة النفس والرياسة لا تنكسر إلا بالذل ولاذل أعظم من ذل السؤال
فيكافئه للواظبة على ذلك مدة حتى يتكسر كبره وعز نفسه قلن الكبر من الأمراض المهلكة وكذلك
الرعونة وإن رأى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب ورأى قلبه مائلا إلى ذلك فرحاً به ملتفتاً إليه
استخدمه في تمهيد بيت الماء وتنظيفه وكف عن الواضع القدرة وملازمة الطيب وموانع الدهان حتى
تتشوش عليه رعوته في النظافة فإن الذين ينظفون ثيابهم وزيوتها ويطلبون للرفعات النظيفة
والسجادات اللينة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار فلا فرق بين أن يبدأ الإنسان
نفسه أو يبدأ غيرها عبد غير الله تعالى فقد حجب عن الله ومن راعى في ثوبه شيئا سوى كونه حلالا
وطاهرا مراعاة لثبته إليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة إذا كان للريد لا يسخر بترك
الرعونة رأسا أو بترك صفة أخرى ولم يسمح بصدقه دفعة فينبغي أن ينقله من الحلق للذموم إلى خلق
مذموم آخر أخف منه كالذي يسهل الدم بالبول ثم يسهل البول بالماء إذا كان الماء لا يزيل الدم
كما يرغب الصبي في اللعب بالكرة والصولجان وما أشبه ثم ينقل من اللعب إلى الزينة وفاخر
الثياب ثم ينقل من ذلك إلى الرغبة في الرياضة وطلب الجاه ثم ينقل من الجاه إلى الرغبة في الآخرة
فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فليقل إلى جاه أخف منه وكذلك سائر الصفات وكذلك
إذا رأى شره الطعام غالبا عليه أزمه الصوم وتقليل الطعام ثم يكفنه أن يهيئ الأطلعة اللذيذة ويقدمها
إلى غيره وهو لا يأكل منها حتى يقوى بذلك نفسه فيعود الصبر ويتكسر شرهه وكذلك إذا رآه
شابا متشوقا إلى التكاسل وهو عاجز عن الطول فيأمره بالصوم وربما لا تسكن شهوته بذلك فيأمره
أن يضطر ليلية على الماء دون الحبز وليلة على الحبز دون الماء وبمنحه اللحم والأدم رأسا حتى تذلل نفسه وتنكسر
شهوته فلا علاج في مبدأ الإرادة أضعف من الجوع وإن رأى الغضب غالبا عليه أزمه الحلم والحياء والكوت
وسلط عليه من صحبه ممن فيه سوء خلق ولبزمه خدمة من ساء خلقه حتى يبرن نفسه على الاحتال معه
كالحج عن بعضهم أنه كان جود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب فكان يستأجر من يشتمه على ملأ
من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضربه للكل بعضهم كان
يستشعر في نفسه الجبن وضمف القلب فأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء
عند اضطراب الأمواج وعباد الهند يمالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على نسيبة واحدة
وبعض اليعرب في ابتداء إرادته كان يسكن عن القيام فأزم نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمح
بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورحى به في البحر إذ خاف من نفوقه
على الناس رعوته الجود والرياء بالذل فهذه الأمثلة تعرفك طريق معالجة القلوب وليس غرضنا ذكر
دواء كل مرض فإن ذلك سيأتي في بقية الكتب وإنما غرضنا الآن التنبيه على أن الطريق الكلي فيه
سلك مملكة الصاعدة لكل متهووا النفس وتبيل إليه وقد جمع الله ذلك كله في كتابه العزيز في كلمة واحدة
فقال تعالى - وأما من حاف مقام ربه وسهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى - والأصل لهم في
المجاهدة الوفاء بالزمم وأداعزم حتى ترك شهوة قد تيسرت أسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى واختيارا
فينبغي أن يصبر ويستمر فانه إن عود نفسه ترك الزمم ألفت ذلك ففسدت وإذا اتفق منه بعض عزم

ورب الكمية وروى

عبد الله بن عباس

قال قال لي عمر تعال

أنا نكسك في الماء أينما

أطول نفسا ونحن

محمرون . وروى

بكر بن عبد الله قال

كان أصحاب رسول

الله صلى الله عليه

وسلم ينازحون حتى

يتبادحون بالبطيخ

فاذا كانت الحقائق

كانوا هم الرجال يقال

يدح يدح إذا رمى

أى يترامون بالبطيخ

وأخبرنا أبو زرعة

عن أبيه قال أنا الحسن

ابن أحمد الكرخي

قال ثنا أبو طالب

محمد بن محمد بن

إبراهيم قال ثنا

أبو بكر محمد بن محمد

ابن عبد الله قال حدثني

إسحاق الحربي قال ثنا

فينبئ أن يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معانية النفس في كتاب الحاشية والرافقة وإذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبت وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالكيفية .

(بيان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها إلى الصحة)

اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به وإنما مرضه أن يتعدى عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه أصلاً أو يصدر منه نوع من الاضطراب يفرض اليأس يتعذر عليها البش والمرض المين أن يتعدى عليها الإضرار وكذلك مرض القلب أن يتعدى عليه فعله الخاص به الذي خلق لأجله وهو العلم والحكمة والمرعة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وإشارته ذلك على كل شهوة سواء والامتانة بجميع الشهوات والأعضاء عليه قال الله تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - فمن كل عضو قائمة وفائدة القلب الحكمة والمرعة وخاصة النفس التي لا تدعى ما يتميز بها عن البهائم فانه ما يتميز عنها بالقوة على الأكل والوقوع والإضرار وغيرها بل بمرعة الأشياء على ما هي عليه وأصل الأشياء وموجدها ومعتزها هو الله عز وجل الذي جعلها أشياء فهو عرف كل شيء ولم يعرف الله عز وجل فكأنه لم يعرف شيئاً وعلامة المرعة الحية فمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة الحية أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى - قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم - إلى قوله - أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترهبوا حتى يأتي الله بأمره - فمن عنده شيء أحب إليه من الله فقلبه مريض كما أن كل معدة مارة الطين أحب إليه من الخبز واللحم أو سقطت شهوتها عن الخبز واللحم فهي مريضة فهذه علامات المرض وهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة إلا ما شاء الله إلا أن من الأمراض ما لا يعرف أصحابها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحب القلب فيفعل عنه وإن عرفه صب عليه الصبر على مرارة دوائه فادواؤه مخالفة للشهوات وهو تزني الروح فان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيباً صادقاً يبالغه فان الأطباء المراء وقد استولى عليهم المرض فالطبيب للريض قما يلتفت إلى علاجه فلهذا صار الله عسلاً والمرض مزمننا وندرس هذا العلم وأنكر بالكيفية طب القلوب وأنكر مرضها وأقبل الخلق على حب الدنيا وعلى أعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومرا آت فهذه علامات أصول الأمراض وأما علامات عودها إلى الصحة بعد المعالجة فهو أن ينظر في العلة التي يبالغه فان كان يبالغه في البخل فهو للهالك البعد عن الله عز وجل وإنما علاجه يذل المال وإفناقه ولكنه قد يذل المال إلى حد يصير به مبذراً فيكون التبذير أيضاً داء فكان كمن يبالغ البرودة بالحرارة حتى تقلب الحرارة فهو أيضاً داء بل للغلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة وكذلك المطلوب الاعتدال بين التبذير والتقير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فان أردت أن تعرف الوسط فانظر إلى الفعل الذي يوجب الخلق المذخور فان كان أسهل عليك وألذ من الذي يضاده فالتألب عليك ذلك الخلق للوجب له مثل أن يكون إسكاً للال وجهه ألك عندك وأيسر عليك من بذله لمستحبه فاعلم أن الغالب عليك خلق البخل فزد في اللواظبة على البذل فان صار البذل على غير السحق عندك وأخف عليك من الامساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع إلى اللواظبة على الامساك فلا تزال ترأب نفسك وتستدل على خلتك بشير الأفعال وتصيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى المال فلا تغلب إلى بذله ولا إلى إسكاً بل يصير عندك كسلاً فلا تطلب فيه إلا إسكاً كحاجة محتاج أو بذله كحاجة محتاج ولا يترجع عندك البذل على الامساك فكل قلب صار كذلك قد أنشأ سبباً عن هذا القام خاصة ويجب أن يكون سلباً عن سائر الأخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق

أبو سلة قال تاحمد
ابن خالد قال أنا محمد بن
عمر بن علقمة قال ثنا
أبو الحسن بن عيسى
الذي عن يحيى بن
عبد الرحمن بن حاطب
ابن أبي بنية قال إن
عائشة رضى الله عنها
قالت وأتيت النبي صلى
الله عليه وسلم بحمرة
طبختها له وقلت لسودة
والتي صلى الله عليه
وسلم بيني وبينها كلى
فأبت فقلت لها كلى
فأبت فقلت لتأكلن
أو لأطخن بها وجهك
فأبت فوضت يدي
في الحمر فطخت بها
وجهها فضحك النبي
صلى الله عليه وسلم
فوضع غنده وقال
لسودة الطبخي وجهها
فلطخت بها وجهي
فضحك النبي صلى الله

بالدنيا حتى ترحل النفس عن الدنيا منتقلة للعلاق منها غير ملتفة إليها ولا منشوقة إلى أسبابها فتند ذلك ترجع إلى ربها رجوع النفس للطمشة راضية مرضية داخلية في زمرة عباد الله للترتيب من التبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية التموض بل هو أدنى من الشعر وأحد من السيف فلا جرم يؤمن استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة وقلما ينفك الصديق عن ميل عن الصراط للمستقيم أعنى الوسط حتى لا يبل إلى أحد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال إليه ولذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وإن كان مثل البرق قال الله تعالى - وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا . ثم تنجي الدين انقوا - أي الدين كان قهرهم إلى الصراط المستقيم أكثر من يهدم عنه ولأجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله - اهتدنا الصراط المستقيم - إذ وجب قراءة الفاتحة في كل ركعة قد روى أن بشهم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام قال قد قلت يا رسول الله شيتي هود فلم قلت ذلك ؟ فقال عليه السلام لقوله تعالى - فاستقم كما أمرت - فلا استقامة على سواء السبيل في غاية التموض ولكن ينبغي أن يجتهد الإنسان في القرب من الاستقامة إن لم يقدر على تحقيقها فكل من أراد النجاة فلا نجاة له إلا بالعمل الصالح ولا تصدر الأعمال الصالحة إلا عن الأخلاق الحسنة فليقتد كل عبد صفاته وأخلاقه وليعدها وليشتغل بهلاج واحد واحد فيها على الترتيب . ففسأل الله الكريم أن يجعلنا من التتقين .

(بيان الطريق الذي يعرف به الإنسان عيوب نفسه)

اعلم أن الله عز وجل إذا أراد بعبده خيرا يصبه بعبوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة تخفى عليه عيوبه فإذا عرف العيوب أمسكه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعبوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق: الأول أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعبوب النفس مطلع على خفاي الآفات ويحكمه في نفسه ويشرح إشارته في مجاهدته وهذا شأن الريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده . الثاني أن يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا فيصبه رقيقا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فمساكره من أخلاقه وأفعاله وعبوبه والباطنة والظاهرة ينبيه عليه فيكنها كان يفعل الأكياس والأكارم من أئمة الدين . كان عمر رضي الله عنه يقول : رحم الله امرأ أهدى إلى عيوي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له مالم الذي بلغك عني مما تكرهه فاستغنى فأخ عليه فقال بلغني أنك جمعت بين إدامين على مائدة وأن لك حلوتين حلة بالثار وحلة بالليل قال وهل بلغك غير هذا ؟ قال لا قال أما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المناقبات فهل ترى على شيئا من آثار التفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمة لنفسه رضي الله عنه فكل من كان أوفر عقلا وأعلى مناصبا كان أقل إعجابا وأعظم اتهاما لنفسه إلا أن هذا أيضا قد عز قتل في الأصدقاء من يترك المداينة فيخبر باليب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في أسدةائك عن حدود أو صاحب غرض يرى مالم يسبب عيبا أو عن مدهان يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل الناس قتيلا لم لا تخلط الناس ؟ قال وماذا أصنع بأتوام يخفون عني عيوي فكانت شهوة دوى الدين أن يتنبهوا لعيوبهم ببقية غيرهم

عليه وسلم فسر عمر رضي الله عنه على الباب فنأدى بإعبد الله بإعبد الله فظن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيدخل فقال قوما فاعسلا وجهكم كما قالت عائشة رضي الله عنها فمما زلت أهاب عمر لهية رسول الله صلى الله عليه وسلم بإياه . ووصف بعضهم جابن طاموس فقال كان مع الصبي ميا ومع الكهل كولا وكان فيه مزاحة إذا خلا . وروى معاوية بن عبد الكريم قال كنا نذكر الشعر عند محمد بن سيرين وكان يقول ونمزج عنده ويمزجنا حكايا نخرج من عنده ونحن نضحك وكان إذا دخلنا

وقد آل الأمر في أمثالي إلى أن أبغض الخلق إلينا من نصحننا وبصرنا عيوبنا وبكاد هذا أن يكون مفضعا من ضعف الإيمان فإن الأخلاق السيئة حيات وعقارب لمداعة فلو نهينا منه على أن تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه مئة رفرحنا به واشتغلنا بآزالة القرب وإبادهما وتلقا وإنما نكبتها على البدن وبدوم ألها يوما لما دونه ونكاسة الأخلاق الرديئة على صميم القلب أختى أن تدوم بعد الموت أبدا أو آلافا من السنين ثم إننا لا نخرج عن يديها عليها ولا نشغل بازالتها بل نشغل بمقابلة الناس على مثاله فنقول له وأنت أيضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا المداواة منه عن الانتفاع بنصحه ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التي أغمرتها كثرة الذنوب وأصل كل ذلك ضعف الإيمان فنبأ الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا ويصيرنا عبيونا ويشغلنا بمداوتها ويوقتنا للقيام بشكر من يطلنا على مساوينا بمنه وفضله . الطريق الثالث : أن يستغفر معرفة عيوب نفسه من السنة أعدائه فإن عين السخط تبدي المساويا ، ولعل انتفاع الانسان بدو مشاكن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مدهان يثني عليه ويمدحه ويغني عنه عيوبه إلا أن الطبع مجبول على تكذيب البدو وحمل ما يؤوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فإن مساويه لا يد وأن تتحسر على استهم . الطريق الرابع : أن يخالط الناس فكل ماراه مذموما فيها بين الخلق فليطأ به قدمه وينسبها إليه فإن المؤمن مرآة للؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى لما يصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أسله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه فليستقد نفسه ويظهرها من كل ما يذمه من غيره وعابك بهذا تأديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستنواا عن المؤذب . قيل لعيسى عليه السلام من أدبك ؟ قال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل شينا فأجنته وهذا كله حيل من قد شيئا عارفا ذكيا بصيرا يبوب النفس مشفقا ناهما في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشتغلا بهذيب عباد الله تعالى ناهما لم يكن وجد ذلك قد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجي من الهلاك الذي هو يصدده .

(بيان شواهد الثقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق في معالجة أمراض القلوب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هي اتباع الشهوات)

اعلم أن ما ذكرناه إن تأملته بين الاعتبار افتتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمراضها وأدوئها بنور العلم واليقين فإن هجرت عن ذلك فلا ينبغي أن يفوتك التصديق والإيمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فإن للإيمان درجة كما أن للعلم درجة والعلم يحصل بعد الإيمان وهو وراءه قال الله تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - فمن صدق بأن مخالطة الشهوات هي الطريق إلى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا وإذا اطلع على ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يتنقى الإيمان بهذا الأمر في القرآن والسنة وأقوال العلماء أكثر من أن يحصر قاله تعالى - سوجهي النفس عن الهوى فإن الجنة هي النأوى - وقال تعالى - أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى - قيل تزعم مخالطة الشهوات وقال الله على عليه وسلم - المؤمن بين خمس شدائد : مؤمن بمحمد وموافق يفضيه وكافر بقاتله وشيطان بخله ونفس تنازعه ^(١) فين أن النفس عدو متنازع يجب عليه مجاهدتها .

(١) حديث المؤمن بين خمس شدائد : مؤمن بمحمد وموافق يفضيه الحديث أبو بكر بن لال في مسالك الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف .

على الحسن تخرج من عنده ونحن نكاد نيسك فيهله الأخبار والآثار دالة على حسن لين الجانب وصحتاحن الصوفية وحسن أخلاقهم فيها يتمدونه من للدابة في الربط على حسب طباعهم لنظرهم إلى سقمهم الله فإذا خلوا وقدموا وقف الرجال واكتسوا ملابس الأعمال والأحوال ولا يفت في هذا المعنى على حد الاعتدال إلا صوفي قاهر للنفس عالم بأخلاقها وطباعها سائس لها بوفور العلم من يقف في ذلك على صراط الاعتدال بين الإفراط والتفريط

وروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام داود حذر وأندر أصحابك أكل الشهوات فان القلوب
للتلقة بشهوات الدنيا عقولها عن عجبوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة
لموعد غائب لم يره وقال نبينا ﷺ قوم قدموا من الجهاد ورحبوا بكم قدمتم من الجهاد الأسفل إلى
الجهاد الأكبر قيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر قال جهاد النفس (١) وقال صلى الله عليه وسلم
«المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «كف أذا كف نفسك
ولاتباع هواها في معصية الله تعالى إذ نخاصمك يوم القيامة فيعلمن بفسادك بعضا إلا أن يفرقه الله تعالى
ويعتر» (٣) وقال سفيان الثوري ما عالجته شيئا أشد علي من نفسي مرة إلى مرة علي وكان أبو العباس
الوصل يقول لنفسه يا نفس لا في الدنيا مع أبناء اللوك تنعمين ولا في طلب الآخرة مع العباد تجهدين
كأن بك بين الجنة والنار تحبين يا نفس ألا تستحيين وقال الحسن ماله الباه الجوع بأوجع إلى الهجام
الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد نفسك بأسياف الرياضة والرياضة أربعة أوجه
القوت من الطعام والتمس من الثام والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الأثام فيتولد من أحوال
الطعام موت الشهوات ومن قلة الثام صفو الإزادات ومن قلة الكلام السلامة من الأثام ومن أحوال
الأذى البلوغ إلى النجاة وليس على البعد شيء ما عدا من الحلم عند الجفاء والمصر على الأذى وإذا تحركت
من النفس إرادة الشهوات والأنام وهاجت منها خلوة فضول الكلام جردت عليها سواف قلة الطعام
من غدا التهجد وقلة الثام وضربها بأيدي الجمل وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن
من بوائقها من بين سائر الأنام وتصفى من ظلمة شهواتها فتجوز من عوائل آفاتنا قصير عند ذلك
نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول في ميدان الحريات وتسير في مسالك الطاعات كالنفس الفارة
في الديدان وكذلك التنزه في البستان وقال أيضا أعداء الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاقترب
من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من
استولت عليه النفس صار أسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها مقهورا مغلولاً لزاما في يدها
تجرده حيث شاءت فخنق قلبه من الفوائد وقال جعفر بن حميد أجمعت العلماء والحكماء على أن التمس
لا يدرك إلا بترك التمس قال أبو يحيى الوراق من أرض الجوارح بالشهوات قد غرس في قلبه شجر
الندامات وقال وهيب بن الورد ما زاد على الحزب فهو شهوة وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا فليتبئ
لذلك . روى أن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بئد أن ملك خزائن الأرض وقعت له على
راية الطريق في يوم موكب وكان يركب في زهاء اثني عشر ألفا من عظماء ملكه سبحانه من جل
الملوك عبيد بالمصيبة وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم له إن الحر من والشهوة صبرا الملوك عبيدا وذلك جزاء
المفسدين وإن الصبر والتقوى صبرا العبيد ملوكا قال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه - إن من يتق ويصبر
فإن الله لا يضيع أجر المحسنين - وقال الجنيد أرقت ليلة قسمت لي وري فلم أجدا الحلاوة التي كنت أجد بها
فأرت أن أنام فلم أقدر فجلست فلم أطق الجلوس فخرجت فإذا رجل من منفذ عبادة مطروح على الطريق
فلما أحس بي قال يا أبا القاسم إلى الساعة قتلت يا سيدي من غير موعد فقال بل سألت الله عز وجل
أن يحرك لي قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال فني يصبر داء النفس دواهاه قتلت إذا خالفت النفس

ولا يصلح الاكثار
من ذلك للمريد
للبتدين لقله عليهم
ومعرتهم بالنفس
وتدعيم حد الاعتدال
فلنفس في هذه
للوطن نهضة ووثبات
تجر إلى الفساد وتنجح
إلى الضاد فالزول إلى
طباع الناس بحسن بن
صمد عنهم وترقى لعلو
حاله ومقامه فيزل إليهم
وإلى طباعهم حين
ينزل بالعلم فأما من لم
يصمد بصفاء حاله عنهم
وفي بقية مزج من
طباعهم : ونفوسهم
الجامعة الأماراة بالسوء
إذا دخلت في هذه
للداخل أخذت النفس
حظها واغتنت ما كرها
واسرحت إلى الرخصة
والزول إلى الرخصة
بحسن لمن يركب

(١) حديث مر حاكم قدمتم من الجهاد الأسفل إلى الجهاد الأكبر البيهقي في الزهد وقد تقدم في
شرح معجبات القلب (٢) حديث المجاهد من جاهد نفسه في ثنائها حديث وضعه . . من
حديث فضالة بن عبيد (٣) حديث كف أذا كف نفسك ولاتباع هواها في معصية الله الحديث
لم أجده هذا السياق .

هو اها فأقبل على نفسه فقال اسمي قد أجبتك بهذا سبع مرات فأبيت أن تسمعي إلا من الجنبه ها قد سمعته ثم انصرف وما عرفه . وقال زيد الرقاشي إليك على الماء البارد في الدنيا لئلا أحرمه في الآخرة . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى متى أنسك قال إذا اشتيت الصمت قال متى أصحت قال إذا اشتيت الكلام . وقال على رضي الله عنه من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا . وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فإذا رأى الشيء يشتهيه قال لنفسه اصبري فوالله ما أملك إلا من كرامتك على ، فأذن قد اتفق العلماء والحكماء على أن لا طريق إلى سعادة الآخرة إلا بنبه النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالإيمان بهذا واجب . وأما على تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك لا يدرك إلا بما قدمناه . وحاصل الرياضة وسرها أن لا تنتفع بنفسك شيئا مما لا يوجد في القبر إلا بقدر الضرورة فيكون مقتصرًا من الأكل والنسك واللباس والسكن وكل ما هو مظفر إليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تفتتج به في الآخرة مجال ولا خلاص منه إلا بأن يكون القلب مشغولًا بمعرفة الله وجهه إلى الدنيا لا من لاحظ له في الآخرة . والله فإذا مات غنى الرجوع إلى الدنيا بسببه ولا يشغل الرجوع والتفكير به والاحتطاع إليه ولا قوة على ذلك إلا بالله . ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الذكر والفكر قسط لمن لم يقدر على حقيقة ذلك فيقرب منه . والناس فيه أربعة : رجل مستغرق قلبه بذكر الله فلا يفتتج إلى الدنيا إلا في ضرورات للعيشة فهو من الصديقين ولا يتنسى إلى هذه الرتبة إلا بالارياة الطويلة والاصبر عن الشهوات مدة مديدة . الثاني رجل استغرق الدنيا قلبه ولم يبق لله تعالى ذكر في قلبه إلا من حيث حدث النفس حيث يذكره باللسان لا بالقلب فهذا من المالكين . والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين ولكن القلب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار إلا أنه ينجو منها سريما بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه . والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا أغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لاحالة لقوة ذكر الله تعالى في قلبه وتمسكه من صميم فؤاده وإن كان ذكر الدنيا أغلب على قلبه ، اللهم إنا نعوذ بك من خزيك فانك أنت المأذ وربما يقول القائل إن التمس بالباح مباح فكيف يكون التمس سبب البعد من الله عز وجل وهذا خيال ضيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة وسبب إحباط كل حسنة واللباح الخارج عن قدر الحاجة أيضا من الدنيا وهو سبب البعد وسيأتي ذلك في كتابي هذا . الدنيا . وقد قال إبراهيم الخواص كنت مرة في جبل السكام فرأيت رمانا فاشتيتته فأخذت منه واحدة فشقتها فوجدتها حامضة ففضيت وتركها فرأيت رمانا مطروحا وقد اجتمعت عليه اثنان فقلت السلام عليك فقال عليك السلام يا إبراهيم فقلت كيف عرفني فقال من عرف الله عز وجل لم يغش عليه شيء فقلت أرى لك حالا مع الله عز وجل فلو سأله أن يعييك من هذه اثنان فقلت وارى لك حالا مع الله تعالى فلو سأله أن يعييك من شهوة الزمان فان تبع الزمان بعدا لكانت له في الآخرة . وبلغ اثنان فوجدته في الدنيا تركته ومضيت . وقال السري أمانند أربعين سنة تطالني غشى أن أغشى خيرة في ديس لما أطعمتها فأذن لا بعن إصلاح القلب لسلك طريق الآخرة ما لم يمنع نفسه عن التمس بالباح فان النفس إذا لم تمنع بعض الباحات طمعت في المحظورات فمن أراد حفظ لسانه عن الفية والنزول خلفه أن يلزمه السكوت إلا عن ذكر الله وإلا عن الهفات في الدين حتى تغوت منه شهوة السكام فلا يشكك إلا بما فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي البصر إلى كل شيء مجمل لم تحفظ عن النظر إلى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لأن الذي يشتهى به الحلال هو بينه الذي يشتهى به الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها من الحرام فان لم يعودها انقصار على قدر الضرورة من الشهوات غلبته ، فهذه إحدى آفات المباحات

الزينة غالب أولاته
وليس ذلك شأن
البتدي فلهو فنية
العلماء فيها ذكرته
تروغ يملكون حاجة
القلب إلى ذلك والشيء
إذا وضع الحاجة بقدر
قدر الحاجة ومعار
مقدار الحاجة في ذلك
علم فامض لا يسل لكل
أحد قال سعيد بن
الداص لا يته اقتصد في
مراكب فلا فراط فيه
ينهب بالباء ويجري
عليك السفهاء وتركه
ينشط التواضع
ويوحش الخاطئين قال
بعضهم الزناح مسلبة
البهاء مقطعة للاخاء
وكما يصعب معرفة
الاعتدال في ذلك يصعب
معرفة الاعتدال في
الشك والضعف من
خصائص الانسان

ورواها آفات عظيمة أعظم من هذه وهو أن النفس تفرح بالتتم في الدنيا وتركن إليها وتطمئن إليها أشراً وبطراً حتى تصير ثمة كالسكران الذي لا يثق من سكره وذلك الفرح بالدنيا سمّ قاتل يسرى في العروق فيخرج من القلب الحوف والحزن وذكر للوت وأحواله يوم القيامة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى - ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها - وقال تعالى - وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع - وقال تعالى - اعلوا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتغاثر ينسك وتكافر في الأموال والأولاد - الآية وكل ذلك ذم لها ففسأل الله السلامة فأقول الحزن من أرباب القلوب جربوا قلوبهم في حال الفرح بمؤاناة الدنيا فوجدوها قاسية ثمرة صيدة التائر عن ذكر الله واليوم الآخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لأثر الله كرفسوا أن النجاة في الحزن الدائم والتباعد من أسباب الفرح والبطر قطعوها من ملاذها وهوودها الصبر عن شهواتها حالها وحرامها وعلوا أن حالها حساب وحرامها عقاب ومقاسمها عتاب وهو نوع عذاب فمن توفى الحساب في عرصات القيامة فقد عذب غلصوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا إلى الحرية ولذلك الدائم في الدنيا والآخرة بالخلص من أسر الشهوات ورقها والأنس بذكر الله عز وجل والاشتغال بطاعته وقلوا بها ما يغفل بالباري إذ قصد تأديبه وشقه من التوب والاستيعاش إلى الاقتراب والتأديب فانه يحبس أولاً في بيت مظلم ونحاط عتائه حتى يحصل به القطام من الطيران في جوارحه وينسى ما قد كان آفة من طبع الاسترسال ثم يرفق به بالغم حتى يأنس بصاحبه ويأمله إذا دعاه أجاه ومهما مع صوته رجع إليه ففك ذلك النفس لثألف برها ولا تأنس بذكره إلا إذا فطمت عن عادتها بالخلوة والعزلة أولاً ليحفظ السمع والبصر عن اللؤلؤ فاشتم عودت التناء والذكر والبهاء ثانياً في الخلوة حتى ينال عليها الأنس بذكر الله عز وجل عوصا عن الأنس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يتقل على الرشد في البداية ثم يتم به في النهاية كالصبي يظلم عن التدي وهو شديد عليه إذا كان لا يصبر عنه ساعة فذلك يشتد بكأوه وجزعه عند الطعام ويشد قوره عن الطعام الذي يقدم إليه بدلا عن اللبن ولكنه إذا منع اللبن رأسا يوما وعظم قبه في الصبر عليه وغلته الجوع تناول الطعام تكلفا ثم يصبره طيبا فلو رد بعد ذلك إلى التدي لم يرجع إليه فيبهر التدي ويألف اللبن ويألف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تنفر عن السرج والجام والركوب فتحمل على ذلك فقرا وتنع عن السرج الذي ألقته بالسلال والقيود أولا ثم تأنس به بحيث تترك في موضعها تنفض فيه من غير قيد ففذلك تؤدب النفس كما يؤدب الطير والدواب وتأديبها بأن تمنع من النظر والأنس والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يرايها بالوت إذ قيل له أحب ما أحببت فانك مفارقة فإذا علم أنه من أحب شيئا يلزمه فراقه وشق لمحالته لفرقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل فكك يتم بالصبر أولا أيما قلائل فان العمر قليل بالاضافة إلى مدة حياة الآخرة وامن قاتل إلا وهو راض بما حال للشقة في سفر وتعلم صناعة وغيرها ليقتم به سنة أو دهرها وكل العمر بالاضافة إلى الأبد أقل من الشبر بالاضافة إلى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة عند الصباح محمد القوم السري وتطلب عنهم حمايات السكري كما قاله على رضى الله عنه . وطريق المجاهدة والرياسة لكل إنسان تختلف حسب اختلاف أحواله والأصل فيه أن يترك كل واحد ما به فرحه من أسباب الدنيا فالتدي يفرح بالمال أو بالجاه أو بالقول أو الوعد أو بالزمن في القضاء والولاية . أو بكثرة الأتباع في التدريس والافادة فينبغي أن يترك أولا ما به فرحه فانه إن منع عن شيء من ذلك وقيل له فهايك في الآخرة لم ينقص بل يكثر فكره ذلك وتأنم به فهو من فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها وذلك مهلك في حقه ثم إذا ترك أسباب الفرح

ومعبره عن جنس الحيوان ولا يصكون الضحك إلا عن سابقه تعجب والتعجب يستدعى الفكر والفكر شرف الإنسان وخاصيته ومعرفة الاعتدال فيه أيضا شأن من ترسخ قدمه في العلم ولهذا قيل إياك وكثرة الضحك فانه يعبث القلب وقيل وكثرة الضحك من المروعة . وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال: إن الله تعالى ينفض الضحك من غير هيب للشاء في غير أرب وف كرفق بين للداعية والزراع قتيل للداعية ما لا يضرب جده وللزراع ما يضرب جده وقد جعل أبو حنيفة رحمه الله القهقهة في الصلاة

فليترك الناس وليغفروا بنفسه وليراقب عليه حتى لا يشغل إلا بذكر الله تعالى والمكر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى يقطع مادته مهما ظهر فإن لكل وسوسة سيئاً لا تزول إلا بقطع ذلك السبب والعلاقة وليلزم ذلك بقية الأمر فليس للجهد آخر إلا بالموت .

(بيان علامات حسن الحاق)

اعلم أن كل إنسان جاهل بعبوب نفسه فإذا جاهد نفسه أدنى مجاهدة حتى يركن وواحد للعاصي ربما يظن بنفسه أنه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من إضاح علامة حسن الحاق فان حسن الحاق هو الإيمان وسوء الحاق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمناقين في كتابه وهي بمثلها ثمرة حسن الحاق وسوء الحاق فلنورد جملة من ذلك لنعلم آية حسن الحاق . قال الله تعالى - قد أقلع المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون - إلى قوله - وأولئك هم الوارثون - وقد عز وجل - التائبون العابدون الحامدون - إلى قوله - وبشر المؤمنين - وقد عز وجل - إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم - إلى قوله - وأولئك هم المؤمنون حقا - وقال تعالى - وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما - إلى آخر السورة . وفي أشكل عليه خاله فليزس نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الحاق وقد جميعها علامة سوء الحاق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما قد حفظه ما وجدته وقد وصف رسول الله ﷺ المؤمنين بصفات كثيرة وأشار بجميعها إلى بحسن الأخلاق قال « المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ^(١) » وقال عليه السلام « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ^(٣) » وقال « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ^(٤) » وذكر أن صفات المؤمنين هي حسن الحاق فقال صلى الله عليه وسلم « أكل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم المؤمن ضلوتا وقورا فادعوا منه فإنه يلقن الحكمة ^(٦) » وقال « من سرت حسنة وساءت به سيئة فهو مؤمن ^(٧) » وقال « لا يحمل المؤمن أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه ^(٨) » وقال عليه السلام « لا يحمل المسلم أن يروع مسلما ^(٩) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما يجالس التجالسان بأمانة الله عز وجل فلا يحمل لأحدهما أن يخشى على أخيه ما يكرهه ^(١٠) » وجمع بعضهم علامات حسن الحاق فقال: هو أن يكون

(١) حديث المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه الشيخان من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (٢) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه متفق عليه من حديث أبي شريح الخزاعي ومن حديث أبي هريرة (٣) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره متفق عليه من حديثها وهو بعض الحديث الذي قبله (٤) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت متفق عليه أيضا من حديثها وهو بعض الذي قبله (٥) حديثاً لكل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا تقدم خير مرة (٦) حديث إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادعوا منه فإنه يلقن الحكمة . من حديث أبي خلد بنظري إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا في الدنيا فقل متفقاً فاقربوا منه فإنه يلقن الحكمة (٧) حديث من سرت حسنة وساءت به سيئة فهو مؤمن أحمد والطبراني وك وصحه على شرطها من حديث أبي موسى ورواه طبرك وصحه على شرط الشيخين من حديث أبي أمانة (٨) حديث لا يحمل المسلم أن يشير إلى أخيه بنظر يؤذيه ابن المبارك في الزهد والرقائق وفي البر والصلة ومرسلا وقد تقدم (٩) حديث لا يحمل المسلم أن يروع مسلما طبرك من حديث النعمان بن بشير والبراز من حديث ابن عمر وإسناده ضعيف (١٠) حديث إنما يجالس التجالسان بأمانة الله

من الذنب وحكم
بطلان الموضوع بها
وقال يقوم الأثم مقام
خروج الخارج
فلا اعتدال في المزاج
والضحك لا يأتي إلا
إذا خلص وخبر من
مضيق الخوف والقبض
والهسية فإنه يقوم
بكل مضيق من هذه
المضايق بعض التفويم
فيتخذ الحال فيه
ويستقيم فاليسقط
والرجاء بنشأن المزاج
والضحك والخوف
والقبض يحكمان فيه
بالعدل . ومن أخلاق
الصوفية ترك التكلف
وذلك أن التكلف
تصنع وتعمل وتمايل
على النفس لأجل الناس
وذلك يبين حال
الصوفية وفي بعضه متنى
منازعة للاقادار وعدم

كثير الحياء قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل القول
برا وصولا وقورا صبورا شكورا راضيا حلوا رفيقا غافيا شفيقا لاهنا ولا سبابا ولا غما ولا مغنا ولا هجولا
ولا حقودا ولا غيلا ولا حودا بشاشا هاشاشا يحب في الله ويمضي في الله ورضى في الله ونضب في الله
فهذا هو حسن الحلق . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال « إن المؤمن
همة في الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همة في الطعام والشراب كالبعوضة » (١) وقال حاتم الأحم
للمؤمن مشغول بالفكر والمبر والمنافق مشغول بالحرس والأمل وللمؤمن آيس من كل أحد إلا الله
والمنافق راح كل أحد إلا الله وللمؤمن آمن من كل أحد إلا من الله والمنافق خائف من كل أحد إلا من
الله وللمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويكي والمنافق يسيء
ويضحك والمؤمن يحب الخلوة والوحدة والمنافق يحب الخلطة والملا والمؤمن يزرع ويحني القصاد والمنافق
يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهى لليساسة فيصلح والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد وأولى
ما يتجنن به حسن الحلق الصبر على الأذى واحتيال الجفاء ومن شككتم سوء خلق غير ذلك على سوء
خلقهم فان حسن الحلق أحبال الأذى . قد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يومئذى ومعه
أنس فأدركه أعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية قال أنس رضى الله عنه
حق نظرت إلى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرت فيه حاشية البرد من شدته جذبه فقال يا أحم
هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك ثم أمر بإعطائه (٢) ولما كثر
قريش إيذاؤه وضربه قال « اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون » (٣) قيل إن هذا يوم أحد فذلك أنزل
الله تعالى فيه - وإنك للى خلق عظيم - ويحك أن إبراهيم بن آدم خرج يوما إلى بئس البراري
فاستقبله رجل جندي فقال أنت عبد قال نعم قال له أين العمران قال أشار إلى المقبرة فقال الجندي إسماعيل أردت
العمران فقال هو المقبرة ففاظطه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجه ورده إلى البلد فاستقبله أصحابه فقالوا
ما الخبر فأخبرهم الجندي ما قاله فقالوا هذا إبراهيم بن آدم فزلا الجندي عن فرسه وقبل بدينه ورجليه وجعل
يحتدر إليه قبل بعد ذلك له لم قلت له أنا عبد فقال إنه لم يأتني عبد من أنت بل قل أنت عبد قلت نعم لأنني
عبد الله فلما ضرب رأسى سألت الله له الجنة قيل كيف وقد ظلك فقال علت أنني أوجر على ما نالني منه
فلم أرد أن يكون نصيبي منه الخير ونصيبى من الشر . ودعى أبو عثان الحنظلي إلى دعوة وكان الداعي قد
أراد تجرته فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه فرجع أبو عثان فلما ذهب غير بعيد دعا ثانيا فقال له
يا أستاذ ارجع فرجع أبو عثان فقال له مثل مقالته الأولى فرجع ثم دعا الثالث وقال ارجع لي ماوجب
الوقت فرجع فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الأولى فرجع أبو عثان ثم جاءه الرابع فغفده حتى عامله
بذلك مرات وأبو عثان لا يتبر من ذلك فأكب على رجليه وقال يا أستاذ إنما أردت أن أختبر لك
أحسن خلقك فقال إن الذي رأيت منى هو خلق السكبان إن السكبان إذا دعوا أجابوا وإذا جازوا جرحوا . وروى
عنه أيضا أنه اجتاز يوما في سكة فطرح عليه إبان قرامد فزله عن دابته فوجد سبعة الشكر ثم جعل
ينفض الزماد عن ثيابه ولم يقل شيئا فقبل ألا زبرتهم فقال إن من استحق التذويع على الرمال لم يجزله

الحديث تقدم في آداب الصبغة (١) حديث مسئل عن علامة للمؤمن والمنافق فقال إن المؤمن همه
في الصلاة والصيام الحديث لم أجده أصلا (٢) حديث كان يمشي فأدركه أعرابي فجذبه جذبا شديدا
وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية الحديث متفق عليه من حديث أنس (٣) حديث اللهم اغفر
لقومي فانهم لا يعلمون حب والبيهي في دلائل النبوة من حديث سهل بن سعد وفي الصحيحين من
حديث ابن مسعود أنه حكاه صلى الله عليه وسلم عن نبي من الأنبياء ضربه قومه .

الرضا بمقام الجبار
ويقال تصوف ترك
التكلف ويقال
التكلف تخلف وهو
تخلف عن شأو
الصادقين . روى أنس
ابن مالك قال شهدت
وليمة لرسول الله ما فيها
خير ولا حلم وروى عن
جابر أنه أتاه ناس من
أصحابه فأنهم غيظ
وخل وقال كلوا فأنى
سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
« نعم الآدم الحل »
وعن سفيان بن سلمة
قال دخلت على سلمان
القمي فأنخرج إلى
خبري وماعا وقال كل
فولأ أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم نهانا
أن نتكلف أحد لأحد
تلكتلك لسك والتكلف
مذموم في جميع

أن يضب ، وروى أن علي بن موسى الرضا رحمه الله عليه كان لوته يميل إلى السواد إذ كانت أمه سوداء وكان ينيب بورجمان على باب داره وكان إذا أراد دخول الحمام فرغه له الحمامي فدخل ذات يوم فأغلق الحمامي الباب ومضى في بعض حوائجه فقدم رجل رستاق إلى باب الحمام ففتحه ودخل فترج ثيابه ودخل فرأى علي بن موسى الرضا فظن أنه بعض خدام الحمام فقال له قم واحمل إلى الماء قدام علي بن موسى وامتل جميع ما كان بأمره به فخرج الحمامي فرأى ثياب الرستاق وسمع كلامه مع علي ابن موسى الرضا فخاف وهرب وخلصها فلما خرج علي بن موسى سأل عن الحمامي فقيل له إنه خاف مما جرى فهرب قال لا ينبغي له أن يهرب إنما الدينان وضع ماله عند أمة سوداء ، وروى أن أبي عبد الله الحياطة كان يجلس على دكانه وكان له حريف مجوسي يستعمله في الحياطة فكان إذا خاط له شيئا حمل إليه دراهم زائفة فكان أبو عبد الله يأخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فاتفق يوما أن أبي عبد الله قام لبعض حاجته فأتى المجوسي فلم يجد دفعه إلى تلميذه الأجرة واسترجع ما قد خاطه فكان درهما زائفا فلما نظره إليه التلميذ عرف أنه زائف فردده عليه فلما عاد أبو عبد الله أخبره بذلك فقال بشي عملت هذا المجوسي يماماني بهذه العملة منذ سنة وأنا أصبر عليه وأخذ الدراهم منه وألقها في البئر للإلصاق بها مسلما . وقال يوسف بن أبي سباط عمالة حسن الخاق عشر خصال : قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طاب المراثي وتحسين ما يبدو من الديارات والتماس العذرة واحتمال الأذى والرجوع بالملامة على النفس والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطبقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه . وسئل سهل عن حسن الخاق فقال : أدناه احتيال الأذى وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه ، وقيل للأخف بن قيس عن تقي بن سلمة قال من تيس بن عاصم قيل وما بلغ من حلمه قال بيئنا وجالس في داره إذ أتته جارية له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له صغير فأت فهدئت الجارية فقال لها لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى . وقيل إن أوسا القرنى كان إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة فكان ية ولهم يا إخوتاه إن كان ولا بد فارموني بالصغار حتى لا يندموا ساقى فتدعوني عن الصلاة ، وشتم رجل الأخف بن قيس وهو لا يجيبه وكان ينيبه فلما قرب من الحى وقف وقال إن كان قد بقي في نفسك شيء فقله كي لا يسممك بعض سفهاء الحى فؤذوك . وروى أن عليا كرم الله وجهه دعا غلاما فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقال إليه فراق مضطجعا فقال أما تدع يا غلام قال بلى قال فما حملك على ترك إجابتي قال أمنت عقوبتك فتكلمت فقال امض فأنت حر لوجه الله تعالى ، وقالت امرأة لمالك بن دينار رحمه الله بامرأتى فقال يا هذه وجدت اسمي الذي أسمته أهل البصرة ، وكان يجيبني زياد الحارثي غلام سوء فقيل له لم تمسكه فقال لأنتم الخلم عليه فبهذه نفوس قد ذللت : الرياضة فاعدلت أخلاقها وتقيت من الفس والذل والمقدد بواطنها فأثمرت الرضا بكل ما قدره الله تعالى وهو متسنى حسن الخاق فان من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه ، فهو لاء ظهرت الدلمات على ظهورهم كاذكرنا . فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي أن يفتقر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي أن يشتغل بالرياضة والمجاهدة إلى أن يبلغ درجة حسن الخلق فانها درجة رفيعة لا ينالها إلا النزيهون والصديقون .

(بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول شروم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم)

اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهره غنية ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما تشاء ومائل إلى كل ما يجال به

الأشياء كالسكف باللبوس للناس من غير نية فيه والتسكف في الكلام وزيادة التماق الذي صار دأب أهل الزمان فما يكاد يسلم من ذلك إلا أحاد وأفراد وهم من متعلق لا يعرف أنه متعلق ولا يظن له تقدي متعلق الشخص إلى حد يخرج به إلى صريح التفائق وهو بيان لحال الصبي . أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح المحروى قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس المجهول قال أنا أبو عيسى الترمذي قال أنا أحمد بن منيع قال أنا يزيد بن هرون هن

إليه دن عود الحبر وعله نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤيد
 وإن عود الشر وأهل إهمال البهائم شق وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالى له وقد قال الله
 عز وجل - يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا - ومهما كان الأدب يصونه عن نار الدنيا
 فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى وصيافته بأن يؤدبه ويهذبه ويملحه بحاسن الأخلاق ويحفظه من القراءات
 السوء ولا يعمده التثمم ولا يجيب إليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضج عمره في طلبها إذا كبر فهلك
 هلاك الأبد بل يبنئ أن يراقبه من أول أمره فلا يستعمل في حضائته وإرضاعه إلا امرأة سالحة متدبنة
 تأكل الحلال فإن اللبن الحاصل من الحرام لا يركه فيه فإذا وقع عليه نشو الصبي انحطت طينته من الحبث
 فيميل طعمه إلى ما يناسب الحيات ومما رأى فيه محال التميز فيبنئ أن يحسن مراقبته وأول ذلك
 ظهور أوائل الحياء فانه إذا كان محتشم ويستحي ويترك بعض الأمعال فليس ذلك إلا لاشراق نور
 العقل عليه حتى يرى بعض الأشياء قبيحا ومخالفا لبعض ضار يستحي من شيء دون شيء وهذه هدية
 من الله تعالى إليه وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكل العقل عند البلوغ
 فالصبي المستحي لا يذنب أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحياته أو تميزه وأول ما يطلب عليه من الصفات
 شرة الطعام فيبنئ أن يؤدب فيه مثل أن لا يأخذ الطعام إلا يمينه وأن يقول عليه باسم الله عند أخذه
 وأن يأكل مما يليه وأن لا يبادر إلى الطعام قبل غيره وأن لا يجحف النظر إليه ولا إلى من يأكل وأن
 لا يسرع في الأكل وأن يجيد اللغز وأن لا يوالى بين اللقم ولا يطلع يده ولا توبه وأن يعود الحبل القفار
 فيبني الأوقات حتى لا يصير بحيث يرى الأدم حقا ويقبح عنده كثرة الأكل بل يشبهه أن
 يكثر الأكل بالبهائم وبأن يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ويعدج عنده الصبي للتأدب القليل
 الأكل وأن يجيب إليه الإتيار بالطعام وقلة اللبالة به والقناعة بالطعام الحشون طعام كان وأن يجيب
 إليه من الثياب البيع دون اللون والاريسم وينثر عنده أن ذلك شأن النساء والمختين وأن الرجال
 يستكفون منه ويكرر ذلك عليه ومهما رأى على صبي ثوبا من إرسم أو ملون فيبنئ أن يستكره
 ويملحه ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين يعودوا التثمم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة
 كل من يسمعه ما يرغبه فيه فإن الصبي مهما أهدأ في ابتداء نشوه خرج في الأغلب ردى الأخلاق
 كذبا حدودا سروقا تماما لحوا ذافصول وضحك وكيد ومجانة وإمحا يحفظ عن جميع ذلك يحسن
 التأديب ثم يشغل في السكت فيعلم القرآن وأحداث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينرس في
 نفسه حب الصالحين ويحفظ من الأشرار التي فيها ذكر العشق وأهله ويحفظ من مخالطة الأدماء الذين
 يزعمون أن ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يخرس في قلوب الصبيان بضر الفساد ثم مهما ظهر
 من الصبي خلق جميل وفضل محمود فيبنئ أن يكرم عليه ويحازر عليه بما يفرح به ويعدج بين أظهر
 الناس فان خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فيبنئ أن يتشافل عنه ويهتك سره ولا يكلفه
 ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله ولا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه فان إظهار
 ذلك عليه ربما يفيد جسارة حتى لا يبالى بالمسكفة فند ذلك إن عاد ثانيا فيبنئ أن يجلب سرا
 ويظم الأمر فيه ويقال له إياك أن تمود بعد ذلك مثل هذا وأن طلع عليك في مثل هذا فختنص
 بين الناس ولا تستكر القول عليه بالتأدب في كل حين فانه يهون عليه سماع اللامدة وركوب القبايع
 ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الأب حافظا هيبة الكلام معه فلا يورعه إلا أحيانا والألم تخوفه
 بالأدب وتزجره عن القبايع ويبنئ أن يمنع عن النوم نهارة فانه يورث الكسل ولا يمنع منه ليل ولكن
 يمنع القرض الوطيئة حتى تصلب أعضاؤه ولا يسمد بدنه فلا يصير عن التثمم بل جود الحشونة للقرش

محمد بن مطرف عن
 حسان بن عطية عن
 أبي أمامة عن النبي صلى
 الله عليه وسلم قال
 «الحياء والعلى شبتان
 من الإيمان والبذاء
 والبيان شبتان من
 النفاق» البذاء الفحش
 وأراد بالبيان ههنا
 كثرة الكلام والتكاف
 للناس زيادة تفاق
 وتناء عليهم وإظهار
 التفصص وذلك ليس
 من شأن أهل الصديق
 وحكى عن أبي وائل
 قال مضى مع صاحب
 لي تزور سلمان قدم
 إلينا خبز كبير وماعا
 جريشا فقال صاحبي
 لو كان في هذا الملح
 ستمن أن أطيب فخرج
 سلمان ورهن مظهرته
 وأخذ ستمرا فلما أكلنا
 قال صاحبي الحمد لله

واللبس والطعم وينبغي أن يمنع من كل ما يغلبه في خفية فانه لا يخفيه إلا وهو يستدنه فبحق فإذ أرك
تمود فصل التبيح ويسود في بعض النهار لكثير الحركة والرياسة حتى لا يظلم عليه الكسل ويسود
أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه بل يضمهما إلى صدره ويمنع من أن يتنحصر
أثرانه بشيء مما يملكه والده أو غيره من مطاعمه وملايسه وألوحه ودوابه بل يسود التواضع والأكرام
لكل من عاشره والتلطيف في الكلام معهم ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيئاً بدله حشمة إن
كان من أولاد المهتمشين بل يعلم أن الرقة في الإعطاء لا في الأخذ وأن الأخذ يؤم وخشوعه ودان
كان من أولاد الفقراء فليعلم أن الطعم والأخذ مهانة وذلة وأن ذلك من دأب الكلب فانه يصعب
في انتظار لقمة والطعم فيها . وبالجملة فيجب إلى الصبيان حب الذهب والفضة والطعم فيها وعذرهما
أكثر مما يجدر من الحيات والعقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطعم فيها أضر من آفة
السوم على الصبيان بل على الأكابر أيضاً وينبغي أن يود أن لا يسبق في مجلسه ولا يتخطو ولا يتناوب
بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلاً على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يمد يده بساعده
فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك يدل على الوجاعة
وأنه فعل أبناء اللثام ويمنع الميخنة رأساً ساداً كان أو كاذباً حتى لا يعتاد ذلك في الصغر ويمنع أن يتدنى
بالكلاب ويورد أن لا يتكلم إلا جواباً وبقدر السؤال وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره عن هو
أكبر منه سناً وأن يقوم لمن فوته ويوسع له للسكان ويجلس بين يديه ويمنع من لقو الكلام وخفة
ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فان ذلك يسرى لا محالة من
القرناء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء وينبغي إذا حضر به المعلم أن لا يكثر الصراخ
والشغب ولا يستشفع بأحد بل يصبر ويذكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال وأن كثرة الصراخ
دأب للمالِك والنسوان وينبغي أن يؤذنه بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب بالعبابلا يستريح
إليه من تعب السكت بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائماً
يبت قلبه ويطل ذكاه وينقص عليه الميشت حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً ، وينبغي
أن يعلم طاعة والده ومعلمه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سناً من قريب وأجنبي وأن ينظر إليهم
بين الجلالة والتعظيم وأن يترك اللعب بين أيديهم ومهما بلغ سن التمييز ، فينبغي أن لا يسمح في
ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان ويحب لبس الديباج والحريز والذهب
ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود السرع ، ويخوف من السرقة وأكل الحرام ومن الحيانة
والكذب والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فإذا وقع نشوه كذلك في الصبا فبها قارب البلوغ
أمكن أن يعرف أسرار هذه الأمور ، فيذكر له أن الأطعمة أدوية وإنما القصد منها أن ينوي
الإنسان بها على طاعة الله عز وجل ، وأن الدنيا كلها لا أصل لها إذ لا ثبات لها ، وأن اللوث يقطع
فيها ، وأنها دار ممر لا دار مقر ، وأن الآخرة دار مقر لا دار ممر ، وأن اللوث ينتظر في كل ساعة
وأن الكيس الحافل من زود من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى ويقنع نعيمه
في الجنان فانما كان النشوة سالماً كان هذا الكلام عند البلوغ واقفاً مؤثراً ناجحاً ثبت في قلبه كما
ثبت النقش في الحجر ، وإن وقع النشوة بخلاف ذلك حتى ألف الصبي اللعب والفحش والوقاحة
وشرب الطعام واللباس والزينة والتفاخر بنا قلبه عن قبول الحق نبوة الحافظ عن التراب اليابس
فأوائل الأمور هي التي يبيى أن تراعى فان الصبي بمجوهه خلق قابلاً للخير والشر جميعاً وإنما
أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين . قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وإنما

الذي فطرنا بما رزقنا
فقال سلمان لو قتلت
بما رزقك لم تكن
مطهرت مرهونة وفي
هذان سلمان ترك
التسكف قولاً وفعلًا
وفي حديث يونس النبي
عليه السلام أنه زاره
إخوانه قسم إليهم
كرام من خبز شعير
وجز لهم بقل كان
يرزعه ثم قال لولا أن
الله لمن للتكفين
لتكلفت لكم قال
بضمهم إذا قصت
لزيارة قدم ماحضر
وإذا استرزت فلا تبق
ولا تخذ وروى الزبير
ابن العوام قال نادى
منادى رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يوماً يا اللهم اغفر
للذين يمعنون

أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه (١) قال سهل بن عبد الله التستري كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأناظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوما ألا تذكر الله الذي خلقك قلت كيف أذكره قال قل بقلبك عند نضلك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معي الله ناظر إلى الله شاهد قلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال قل في كل ليلة سبع مرات قلت ذلك ثم أعلمته فقال قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة فقلته فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينمك في الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يسهل من كان الله معه وناظرا إليه وشاهده أبعده إليك واللعبة فكنت أخلو بنفسى فيمشوا بي إلى المكتب قلت إنى لأشقى أن بتفرق على همى ولكن شارطوا العلم أنى أذهب إليه ساعة فأعلم ثم أرجع فغضيت إلى الكتاب فتملت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أسوم الدهر وقوتى من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة فوكت لي مسئلة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهل أن يشعروا إلى أهل البصرة لأسأل عنها فأثبت البصرة فسألت علماءها فلم يشف أحد عنى شيئا فخرجت إلى عبادان إلى رجل يعرف بأبى حبيب حمزة بن أبى عبد الله العبادانى فسأله عنها فأجابنى فأثقت عنده مدة أنشع بكلامه وأنادب بأدابه ثم رجعت إلى تستر فجعلت قوتى اقتصادا لي أن يشتري لي يدرم من الشعير الفرق فيطحن ويغزى لي فأفطر عند السحر على أوقية كل ليلة بمنا بغير ملح ولا أدم فكان يكفى ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على أن أطوى ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم خسا ثم سبعاً ثم خسا وعشرين ليلة فكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت أسبغ في الأرض سنين ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله ماشاء الله تعالى قال أحمد لما رأته أكل الملح حتى لقي الله تعالى .

(بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدرج الريد في سلوك سبيل الرياضة)

واعلم أن من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مریداً حارث الآخرة مستقاراً إليها سالكاً سبيلها مستبيناً بنسيم الدنيا ولذاتها فإن من كانت عنده خزره فرأى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة في الحرز وقويت إرادته في يمعها بالجوهرة ومن ليس مریداً حارث الآخرة ولا طالباً للقاء الله تعالى فهو لعدم إيمانه بالله واليوم الآخر ولست أعنى بالإيمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق وإخلاص فإن ذلك يضاهي قول من صدق بأن الجوهرة خير من الحرز إلا أنه لا يدري من الجوهرة إلا لفظها وأما حقيقتها فلا ومثل هذا الصدق إذا ألف الحرز قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه إلى الجوهرة فاذن السانع من الوصول عدم السنوك والسانع من السلوك عدم الارادة والسانع من الارادة عدم الإيمان وسبب عدم الإيمان عدم الهداة وللذكرين والصلوات الله تعالى المصادق إلى طريقه والتبيين على حقارة الدنيا وانحرافها وعظم أمر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون قد اتهمكوا في شهواتهم وغاصوا في رقعتهم وليس في عناء الدين من ينهم فإن تنبه منهم متنبه همز عن سلوك الطريق لجهله فإن طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين إلى الهوى فادليل عن سبيل الطريق قصار صنف الارادة والميل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سبيل فخلو طريق الله تعالى عن السالكين فيه ومهما كان المطلوب محجوباً بالدليل مفقوداً والهوى غالباً والطالب غافلاً امتنع الوصول وتمطلت الطرق لاهالة فإن تنبه منهم من خسه أومن تنبه غيره وانبث له إرادة في حارث الآخرة ونجارتها فينبى أن يعلم أن له شروطاً لابد من تقديمها في بداية الارادة قوله متمصم (١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة .

لأموات أسقى ولا يشكفون إلا إلى ربي من التكلف وصالحو أمق وروى أن عمر رضي الله عنه قرأ قوله تعالى - فأنبتا فيها جبا وعبا وقضيا وزيتونا ونخلًا وحدائق غلبا وفاكحة وأبا - ثم قال هذا كله قد عرفناه فسا الأب قال ويسد تمر عصاه فضر بها الأرض ثم قال هذا لعمرك هو التكلف نفيدوا أيها الناس ما بين لكم منه فما عرفتم أعمالوا به ومن لم تعرفوا فسكوا عنه إلى الله . ومن أشلاق الصوفية الاتفاق من خسر إقتار وترك لرايادار ذلك أن الله في يرى خزائن فضل الحق فهو بمثابة

لا يبدن من التسلية به وله حصن لا يبدن الحصن به ليأمن من الأعداء القطاع لطريقه وعليه وظائف لا يبدن ملازماتها في وقت سلوك الطريق. أما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة فهي رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى - وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يصرون - والسد بين الريد وبين الحق أربعة: المال والجاه والتقليد والصلة وإنما يرفع حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يبق له إلا قدر الضرورة فيما دام يبق له درهم يلتفت إليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله عز وجل وإنما يرفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه بالتواضع وإظهار الخجل والحرب من أسباب الذكر وتماطى أعمال تنفر قلوب الخلق عنه وإنما يرفع حجاب التقليد بأن يترك التصب للذهاب وأن يصدق بمعنى قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله تصديق إيمان ومحرس في تحقيق صدقه بأن يرفع كل معبود له سوى الله تعالى وأعظم معبود له الهوى حتى إذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الأمر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليداً فينبغي أن يطلب كشف ذلك من المجاهدة لآمن المجاهدة فان غلب عليه التصب لمعتقه ولم يبق في نفسه متسع لغيره صار ذلك قيده وحجاباً إذا لم يس من شرط الريد الانثناء إلى منهج معين أصلاً وأما الصلة فهي حجاب ولا يرفعها إلا التوبة والخروج من الظالم وتقسيم الزعم على ترك العود وتحقيق الذمم على ماضى ورد المظالم وإرضاء المحروم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر الماصي الظاهرة وأراد أن يتف على أسرار الدين بالكاشفة كان كمن يريد أن يفت على أسرار القرآن وتفسيره وهو بعد لم يتعلم لغة العرب فان ترجمة عرية القرآن لا يبدن تقديمها أولاً ثم الترقى منها إلى أسرار معانيه فكذلك لا يبدن تصحيح ظاهر الشريعة أولاً وآخرها ثم الترقى إلى أغوارها وأسرارها فاذا قدم هذه الشروط الأربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحاً للصلاة فيحتاج إلى إمام يقتدى به فكذلك الريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدى به للاحالة ليهدي إلى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبيل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه فاده الشيطان إلى طرقة للاحالة فمن سلك سبيل البوادي للهلكة بغير خفيّر قد خاطر بنفسه وأهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تثبت بنفسها فانها تحرف على القرب وإن بقيت مدة وأورقت ثم شعر فتمتع الريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الأعشى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض أمره إليه بالسلكة ولا يغتر به ودمه ولا صدره ولا يلقى في متابته شيئاً ولا يدر وليلعلم أن نفسه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفسه في صواب نفسه لو أصاب فاذا وجد مثل هذا التعمم وجب على منعتهم أن يحبه ويصمه بمحسن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو أربعة أمور : الخلو والصمت والجوع والسر وهذا تحصن من القواطع فان مقصود المرید إصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه أما الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيّضه وفي يأسه نوره وبذنب شحم التؤاد وفي ذواته رفته ، ورفته مفتاح الكاشفة كما أن قساوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب نقص مئتي مسلك العدو فان مجاريه العروق للمتلفة بالشهوات وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحوارين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل بن عبد الله التستري ما صار الأبدال إلا بأربع خصال : بإخماس البطون ، والسر ، والصمت ، والاعتزال عن الناس فتائدة الجوع في تنوير القلب أمر ظاهر يشهد له التجربة وسياق بيان وجه التدرج فيه في كتاب كسر الشهوتين . وأما السر فانه يحلو القلب ويصفيه وينوره فيذف ذلك إلى الصفاء الذي حصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدرى والذرة الهلوة فيلوح فيه جمال

من هو مقبب على شاطئ البحر ولا يدخر الساء في قربته وراويه . روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن يوم إلا له ملكان ناديان فيقول أحدهما اللهم أعطنا فافعلنا والآخر اللهم أعط مسكنا فافعلنا » وروى أنس قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئاً لنفسه » . وروى أنه « أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث طوائر فأطمع خادمه طيراً فلما كان القد أتاه به فقال رسول الله ألم أنهك أن تخبأ شيئاً لنفسك فان الله تعالى يأكل

الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتنا فتمّ بذلك رغبته عن الدنيا وإقباله على الآخرة والسر أيضاً نتيجة الجوع فإن السر مع الشبع غير ممكن والنوم يفسد القلب ويمتدح إلا إذا كان جُهد الضرورة فيكون سبب للكشف لأسرار القلب قد قيل في صفة الأبدال إن أكلهم قاعة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال إبراهيم الخواص رحمه الله أجمع رأى سبعين صديقاً على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء . وأما الصمت فانه تسهيل للزلة ولكن المثلل لا يغلب

عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشراؤه وتدير أمره فينبغي أن لا يتكلم إلا بقدر الضرورة فإن الكلام يشغل القلب ويشره القلوب إلى الكلام عظيم فانه يمتدح إليه ويستقل التجرد لذلك والفكر فيستريح إليه فالصمت يلحق العقل ويجلب الودع ويمل التقوى . وأما الخلوة فمما دفع الشواغل ومنبت السمع والبصر فانها مهدية القلب والقلب في حكم حوض تصب إليه مياه كربة كدرة قدرة من آثار الخواص ومتعود الرياضة تخريج الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها لينتشر أصل الحوض ويخرج منه الماء النظيف الطاهر وكيف يصح له أن يخرج الماء من الحوض والأنهار مفتوحة إليه فيجسد في كل حال أكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الخواص إلا أن قدر الضرورة وليس يتم ذلك إلا بالخلوة في بيت مظلم وإن لم يكن له مكان مظلم فليقل رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أو إزار ففي مثل هذه الحالة يسمح نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية أما ترى أن نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو يمثل هذه الصفة قيل له يا أيها المزمّل يا أيها اللدث (١) فهذه الأربعة جنة وحسن بها تدفع عنه القواطع وتغني العوارض القاطعة للطريق فإذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وإنما سلوكه بقطع الثقات ولا عتبة على طريق الله تعالى إلا بصفات القلب التي سببها الالتفات إلى الدنيا وبسبب تلك الصفات أعظم من بسبب والترتيب في قطعها أن يشتغل بالأسهل فالأيسر وهي تلك الصفات أعني أسرار الملائق التي قطعها في أول الإرادة وآثارها أعني اللال والماء وحب الدنيا والالتفات إلى الخلق والتشرف إلى العاصي فلا بد أن يغلب الباطن عن آثارها كما أغلب الظاهر عن أسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الأحوال فرب شخص قد كفي أكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا أن طريق المجاهدة مضادة الشهوات ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس الريد كما سبق ذكره فإذا كفي ذلك أضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة عنه بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام وعنه من تكثير الأوراد والظاهر بل يقتصر على الترائف والرواب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الأوراد ويمرّها أعني ملازمة القاب لذكر الله تعالى بعد الخلوة من ذكر غيره ولا يشغله به مادام قلبه ملتفتا إلى علاقه قال الشبلي المحمدي إن كان يخطر بقلبك من الجملة التي تأتي في الجملة الأخرى شيء عير الله تعالى لحرام عليك أن تأتيه وهذا التجرد لا يحصل إلا مع صدق الإرادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون في صورة العاشق للشيء الذي ليس له إلا هو واحد فإذا كان كذلك أثمره الشيخ زاوية بفرد بها ويؤكد به من

برزق كل غشدة .

وروى أبو هريرة

رضي الله عنه « أن

رسول الله صلى الله

عليه وسلم دخل على

بلال وعنده صبرة من

تمر فقال ما هذا يا بلال

قال أدخر يا رسول

الله قال أما تخشى أنثى

بلالا ولا تخشى من

ذي العرش إغلا .

وروى أن عيسى ابن

مريم صلى الله عليه

وسلم كان يأكل الشجر

ويلبس الشعر ويبيت

حيث أمسى ولم يكن

له ولد يموت ولا يات

بحرب ولا يخاف شيئا

فقد . قال الصوفي كل خيابة

في خزائن الله لصدق

توكله وتخشه بره

فالدنيا للصوص كدار

الغربة ليس فيها

أدخار ولا له منها

(١) حديث بدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مدثر قليل له يا أيها المزمّل يا أيها اللدث متفق عليه من حديث جابر جاورت بمراء فلما قضيت جوارى هبطت فتودت فنظرت عن يميني الحديث وفيه فأبيت خديجة فقلت دثروني وصبا على الماء باردا فدثروني وصبا على ماء باردا قال فنزلت يا أيها اللدث وفي رواية فقلت زمّلوني زمّلوني ولها من حديث عائشة قال زمّلوني زمّلوني فزمّلوه حتى ذهب عنه الروع .

يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فان أصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلتفت ذكرا من الأذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا الله أو سبحان الله سبحان الله أو ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواطىء عليه حتى تسقط حركة اللسان وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواطىء عليه حتى يسقط الأثر عن اللسان ويبقى صورة القفط في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يبقى على القلب حروف القفط وصورته ويبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة معه قالية عليه قد فرغ من كل ما سواه لأن القلب إذا شغل بشيء خلا عن غيره أي شيء كان فإذا اشتغل يذكر الله تعالى وهو المقصود خلا لما حله عن غيره وعند ذلك يلزمه أن يراقب وساوس القلب والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتلذذ بها كما قدمي من أحواله وأحوال غيره فإنه مهما اشتغل بشيء منه ولو في لحظة فخلقه عن الذكر في تلك اللحظة وكان أيضا قصصا فليجتهد في دفع ذلك ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس إلى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة وأنها ما هي وما هي قولنا الله ولأى معنى كان لها وكان مسبوا ويستره عند ذلك خواطر تنفتح عليه باب الفسك وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو أكثر وبدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشعرا لإباطه عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة إلى ما يلي فطما أن الله تعالى منزّه عنه ولكن الشيطان يلقى ذلك في قلبه ويجره على خاطره فصرطه أن لا يبالى به ويغرض إلى ذكر الله تعالى وينتقل إليه ليفضه عنه كما قال تعالى - وإما يزغنا من الشيطان نزع فاشتمع بالله إنه مبيع علم - وقال تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وإلى ما يشك فيه فينبغي أن يرض ذلك على شيخه بل على ما يجد في قلبه من الأحوال من قرة أو نشاط أو اتفات إلى عقله أو صدق في إرادة فينبغي أن يظهر ذلك لشيخه وأن يستره عن غيره فلا يطلع عليه أحدا ثم إن شيخه ينظر في حاله ويتأمل في ذكائه وكياسته فلو علم أنه لورثه وأمره بالفكر تنبه من نفسه على حقيقة الحق فينبغي أن يحمله على الفكر ويأمره بملازمته حتى يقدف في قلبه من النور ما يكشف له حقيقة وإن علم أن ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده إلى الاعتقاد القاطع بما يحمله قلبه من وعظ وذكر ودليل تقرب من فهمه وينبغي أن يتأنق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواضع أخطارها فكم من مرشد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فاقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الإباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد لذلك ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يزل عن أمثال هذه الأفكار فانه قد ترك بسنية الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وإن أخطأ كان من المالكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «عليكم بدین السجائر» وهو تلقى أصل الإيمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال بأعمال الخير فان الخطر في المدول عن ذلك كثير ولذلك قيل يجب على الشيخ أن يفرس في الريد فان لم يكن ذكيا فلنا متسكنا من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يرد إلى الأعمال الظاهرة والأوراد للتوارة أو يشغله بخدمة التجردين للفكر لتشغله بركنهم فان العاجز عن المجاهد في صف القتال ينبغي أن يسقى القوم ويهدم دوابهم ليحضر يوم القيامة في ذمتهم وقسمه بركنهم وإن كان

(١) حديث عليكم بدین السجائر قال ابن طاهر في كتاب التذكرة هذا اللفظ تداوله العامة ولم أقف له على أصل يرجع إليه من رواية صحيحة ولا سقيمة حتى رأيت حديثا لعمد بن عبد الرحمن بن السلمي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان في آخر الزمان واختلف الأهواء فليعلم بدین أهل البادية والنساء وابن السلمي عن أبيه عن ابن عمر نسخة كان بينهم موضعها انتهى وهذا اللفظ من هذا الوجه رواه حب في الضعفاء في ترجمة ابن السلمي والله أعلم .

استكثر قال عليه السلام «لو توكلتم على الحق توكل لرزقكم كما يرزق الطير تنمو خماسا وتروح بطنان» أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب قال أنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبي عبد الله الماليني قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن الداودي قال أنا أبو محمد عبد الله السرخسي قال أنا أبو عمران السمرقندي قال أنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال أنا محمد ابن يوسف عن سفيان عن ابن التكر عن جابر قال ما مثل النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا قال ابن عيينة إذا لم يكن عنده وعد وبلاستاه

لا يبلغ درجته ثم الريد للتجرد للذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما يتكشف من الأحوال وما يدوس أوائل الكرامات ومنها التفت إلى شيء من ذلك وغفلت به عنه كان ذلك تحورا في طريقه ووقوفه بل يبين أن يلزم حاله جملة عمره ملازمة العطفان الذي لا تزويه البحار ولوقايفت عليه ويدوم على ذلك ورأس ماله الاخطاع من الخلق إلى الخلق والخلق قال بمن السابحين قلت ليس الأبدال للتعطين عن الخلق كيف الطريق إلى التحقيق فقال أن تكون في الدنيا كأنك غير طريق وقال مرة قلت له دلي على عمل أجد قلبي فيه مع الله تعالى على الدوام فقال لا تنظر إلى الخلق فان النظر إليهم غلبة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تسلك لهم فان كلهم قوة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت أنا حين أظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن إليهم فان السكون إليهم حيلة قلت هذا لعله قال يا هذا أنتظر إلى الغافلين ونسج كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد أن تجذبك مع الله تعالى على الدوام ؟ هذا ما لا يكون أبدا فإذا منتهى الرياضة أن يجد قلبه مع الله تعالى على الدوام ولا يمكن ذلك إلا بأن يغتنى عن غيره ولا يغنى عن غيره إلا بطول المجاهدة فإذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشفه جلال الحضرة الربوبية وبجله الحق وظهر لمن لطائف الله تعالى ما لا يجوز أن يوصف بل لا يحيط به الوصف أصلا وإذا انكشف الريد شيء من ذلك فأعظم القواطع عليه أن يشكك به وسعيا وسعيا وتذكر فتدرك النفس فيه قوة ليس واماها قوة فدعوه تلك القوة إلى أن يتفكر في كيفية إيراد تلك اللما وتحمين الأقطار للعبرة عنها وترتيب ذكرها وترتيبها بالمسكيات وشواهد القرآن والأخبار وتحسين صنعة الكلام قليل إلى القلوب والأصابع فرما يغزل إليه الشيطان أن هذا إحياء منك تقارب للو الغافلين عن الله تعالى وإنما أنت واسطة بين الله تعالى وبين الخلق تدعو عباده إليه وما لك فيه نصيب ولا تنفك فيه قوة ويضع كيد الشيطان بأن يظهر في أقرانه من يكون أحسن كلاماته وأجزل لقطا وأندر على استجلاب قلوب الدوام فانه يتحرك في باطنه عقرب الحسد لاهالة إن كان محركة كيد القبول وإن كان محركة هو الحق حرصا على دعوة عباده الله تعالى إلى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه ويقول الحمد لله الذي عضدني وأيدني بمن وازرنى على إصلاح عياده كالدلي وجب عليه مثلا أن يعمل ميتا ليفده إلا وجده ضالما وتبين عليه ذلك شرعا فجاء من أعانه عليه فانه يفرح به ولا يحسد من يمينه والغافلون موت القلوب والرواحم للبهون والميون لهم ففي كثرتهم استرواح وتاصر فينبغي أن يعظم الفرح بذلك وهذا عزز الوجود جدا فينبغي أن يكون الريد على حذر منه فانه أعظم حبال الشيطان في قطع الطريق على من اتهمته له أوائل الطريق فان إظهار الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال الله تعالى - بل تؤثرون الحياة الدنيا - ثم بين أن الشر قديم في الطباع وأن ذلك مذكور في الكتب السابقة فقال - إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى - فهذا مناجاة رضاء الريد وتزيته في التدرج إلى لقاء الله تعالى . فأما تخصيص الرياضة في كل صفة فسيأتي فان أغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولسانه أعنى به الشهوات المتعلقة بها ثم التضب الذي هو كالجد لجناية الشهوات ثم مهما أحب الانسان شهوة البطن والفرج وأنسى بهما أحب الدنيا ولم يتمكن منها إلا بالمال والجاه وإذا طلب للمال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة وإذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدنيا رأسا وتمسك من الدين بما فيه الرياضة وغلب عليه الضرور فلهذا وجب علينا بعد هدم هذين السكتين أن نستكمل ربيع للمهلكات بثانية كتب إني شاء الله تعالى : كتاب في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب في آفات اللسان وكتاب في كسر التضب والمحق والحسد وكتاب في دم الدنيا

عن الهادي قال أنا
يعقوب بن حميد قال
أنا عبد العزيز بن
محمد عن ابن أبي
الزهري قال إن جيزيل
عليه السلام قال ما في
الأرض أهل عشرة
من آيات إلا قلبهم
لما وجدت أحدا أعبد
إضافة لهذا لال من
رسول الله صلى الله
عليه وسلم [ومن
أخلاق الصوفية القناعة
بالبسر من الدنيا] .
قال ذوالنون للصري :
من وقع استراح من
أهل زمانه واستطال
على أقرانه وقال بشر
ابن الحرث لو لم يكن
في القناعة إلا الفتح العز
لكني صابغة وقال
بنان الجال :

الحري عبد مطمع
والبصد حر مائع

وتفصيل خدعها وكتاب في كسر حب المال وذم البخل وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه وكتاب في ذم الكبر والمجب وكتاب في مواقع الفرور وبذكر هذه الهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربيع الهلكات إن شاء الله تعالى فإن ما ذكرناه في الكتاب الأول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن الهلكات والتبنيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو إشارة كلية إلى طريق تهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلوب أما تفصيلها فانه يأتي في هذه الكتب إن شاء الله تعالى. ثم كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق لمحمد بن عوف بن وهب بن نوفية ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين والحد في وحدته وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

﴿ كتاب كسر الشهوتين ﴾

(وهو الكتاب الثالث من ربيع الهلكات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الفرد بالجلال في كبرياته وتعاله للمتقين والتقديس والتسبيح والتثنية القائم بالعدل فيما يرمه ويتضيق للتلوث بالفضل فيما يتم به ويسد به التكفل بحفظ عبده في جميع موارد مجاريه للنم عليه بما يزيد على ممرات مقاصده بل بما ينفي بأمانيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يبينه ويحيي وإذا مرض فهو يشفيه وإذا ضل فهو يقويه وهو الذي يوقه للطاعة ويرتقيه وهو الذي يطمعه ويستبى ويحفظه من الهلاك ويحبه وعمره بالطعام والشراب عما يهلكه ويرد به ويكفه من القناعة بقدر القوت ويقربه حق تضيق به مجارى الشيطان الذى يناوئه ويكرسه شهوة النفس التى تعاديه فيدفع شرها ثم يبدد به ويتبى هذا بعد أن يوسع عليه ما يلد به ويشبهه ويكر عليه ما يهيج بواعثه ويؤكد دواعيه كل ذلك يمتحنه به ويبتليه فينظر كيف يؤثر على ما يهواه وينتجبه وكيف يحفظ أوامره وينتهى عن نواهيه ويواظب على طاعته ويترجم عن معاصيه والصلاة على محمد عبده النبي وسوله الوجه صلاة زلفه وتحظيه وترفع منزلته وتمليه وعلى الأبرار من عترته وأقربيه والأخيار من صحبائه وتابعيه .

[أما بعد] فأعظم الهلكات لأن آدم شهوة البطن فيها أخرج آدم عليه السلام وحواه من دار القرار إلى دار الدل والافتقار إذ نهيا عن الشجرة ففأبتهما شهواتهما حتى أكلتا منها فبدت لهما مساواتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الأدواء والآفات إذ يتبعهما شهوة الفرج وشدة الشوق إلى المشكوحات ثم تتبع شهوة الطعام والتسكك شدة الرغبة في الجاه والمسال للذين هم أوسر إليه إلى توسع في المشكوحات والمطلوبات ثم يتبع استكثار المسال والجاه أنواع الرعونات وضروب المناصات والمهادنات ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكبر وأما شهوة البطن فتنادى إلى الحقد والحسد والمداواة والبغضاء ثم ينفض ذلك يصاحبه إلى اقتحام البغي والمسكرات والفتنة وكل ذلك ثمرة إهمال المدد وما يتولد منها من بطن الشبع والامتلاء ولو ذلل البدن نفسه بالجوع وضيق به مجارى الشيطان لأدعت للطاعة عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والظفان ولم ينجر به ذلك إلى الانهماك في الدنيا وإشار المعالجة على الصغي ولم يتسلك كل هذا التسكك على الدنيا وإذا عظمت آفة شهوة البطن إلى هذا الحد ونجس شرح غوائلها وآفاتنا تحذيرا منها ووجب إضاح طريق المجاهدة لها والنتية على تضام أثرها

﴿ كتاب كسر الشهوتين ﴾

وقال بعضهم انتم من حرمك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص . وقال أبو بكر المرافى العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسويق ودبر أمر الآخرة بالحرس والتعجيل . وقال يحيى بن معاذ من قنع بالرزق فقد ذهب بالآخرة وطاب عيشه . وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه القناعة سيف لا ينيو . أحسبنا أبو زرعة عن أبيه أن الفضل قال أنا أبو القاسم عبد الله بن الحسن الخلل ينفذوا قال أنا أبو حفص عمر بن إبراهيم قال حدثنا أبو القاسم البغوي قال

فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بدون الله تعالى في فصول مجعما بيان فضيلة الجوع ثم فوائده ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتأخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيله باختلاف أحوال الناس ثم بيان الرياضة في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المرء في ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيله من مخالفة شهوة البطن والفرج والبطن .

(بيان فضيلة الجوع وذم الشبع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وأنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش» (١) وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه» (٢) وقيل يا رسول الله أي الناس أفضل قال من قل طعمه وشحكه ورضى بما يستر به عورته» (٣) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف» (٤) وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «السواوكلوا واشربوا في أنصاف البطون فانه جزء من النبوة» (٥) وقال الحسن قال النبي ﷺ «الفسكر نصف العبادة وثقة الطعام هي العبادة» (٦) وقال الحسن أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أفضلكم عند الله من يوم القيامة كل شروب أطولكم جوعا ونفركم في الله سبحانه وأفضلكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل شروب أكره شروب» (٧) وفي الخبر «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز» (٨) أي مختارا لذلك وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يباهي لللائكة بمن قل طعمه ومشر به في الدنيا يقول الله تعالى انظروا إلى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فصر وتركهما اشهدوا بإملائي مامن أكله بدعيه إلا أمدته بأدراج في الجنة» (٩) وقال صلى الله عليه وسلم «لا يمتلأ القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب كالزروع يموت إذا كثر عليه الماء» (١٠) وقال صلى الله عليه وسلم «ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيات يقمن عليه وإن كان لا بد فاعلا قللت لطعامه وثقلت لشرابه وثقلت لنفسه» (١١) وفي حديث أسامة بن زيد وحديث أبي هريرة الطويل ذكر فضيلة الجوع إذ قال فيه «إن أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الأخياء الأتقياء الذين إن شهدوا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا وتمرهم بقاء الأرض ونحف بهم ملائكة السماء ثم الناس بالدينا وضمو بطاعة الله عز وجل اقترش الناس القرش الوثيرة واقرشوا الجباه والركب ضيع الناس فضل التبيين وأخلاقهم وحفظوها ثم بكى الأرض إذا قدتمهم ويسخط الجبار كل على

(١) حديث جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش لم أجده له أصلا (٢) حديث ابن عباس لا يدخل ملكوت السموات من ملأ بطنه لم أجده أيضا (٣) حديث أي الناس أفضل قال من قل طعمه وشحكه ورضى بما يستر عورته يأتي السلام عليه وعلى ما بعده من الأحاديث (٤) حديث سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف (٥) حديث أبي سعيد الخدري السواوكلوا واشربوا في أنصاف البطون (٦) حديث الفسكر نصف العبادة وثقة الطعام هي العبادة (٧) حديث الحسن أفضلكم عند الله أطولكم جوعا ونفركم في الجنة الحديث لم أجده لهذا الحديث التقدمة أصلا (٨) حديث كان يجوع من غير عوز أي مختارا لذلك البيهقي في شعب الإيمان من حديث عائشة قالت لو شئنا أن نضع لشعنا ولكن محمدا ﷺ كان يؤثر على نفسه وإنسانه معضل (٩) حديث إن الله يباهي لللائكة بمن قل طعمه في الدنيا الحديث ابن عدي في الكامل وقد تقدم في الصيام (١٠) حديث لا يمتلأ القلوب بكثرة الطعام والشراب الحديث لم أجده له على أصل (١١) حديث ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه الحديث ضمن حديث التقديم وقد تقدم.

حدثنا محمد بن عباد
قال حدثنا أبو سعيد
عن صدقة بن الربيع
عن حمارة بن عزية
عن عبد الرحمن بن
أبي سعيد عن أبيه
قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وهو على الأعواد يقول
«ما قل وكفى خير مما
كثر وألمس» وروى
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال «قد
أفلق من أسلم وكان
رزقه ككفانا ثم
صر عليه» وروى
أبو هريرة رضي الله
عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعا
وقال «اللهم اجعل رزق
آل محمد قوتا» وروى
جابر رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال «التقاعه مال

بلدة ليس فيها منهم أحد لم يتكلموا على الدنيا تكلم الكلاب على الجيف أكلوا الماعق وليسوا الحرق شعثا غبرا براهم الناس فيظنون أن بهم داء وما بهم داء ويقال قد ضولطوا فذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقولهم إلى أمر الله الذي أذهب عنهم الدنيا فهم عند أهل الدنيا يشعرون بلا عقول عقولوا حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة يا أسامة إذا رأيتهم في بلدة فاعلم أنهم أمان لأهل تلك البلدة ولا يذب الله قوما م فيهم الأرض بهم فرحة والخياريهم راض أخذهم لنفسك إنشوانا عسى أن تجو بهم وإن استعصت أن يأتيك اللوث وبطنك جالع وكبدك ظمآن فاضل فانك تترك بذلك شرف النازل وتحمل مع التبين وضرع بقدم روحك للالتكة ووصل عليك الجيار (١) .

روى الحسن بن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «البسوا الصوف وحمروا وكلوا في أنصاف البطن تدخلوا في ملكوت السماء» (٢) وقال عيسى عليه السلام : يا مشتر الحواريين أجمعوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لئلا تكونكم ترى الله عز وجل (٣) وروى ذلك أيضا عن تيننا صلى الله عليه وسلم رواه طاوس وقيل مكتوب في التوراة إن الله لينقض الحبر السمين لأن السمن يدل على التلقة وكثرة الأكل وذلك يبيع خصوصا بالخبز ولأجل ذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه : إن الله تعالى ينقض القاري السمين وفي خبر مرسل «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش» (٤) وفي الخبر «إن الأكل على الشبع يورث البرص» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «الؤمن يأكل في معي واحد وللناقي يأكل في سبعة أمعاء» (٦) أي يأكل سبعة أضفان ما يأكل المؤمن أو تكون شوته سبعة أضفان شوته وذكر للمي كناية عن الشهوة لأن الشهوة هي التي تقبل الطعام وتأخذ كما يأخذ المي وليس للمي زيادة عدد معي للناقي على معي المؤمن . وروى الحسن بن عائشة رضي الله عنها أنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول «أدعوا قرع باب الجنة فيفتح لكم قلت كيف ندعهم قرع باب الجنة قال بالجوع والظما» (٧) وروى «أن أبا جحيفة نبحا في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا» (٨)

(١) حديث أسامة بن زيد وأبي هريرة أقرب الناس من الله يوم القيامة من طال جوعه وعطشه الحديث بطوله الخطيب في الزهد من حديث سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقول على أسامة بن زيد فذكره مع تقديم وتأخير ومن طريقه رواه ابن الجوزي في اللطائف وفيه جباب بن عبد الله بن جيلة أحد الكنديين وفيه من لا يعرف وهو منقطع أيضا ورواه الحارث بن أبي أسامة من هذا الوجه (٢) حديث الحسن بن أبي هريرة البسوا الصوف وحمروا وكلوا في أنصاف البطن تدخلوا في ملكوت السماء أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف (٣) حديث طاوس مرسل أجمعوا أكبادكم الحديث لم أجده أيضا (٤) حديث إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم الحديث تقدم في الصيام دون الزيادة التي في آخره وذكر الصنف هنا أنه مرسل والرسول رواه ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان من حديث علي بن الحسين دون الزيادة أيضا (٥) حديث إن الأكل على الشبع يورث البرص لم أجده أصلا (٦) حديث المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء متفق عليه من حديث عمر وحديث أبي هريرة (٧) حديث الحسن بن عائشة أدعوا قرع باب الجنة الحديث لم أجده أيضا (٨) حديث إن أبا جحيفة نبحا في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا البيهقي في الشعب من حديث أبي جحيفة وأصله عدت وحسه و من حديث ابن عمر نبحا رجل الحديث لم يذكر أبا جحيفة .

لا ينفد وروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال كونوا أوعية الكتاب ونباع الحكمة وعدوا أضحك في اللوث ولسألو الله تعالى الرزق يوما بيوم ولا يفرحكم أن لا يكثر لكم . وأخبرنا أبو زرعة طاهر عن أبي الفضل والله قال أنا أبو القاسم إسماعيل بن عبد الله الشاوي قال أنا أحمد بن علي الحافظ قال أنا أبو عمرو بن حمدان قال حدثنا الحسن بن سفيان قال حدثنا عمرو بن مالك البصري قال حدثنا مروان بن معاوية قال حدثنا عبد الرحمن بن أبي سلة الأنصاري قال أخبرني سلة بن عبد الله بن حصن

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتنل قط شبعاً وربما بكيت رحمة بما أرى به من الجوع فأمسح بطنه يدي وأقول تهي لك القداء لو بلغت من الدنيا قدر ما يقويك وينتقم من الجوع فيقول يا عائشة إخواني من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فاضوا على حالهم قدموا على ربهم فأكرم ما بهم وأجزل ثوابهم فأجديني أستحي إن رفعت من معيقتي أن يقصر بي غذا دونهم فالصبر أيا ما يسيرة أحب إلي من أن ينقص حظي غذا في الآخرة وما من شيء أحب إلي من الحقوق بأصنافها وإخواني قالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جملة حتى قبضه الله إليه (١) وعن أنس قال «جاءت فاطمة رضوان الله عليها بكسرة خبز إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى ابتك من بهله الكسرة فقال رسول الله ﷺ أما إنه أول طعام دخل فم أيك منذ ثلاثه أيام (٢) وقال أبو هريرة «ما شبع النبي صلى الله عليه وسلم أهله وسلم أهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز الخنطة حتى فارق الدنيا (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشيع في الآخرة وإن أبغض الناس إلى الله للشعون اللائى وماتكم عبد أكلة يشبهها إلا كانت له درجة في الجنة (٤) . وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه لا يأكم والبطنة فانها تهل في الحياة تن في الآث وقال شقيق البلخي البادية حرقه حاثونها الحلو وأتتها المجاعة وقال لقمان لابنه يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وضعت الأعضاء عن العبادة وكان الفضيل بن عياض يقول لنفسه أي شيء تخافين أخافين أن تجرعى لآخائي ذلك أنت أهون على الله من ذلك إنما جوع محمد ﷺ وأصحابه وكان كهمس يقول إلهي أجتى وأعريتني وظلم إلهي بالامصباح أجلسني فبأي وسيلة يلتقي ما يلتقي وكان فتح الوصل إذا اشتد مرضه وجوعه يقول إلهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل بأوليائك فبأي حمل أؤدى شكر ما أنعمت به علي وقال مالك ابن دينار قلت لحمد بن واسع يا أبا عبد الله طوي لمن كانت له غلبة قوته وتغني عن الناس فقال يا أبا يحيى طوي لمن أمسى وأصبح جائعاً وهو عن الله راض وكان الفضيل بن عياض يقول إلهي أجتى وأجست عيالي وتركتني في ظلم الليالي بالامصباح وإنما تفعل ذلك بأوليائك فبأي منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع المجهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة وفي التوراة اتق الله وإذا شبت فاذا ذكر الجبال وقال أبو سليمان لأن أترك لقمة من عشاى أحب إلي من قيام ليلة إلى الصبح وقال أيضاً الجوع عند الله في خزائنه لا يسطيه إلا من أحبه وكان سهل بن عبد الله التستري يطوى ثيابه وعشرين يوماً لا يأكل وكان يكتبه لطعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافق القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام اتقاء بالنبي صلى الله عليه وسلم في أكله وقال لم ير إلا كياس شيئاً أنفع من الجوع للدين والدنيا وقال لأعلم شيئاً أضر على طلاب الآخرة من الأكل وقال وضمت الحكمة والهم للجوع وضمت

عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما عجزت له الدنيا » وقيل في تفسير قوله تعالى - فلنجينه حياة طيبة - هي القناعة فالصوفى قوام نفسه بالقسط عالم بطباع النفس وجدوى القناعة والتوصل إلى استخراج ذلك من النفس لملء بدنها ودوائها . وقال أبو سليمان الداراني القناعة من الرضا كما أن الورع من الزهد . ومن أخلاق الصوفية ترك الراء والمجاهدة والغضب لإلحاق واعتقاد الرفق والحلم وذلك أن النفوس شبة وتظهر

(١) حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم لم يتنل شبعاً قط وربما بكيت رحمة لما أرى به من الجوع الحديث لم أجده أيضاً [١] (٢) حديث أنس جاءت فاطمة بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث الحارث بن أبي أسامة في مسنده بسند ضعيف (٣) حديث أن هريرة ما شبع النبي صلى الله عليه وسلم أهله وسلم أهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز الخنطة حتى فارق الدنيا أخرجه م وقد تقدم (٤) حديث إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشيع في الآخرة طبو أبو يوسف في الحلية من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف

[٥] وجد بهامش المرقى ما يأتي ، قلت : بل له أصل أخرجه أبو موسى اللدني مطولاً في كتاب استعلاء الوث وأورد منه عياض في الشفاء ٥١ .

الجرىان في الأفكار وعن سرعة الإدراك بل الضي إذا أكثر الأكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطله القهم والإدراك . وقال أبو سلمان الداراني عليك بالجوع فإنه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السابى وقال صلى الله عليه وسلم « أحبوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترقى » (١) . وقال مثل الجوع مثل الرعد ومثل القناعة مثل السحاب والحكمة كالطير وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من أجاع بطنه عظمت فكرته وفتن قلبه » (٢) وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم « من شبع ونام قسا قلبه ثم قال لكل شيء زكاة وزكاة البدن الجوع » (٣) وقال الشبلى ما جئت لله يوما إلا رأيت في قلبي بلاء مفتوحا من الحكمة والبرية ما رأيت قط وليس يغني أن غاية المقصود من العبادات الفكر للوصول إلى المراقبة والاستبصار فمحتاج الحق والشيع يتبع منه والجوع يفتح باب به والمعرفة باب من أبواب الجنة فيالحرى أن تكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لثمان لابنه يابى إذا امتلأت للعدة ناست الفكر خست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة وقال أبو يزيد البسطامي الجوع سحاب فإذا جاع السبد أمطر القلب الحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم « نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع والقرية إلى الله عز وجل حب المساكين والدنو منهم . لا تشبعوا تفتنوا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات في خفة من الطعام بات الجور حوله حتى يصبح » (٤) « القائمة الثانية : رقة القلب وصفاء القلب به . يتبنا لإدراك هذه الثائرة والتأثر بالذكر فكمن ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كأن بينه وبينه حجابا من قسوة القلب وقد يرقى في بعض الأحوال فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو للذة هو السبب الأعظم فيه . وقال أبو سلمان الداراني أحلى ما تكون إلى العبادة إذا التصق ظهري يطفى . وقال الجبجد يجعل أحمم بينه وبين صدره خلاصة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة المناجاة . وقال أبو سلمان إذا جاع القلب وعطش صبا ورق وإذا شبع عسى وغلظ فإذا تأثر القلب بلذة المناجاة أمر وراه تيسر الفكر واقتداس المعرفة فهي فائدة ثانية . القائمة الثالثة : الانكسار والذل والبهر والفرح والأشرف الذي هو بين الطغيان والفتنة عن الله تعالى فلا تنكسر النفس ولا تمذل شيء . كما تذلل بالجوع ففسده تسكن لربها وتخضع له وتتف به مجزها وهذا إذ ضعف منها وضاعت حيلها بقليلة طعام فاتها وأظلمت عليها الدنيا لشدة ما تأخرت عنها وما لم يشاهد الإنسان ذل نفسه وهجره لإحدى عزة مولاه ولا فخره وإنما سعاده في أن يكون دائما مشاهدا نفسه بين القل والعجز . ولا بين العز والقدرة والقهر فليكن دائما جامعا مضطرا إلى مولاه مشاهدا للاضطراب بالدوق ولأجل ذلك لما عرضت الدنيا وخزائنها على النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا بل أجوع يوما وأشبع يوما فإذا جعت صبرت وإذا شبعت وإذا شبعتم شكرت » (٥) « أو كما قال قائلين والفرج باب من أبواب الدار وأصله الشبع والذل

في حظوظ عاجلة من جاء . وما قال الله تعالى في وصف أهل الجنة الثقلين - وزعنا ما في صدورهم من غل - قال أبو حمص كيف يتيق القلب في قلوب التلطف بالله وانفتحت على محبه واجتمعت على مودته وأنست بذكره فإن تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطباع بل كملت بنور التوفيق فصارت إخوانا فبكنا قلوب أهل التصوف والمجتهدين على السكامة الواحدة ومن الزم جسر وط الطريق والانكباب على الظفر بالتحقيق . والناس رجلا من رجل طالب ماعند الله تعالى ويدعو إلى ماعند الله

(١) حديث أحبوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترقى له أجله أصلا (٢) حديث من أجاع بطنه عظمت فكرته وفتن قلبه كذلك له أجله أصلا (٣) حديث من شبع ونام قسا قلبه ثم قال إن لكل شيء زكاة وإن زكاة الجسد الجوع . من حديث أبي هريرة لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم وإسناده ضعيف (٤) حديث نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع والقرية . ذكره أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وكتب عليه إنه مسند ومن علامة ما رواه بإسناده (٥) حديث أجوع يوما وأشبع يوما الحديث تقدم وهو عند ت .

والانكسار باب من أبواب الجنة وأمله الجوع ومن أغلق باباً من أبواب النار فقد فتح باباً من أبواب الجنة بالضرورة لأنهما متقابلان كالشرق والغرب فالترب بالقرب من أحدهما بعد من الآخر .
القائمة الرابعة : أن لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى أهل البلاء فإن الشيطان ينسى الجائع وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء من غيره إلا ويتذكر بلاء الآخرة فيذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة ومن جوعه جوع أهل النار حتى إنهم ليجوعون فيطمعون الضريع والرقوم ويسقون الساق والهول فلا ينبغي أن ينسب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها فإنه هو الذي يجس الخوف فلم يكن في ذلة ولاعة ولا قلة ولا بلاء نسي عذاب الآخرة ولم يشتمل في نفسه ولم ينل على قلبه فينبغي أن يكون العبد في مقاساة بلاء أو مشاهدة بلاء وأولى ما يقاسيه من البلاء الجوع فإن فيه فوائد جمعة سوى تذكر عذاب الآخرة وهذا أحد الأسباب التي اقتضى اختصاص البلاء بالأنبياء والأولياء والأمثل فالأمثل ولذلك قيل ليوسف عليه السلام لم تجوع وفي يدك خزائن الأرض قال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع فتذكر الجائعين والمحتاجين إحدى فوائد الجوع فإن ذلك يدعو إلى الرحمة والإطعام والشفقة على خلق الله عز وجل والشيطان في غفلة عن ألم الجائع . القائمة الخامسة :
وهي من أكبر الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء فإن منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الأطمعة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وإيما السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه والشقاوة في أن يملك نفسه وكانك لا تملك الدابة الجوع إلا يصف الجوع فإذا شبت قوت وشردت وجمت فكذلك النفس كما قيل لبعض ماباك مع كبرك لاتمد يدك . وقد أهد فقال لأنه سريع المرح فاحش الأثر فأخاف أن يجمع في فيورطني فلأن أحمل على الشدائد أحب إلى من أن يحملني على القواش . وقال ذوالنون ما شبت فط لا أغضيت أوهمت بمسمة . وقالت عائشة رضي الله عنها أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع إن النوم لما شبت بطونهم جمعت بهم نفوسهم إلى هذه الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزائن القوائد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزائن الله تعالى وأقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فإن الجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول السلام فيتخلص به من آفات اللسان كالنية والفحش والكذب والقيمة وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك وإذا شبع اغتر إلى فأكهة فينفسك لا محالة بأعراض الناس ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم . وأما شهوة الفرج : فلا تخفي غائلتها والجوع يكفي شرها وإذا شبع الرجل لم يملك فرجه وإن منعه الفتوى فلا يملك عينه فالعين ترى كأن الفرج يرى فإن ملك عينه بنس الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الأفكار الرديئة وحديث النفس بأسباب الشهوة وما يتوشش به مناجاته وربما عرض له ذلك في أثناء الصلاة وإيما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالا وإلا لجميع معاصي الأعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مرید صبر على السياسة فصر على الخبر البحث سنة لا يخاطب به شيئا من الشهوات وبأكل في نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء . القائمة السادسة : دفع النوم ودوام السهر فإن من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولأجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام معاشر المريدن لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فتدردوا كثيرا فتشربوا كثيرا وأجمع رأى سبعين صدقا على أن كثرة النوم من كثرة التثريب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجذ وبلاذة الطبع وقساوة القلب والعمر أنفس المواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فكثيره ينقص العمر ثم فضيلة التهجذ لا تخفى وفي النوم فوائدها ومهما

نفسه وغيره فالحسنى
الصوفي مع هذا مناسفة
ومرأه وغل فإن هذا
سعه في طريق واحد
ووجهه واحدة واخوه
ومعينة واللؤثون
كالبنيان يشد بسفه
بعضا ورجل مفتق
بعض من عجة الجاه
وللال والرياسة ونظر
الحلق لها الصوفي مع
هذا مناسفة لأنه زهد
فبا فيه رغب فلم شأن
الصوفي أن ينظر إلى
مثل هذا نظر رحمة
وشفقة حيث يراه
محجوبا مفتتنا فلا
ينعطى له على غل ولا
يماربه في الظاهر على
شيء لعله يظن ونفسه
الأمارة بالسوء في اللراء
والحادثة . أخبرتنا
الشيخ العالم ضياء الدين
عبد الوهاب بن علي

غلب النوم فإن تهجد لم يجد حلالة العبادة ثم التمزب إذا نام على الشبع احتمل ويمنه ذلك أيضا من التهجد ويوجهه إلى الفصل إما بالماء البارد فيتأذى به أو يحتاج إلى الحمام وربما لا يقدّر عليه بالليل فغفوة الوتر إن كان قد أخره إلى التهجد ثم يحتاج إلى مؤنة الحمام وربما تقع عنه على عورة في دخول الحمام فإن فيه أخطارا ذكرناها في كتاب الطهارة وكل ذلك أثر الشبع . وقد قال أبو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وإنما قال ذلك لأنه يمنع من عبادات كثيرة لتعدد التسلف في كل حال فالنوم منبع الآفات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له . الفائدة السابعة : تيسر للواظبة على العبادة فإن لأكل يمنع من كثرة العبادات لأنه يحتاج إلى زمان يشغل فيه بالأكل وربما يحتاج إلى زمان في شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج إلى غسل اليد والحلال ثم يكثر ترداده إلى بيت الماء لكثرة شربه والأوقات للصروفة إلى هذا لو صرفها إلى الذكر وللناجاة وسائر العبادات لكثرة ربحه . قال السري رأيت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه قتل ماحك على هذا قال إني حسبت ما بين الضغ إلى الاستفاف سبعين تسبيحة لما مضت الخبر منذ أربعين سنة فانظر كيف أخفق على وقته ولم يشبهه في الضغ وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لا يجزئ لها فينبغي أن يستوفى منه خزائنه باقية في الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه إلى ذكر الله وطاقته . ومن جملة ما يمتد بكرة الأكل الدوام على الطهارة وملازمة للسجد فإنه يحتاج إلى الخروج لكثرة شرب الماء وإراقته . ومن جملة الصوم فانه ييسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف أوقات شغله بالأكل وأسبابه إلى العبادة أربع كثيرة وإنما يستحقها المنافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا وأطمأنوا بها - يملكون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وقد أشار أبو سليمان الداراني إلى ست آفات من الشبع قال : من شبع دخل عليه ست آفات قد حلاوة النجابة وتعدر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع وتخل العبادة وزيادة الشهوات وأن سائر المؤمنين يدورون حول الساجد والشباع يدورون حول الزايل . الفائدة الثامنة : يستفيد من قلة الأكل صحة البدن ودفع الأمراض فإن سببا لكثرة الأكل وحصول فضلة الأغلاط في اللعنة والعروق ثم للرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والنكر وينقص العيش ويغوج إلى التصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج إلى مؤن وثقات لا يخلو الإنسان منها بعد التعب عن أنواع من اللعنى واقتحام الشهوات وفي الجوع ما يمنع ذلك كله . حكى أن الرشيد جمع أربعة أطباء هندي ورومي وعراقي وسوادي وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لاداء فيه فقال الهندي الدواء الذي لاداء فيه عندي هو الإبليلج الأسود وقال العراقي هو حب الرشاد الأبيض وقال الرومي هو عندي للماء الحار وقال السوادي وكان أعلمهم الإبليلج بمعنى اللعنة وهذا داء وحب الرشاد يزيل اللعنة وهذا داء ولقاء آثار برضى اللعنة وهذا داء قالوا فما عندك فقال الدواء الذي لاداء معه عندي أن لا تأكل الطعام حتى تشتهي وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهي فقالوا صدقت . وذكر لبعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم « ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس »^(١) فحجب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الطعام أحكم من هذا وإنه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم « البطنة أصل الداء والحية أصل الدواء وعودوا كل جسم ما اعتاد »^(٢) وأظن تعجب الطبيب جري من هذا الخبر لا من ذلك وقال ابن سالم :
(١) حديث ثلث للطعام خدم أيضا (٢) حديث البطنة أصل الداء والحية أصل الدواء وعودوا

قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا أبو محمد الجسراحي قال أنا أبو العباس المهبسوي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا زياد بن أيوب قال حدثنا الهاربي عن ليث عن عبد الملك عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تخار أخاك ولا تعد موعدا تخلقه » وفي الخبر « من ترك اللراء وهو يطل يناله بيت في رضى الجنة ومن ترك اللراء وهو محقق يناله في سخطها ومن حسن خلقه يناله في أعلاها » . وأخبرنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب قال أنا

من أكل خبز الحنطة بحثاً بأدب لم يمتل إلا علة اللوث قبل وما الأدب قال تأكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع . وقال بعض أفاضل الأطباء في ذم الاستكثار إن أنعم ما أدخل الرجل بطنه الرمان وأخضر ما أدخل معدته المالح ولأن بقلل من المالح خير له من أن يتكثر من الرمان وفي الحديث « صوموا تصحوا » (١) في الصوم والجوع وتقليل الطعام صحة الأجسام من الأسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرها . القائمة التاسعة : خفة اللثة فان من تعود قلة الأكل كفاءة من المال قدر يسير . والذي تعود الشبع صار بطنه غريباً ملازماً له أخذاً بمخفه في كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج إلى أن يدخل للدخول فيكتسب من الحرمان فيصير أو من الحلال فيذل وربما يحتاج إلى أن يعد أعين الطمع إلى الناس وهو غاية الدل والقائمة العاشرة : اللوث من خفيف اللثة . وقال بعض الحكماء إن لأفنى عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك أروح قلبي . وقال آخر إذا أردت أن أستغفر من غيبي لشهوة أو زيادة استغفرت من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غفر لي وكان إبراهيم بن آدم رحمه الله يسأل أصحابه عن سمر المأكل كولات فيقال إنها غالية فيقول أرخصوها بالترك . وقال سهل رحمه الله الأكل مدموم في ثلاثة أحوال : إن كان من أهل العبادة فيكسل وإن كان مكتسباً فلا يسل من الآفات وإن كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله تعالى من نفسه . وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم على الدنيا البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الأكل ما يجتمع هذه الأحوال كلها وهي أبواب النار وفي حسمها فتح أبواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم « أدبوا قربع باب الجنة بالجوع » فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات أيضاً وصار حراً واستغن عن الناس واستراح من التعب وتغلب لبيادة الله عز وجل وتجارة الآخرة فيكون من الذين لا تلتهج تجارتهم ولا يبيع عن ذكر الله وإنما لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالنعامة وأما المحتاج فتلتهج لاحتالة . القائمة العاشرة : أن يتمكن من الإتيار والتصدق بما فضل من الأطعمة على البائس والمساكين فيكون يوم القيامة في ظل صدقته (٢) كما ورد به الخبر . فما يأكله كان خزائنه السكين وما يتصدق به كان خزائنه فضل الله تعالى فليس للبعد من ماله إلا ما صدق فأبقى أو أكل فأفنى أو لبس فألبس فألبى فالصدق بفضلات الطعام أولى من التهمة والشبع . وكان الحسن رحمه الله عليه إذا تلاقوه تعالى - إننا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً - قال عرضنا على السموات السبع الطباق والطرائق التي زينها بالنجوم وحسلة العرش العظيم فقال لها سبحانه وتعالى هل تحملين الأمانة بما فيها قالت وما فيها ؟ قال إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت فقلت لا ، ثم عرضنا كذلك على الأرض فأبت ثم عرضنا على الجبال الثم الشوامخ الصلاب الصعب فقال لها هل تحملين الأمانة بما فيها قالت وما فيها ؟ فذكر الجزاء والعقوبة فقلت لا ، ثم عرضنا على الإنسان فحملها إنه كان ظلوماً لنفسه جهولاً يأمر ربه وقد رأيناهم والله اشتروا الأمانة بأموالهم فأصابوا آفاتاً فإذا صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا بها قبورهم وأصموا برأذنيهم وأهزلوا دينهم وأنصوا أنفسهم بالصدود والرواح إلى باب السلطان يترضون كل بدن بما اعتاد لم أجد له أصلاً (١) حديث صوموا تصحوا الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب النبوي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث كل امرئ في ظل صدقته من حديث حنيفة بن هاشم وقد تقدم .

أبو عبد الرحمن
السهروردي محمد بن
أبي عبد الله السالقي
قال أنا أبو الحسن
عبد الرحمن الداودي
قال أنا أبو محمد عبدالله
ابن أحمد الجولي قال أنا
أبو محمد بن عيسى
المرقندي قال أنا
أبو محمد عبد الله بن
عبد الرحمن الدارمي
قال حدثنا يحيى بن
بسطام عن يحيى ابن
هريرة قال حدثنا الثمان
ابن مكيول عن ابن
عباس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « من
طلب العلم ليحيى به
العلماء أو يمارى به
الصفهاء أو يريد أن
يقبل بوجوه الناس
إليه أدخله الله تعالى
جفم » انظر كيف

للبلاء وهم من الله في عافية يقول أحدهم تبيخ أرض كذا وكذا وأزيدك كذا وكذا يتسكى على ثماله ويأكل من غير ماله حديثه سخرة وماله حرام حتى إذا أخذته الكلفة وزلت به البطنة قال يا غلام اتق جنى أهضم به طعامي بالسكع أطعامك تهضم إنما دينك تهضم أين الفقير أين الأرملة أين للسكين أين البقيع الذي أمرك الله تعالى بهم فهذه إشارة إلى هذه القاعدة وهو صرف فاضل الطعام إلى الفقير ليذكر به الأجر فذلك خير له من أن يأكله حتى يتضاعف الوزر عليه و نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل ممين البطن فأومأ إلى بطنه بأصبعه وقال : لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك (١) أي لو قدمت لاخرتك وآثرت به غيرك . وعن الحسن قال والله لقد أدركت أفواما كان الرجل منهم يمسى وعندته من الطعام ما يكفي ولوعاه لا كله فيقول والله لأجمل هذا كله لبطني حتى أجمل بضه فله فهذه عشر فوائد للجوع يتشبع من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تنتهي فوائدها فالجوع خزانة عظيمة لقوائد الآخرة ولأجل هذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الأخبار التي رويها وبالوقوف على تفصيل هذه القوائد تدرك معاني تلك الأخبار إدراك علم وبسيرة فاذا لم تعرف هذا وصدقت بفصل الجوع كانت لك ربة القلدين في الإيمان والله أعلم بالصواب .

(بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن)

اعلم أن طي للرديد في بطنه وما كوله أربع وظائف : الأولى أن لا يأكل إلا حلالا فإن العبادة مع أكل الحرام ككتابة على أمواج البحار وقد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلاث وظائف خاصة بالأكل وهو تقدر قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدر وقته في الإبطاء والسرية وتعين الجنس للأكل في تناول للشهيات وتركها . أما الوظيفة الأولى : في تقليل الطعام فببيل الرياضة فيه التدرج فمن اعتاد الأكل الكثير وانتقل دفعة واحدة إلى القليل لم يحمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي أن يتدرج إليه قليلا قليلا وذلك بأن ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد فإن كان يأكل رغيفين مثلا وأراد أن يرد نفسه إلى رغيف واحد ينقص كل يوم ربع سبغ رغيف وهو أن ينقص جزءا من ثمانية وعشرين جزءا أو جزءا من ثلاثين جزءا فيرجع إلى رغيف في شهر ولا يستعربه ولا يظهر أثره فإن شاء فعل في ذلك بالوزن وإن شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقص عما أكله بالأمس ثم هذا فيه أربع درجات أقصاها أن يرد نفسه إلى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل للتسري رحمة الله عليه إذ قال إن الله استبدع الخلق بثلاث : بالحياة والعقل والقوة فإن خاف البطل أن اثنين منها وهي الحياة والعقل أو أكل وأظفر إن كان صائما ونسكف الطلب إن كان قتيلا وإن لم يخف عليهما بل على القوة قال فينبغي أن لا يبالى ولو ضف حتى صلى قاعدا ورأى أن صلاته قاعدا مع ضف الجوع أفضل من صلاته قائما مع كثرة الأكل . وسهل سهل عن بدايته وما كان يقاتل به قال كان قوتي في ركل ستة ثلاثة دراهم كنت أخذ بدمهم دبسا وبدهم دقيق الأرض . وبدهم صننا وأخطل الجميع وأسوي منه ثمانية وستين أكرة أخذ في كل ليلة أكرة أفطر عليها فقبله فالساعة كيف تأكل قال فيبعد ولا توقيت . ويحكى عن الرهايين أنهم قد يردون أنفسهم إلى مقدار درهم من الطعام . الدرجة الثانية أن يرد نفسه بالرياضة في اليوم والثالثة إلى نصف مد وهو رغيف وشئ مما يكون الأرملة منه منا

(١) حديث نظر إلى رجل ممين البطن فأومأ إلى بطنه بأصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك أحمد وك في الاستدراك والبيق في الشعب من حديث جندة الجشمي وإسناده جيد .

جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم للباراة مع السفهاء سببا لدخول النار وذلك بظهور تقوسهم في طلب القهر والغلبة والقهر والغلبة من صفات الشيطنة في الآدمي .

قال بعضهم : المبادل للمارى يضع في نفسه عنه الخوض في الجدال أن لا يفتح جنى ومن لا يفتح إلا أن لا يفتح لها إلى قناعته سيل نفس الصوفي تبدلت صفاتها وذهب عنه مفة الشيطنة والسبعية وتبدل باللين والرفق والسهولة والطمانينة روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «والذي نفسي بيده لا يسلم عبد

ويشبه أن يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الأكثرين كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وهو فوق القيات لأن هذه الصيغة في الجمع لثلاثة فهو لما دون الشرة وقد كان ذلك عادة عمر رضي الله عنه إذ كان يأكل سبع لقم أو تسع لقم . الدرجة الثالثة : أن يردا إلى مقدار الدوهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الأكثرين ويكاد ينتهي إلى ثلث البطن ويقي ثلث للشراب ولا يقي شيء للذكر وفي بعض الألفاظ ثلث للذكر بدل قوله للنفس . الدرجة الرابعة :

أن يزيد على اللد إلى ثلث ويشبه أن يكون ماوراء اللن إسرافا عاقلًا لقوله تعالى - ولا تسرفوا - أي في حق الأكثرين فإن مقدار الحاجة إلى الطعام يختلف بالنسب والشخص والعمل الذي يشتغل به وههنا طريق خامس لا يتقدم فيه ولكنه موضع غلط وهو أن يأكل إذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الأغلب أن من لم يقدر لنفسه رغيفًا أو رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشبه عليه ذلك بالشهوة السكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات : إحداها أن لا تطلب النفس الأثم بل تأكل الحبز وحده بشهوة أي خبز كان فلهما طلبت نفسه خبزًا بعينه أو طلبت أدمًا فليس ذلك بالجوع الصادق وقد قيل من علامته أن يصق فلا يقع الثياب عليه أي لم يبق فيه دهنية ولا دسومة فبدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للبريد أن يقدر مع نفسه التقدير الذي لا يفتنه عن العبادة التي هو بصدها فإذا انتهى إليه وقف وإن بقيت شهوة تولى الجملة فتقدر الطعام لا يمكن لأنه يختلف بالأحوال والأشخاص ، ثم قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعًا من حنطة في كل جمعة فإذا أكلوا الفرائق اتوا منه صاعًا ونصفًا وصاع الحنطة أربعة أمدا فيكون كل يوم قريبًا من نصف مده وهو ما ذكرناه أنه قدر ثلث البطن واحتيج في الفم إلى زيادة لسقوط التوى منه وقد كان أبو ذر رضي الله عنه يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أزيد عليه شيئًا حتى ألقاه فاني سمعته يقول « أفربكم مني مجلسًا يوم القيامة وأجسكم إلى من مات على ما هو عليه اليوم » (١) وكان يقول في إنكاره على بعض الصحابة قد غفرتم ينخل لكم السمير ولم يكن ينخل وخزيمته للرقق وجمعتم بين إدامين واختلف عليكم ألوان الطعام وغدا أهدى لكم ثوب وراح في آخر ولم تسكنوا هكذا على عهد رسول الله ﷺ وكان قوت أهل الصفة مدامن تمر بين اثنين في كل يوم (٢) والد رطل وثلث ويسقط منه التوى . وكان الحسن رحمه الله عليه يقول المؤمن مثل العنزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء والناق من السبع الضاري بلما يلبا وسطا سطرا لا يطوى بطه لجاره ولا يؤرأخاء بضله وجهوا هذه الفضول أمامكم ، وقال السبل لو كانت الدنيا دما عبطا لكان قوت المؤمن منها حلالا لأن أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط . الوظيفة الثانية : في وقت الأكل ومقدار تأخيرها وفيه أيضا أربع درجات : الدرجة العليا أن يطوى ثلاثة أيام فما فوقها وفي الربدن من رد الرياضة إلى الطي لا إلى التقدير حتى انتهى بمشهم إلى ثلاثين يوما وأربعين يوما وانتهى إليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو والقرني وعبد الرحمن بن إبراهيم وزهير وسليمان الخوص وإبراهيم بن جراح بن فرافصة وحفص المادب الصبي والسلم ابن سعيد وزهير وسليمان الخوص وإبراهيم بن عبد الله التستري وإبراهيم بن أحمد الخوص وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطوى ستة أيام وكان عبد الله بن الزبير يطوى سبعة أيام

(١) حديث أبي ذر أفربكم مني مجلسًا يوم القيامة وأجسكم إلى من مات على ما هو عليه اليوم أحمد في كتاب الزهد ومن طريقه أبو نعيم في الحلية دون قوله وأجسكم إلى وهو منقطع (٢) حديث كان قوت أهل الصفة مدامن تمر بين اثنين في كل يوم كصحاح إسماعيل من حديث طلحة البصري .

حق يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بواقته « انظر كيف جعل النبي صلى الله عليه وسلم من شرط الاسلام سلامة القلب واللسان وروى عنه عليه السلام أنه صم يقوم ويحمدون حجرا قال ما هذا قالوا هذا حجر الأشداء قال ألا أخبركم بأحد من هذا رجل كان بينه وبين أخيه غضب فأناه فقلب شيطانه وشيطان أخيه ففكاهم وروى أنه جاء غلام لأبي ذر وقد كسر رجله شاة فقال أبو ذر من كسر رجل هذه الشاة فقال أنا قال ولم قلت ذلك قال عمدا قلت قال ولم قال أغضبك فاضربني

وكان أبو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوى سبعا ، وروى أن الثوري وإبراهيم بن آدم كانا يطويان ثلاثا ثلاثا كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة . قال بعض العلماء من طوى في أربعين يوما ظهرت له قدرة من الملكوت أي كوشف بعض الأسرار الإلهية . وقد حكى أن بعض أهل هذه الطائفة مر بإبراهيم فذاكره بحاله وطمع في إسلامه وترك ما هو عليه من الزور فشكله في ذلك كلاما كثيرا إلى أن قال له الراهب إن المسيح كان يطوى أربعين يوما وإن ذلك معجزة لا تكون إلا لاني أوصديق قال له الصوفي فإن طويت خمسين يوما تركت ما أنت عليه وتدخل في دين الإسلام وتعلم أنه حق وأنت على باطل ؟ قال نعم فحس لا يريح إلا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما ثم قال وأزبدك أيضا فطوى إلى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت أظن أن أحدًا يجاوز المسيح فكان ذلك سبب إسلامه وهذه درجة عظيمة قل من يبتليها لا يكشف محمول شغل شهادة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى فيه في لذة وأنسا جوعته وحاجته . الدرجة الثانية : أن يطوى يومين إلى ثلاثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول إليه بالجد والمجاهدة . الدرجة الثالثة : وهي أدناها أن يقتصر في اليوم والليلة على أكلة واحدة وهذا هو الأفضل وما جاوز ذلك إسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل الترفين وهو بعيد من السنة فقد روى أبو سعيد الحدرى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا تعدى لم يتشبع وإذا تشبع لم يتعد (١) وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة واحدة (٢) لعائشة وإياك والسرف فأن أكلتين في يوم من السرف وأكلة واحدة في كل يومين إقاروا أكلة في كل يوم وقوام بين ذلك (٣) وهو المأمود في كتاب الله عز وجل ومن اقتصر في اليوم على أكلة واحدة فيسبح لله أن يأكل ما سحر قبل طوله الفجر فيكون أكلة بعد التهجذ وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام جوع الليل للقيام وخلاو القلب لفرغ المدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس إلى المأمور فلا تنازع قبل وقته . وفي حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وإن كان ليقوم حتى تورم قدماء وما واصل وصالحكم هذا قط غير أنه قد أضر الفطر إلى السحر (٤) وفي حديث عائشة رضى الله عنها قالت كان النبي ﷺ يواصل إلى السحر (٥) فإن كان يلتفت قلب الصائم بعد المغرب إلى الطعام وكان ذلك يشغله عن حضور القلب في التهجذ فالأولى أن يقسم طعامه نصفين فإن كان غيظين مثلاً أكل رغيفا عند الفطر ورغيفا عند السحر لتسكن نفسه ويخفف بدنه عند التهجذ ولا يشتد به الجوع له لأجل التحذر فيستعين بالرغيف الأول على التهجذ والثاني على الصوم ومن كان بصوم يوما ويفطر يوما فلا بأس أن يأكل كل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه الطرق في مواقيت الأكل وتباعده وتقاربه . الوظيفة الثالثة : في نوع الطعام وتركه لإدام وأعلى الطعام مع البر فإن نخل فهو غاية الترفه وأوسطه شعير مخول وأدناه شعير لم ينخل وأعلى الأدم اللحم والحلاوة وأدناه الملح (١) حديث أبي سعيد الحدرى كان إذا تعدى لم يتشبع وإذا تشبع لم يتعد لم أجده له أصلا (٢) حديث قال لعائشة إياك والاسراف فإن أكلتين في يوم من السرف البيهقي في الشعب من حديث عائشة وقال في اسناده ضعف (٣) حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة ما قام رسول صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وإن كان ليقوم حتى ترلع قدماء رواه مختصرا كان يصل حتى ترلع قدماء واسناده جيد (٤) حديث عائشة كان يواصل إلى السحر لم أجده من فطره وإعماؤه من قوله فأبكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر رواه عن حديث أبي سعيد وأما هو فكان يواصل وهو من خصائصه

تأثم فقال أبو ذر لأعظمن من حضاك على غيظي فأعتقه . وروى الأعمش عن أنس بن مالك قال إذا أشكل عليك أمران لا تدري أيهما أرشد فغالب أفرهما إلى هوالك فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه عن أبي الفضل قال أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن علي قال أنا خورشيد قال ثنا إبراهيم بن عبد الله قال ثنا أحمد بن محمد بن سلم قال ثنا الزبير بن بكار قال ثنا سعيد بن سعد عن أخيه عن جده عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

والحل وأوسطه للزورات بالأدهان من غير لحم وعادة سالسكي طريق الآخرة الامتناع من الإدام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فإن كل قديد يقتنيه الانسان وأكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وأسا له بلدات الدنيا حتى يألفها ويكره للوث وبقاء الله تعالى وصبر الدنيا جنة في حقه ويكون للوث سجنا له وإذا منع نفسه عن شهواتها وضيق عليها وحرما لذاتها سارت الدنيا سجنا عليه ومضيقا له فاشتبهت نفسه الافلات منها فيكون للوث إطلاقتها وإليه الإشارة بقول يحيى ابن معاذ حيث قال معاصي الصديقين جو عوا أنشكم لوجة الفردوس فإن شهوة الطعام على قدر تجرير النفس فتكل ما ذكرته من آفات الشبع فانه يجري في كل الشهوات وتناول اللذات فلا تطول بإفادته فذلك عظم الثواب في ترك الشهوات من اللباعات وعظم الخطر في تناولها حتى قال صلى الله عليه وسلم « شرار أمتي الذين يأكلون مع الحنطة ^(١) » وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى أن من أكله مرة أو مرتين لم يصح ومن داوم عليه أيضا فلا يصح بتناوله ولكن تربي نفسه بالنهم فتأنيس بالدنيا وتأنيس اللذات. وتسمى في طلبها فيجرها ذلك إلى العاصي فهم شرار الأمة لأن مع الحنطة يقومون إلى اقتحام أمور تلك الأمور معاص وقال صلى الله عليه وسلم « شرار أمتي الذين غفوا بالنهم ونبتت عليه أجسامهم ^(٢) » وإنما همهم ألوان الطعام وأنواع اللباس ويشهدون في الكلام وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام اذكر أنك ساكن القبر فان ذلك يمتنع من كثير الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لديد الأظمة وتغري النفس عليها وراوا أن ذلك علامة الشقاوة وراوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روى أن وهب بن منبه قال التقى لمكان في السجدة الراجعة قال حدثنا للآخر من أين ؟ قال أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي لسهه الله وقال الآخر أمرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد فبهذا تنبيه على أن تسير أسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه عن شربة ماء بارد بصل وقال عزولوا عن صاحبها فلاعبادة لله تعالى أعظم من مخالفة النفس في الشهوات وترك اللذات كما أوردناه في كتاب رياضة النفس وقد روى نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما كان مريضا فاشتبهى بمكة طرية فالتفت له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت له بدرهم ونصف فتوشى وحملت إليه على رغيف فقام سائل في الباب فقال للفلام لهما برغيفها وادفعها إليه فقال له الفلام أصليحك الله قد اشتيتها منذ كذا وكذا فلم يجدها فلما وجدتني اشتريتها بدرهم ونصف فعن نصلي بها فاشترى الله لها وأخذها إلى ثم قال الفلام لسائل هل لك أن تأخذ درهما وتركتها قال نعم فأعطاه درهما وأخذها وأتى بها فوضها بين يديه وقال قد أعطيت درهما وأخذتها منه فقال لهما وادفعها إليه ولا تأخذ منه الدرهم فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أيما امرئ اشتبه شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء

(١) حديث شرار أمتي الذين يأكلون مع الحنطة لم أجده أصل (٢) حديث شرار أمتي الذين غفوا بالنهم الحديث ابن عدي في الكامل ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان من حديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى من حديث فاطمة بنت الحسين مرسل قال الهارظي في العلم إنه أشبه بالصواب ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة باسناد لأبأس (٣) حديث نافع أن ابن عمر كان مريضا فاشتبهى بمكة الحديث وفيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أيما امرئ اشتبه شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له أبو الشيخ ابن جبان في كتاب الثواب باسناد ضيف جدا ورواه ابن الجوزي في اللوضعات

وثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما المنجيات فخشية الله في السر والعلانية والحكم بالحق عند الغضب والرضا والاتصاف عند الفقر والغنى وأما المهلكات فشق مطع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه فالحكم بالحق عند الغضب والرضا لا يصح إلا من عالم بالرباني أمير على نفسه بصرفها بمقل حاضر وقلب يقظان ونظر إلى الله بحسن الاحتساب . ثلث أهم كانوا يتوأسون عن إلهاء السلم يقول بعضهم لأن أنوسا من كلمة خبيثة أحب إلى من أن أنوسا من طعام طيب . وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الحديث

القراح في الدنيا وأهلها الدمار^(١) أشار إلى أن المقصود رد ألم الجوع والعطش ودفع ضررهما دون التمسك ببلد الدنيا ، وبلغ عمر رضى الله عنه أن يزيد بن أبي سفيان يأكل أنواع الطعام فقال عمر لمولى له إذا علمت أنه قد حضر عشاء فأعلمني فأعلمه فدخل عليه فحضر عشاء فأنه بشره لحم فأكل معه عمر ثم قرب الشواء وبسط يزيد يده وكف حمريه وقال الله يا يزيد بن أبي سفيان أ طعام بعد طعام والذي نفس حمريه لئن خالفتن عن ستمن ليخالن بك عن طريقهم ، وعن يسار بن عمير قال ماخلت لمرءة دقيقتا قط إلا وأنا له عاص ، وروى أن عتبة الغلام كان يسجن ديقه ويغفقه في الشمس ثم يأكله ويقول كسرة وملع حتى يتأيا في الآخرة والشواء والطعام الطيب وكان يأخذ الكوز فيترقب به من حب كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له يا عتبة لأعطيني دقيقتك فغفرت لك وردت لك الماء فتقول لها يا أم فلان قد شردت عن كلب الجوع ، قال شقيق بن إبراهيم : قيلت إبراهيم ابن آدم بكفة في سوق الليل عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم يسكن وهو جالس يتأنيب من الطريق فدخلت إليه وقعدت عنده وقلت إني هذا البكاء يا أبا إسحاق فقال خير فصادت مرة واثنين وثلاثا فقال يا شقيق استر لي قلت يا أخى قل ماخلت فقال لي اشتيت نسي منذ ثلاثين سنة سكباجا ففتحها جهدى حتى إذا كان البارحة كنت جالسا وقد غلبني الناس إذ أنا بفن شاب بيده قوس أخضر يسلو منه نثار ورائحة سكباج قال فاجتمعت بهمى عنه فتره وقال يا إبراهيم كل قتل ما أكل قدرتكه ثم عز وجل فقال لي قد أطمعك الله كل فإكان لي جواب إلا أني بكيت فقال لي كل رحمك الله قتل قد أمرنا أن لا ننظر في وعائنا إلا من حيث نعلم فقال كل فإكان الله قائما أعطيتني قبلي يا أخضر اذهب بهذا وأطعمه نفس إبراهيم بن آدم قد رحمها الله من طول صبرها لم ما يعملها من منها . اعلم يا إبراهيم أتى سمعت اللاسكة يقولون من أعطى فلم يأخذ طلب فلم يسط قتل إن كان كذلك فما أتى بين يديك لأجل المقدع الله تعالى ثم التفت فاذا أنا بفن آخر ناوله شيئا وقال يا أخضر لقمه أنت فلم يزل يلقي حتى ناست فانتبهت وحلاوته في فمي ، قال شقيق قتل أرنى ككنا فأخلفت بكفه قبلها وقلت يا من يطعم الجباع الشهوات إذا صحوا التبع يا من يفتح الضمير اليقين يا من يشفي قلوبهم من محبة أرى لشقيق عندك حالا ثم رفست يد إبراهيم إلى السماء وقلت بقدر هذا الكف عندك وقدر صاحبه وبالجلود التي وجد منك جد على عبدك القفر إلى فضلك وإحسانك ورحمتك وإن لم يستحق ذلك قال قدام إبراهيم ومشي حتى أقدر كنا البيت . وروى عن مالك بن دينار أنه أتى أربعين سنة يشتهي لبنا فلم يأكله وأهدى إليه يومار طلب قال لأصحابه كلوا فاذقته منذ أربعين سنة . وقال أحمد بن أبي الحواري : اشتى أبو سليمان الداراني رغيفا حارا بطلع فحش به إليه ففص منه عشة ثم طرحه وأقبل يسكن فجعلت إلى شهوتي بعد إطالة جهدى واشتوني قد عذمت على التوبة فأعلمني قال أحمد فأرأته أكل للحم حتى لقي الله تعالى ، وقال مالك بن ضيف مروت بالبرصة في السوق فنظرت إلى البقل فقالت لي نسي لو أطمعتني الليلة من هذا فأقسمت أن لا أطمعها إياه أربعين ليلة ، وكنت مالك بن دينار بالبرصة خمسين سنة ما أكل رطبة لأهل البرصة ولا برصة قط وقال يا أهل البرصة عشت فيكم خمسين سنة ما أكلت لكم رطبة ولا برصة فما زاد فيكم ما شئ مني ولا نص مني ما زاد فيكم وقال طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتيت نفسي لبنا منذ أربعين سنة فوافقه لا أطمعها حتى ألحقني باقه تعالى وقال حماد بن أبي حنيفة أتيت داود الطائي والباب مغلق عليه فسمعت يقول نسي اشتيت جزرا فأطمعكك جزرا ثم

حدثان حدث من
فركك وحدث من
فيك فلا يحل حبة
الوقار والحلم إلا التنب
ويخرج عن حد المذل
إلى المدوان يتجاوز
الحد في التنب يتورم
القلب فان كان التنب
على من فوقه مما يسجز
عن إقناذ التنب فيه
ذهب الدم من ظاهر
الجلود واجتمع في القلب
وصيرته ألهم والحزن
والانكاد ولا ينطوي
الصوفي على مثل هذا
لأنه يرى الحوادث
والإعراض من الله
تعالى فلا يكد ولا ينتم
والصوفي صاحب الرضا
صاحب الروح والراحة
والتي عليه السلام
أخبر أن ألهم والحزن
في الشك والخط .
مثل عبد الله بن

(١) حديث إذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فقل الدنيا وأهلها الدمار أو بمنصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة باسناد ضيف .

اشترت ثمرا فأكلت أن لاتأكله أبدا فسلت ودخلت فإذا هو وحده ومرا أبو حازم يوما في السوق فرأى الفاكهة فاشترها فقال لانه اشترانا من هذه الفاكهة للقطوعة المنوعة فلما نذهب إلى الفاكهة إلى الامة أربعة ولا ممنوعة فلما اشترها وآتي بها إليه قال لنفسه قد خدعتني حتى نظرت واشترت وغلبتني حتى اشترت والله لا أدقته فبعت بها إلى يثامى من الفقراء ، وعن موسى الأشعج أنه قال تسمى تشهى ملحا جرشا منذ عشرين سنة ، وعن أحمد بن حنبل قال تسمى تشهى منذ عشرين سنة ما طلبت من إلا الله ، حتى تروى في أرويتها ، وروى أن عتبة الفلام اشتهى لحما سبيع سنين فلما كان بعد ذلك قال استحييت من تسمى أن أدافها منذ سبيع سنين سنة بعد سنة فاشترت قطعة لحم على خبز وشويتها وتركها على رغيف فلقيت حبيبا قتل ألت أنت ابن فلان وقد مات أبوك قال بلى فتأولته إليها قالوا وأقبل يبي وبغرا - ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتوا أسيرا - ثم لم يذقه بعد ذلك ومكث يشهى ثمرا سنين فلما كان ذات يوم اشترى ثمرا بغيراط ورضه إلى الليل ليطير عليه قال فهبت ريح شديدة حتى أظلمت الدنيا فذبح الناس فأقبل عتبة على نفسه يقول هذا لجرادى عليك وشرأتى الثمر بالغيراط ثم قال لنفسه ما أظن أخذ الناس إلا بذبك على أن لاتذوقه . واشترى داود الطائي بنصف فاسي غلا وبغلي خلا وأقبل ليته كلها يقول لنفسه ويا داود ما أطول حسابك يوم القيامة ثم لم يأكل بعده إلا تقارا وقال عتبة الفلام يوما لبيد الواحد بن زيد أن فلانا نصف من نفسه ثملة ما أعرفها من نفسى قال لئنك تأكل مع خبزك ثمرا وهو لا يزيد على الخبز شيئا قال فان أنا تركت أكل الثمر عرفت تلك المثلة قال نعم وبغيرها فأخذ يبيى فقال له بعض أصحابه لا يبيى الله عينك أكل الثمر يبيى فقال عبد الواحد دعنا فإن نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك وهو إذا ترك شيئا لم يماوده . وقال جعفر بن نصر أمرني الجند أن اشترى له الثين الوزرى فلما اشترته أخذ واحدة عند الفطور فوضتها في فم ثم ألقاها وجعل يبيى ثم قال احمله قتلته في ذلك قال هفف بي هانفأما تستحي تركه من أجل ثم تعود إليه ، وقال صالح المري قلت لعطاء السلمي إن مكلفك شيئا فلا ترد على كرامتي قال اقبل ما تريد قال فبعت إليه مع ابني شربة من سوق قد لته بسمن وعسل قتل لا تبرح حتى يشربها فلما كان من القد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فعاتبته ولته على ذلك وقلت سبحان الله رددت على كرامتي فلما رأى وجدى لذلك قال لا يؤولك هذا إنى قد شربتها أول مرة وقد راودت نفسى في المرة الثانية على شربها فلم أقدر على ذلك كما أردت ذلك ذكرت قوله تعالى - يتجرعون ولا يكاد يسيغه - الآية . قال صالح فبكيت ونلت في نفسى أنا في واد وأنت في واد آخر ، وقال السري السقطي تسمى منذ ثلاثين سنة تطالبني أن أغشى جزرة في ديس فأطعمتها . وقال أبو بكر الجلاء أعرف رجلا يقول له نفسه أنا أصبر لك على طي عشرة أيام واطمئن بعد ذلك شهوة اشترتها فيقول لها لا أريد أن تطوي عشرة أيام ولكن اتركي هذه الشهوة . وروى أن عابدا دعا بعض إخوانه فحرب إليه رغفانا فجعل أخوه يقبل الرغفة ليختار أجودها فقال له العابد مه أى شيء تصنع أما علمت أن في رغيف الذى رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صائنا حتى استدرك من السحاب الذى عمل الماء والماء الذى يسقى الأرض والرياح والبهايم وبني آدم حتى صار إليك ثم أنت بعد هذا تخليه ولا ترضى وفي الخبر لا يستدبر الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثائة وستون صائنا أولهم ميكائيل ميكائيل عليه السلام الذى يكيل لئام من خزائن الرحمة ثم للثلثائة التى تزجى السحاب والشمس والقمر والأفلاك وملائكة الهواء ودواب الأرض وآخرهم الحياز - وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها - (١) هـ

(١) حديث لا يستدبر الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثائة وستون صائنا أولهم ميكائيل

عباس رضى الله عنهما
عن التم والنضب قال
مخرجهما واحدوا لفظ
يختلف فمن نازع من
يقوى عليه أظهره
غضا ومن نازع من
لا يقوى عليه كنهه
حزنا والجدد غضب
أضا ولكن يستعمل
إذا قصد للتضوب عليه
وإن كان النضب على
من يشا له وبما له
من يتردد في الانتقام
منه يتردد القلب بين
الانقباض والانبساط
فيتولد منه الغل والحقد
ولا يؤول مثل هذا إلى
قلب الصوفي قال الله
تعالى - وزعنا ما في
صدورهم من غل -
وصلاة قلب الصوفي
وحاله ينفذ زبد القل
والحقد كايغذى البحر
الزبد لحافيه من تلاطم

وقال بعضهم أتيت قاصدا الجرعى فسأته عن الزهد أي شيء هو فقال أي شيء سمعت فيه فعددت أقوالا فسكت فقلت وأي شيء تقول أنت فقال : اعلم أن البطن دنيا العبد فيقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد ويقدر ما يملكه بطنه يملكه الدنيا ، وكان بشر بن الحرث قد اعتل مرة فأتى عبد الرحمن الطبيب يسأله عن شيء يوافقه من للأكلات فقال تسألني فإذا وصفت لك لم تقبل مني قال صف لي حتى أسمع قال تشرب سكرنجينا وتعص سرفجلا وتأكل يمد ذلك اسفيداجا فقال له جبره تعلم شيئا أقل من السكجيين يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال المهدب يا بلخ ثم قال أنصرف شيئا أقل من السرفجل يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال الخرنوب الشامي قال تحفر شيئا أقل من الاسفيداجا يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف ماء الحص يسمن البقر في معناه فقال له عبد الرحمن أنت أعلم مني بالطب فلم تسألني ، فقد عرفت بهذا أن هؤلاء امتنعوا من الشهوات ومن الشبع من الأنوثات وكان امتناعهم للفوائد التي ذكرناها وفي بعض الأوقات لأنهم كانوا لا يصفون لهم الحلال فلم يرضوا لأنفسهم إلا في قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات قال أبو سليمان للملح شهوة لأنه زيادة على الحيز وما وراء الحيز شهوة وهذا هو النهاية ، فمن لم يقدر على ذلك فينبغي أن لا يغفل عن نفسه ولا يهتمك في الشهوات فكفي بالمرء إسرا أن يأكل كل ما يشتهي ويفعل كل ما يهواه فينبغي أن لا يربط على أكل اللحم . قال علي كرم الله وجهه من ترك اللحم أربعين يوما شاء خلقه ومن دوام عليه أربعين يوما تساقطه ، وقيل إن للدوام على اللحم ضرراوة كضرارة الخمر ومهما كان جانا وتناقت نفسه إلى الجماع فلا يبنى أن يأكل ويجماع فيعطى نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الأكل لينشط في الجماع ، ويستحب أن لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيضاد الفتور ويقسوقه لذلك ولكن ليسر أولي جاس فيذكر الله تعالى فإنه أقرب إلى الشكر ، وفي الحديث «أذيوأ طعامكم بالذكر والصلاة ولا تأموا عليه فتفسد قلوبكم» (١) وأقل ذلك أن يصل أربع ركعات أو يسبح مائة تسبيحة أو يقرأ جزءا من القرآن عقيب أكله ، فقد كان سفيان الثوري إذا شبع ليلة أحياها وإذا شبع في يوم وأمله بالصلاة والله كر وكان يقول أشبع الزنجي وكده مرة يقول أشبع الحمار وكده ومهما اشرب شيئا من الطعام وطيبات الفواكه فينبغي أن يترك الحيز ويأكلها بلا منه لتكون قوتها ولا تكون نفعها للجماع يجمع للنفس بين عادة شهوة . نظره سهل إلى ابن سالم وفيه خبر وتحرق قال له أبدا بالخرقان قامت كفايتك به وإلا أخذت من الحيز جده بقدر حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا أو غليظا فليقدم اللطيف فإنه لا يشتهي التليظ بعده ولو قدم التليظ لأكل اللطيف أيضا للطاعة وكان بعضهم يقول لأصحابه لا تأكلوا الشهوات فإن أكلتوها فلا تطلبوها فإن طلبتوها فأنجبوها وطالب بعض أنواع الحيز شهوة قال عبدالله بن عمر رحمة الله عليهما ماتا ثنيينا من العراق فأكهة أحب اليانا من الحيز فرأى ذلك الحيز فأكهة ، وعلى الجملة لا سبيل إلى إهمال النفس في الشهوات للباحث وانباغيا بكل حال بقدر ما يستوفى العبد من شهوته يخشى أن يقال له يوم القيامة أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها - ويقدر ما يجد نفسه وبترك شهوته يتمتع في الدارين الآخرة بشهواته قال بعض أهل البصرة نازعتني نسي خبز أرز وصمكا فتمتها فتقويت مطالبها واعتدت بمجاهدتي لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رأيته في المنام فقلت ماذا فعل لك بك قال لا أحسن أن أصف ما تلقاني به ربي من النعم والكرامات وكان أول شيء استقبلني به خبز أرز وصمكا وقال كل اليوم شهوتك ههنا غير حساب وقد قال تعالى - كلوا واشربوا ههنا

أموال الأنس والمية وإن كان الغضب على من دونه من يمدح على الانتقام منه ثار دم القلب والقلب إذا ثار دمه يحمر ويقسو ويتصلب وتذهب عنه الرقة واليباض ومنه تحمر الوجتان لأن الدم في القلب ثار وطلب الاستملاء وانتفخت منه العروق فظهر عكسه وأثره على الحد فيعدي الحدود حيثن بالضرب والشم ولا يكون هذا في الصوفى إلا عند هتك الحرمات والغضب لله تعالى فأما في غير ذلك فينظر الصوفى عند الغضب إلى الله تعالى ثم شواء تحمله على أن يزن حرصه وقوله

الحدثم أبجد له أصلا (١) حديث أذيوأ طعامكم بالصلاة والذكر ولا تأموا عليه فتفسد قلوبكم طس وابن السني في اليوم واليلة من حديث عائشة بسند ضعيف .

عما أسلفتم في الأيام الخالية - وكانوا قد أسلفوا ترك الشهوات ولذلك قال أبو سليمان ترك شهوة من الشهوات أتبع للقلب من صيام سنة وقامها وقتنا الله لمسا رضي .

(بيان اختلاف حكم الجوع وفقره واختلاف أحوال الناس فيه)

اعلم أن المطلوب الأقصى في جميع الأمور والأخلاق الوسط إذ خير الأمور أوساها وكلما طرقت قصد الأمور ذميمة وما أرادته في فضائل الجوع ربما يوصى إلى أن الإفراط فيه مطلوب وهميات ولكن من أسرار حكمة السرعة أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في التعمد على وجه يوصى عند المجاهد إلى أن المطلوب مضادة ما يقضيه الطبع بقاية الأمان والعالم يدرك أن التصود الوسط لأن الطبع إذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي أن يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقوا ومان ومعدل الاعتدال فإن من يقدر على قمع الطبع بالكيفية بعيد فيعلم أنه لا ينتهي إلى الغاية فإنه إن أسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع أضاما يند على إفساده كما أن الشرع بالغ في الشاء على قيام الليل وصيام النهار ثم لمسا علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بشهم أنه يصوم السهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه (١) فإذا عرفت هذا فاعلم أن الأفضل بالإضافة إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يجسى بقل المعدة ولا يجسى بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه الجوع أصلا فإن مقصود الأكل بقاء الحياة وقوة العبادة ونقل اللذة عن من العبادة وألم الجوع أيضا يشغل القلب وينتج منها فائض ود أن يأكل أكلا لا يبق للمساؤول فيه أن يتركه مشتبها باللائكة فإنه مقدم من نقل الطعام وألم الجوع وغاية الإنسان الاقتداء بهم وإذا لم يكن للإنسان خلاص من الشبع والجوع فأبعد الأحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الآمى البعد عن هذه الأطراف المتقابلة بالرجوع إلى الوسط مثال ثمة أقيمت في وسط حلقة محيطة على الدار ممر وحطة على الأرض فإن الثمة تهزب من حرارة الحلقة وهي محطتها بها لا تقدر على الخروج منها فلا تزال تهزب حتى تستقر في المركز الذي هو الوسط فلو ماتت ماتت على الوسط لأن الوسط هو أبعدها والواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالإنسان إحاطة تلك الحلقة بالثمة باللائكة خارجون عن تلك الحلقة ولا مطعم للإنسان في الخروج وهو يريد أن يشبه باللائكة في الخلاص فأشبه أحواله بهم البعد وأبعد الواضع عن الأطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا في جميع هذه الأحوال المتقابلة وعنه عبر بقوله صلى الله عليه وسلم « خير الأمور أوساها » (٢) وإليه الإشارة بقوله تعالى - وكلا واشربوا ولا تسرفوا - ومهما لم يجس الإنسان بجوع ولا شبع تيسر له العبادة والفكر وخفف في نفسه وقوى على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع أما في بداية الأمر إذا كانت النفس جوارحا منشوقة إلى الشهوات مائلة إلى الإفراط الاعتدال لا ينفعها بل لا بد من المبالغة في إيلائها بالجوع كما يبالغ في إيلاء الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره إلى أن تعتدل فإذا ارتاحت واستوت ورجعت إلى الاعتدال ترك تعذيبها وإيلائها ولأجل هذا السر بأمر الشيخ مريد عما لا يتعاطاه هو في نفسه قيامه بالجوع وهو لا يجوز وعنه القوا كوالشبهات وقد لا ينتج هو منها لأنه قد فرغ من تأديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان أغلب أحوال النفس الشره والشهوة والجناس والامتناع عن العبادة كان الأصابع لها الجوع الذي تحس بألمه في أكثر الأحوال لتتكسر نفسه وللقصود أن تتكسر حتى تعتدل فترد بعد ذلك في الغذاء أيضا إلى الاعتدال وإنما

(١) حديث الترمي عن صوم السهر كله وقيام الليل كله تقدم (٢) حديث خير الأمور أوساها البرقي في الشعب مرسل وقد تقدم .

بمزان الشرع والعدل
وبهم النفس بعدم
الرضا بالقضاء ، قبل
لبعضهم : من أفر
الناس لنفسه قال
أضام بالمقدور
وقال بعضهم أصبحت
وعلى سرور لإمواقع
القضاء وإذا اتهم
الصوفي النفس عند
الغضب تداركه العلم
وإذا لاح علم العلم
قوى القلب وسكنت
النفس وعاد دم القلب
إلى موضعه ومقره
واعتدل الحال وفاضت
حرارة الحد وبانت
فضيلة العلم قال عليه
السلام « السم
الحسن والتسودة
والاقتصاد جزء من
أربعة وعشرين جزءا
من الثروة » . وروى
حاتمة بن قدامة قال

يتمتع من ملازمة الجوع من سالكى طريق الآخرة إما صديق وإما مغرور أحق أما الصديق فلا تستامة نفسه على الصراط المستقيم واستغاثته عن أن يساق بسياط الجوع إلى الحق وأما الغرور فلظنه بنفسه أنه الصديق للسنتي عن تأديب نفسه الظان بها خيرا وهذا غرور عظيم وهو الأغلب فالنفس قلما تأتأب تأديبا كاملا وكثيرا ما تنظر إلى الصديق ومساخنة نفسه في ذلك فيساع نفسه كالمرضى ينظر إلى من قد صم من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصعة فيهلك والذي يدل على أن تقدير الطعام بمقدار يسير في وقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا في نفسه وإنما هو مجاهدة نفس متنافية عن الحق غير بالثة رتبة الكمال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى يقول لا يظفر ويغفر حتى يقول لا يصوم (١) وكان يدخل إلى أهله فيقول « هل عندكم من شيء » فإن قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال إني إذن صائم (٢) وكان يقدم إليه الله ويقول « أما إني قد كنت أردت الصوم ثم بأكل (٣) » وخرج عليه السلام يوما وقال « إني صائم » فقال لعائشة رضى الله عنها قد أهدى إلينا حيس فقال كنت أردت الصوم ولكن قريبه (٤) « ولذلك حتى عن سهل أنه قيل له كيف كنت في بدنايك فأخبر بضروب من الرياض منها أنه كان يقات ورق البق مدة ومنها أنه أكل دقيق الثين مدة ثلاث سنين ثم ذكر أنه أقات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين فقيل له فكيف أنت في وقتك هذا فقال آكل بلا حد ولا توقيت وليس المراد بقوله بلا حد ولا توقيت أنى آكل كثيرا إلى أن لا أقدر بمقدار واحد ما أكله وقد كان معروف السكر حتى يهدى إليه طبياط الطعام فيأكل فقيل له إن أكلت كثيرا لا يأكل مثل هذا فقال إني أخشى شررا فيضه الورع وأنا بسطني للفرقة ثم قال إنما أنا ضيف في دار مولاي فإذا أطمعني أكلت وإذا جوعني صبرت مالي والاعتراض والتخير ودفع إبراهيم بن آدم إلى بعض إخوانه دراهم وقال خذ لنا بهذه الدراهم زبدا وعسلا وخزرا حورا فيقبل بأبأ إسحق بهذا كله قال وبجك إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال وإذا عدنا صبرنا صبر الرجال وأصلح ذات يوم طعاما كثيرا ودعا إليه تقرا يسيرا فيهم الأوزاعي والثوري فقال له الثوري بأبأ إسحق أما تخاف أن يكون هذا إسرافا فقال ليس في الطعام إسراف إنما الاسراف في اللباس والأثاث فالذي أخذ العلم من البيع والنقل تقليدا يرى هذا من إبراهيم بن آدم ويسمع عن مالك بن دينار أنه قال ما دخل بيتي للتعلم منذ عشرين سنة . وعن سري السقطي أنه منذ أربعين سنة يشتهي أن يمس جزرة في ديس فما فعل ففراء متناقضا فيخبر أو يقطع بأن أحدهما غلطى . والبصير بأسرار القول يعلم أن كل ذلك حق ولكن بالاسافة إلى اختلاف الأحوال ثم هذه الأحوال المختلفة يسعها فطن غصاط أن غي مغرور فيقول الغصاط ما أنا من جملة العارفين حتى أسامع نفسى قايس نفسى أطوع من نفس سري السقطي ومالك بن دينار وهؤلاء من المتنعين عن الشهوات فيقتدى بهم والغرور يقول ما نفسى بأعصى على من نفس معروف

(١) حديث عائشة كان يصوم حتى يقول لا يظفر ويغفر حتى يقول لا يصوم متفق عليه (٢) حديث كان يدخل إلى أهله فيقول هل عندكم من شيء . فإن قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال إني صائم . وهو من حديث عائشة وهو عندكم من شيء . (٣) حديث كان يقدم إليه الله ويقول « أما إني قد كنت أردت الصوم ثم بأكل (٤) حديث عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى يقول لا يظفر ويغفر حتى يقول لا يصوم (٥) وكان يدخل إلى أهله فيقول « هل عندكم من شيء » فإن قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال إني صائم . وهو من حديث عائشة وهو عندكم من شيء . (٦) حديث كان يقدم إليه الله ويقول « أما إني قد كنت أردت الصوم ثم بأكل (٧) ورواية له أدنيه فلقد أصبحت صائما فأكل وفي لفظ للبيهقي إني كنت أريد الصوم ولكن قريبه .

قلت يا رسول الله أأوصى وأقلل إلى أعيه قال لا تنضب فأعاد عليه كل ذلك يقول لا تنضب قال عليه السلام « إن القضب جرة من النار ألم تنظروا حمرة عينيه واشتياؤه أوداجه من وجد ذلك منكهم فإن كان قائما فليجاس وإن كان جالسا فليضطجع » . أخبرنا سياء الدين عبد الوهاب ابن عيسى قال أنا أبو الفتح المروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا الجراحى قال أنا الجبوى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا محمد بن عبد الله قال حدثنا بشر بن الفضل عن قرعة بن خالد عن أبي حمزة عن ابن عباس رضى الله

الكرخي وإبراهيم بن آدم فأقدي بهم وأرفع التقدير في ما كوني فأنا أيضا سيف في درملوى فإلى ولا اعتراض ثم إنه لو قصر أحد في حقته وتوقيره أوفى ماله وجاهه بطريقة واحدة قامت القيامة عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحق بل رفع التقدير في الطعام والصيام وأكل الشهوات لا يسلم إلا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله واتقائه ولا يكون ذلك إلا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكيفية حتى يكون أكله إذا أكل في ثنية كما يكون إمساكه في ثنية فيكون عاملا لله في أكله وإفطاره فينبغي أن يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فإنه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الصل ويأكله ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرضت عليه فربة باردة مزوجة بصل جعل يدبر الاناء في يده ويقول أشربها وتذهب حلاوتها وتبقى نبيتها اعزلوا عن حساسها وتركها وهذه الأسرار لا يجوز لشيخ أن يكشفها مره بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعو إلى الاعتدال فإنه يقتصر لاحتالة عما يدعو إليه فينبغي أن يدعو إلى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له أن العارف الكامل يستغنى عن الرياضة فإن الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيأتي إليه كل ساعة إنك عارف كامل وما الذي فاتك من المعرفة والسكال بل كان من عادة إبراهيم الخواص أن يخوض مع اللريد في كل رياضة كان يأمر بها كيلا يخطر بباله أن الشيخ لم يأمر بما لم يفعل فينفرد بذلك من رياضته والقوى إذا اشتغل بالرياضة وإصلاح القبر فرم الزول إلى حد الضعفاء تشبههم وتلطفوا في إقامتهم إلى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للأتباع والأولياء وإذا كان أحد الاعتدال خفيا في حق كل شخص فالحزم والاحتياط فينبغي أن لا يترك في كل حال ولذلك أدب عمر رضي الله عنه ولله عبد الله إذ دخل عليه فوجده يأكل طعاما مأدوما بسمن فعلاه بالبردة وقال ألم لك كل يوما خبزاً ولما يوما خبزاً ولما يوما خبزاً وصنا ويوما خبزاً وريتا ويوما خبزاً وملحاً ويوما خبزاً فقارا وهذا هو الاعتدال فأما الواظبة على اللحم والشهوات فافراط وإسراف ومهارة بالحكم بالكيفية إقرار وهذا قوام بين ذلك والله تعالى أعلم .

(بيان آفة الرياء للتعرق إلى من ترك أكل الشهوات وقلل الطعام)

اعلم أنه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمنتان هما أعظم من أكل الشهوات : أحدهما أن لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فقتلتها ولكن لا يريد أن يعرف بأنه يشتبه فيخفي الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذا هو الشرك الحق . سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه قبله هل تعلم بما سألك قال يأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد إذا ابتلى بالشهوات وحبا أن يظهرها فإن هذا صدق الحال وهو يدل عن قوات المجاهدات بالأعمال فإن إخفاء النفس وإظهار ضده من الكمال هو نقصانان متضاعفان والكذب مع الإخفاء كذبان فيكون مستحقا لعقوبتين ولا يرضى منه إلا بتوبتين صادقتين ولذلك شدد أمر المنافقين فقال تعالى - إن المنافقين في العذر الأسفل من النار - لأن الكافر كفر وأظهر وهذا كفر واستر فكأن ستره لكفره فكرا آخر لأنه استخف بنظر الله سبحانه وتعالى إلى قلبه وعظم نظر الخلقين فيهما الكفر عن ظاهره والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والشئ والإخفاء بل كمال العارف أن يترك الشهوات لله تعالى فيظهر من نفسه الشهوة إسقاطا لمزقه من قلوب الخلق وكان بسهم يشتري الشهوات ويعلقها في البيت وهو فيها من الزاهدين وإنما يقصد به تلبس حاله ليصرف

(١) حديث كان يحب الصل ويأكله متفق عليه من حديث عائشة كان يحب الحلواء والصل الحديث وفيه قصة شربه الصل عند بعض نساءه .

عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأشج عبد النبي « إن فيك خصلتين يحبهما الله تعالى الحلم والأناة » ومن أخلاق الصوفية التوود والتألف والواقعة مع الاخوان وترك المحالة قال الله تعالى في وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - أشداء على الكفار - رحما بينهم - وقال الله تعالى - لو أنفقت مافي الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - والتوود والتألف من اختلاف الأرواح على ماورد في الخبر الذي أوردته فما عارف منها ائتلف قال الله تعالى - فأصبحن نعتن

عن نفسه قلوب العاقلين حتى لا يشوشون عليه حاله فتهاية الزهد : الزهد في الزهد باظهار ضده وهذا عمل
الصديقين فانه جمع بين صديقين كما أن الأول جمع بين كذابين وهذا قد حمل على النفس تغليباً وجرعاً
كأس الصبر مرتين مرة يشربه ومرة يرميه فلا جرم أولئك يؤتون أجراً مرتين بما صبروا وهذا
يضاهي طريق من يعطى جهراً فيأخذ سرّاً ليكسر نفسه بالقل جهراً وبالقرسراً فين فانه هذا خلا
ينبغي أن يفرغه إظهار شهوته وقصصانه والصدق فيه ولا ينبغي أن يضره قوله للشيطان إنك إذا أظهرت
اقتدى بك غيرك فاستره إصلاحاً لغيرك فانه لو قصد إصلاح غيره لكان إصلاح نفسه أهم عليه من غيره
فهذا إنما يقصد الرياء المجرى وبروجه الشيطان عليه في معرض إصلاح غيره فذلك تمل عليه ظهور
ذلك منه وإن علم أن من اطاع عليه ليس يقتدى به في الفعل أولاً يترجم باعتقاده أنه تارك للشهوات .
الآفة الثانية : أن لا يقدر على ترك الشهوات لكنه يفرح أن يفرقه فيشهر بالشهوات عن الشهوات فقد
خالق شهوة ضيقة وهي شهوة الأكل والطعام شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وتلك هي الشهوة الخفية
فمنها أحسن بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة أكد من كسر شهوة الطعام قليلاً كل فهو أولى له
قال أبو سليمان إذا قدمت إليك شهوة وقد كنت تاركاً لها فأصبر منها شيئاً يسيراً ولا تمس نفسك منها
فتكون قد أسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد قصت عليها إذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن
محمد الصادق إذا قدمت إلى شهوة نظرت إلى نفسي فإن هي أظهرت شهوتها أطمعها منها وكان ذلك
أفضل من منها وإن أخفت شهوتها وأظهرت العزوب عنها أعطينا بالترك ولم أتلها منها شيئاً وهذا
طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان
مكّن هرب من عقرب ووزع إلى حية لأن شهوة الرياء أضر كثيراً من شهوة الطعام والله ولي التوفيق .

(القول في شهوة الفرج)

اعلم أن شهوة الواقع ساطعة على الإنسان لقادتين : إحداها أن يدرك لذته فيقبس به لذات الآخرة فان
لذة الواقع لو دامت لكانت أقوى لذات الأجساد كان النار والاهلأعظم آلام الجسد والفرغيب والتهريب
يسوق الناس إلى سعادتهم وليس ذلك إلا بألم محسوس ولذة محسوسة مدركة فان ما لا يدرك بالذوق لا يعظم
إليه الشوق . الغائبة الثانية : بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الآفات ما هلك
الدين والدنيا إن لم تضبط ولم تقهر ولم ترد إلى حد الاعتدال وقد قيل في تأويل قوله تعالى - ربنا ولا
تعملنا ما لا طاقة لنا به - معناه شدة الغلة . وعن ابن عباس « في قوله تعالى - ومن شر غاسق إذا وقب -
قال هو قيام الذكر » وقد أسند بعض الرواة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلهاته قال في تفسيره
« الله كذا دخل وقد قيل إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله ^(١) » وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه
« أعوذ بك من شر سمى وسمى وقلبي وهنى ومنى ^(٢) » وقال عليه السلام « النساء جبايل الشيطان
ولو لا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال ^(٣) » روى أن موسى عليه السلام كان جالساً
في بعض مجالسه إذ أقبل إليه إبليس وعليه برنس يتلون فيه ألواناً فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه
فقال السلام عليك يا موسى فقال له موسى من أنت فقال أنا إبليس فقال له ما جاء بك قال جئت لأسلم
عليك لئلا تترك من الله ومكانته قال فما الذي رأيت عليك قال برنس أخطب به قلوب بني آدم قال فما

إحوائه وقال سبحانه
وتعالى - واعتصموا
بعجل الله جميعاً ولا
غرقوا - وقال عليه
السلام « المؤمن آلف
مألوف لا خير فيمن
لا يألف ولا يؤلف »
وقال عليه السلام « مثل
للمؤمنين إذا اتقيا
مثل البيدين قد
إحدهما الأخرى
وما اتقى مؤمناً إلا
استفاد أحدهما من
صاحبه خيراً » وقال
أبو إدريس الخولاني
لمعاد بن أبيه في الله
فقال أبشر ثم أبشر
فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يقول « ينصب لطائفة
من الناس كراسي حول
العرش يوم القيامة
وجوهم كالقمر ليلة
البدر يفرغ الناس

(١) حديث ابن عباس موقوفاً ومسنداً في قوله تعالى - ومن شر غاسق إذا وقب - قال هو قيام الذكر
وقال الذي أسنده الله ذكر إذا دخل هذا حديث لأصله (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر سمى
وجهرى وقلبي وتقدم في الدعوات (٣) حديث النساء جبايل الشيطان الأصهباني في الترغيب
والتهريب من حديث خالد بن زيد الجهني بإسناد فيه جهالة .

الذي إذا منته الإنسان استجودت عليه قال إذا أبحته نفسه واستكثر عمله ونسى ذنوبه وأحذر ثلاثاً: دخل بامرأته لأجل لك فانه ماحلاً رجل بامرأته لأجل له إلا كنت صاحباً دون أصحابي حتى أقتنها وأقتنها به ولا تعاهد الله عهداً إلا وفيت به ولا تخرج من صدقة إلا أعتبتها فانه ما أخرج رجل صدقة فغير عضها إلا كنت صاحباً دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء بها ثم ولي وهو يقول يا وليته علم موسى ما عجز به بن آدم . وعن سعيد بن الجلب قال ما بين الله نبياً فيها خلا إلا لميأس لميأس أن يسلكها النساء ولا شيء . أخوف عندي منهن وما بالمدنية بيت أدخله إلا يتيق ويثابتي أغتسل فيه يوم الجمعة أروح وقال بعضهم إن الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندى وأنت تسمى الذي أرى به فلا أخطئ . وأنت موضع سرى وأنت رسول في حاجك فصف جندته الشهوة ونصف جندته الغضب وأعظم الشهوات شهوة النساء وهذه الشهوة أيضاً لها إفراط وتفریط واعتدال فالإفراط ما يقهر العقل حتى يصرف همه الرجل إلى الاستمتاع بالنساء والجوارى فيهرم عن سلوك طريق الآخرة وأقهر الدين حتى يجرى إلى اتحاق القواض وقد تبتى إفراطها بطائفة إلى أمرين شنيعين : أحدهما أن يقتالوا ما يقوى همهم على الاستكثار من الوقائع كما قد يقتالون بعض الناس أدوية قوى للمدة لتبظم شهوة الطعام ومماثل ذلك إلا كن ابن سباع ضارية وحيات عادية فتنام عنه في بعض الأوقات فيجتال لإثارتها وتهيجها ثم يشغلها بصلاحتها وعلاجها فان شهوة الطعام والوقائع على التحقيق آلام يريد الإنسان الخلاص منها فيدرك لغة بسبب الخلاص . فان قلت قد روي في غريب الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « شكوت إلى جبرائيل صف الوقائع فأمرني بأكل الحريسة ^(١) » فاعلم صلى الله عليه وسلم كان نعمت تنفع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالامتناع وحرم عليهن غيره نكاحهن وإن طلقهن فكان طلبه غاية الجلب عيباً وضع له الوقائع وهو والأمر الثاني أنه قد تنهت هذه الشهوة ببعض الضلال إلى العشق وهو غاية الجلب عيباً وضع له الوقائع وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهائم لأن التشق ليس ينفع بآراق شهوة الوقائع وهي أقبح الشهوات وأجدرها أن يستحيا منه حتى اعتقد أن الشهوة لا تنقض إلا من محل واحد والبهيمية تنقض الشهوة أين اتفق فكفي به وهذا لا يكتفي إلا بشخص واحد معين حتى يزاد به ذلاً إلى ذل وعبودية إلى عبودية وحتى يستخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعاً لا ليكون خادماً للشهوة ومعتلاً لأجلها وما العشق إلا سمة إفراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا م له وإنما يجب الاحتراز من أوائله ترك معاودة النظر والفكر وإلا فإذا استحك عسر دفعه فكذلك عشق السال والجاه والمقار والولاد حتى حب اللعب بالطيور والزرد والشرطنج فان هذه الأمور قد تستولى على طائفة بحيث تنفص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة . ومثال من يكثر سورة العشق في أول انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها إلى باب لتدخله وما أهون منعها بصرف عنانها ومثال من يبالغها بصد استحكامها مثال من ترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنباؤها ويجرها إلى ورانها وما أعظم التفاوت بين الأمرين في اليسر والعسر فليكن الاحتياط في بدايات الأمور فأما في أواخرها فلا تقبل العلاج إلا بمجهود جهيد يكاد يؤدي إلى نزاع الروح فادن إفراط الشهوة أن يظلب العقل إلى هذا الحد وهو مذموم جداً وتفریطها بالنسوة أو بالصف عن امتناع النكاح هو أيضاً مذموم وإنما المجهود أن تكون معتدلة ومطبعة للعقل والشرع في اقتضاها وانسائها ومنها أفرطت فكسرها بالجوع والنكاح قال

(١) حديث شكوت إلى جبريل صف الوقائع فأمرني بأكل الحريسة العقيلي في الضمفاء طس من حديث حذيفة وقد تقدم وهو موضوع .

وم لا يزعمون وبخاف
الناس وهم لا يخافون
وم أولياء الله الذين
لا خوف عليهم ولا هم
يخزون قيل من هؤلاء
يا رسول الله . قال
التحابون في الله . وقيل
لوتحاب الناس وتعاطوا
أسباب المحبة واستخافوا
بها عن العدالة . وقيل
العدالة حلقة المحبة
تستعمل حيث لا توجد
المحبة وقيل طاعة المحبة
أفضل من طاعة الرعية
فان طاعة المحبة من
داخل وطاعة الرعية
من خارج ولهذا للمنى
كانت محبة الصوفية
مؤثرة من البعض في
البعض لأنهم لما تحابوا
في الله تواسوا بمحاسن
الأخلاق ووقع القبول
بينهم لوجود المحبة
فانتفع كذلك للريد

على الله عليه وسلم « معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فليبه بالصوم فالصوم له وجاء » (١) .
(بيان ما على الريد في ترك الزوج وصفه)

اعلم أن الريد في ابتداء أمره ينبغي أن لا يشغل حسه بالزواج فإن ذلك يشغل شاغلًا يمنعه من السلوك ويستجده إلى الأنس بالزوجة ومن أنس بغير الله تعالى شغل عن الله ولا يفرقه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى (٢) فلا غش للامتناع بالحدادين ولذلك قال أبو سليمان الهاراني من تزوج قد ركن إلى الدنيا وقال ما رأيت مريدًا تزوج فثبت على حاله الأول وقول له مرة ما أحوجك إلى امرأة تأنس بها فقال لا أنسى الله بها أي إن الأنس بها يمنع الأنس بالله تعالى وقال أيضًا كل ما تشغل عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشغوم فكيف يقاس غير رسول الله صلى الله عليه وسلم به وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه إلى حد كان يغشى منه في بعض الأحوال أن يسرى ذلك إلى قلبه فهدمه فلذلك كان يضرب يده على غدة عائشة أحيانًا ويقول كليلي يا عائشة لتشفه بكلامها عن عظم ما هو فيه لتصور طاعة قلبه عنه (٣) فقد كان طبعه الأنس بالله عز وجل وكان أنه بالخلق عارضا رقيقا يده ثم إنه كان لا يطبق الصبر مع الخلق إذا جالسهم فإذا شاق صدره قال أرحنا بها بإيالة (٤) حتى يعود إلى ما هو قرة عينه (٥) فالتصيف إذا لاحظ أحواله في مثل هذه الأمور فهو مغرور ولا يأفهم تنصر عن الوقوف على أسرار أفعاله صلى الله عليه وسلم فشرط الريد العزلة في الابتداء إلى أن يقوى في المراقبة هذا إذا لم تلبه الشهوة فإن تلبه الشهوة فليكرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فإن لم تنتفع بالشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ الفلح مثلًا وإن ندر على حفظ الفرج فالتسكح هو أولى لتسكن الشهوة وإلا فهم لم يحفظ عنه لم يحفظ عليه فكمه . وشرق عليه همه وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصغار وهو يؤدي على القرب إلى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غضن بصره لم يقدر على حفظ فرجه قال عيسى عليه السلام إياكم والنظرة فإنها تزور في القلب شهوة وكفى بها فتنة . وقال سعيد بن جبير إن عاصيات الفتنة لا ودعه السلام من قبل النظرة ولذلك قال لابنه عليه السلام يا بني امش خلف الأسد والأسود ولا تمش خلف المرأة وقيل ليحي عليه السلام ما بهد الزنا قال النظر والتقي . وقال الفضيل يقول إبليس هو قوس القديعة وسهى الذي لا أخطئه به يعنى النظر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النظر سهم سهم قوس القديعة سهام إبليس فمن تركها خوفي من الله تعالى أعطاه الله تعالى إيمانًا يجد حلاوته في قلبه » (٦) وقال صلى الله عليه وسلم « أترك بدي فتنة أضر على الرجال من النساء » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت من قبل النساء » (٨) وقال تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم - الآية وقال عليه السلام « لكل ابن آدم حطمن الزنا فليصان ابن

بالشيخ والأخ بالأخ
ولهذا السبي أمراته تعالى
باجتماع الناس في كل
يوم خمس مرات في
للساجد أهل كل درب
وكل حلة وفي الجامع
في الأسبوع مرة أهل
كل بلد وانضم أهل
السواد إلى البلدان في
الأعياد في جميع السنة
مرتين وأهل الأقطار
من البلدان للفتنة
في العمر مرة للحج كل
ذلك لحكم بالغة منها
تأكيد الألفة وللودة
بين المؤمنين وقال عليه
السلام « المؤمن للمؤمن
كالبنيان يشد بعضه
بعضًا » أخبرنا أبو زرعة
قال أنا والذي أبو الفضل
قال: أبو نصر محمد بن
سلمان العدل قال أنا
أبو طاهر محمد بن محمد
ابن عيسى الرادي قال

(١) حديث معاشر الشباب من استطاع منكم النكاح فليتزوج الحديث تقدم في السكاح (٢) حديث كان لا يشغل قلبه عن الله تعالى جميع ما في الدنيا تقدم (٣) حديث كان يضرب يده على غدة عائشة أحيانًا ويقول كليلي يا عائشة لم أجده له أصلًا (٤) حديث أرحنا بها بإيالة تقدم في الصلاة (٥) حديث إن الصلاة كانت قرة عينه تقدم أيضًا (٦) حديث النظر سهم سهم قوس القديعة سهام إبليس الحديث تقدم أيضًا (٧) حديث ما ترك بدي فتنة أضر على الرجال من النساء متفق عليه من حديث أسامة ابن زيد (٨) حديث اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء من حديث أبي سعيد الخدري .

زَيْنَان وزَنَاها النظر واليدان زَيْنَان وزَنَاها البطش والرجلان زَيْنَان وزَنَاها الشئ والقمر زَيْنَان وزَنَاها
القبلة والقلب يهيم أَوْشَعِي وَيَصْدُقْ ذَلِكَ الْفَرْج أَوْبَكْذِهِ (١) وقالت أم سلمة «استأذن ابن أم مكتوم
الأعمى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وميمونة جالستان فقال عليه السلام احببنا قلنا
أوليس بأعمى ليمصرنا فقال وأنتا لا تبصرانه؟ (٢) وهذا يدل على أنه لا يجوز لفشاء بمجالسة الصبيان
كما جرت به العادة في المكآتم والولائم فيخرج من الأعمى الحلوۃ بالنساء وبجرم للمراۃ بمجالسة الأعمى
وتحديق النظر إليه لغير حاجة وإنما يجوز لفشاء محادثة الرجال والنظر إليهم لأجل عموم الحاجة وإن
قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالتكاسح أولى به فان التشر في الصبيان
أكثر فانه لو مال قلبه إلى امرأة أمكنه الوصول إلى استباحتها بالتكاسح والنظر إلى وجه الصبي بالشهوة
حرام بل كل من يثأثر قلبه بجمال صورة الأمرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين اللتحي لم يحل له
النظر إليه . فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجليل والقيس لا محالة ولم تزل وجوه الصبيان
مكتشوفة . فأقول لست أعي نفرة العين قط بل ينبغي أن يكون إدراك التفرقة كإدراك التفرقة
بين شجرة خضراء وأخرى يابسة وبين ماء صاف وماء كدر وبين شجرة عليها أزهارها وأنوارها
وشجرة تساقطت أوراقها فانه حينئذ إلى إحداها بينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولأجل
ذلك لا يشتهي ملامسة الأزهار والأنوار وتبنيها ولا تنفيل للماء الصافي وكذلك الشية الحسنة قد
تجبل العين إليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها نفرة لاشهوة فيها ويعرف ذلك
بميل النفس إلى القرب وللإساسة فهما وجد ذلك الليل في قلبه وأدرك نفرة بين الوجه الجليل وبين
البنات الحسن والأثواب النفشة والمشرف الذهبية فخطره نظر شهوة فهو حرام وهذا مما يتأدون
به الناس وبجرم ذلك إلى ما يطبوم لا يشعرون . قال بعض التابعين ما أنا بأخوف من السبع الضاري
على الشاب الناسك من غلام أمرد يجلس إليه . وقال سفيان لو أن رجلا عبث بسلام بين أصبعين
من أصابع رجله يريد الشهوة لكان لواطا . وعن بعض السلف لسيكون في هذه الأمة ثمانية أصناف
لو طيرون : صنف ينظرون وصنف يصالحون وصنف يملكون فاذن آفة النظر إلى الأحداث عظيمة فهما
محز للريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له أن يكسر شهوته بالتكاسح قرب نفس
لا يسكن توقاتها بالجوع . وقال بعضهم : غلبت على شهوتي في بدء إرادتي بما لم أطق فأكثر الضجيج
إلى الله تعالى فأرأيت شخصا في المنام فقال مالك فشكوت إليه فقال تقدم إلى فتقدمت إليه فوضع يده
على صدرى فوجدت بردها في فؤادى وجميع جسدى فأصبحت وقد زال ما بي فقيت معافى سنة ثم
عادوني ذلك فأكثر الاستغافرة فأنا في شخص في المنام فقال لي أعجب أن يذهب بنا مجده وأمرب
عنفك قلت نعم قال قد رقتك فهدتها فجرد سيفا من نور فضرب به عنق فأصبحت وقد زال ما بي
فقيت معافى سنة ثم عادوني ذلك أوأشد منه فأرأيت كأن شخصا في بين جنبي وصدرى غاطبني
ويقول ويحك كم تسأل الله تعالى رفع ما لا يجبر فمه قال فمزوجت فاقطع ذلك عن وولي في ومهما
احتاج للريد إلى التكاسح فلا ينبغي أن يترك شرط الارادة في ابتداء التكاسح ودوامه أما في ابتداءه
فبالتة الحسنة إلى دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا جميع ذلك
في كتاب آداب التكاسح فلا نطول بإعادته وعلامة صدق إرادته أن ينكح فقيرة متدنية ولا يطلب

(١) حديث لسك ابن آدم حظه من الزنا فالحينان زَيْنَان الحديث م هق واللفظ له من حديث
أنى فريرة واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس عوه (٢) حديث أم سلمة استأذن ابن
أم مكتوم الأعمى وأنا وميمونة جالستان فقال احببنا الحديث د ن ت وقال حس صحيح .

أنا أبو العباس محمد الله
ابن يعقوب الكرماني
قال حدثنا يحيى
الكرماني قال حدثنا
حماد بن زيد عن مجاهد
ابن سمع عن الشئ
عن الثمان بن بشر
قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يقول «ألا إن مثل
لؤلؤنين في توادم
وتحاجهم وتزاحمهم
كمثل الجسد إذا
اشتكى عضوه منه تداعى
سائر بالسر والنجى»
والسائق والتودد
يؤكد أن أسباب الصعبة
والصعبة مع الأخيار
مؤثرة جدا . وقد قيل
لقاء الإخوان لقا
ولاشك أن البواطن
تلتق ويثوى البعض
بالبعض بل مجرد النظر
إلى أهل الصلاح يؤثر

النية . قال بعضهم : من تزوج غنية كان له منها خمس خصال : مغالة الصداق وتسويق الوفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة وإذا أراد طلاقها لم يقدر خوفا على ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك . وقال بعضهم ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل بأربع وإلا استحقته بالن والطلو والبال والمحبوب وأن تكون فوقه بأربع بالجمال والأدب والورع والخلق وعلامة صدق الإرادة في دوام النكاح الخلق . تزوج بعض الريد بن بامرأة فلم يزل يخدمها حتى استجبت المرأة وعكست ذلك إلى أبيها وقالت قد تغيرت في هذا الرجل أنا في مؤمله منذ سنين ماضت إلى الخلاء قط إلا وحمل الماء قبل إليه . وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال فلما قرب زفافها أصابها الجدري فاشتد حزن أهلها لذلك خوفا من أن يستجبها فأراهم الرجل أنه قد أصابه رمد ثم أراهم أن جره قد ذهب حتى زفت إليه فزال عنهم الحزن فبقيت عنده عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينه حين ذلك فقال تيمده لأجل أهلها حتى لا يحزنوا فقبله قدس بقوت إخوانك هذا الخلق . وتزوج بعض الصوفية امرأة سيرة الخلق فكان يصبر عليها فتقبله لم لا تطلقها فقال أخوتها أن يتزوجها من لا يصبر عليها فيتأذى بها فان تزوج الريد فكذلك ينبغي أن يكون وإن قدر على الترك فهو أولى إذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم أن ذلك يشغله عن حاله كإروى أن محمد بن سليمان الهاشمي كان ملك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم فكتب إلى أهل البصرة وعلمائها في امرأة يتزوجها فأجمعوا كلهم على راحة البدوية رحما الله تعالى فكتب إليها : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فإن الله تعالى قد ملكني من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم وليس غنى الأيام والليالي حتى أجمعها مائة ألف أو أزيد أصيرك مثلها ومثلها فأجيبيني فكتبت إليه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الملم والحزن فإذا أتاك كئيب هذا فهي زادك وقدم لمادك وكفى تشك ولا تجعل الرجال أوصياءك فيقسموا تراثك فضع البهر ولكن فطرلك اللوت وأما أنا فقولان الله تعالى خولني أمثال الذي خورك وأضعافه ما سرتني أن أشتغل عن الله طرفة عين . وهذه إشارة إلى أن كل ما يشغل عن الله تعالى فهو نقصان فلينظر الريد إلى حاله وقلبه فإن وجدته في العزوبة فهو الأقرب وإن عجز عن ذلك فالتكاح أولى به ودواء هذه العلة ثلاثة أمور : الجوع وغش البصر والاشتغال بشغل يستولى على القلب فإن لم تنفع هذه الثلاثة فالتكاح هو الذي يتأصل سادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون إلى النكاح وإلى تزوج البتات فالسيد بن السيب ما أيس إيليس من أحد إلا وأناه من قبل النساء . وقال سعيد أيضا وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يشكو بالأخرى ماضى أخوف عندي من النساء . وعن عبد الله بن أبي وداعة قال كنت أجالس سيد بن السيب فغفدت أياما فلما أتيت قال ابن كنت ؟ قلت توفيت أهلى فاشتغلت بها فقال هلا أخبرتنا فشهدنا قال ثم أردت أن أقوم فقال هل استحدثت امرأة ؟ قلت رحمك الله تعالى ومن زوجني وما أمك إلا درهمين أو ثلاثة فقال أنا قلت وتفضل ؟ قال نعم ، فحمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين أو قال ثلاثة قال قممت وما أدرى ما أصنع من الفرح قصرت إلى منزلي وجعلت أفكر من أخذ وعن أسدي بن ضليت للفرج والنصر فأتى منزلي فأسرعت وكتبت سائما قد قدمت عشائي لأفطر وكان خبرا وزينا وإذا باني يفرح قلت من هذا ؟ قال سعيد قال فأفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن السيب وذلك أنه لم ير أربعين سنة إلا بين داره والسجد قال فخرجت إليه فإذا به سعيد بن السيب فظننت أنه قد بداه قلت يا أبا محمد لو أرسلت إلي لأيتيك فقال لا أنت أحق أن تزني قلت لما تأمر قال إنك كنت رجلا عزا فزوجت فكرهت أن أيتك الليلة وحده وهذه امرأة لك وإذا هي فاعة خلعه في طوله ثم أخذ يديها

صلاحوها والظرفي الصور
بؤثر أخلاقا مناسبة
خلق النظر إليه
كدوام النظر إلى
الحزون عجز ودوام
النظر إلى السرور
يسر . وقد قيل من
لا يغمك لحظة لا يغمك
لظنه والجلل السرود
يسير ذلول بمقارنة الجلل
الذلول فالمقارنة لها تأثير
في الحيوان والنبات
والجماد والشاء والهواء
يغمدان بمقارنة الجليف
والزروع تنق عن أنواع
السروق في الأرض
والنبات لموضع الأضداد
بالمقارنة وإذا كانت
للمقارنة مؤثرة في هذه
الأشياء في النفوس
الشريرة البشرية
أكثر تأثيرا ومضى
الإنسان إنسانا لأنه
يأس بمباراه من خير

فدفعها في الباب ورده فسطعت المرأة من الحياء فاستوقفت من الباب ثم تقدمت إلى القصة التي فيها الحبز والزيت فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت السطح فرميت الحبران جلاوون وقالوا ماشانك قات وبمحكم زوجي سعيد بن السيب ابنته اليوم وقد جاء بها البلية على خفة فقالوا أو بعيد زوجك ؟ قلت نعم قالوا وهي في الدار ؟ قلت نعم فزولوا إليها وأبلغ ذلك أمهات وأقارب وجلس من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام قال فأثمت ثلاثا ثم دخلت بها فإذا هي من أجل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهن بسنة رسول الله ﷺ وأعرقهم بحق الزوج قال فسكت شهرا لا يأتين سعيد ولا آتية فلما كان بعد الشهر أثمته وهو في حلقته فسلمت عليه فرد على السلام ولم يكلمني حتى تنرق الناس من المجلس فقال ما حال ذلك الإنسان قتلت بغير يا أبا محمد على ما يجب الصديق ويكره العدو قال إن رايك منه أمر فدوئك والعسا فانصرفت إلى منزلي فوجه إلى بشر بن ألف درهم قال عبد الله بن سلمان وكانت بنت سعيد بن السيب هذه قد خطبها منه عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولأه العهد فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزال عبد الملك يخالط على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف فاستجمل سعيد في الزفاف تلك الليلة يرفقك غائلة الشهوة ووجوب البادرة في الدين إلى تطفئه نارها بالكساح رضى الله تعالى عنه ورحمه.

(يان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين)

اعلم أن هذه الشهوة هي أغلب الشهوات على الإنسان وأعضاها عند الميجان على العقل إلا أن مقتضاها قبيح يستجبا منه وغنى من اقتامه وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها إما لعجز أو لحوف أو لحياء أو لحظافة على جسمه وليس في شيء من ذلك ثواب فانه إثارة حظ من حظوظ النفس على حظ آخره ، نعم المصحة أن لا يتعدر في هذه المواقف فائدة وهي دفع الآثم فإن من ترك ذلك تانددع عنه إجماع بأى سبب كان تركه وإعسا الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع اللوانع وتيسر الأسباب لاسما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عشق نكف فكتم فمات فهو شهيد ^(١) » وقال عليه السلام « سبعة يظلمهم الله يوم القيامة في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله وعد منهم رجل دعه امرأة ذات جمال وحسب إلى نفسها فقال إني أخاف الله رب العالمين ^(٢) » وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زليخا مع القدرة ومع رغبته بامرورة وقد أثنى الله تعالى عليه بذلك في كتابه العزيز وهو إمام لكل من وفق له هدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة . وروى أن سلمان بن يسار كان من أحسن الناس وجها فدخلت عليه امرأة فأسلته نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا من منزله وتركها فيه قال سلمان فرأيت تلك البلية في المنام يوسف عليه السلام وكأنه أقوله له أنت يوسف قال نعم أنا يوسف الذي همت وأنت سلمان الذي همتهم وأشار إلى قوله تعالى - وقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه - وعنه أيضا ما هو أعجب من هذا وذلك أنه خرج من المدينة حاجا ومعه رزقي له حتى نزل بالأبواء فقام رفيقه وأخذ السفره وانطلق إلى السوق ليبعث شيئا وجلس سلمان في الجمعة وكان من أجل الناس وجها وأورعهم فصرمت به أعراية من قلة الجبل وأحدت إليه حتى وقفت بين يديه وعليها البرقع والتقاوان فأسفرت عن وجهها كأنه فاقه فقرر قالت

(١) حديث من عشق نكف فكتم فمات فهو شهيد ك في التاريخ من حديث ابن عباس وقال أنكر على سويد بن سعيد م قال يقال إن يحيى لما ذكر له هذا الحديث قال لو كان لمرس ومرمى غزوت سويدا ورواه الحرثاني من غير طريق سويد يسند فيه نظر (٢) حديث سبعة يظلمهم الله في ظله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تضمن .

وشروا ثأنا لقبوا بالتودد
مستجب للعز يدو إنسا
العزلة والوحدة تحمد
بالنسبة إلى أراذل
الناس وأهل الشر
فأما أهل العلم والعفاف
والوفاء والأخلاق
الحيدة فيتمن مقاربتهم
والاستئناس بهم
استئناس بالله تعالى
كان أن يحبهم حبة الله
والجامع معهم رابطة
الحق ومع غيرهم رابطة
الطبع فالصوفى مع غير
الجنس كائن بائن ومع
الجنس كائن مغاين
والؤمن مرآة المؤمن
إذا نظر إلى أخيه
يستشف من أراءؤه
وأعماله وأحسؤه
تجليات الهية وتعرفات
وطوحات من الله
الكبريم خفية فابت
عن الأفيار وأمدكها

أهتني فظن أنها تريد طعاما فقام إلى فضلة السفرة ليعطيها فقالت لت أرد هذا إنما أريد ما يكون من الرجل إلى أهله فقال جهزك إلى إبليس ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخضع النجب فلم يزل يبكي فلما رأته منه ذلك سدت البرقع على وجهها وانصرفت راجمة حتى بلغت أهلها وجاء رفيقه فرآه وقد انتضت عيناه من البكاء وانقطع حلقه فقال مايكيك ؟ قال خير ذكرت صبيتي قال والله إلا أنك قصة إنما عهدك بصبيتك منذ ثلاث أو نحوها فلم يزل به حتى أخبره خبر الأعرابية فوضعه رفقة السفرة وجعل يبكي بكاء شديدا فقال سليمان وأنت مايكيك ؟ قال أنا أحق بالبكاء منك لأنني أخطأت لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزل يبكيان فلما انتهى سليمان إلى مكة فسمي وطاف ثم أتى الحجر فاحتج بثوبه فأخذته عنه فقام وإذا رجل وسيم طوال له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان رحماك الله من أنت ؟ قال له أنا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال إن في شأنك وشأن امرأة العزيز بها قال له يوسف شأنك وشأن صاحبة الأبواء أعجب . وروى عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أوامم البيت إلى غار فدخلوا فأنحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم العار فقالوا إنه لا يجيبكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله تعالى بإصلاح أعمالكم فقال رجل منهم : اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لأغيب قبايعهما أهلا ومالا فأتى نبي طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما خلبت لهما وجوههما فوجدتهما نائمين فسكرتهما أن أغيب قبايعهما أهلا ومالا فقلت والقدح في يدي أنظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبيبة ضاغون حول قدسي فاستعظا فصربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن في من هذه الصخرة فانفجرت شيئا لا يستطيعون الخروج منه وقال الآخر : اللهم إنك تعلم أنه كان لي ابنة أعم من أحب الناس إلى فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى أملت بها سنة من السنين فاجعني فأعطينيها مائة وعشرين ديناراً على أن تغني بي وبني نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت اتق الله ولا تنص الحاتم إلا بحقه فخرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي من أحب الناس إلى وتركته الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلته ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن في فاجرت الصخرة عنهم غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث : اللهم إني استأجرت أجراً وأعطيتهم أجوراً ثم غير رجل واحد فانه ترك الأجر الذي له وذهب ففعلت له أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بهدحين فقال يا عبد الله أعطني أجرى فقلت كل ما رى من الإبل والبقرة والتمم والريق فقال يا عبد الله أتجزأني فقلت لأستجزى بك نغمة فاستاقه وأخذه كله ولم يترك منه شيئا اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن في فاجرت الصخرة فخرجوا عيوشاً (١) فهذا فضل من تمسك من قضاء هذه الشهوة ففوت وقرب منه من تمسك من قضاء شهوة العين فإن العين مبدأ فينا فخطئ ما هم وهو عسر من حيث إنه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والآفات كلها منه ونشأ النظر الأول إذا تعبد لا يؤاخذ بها والمأودة يؤاخذ بها قال **عنه** « لك الأولى وعليك الثانية (٢) » أي النظرة . وقال العالم بن زياد لا تتبع بصرك رداء المرأة فإن النظر يزرع في القلب شهوة وقلبا يغلو الإنسان في ترداده عن وقوع البصر على النساء والصبيان فهما تخاليل إليه الحسن عاصي الطبع للمأودة وعنده ينشأ أن يقرقر في نفسه أن هذه المأودة عين الجمال فانه إن حقق النظر فاسمحسن ثارت الشهوة وهجن عن الوصول إلى فصله

(١) حديث ابن عمر انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أوامم البيت إلى غار فذكر الحديث بطوله رواه (٢) حديث لك الأولى وليست لك الثانية أي النظرة دت من حديث برمدة قاله لعل قال ت حدث غريب .

أهل الأنوار . ومن أخلاق الصوفية شكر الحسن على الاحسان والدعاء له وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفاء توحيدهم وقطعهم النظر إلى الأغيار ورؤيتهم التمسك من التمسك الجبار ولكن يفعلون ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم على ماورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال « ما من الناس أحد آمن علينا في محبة وذات يده من ابن أبي قحافة ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً » وقال « ما مني مال كمال أبي بكر » فالخاف حجبوا عن الله بالخاف في اللع والطعام فالصوفي في

إلا التحسر وإن استبجح لم يأنس. وتأنم لأنه قصد الانداذر فقد ملأ ما آله فلا يغلو في كتمان حالته عن معصية وعن تألم وعن تحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات فإن اضطأبت عينه وحفظ الفرج مع التحسن فذلك يستدعي فاية القوة ونهاية التوفيق فقد دروى عن أبي بكر بن عبيد الله اللزني أن نصاباً أولع بحبارة لبعض جيرانه فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قرية أخرى فتبعها وراودها عن نفسها فقالت له لا تفعل لأنا أشد حباً لك منك إلى ولكن أخاف الله قال فأنت تخافينه وأنا لا أخافه فخرج تائباً فأصابه العطش حتى كاد يهلك فاذا هو برسول لبعض أنبياء بني إسرائيل فسأله فقال مالك قال العطش قال تعالى حتى ندعو الله بأن تظننا سحابة حتى ندخل القرية قال مالي من عمل صالح فأدعو فأدع أنت قال أنا أدعو وأمن أنت على دعائي فدعا الرسول وأمن هو فأظلمتا سحابة حتى انتهيا إلى القرية فأخذ القصاب إلى مكانه فمالت السحابة معه فقال له الرسول زعمت أن ليس لك عمل صالح وأنا الذي دعوت وأنت الذي أمنت فأظلمتا سحابة ثم تبعك لتخبرني بأمرك فأخبره فقال الرسول إن التائب عند الله تعالى يمكن ليس أحد من الناس بمكانه. وعن أحمد بن سعيد المابدي عن أبيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعب لازم للسجد الجامع لا يكاد يفارقه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمعت فنظرت إليه امرأة ذات جمال وغفل فشققت به وطال عليها ذلك فلما كان ذات يوم وقفت له على الطريق وهو يريد السجد قالت لياقني اسمع مني كليات أكلك بها ثم اعمل ما شئت ففعل ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له لياقني اسمع مني كليات أكلك بها فأطرق ملياً وقال لها هذا موقف تهمة وأنا أكره أن أكون لاهمة موضعاً أقاتله والله ماوقفت موثقاً هذا جهالة مني بأمرك ولكن معاذ الله أن يشوق البعاد إلى مثل هذا مني والذي حملني على أن لتبتك في مثل هذا الأمر بنفسى لعرفني أن القليل من هذا عند الناس كثير وأتم معاشي العباد على مثال القوارير أدنى شئ يسيبها وجملة ما أنزل لك إن جوارحى كلها مشغولة بك فأله الله في أمرى وأمرك قال ففعل الشاب إلى منزله وأراد أن يصلي فلم يفعل كيف يصلي فأخذ قرطاساً وكتب كتاباً ثم خرج من منزله وإذا بالمرأة واقفة في موضعها فألقى الكتاب إليها ووجع إلى منزله وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعلى أيها المرأة أن الله عز وجل إذا عصاه العبد حلم فاذا عاد إلى المعصية مرة أخرى ستره فاذا لم يس لها ملابسيا غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والأرض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطبق غضبه فإن كان ما ذكرت باطلاً فاني أذكرك يوماً تكون السماء فيه كالمهل وتصير الجبال كالمنى ونحوه الأم لسهولة الجبار العظيم وإلى والله قد ضعف عن إصلاح نفسى فكيف بإصلاح غيري وإن كان ما ذكرت حقاً فاني أدرك على طبيب هدى يداوى السكوام للمرضة والأوجاع المرصنة ذلك الله رب العالمين فأقصده بصدق السألة فاني مشغول عنك بقوله تعالى - وأنذرهم يوم الآفة إذ القلوب لدى الحناجر كالظلالين من حمى ولا شفيع يطاع - يعلم خائفة الأعين وما خفى الصدور - فأمن لله رب هذه الآفة ثم جاءت بعد ذلك بأيام فوقفت له على الطريق فلما رآها من بعيد أراد الرجوع إلى منزله كيلاً رآها فقالت يا فتي لا ترجع فلا كان للفتى بعد هذا اليوم أبداً لا يغدا يدي الله تعالى ثم بكت بكاء شديداً وقالت لأسأل لك الله الذي يده معاصيك فليك أن يسهل ما قد عسر من أمرك ثم إنها تبعت وقالت امتن على يوم عظة أحملها عنك وأوسى ربه أعمل عليها فقال لها أوصيك بحفظ نفسك من نفسك وأذكرك قوله تعالى - وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالليل - قال فأطرفت وبكت بكاء شديداً أشد من بكائها الأول ثم إنها أقافت ملازمت بينها وأخذت في العبادة فلم تزل على

الابتداء يفتي عن الحلق ويرى الأشياء من الله حيث طالع ناصيته التوحيد وخرق الحجاب الذي منع الحلق عن صرف التوحيد فلا يثبت للحلق منعا ولا عطاء ويحببه الحق عن الحلق فاذا ارتقى إلى ذروة التوحيد يشكر الحق ويثبت به شكر الحق ويثبت لهم وجودا في النع والنعاء بعد أن يرى السبب أولا ولذلك لسعة علمه وقوة معرفته يثبت الوسائط فلا يحببه الحق عن الحق كرامة للسلبين ولا يحببه الحق عن الحق كآثار الإرادة والبتدين فيكون شكره لاحقا لأنه التمس والمطى والسبب

ذلك حق مات كذا فكان الفق يدكرها بعد موتها ثم يكي فقال له لم بكذلك وأنت قد أبأسنا من نفسك ؟ فيقول إني قد ذبحت طعنها في أول أمرها وجلت قطينتها ذخيرة لي عند الله تعالى فأنأ أنسجى منه أن أسترد ذخيرة ادخرتها عنده تعالى . ثم كتاب كسر الشويين بحمد الله تعالى وكرمه . يتلو إن شاء الله تعالى كتاب آفات اللسان . والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وعلى كل عيد مصطفى من أهل الأرض والسماء وسلم تسليما كثيرا .

﴿ كتاب آفات اللسان ﴾

(وهو الكتاب الرابع من ربيع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحسن خلق الإنسان وعدله وألمه نور الإيمان فزينه به وجهه وعلمه البيان قدس به وقضه وأفاض على قلبه خزائن العلوم فأكله ثم أرسل عليه سقرا من رحمته وأسبغ له ثوبا بلسان يترجم به محاموا القلب وعقله ويكشف عنه خترة الذي أرسله وأطلق الحق مقوله وأضح بالشكر عما أولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله الذي أكرمه وبجمله ونبيه الذي أرسله بكتاب أنزه وأسمى فضله وبين مبله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن قبله ما كبر الله عبد وهله .

[أما بعد] فإن اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه القرية فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بهادة اللسان وما غاية الطاعة والعصيان ثم إنه ما من موجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم إلا واللسان يتناول ويشترط له بآيات أو نفي فان كل ما يتناول العلم يبربعه اللسان إما بحق أو باطل ولا شيء إلا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في سائر الأعضاء فان العين لا تصل إلى غير الألوان والصور والأذان لا تصل إلى غير الأصوات واليد لا تصل إلى غير الأجسام وكذا سائر الأعضاء واللسان رحب للبدان ليس له حرد ولا لجاله منتهى وحد ، له في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سح فأن أطلق عذبة اللسان وأمله مرضى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وصافه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار ولا يكيب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بجام الشرع فلا يطلعه إلا فيا ينفعه في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى فالتة في حاجه وأجبه وعلم ما يحمد فيه إطلاق اللسان أو يلد فامض عزز والعمل بمقتضاه على من عرفه تقبل عسير وأعسى الأعضاء على الإنسان اللسان فانه لا تلب في إطلافه ولا مؤنة في تحريكه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وفوائده والحذر من مصلاته وجباله وإنه أعظم آفة الشيطان في استغواء الإنسان ونخن بتولييق الله وحسن تديره فصل بجام آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بمعدودها وأسبابها وغوائلها ونرفط طريق الاحتراز عنها ونورد ماورد من الأخبار والآثار في ذمها فنذكر أولا أفضل الصمت وتردده بد كرامة الكلام فيا لا يسي ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض في الباطل ثم آفة للراء والجد الم آفة المحصومة ثم آفة التقر في الكلام بالتشديد وكلف السجع والفتاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما حيرت به عادة المتفاهين المدعين للخطابة ثم آفة الفصحى والسب وبذاءة اللسان ثم آفة اللعن إما لحبوان أو مجاد أو إنسان ثم آفة الفناء بالشعر وقد ذكرنا في كتاب السباع ما يحرم من الفناء

(كتاب آفات اللسان)

ويشكر الخلق لأنهم واسطة وسبب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول ما يدعى إلى الجنة المحامدون الذين يحمدون الله تعالى في السراء والضراء » وقال عليه السلام « من عطس أو نجس » فقال الحمد لله على كل حال دفع الله تعالى بها عنه سبعين داء أهونها الجذام . وروى جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من عبد يتم عليه بركة الحمد أو أفضل منها » قوله عليه السلام كان الحمد أفضل منها » الحمد أفضل مما يهتم أن يرضى الحق بها فكرا ويهتم أن الحمد أفضل منها لمة

وما قبل فليصدق ثم آفة المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة إفساد السر ثم آفة الوعد والكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين ثم بيان التعارض في الكذب ثم آفة الغيبة ثم آفة النجاسة ثم آفة ذي اللسانين الذي يتردد بين التمادين فيكلم كل واحد بكلام يوافق ثم آفة اللدخ ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطأ في غوى الكلام لاسيا فيما يتناقى بالله وصفاته ويرتبط بأصول الدين ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله عز وجل وعن كلامه وعن الحروف أي قديمة أو محدثة وهي آخر الآفات وما يتعلق بذلك وجلبها عشرون آفة ونسأل الله حسن التوفيق عنه وكرمه .

(بيان عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت)

اعلم أن خطر اللسان عظيم ولا حاجة من خطر إلا بالصمت فذلك مدح الصبر والصمت وحث عليه قال صلى الله عليه وسلم « من صمت نجى » (١) وقال عليه السلام « الصمت حكم وقيل فاعله » (٢) أي حكمة وحزم . وروى عبد الله بن مسعود عن أبيه قال « قلت لرسول الله أخبرني عن الإسلام بأمر لأسأل عنه أحدا بعدك قال قل أنت بالله ثم استقم قال قلت فما أتقى فأومأ بيده إلى لسانه » (٣) وقال عقبة بن عامر « قلت لرسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسمك بينك وبينك على خطيئتك » (٤) وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله ﷺ « من يتكلم في بما بين لحييه ورجليه أتكل له بالجنة » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « من وفى شقيقه وذبحه وقلقه فقد وفى الشر كله » (٦) والتقي هو البطن والذنب والفرج والفتق اللسان فلهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج « وقد سئل رسول الله ﷺ عن أكبر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق ومثل عن أكبر ما يدخل النار فقال الأجراف والنم والفرج » (٧) فيجمل أن يكون المراد بالعمد آفات اللسان لأنه محل ومجمل أن يكون المراد به البطن لأنه منفذ فقد قال معاذ بن جبل « قلت يا رسول الله أتؤاخذ بما تقول فقال ثكلتك أمك يا ابن جبل وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم » (٨) وقال عبد الله التقي « قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعظم به فقال قلربي الله ثم استقم قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف عليّ فأخذ بلسانه وقال هذا » (٩) وروى أن معاذ قال « يا رسول الله أي الأعمال أفضل فأخرج رسول الله

(١) حديث من صمت نجى من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف وقال غريب وهو عند الطبراني بسند جيد (٢) حديث العمدة حكمة وقيل فاعله أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف والبيهقي في الشعب من حديث أنس بلطف حكم يدل حكمة وقال غلط فيه غبان بن سعد والصحيح رواية ثابت قال والصحيح عن أنس أن لقمان قال ورواه كذلك هو وابن جبان في كتاب روضة العقلاء بسند صحيح إلى أنس (٣) حديث مسفيان التقي أخبرني عن الإسلام بأمر لأسأل عنه أحدا بعدك الحديث ت وصححه و ن ه وهو عند دون آخر الحديث الذي فيه ذكر اللسان (٤) حديث عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك الحديث ت وقال حسن (٥) حديث سهل بن سعد من يتكلم في بما بين لحييه ورجليه أتكل له بالجنة رواه (٦) حديث من وفى شقيقه وذبحه وقلقه الحديث أبو منصور الديلمي من حديث أنس بسند ضعيف بلطف فقد وجبت له الجنة (٧) حديث سئل عن أكبر ما يدخل الجنة الحديث ت وصححه و ه من حديث أبي هريرة (٨) حديث معاذ قلت يا رسول الله أتؤاخذ بما تقول فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ت وصححه و ه ل وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث عبد الله التقي . قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعظم به الحديث رواه ن قال ابن عساكر

فكون نعمة الحمد
أفضل من العمة التي
حمد عليها فإذا شكروا
التم الأول يشكرون
الواسطة للتم من
الناس ويدعون ه .
روى أنس رضي الله
عنه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
إذا أفطر عند قوم
قال « أفطر عندكم
الصائمون وأكل طعامكم
الأبرار ونزل عليكم
البركة » . أخبرنا
أبو زرعة عن أبيه
قال أنا أحمد بن محمد
ابن أحمد البزار قال أنا
أبو حفص عمر بن
إبراهيم قال حدثنا
عبد الله بن محمد
البغوي قال أنا عمرو
ابن زرة قال ثنا عينة
ابن يونس عن موسى
ابن عبيدة عن محمد بن

صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه أصبعه ^(١) وقال أنس بن مالك قال صلى الله عليه وسلم «لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائفه» ^(٢) وقال ^(٣) «من سره أن يسلم فليأثم الصمت» وعن سعيد بن جبير مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان أي تقول اتق الله فإنا فأنك إن استقمعت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا» ^(٤) وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو مد لسانه يده فقال له ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ قال هذا أوردني الوارد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته» ^(٥) وعن ابن مسعود أنه كان على الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيرا تنم وأنت عن شر نائم من قبل أن تدم قيل له يا أبا عبد الرحمن أهذا شيء؟ فوله أوشى صمته؟ فقال لا بل صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه» ^(٦) وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كلف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غشبه وقامه الله عذابه ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره» ^(٧) وروى أن معاذ بن جبل قال «يا رسول الله أوصني» قال: اعبد الله كأنك تراه وعبد نفسك في اللغو وإن شئت أنباتك بما هو أملك لك من هذا كله وأشار يده إلى لسانه ^(٨) وعن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله ^(٩) «ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق» ^(١٠) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل

ثابت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قال لأخيه جزاء الله خيرا فقد أبلغ في الشاء» ومن أخلاق الصوفية بذل الجاه للاخوان وللسلمين كافة فإذا كان الرجل وافر العلم بصيرا بعبود النفس وآفاتنا وشبهاتها فليوصل إلى قضاء حوائج المسلمين يذل الجاه والمعاونة في إصلاح ذات البين وفي هذا الغنى يحتاج إلى مزيد علم لأنها أمور تتعلق بالخلق ومخاطبتهم ومعاشرتهم ولا يصلح ذلك إلا لصوفي تام الحسب عالم رباني .

روى عن زيد بن أسلم أنه قال كان نبي من

وعوخا والصواب سفيان بن عبد الله الثقفي كبروا ت وصحبه وقد تقدم قبل هذا خمسة أحاديث (١) حديث إن معاذ قال يا رسول الله أي الأعمال أفضل فأخرج لسانه ثم وضع يده عليه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت قال أصعبه مكان يده (٢) حديث أنس لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت والحراطين في تكلم الأخلاق بسند فيه ضعف (٣) حديث من سره أن يسلم فليأثم الصمت ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو الشيخ في فضائل الأعمال والبيهقي في الشعب من حديث أنس بإسناد ضعيف (٤) حديث إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان الحديث ت من حديث أبي سعيد الحدرى رفته ووقع في الإحياء عن سعيد بن جبير مرفوعا وإسما عن سعيد بن جبير عن أبي سعيد رفته ورواه ت موقوف على عمار بن يزيد وقال هذا أصح (٥) حديث إن عمر اطلع على أبي بكر وهو مد لسانه فقال ما تصنع يا خليفة رسول الله قال إن هذا أوردني الوارد إن رسول الله ^(٦) قال ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله عز وجل اللسان على حدته ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو يعل في مسنده والدارقطني في اللؤلؤ والبيهقي في الشعب من رواية أسلم مولى عمر وقال الدارقطني إن الرفوع وم على الدراودي قال وروى هذا الحديث عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر ولا علة له (٧) حديث ابن مسعود أنه كان على الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيرا تنم وفيه مرفوعا إن أكثر خطايا بني آدم في لسانه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب بسند حسن (٨) حديث ابن عمر من كلف لسانه ستر الله عورته الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت بسند حسن (٩) حديث إن معاذ قال أوصني قال اعبد الله كأنك تراه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وطب ورجاله ثقات وفيه انقطاع (١٠) حديث صفوان بن سليم مرفوعا ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق ابن أبي الدنيا هكذا مرسل ورجاله ثقات ورواه أبو الشيخ في طبقات الهدى من حديث أبي ذر وأبي الدرداء إضا مرفوعا .

خيرا أو ليكت (١) وقال الحسن ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « رحم الله عبدنا كسم فتم أو سكت فسلم (٢) » وقيل ليس عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة قال : لا تنتظروا أبدا قالوا لا نستطيع ذلك فقال فلا تنتظروا إلا بخير ، وقال سليمان بن داود عليهما السلام إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب ، وعن البراء بن عازب قال « جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : دلي على عمل يدخلني الجنة ، قال أعلم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن الشكر فإن لم تطق فكف لسانك إلا من خير (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « اخزن لسانك لإمن خير فأنك بذلك تغلب الشيطان (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ علم ما يقول » وقال عليه السلام « إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة (٥) » وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الناس ثلاثة غفيم وسامو وشاحب فالغفيم الذي يذكر الله تعالى والسالم الساكن والشاحب الذي يغرض في الباطل (٦) » وقال عليه السلام « إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يشكك بشئ تدبره قبله ثم أمضاه بلسانه وإن لسان المنافق أمام قلبه فإذا هم بشئ أمضاه بلسانه ولم يتدبره قبله (٧) » وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « من كثر كلامه كثرت سقطه ومن كثرت سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به (٨) » . الآثار : كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حصة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام وكان يشير إلى لسانه ويقول هذا الذي أوردني للوارد ، وقال عبد الله بن مسعود : والله الذي لا إله إلا هو ما أسمع أسمع إلى طول سجن من لسان ، وقال طاوس لسانى صبح إن أرسلته أكلني ، وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل أن يكون عارفا بزمانه حافظا لسانه مقلبا على شأنه . وقال الحسن ماعقل دينه من لم يحفظ لسانه . وقال الأوزاعي كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله . أما بعد : فإن من أكثر ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يشه . وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والنهم عن صاحبه . وقال محمد بن واسع

(١) حديث أبي هريرة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليكت متفق عليه .

(٢) حديث الحسن ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدنا كسم فتم أو سكت فسلم إن أبي الدنيا في الصمت واليبق في الشعب من حديث أنس بسند فيه ضعف فانه من رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيين (٣) حديث البراء جاء أعرابي فقال دلي على عمل يدخلني الجنة قال أعلم الجائع الحديث ابن أبي الدنيا بإسناد جيد (٤) حديث اخزن لسانك إلا من خير الحديث طعن من حديث أبي سعيد وله في اللجم الكبير ولا بن حبان في صحيحه نحوه من حديث أبي ذر (٥) حديث إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة . من حديث أبي خلد بلقظ إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا في الدنيا وقلة منطلق فاقربوا منه فإنه يلقي الحكمة وقد تقدم .

(٦) حديث ابن مسعود الناس ثلاثة غفيم وشاحب الحديث الطبراني وأبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري بلقظ الجالسي وضمه ابن عدى ولم أجده ثلاثة من حديث ابن مسعود (٧) حديث إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يشكك بشئ تدبره قبله الحديث لم أجده مرفوعا وإسارواه الخرائطي في معارج الأخلاق من رواية الحسن البصري قال كانوا يقولون (٨) حديث من كثر كلامه كثرت سقطه الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد رواه أبو حاتم بن حبان في روضة القلاء والبيهقي في الشعب موقفا على عمر بن الخطاب .

الأنبياء يأخذ بركاب الملك يتألفه بذلك قضاء حوائج الناس . وقال عطاء لأن يرأى الرجل سجين فيكتب جاحا جيش فيه مؤمن ثم له من أن يخلص الملل لنجاة نفسه وهذا باب غامض لا يؤمن أن يقتن به خلق من الجهال للدين ولا يصلح هذا إلا لبيد الطمع الله على باطنه فلم منه أن لا رغبة له في شيء من الجاه والمال ولو أن ملوك الأرض وقفوا في خدمته ما طغى ولا استطال ولو دخل إلى أثون يوقد ما ظهرت نفسه بصريح الانكار لهذا الحال وهذا لا يصلح إلا لأحد من الخلق وأفراد من

لما لك بن دينار يأبجي حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم . وقال بونس بن عبيد
 مامن الناس أحد يكون منه لسانه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله . وقال الحسن بن حكيم قوم
 عند معاوية رحمه الله والأخفش بن قيس ساكت فقال له مالك يأبجي لا تتكلم فقال له أثنى الله إن
 كذبت وأخذاك إن صدقت . وقال أبو بكر بن عباس اجتمع أربعة مغوك ملك الهند وملك الصين
 وكسرى وقبصر ، فقال أحدهم أنا أنعم على ما قلت ولا أنعم على ما لم أقل ، وقال الآخر إن إذا انتكمت
 بكلمة ملكتي ولم أملكها وإذا لم أتكلم لم أملكها لم تملكني ، وقال الثالث هيئت لمتكلم إن رجعت
 عليه كلمته ضرته وإن ترجع لم تنفعه . وقال الرابع أنا على رد ما لم أقل أقدر من على رد ما قلت ،
 وقيل أقام التصور بن العز لم يتكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة أربعين سنة ، وقيل ما تكلم أربعين
 خبيم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان إذا أصبح وضع دوة وقرطاسا وقد افكل ما تكلم به كتبه ثم يحاسب
 نفسه عند الساء . فان قلت فهذا الفضل الكبير لصمت سامية ؟ فاعلم أن حبيبه كثرة آفات اللسان
 من الخطأ والكذب والنية والنية والرياء والتفاق والفتش والراء وتزيك النفس والحوض في
 الباطل والمحسومة والفضول والتحرير والزيادة والتقصان وإيذاء الحلق وهناك الموراث فهذه آفات
 كثيرة وهي ساقطة إلى اللسان لا تثقل عليه ولها حلاوة في القلب وعليها باعث من الطبع ومن
 الشيطان والحافض فيها قضا يقدر أن يحسب اللسان فيقلقه بما يحب ويكره مما لا يحب فان ذلك من
 غوامض العلم كما سيأتي تفصيله في الحوض خطر وفي الصمت سلامة فذلك عظم فضيلته وهذا من
 مافيه من جمع الملم ودوام الوقار والفرار للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تيمات القول في الدنيا
 ومن حسابه في الآخرة فقد قال الله تعالى - ما بلغني من قول إلا لم يدر رقيب عتيد - وبدلك على فضل
 لزوم الصمت أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام : قسم هو ضرر محض ، وقسم هو نفع محض ، وقسم فيه
 ضرر ومنفعة ، وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة . أما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه
 وكذلك مافيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر . وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاستغناء به تضييع
 زمان وهو عين الحمران فلا يبق إلا القسم الرابع قد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقى ربع وهذا
 الربع فيه خطر إذ يخرج بما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع والنية وتزيك النفس وفضول الكلام
 امتزاجا يغني دركه فيكون الانسان به غاطرا ، ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنده كرمهم
 قطعاً أن ما ذكره صلى الله عليه وسلم هو فضل الخطاب حيث قال (١) ومن صمت نجاً (٢) فلهذا وقى
 والله جواهر الحكم قطعاً وجوامع الحكم (٣) ولا يعرف ما نعت أحاديثاً كانت من بحار المعاني إلا خواص
 العلماء وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك إن شاء الله تعالى ونحن
 الآن نعد آفات اللسان ونبتدئ بأختها وترقى إلى الأغظ قليلاً ونؤخر الكلام في النية والنية
 والكذب فان النظر فيها أطول وهي عشرين آفة فاعلم ذلك ترشد بدون الله تعالى .

(الآفة الأولى : الكلام في لا ينيك)

اعلم أن أحسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك من جميع الآفات التي ذكرناها من النية والنية
 والكذب والراء والجدال وغيرها وتتكلم فيها هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم أصلاً لأنك
 تتكلم بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك إليه فانك مضيع به زمانك ومحاسب على حمل لسانك

(١) حديث من صمت نجاً تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم أدنى جوامع الحكم م من
 حديث أبي هريرة وقد تقدم .

(الآفة الأولى الكلام في لا ينيك)

الصادقين يتسلخون
 عن إرادتهم واختيارهم
 ويكشفهم الله تعالى
 براده منهم فيدخلون
 في الأضياء براد الله
 تعالى فاذا علوا أن
 الحق يريد منهم الخالطة
 وبذل الجاه يدخلون
 في ذلك نية صفات
 النفس وهذا لأقوام
 ماتوا ثم حشروا
 وأحكموا مقام القاء
 ثم رقا إلى مقام البقاء
 فيسكون لهم في كل
 مدخل ومخرج برهان
 ويان وإذا من الله
 تعالى فهم على بصيرة
 من ربهم وهذا ليس
 فيهم ارتياب لصاحب
 قلب مكشوف بصريح
 المراد في حق الخطاب
 فيأخذ وقته أبداً من
 الأضياء ولم تأخذ
 الأضياء من وقته

وتسبيل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، لأنك لو صرفت زمان الكلام إلى الفكر ربما كان ينفعك
من نفعات رحمة الله عند الفكر ما ينفعك جدواه ولو هلك الله سبحانه وذكرته وسبحته لكان خيرا لك
فمن كل كلمة ينفع بها قصر على الجنة ومن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز فأخذ مكانه مدرة
لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بباح لا ينفعه فانه
وإن لم يأثم قد خسر حيث فاتته الرجح العظيم بذكر الله تعالى فإن المؤمن لا يكون سمته إلا أفكرا
ونظرة لإلحقة ونطقه إلا ذكرا (١) هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ، يدرأس ملك العبد أوقاته
ومهما صرفها إلى ما لا ينفعه ولم يدخر بها ثوبا في الآخرة فقد ضيع رأس ماله . ولهذا قال النبي صلى الله
عليه وسلم من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينفعه (٢) بل ورد ما هو أشد من هذا قال أنس واستشهد
غلام منا يوم أحد فوجدنا على بطنه حجرا مربوطة من الجوع فسقط أمه عن وجهه التراب وقالت
هنيئا لك الجنة يا بني فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك له كان يشككم فيما لا ينفعه وينزع
مالا يضره (٣) وفي حديث آخر « أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كذب فأنزل عنه فقالوا مريض
فخرج حتى أتاه فلما دخل عليه قال أخبر يا كذب قالت أمه هنيئا لك الجنة يا كذب قال صلى الله
عليه وسلم من هذه الثألية على الله ؟ قال هي أي يارسول الله قال وما يدريك يا أم كذب لعل كذا
قال ما لا ينفعه أو منع مالا ينفعه (٤) ومعناه أنه إنما تنبأ الجنة لمن لا يحاسب ومن تسلك فيما لا ينفعه
حوسب عليه وإن كان كلامه في مباح فلا تنبأ الجنة مع اللاتقاة في الحساب فانه نوع من العذاب
وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول من يدخل من هذا الباب رجل
من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأبشروه بذلك وقالوا أخبرنا بأوتق عمل في نفسك ترجو به فقال إني لضيف وإن أوتق ما أرجو
به الله سلامة الصدر وترك ما لا ينبغي (٥) وقال أبوذر قال لي رسول الله ﷺ « ألا أعلمك بعمل
خفيف على البدن هيل في الليزان ؟ قلت بلى يارسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا ينفعك (٦) »
وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لمن أحب إلى من الدم الوقوفة لاتسكك فيما لا ينفعك فانه
فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تسكك فيما ينفعك حتى تجد له موضعا فانه رب متسكك في أمر ينفعه

(١) حديث المؤمن لا يكون سمته إلا أفكرا ونظرة لإلحقة ونطقه إلا ذكرا لم أجده إلا أصلا وروى
محمد بن زكريا العلائي أحد الضعفاء عن ابن عائشة عن أبيه قال خطب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال إن الله أمرني أن يكون نطق ذكرا وصمتي ففكرا ونظري عبرة (٢) حديث من
حسن إسلام المرء تركه ما لا ينفعه وقال غريب وه من حديث أبي هريرة (٣) حديث استشهد
منا غلام يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع الحديث وفيه لعل كان يتكلم
بما لا ينفعه وينزع مالا يضره من حديث أنس مختصرا وقال غريب ورواه ابن أبي الدنيا في
الصمت لفظ الصنف بسند ضعيف (٤) حديث إن النبي صلى الله عليه وسلم قد كذب فأنزل عنه
فقالوا مريض الحديث وفيه لعل كذا قال ما لا ينفعه أو منع مالا ينفعه ابن أبي الدنيا من حديث
كعب بن عجرة بسند جيد إلا أن الظاهر انقطاعه بين الصحابي وبين الراوي عنه (٥) حديث
محمد بن كعب إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام
الحديث وفيه إن أوتق ما أرجوه سلامة الصدر وترك ما لا ينبغي ابن أبي الدنيا هكذا مرسل وفيه
أبو نجيع اختلف فيه (٦) حديث أبي ذر « ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن الحديث وفيه هو
الصمت وحسن الخلق وترك ما لا ينفعك ابن أبي الدنيا بسند منقطع .

ولا يكون في قطر من
الأقطار إلا واحد
متحقق بهذا الحال .
قال أبو عثمان الحيري
لا يكمل الرجل حتى
يستوى قلبه في أربعة
أشياء التلح والطاء
والز والذل ولعل هذا
الرجل يصلح بذل
الحاء والسخول فيما
ذكرناه . قال سهل
ابن عبد الله لا يستحق
الانسان الرئاسة حتى
تجتمع فيه ثلاث
خصال : يصرف وجهه
عن الناس ويمتثل
جمل الناس ويترك
ما في أيديهم ويذل
ما في يده لهم وهذه
الرئاسة ليست عين
الرئاسة التي زهد فيها
وتمنيت الزهد فيها
لضرورة صدقه
وسلوكة وإتمام هذه

فدونه في غير موضعه نمت ولا تمار حليا ولا سفيا فان الحليم يترك والسفيه يؤذيك واذا كر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكره به وأغفه عما تحب أن يفكك منه وعامل أخاك بما تحب أن يملكه به وعامل عمل رجل يعلم أنه مجازي بالإحسان مأخوذ بالاجترام . وقيل لقمان الحكيم ما حكته قال لأسأل عما كفيته ولا أنكف ما لا يفيئ . وقال سوري العجلي : أمرنا في طفله منذ عشرين سنة لم أقدر عليه ولست بتارك طفله قالوا وما هو ؟ قال السكوت عما لا يفيئ . وقال عمر رضي الله عنه لا تترسل لما لا ينكح واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم إلا الأمين ولا أمين إلا من خشي الله تعالى ولا تصحب العاجز فتعلم من فجوره ولا تطعمه على سره واستمر في أمرك الدين بخشون الله تعالى . وحده الكلام فيما لا ينكح أن تتكلم بكلام لو سكنت عنه لم تأثم ولم تستعرب في حال ولا مال . مثاله أن تجلس مع قوم فتذكر لهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأهوار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الأطعمة والثياب وما تمجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه أمور لو سكنت عنها لم تأثم ولم تستعرب وإذا بالت في الجهاد حتى لا يترج بحكمتك زيادة ولا نقصان ولا تركبة شئ من حيث التفاخر بمشاهدة الأحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا ملامة لشئ مما خلقه الله تعالى فأت مع ذلك كله مضيق زمانك وأنى تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جعلنا أن تسأل غريك عما لا ينكح فأنت بالسؤال مضيق فتك وقد ألجأت صاحبك أيضا بالجواب إلى الضيق هذا إذا كان الشئ مما لا ينظر إلى السؤال عنه آفة وأكثر الأسئلة فيما آفات فانك تسأل غريك عن عبادته مثلا فتقول له هل أنت صائم فان قال نعم كان مظنرا لعبادة فيدخل عليه الرياء وإن لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وإن قال لا كان كاذبا وإن سكت كان مستغفرا لك وتأذيت به وإن احتال لمداغة الجواب افتقر إلى جهد وتعب فيه قد عرسته بالسؤال إما لرياء أو للكذب أو للاستحار أو للتعب في حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن سائر عباداته وكذلك سؤالك عن العاصي وعن كل ما يغنيه ويستسي منه وسؤالك عما حدث به غريك فتقول له ماذا تحول وفيه أنت وكذلك ترى إنسانا في الطريق فتقول من أين فرجما بمنه مانع من ذكره فان ذكره تأذى به واستعيا وإن لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل عن مسألة لا حاجة بك إليها والسؤال ربما لم تسمع عنه بأن يقول لأندى فيجب عن غير بصيرة ولست أعني بالتكلم فيما لا ينكح هذه الأجناس فان هذا يتطرق إليه إثم أو ضرر وإنما مثال ما لا ينكح ما روى أن لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعا لم يكن راحا قبل ذلك اليوم فجعل يتجسس عما رأى فأراد أن يسأله عن ذلك فنهت حكته فأمسك عنه ولم يسأله لها فرغ قام داود ولبسه ثم قال نعم البرع للحرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعه أي حصل العلم به من غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل إنه كان يردد إليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال فهذا وأمثاله من الأسئلة إذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر أو عيوب في رياء وكذب وهو مما لا ينكح وتركه من حسن الاسلام فهذا حله . وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه أو للباسطة بالسلام على سبيل التودد أو تزجية الأوقات بحكايات أحوال لا قائمة فيها . وعلاج ذلك كله أن يعلم أن اللوث بين يديه وأنه مسئول عن كل كلمة وأن أخاه رأس ماله وأن لسانه في حكمة يقدر على أن يقتنص بها الحور العين فأهمله ذلك وتقصيه خسران مبین هذا علاج من حيث العلم وأما من حيث العمل فالعزلة أو أن يجمع حصة في فيه وأن يلزم نفسه السكوت بها عن بعض ما يجنيه حتى يتعاد اللسان ترك ما لا يبيح وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل هديدا جدا .

رياسة أقامها الحق
لصلاح خلقه فهو فيها
بالله يقوم بواجب حقها
ويعصر نعمتها لله
تعالى .

[الباب الحادى
والثلاثون في ذكر
الأدب ومكانه من
التصوف]

روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
أنه قال « أدبى ربي
فأحسن تأديبي »
فالأدب تهذيب الظاهر
والباطن فإذا تهذب
ظاهر البعد وباطنه
صار صوفيا أدبيا وإنما
سميت للأدبة مأدبة
لاجتماعها على أشياء
ولا يتكامل الأدب في
العبد إلا بتكامل مكارم
الأخلاق ومكارم
الأخلاق مجموعها من
تحسين الخلق فالخلق

(الآفة الثانية : فضول السلام)

وهو أيضا مذموم وهذا يتناول الحوض فيما لا يحى والزيادة فيما يعنى على قدر الحاجة فان من ينيه أمر يمكن أن يذكره بكلام مختصر ويمكنه أن يحسمه ويقرره ويكرره ومهما تأمى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول أى فضل عن الحاجة وهو أيضا مذموم لما سبق وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر . قال عطاء بن أدي رباح إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول السلام وكانوا يجدون فضول الكلام ماعدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمرا يعرفون أنها عن منكر أو أن تنطق بحاجتك في معيشتك التى لا بد لك منها أشكرونها أن عليكم حافظين كراما كاتبين . عن العيين وعن الثعالبي قيد ما يلفظ من قول إلا لله رقيب عتيد . أما يستحى أحدكم إذا نشرت صحيفته التى أملاها صدر نهاره كان أكثر . أفنها ليس من أمر دينه ولادنياه . وعن بعض الصحابة قال إن الرجل ليكتبنى بالكلام لجوابه أشهى إلى من الماء البارد إلى الطعام فأترك جوابه خيفة أن يكون فضولا . وقال مطرف ليعظم جلال الله في فلوكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكتب والمجاهد اللهم احزمه وما أشبه ذلك . واعلم أن فضول الكلام لا ينحصر بل لهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله عز وجل - لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس - وقال صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأشق الفضل من ماله »^(١) فانظر كيف قلب الناس الأمر في ذلك فأمسكوا فضل اللسان وأطلقوا فضل اللسان . وعن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال قدمت في رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا أنت والهدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلا وأنت أطولنا علينا طولا وأنت الجفنة الغراء وأنت وأنت فقال قولوا قولكم ولا يستهويكم الشيطان^(٢) إشارة إلى أن اللسان إذا أطلق بالثناء ولو بالصدق فيخفى أن يستهوي الشيطان إلى الزيادة المستغنى عنها . وقال ابن مسعود أنذركم فضول كلامكم حسب امرئ من الكلام ما يبالغ به حاجته . وقال مجاهد إن الكلام ليكتب حق إن الرجل ليسكت ابنه فيقول أثناع لك كذا ونذا فيكتب كذابا . وقال الحسن يا ابن آدم بسط لك صحيفة ووكّل بها مسكنا كرميا بين كتابين أعمالك فاعمل ما شئت وأكثر أو أقل وروى أن سليمان عليه السلام بث بعض غفاريته وبث نقرا ينظرون ما يقول ويخبرونه فأخبروه بأنه مرّ في السوق فرفع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس وهز رأسه فسأله سليمان عن ذلك فقال هببت من اللانكسة على رهوس الناس ما أسرع ما يكتبون ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يعلنون وقال إبراهيم التيمي إذا أراد المؤمن أن يتكلم فنظر فإن كان له تكلم وإلا أمسك والفاجر إنما لسانه رسلا . وقال الحسن من كثّر كلامه كثّر كذبه ومن كثّر ماله كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال له صلى الله عليه وسلم

(الآفة الثانية : فضول الكلام)

(١) حديث طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأشق الفضل من ماله البغوى وابن قانع في معجمي الصحابة والبيهقي من حديث ركب الصرى وقال ابن عبد البر إنه حديث حسن وقال البغوى لا أدري مع من النحى صلى الله عليه وسلم أم لا وقال ابن منده مجهول لا تعرف له صحة ورواه الزائر من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا أنت والهدنا وأنت سيدنا الحديث د في اليوم واليلة بنفط آخر ورواه ابن أبي الدنيا بنفط الصنف

سورة الانسان
والخلق معناه قتال
بعضهم الخلق لاسبيل
إلى تغييره كالخلق وقد
ورد « فرغ ربكم من
الخلق والخلق والرزق
والأجل » وقد قال تعالى
- لا تبدل خلق الله -
والأصح أن تبدل
الأخلاق يمكن مقدور
عليه بخلاف الخلق
وقد روى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال « حسنوا
أخلاقكم » وذلك أن
الله تعالى خلق الانسان
وهيأ لقبول الصلاح
والقصد وجعله أهلا
للأدب ومكارم الأخلاق
ووجود الأهلية فيه
كوجود النار في الزناد
ووجود النخل في النوى
ثم إن الله تعالى بقدرته
أهم الانسان ومك

«كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاي وأستاني قال أفك كان لك في ذلك ما يرد كلامك» (١) وفي رواية أنه قال ذلك في رجل أتى عليه فاستبرأ في السلام ثم قال ما أوتي رجل شراً من ضل في لسانه وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه إنه ليمنى من كثير من السلام خوف الباهظة . وقال بعض الحكماء إذا كان الرجل في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وإن كان ساكناً فأعجبه السكوت فليتكلم وقال يزيد بن أبي حبيب من فتنة العالم أن يكون السلام أحب إليه من الاستماع فإن وجد من يكفيه فإن في الاستماع سلامة وفي الكلام تزيين وزيادة وتضامن . وقال ابن عمر إن أحق ما يهمل الرجل لسانه ورأى أبو البرداء امرأة سليطة فقال لو كانت عنده خرساء كان خير لها . وقال إبراهيم يهلك الناس خلتان فضول المال وضول الكلام فهذه مذمة فضول الكلام وكثرة وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يبنى .

(الآفة الثالثة : الحوض في الباطل)

وهو الكلام في الماصي كشكاية أحوال النساء وبجائس الحمر ومقامات التساق وتتم الأغنياء ونجبر للدول ومراسمهم للذمومة وأحوالهم للكرهية فإن كل ذلك مما لا يحل الحوض فيه وهو حرام وأما السلام فيما لا يبنى أو أكثر مما يبنى فهو ترك الأولى ولا تخبر فيه نعم من يكثر السلام فيما لا يبنى لا يؤمن عليه الحوض في الباطل وأكثر الناس يتجاسسون للتفرج بالحديث ولا يدعوا كلامهم التفكك بأعراض الناس أو الحوض في الباطل وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وغناها فلذلك لا غلب منها إلا بالاقصاء على ما بين من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها وهو يستحقها فقد قال بلال بن الحرث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة» (٢) وكان علقمة يقول كم من كلام منفي حديث بلال بن الحرث وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من التريا» (٣) وقال أبو هريرة : «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالاً يهوى بها في جهنم وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالاً يرضه الله بها في أعلى الجنة . وقال صلى الله عليه وسلم «أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوساً في الباطل» (٤) وإليه الإشارة بقوله تعالى - وكنا نخوض مع الخافضين - ويقول تعالى - فلا تقدموا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم - وقال سلمان أكثر الناس دنوا يوم القيامة أكثرهم كلاماً في مصيبة الله . وقال ابن سيرين كان رجل من الأنصار يمر بمجلس لهم فيقول لهم تومثوا فإن بعض ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الحوض في الباطل وهو

(١) حديث عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال كم دون لسانك من باب الحديث ابن أبي الدنيا هكذا مرسلًا ورجاله ثقات .

(الآفة الثالثة : الحوض في الباطل)

(٢) حديث بلال بن الحرث إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله الحديث . ت وقال حسن صحيح (٣) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من التريا ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند حسن وقشيعين وث إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرضى بها بأنا يهوى بها سبعين خريفاً في النار فقط ت وقال حسن غريب (٤) حديث أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوساً في الباطل ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلًا ورجاله ثقات ورواه هو والطبراني موقوفًا على ابن مسعود بسند صحيح .

من إصلاحه بالترية إلى أن يسير النوى نخلا والزناد بالملاج حتى يخرج منه نار وكأ جعل في نفس الإنسان صلاحية الخير جعل فيها صلاحية الشر حال الإصلاح والإنقاذ فقال سبحانه وتعالى - ونفس وما سواها فألهمها فجورها وقهورها - وقهورها - وقهورها بصلاحيها للشيبين جميعاً ثم قال عز وجل - قد أفلق من زكاه وقد خاب من دساها - فإذا تركت النفس تدرت بالقل واستقامت أحوالها والباطنة والباطنة وتهذبت الأخلاق وتكونت الآداب فالأدب استخراج مافي القوة إلى القل وهذا

وراء ماسياً من النية والنية والقبح وغيرها بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها أو تعدد لتوصل إليها من غير حاجة دينية إلى ذكرها وبدخل فيه أيضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ماجرى من قتال الصحابة على وجه يوم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض في الباطل نسأل الله حسن العون باطفه وكرمه .

(الآفة الرابعة للراء والجدال)

وذلك منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم « لا تمارأ أخاك ولا تمازحه ولا تلعن موعدا فتخلفه » (١) وقال عليه السلام « ذروا الراء فإنه لا نفعهم حكمته ولا تؤمن فتنته » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم من ترك الراء وهو مبطل بنى له بيت في ربيع الجنة » (٣) وعن الراء وهو محق بنى له بيت في أعلى الجنة ومن ترك الراء وهو مبطل بنى له بيت في ربيع الجنة » (٤) وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول ما عهد إلى ربي ونهاي عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال » (٥) وقال أيضا « ماضل قوم بعد أن هدم الله إلا أوتوا الجدل » (٦) وقال أيضا « لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع للراء أن كان هذا » (٧) وقال أيضا « ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان الصيام في الصيف وضرب أعداء الله بالسيف وتسهيل الصلاة في اليوم الحزين والصبر على الصديبات وإسباغ الوضوء على السكران وترك الراء وهو صادق » (٨) وقال الزبير لانه لا تجدال الناس بالقرآن فقلت لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه من جمل دينه عرصة للخصومات أكثر التنقل . وقال مسلم بن يسار إذا كم للراء فإنه ساعة جهل العالم وعندها ينشئ الشيطان زلته . وقيل ماضل قوم بعد أن هدم الله إلا الجدل . وقال مالك بن أنس رحمه الله عليه ليس هذا الجدال من الدين في شيء . وقال أيضا للراء يقضى القلوب ويورث الضغائن . وقال الثعلبي لانه يائس لا تجدال العلماء فيمقتول وقال بلال بن سعد إذا رأيت الرجل لجوجا مسماريا ممجيا برأيه فقد تمت خسارته وقال سفيان خالفته أخى في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسمي إلى أبي السلطان وقال أيضا صاف من شئت ثم أغضبه بالراء فليزنيك بداهية تمنحك العيش وقال ابن أبي ليلى لا أمارى صاحبي فلما أن أكذبه وإما أن أغضبه . وقال أبو الدرداء كفى بك إنما إن لا تزال عماريا

(الآفة الرابعة للراء والمجادلة)

(١) حديث لا تمارأ أخاك ولا تمازحه ولا تلعن موعدا فتخلفه ت من حديث ابن عباس وقد تقدم
(٢) حديث ذروا الراء فإنه لا نفعهم حكمته ولا تؤمن فتنته طلب من حديث أبي الدرداء وأبي أمامة وأنس بن مالك وواثلة بن الأسقع بإسناد ضعيف دون قوله لا نفعهم حكمته ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا موقوفا على ابن مسعود (٣) حديث من ترك الراء وهو محق بنى له بيت في أعلى الجنة الحديث تقدم في العلم (٤) حديث أم سلمة إن أول ما عهد إلى ربي ونهاي عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني والبيهقي بسند ضعيف وقدر وعابن أبي الدنيا في الرسائل من حديث عروة بن ربيع (٥) حديث ماضل قوم إلا أوتوا الجدل تمن حديث أبي أمامة وصحبه وزاد بعد هدى كانوا عليه وتقدم في السلم وهو عند ابن أبي الدنيا دون هذه الزيادة كما ذكره الصف (٦) حديث لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع للراء أن كان هذا كان محقا ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وهو عند أحمد بلطف لا يؤمن بالبدع يترك الكذب في الزاخرة والراء وإن كان صادقا (٧) جدت ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان الحديث وفيه ترك الراء وهو صادق أبو منصور الديلمي من حديث أبي مالك الأشعري بسند ضعيف بلطف ست خصال من الخبر الحديث .

وقال صلى الله عليه وسلم « تكفير كل لحاء ركنان » (١) وقال عمر رضي الله عنه لا تلم العلم ثلاث ولا ترك ثلاث لا تلمه لئلا يشارى به ولا لئلا يهاى به ولا لئلا يرى به ولا تركه حيا من طلبه ولا زهاده في ولا راضا بالجل منه . وقال عيسى عليه السلام من كثرت كذبه ذهب جماله ومن لاحت أرجاله سقطت مروءته ومن كثرتهم سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه . وقيل ليعون من مهران مالك لا ترك أذاك عن قتي قال لأنى لا أثار به ولا أمار به وما ورد في ذم الرأى والجدال أكثر من أن يحصى . وحد الرأى هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه إما في اللفظ وإما في المعنى وإما في قصد التكليم وترك الرأى بترك الانسكار والاعتراض فكل كلام جمعه فإن كان حقا فصدق به وإن كان باطلا أو كذبا ولم يكن متعلقا بأمور الدين فأسكت عنه والظعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو أو من جهة اللغة أو من جهة العربية أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير وذلك يكون تارة من قصور المعرفة وتارة يكون بظن بالإنسان وكيفما كان فلا وجه لاظهار خلل وأما في المعنى فإن يقول ليس كما تقول وقد أخطأت فيه من وجه كذا وكذا وأما في قصد فثل أن يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وإنما أنت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس إن جرى بمسألة غبية ربما خضع باسم الجدول وهو أيضا مذموم بل الواجب السكوت أو السؤال في معرض الاستفادة لاطمئنان وجه الصادق والنسكار أو التلطف في التعريف لاقى مرض الظعن وأما المجادلة فباعتبار عن قصد إظهار الغير وتبجيذه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبه إلى القصور والجهل فيه وآية ذلك أن يكون تنبيه الحق من جهة أخرى مكروها عند المجادل يجب أن يكون هو الظاهر له خطا ليعين بفضل نفسه ونقص صاحبه ولا نجاة من هذا إلا بالسكوت عن كل ما لا يأنم به لو سكت عنه وأما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار العلم والتفضل بالتهكم على الغير باظهار قصصهما وشبهاتان بطلان للنفس قوتها لئلا يهاى إظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية وأما تنقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية فانه يقتضى أن يمزق غيره ويتقصمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وإنما قوتهما الرأى والجدال فالمراد بالمراد على الرأى والجدال مقوله هذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهة بل هو مصيبة مما حصل فيه إبداء الغير ولا تنفك الماراة عن الإبداء وتتهيج الغضب وحمل المرئ على أن يعود ينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل ويقع في قائله بكل ما يتصوره فيثور الشجار بين التاجرين كما يثور المراض بين السكبين بقصد كل واحد منهما أن يرض صاحبه بما هو أعلم نكابة وأقوى في إغلامه وإلجامة وأما علاجه فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على إظهار فضله والسبعية الباعث له على تنقيص غيره كما يأتي ذلك في كتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم الغضب فان علاج كل علقا بما تسببها وسبب الرأى والجدال ما ذكرناه ثم الواظبة عليه بحمله عادة وطعاما حتى يتمكن من النفس ويصير الصبر عنه . روى أن أبا حنيفة رحمه الله عليه قال لداود الطائي لم آتت الأترواق قال لأجده نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واستمع ما يقال ولا تسكلم قال فضلت ذلك لما رأيت مجاهدة أشد له ما هو كاللأنهم مع الخطأ من غيره وهو قادر على كشفه تصير عليه الصبر عند ذلك جدا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من ترك الرأى وهو محق بنى الله له بيتا في أهل الجنة « لشدة ذلك على النفس وأكثر ما يفتل ذلك في اللذاهب والعائد فان الرأى طبع فإذا ظن أن له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع عليه وذلك خطأ محض بل ينبغي للإنسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة وإذا رأى مبتدعا تلطف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبني ربى فأحسن تأديبي » وفي بعض الناس من يحتاج إلى طول الماراة لنقصان قوى أصولها في العزيمة فلهذا احتاج للربودن إلى محبة الشايع لتكون الصبغة والتسليم عونا على استخراج ما في الطبيعة إلى الفضل قال الله تعالى - قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا - قال ابن عباس رضي الله عنهما قهوهوم وأدبوهوم وفي لفظ آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبني ربى فأحسن تأديبي » ثم أمرني بكمال الأخلاق فقال - خذ النمو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين - . قال يوسف بن الحسين

في نصحه في خوة لا بطريق الجدال فإن الجدال يميل إليه أنها حيلة منه في التلبس وأن ذلك صمنة يقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثالها لو أرادوا فتستمر البدهة في قلبه بالجدل وتؤكد فإذا عرف بأن النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه وقال صلى الله عليه وسلم «رحم الله من كفل لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه» (١) وقال هشام بن عروة كان عليه السلام يرد قوله هذا سبع مرات وكل من اعتاد المجادلة مدة وأنى الناس عليه ووجد نفسه بسببه عزا وقبولا فوثق فيه هذه للملكات ولا يستطيع عنها نزوعا إذا اجتمع عليه سلطان النضب والكبر والرياء وحبالها والتعزز بالقضل وأحاد هذه الصفات يشق مجادتها فكيف بمجموعها .

(الآفة الخامسة : الحصومة)

وهي أيضا مدحمة وهي وراء الجدال وللراء فالراء طعن في كلام الغير بظاهر خلل فيه من غير أن يربط به غرض سوى تخيير الغير وإظهار مزية البكاسة . والجدال عبارة عن أمر يتلاقى بظاهر للذهاب وتقررهما والحصومة لجلاج في الكلام ليستوفى به مال أو حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا للراء لا يكون إلا باعتراض على كلام سبق فقد قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» (٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من جادل في خصومة بشيء لم يزل في سخط الله حتى ينزع» (٣) وقال بعضهم إياك والخصومة فإنها تمحق الدين وتبطل ما خاضع ورع قط في الدين وقال ابن قتبية مربي بشر بن عبد الله ابن أبي بكرة قال ما بهلك همتا قلت خصومة بين وبين ابن عم لي فقال إن لأبيك عندي بما واني أريد أن أجزيك بما واني والله ما رأيت شيئا أذهب للدين ولا أبغض للرومة ولا أشنع للذة ولا أشغل للقلب من الحصومة قال قمت لأتصرف فقال لي خصمي مالك قلت لأخاسمك قال إنك عرفت أن الحق لي قلت لا ولكن أكرم نفسي عن هذا قال فاني لأطلب منك شيئا هو لك . فان قلت فإذا كان للانسان حق فلا بد له من الحصومة في طلبه أو في حفظه مهما ظله ظالم فكيف يكون حكمه وكيف يتم خصومته ، فاعلم أن هذا الهم يتناول الذي غاصم بالباطل والذي غاصم بشيء علم مثل وكيل القاضي فإنه قبل أن يتعرف أن الحق في أي جانب هو يتوكل في الحصومة من أي جانب كان فيخاصم غيره علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الحصومة على قصد التسلط أو على قصد الإيذاء ويتناول الذي يجزح بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج إليها في نصرته الحجة وإظهار الحق ويتناول الذي يحمله على الحصومة بعض الغناد لتهزل الخصم وكسره مع أنه قد يستغفر ذلك القدر من اللال وفي الناس من يصرح به ويقول إنما قصدى عتاده وكسر عرضه وإني إن أخذت منه هذا اللال ربحا ربيت به في شر ولا بأني وهذا مقصوده اللدد والخصومة والتجاج وهو مذموم جدا فأما المظالم الذي ينصر حجتة بطريق الشرع من غير لد وإسراف وزيادة لجلاج على قدر الحاجة ومن غير قصد عتاد

(١) حديث رحم الله من كفل لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه ابن أبي الدنيا بإسناد ضعيف من حديث هشام بن عروة عن النبي ﷺ مرسلًا ورواه أبو منصور الدبلي في مسند الفردوس من رواية هشام عن عائشة بلفظ رحم الله امرأ كفل لسانه عن أعراض المسلمين وهو منقطع وضعيف جدا .

(الآفة الخامسة : الحصومة)

(٢) حديث عائشة إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم خ وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة من جادل في خصومة بشيء لم يزل في سخط الله حتى ينزع ابن أبي الدنيا والأسمهاني في الترتيب والترتيب وفيه رجاء أبو يحيى صفه الجمهور .

بالأدب فغهم العلم وبالعلم
يصح العمل وبالعمل
يتال الحكمة والحكمة
يغام الزهد وبالزهد
تترك الدنيا وترك
الدنيا يرغب في الآخرة
وبالرغبة في الآخرة
تتال الرغبة عند الله
تعالى . قيل لما ورد
أبو حفص العراق جاء
إليه الجنيدي فرأى
أصحاب أبي حفص
وقفا على رأسه
يأتونهم لأمره لا يخطئ
أحد منهم فقال يا أبا
حفص أدبت أصحابك
أدب للسلوك قال
لا يا أبا القاسم ولكن
حسن الأدب في الظاهر
عنوان الأدب في
الباطن قال أبو الحسين
النوري ليس لله في
عبده مقام ولا حال
ولا معرفة تسقط منها

وإيذاه فنه ليس بهرام ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا فإن ضبط اللسان في المحسومة على حد الاعتدال متعذر والمحسومة توغر الصدر وتمهيج الشب وإذا هاجم الشب نسي للتنازع فيه وبقي الحقد بين التخاصمين حتى يفرح كل واحد بمسامة صاحبه ويحزن بجسرة وبطلق اللسان عن عزمه فمن بدأ بالمحسومة قد تعرض لهذه المخذورات وأقل ما فيه تشويش خاطره حتى إنه في صلاته يشغل بمحاجة خصمه فلا يقي الأمر على حد الواجب فالمحسومة مبدأ كل شر وكذا للراء والجدال فبينما أن لا يفتح بابه إلا للضرورة وعند الضرورة يبين أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات المحسومة وذلك متدرجا فمن اقتصر على الواجب في خصومته سلم من الآثم ولا ندب خصومه إلا لأنه إن كان مستغنيا عن المحسومة فبإخا صم فيه لأن عنده ما يكفي فيكون تاركه للأولى ولا يكون آثما ، ثم أقل ما يغوته في المحسومة والراء والجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب إذ أقل درجات طيب الكلام إظهار اللواقعة ولا خفوة في الكلام أعظم من الطمن والاعتراض الذي حاصله إما تعجيل وإما تكذيب فإن من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه قد جهله أو كذبه فيغوث به طيب الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم «يكنسكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام» (١) وقد قال الله تعالى - وقولوا للناس حسنا - وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سلم عليك من خلق الله فأردعه عليه السلام وإن كان مجوسيا إن الله تعالى يقول - وإذا حينئذ نجوا بأحسن منها أو ردوها - وقال ابن عباس أيضا لوقائل فرعون خيرا ، ردت عليه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن في الجنة لقرفا يرى ظاهرها من باطنها وبطنها من ظاهرها أعدھا الله تعالى لمن أعلم الطعام وآلان الكلام» (٢) وروى أن عيسى عليه السلام مر به مخزير فقال مر بسلام قاتل ياروح الله أقول هذا لحزير قال أكره أن أعود لسان الشر وقد نبينا عليه السلام «الكلمة الطيبة صدقة» (٣) وقال «اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فيكملة طيبة» (٤) وقال عمر رضي الله عنه البر شيء حين وجه طليق وكلام لين ، وقل بعض الحكماء الكلام اللين ينسل الضمائم للستنة في الجوارح ، وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسخط ربك إلا أنك ترضى به جالسك فلا تكن به عليه غيلا فإنه لله يحضك منه ثواب المحسنين وهذا كله في فضل الكلام العليوب وتضاده المحسومة والراء والجدال والواجب أنه الكلام المستكره الوحش المؤذي للقلب النفس للعيش ناهيج للغضب الوغر لصدر نال الله حسن التوفيق عنه وكرمه .

(الآفة السادسة)

التعمر في الكلام بالتشقق وتكاف السجع والنفاضة والتصنع فيه بالتشبيبات والتقديمات وما جرت به عادة التفصيح للدين للخطابة وكل ذلك من التصنع للذموم ومن التكلف المعقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا وأتباعي أمي برآء من التكلف» وقال صلى الله عليه وسلم «إن أبشركم إلى وأبعدكم مني مجلسا الثرثارون المتفهبون المتشدقون في الكلام» (٥) وقالت فاطمة رضي الله عنها (١) حديث يكتسكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام الطبراني من حديث جابر وفيه من لا يعرفه وله من حديث هاني أبي شريح إسناد جيد بوجوب الجنة إطعام الطعام وحسن الكلام (٢) حديث أنس إن في الجنة لقرفا يرى ظاهرها من باطنها الحديث وقد تقدم (٣) حديث الكلمة الطيبة صدقة م من حديث أبي هريرة (٤) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة الحديث متفق عليه من حديث عدي بن حاتم وقد تقدم .

(الآفة السادسة : التعمر في الكلام والتشقق)

(٥) حديث إن أبشركم إلى الله وأبعدكم مني مجلسا الثرثارون المتفهبون المتشدقون أحمد من حديث

آداب الشريعة وآداب الشريعة حاية الظاهر والله تعالى لا يبيح تعطيل الجوارح من التحل بمحاسن الآداب قال عبد الله بن المبارك أدب الخدمة أعز من الخدمة . حكى عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال دخلت مكة فكنت ربما أقصد عهداء الكعبة وربما كنت أشتاق وأمد رجل بجاءني عائشة الملكية فقالت لي يا أبا عبيد يقال إنك من أهل العلم اقبل مني كلمة لا تنالها إلا بأدب ولا فصح اسمك من ديوان القربول أبو عبيد وكانت من العارفات . وقال ابن عطاء : النفس مجبولة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شرار أمي القين غنوا بالنسب ما يكون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويشدقون في الكلام» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «الاهلك التنطون ثلاث شرات» (٢) والتطع هو التصق والاستقصاء . وقال عمر رضي الله عنه : إن عشاق الكلام من عشاق الشيطان وجاء عمر بن سعد بن أبي وقاص إلى أبيه سعد يسأله حاجة فحكم بين يدي حاجته بكلام قال له سعد ما كنت من حاجتك بأبعد منك اليوم إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بالسبتم كما تتخلل البقرة الكلاً» (٣) وكانه أنكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبيب والقدمة للصنوعة للتكلفة ، وهذا أيضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاسيح الخارج عن حد العادة وكذلك التكلف بالسجع في المأثورات «إذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرقة في الجنين قال بعض قوم الجاني : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا سئل ومثل ذلك بطل قال أسجما كسجع الأعراب» (٤) وأنكر ذلك لأن أثر التكلف والتصنع بين عليه ، بل ينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم لغيره وما وراء ذلك تصنع مضموم ولا يدخل في هذه تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير من غير إفراط وإغراب فإن القصد منها تحريك القلوب وتنويعها وقبضها وبسطها ، فلو شاع القفظ تأثير فيه فهو لائق به ، فأما المأثورات التي تجرى لقضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتدقيق والاشتغال به من التكلف المضموم ولا بحث عليه إلا الزيادة وإظهار فصاحة والتجيز بالبراعة وكل ذلك مضموم بكرهه الشرع ويزجر عنه .

(الآفة السابعة : القهقري والسب وبذاءة اللسان)

وهو مضموم ومنه عن مصدره الحبث والاثوم . قال صلى الله عليه وسلم «إياكم والفحش فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش» (٥) ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن تسب قتل بدر من المشركين قال «لا تسبوا هؤلاء فإنه لا يدخل إليهم شيء مما تقولون وتؤذون الأحياء ألا إن البذاء لؤم» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «ليس للؤم بالطمان ولا للمان ولا الفاحش ولا البذي» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم

أي تلبية وهو عدت من حديث جابر وحسنه بافظ إن أفضكم إلى (١) حديث فاطمة شرار أمي القين غنوا بالنسب الحديث وفيه ويشدقون ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب (٢) حديث ألا هلك للتنطون م من حديث ابن مسعود (٣) حديث سعد بن أبي وقاص يتخللون الكلام بالسبتم كما تتخلل البقرة الكلاً بلسانها رواه أحمد (٤) حديث كيف ندى من لا شرب ولا أكل الحديث م من حديث الثوري بن شعبة وأبي هريرة وأماهما عند خ أيضا .

(الآفة السابعة : القهقري والسب وبذاءة اللسان)

(٥) حديث إياكم والفحش الحديث ن في السكبر في التفسير والحاكم ومعه من حديث عبدالله بن عمرو ورواه ابن جابر من حديث أبي هريرة (٦) حديث التهمي عن سب قتل بدر من المشركين الحديث ابن أبي الدنيا من حديث محمد بن علي الباقر مرسلًا ورواه تميم والنسائي من حديث ابن عباس بإسناد صحيح إن رجلا وقع في أب اللباس كان في الجاهلية فطمعه الحديث وفيه لا تسبوا أمواتا فتؤذوا أحياء (٧) حديث ليس للؤم بالطمان ولا للمان ولا الفاحش ولا البذي ت بإسناد صحيح من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب والحاكم ومعه وروى موقوفًا قال الدارقطني في العلل والوقوف أصح (٨) حديث الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها ابن أبي الدنيا وأبو نعيم في الحلية

على سوء الأدب والبدع
مأمور بملزمة الأدب
والنفس تجري بطباعها
في ميدان الخالعة
والبعد ردها بجهده
إلى حسن الطالبة
فمن أعرض عن
الجد قد أطلق
عنان النفس وغفل
عن الرعاية ومهما
أطاع فهو مشركها وقال
الجديد من أغان تشه
على هواها قد أشرك
في قتل تشه لأن
الدوبية ملازمة الأدب
والطغيان سوء الأدب
أخبرنا الشيخ العالم
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن علي قال أنا أبو الفتح
المصري قال أنا
أبو النصر الترياق قال
أنا أبو محمد الجرجاني قال
أنا أبو العباس المحبوبي
قال أنا أبو عيسى الترمذي

« أربعة يؤذون أهل النار في النار على ما به من الأذى يسمون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل واليبور : رجل يسيل فيه قهقا ودما فيقال له ما بال الأبد قد أذانا على ما بنا من الأذى يقول إن الأبد كان ينظر إلى كل كلمة قدغة خبيثة فيستلهاها كما يستلها الرث » (١) وقال صلى الله عليه وسلم لما شفي « يا فتاة لو كان التحفي رجلا لكان رجلا سوء » (٢) وقال **عليه السلام** « البذاء والبيان شيطان من شعب النفاق » (٣) فيحمل أن يراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه ومحمل أيضا للبيان في الإيضاح حتى يتسنى إلى حد التكلف ومحمل أيضا البيان في أمور الدين وفي صفات الله تعالى فإن إلقاء ذلك مجمل إلى أسمع العوام أولى من اللبانة في يانه إذ قد يثور من غابة البيان فيه عكوك ووسوس فاذا أجملت بآذرت القلوب إلى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه أن يكون للرأفة المهاجرة بما يستحي الإنسان من يانه فإن الأولى في منه الإخماض والتخلف دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يحب القاحش للتحفي الصياح في الأسواق » (٤) وقال جابر بن مرة « كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم وأبي أمامة قال صلى الله عليه وسلم إن التحفي والتفاحي ليسا من الإسلام في شيء وإن أحسن الناس إسلاما أحسنهم أخلاقا » (٥) وقال إبراهيم بن ميسرة يقال يؤتى بالقاحش للتحفي يوم القيامة في صورة كلب أوفى جوف كلب . وقال الأحنف ابن قيس الأخرم بأدوا لله اللسان البذي والخلق البدني ، فهذه مذمة التحفي فأما حده وحقيقته فهو التعبير عن الأمور للستقية بال عبارات الصريحة وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الواقع وما يتعلق به فإن لأهل النقاد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه وأهل الصلاح يتدشون عنها بل يكون عنها ويدلون عليها بالرموز فيذكرون ما يقرأها ويتعلق بها ، وقال ابن عباس : إن الله سمى كريمه يغو ويكون كفى بالفس عن الجماع فالسب والفس والدخول والصعبة كناية عن الواقع وليس فاحشة وهناك عبارات فاحشة يستقيح ذكرها ويستعمل أكثرها في الشتم والتعير وهذه العبارات متفاوتة في التحفي وبعضها أغشى من بعض ، وربما اختلف ذلك بمادة البلاد وأوائلها مكروهة وأواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالواقع بل بالكناية قضاء الحاجة عن البول والتعاطف أولى من لفظ التنوط والحراء وغيرها فإن هذا أيضا مما يغني وكل مما يغني يستحيا منه فلا ينبغي أن يذكر ألفاظه الصريحة فانه أغشى وكذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الهجرة أومن وراء الستر أو قالت أم الأولاد فالتلفظ في هذه الألفاظ محمود والصريح فيها يفضى إلى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيا منها فلا ينبغي أن يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع واليواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري من حيث عبد الله بن عمرو (١) حديث أربعة يؤذون أهل النار على ما به من الأذى الحديث وفيه إن الأبد كان ينظر إلى كل كلمة خبيثة فيستلهاها كما يستلها الرث ابن أبي الدنيا من حديث شفي بن مائع واختلف في صحته فذكره أبو نعيم في الصحابة وذكره ع حب في التابعين (٢) حديث يا فتاة لو كان التحفي رجلا لكان رجلا سوء ابن أبي الدنيا من رواية ابن لمية عن أبي النصر عن أبي سلمة عنها (٣) حديث البذاء والبيان شيطان من النفاق وحسنه ولك وصحة على شرطهما من حديث أبي أمامة وقد تقدم (٤) حديث إن الله لا يحب القاحش ولا للتحفي الصياح في الأسواق ابن أبي الدنيا من حديث جابر بسند ضعيف وله ولطريقان من حديث أسامة بن زيد إن الله لا يحب القاحش للتحفي وإنسانه جيد (٥) حديث جابر بن مرة إن التحفي والتفاحي ليسا من الإسلام في شيء الحديث أحمد وابن أبي الدنيا بإسناد صحيح .

قال ثنا تحفة قال ثنا يحيى بن علي بن ناصح عن حماد عن جابر بن مرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يؤذ الرجل ولله خير من أن يتصدق صاع » وروى أيضا أنه قال عليه السلام « ما عمل والموال من عمل أفضل من أدب حسن » وروى عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويعحسن موضعه ويعسن أدبه » وقال أبو طي النفاق الجيد يصل بطاعته إلى الجنة وبأدبه في طاعته إلى الله تعالى قال أبو القاسم القشيري رحمه الله كان

جراه فانصرح بذلك داخل في الفتح وجميع ذلك من آفات اللسان . قال العلاء بن هرون : كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقتة فخرج تحت إبطه خراج فأقبتناه نسأله لئلا يقول قلنا من أين خرج فقال من بطن اليد ، والبايع على الفتح إما قصد الأبداء وإما الاعتقاد الحاصل من مخالطة القساق وأهل الخبث والظلم ومن عاداتهم السب ، وقال أعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أوصني فقال عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيرك بشيء يمله فيك فلا تميره بشيء . فملته فيه يكن وبال الله عليه وأجره لك ولا تسين شيئا قال فما سميت شيئا بعده ^(١) . وقال عياض بن حماد : قلت لرسول الله إن الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من بأس أن أنصر منه فقال للتائبان شيطانان وشيطانان وبهارجان ^(٢) . وقال صلى الله عليه وسلم : سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر ^(٣) . وقال صلى الله عليه وسلم : ملعون من سب والده ^(٤) . وفي رواية : من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والده يقالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والده قال يسب أبا الرجل فيسب الآخرا أباه .

(الآفة الثامنة اللعن)

إما لحوان أو جواد أو إنسان وكل ذلك مذموم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن ليس بلعان ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم : « لاتلعنوا جلنة الله ولا يفضيه ولا يجهنم ^(٢) » وقال حذيفة ما تلعن قوم قط إلا حق عليهم القول ، وقال عمران بن حصين : « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار طي ناقة لها فضجرت منها فلعننا فقال صلى الله عليه وسلم خذوا ما عليها وأعروها فانها ملعونة ^(٣) » قال فكانوا أنظروا إلى تلك الناقة غشى بين الناس لا يتبرأ منها أحد . وقال أبو البرداء : ما لعن أحد الأرض إلا قالت لعن الله أعصاناه . وقالت عائشة رضي الله عنها : « مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر وهو يلين بمن رقيقه فالتفت إليه وقال يا أبا بكر أصدقين ولما نين كلا ورب الكعبة مرتين أو ثلاثا ^(٤) » فأعتق أبو بكر يوثق رقيقه وآتى النبي

(١) حديث قال أعرابي أوصني فقال عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيرك بشيء يمله فيك فلا تميره بشيء . فملته فيه الحديث أحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث أبي جري الهجيمي قيل اسمه جابر بن سليم وقيل سليم بن جابر (٢) حديث عياض بن حماد : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يسبني وهو دوني هل علي من بأس أن أنصر منه فقال للتائبان شيطانان وشيطانان د الطيالسي وأصله عند أحمد (٣) حديث سباب المسلم فسوق وقتاله كفر متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث التائبان ماقالا فلي البدائي حتى يندى الظلوم ، م من حديث أبي هريرة وقال ما لم يندى (٥) حديث ملعون من سب والده وفي رواية من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والده الحديث أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث ابن عباس باللفظ الأول بإسناد جيد وانفق الشيخان على اللفظ الثاني من حديث عبد الله بن عمرو

(الآفة الثامنة اللعن)

(٦) حديث المؤمن ليس بلعان تقدم حديث ابن مسعود ليس للمؤمن باللعان ولا اللعان الحديث قيل هذا بأحد عشر حديثا ولترمذي وحسنه من حديث ابن عمر لا يكون المؤمن لعانا (٧) حديث لاتلعنوا بلعة الله الحديث ت د من حديث حمزة بن جندب قال ت حسن صحيح (٨) حديث عمران بن حصين بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار طي ناقة لها فضجرت منها فلعننا الحديث رواه م (٩) حديث عائشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر رضي الله عنه وهو يلين بمن رقيقه فالتفت إليه وقال يا أبا بكر لما نين وصديقين الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وشيخه بشار بن موسى الخفاف منعه الجمهور وكان أحمد حسن الرأي فيه .

الأستاذ أبو يعلى لا يستند إلى شيء فكان يوما في جمع فأردت أن أضع وسادة خلف ظهره لأنني رأيت غير مستند فتحتني عن الوسادة قليلا فزعمت أنه توفى الوسادة لأنه لم يكن عليها خرقه أو سجادة فقال لأريد الاستناد فأنمت بعد ذلك فملت أنه لا يستند إلى شيء أبدا . وقال الجلال البصري التوحيد يوجب الإيمان فمن لا إيمان له لا توحيد له والإيمان يوجب الشريعة فمن لا شريعة له لا إيمان له ولا توحيد له والشريعة توجب الأدب فمن لا أدب له لا شريعة له ولا إيمان له ولا توحيد له . وقال بعضهم ألزم الأدب

وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لئنه وراز ذمه ان لم يكن فيه اذى على مسلم فان كان لم يجر
كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «سأل أبا بكر رضى الله عنه عن قبر مر به وهو يريد
الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو
ابن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للهام من أبى تحافة قال أبو بكر
يكفى هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام قال صلى الله عليه وسلم اكفف عن أبى بكر فاصرف
ثم أقبل على أبى بكر فقال يا أبا بكر إذا ذكرت الكفار فقموا فانكم إذا خصمتم غضب الأبناء
لأبائهم فكفك الناس عن ذلك (١)» وشرب نهبان الحرق عدة مرات في مجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال بعض الصحابة لئنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم «لا تسكن عونا
للسيطان على أخيك (٢)» وفي رواية لا تغل هذا فانه يحب الله ورسوله قتاه عن ذلك وهذا يدل على
أن لمن فاسق بينه غير جائز وعلى الجملة ففي لمن الأشخاص خطر فليجنب ولا خطر في الكوث عن لمن
إليس مثلا فضلا عن غيره . فان قيل هل يجوز لمن زبد لأنه قاتل الحسين وأمر به . قلنا هذا ما ثبت أصلا
فلا يجوز أن يقال إنه قتله أو أمر به ما لم يثبت فضلا عن القصة لأنه لا يجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير
تحقيق ، ثم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم عاتيا وقتل أبو لؤلؤة عمر رضى الله عنهما فان ذلك ثبت متواترا
فلا يجوز أن يرى مسلم ينسقى أو كفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم «لا يرى رجل رجلا بالكفر
ولا يرميه بالنسقى إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك (٣)» وقال عليه السلام «ما شهد رجل على رجل
بالكفر إلا باء به أحدهما إن كان كافرا فهو كما قال وإن لم يكن كافرا فقد كفر بكفره إياه (٤)»
وهذا معناه أن يكفره وهو يعلم أنه مسلم فان ظن أنه كافر يذعه أو غير هان عطلا لا كافرا وقال معاذ

وفيه ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله ليس لك من الأمر شيء -
قال صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على
الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه الحديث في الراسيل من رواية على بن ربيعة
قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة توجه من فوره ذلك إلى الطائف ومعه أبو بكر
ومعه ابن سعيد بن العاص قال أبو بكر لمن هذا القبر قالوا قبر سعيد بن العاص فقال أبو بكر لمن
الله صاحب هذا القبر فانه كان يجاهد الله ورسوله الحديث وفيه فانما سببتم الشركين فسببهم جميعا
(٥) حديث شرب نهبان الحرق عدة مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة
لئنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسكن عونا لليطان على أخيك
وفي رواية لا تغل هذا فانه يحب الله ورسوله ابن عبد البر في الاستيعاب من طريق الزبير بن بكار
عن رواية محمد بن عمرو بن حزم ومرسلا ومحمد هذا ولد في حياته صلى الله عليه وسلم وسماه محمدا وكناه
عبد لللك والبخارى من حديث عمر أن رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسمه
عبد الله وكان يلقب حمرا وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد جلد في الشرب فأتى به
يوما فأمر به فبعد فقال رجل من القوم اللهم الله ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا تغلوه فوافقه ما عقلت إلا أنه يحب الله ورسوله من حديث أبى هريرة في رجل شرب ولم يسم وفيه
لا تميتوا عليه الشيطان وفي رواية لا تنكروا عون الشيطان على أخيك (٦) حديث لا يرى رجل رجلا
بالكفر ولا يرميه بالنسقى إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك متفق عليه واللباق للبخارى
من حديث أبى ذرعة تخدم ذكر النسق (٧) حديث ما شهد رجل على رجل بالكفر إلا باء أحدهما
إن كان كافرا فهو كما قال وإن لم يكن كافرا فقد كفر بكفره إياه ما يوصور الدليلى في مسند الفردوس
من حديث أبى سعيد بسند ضيف .

بالأدب عوف بحمران
السكن ومن تهاون
بالسكن عوف بحمران
الفرائض ومن تهاون
بالفرائض عوف
بحمران العرفه . وسئل
السرى عن مسألة
في الصبر لمثل يتكلم
فيها فندب على رجله
عقرب فجعلت تضربه
بأرتمها قتيل له ألا
تدفعها عن نفسك
قال أستحي من الله
أن أتكم في حال
ثم أخالف ما أعلم فيه
وقبل من أدب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال
«زيت لى الأرض
فأرتم مشارفها
ومشارفها» ولم يقل
رأيت . وقال أنس
ابن مالك الأدب
في العمل علامة قبول

قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنها لك أن تشتم مسلماً أو تمس إماماً عادلاً والتعرض للإموات أشد» (١) قال مسروق دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت فاضل فلان لعنه الله قلت توفي قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاتسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا» (٢) وقال عليه السلام «لاتسبوا الأموات فتؤذوا به الأحياء» (٣) وقال عليه السلام «أبها الناس أحفظوني في أصحابي وإخواني وأصحابي ولا تسبهم أبها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيراً» (٤) فإن قيل فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله أو الأمر يقتله لعنه الله ؟ قلنا الصواب أن يقال قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله لأنه يحتمل أن يموت بسبب التوبة فإن وحشياً قاتل حمزة عم رسول الله ﷺ قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر وقتل جميعاً ولا يجوز أن يلحق بالقتل كبيرة ولا تنتهي إلى رتبة الكفر فإذا لم يقيد بالتوبة وأطلق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو أولى وإنما أوردنا هذا لتأويل الناس باللعنة وإطلاق اللسان بها وللمؤمن ليس بإعلاء فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللعنة إلا على من مات على الكفر أو على الأجnas العرنيين بأوصافهم دون الأشخاص المبينين فلا تغفل بذكر الله أولى فإن لم يكن في السكوت سلامة قال مكي بن إبراهيم كنا عند ابن عوف فذكروا بلال بن أبي بردة فجمعوا يلعنونه وشعرون فيه وابن عوف سأكت فقالوا يا ابن عوف إننا نذكرك لما ارتكب منك فقال إنما هما كلمتان تخرجان من صفيق يوم القيامة لإله إلا الله ولن الله إنما فلا نخرج من صفيق لإله إلا الله أحب إلى من أن يخرج منها لعنه الله فلانا . وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال «أوصيك أن لا تكون لعاناً» (٥) وقال ابن عمر : إن أفضى الناس إلى الله كل طمان لعان . وقال بعضهم لمن يؤمن يعدل قتله وقال حماد بن زيد بعد أن روى هذا لوقلت إنه مرفوع لم أبيال وعن أبي قتادة قال كان يقول «من لعن مؤمناً فهو مثل أن يقتله» (٦) وقد نقل ذلك حديثاً مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الإنسان مثلاً لا صلح الله جسمه ولاسله الله وما يجري مجراه فان ذلك مذموم . وفي الخبر «إن الظالم يدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبق للظالم عنده فضلة يوم القيامة» (٧) .

(١) حديث معاذ أنها أن تشتم مسلماً أو تمس إماماً عادلاً أبو نعيم في الحلية في أثناء حديث له طويل (٢) حديث عائشة لاتسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا وخ ذكر الصنف في أوله قصة لعائشة وهو عند ابن المبارك في رهد و لرقائق مع القصة (٣) حديث لاتسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء الترمذي من حديث الثوري بن شعبة ورجاله ثقات إلا أن بعضهم أدخل بين التسمية وبين زياد بن علاقة رجلاً لم يسم (٤) حديث أبها الناس أحفظوني في أصحابي وإخواني وأصحابي ولا تسبهم أبها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيراً أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عياض الأنصاري أحفظوني في أصحابي وأصحابي وإخواني وأصحابي ولا تسبهم أبها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيراً أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد وأبي هريرة لاتسبوا أصحابي ولأبي داود والترمذي وقال غريب من حديث ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم وللنسائي من حديث عائشة لاتذكروا موتاكم إلا بخير وإسناده جيد (٥) حديث قال رجل أوصني قال أوصيك أن لا تكون لعاناً أحمد والطبراني وابن عاصم في الأحاد والثاني من حديث جرير بن الحارث وفيه رجل لم يسم أسقط ذكره ابن أبي عاصم (٦) حديث لمن يؤمن كفته من حديث ثابت بن الضحاك (٧) حديث إن الظالم يدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبق للظالم عنده فضلة يوم القيامة لم أتفق له على أصل والترمذي من حديث عائشة بسند ضعيف من دعا على من ظلمه فقد انصر .

المعمل . وقال ابن عطاء الأدب الوقوف مع المستحسنات قبل مامته قال أن تعامل الله سرا وعلتا بالأدب فإذا كنت كذلك كنت أدياً وإن كنت أمهياً تم أشد :

إذا نطقت جاءت بكل مليحة

وإن سكنت جاءت بكل ملح

وقال الجري من عشرين سنة مامدت

رجلي في الخلوة فان حسن الأدب مع الله

أحسن وأدلى . وقال أبو علي ترك الأدب

موجب للطرد فمن أساء الأدب على البساط رد

إلى الباب ومن أساء الأدب على الباب رد

(الآفة التاسعة التناء والشعر)

وقد ذكرنا في كتاب السباع ما يحرم من التناء وما جمل فلا يفيد وأما الشعر فكلام حسنه حسن
وتحيه قبيح إلا أن التجرد له مذموم قال رسول الله ﷺ « لأن يتلى جوف أحدكم قبحا حتى يريه
خير له من أن يتلى شعرا »^(١) وعن مسروق أنه سئل عن بيت من الشعر فكرهه قبله في ذلك
قال أنا أكره أن يوجد في مصحف شعر وسئل بعضهم عن شيء من الشعر قال أجل مكان هذا ذكرنا
فإن ذكر الله خير من الشعر . وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس محرما إذا لم يكن فيه كلام مستكره
قال صلى الله عليه وسلم « إن من الشعر لحكمة »^(٢) نعم مقصود الشعر للدع والهمم والتشبيب وقد
يدخله الكذب وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت الأنصاري بهجاء الكفار
والتوسع في الملح^(٣) فإنه وإن كان كذبا فإنه لا يلحق في التحريم بالكذب كقول الشاعر :

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليكن الله سائله

فإن هذا عبارة عن الوصف بنبأ السخاء فإن لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وإن كان سخيا
فاللائلة من صنعة الشعر فلا يقصد منه أن يمتدح صورته وقد أُنشدت أبيات بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو تبعت لوجد فيها مثل ذلك فلم ينع منه قالت عائشة رضي الله عنها « كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضف نعله وكنت جالسة أغزل فنظرت إليه فجعل يبس يرق
وجعل عرقه يتوه نورا قالت فبنت فنظرت إلى فقال مالك بهت قتلت يارسول الله نظرت إليك فجعل
جبينك يرق وجعل عرقك يتوه نورا ولو رأك أبو كبير الهذلي لعم أنك أحق بشعره قال وما
يقول فأعائشه أبو كبير الهذلي قلت يقول هذين البيتين :

ومبرا من كل غير حيفة وفساد مرضعة وداء مغيل

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض للتلل

قال فوضع صلى الله عليه وسلم ما كان بيده وقام إلى وقبل ما بين عيني وقال جزاك الله خيرا بأعائشة
ماسررت مني كسروري منك^(٤) . ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم حنين أمر
للعباس بن مرداس بأربع قلائص فاندفع يشكو في شعره وفي آخره :

وما مكان بدر ولا حابس يسودان مرداس في جمع

وما كنت دون امرئ منها ومن قنع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقلعوا عن لساني فذهب به أبو بكر الصديق رضي الله عنه حتى اختار مائة

(الآفة التاسعة التناء والشعر)

(١) حديث لأن يتلى جوف أحدكم قبحا حتى يريه خير من أن يتلى شعرا مسلم من حديث سعد
ابن أبي وقاص وأتفق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة نحوه والبخاري من حديث ابن عمر . ومسلم
من حديث أبي سعيد (٢) حديث إن من الشعر لحكمة تقدم في العلم وفي آداب السباع (٣) حديث أمره
حسان أن بهجو للشركيين متفق عليه من حديث البراء أنه ﷺ قال لحسان اهجم وجبريل معك
(٤) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضف نعله وكنت أغزل قالت فنظرت إليه
فبسل جبينه يرق وجعل عرقه يتوه نورا الحديث وفيه إنشاد عائشة لشعر أبي كبير الهذلي :

ومبرا من كل غير حيفة وفساد مرضعة وداء مغيل

فإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض للتلل

إلى آخر الحديث رواه البيهقي في دلائل النبوة .

إلى سياسة المذاهب .
[الباب الثاني
والثلاثون في آداب
الحضرة الالهية لأهل
القرب]

كل الآداب تتلقى من
رسول الله صلى الله
عليه وسلم فإنه عليه
السلام مجمع الآداب
ظاهرا وباطنا وأخير
الله تعالى عن حسن
أدبه في الحضرة بقوله
تعالى - مازغ البصر
وما طنى - وهسنه
غاضة من غوامض
الآداب اختص بها
رسول الله صلى الله
عليه وسلم أخبر الله
تعالى عن اعتدال
قلبه للقدس في
الاعراض والاقبال
أعرض عما سوى الله
وتوجه إلى الله وترك
وراء ظهره الأرضين

من الأبل ثم رجع وهو من أرضي الناس فقال له صلى الله عليه وسلم أنقول في الشعر فجعل يتندر إليه ويقول يا أي أنت وأمي إلى لأحد للشعر دينيا على لسان كديب الخلد ثم قرصني كما قرص الخلد فلا أجد بدا من قول الشعر فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع الأبل الحنينة (١) .

(الآفة العاشرة الزاح)

وأصله مدموم منهي عنه الإقذار يسير يستثنى منه قال صلى الله عليه وسلم « لا تسار أخاك ولا تخازحه » فان قلت المارة فيها إيذاء لأن فيها تكذبا للأخ والصديق أو تعجلا به ، وأما الزاح فخطاية وفيه انبساط وطيب قلب فلم ينهي عنه ؟ فأعلم أن النبي عنه الإفراف فيه أو اللادومة عليه ما للدومة فلا يشغل بالعب والمزول فيه والعب مباح ولكن الواظبة عليه مدمومة وأما الإفراف فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تيمت القلب ونور الضميمة في بعض الأحوال وتسقط الهاية والوارفما يخلو عن هذه الأمور فلا يدم كما روى النبي ﷺ أنه قال « إن لأمرح ولا أقول إلا حقا » . إلا أن مثله يقدر على أن يمزح ولا يقول إلا حقا وأما غيره إذا فتح باب الزاح كان غرضه أن يضحك الناس كييفا كان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى به ومن أراد من الثريا » وقال عمر رضي الله عنه : من كثرت ضحكته قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثرت سقطه ومن كثرت سقطه قل سيأوه ومن قل سيأوه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولأن الضحك يدل على القلة عن الآخرة قال صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لبكيتكم كثيرا ولضحكتكم قليلا » . والقول لجل أخيه يا أي هل أتاك ذلك وورد التار قال نعم قال هل أتاك أنك خارج منها قال لا قال فبم الضحك قبل فمأوى ما سمع حتى مات . وقال يوسف ابن أسباط أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وقبل أقام عطاء السلي أربعين سنة لم يضحك ونظروا فيجب ابن الوردي إلى قوم يضحكون في عيد فطر فقال إن كان هؤلاء قد غفرت لهم فما هذا فعل الشاكرين إن كان لم يضر لهم فما هذا فعل الخائفين . وكان عبد الله بن أبي جيل يقول أتضحك ولعل أكفانك

والدار الحاجة يحطولها
والسموات والدار
الأخرة يحطولها فما
التفت إلى ما عرض
عنه ولا لجة الأسف
على الناب في إعراسه
قال الله تعالى - لكيلا
تأسوا على ما فاتكم -
فهذا الخطاب للمدموم
وما زاح البصر إخبار
عن حال النبي عليه
السلام بوصف شخص
من معنى ما خاطب به
المدموم فكان ما زاح
البصر حاله في طرف
الأعراض وفي طرف
الاقبال تلقى ما ورد
عليه في مقام قاب
قوسين بالروح والقلب
ثم فر من الله تعالى
حياء منه وهيبة
وإجلالا وطوى نفسه
بفراده في مطاوي
انكساره وانقاره

(١) حديث لما قسم الفنائم أمر للعباس بن مرداس بأربع فائض وفي آخره شعره :

وما مكان بدم ولا حابس يسودان مرداس في جمع
وما كنت دون امرئ منها ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم أقطعوا عن لسانه الحديث مسلم من حديث رافع بن خديج أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعبيدة بن حسن والأقرع بن حابس كل إنسان منهم مائة من الأبل وأعطي عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس :

أجعل نهي ونهب البيد بين عينة والأقرع
وما مكان بدر ولا حابس يوقان مرداس في جمع
وما كنت دون امرئ منها ومن تضع اليوم لا يرفع

قال فأتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وزاد في رواية أعطى علمة بن علامة مائة وأما زيادة أقطعوا عن لسانه فليست في شيء من الكتب المشهورة .

(الآفة العاشرة الزاح)

(٢) حديث لا تسار أخاك ولا تخازحه الترمذي وقد تقدم (٣) حديث إن أمزح وأقول إلا حقا تقدم (٤) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا تقدم . (٥) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتكم كثيرا . تنفق عليه من حديث أنس وعائشة .

فدخرت من عند القصار وقال ابن عباس من أذنب ذنباً وهو يضحك دخل النار وهو يضحك وإذا رأيت في الجنة رجلاً يضحك السمت تسحب من مكانه ؟ قيل بل قل فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أحجب منه فهذه آفة الضحك والمذموم منه أن يستغرق ضحكاً والمحمود منه التسم الذي يكشف فيه السن ولا يسمع له صوت وكذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) قال القاسم مولى معاوية أقبل أعرابي إلى النبي ﷺ على قفوس له صعب فلم يجعل كما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله يخر به فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون منه فعمل ذلك مراراً ثم وقصه قتلته فقيل يا رسول الله إن الأعرابي قد صرعه قفوصه وقدهلك فقال نعم وأفواهكم ملائ من دمه (٢) وأما أداء الزاح إلى سقوط الوفاق فقد قال عمر رضي الله عنه من مزح استخف به وقال محمد بن النكدر قالت لي أي يابني لأعاجز الصبيان قهون عندهم وقال سعيد بن العاص لآبني يابني لأعاجز الشريف فيحقد عليك والادني فيجترى عليك وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اتقوا الله وإياكم والزاح فانه يورث الضئيلة ويجر إلى القبيح تحذروا بالقرآن وبالحالوا به فان تقل عليكم فحدث حسن من حديث الرجال وقال عمر رضي الله عنه أتدرون على الزاح مسمى الزاح مزاحاً ؟ قالوا لا قال لأنه أراح صاحبه عن الحق وقيل لكل شيء بذور وبذور العداوة والزاح وبقال الزاح . سلبية فمن مقطعة للأصدقاء . فان قامت فقد تقل الزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فكيف ينهي عنه . فأقول إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن تزح ولا تقول ولا تفعل ولا تؤذي قلباً ولا تضر فيه وتقتصر عليه أحياناً على الدور ولا تخرج عليه فيه ولكن من اللطالط العظيم أن يتخذ الإنسان الزاح حرقاً ويطلب عليه ويفرط فيه ثم يمسك به بل الرسول ﷺ وهو كمن يدور نهاره مع الزوج ينظر إليهم وإلى رقصهم ويمسك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لعائشة في النظر إلى رقص الزوج في يوم عيد وهو خطأ إذ أن الصغار ماصير كبيرة بالاصرار ومن الباحات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغي أن يفعل عن هذا (٣) ثم روى أبو هريرة أنهم قالوا « يا رسول الله إنك تداعينا فقال إني وإن داعيتكم لأقول لإحقا (٤) » وقال عطاء إن رجلاً سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزح ؟ فقال نعم قال فما كان مزاحه ؟ قال كان مزاحه أنه صلى الله عليه وسلم كسا ذات يوم امرأة من نساءه ثوباً واسعاً فقال لها البسيه واحمدى وجرى منه ذيل كذبل العروس (٥) وقال أنس إن النبي صلى الله عليه وسلم كان من أفكه الناس مع نساءه (٦) وروى أنه كان كثير التسم (٧) وعن الحسن قال أمت مجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة مجوز فيك فقال إنك لست بمجوز يومئذ قال الله تعالى - إنا أنشأناهم إنشاءً فصنعناهم أبقاراً - (٨) » وقال زيد بن أسلم إن امرأة يقال لها

(١) حديث كان ضحكك التسم تقدم (٢) حديث القاسم مولى معاوية أقبل أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم على قفوس له صعب فلم يجعل كما دنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله يخر به وجعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون منه فعمل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه قتلته فقيل يا رسول الله إن الأعرابي قد صرعه قفوصه فبذلك قال نعم وأفواهكم ملائ من دمه ابن المبارك في الزهد والرقائق وهو محصل (٣) حديث إذنه لعائشة في النظر إلى رقص الزوج في يوم عيد تقدم (٤) حديث أبي هريرة قالوا إنك تداعينا قال إني وإن داعيتكم فلا أقول إلا حقاً الترمذي وحسنه (٥) حديث عطاء إن رجلاً سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزح فقال ابن عباس نعم الحديث قد ذكره من قوله لامرأة من نساءه البسيه واحمدى وجرى منه ذيل كذبل العروس لم أقف عليه (٦) حديث أنس قال من أفكه الناس تقدم (٧) حديث أنه كان كثير التسم تقدم (٨) حديث الحسن لا يدخل الجنة مجوز

لكيلا تبسط النفس
قطعتي فان الطغيان
عند الاستثناء وصف
النفس قال الله تعالى
- كلا إن الإنسان
ليظنى أن رآه استغنى-
والنفس عند الواهب
الواردة على الروح
والقلب تسترق السمع
ومنى ثالث قسطاً من
التح استغنى وطقت
والطغيان يظهر منه
فرط البسط والإفراط
في البسط يبدأ باب
الزهد وطغيان النفس
لضييق وعائها عن
الواهب فوسى عليه
السلام مع له في
الحضرة أحد طرفي
مازغ البصروما التف
إلى ما فاته وما غنى
متأسفا لحسن أدبه
ولكن امتلا من اللع
واسترفت النفس السمع

أما عن جأته إلى النبي صلى الله عليه وسلم «قالت إن زوجي يدعوكم قال هو أهو الذي بينه ياض قالت والله ما بينه ياض فقال بل إن بينه ياضاً فقالت لا والله قال صلى الله عليه وسلم : مامن أحد إلا وبينه ياض وأراد به البياض المحيطة بالحدقة^(١) وجاءت امرأة أخرى فقالت «يا رسول الله احملني على بئر فقال بل تحملك على ابن البئر فقالت ما أصنع به إنه لا يحملني فقال ﷺ : مامن بئر إلا وهو ابن بئر^(٢) فكان يمزح به وقال أنس كان لأبي طلحة ابن يقال له أبو عمير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يابهم ويقول «يا أبا عمير ما فعل النثير^(٣)» فنثر كان يلعب به وهو فرخ الصغور وقالت عائشة رضي الله عنها «خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فقال تعالى حتى أسألك فشدت درعي على بطني ثم خططنا خطاً قطعنا عليه واستبقينا فسبقني وقال هذه مكان ذى الحجاز^(٤)» وذلك أنه جاء يوماً ونحن بذى الحجاز وأنا جارية قد بشت أبي بشي فقال أعطيني فأبيت وسعيت وسعي في أترى فلم يدركني وقالت أيضاً «سألت رسول الله ﷺ فسبقته فلما حملت اللحم سألتني فسبقني وقال هذه بلك^(٥)» وقالت أيضاً رضي الله عنها «كان عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة بنت زمعة فصنعت حريرة وجئت به فقلت لسودة كلى فقالت لأخي قتل والله لنا كنان أو لألطفن به وجهك فقالت ما أنا بذافقة فأخذت يدي من الصفحة شيئاً منه فططخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها فغض لها رسول الله ركبته لتستقيد مني فتناولت من الصفحة شيئاً فسحقت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك^(٦)» وروى «أن الضحاك بن سفيان الكلبي كان رجلاً دميماً فيها فلما باهه النبي صلى الله عليه وسلم قال إن عندى امرأتين أحسن من هذه الحبراء وذلك قول أن نزل آية الحجاب أفلا أتزل لك عن إحداها فتزوجها وعائشة جالسة تسمع فقالت أمي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من سؤالها إياه لأنه كان دميماً^(٧)» . وروى علقمة عن أبي سلة أنه كان صلى الله عليه وسلم يدلع لسانه للحن ابن أبي عليهما السلام فيرى الصبي لسانه فيبش له فقال له عيينة بن بدر الفزاري والله ليكونن

الترمذي في التباثل هكذا مرسلًا وأسنده ابن الجوزي في الوفاء من حديث أنس بسند ضعيف (١) حديث زيد بن أسلم في قوله لامرأة يقال لها أم أيمن قالت إن زوجي يدعوكم أهو الذي بينه ياض الحديث الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والزاح ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبيدة بن سهم التهمي مع اختلاف (٢) حديث قوله لامرأة استجملته تحملك على ابن البئر الحديث أبو داود والترمذي وصححه من حديث أنس بلفظ أنا حاملك على ولده الناقة (٣) حديث أنس بأعمير ماضل النعيم متفق عليه وتقدم في أخلاق النبوة (٤) حديث عائشة في مساقته صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فسبقها وقال هذه مكان ذى الحجاز لم أجد له أصلاً ولم تكن عائشة معه في غزوة بدر (٥) حديث عائشة سألتني فسبقته النساء وابن ماجه وقد تقدم في السكاح (٦) حديث عائشة في لطف وجه سودة بحريرة ولطف سودة وجه عائشة فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة وأبو يعلى بإسناد جيد (٧) حديث إن الضحاك بن سفيان الكلبي قال عندى امرأتان أحسن من هذه الحبراء أفلا أتزل لك عن إحداها فتزوجها وعائشة جالسة قبل أن يضرب الحجاب فقالت أمي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان دميماً الزبير بن بكار في الفكاهة من رواية عبد الله بن حسن مرسلًا أو معضلاً وللدارقني نحو هذه القصة مع عيينة بن حصن الفزاري بعد نزول الحجاب من حديث أبي هريرة .

وتطلمت إلى القسط والحظ فلما حظيت الشمس استغثت وطفح عليها ما وصل إليها وضاق نطاقها فتجاوز الحد من فرط البسط وقال أترى أنظر إليك فنع ثم يطلق في قضاء الزيد وظهر الفرق بين الحبيب والسكيم عليهما السلام وهذه دقيقة لأرباب الترب والأحوال السنية فكل قبيح يوجب عقوبة لأن كل قبيح سدى في وجهه باب الفحوص والعقوبة بالقبيح أوجب الإفراط في البسط ولو حصل الاعتدال في البسط ما وجبت العقوبة بالقبيح والاعتدال في البسط بإيقاف النزول من النع على حاله

لِ الْإِبْنِ قَدْ زَوَّجَ وَبَقِلَ وَجْهَهُ وَمَاقِلَتَهُ قَطْ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنْ مِنْ لَارِحِمٍ لَارِحِمٍ» (١) فَأَكْثَرَ هَذِهِ الطَّائِفَاتِ مَنَقُولَةً مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ وَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجَالَةً لِنُصْفِ تَوَلَّيْهِمْ مِنْ غَيْرِ مِثْلِ ذَلِكَ هَذَا وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً لَصَبِيبٍ بِهِ رَمَدٌ وَهُوَ يَأْكُلُ تَمْرًا «أَنَا كُلُّ التَّمْرِ وَأَنْتَ رَمَدٌ فَقَالَ إِنَّمَا أَكُلُ بِالشَّقِّ الْآخَرَ يَارَسُولَ اللَّهِ قَسِمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (٢) قَالَ بَعْضُ الرِّوَاةِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى نَوَاجِزِهِ . وَرَوَى «أَنْ خَوَاتِمْ جَبْرِ الْأَنْصَارِيِّ كَانَ جَالِسًا إِلَى نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي كَيْبٍ بِطَرِيقِ مَكَّةَ فَطَلَعَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا لَكَ مَعَ الْقِسْوَةِ فَقَالَ يَفْتَلَنُ صَغِيرًا لَجَلَى ثُرُودٍ قَالَ فَنُفِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَتِهِ ثُمَّ عَادَ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَمَا تَرَى ذَلِكَ الْجِلَّ الشَّرَادَ بَعْدَ قَالِ فَسَكَتَ وَاسْتَجِيبَتْ وَكَثُرَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْفَرُ مِنْهُ كُلَّمَا رَأَيْتُهُ حَيَاءٌ مِنْهُ حَتَّى قَدِمْتُ لِلدِّينَةِ وَبَعْدَ مَا قَدِمْتُ لِلدِّينَةِ قَالَ فَرَأَى فِي السَّجْدِ يَوْمًا أَصْلَى فُجِسَ إِلَى فَطُولٍ فَقَالَ لَا تَطُولُ فَإِنِّي أَنْتَظِرُكَ فَلَمَّا سَلِمْتُ قَالَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَمَا تَرَى ذَلِكَ الْجِلَّ الشَّرَادَ بَعْدَ قَالِ فَسَكَتَ وَاسْتَجِيبَتْ قَامَ وَكَثُرَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْفَرُ مِنْهُ حَتَّى لَقِيتُ يَوْمًا وَهُوَ عَلَى حِمَارٍ وَقَدْ جُمِلَ رَجُلُهُ فِي شَقٍّ وَاحِدٍ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَمَا تَرَى ذَلِكَ الْجِلَّ الشَّرَادَ بَعْدَ قَتْلِ وَالِدِي بِشَقِّ بِالْحَقِّ مَا شَرِدَ مِنْذُ أَسَلَمْتُ فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ أَهْ أَكْبَرُ أَهْمُ أَهْدُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ قَالَ خَسَنَ إِسْلَامَهُ وَهَدَاهُ اللَّهُ ﷻ وَكَانَ نَعْيَانِ الْأَنْصَارِيِّ رَجُلًا مَزَاحًا فَكَانَ يَضْرِبُ الْخَمْرَ فِي الدِّينَةِ فَيُؤْتِي بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضْرِبُهُ بِنَدْلِهِ وَيَأْمُرُ أَصْحَابَهُ فَيَضْرِبُونَهُ بِعَاقِلِهِمْ فَلَا كَثَرَ ذَلِكَ مِنْهُ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الصَّاحِبَةِ لَعَنَكَ اللَّهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَفْضَلْ فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَكَانَ لَا يَدْخُلُ لِلدِّينَةِ رَسْلًا وَلَا طَرَفَةً إِلَّا اشْتَرَى مِنْهَا ثَمَنًا فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ يَارَسُولَ اللَّهِ هَذَا قَدْ اشْتَرَيْتَ لَكَ وَأَهْدَيْتَ لَكَ فَإِذَا جَاءَ صَاحِبُهَا بِتَقَاضَاهُ الْبَتْنُ جَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ يَارَسُولَ اللَّهِ أَطْعَمَ ثَمَنَ مَتَاعِهِ يَقُولُ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلُ نَهْدِهِ لَنَا يَقُولُ يَارَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي ثَمَنٌ وَأَجِيبَتْ أَنْ أَكُلَ مِنْهُ فَيَحْكُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَأْمُرُ لَصَاحِبِهِ بِثَمَنِهِ (٣) فَهَذِهِ مَطَائِفُ

(١) حَدِيثٌ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْلَعُ لِسَانَهُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ فِي رِيءِ الصَّبِيِّ لِسَانَهُ فَيُرِيهِ إِلَيْهِ فَقَالَ عَيْنَةُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ وَالْأَفْرَعُ بْنُ لَيْكُونٍ لِي الْإِبْنِ رَجُلًا قَدْ خَرَجَ وَجْهَهُ وَمَاقِلَتَهُ قَطْ فَقَالَ إِنْ مِنْ لَارِحِمٍ لَارِحِمٍ أَوْ يَعْلَى مِنْ هَذَا الْوَجْهِ دُونَ مَا فِي آخِرِهِ مِنْ قَوْلِ عَيْنَةَ إِنْ بَدْرٌ وَهُوَ عَيْنَةُ بْنُ حَصْنٍ بْنُ بَدْرٍ وَنَسَبٌ إِلَى جَدِّهِ وَحَكِي الْخَطِيبُ فِي الْمُبَهَمَاتِ قَوْلَيْنِ فِي قَائِلِ ذَلِكَ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ عَيْنَةُ بْنُ حَصْنٍ وَالثَّانِي أَنَّهُ الْأَفْرَعُ بْنُ حَابِسٍ وَغَدَّ مُسْلِمٌ مِنْ رِوَايَةِ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ الْأَفْرَعُ بْنُ حَابِسٍ أَبْصَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَلُ الْحَسَنَ فَقَالَ إِنْ لِي عَشْرَةٌ مِنَ الْوَلَدِ مَا قَابِلَتْ وَاحِدًا مِنْهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ لَارِحِمٍ لَارِحِمٍ (٢) حَدِيثٌ قَالَ لَصَبِيبٍ بِهِ رَمَدٌ أَنَا كُلُّ التَّمْرِ وَأَنْتَ رَمَدٌ فَقَالَ إِنَّمَا أَكُلُ بِالشَّقِّ الْآخَرَ قَسِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنَ مَاجِهِ وَالْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ صَبِيبٍ وَرَجَالِهِ ثَمَاتِ (٣) حَدِيثٌ عَنْ خَوَاتِمِ بْنِ جَبْرِ كَانَ جَالِسًا إِلَى نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي كَيْبٍ بِطَرِيقِ مَكَّةَ فَطَلَعَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا لَكَ مَعَ النَّسْوَةِ فَقَالَ يَفْتَلَنُ صَغِيرًا لَجَلَى ثُرُودٍ قَالَ لِي ثُرُودُ الطَّبْرَانِيِّ فِي الْكَبِيرِ . مِنْ رِوَايَةِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ خَوَاتِمِ بْنِ جَبْرِ مَعَ اخْتِلَافِ وَرَجَالِهِ ثَمَاتِ وَأَدْخَلَ بَعْضُهُمْ بَيْنَ زَيْدٍ وَبَيْنَ خَوَاتِمِ رِيَّةِ ابْنِ عَمْرٍو (٤) حَدِيثٌ كَانَ نَعْيَانِ رَجُلًا مَزَاحًا وَكَانَ يَضْرِبُ الْخَمْرَ فَيُؤْتِي بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضْرِبُهُ بِنَدْلِهِ وَيَأْمُرُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَجِيءُ بِصَاحِبِهِ يَقُولُ أَطْعَمَ ثَمَنَ مَتَاعِهِ الْحَدِيثُ الزُّبَيْرِيُّ بْنُ بَكَّارٍ فِي الْفَسَاكَةِ وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ عَبْدِ الْوَلَدِ مِنْ رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ مَرْسَلًا وَقَدْ تَقَدَّمَ أَوَّلُهُ .

والقلب والإضاف على
الروح والقلب بما
ذكرناه من حال النبي
عليه السلام من تعيب
النفس في مطاوي
الانكسار فذلك القرار
من الله إلى الله وهو غاية
الأدب حظي به رسول
الله عليه الصلاة
والسلام فما قيل
بالقبض فدام مريده
وكان قاب قوسين
أو أدنى وبشاكل
الشرح الذي شرحناه
قول أبي العباس بن
عطاف في قوله تعالى
- ما زناغ البصر
وما طغى - قال لم يره
بطغيان بيل بل رآه على
شرط اعتدال القوى
وقال سهل بن عبد الله
التستري لم يرجع
رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى شاهد نفسه

يباح متلها على التدور لاطى الدوام والواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المبيت للقلب .

(الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء)

وهذا محرم مهما كان مؤذيا كما قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خير منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن - ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتنبه على العيوب والتناقض على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالهاكمة في الفعل والقول وقد يكون بالإشارة والإيماء وإذا كان بخسرة للستهزاء به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى التنية قالت عائشة رضى الله عنها حاكت إنسانا فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم ﷺ والله ما أحب أنى حاكت إنسانا ولى كذا وكذا^(١) وقال ابن عباس فى قوله تعالى - يا ويلتنا لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها - إن الصغيرة التسم بالاستهزاء بالؤمن والكبيرة التهفئة بذلك وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب والكبائر . وعن عبد الله بن زعمة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فوعظهم فى ضحكهم من الضرطة فقال علام يضحك أحدكم مما يفعل^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إن للستهزين بالناس بفتح لأحدهم باب من الجنة يقال لهم هلم فىجى بكبره وخمه فاذا أتاه أغلق دونه ثم يفتح له باب آخر يقال لهم هلم فىجى بكبره وخمه فاذا أتاه أغلق دونه فإزال كذلك حتى أن الرجل ليفتح له الباب فقال له هلم فلا يأتى به^(٣) » وقال معاذ بن جبل قال صلى الله عليه وسلم «من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يبعه^(٤) » وكل هذا يرجع إلى استحقاق التير والضحك عليه استهانة به واستصغارا له وعليه نيه قوله تعالى - عسى أن يكونوا خيرا منهم - أى لا يستحقه استصغارا فله خبر منك وهذا إنما يحرم فى حق من يتأذى به فأما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من أن يسخر به سكات السخرية فى حق من جملة المزاح وقد سبق ما يمد منه وما يمدح وإتعا المجرم استصغارا يتأذى به للستهزاء به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بأن يضحك على كلامه إذا تخطى فيه ولم ينتظم أو على أفعاله إذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعه أو على صورته وخلقه إذا كان قصيرا أو ناقصا لعييبا من العيوب فالضحك من جميع ذلك داخل فى السخرية للهوى عنها .

(الآفة الثانية عشرة إفشاء السر)

وهو منهى عنه لما فيه من الأيذاء والتهاون بحق الدارف والأصدقاء قال صلى الله عليه وسلم

(الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء)

(١) حدث عائشة حكيت إنسانا فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم ما يبرىئنى أنى حاكت إنسانا ولى كذا وكذا أبو داود والترمذى وصححه (٢) حديث عبد الله بن زعمة وعظّم فى الضحك من الضرطة وقال علام يضحك أحدكم مما يفعل متفق عليه (٣) حديث إن للستهزين بالناس بفتح لأحدهم باب من الجنة يقال لهم هلم فىجى بكبره وخمه فاذا جاء أغلق دونه الحديث ابن أبى الدنيا فى الصمت من حديث الحسن مرسلًا ورويناه فى ثمانيات النجيب من رواية أبى هذبة أحد المالكين عن أنس (٤) حديث معاذ بن جبل من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يبعه الترمذى دون قوله قد تاب منه وقال حسن غريب وليس إسناده بمتمثل قال الترمذى قال أحمد بن منيع قالوا من ذنب قد تاب منه .

(الآفة الثانية عشرة إفشاء السر)

ولا إلى مشاهدتها وإنما كان مشاهدا بكتبته لربه يشاهد ما يظهر عليه من الصفات التى أوجبت الثبوت فى ذلك المثل وهذا الكلام لمن اعتبر موافق لما شرحناه رمز فى ذلك عن سهل بن عبد الله ويؤيد ذلك أيضا ما أخبرنا به شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى إجازة قال أنا الشيخ العالم عصام الدين أبو حفص عمر بن محمد بن منصور الصغار التيسابورى قال أنا أبو بكر أحمد ابن خاف الشيرازى قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلى قال سمعت أبا نصر ابن عبد الله بن على

« إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فمضى أمانة^(١) » وقاله طلقاً « الحديث بينكم أمانة^(٢) » وقال الحسن إن من الحياة أن تحدث بسر أخيك . وروى أن معاوية رضى الله عنه أسرى إلى اليربوعين عتبة حديثاً فقال لأبيه يا أبت إن أمير المؤمنين أسرى إلى حديثي وما أرام بطوى عنك ما بطوله إلى غير ذلك فلا تخدعني به فإن من كتم سره كان الخيار إليه ومن أفشاء كان الخيار عليه قال قلت يا أبت وإن هذا يدخل بين الرجل وبين ابنه فقال لا والله يا بني ولكن أحب أن لا تغفل لسانك بأحد حديث السر قال فأتيت معاوية فأخبرته فقال يا وليد أعتكك أبوك من رقى الخطأ فأفشاء السر خيانة وهو حرام إذا كان فيه إضرار ، ولؤم إن لم يكن فيه إضرار ، وقد ذكرنا ما يتعلق بكتاب السرف في كتاب آداب الصحة فأغنى عن الإعادة .
(الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب)

فإن اللسان سباق إلى الوعد ثم النفس ربما لا تسمع بالوفاء فيصير الوعد خلفاً وذلك من أمارات النفاق قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود - وقال صلى الله عليه وسلم « الصدقة عتبة^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « الوأى مثل الدين أو أفضل^(٤) » والوأي الوعد وقد أثنى الله تعالى على نبيه اسمعيل عليه السلام في كتابه العزيز فقال - إنه كان صادق الوعد قليل إنه وعد إنساناً في موضع فلم يرجع إليه ذلك الإنسان بل نسي فبقى اسمعيل اثنين وعشرين يوماً في انتظاره . ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال إنه كان خطب إلى ابني رجل من قريش وقد كان مني إليه شبه الوعد فوالله لألقى الله بثلاث انفاق أشهدكم أني قد زوجته ابنتي وعن عبد الله بن أبي الحنساء قال « بايت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبيت وبقيت له بقية فواعدته أن آتية بها في مكانه ذلك ففسيت يومى والله فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا بني لقد شقت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظر^(٥) » وقيل لإبراهيم : الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يحصى . قال ينظره إلى أن يدخل وقت الصلاة التي يحصى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وعد وعدا قال عسى^(٦) وكان ابن مسعود لا يمدوعداً إلا يقول إن شاء الله وهو الأولى ثم إذا فمعهم ذلك الحزم في الوعد فلا بد من الوفاء إلا أن يتعذر فإن كان عند الوعد عذر ما عسى أن لا يفي فها هو النفاق . وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان^(٧) » وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقاً

(١) حديث إذا حدث الرجل حديث ثم التفت فهي أمانة أبو داود والترمذي وحسنه من حديث جابر (٢) حديث الحديث بينكم أمانة ابن أبي الدنيا من حديث ابن شهاب مرسل -

(الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب)

(٣) حديث العدة عطية الطبراني في الأوسط من حديث قيث بن أشيم بسند ضعيف وأبو يعقوب الخلية من حديث ابن مسعود ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت والخرائط في مكارم الأخلاق من حديث الحسن مرسل (٤) حديث الوأى مثل الدين أو أفضل ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية ابن لهيعة مرسل وقال الوأى يعني الوعد ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بسند ضيف (٥) حديث عبد الله بن أبي الحنساء بايت النبي صلى الله عليه وسلم فوعده أن آتية بها في مكانه ذلك ففسيت يومى والله فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا بني قد شقت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظر رواه أبو داود واختلف في إسناده وقال ابن مهدي ما أظن لإبراهيم من طهمان إلا أخطأ فيه (٦) حديث كان إذا وعد وعدا قال عسى لم أجده له أصلاً (٧) حديث أن هريرة ثلاث من كن فيه فهو منافق الحديث وفيه إذا وعد أخلف متفق عليه وقد تقدم

السراج قال أنا أبو الطيب السكيني أني عهد الجبري قال التسرع إلى استدراك علم الاقطاع وسيلة والوقوف على حد الانحصر بحجة والاباء بالحرب من علم الدنو وسيلة واستباح ترك الجسواب ذخيرة والاعتصام من قبول دواعي استماع الخطب تكلف وخوفوت علم ما انطوى من فصاحة القهم في حيز الإقبال مساءة والإغفاء إلى ثقي ما ينفصل عن معدته بمدو الاستسلام عند التلاق جراءة والانسياق في حمل الأنس غرة وهذه الكلمات كلها من آداب الحضرة لأربابها وفي قوله تعالى سراج

ومن كانت فيه حلة منهن كان فيه حلة من التفاق حتى يدعه إذا حدث كذب واذلهوعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر ^(١) وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر فأما من عزم على الوفاء فمن له عذر منه من الوفاء لم يكن مناقضا وإن جرى عليه ما هو صورة التفاق ولكن ينبغي أن يجتزأ من صورة التفاق أيضا كما يجتزأ من حقيقته ولا ينبغي أن يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاجزة قد روى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد أبا الهيثم بن التبان خادما فأتى بثلاثة من السي فاعطى اثنين وبقى واحد فأتمت فاطمة رضى الله عنها تطلب منه خادما ويقول ألا ترى أن الرضى يبدى فكر موعده لأبي الهيثم فيقول كيف به وعدى لأبي الهيثم ^(٢) » فأثر به على فاطمة لما كان قد سبق من موعده له مع أنها كانت تدور الرضى يدها الضعيفة ولقد كان صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن فوقف عليه رجل من الناس فقال إن لي عندك موعدا يارسول الله قال صدقت فأحكك ماشئت فقال أحكك ثمانين مائة ورابعها قال هي لك وقال أحكمت يسرا ^(٣) ولصاحبة موسى عليه السلام التي دلت على عظام يوسف كانت أحزم منك وأجزل حكما منك حين حكها موسى عليه السلام فقالت : حكى أن تردني شاة وأدخل معك الجنة . قيل فكان الناس يصفون ما أحككم به حتى جعل مثلا قديلا أشع من صاحب الثمانين والراعى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل وفي نيته أن يفي ^(٤) » وفي لفظ آخر « إذا وعد الرجل أخاه في نيته أن يفي فربما يفلأثم عليه . »

(الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول والبين)

وهو من قبائح الذنوب وفواحش الميوب قال اسمعيل بن واسط سمعت أبا بكر الصديق رضى الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال يا أيكم والكذب فإنه مع التجور وهما في النار ^(٥) » وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الكذب باب من أبواب التفاق ^(٦) » وقال الحسن كان يقال إن من التفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والدخل والمخرج وإن الأصل الذي بنى عليه ^(١) حديث عبد الله بن عمرو أربع من كنّ فيه كان مناقضا الحديث متفق عليه ^(٢) حديث كان وعد أبا الهيثم بن التبان خادما فأتى بثلاثة من السي فاعطى اثنين وبقى واحد فجاءت فاطمة تطلب منه الحديث وفيه فجعل يقول كيف جموعدى لأبي الهيثم فأثر به على فاطمة فتقدم كرقصة لأبي الهيثم في آداب الأكل وهي عند الترمذى من حديث أبي هريرة وليس فيها ذكر لفظة ^(٣) حديث أنه كان جالسا يقسم غنائم هوازن فحين وقف عليه رجل فقال إن لي عندك موعدا قال صدقت فأحكك ماشئت الحديث وفيه لصاحبة موسى التي دلت على عظام يوسف كانت أحزم منك الحديث ابن حبان والحاكم في المستدرک من حديث أبي موسى مع اختلاف قال الحاكم صحيح الإسناد وفيه نظر ^(٤) حديث ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل ومن نيته أن يفي وفي لفظ آخر إذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يفي فلم يعد فلا إثم عليه أبو داود والترمذى وضعفه من حديث زيد بن أرقم اللفظ الثاني إلا أنهما قالوا فلم يفلأثم .

(الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول والبين)

^(٥) حديث أبي بكر الصديق قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال يا أيكم والكذب الحديث ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة وجهه للصف من رواية اسمعيل بن أوسط عن أبي بكر وإنما هو أوسط بن اسماعيل بن أوسط وإسناده حسن ^(٦) حديث أبي أمامة إن الكذب باب من أبواب التفاق ابن عدى في الكامل بسند ضعيف وفيه عمر بن موسى

البحر وما طلى -

وجه آخر اللفظ عما

سبق : ما زال البحر

حيث لم يتخلف عن

البصرة ولم يتفاصر

وما طلى لم يسبق البحر

البصرة فيتجاوز حده

ويتبدى مقامه بل

استقام البحر مع

البصرة والظاهر

مع الباطن والقلب مع

القالب والنظر مع القدم

ففي تقدم النظر على القدم

طمان والمضى بالنظر

علم والقدم حال القالب

فلم يتقدم النظر على

القدم فيكون طمانا

ولم يتخلف القدم عن

النظر فيكون تقصيرا

فلما اعتدلت الأحوال

وصار قلبه كقالبه

وقالبه كقلبه وظاهره

كباطه وباطنه

كظاهره وبصره

كبصيرته وبصيرته

التناق الكذب وقال عليه السلام «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق ونسبته به كاذب»^(١) وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يزال العبد يكذب ويحترى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»^(٢). «ومرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين يتبايعان شاة ويتجالفان يقول أحدهما والله لا أنفك من كذا وكذا ويقول الآخر والله لا أزيدك على كذا وكذا فترثا الشاة وقد اشتراها أحدهما فقال أوجب أحدهما بالآثم والكفارة»^(٣) وقال عليه السلام «الكذب ينقص الرزق»^(٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن التجار هم الفقار قبل يارسول الله أليس قد أدخل الله البيع قال نعم ولكم عصفور فأبأون وعمدون فيكذبون»^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم : الثمان بعطيته والنفق سلمته بالخلف الفاجر والسبل إزاره»^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم «ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح يهوضه إلا كانت نسكة في قلبه إلى يوم القيامة»^(٧) وقال أبو ذر قال رسول الله ﷺ «ثلاثة يحرم الله رجل كان في فئة فصب نحره حتى يقتل أو يفتنح الله عليه وعلى أصحابه ورجل كان له جارسوه يؤذيه فصر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن ورجل كان معه قوم في سفر أو سرية فأطالوا السرى حتى يحرم أن يمسوا الأرض فقتلوا فتحنى صلى الله عليه وسلم بوقظ أصحابه للرجل وثلاثة يشتمهم الله التاجر أو البياع الخلف المحتال والبخل للثان»^(٨) وقال صلى الله عليه وسلم «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له»^(٩) وقال صلى الله عليه وسلم «رايت كأن رجلاً جاءني فقال لي قم فممت معي فإذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس يريد القائم كلوب من حديد يلقمه في شدة الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله

الوجهي ضيف جداً ويضع عنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق . حدث أربع من كن فيه كان منافقاً قال في كل منهما وإذا حدث كذبوها في الصحيحين وقد تقدم في الآفة التي قبلها (١) حديث كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له كاذب البخاري في كتاب الأدب للفرد وأبو داود من حديث سفيان بن أسيد وضمفه ابن عدى ورواه أحمد والطبراني من حديث الثوري بن سميان بإسناد جيد (٢) حديث ابن مسعود لا يزال العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذاباً متفق عليه (٣) حديث من رجلين يتبايعان شاة ويتجالفان الحديث وفيه فقال أوجب أحدهما بالآثم والكفارة أبو الفتح الأزدي في كتاب الأسماء المفردة من حديث تاسع الحضرمي وهكذا رواها في أمالي ابن سمون وتاسع ذكره البحاري هكذا في التاريخ وقال أبو حاتم هو عبد الله بن تاسع (٤) حديث الكذب ينقص الرزق أبو الشيخ في طبقات الأصمانيين من حديث أبي هريرة وروياه كذلك في مشيخة القاضى أبي بكر وإسناده ضعيف (٥) حديث إن التجار هم الفقار الحديث وفيه وعمدون فيكذبون أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن شبل (٦) حديث ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم الثمان بعطيته والنفق سلمته بالخلف الكاذب والسبل إزاره مسلم من حديث أبي ذر (٧) حديث ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح يهوضه إلا كانت نسكة في قلبه إلى يوم القيامة الترمذي والحاكم وصححه إسناده من حديث عبد الله بن أنيس (٨) حديث أبي ذر ثلاثة يحرم الله الحديث وفيه وثلاثة يشتمهم الله التاجر أو البياع الخلف أحمد واللفظ له وفيه ابن الأحمس ولا يفرح حاله ورواه هو والنسائي بلفظ آخر بإسناد جيد والنسائي من حديث أبي هريرة أربعة يتضخمهم الله البياع الخلف الحديث وإسناده جيد (٩) حديث ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من رواية هز بن حكيم عن أبيه عن جده .

يكبره حيث انتهى نظره وعلمه قارنه قدمه وحاله ولهذا المعنى انعكس حكم معناه ونوره على ظاهره وأنى البراق يتنى خطوه حيث يتنى نظره لا يتخلف قدم البراق عن موضع نظره كما جاء في حديث للعراج فكان البراق يقال له مشاكلا لعناه ومنصعاً بصدته لقوة حاله ومناه وأشار في حديث للعراج إلى مقامات الأنبياء ورأى في كل مقام بعض الأنبياء إشارة إلى أمويهم وتخلّفهم عن شأوه ودرجته ورأى موسى في بعض السموات فن هو في بعض السموات يكون قوله - إن أنظر إليك تجاوزا للنظر عن حد

ثم يحذبه بلقمة الجانب الآخر فيعده فإذا رجع الآخر كما كان قفلة للذي أقامني ما هذا؟ فقال هذا رجل كذاب يذب في قبره إلى يوم القيامة (١) وعن عبد الله بن جرادة قال «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قفلة يارسول الله هل يزني المؤمن؟ قال قد يكون ذلك قال باني الله هل يكذب المؤمن؟ قال لا ثم أتبعها صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى - إنما يخترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله - (٢) وقال أبو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول في دعائه اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجني من الزنا ولساني من الكذب (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، مولى كذاب، وعاتل مستكبر (٤) وقال عبد الله بن عامر «جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا مسي فرذهبت لألعب فقالت أمي يا عبد الله تعال حتى أعطيك فقال صلى الله عليه وسلم وما أردت أن تعطيه قالت تعرا فقال أما إنك لو لم تخجل لكتبك عليك كذبة (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «لؤأنا الله على نعماء عدد هذا الحمى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذبا ولا جانا (٦) وقال صلى الله عليه وسلم وكان منكنا «ألا أنبشكم بأكر الكبار الإشرار بالله وعقوق الوالدین ثم قد يقول: ألا وقول الزور (٧) وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من ثن ما جاء به (٨) وقال أنس قال صلى الله عليه وسلم «تقبلوا إلى بستان قبل لكم بالجنة فقالوا وما هن؟ قال إذا حدث أحدكم فلا يكذب وإذا وعد فلا يخلف وإذا أتمن فلا يغن وغشوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا ألبكم (٩) وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث رايت كأن رجلا جاءني فقال لي قم قمعت معه فاذا أنا رجلين أحدهما قائم والآخر جالس ييد القائم كلوب من حديد بلقمة في شدة الجالس الحديث البخاري من حديث سمرة بن جندب في حديث طويل (٢) حديث عبد الله بن جرادة أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل يزني المؤمن قال قد يكون من ذلك قال هل يكذب قال لا الحديث ابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت مقتصرا على الكذب وجعل السائل أبا الدرداء (٣) حديث أبي سعيد اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجني من الزنا ولساني من الكذب هكذا وقع في نسخ الإحياء عن ابن سعيد وإنما هو عن أم معبد كذا رواه الخطيب في التاريخ دون قوله وفرجني من الزنا وزاد وعلمني من الزنا وعلمني من الحيانة وإنسانه ضعيف (٤) حديث ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم الحديث وفيه والإمام الكذاب مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا مسي فرذهبت لألعب فقالت أمي يا عبد الله تعال أعطيك فقال وما أردت أن تعطيه قالت تعرا فقال إن لم تخجل لكتبك عليك كذبة كذا رواه أبو داود وفيه من لم يسم وقال الحاكم إن عبد الله بن عامر ولد في حياته صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه - قلت و شاهد من حديث أبي هريرة وابن مسعود ورجلها ثقات إلا أن الزهري لم يسمع من أبي هريرة (٦) حديث لؤأنا الله على نعماء عدد هذا الحمى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذبا ولا جانا رواه مسلم وتقدم في أخلاق النبوة (٧) حديث ألا أنبشكم بأكر الكبار الحديث وفيه ألا وقول الزور متفق عليهما حديث أبي بكر (٨) حديث ابن عمر إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من ثن ما جاء به الترمذي وقال حسن غريب (٩) حديث أنس تقبلوا إلى بستان قبل لكم بالجنة إذا حدث أحدكم فلا يكذب الحديث الحاكم في المستدرک والحراطي في مكارم الأخلاق وفيه وسعد بن سنان منعه أحمد والنسائي ووقعه ابن معين ورواه الحاكم نحوه من حديث عبادة بن الصامت وقال

القدم وتحلفا للقدم عن النظر وهذا هو الاخلال بأحد الوصفين من قوله تعالى - ما زلغ البصر وما طغى - فرسول الله حمل مقترنا قدمه ونظره في حبال الحياء والتواضع ناظرا إلى قدمه قاندا على نظره ولو خرج عن حبال الحياء والتواضع وتناول بالنظر متعديا حد القدم تنوق في بعض السموات كتنوق غيره من الأنبياء فلم يزل صلى الله عليه وسلم متجاسس حباله في خفارة أدب حاله حتى خرق حجب السموات فانصبت إليه أقسام القرب انصبابا واشتمت عنه صحاب الحب حبا حبا حتى استقام حتى

« إن للشيطان كلا ولعوقا ونشوقا أما لعوقه فالكذب وأما نشوقه فالغضب وأما كله فالنوم »^(١) وخطب عمر رضي الله عنه يوما فقال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبا هذا فيكم فقال « أحسنوا إلى أصحابي ثم الدين بولهم ثم يغشوا الكذب حتى يخلف الرجل على اليمين ولم يستخلف ويشهد ولم يستشهد »^(٢) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من حدث عن حديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من حلف على بين يمين ليقطع به مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان »^(٤) وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه رد شهادة رجل في كذبة كذبها »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « كل خصلة يطبع أو يعطى عليها السلم إلا الحيانة والكذب »^(٦) وقالت عائشة رضي الله عنها « ما كان من خلق أشد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب فسا يتجلى من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث توبة لله عز وجل منها »^(٧) وقال موسى عليه السلام : يارب أي عبداك خير لك محمدا قال من لا يكذب لسانه ولا يغير قلبه ولا يزي فرجه ، وقال لقمان لابنه : يا بني إياك والكذب فإنه شهى كلهم الصغور عماليل يلاها صاحبه ، وقال عليه السلام في مدح الصدق « أربع إذا كنّ فيك لا يضرّك ما فاتك من الدنيا صدق الحديث وحفظ الأمانة وحسن الخلق وعفة طعمه »^(٨) وقال أبو بكر رضي الله عنه في خطبة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : قام فينا رسول الله ﷺ مثل مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال « عليكم بالصدق فانه مع البر » وما في الجنة »^(٩) وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح »^(١٠)

صحيح الإسناد (١) حديث إن للشيطان كلا ولعوقا الحديث الطبراني وأبو نعيم من حديث أنس بسند ضيف وقد تقدم (٢) حديث خطب عمر بالجالية الحديث وفيه ثم يغشوا الكذب الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى من رواية ابن عمر عن عمر (٣) حديث من حدث عن حديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين مسلم في مقدمة صحاحه من حديث سمرة بن جندب (٤) حديث من حلف على بين يمين ما لم يقطع به مال امرئ مسلم الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث أنه رد شهادة رجل في كذبة كذبها ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية موسى بن شعبة مرسل موسى روى ممره منا كبر قاله أحمد بن حنبل (٦) حديث على : كل خصلة يطبع أو يعطى عليها الزم إلا الحيانة والكذب ابن أبي شبة في الصنف من حديث أبي أمامة ورواه ابن عدي في مقدمة الكامل من حديث سعد بن أبي وقاص وابن عمر أيضا وأبي أمامة أيضا ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث سعد مرفوعا وموقوفا والوقوف أشبه بالصواب قاله الدارقطني في الملل (٧) حديث ما كان من خلق الله شيء أشد عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب فسا يتجلى من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث فمه توبة فاجد من حديث عائشة ورجاله ثقات إلا أنه قال عن ابن أبي مليكة أو غيره وقد رواه أبو الشيخ في الطبقات فقال إن ابن أبي مليكة ولم يثبت وهو صحيح (٨) حديث أربع إذا كنّ فيك فلا يضرّك ما فاتك من الدنيا صدق الحديث ، الحديث الحاكم والحراني في مكارم الأخلاق من حديث عبدالله بن عمرو وفيه ابن أبي عمير (٩) حديث أبي بكر عليكم بالصدق فانه مع البر وما في الجنة ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة وقد تقدم بيضا في أول هذا النوع (١٠) حديث معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث أبو نعيم في الحلية وقد تقدم .

صراط - ما زاغ البصر
وما طغى - فمراكب
الحافظ إلى مذهب
الوصل واللفظ وهذا
غاية في الأدب ونهاية في
الأرب . قال أبو محمد
ابن روم حين سئل
عن أدب السافر فقال
لا يجاوزهم قدمه حيث
وقف قلبه يكون مقروء
أخبرنا شيخنا ضياء

الدين أبو التيجان إجازة
قال أنا محمد بن أحمد قال
أنا أبو بكر بن خلف
قال أنا أبو عبد الرحمن
السلي قال تنا القاضي
أبو محمد يحيى بن
منصور قال حدثنا
أبو عبد الله محمد بن
علي الترمذي قال حدثنا
محمد بن زمام الأيلي قال
حدثنا محمد بن عطاء
المجيمي قال حدثنا
محمد بن نصير عن عطاء

وأما الآثار : فقد قال علي رضي الله عنه : أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة تدامة يوم القيامة ، وذلك عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه ما كذبت كذبة منذ شددت على إزارى ، وقال عمر رضي الله عنه : أحبك إلينا مالم ترك أحسنكم إحسانا فإذا رأياناكم فأحبكم إلينا أحسنكم خلقا فإذا اخترناكم فأحبكم إلينا أسدقكم حديثا وأعظمكم أمانة ، وعن ميمون بن أبي شبيب قال جلست أكتب كتابا فأثيت على حرف إن أنا كتبت زيفت الكتاب وكنت قد كذبت فزمت على تركه فتوديت من جانب البيت - ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقال الشعبي : ما أدري أيهما أبعد غورا في النار الكذاب أو البخل وقال ابن السكيت ما رأيت أوجرح على ترك الكذب لأنى إنما أدعاه أفة ، وقيل لحاله بن صبيح يسمى الرجل كاذبا بكذبة واحدة قال نعم وقال مالك بن دينار : قرأت في بعض الكتب مامن خطيب إلا وتعرض خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وإن كان كاذبا قرضت شفته بمقاريض من نار كما قرضنا نبتا . وقال مالك بن دينار : الصدق والكذب يتركان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شيء فقال له كذبت فقال عمر والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب يثين صاحبه .

(بيان ما رخص فيه من الكذب)

اعلم أن الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره فان أقل درجاته أن يستعد الخبير الشيء على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلا وقد يملق به ضرر غيره ، ورب جهل فيمنفعة ومصلحة فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون مأذونا فيه وربما كان واجبا . قال ميمون بن مهران الكذب في بعض اللواتن خير من الصدق رأيت لو أن رجلا سعى خلف إنسان بالسيف ليلته فدخل دارا فاقبضه إليك فقال رأيت فلانا ما كنت قائلا ألتست تقول لم أراه وما تصدق به وهذا الكذب واجب . فنقول الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك المقصد مباحا وواجب إن كان المقصود واجبا كما أن عصمة دم المسلم واجبة عليها كان في الصدق سفك دم امرئ مسلم قد اخفى من ظالم الكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود الحرب أو إصلاح ذات البين أو استئالة قلب الحبي عليه إلا بالكذب مباح إلا أنه ينبغي أن يحترز منه ما أمكن لأنه إذا فتق باب الكذب على نفسه فيخفى أن يتداعى إلى ما يستغنى عنه وإلى ما لا يقتصر على حد الضرورة فيكون الكذب حراما في الأصل إلا للضرورة . والذي يدل على الاستثناء ما روى عن أم كلثوم قالت « ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضى من الكذب إلا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الإصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته ولما تحدث زوجها » (١) وقالت أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس بكذاب من أصدق بين اثنين فقال خبرا أو نفي خبرا » (٢) وقالت أسماء بنت زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين مسلمين ليصلح بينهما » (٣) . وروى عن أبي كاهل قال « وقع بين اثنين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فلقبت أحدهما قتل مالك وقتل الله قد »

ابن أبي رباح عن ابن عباس قال « ولا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية سب أرى أنظر إليك - قال : قال ياموسى إنه لا يرى حتى إلا مات ولا يابس إلا تدهده ولا رطب إلا تفرق إنما يرى أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم » . ومن آداب الحضرة ما قال الشبلى الانبساط بالقول مع الحق ترك الأدب وهذا يخص بعض الأحوال والأشياء دون البعض ليس هو على الإطلاق لأن الله تعالى أمر بالصدق وإنما الامساك عن القول كما أمسك موسى عن الانبساط في طلب للكراب

(١) حديث أم كلثوم ما سمعته يرضى من الكذب إلا في ثلاث مسلم وقد تقدم (٢) حديث أم كلثوم أيضا ليس بكذاب من أصدق بين الناس الحديث متفق عليه وقد تقدم والذي قبله عند مسلم بعض هذا (٣) حديث أسماء بنت زيد كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما أحمد بزيادة فيه وهو عند الترمذي مختصرا وحسنه .

سمعت عمن عليه السلام ثم انبت الآخر فقلت له مثل ذلك حق اصطلاحاً ثم قلت أهالك تسى وأصلحت
 بين هذين فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا كاهل أصلح بين الناس (١) أو يولوا الكذب
 وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : أكذب على أهل قال لا خير في الكذب
 قال أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك (٢) وروى أن ابن أبي نذرة الدؤلي وكان في خلافة عمر
 رضى الله عنه كان يجمع النساء اللاتي يتزوج بين فطارت له في الناس من ذلك أحد وتذكرها فدا علم
 بذلك أخذ يد عبد الله بن الأرقم حتى أتى به إلى منزله ثم قال لامرأته أنشدك بالله هل تبخضيني قالت
 لا تشدني قال فاني أنشدك الله قالت نعم قال لابن الأرقم اتسعم ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضى الله
 عنه فقال إنكم تعدون أني أظلم النساء وأخلمن فأسأل ابن الأرقم فسأله فأخبره فأرسل إلى امرأة
 ابن أبي نذرة فحالت هي وعمرها فقال أنت التي تعدين تزوجك أنك تبخضيني فقالت بلى أول من تاب
 وراجع أمر الله تعالى إنه تشدني فخرجت أن أكذب فأكذب بأمر المؤمنين قال نعم فأكذبت
 فان كانت إحداكن لأحب أحدنا فلا تحمته بذلك فان أول البيوت التي يبي على الحب ولكن
 الناس يتعشرون بالاسلام والأحساب ، وعن النواس بن سمعان الكلبي قال : قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم : مالي أراكم تهاقنون في الكذب تهافت القرائش في النار كل الكذب يكذب على ابن
 آدم لالهة إلا أن يكذب الرجل في الحرب فإن الحرب خدعة أو يكون بين الرجلين شدة فيصنع بينهما
 أو يحدث امرأته رضاء (٣) وقال ثوبان الكذب كله إثم إلا ما تقع به بعد أو دفع عنه ضرر أو قال
 على رضى الله عنه : إذا حدثتكم عن النبي صلى الله عليه وسلم فلأن أخر من السماء أحب إلى من أن
 أكذب عليه وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالخبر خدعة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء
 وفي معانيها ما عداها إذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره . أما ما له قتل أن يأخذ ظمأه ويسأله عن
 ما له فله أن ينكره أو يأخذ سلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبتها فله أن ينكر
 ذلك فيقول ما زينت وما سرفت ، وقال صلى الله عليه وسلم : من ارتكب شيئا من هذه القادورات
 فليستر بستر الله (٤) وذلك أن إظهار الفاحشة فاحشة أخرى فللرجل أن يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ
 ظلما وعرضه بلسانه وإن كان كاذبا . وأما عرض غيره فبأن يسأل عن سر أخيه فله أن ينكره وأن
 يصلح بين اثنين وأن يصلح بين الفرات من نسائه بأن يظهر لكل واحدة أنها أحب إليه وإن كانت
 امرأته لا تطاوعه إلا بوعده لا يقدّر عليه فبعدها في الحال تطيبا بالناب أو بمنذري إلى إنسان وكان لا يطيب قلبه
 إلا بإنكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس به ولكن الحديفة أن الكذب محذور ولو صدق في هذه الواضع
 تولد منه محذور فينبغي أن يقابل أحدها بالآخر وبأن الميزان القسط فإذا علم أن المحذور الذي يحصل
 (١) حديث أبي كاهل وقع بين رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام الحديث وفيه
 يا أبا كاهل أصلح بين الناس رواه الطبراني ولم يصح (٢) حديث عطاء بن يسار قال رجل للنبي
 صلى الله عليه وسلم أكذب على أهل قال لا خير في الكذب قال أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك
 ابن عبد البر في التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار (٣) حديث النواس بن سمعان الكلبي
 في الكذب تهافت القرائش في النار كل الكذب مكتوب الحديث أبو بكر بن بلال في مكارم الأخلاق
 بلفظ تنبأهم إلى قوله في النار دون ما يسهه فرواه الطبراني وفيهما شهر بن حوشب (٤) حديث
 من ارتكب شيئا من هذه القادورات فليستر بستر الله الحاكم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما
 هذه القادورات التي نهى الله عنها فمن ألم بشيء منها فليستر بستر الله وإسناده حسن .

والحاجات الدينية
 حتى رضى الحق مقاما
 في القرب وأذن له في
 الانسباط وقال اطلب
 مني ولو ملحا لمعينك
 فلا بسط انبسط وقال
 - رب إني لما أزلت
 إلى من خير قير -
 لأنه كان يسأل حوائج
 الآخرة ويستعظم
 الحضرة أن يسأل
 حوائج الدنيا لحافرتها
 وهو في حجاب الحشمة
 عن سؤال المحفرات
 ولهذا مال في الشاهد
 فان ذلك العظم يسأل
 العظمت ويحتم في
 طلب المحفرات فدارف
 بساط حجاب الحشمة
 صار في مقام خاص من
 القرب يسأل الحقيركا
 يسأل الخطير قال
 ذو النون الصوري أدب
 العارف فوق كل أدب

بالصدق أئند وقعا في الشرع من الكذب فله الكذب وإن كان ذلك التصود أهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الأمران بحيث يتردد فيهما وعند ذلك الليل إلى الصدق أولى لأن الكذب يباح لفرضه أو حاجة مهمة فإن شك في كون الحاجة مهمة فالأصل التحريم تجر جمع إليه ولأجل غموض إدراك مراتب القاصد ينبغي أن يحترز الإنسان من الكذب ما أمكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له أن يترك أغراضه ويهجر الكذب فأما إذا تعاقب فرض غير فلا يجوز الساعه لخلق الغير والاضرار به وأكثر كذب الناس إنما هو لحظوظ أنفسهم فهو زيادات المال والجاه والأموال ليس فواتها عنهم إلا حتى إن المرأة لتحقق عن زوجها ما مضى به وتكذب لأجل مراعاة الضرات وذلك حرام وقالت أسماء «صحت امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت إن لى ضره وإنى أتذكر من زوجي عالم يغفل أضراره بذلك فهل على شيء فيه قال صلى الله عليه وسلم: للفتبع عالم يغفل كلابس ثوبين زور (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من تعلم بما لا يطمأ أو قالى وليس له أو أعطيت ولم يسط فهو كلابس ثوبين زور يوم القيامة ويدخل في هذا قوى العالم بما لا يتحقق (٢) » وروايت الحديث الذى لا يشبه إذ غرضه أن يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف من أن يقول لأدري وهذا احترام وما يلتحق بالنساء الصبيان فإن الصبي إذا كان لا يرغب في الكتب إلا بوعده أو وعيد أو تخويف كاذب كان ذلك مباحا ، ثم روي في الأخبار أن ذلك يكتب كذبا وإن كان الكذب الباطح أيضا قد يكتب ويحاسب عليه ويطلب بتصحيح قصده فيه يميني عنه لأنه إنما أيسر بقصد الإصلاح ويتطرق إليه غرور كبير فانه قد يكون الباطح له حظا وغرضه الذى هو مستثنى عنه وإنما يشغل ظاهره بالإصلاح فلماذا يكتب وكل من أتى بكذبة قد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم أن المقصود الذى كذب لأجله هل هو أم في الشرع من الصدق أم لا وذلك غامض جدا والحزم تركه إلا أن صبر واجبا بحيث لا يجوز تركه كما لو أدى إلى سفك دم أو ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن طائون أنه يجوز وضع الأحاديث في فضائل الأعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا أن التصد منه صحيح وهو خطأ محض إذ قال صلى الله عليه وسلم « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (٣) » وهذا لا يرتكب إلا لفرضه ولا ضرورة إذ في الصدق مندوحة عن الكذب فهاور من الآيات والأخبار كفاية عن غيرها وقول القائل إن ذلك قد تكرر على الألسان وسقط وقصه وما هو جديده وقصه أعظم فهذا هو س إذ ليس هذا من الأغراض التى تقاوم عذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ويؤدى فتح بابه إلى أمور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره أصلا والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التى لا تقاومها شيء . نسأل الله العفو عنا وعن جميع المسلمين .

(بيان الحذر من الكذب بالمعاريض)

قد هل عن السلف أن في المعاريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضي الله عنه ما في المعاريض ما يكتفي الرجل عن الكذب . وروى ذلك عن ابن عباس وغيره وإنما أرادوا بذلك إذا اضطر الإنسان إلى الكذب فأما إذا لم تكن حاجة فضرورة فلا يجوز التعريض والصريح جميعا ولكن التعريض أهون ومثال التعريض ما روي أن مطرفا دخل على زياد فاستبطأه فقتل بمرض وقال ما رفعت جني مذفارت

(١) حديث أسماء قالت امرأة إن لى ضره وإنى أتذكر من زوجي بما لم يفعل الحديث متفق عليه وهى أسماء بنت أبي بكر الصديق (٢) حديث من تعلم بما لا يطمأ وقالى وليس له أو أعطيت ولم يسط كان كلابس ثوبين زور يوم القيامة لم أجبه بهذا اللفظ (٣) حديث من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار متفق عليه من طرق وقد تقدم في العلم .

لأن معروفه مؤدب قلبه . وقال بعضهم يقول الحق سبحانه وتعالى : من أئتمته القيام مسح أسأفى وصانأى أئتمته الأدب ومن كشف له عن حقيقة ذاتى أئتمته الطب . فاختار أيهما شئت الأدب أو العطب وقول القائل هذا يشير إلى أن أسماء والصفتان تستقل بوجود محتاج إلى الأدب لبقاء رسوم البشرية وحفظ النفس مع لمان نور عظيمة الذات تتلاشى الآثار بالأنوار ويكون معنى العطب التحقق بالقضاء في ذلك العطب نهاية الأدب . وقال أبو عسى الشافى في قوله تعالى - وأيوب

الأمير إلا مارفضي الله وقال إبراهيم إذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت أن تكذب قتل إن الله تعالى لي علم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما حرف نفى عند السمع وعنده للإيهام. وكان معاذ بن جبل عاملا لمرضى الله عنه فلما رجع قالت له امرأته ما جئت به مما يأتي به الصالح إلى أهلهم وما كان قد أتانا شيء فقال كان عندي ضابط قلت كنت أمتينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند أبي بكر رضي الله عنه فبث عمر مملك ضابطا وقامت بذلك بين نساءها واشتكت عمر رضي الله عنه ذلك دعا معادا وقال بئس مملك ضابطا قال لم أجد ما أعترض به إليها إلا ذلك فضحك عمر رضي الله عنه وأعطاه شيئا فقال أرضها به وبمضى قوله ضابطا حتى رقيها وأراد به الله تعالى وكان النخعي لا يقول لابنته اشترى لك سكرا بل يقول أرأيت لو اشتريت لك سكرا فإنه ربما لا ينفعك لذلك. وكان إبراهيم إذا طلبه من يكره أن يخرج إليه وهو في الدار قال للجارية قولي له اطلبي في السجود لا تخولي ليس ههنا كيلا يكون كذبا وكان النخعي إذا طلب في التزل وهو يكرهه خط دائرة وقال للجارية متى أصبح فها وقلولي ليس ههنا وهذا كله في موضع الحاجة فأما في غير موضع الحاجة فلا لأن هذا تهميم للكذب وإن لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روى عبد الله بن عتبة قال دخلت مع أبي على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه فخرجت وهي توب بجل الناس يقولون هذا كساكه أمير المؤمنين فسكت أقول لجزى الله أمير المؤمنين خيرا فقال لي أبي يا بني اتق الكذب وما أشبهه فتهاء عن ذلك لأن فيه تنزيها لهم على ظن كاذب لأجل غرض الفاعلة وهذا غرض باطل لا فائدة فيه . ثم المراض تباح لفرض خفيف كطبيب قلب الغير بالمزاج كقوله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة مجوز ^(١) » وقوله « لا أخرى » ^(٢) الذي في عين زوجك يباح » ^(٣) وللأخرى « تحملك على ولد البير » ^(٤) وما أشبهه وأما الكذب الصريح كإفضاله نعيان الأنصار مع عثمان في قصة الضير إذ قال له إنه نعيان وكما يتناهه الناس من ملاعبة الحق بتزويرهم بأن امرأة قد رغبت في تزويجك فإن كان فيه ضرر يؤدي إلى إيذائه قلب فهو حرام وإن لم يكن إلا لمطايئته فلا يوصف صاحبا بالحق ولكن ينقص ذلك من درجة إيمانه قال صلى الله عليه وسلم « لا يكمل للمرء الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ^(٥) حتى يجتنب الكذب في مزاحه ^(٦) « وأما قوله عليه السلام « إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليشحك بها الناس يهوى بها في النار أبعد من التراب » ^(٧) أراد به ما فيه غيبة مسلم أو إيذاء قلب دون بعض المزاح . ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في البالية كقوله طابك كذا وكذا مرة وقلت لك كذا مرة فانه لا يرد به تهميم الرأب بسد هابل تهميم البالية فغان لم يكن طلبة إلا مرة واحدة كان كاذبا وإن كان طلبة مرات لا يتبادر مثلها في الكثرة لأنهم وإن بلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالبالية فيها لحظر الكذب وبما يتبادر الكذب فيه ويتساهل به أن يقال كل الطعام يقول لأشفيه وذلك منهي عنه وهو حرام وإن لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت أسماء بنت عيسى « كنت صاحبة عائشة في الليلة التي هياها وأدخلها على رسول الله

(١) حديث لا يدخل الجنة مجوز وحديث في عين زوجك يباح وتحملك على ولد البير تقدمت الثلاثة في الآفة العاشرة (٢) حديث لا يستكمل المؤمن إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحق يجتنب الكذب في مزاحه ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب من حديث أبي مليكة القشيري وقال فيه نظر ولا يشيخين من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه والدارقطني في المؤلفات والاختلاف من حديث أبي هريرة لا يؤمن عبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في مزاحه قال أحمد بن حنبل منكر (٣) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوى بها أبعد من التراب تقدم في الآفة الثالثة .

إذ نادى ربه أن
مضى الضم وأنت
أرحم الراحمين لم يقل
أرحم لأنه حفظ أدب
الحطاب وقال عيسى
عليه السلام إن كنت
قلته فقد علته . ولم
يقُلْ لم أقل رغبة لأدب
الحضرة . وقال
أبو نصر السراج أدب
أهل الخصوصية من
أهل الدين في طهارة
القلوب ومراعاة
الأسرار والوفاء بالعهود
وحفظ الوقت وقلة
الانفلات إلى الحواطر
والعوارض والبوادي
والمواقف واستواء
السرو والملاية وحسن
الأدب في مواقف
الطلب ومقامات القرب
وأوقات الحضور .
والأدب أدبان أدب
قول وأدب فعل فني

صلى الله عليه وسلم ومعنى نسوة قالت قوالله ما وجدنا عندك قرى إلا قد حملن ابن خرب ثم ناله عائشة قالت فاستعيت الجارية قتل لأردى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذى منه قالت فأخذت منه على حياء فخرت منه ثم قال ناولي صواحبك قتلن لا نشبهه فقال لا تخمن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله إن قالت إحدانا شيء نفسيه لأعشيه أبعد ذلك كذبا قال : إن الكذب ليكتب كذبا حتى يكتب الكذبة كذبة (١) . وقد كان أهل الورع يحترزون عن التماصيح مثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت عينا سعيد بن السبب ترمض حتى يبلغ الرمض خارج عليه فيقال له لو مسحت عينيك فيقول وأين قول الطبيب لأبى عنيك فأقول لأفضل وهذه مراقبة أهل الورع ومن تركه أسهل أسانه في الكذب عن حد اختياره فيكذب ولا يشعر . وعن خوات التميمي قال جاءت أخت الربيع بن خثيم عائلة لابن له فانكبت عليه فقالت كيف أنت يا بني فجلس الربيع وقال أرزنيته قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن أخي صدقت ومن العادة أن يقول علم الله فلا بد له قال عيسى عليه السلام : إن من أعظم الذنوب عند الله أن يقول العبد إن الله يعلم لحالا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والنام فيه عظم إذ قال عليه السلام « إن من أعظم القرية أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عيبه في المنام ما رأي أو يقول على ما لم أقل (٢) » وقال عليه السلام « من كذب في حلم كلف يوم القيامة أن يقعد بين شعيرتين وليس يعاقده بينهما أبدا (٣) » .

(الآفة الخامسة عشرة النية)

والنظر ذبا طويلا فلنذكر أولا مذمة النية وما ورد فيها من شواهد الصرع وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال تعالى - ولا يثبت بضمك بعضا يحب آدمك أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه - وقال عليه السلام « كل السلم على السلم حرام دمه وماله وعرضه (٤) » والنية تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم وقال أبو زرقة قال عليه السلام « لا يحسدوا ولا يباغضوا ولا يتاجشوا ولا تداربوا ولا يثبت بضمك بعضا وكونوا عباد الله إخوانا (٥) » وعن جابر وأبي سعيد قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إياكم والنية فإن النية أشد من الزنا فإن الرجل قد يزني ويثوب فيثوب الله سبحانه عليه وإن صاحب النية لا يثوب له حتى ينفقر له صاحبها (٦) »

(١) حديث مجاهد عن أسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه قال لا تخمن جوعا وكذبا إن أبي الدنيا في الصمت والطيراني في الكبير وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وهو الصواب فإن أسماء بنت عميس كانت إذ ذاك بالبحشة لكن في طبقات الأصمانيين لأبي الشيخ من رواية عطاء بن أبي رباح عن أسماء بنت عميس رقتنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائنا الحديث فإذا كانت غير عائشة بمن تزوجها بعد خير فلا مانع من ذلك (٢) حديث ابن من أعظم القرى أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عيبه في المنام ما رأي أو يقول على ما لم أقل البخاري من حديث وأتلفه بن الأعمش وله من حديث ابن عمر من أفرى القرى أن يرى عيبه ما رأي (٣) حديث من كذب في حلمه كلف يوم القيامة أن يقعد بين شعيرة البخاري من حديث ابن عباس .

(الآفة الخامسة عشرة النية)

(٤) حديث كل السلم على السلم حرام دمه وماله وعرضه مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث أبي هريرة لا يحسدوا ولا يباغضوا ولا يثبت بضمك بعضا وكونوا عباد الله إخوانا متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبى دون قوله ولا يثبت بضمك بعضا وقد تقدم في آداب الصبر (٦) حديث جابر أبو سعيد إياكم والنية فإن النية أشد من الزنا الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وابن حبان في الضعفاء وابن مردويه في الضعيف .

خرب إلى الله تعالى بأدب ضل منه محبة القلوب . قال ابن المبارك نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم وقال أيضا الأدب للعارف بترك الذنوب المستأنف وقال الثوري من لم يتأدب للوقت فوقته مقت وقال ذو النون إذا خرج المرید عن حد استعمال الأدب فإنه يرجع من حيث جاء وقال ابن المبارك أيضا قد أكثر الناس في الأدب ونحن نقول هو معرفة النفس وهذه إشارة منه إلى أن النفس هي منبع الجبالات وترك الأدب من تخامرة الجبل فإذا عرف النفس صاف نور العرفان على ما ورد

وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليلة أسرى بي على أقوام يغمشون وجوههم بأظفارهم قلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الذين يتأبون الناس ويؤمنون في أعراضهم ^(١) » وقال سليم بن جابر « أتيت النبي عليه الصلاة والسلام قلت على خير أمتنع به فقال لا تخف من المعروف شيئا ولو أن نصب من دلوك في إناء السقي وأن تلقى أخاك يبشر حسن وأدبر فلا تنهاته ^(٢) » وقال البراء « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواقي في يومئذ فقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن قلبه لا تتأبوا المسلمين ولا تبغوا عوراتهم فانه من تابع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه في جوف يته ^(٣) » وقيل أوحى الله إلى موسى عليه السلام: من مات تابما من القية فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار. وقال أنس « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم فقال لا يظن أحد حتى آذن له فقام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يحمى فيقول يا رسول الله ظلمت صائما فاذن لي لأظفر فأذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فاذن لي لأظفر فاذن له أن يظفر فأعرض عنه ^(٤) ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال إنهما لم يصوما وكيف يصوم من ظل نهاره بأكل لحم الناس اذهب لهما إن كانتا صائمتين فرجع إليهما فأخبرهما فاستقفا تقاعدت كل واحدة منهما علة من دم فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره وقال والذي نفسي بيده لو قبتا في بطونهما لأكلتهما النار ^(٥) » وفي رواية « أنه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يا رسول الله والله إنهما قد ماتا أو كادتا أن تموتا فقال صلى الله عليه وسلم للتوفى بهما فجاءتا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فقال لإحدهما قئى قعاد من قبح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للآخرى قئى قعاد كذلك قال إن هاتين صائمتي عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحدهما إلى الأخرى فبصلتا تأكلان لحوم الناس ^(٦) » وقال أنس « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وأعظم شأنه فقال إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وأرى الربا عرض السلم ^(٧) » وقال جابر « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأقوى في قبرين يذب صاحبهما فقال إنهما يذبان وما يذبان في كبير أما أحدهما فكان يذب الناس وأما الآخر فكان لا يستزعه من بوله فعدا بجريدة رطبة وأجريدتين

(١) حديث أنس مررت ليلة أسرى بي على قوم يغمشون وجوههم بأظفارهم الحديث أبو داود ومسندا ومرسلا والسند أصح (٢) حديث سليم بن جابر أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت على خيرا ينفي الله به الحديث أحمد في السند وابن أبي الدنيا في الصمت واللفظ ولم يقل فيه أحمد وإذا أدبر فلا يضا به وفي إسنادهما ضعف (٣) حديث البراء يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن قلبه لا تتأبوا المسلمين الحديث ابن أبي الدنيا هكذا ورواه أبو داود من حديث أبي برة بإسناد جيد (٤) حديث أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم فقال لا يظن أحد حتى آذن له فقام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يحمى فيقول يا رسول الله ظلمت صائما فاذن لي لأظفر فاذن له أن يظفر فأعرض عنه ^(٥) ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال إنهما لم يصوما وكيف يصوم من ظل نهاره بأكل لحم الناس اذهب لهما إن كانتا صائمتين فرجع إليهما فأخبرهما فاستقفا تقاعدت كل واحدة منهما علة من دم فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره وقال والذي نفسي بيده لو قبتا في بطونهما لأكلتهما النار ^(٦) » وفي رواية « أنه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يا رسول الله والله إنهما قد ماتا أو كادتا أن تموتا فقال صلى الله عليه وسلم للتوفى بهما فجاءتا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فقال لإحدهما قئى قعاد من قبح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للآخرى قئى قعاد كذلك قال إن هاتين صائمتي عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحدهما إلى الأخرى فبصلتا تأكلان لحوم الناس ^(٧) » وقال أنس « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وأعظم شأنه فقال إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وأرى الربا عرض السلم ^(٨) » وقال جابر « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأقوى في قبرين يذب صاحبهما فقال إنهما يذبان وما يذبان في كبير أما أحدهما فكان يذب الناس وأما الآخر فكان لا يستزعه من بوله فعدا بجريدة رطبة وأجريدتين

(١) حديث أنس مررت ليلة أسرى بي على قوم يغمشون وجوههم بأظفارهم الحديث أبو داود ومسندا ومرسلا والسند أصح (٢) حديث سليم بن جابر أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت على خيرا ينفي الله به الحديث أحمد في السند وابن أبي الدنيا في الصمت واللفظ ولم يقل فيه أحمد وإذا أدبر فلا يضا به وفي إسنادهما ضعف (٣) حديث البراء يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن قلبه لا تتأبوا المسلمين الحديث ابن أبي الدنيا هكذا ورواه أبو داود من حديث أبي برة بإسناد جيد (٤) حديث أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم فقال لا يظن أحد حتى آذن له فقام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يحمى فيقول يا رسول الله ظلمت صائما فاذن لي لأظفر فاذن له أن يظفر فأعرض عنه ^(٥) ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال إنهما لم يصوما وكيف يصوم من ظل نهاره بأكل لحم الناس اذهب لهما إن كانتا صائمتين فرجع إليهما فأخبرهما فاستقفا تقاعدت كل واحدة منهما علة من دم فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره وقال والذي نفسي بيده لو قبتا في بطونهما لأكلتهما النار ^(٦) » وفي رواية « أنه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يا رسول الله والله إنهما قد ماتا أو كادتا أن تموتا فقال صلى الله عليه وسلم للتوفى بهما فجاءتا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فقال لإحدهما قئى قعاد من قبح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للآخرى قئى قعاد كذلك قال إن هاتين صائمتي عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحدهما إلى الأخرى فبصلتا تأكلان لحوم الناس ^(٧) » وقال أنس « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وأعظم شأنه فقال إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وأرى الربا عرض السلم ^(٨) » وقال جابر « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأقوى في قبرين يذب صاحبهما فقال إنهما يذبان وما يذبان في كبير أما أحدهما فكان يذب الناس وأما الآخر فكان لا يستزعه من بوله فعدا بجريدة رطبة وأجريدتين

(١) حديث أنس مررت ليلة أسرى بي على قوم يغمشون وجوههم بأظفارهم الحديث أبو داود ومسندا ومرسلا والسند أصح (٢) حديث سليم بن جابر أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت على خيرا ينفي الله به الحديث أحمد في السند وابن أبي الدنيا في الصمت واللفظ ولم يقل فيه أحمد وإذا أدبر فلا يضا به وفي إسنادهما ضعف (٣) حديث البراء يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن قلبه لا تتأبوا المسلمين الحديث ابن أبي الدنيا هكذا ورواه أبو داود من حديث أبي برة بإسناد جيد (٤) حديث أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم فقال لا يظن أحد حتى آذن له فقام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يحمى فيقول يا رسول الله ظلمت صائما فاذن لي لأظفر فاذن له أن يظفر فأعرض عنه ^(٥) ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال إنهما لم يصوما وكيف يصوم من ظل نهاره بأكل لحم الناس اذهب لهما إن كانتا صائمتين فرجع إليهما فأخبرهما فاستقفا تقاعدت كل واحدة منهما علة من دم فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره وقال والذي نفسي بيده لو قبتا في بطونهما لأكلتهما النار ^(٦) » وفي رواية « أنه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يا رسول الله والله إنهما قد ماتا أو كادتا أن تموتا فقال صلى الله عليه وسلم للتوفى بهما فجاءتا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فقال لإحدهما قئى قعاد من قبح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للآخرى قئى قعاد كذلك قال إن هاتين صائمتي عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحدهما إلى الأخرى فبصلتا تأكلان لحوم الناس ^(٧) » وقال أنس « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وأعظم شأنه فقال إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وأرى الربا عرض السلم ^(٨) » وقال جابر « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأقوى في قبرين يذب صاحبهما فقال إنهما يذبان وما يذبان في كبير أما أحدهما فكان يذب الناس وأما الآخر فكان لا يستزعه من بوله فعدا بجريدة رطبة وأجريدتين

من عرف نفسه قد عرف ربه « ولهذا النور لا تظهر النفس بجهاة إلا ويصمها بصرع العلم وحينئذ يتأدب ومن قام بأدب الحضرة فهو بغيرها أقوم وعليها أهدى .

[الباب الثالث]
والثلاثون في آداب الطهارة ومقدماتها
قال الله تعالى في وصف أصحاب الصفة - فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب الطهرين - قيل في التفسير يحبون أن يتطهروا من الأحداث والجنابات والتجاسات بالماء . قال الكلبي هو غسل الأديبار بالماء وقال عطاء كانوا يستنجون بالماء ولا يامون بالبليل على

فكسرهما ثم أمر بكل كسرة ففترست على قبر وقال أما إنه سهون من عذابها ما كانتا رطبتين أو مام ييسا (١) . و لما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم مائرا في الزنا قال رجل لصاحبه هذا أقصى كما يقص الكلب فرسلى الله عليه وسلم وما معه بحقة فقال انشأ منها قتالا يارسول الله نهش حيفة فقال ما أصعبا من أخيكما أنتن من هذه (٢) . وكان الصحابة رضى الله عنهم يتلافون بالبشر ولا يخابون عند التوبة و يرون ذلك أفضل الأعمال و يرون خلافة عادتنا للتائبين وقال أبو هريرة:

من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لمح في الآخرة وقيل له كله ميتا كما أكلته حيا فإنه ينضج ويكبح (٣) وروى مرفوعا كذلك . وروى أن رجلين كانا قاعدن عذاب من أبواب المسجد فرجما رجل كان عنتا فترك ذلك قتالا قد بقي فيمنه شيء وأقيمت الصلاة فدخلا فصلى مع الناس فلك في أنفسهما ما قالأ فأتيا عطاء فأسألا فأمرهما أن يبيد الوضوء والصلاة وأمرهما أن يغضيا الصيام إن كانا صائمين . وعن مجاهد أنه قال في - ويل لكل همزة لمزة - الهمزة الطمان في الناس والهمزة التي يأكل لحوم الناس . وقال قتادة ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث ثلث من التوبة وثلث من التوبة وثلث من البول وقال الحسن والله فنية أسرع في دين الرجل المؤمن من الأكلة في الجسد وقال بعضهم أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في السكف عن أعراض الناس وقال ابن عباس إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك . وقال أبو هريرة يصير أحدكم الذي في عين أخيه ولا يصير الجلعق في عين نفسه . وكان الحسن يقول ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة إلايمان حتى لا تصيب الناس بسبب هو فيك وحتى تبدأ بصلاح ذلك السبب فصاحبه من نفسك فإذا ضلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك وأحب الباطل إلى الله من كان هكذا . وقال مالك بن دينار مر عيسى عليه السلام ومعه الحواريون بحقة كلب فقال الحواريون : ما أنتن ربح هذا الكلب فقال عليه الصلاة والسلام : ما أهدى رياض أسنانه كأنه صلى الله عليه وسلم ناهم عن غيبة الكلب ونههم على أنه لا يذكر من شيء من خلق الله إلا أحسنه . وسمع علي بن الحسين رضى الله عنهما رجلا يئتاب آخر فقال له إياك والنية فانها إدام كلاب الناس . وقال عمر رضى الله عنه عليكم بذكر الله تعالى فانه شفاء وإياكم وذكر الناس فانه داء نسأل الله حسن التوفيق لطاعته .

(بيان معنى التوبة وحدها)

اعلم أن حد التوبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرته بنفس في بدنه أو نسيه أو في خلقه أو في ضله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى في ثوبه وداره وديانته . أما البدين فكذلك العشى والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور أن يوصف به ما يكرهه كيمسا كان.

(١) حديث جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى على قبرين يذب صاحباهما فقال أما إنهما لينيان وما يذباني في كبير أما أحدهما فكان يئتاب الناس الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو العباس الدغولي في كتاب الآداب بإسناد جيد وهو في الصحيحين من حديث ابن عباس إلا أنه ذكر فيه التوبة بدل النية . ولطائلى فيه أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس ولأحد والطبراني من حديث أبي بكره نحوه بإسناد جيد (٢) حديث قوله للرجل الذي قال لصاحبه في حق اللحوم هذا أقصى كما يقص الكلب فرجى الله عليه وسلم نحوه بإسناد جيد (٣) حديث أن هريرة من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لمح في الآخرة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا الحديث ابن مردويه في التفسير مرفوعا وموقوف وفيه محمد بن إسحاق روله بالسنعة .

الجنابة . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء لما نزلت هذه الآية « إن الله تعالى قد أتى عليكم في الظهور فما هو ؟ قالوا إنا نستنجي بالماء وكان قبل ذلك قال لهم رسول الله إذا أتى أحدكم الحلاء فليستنج بثلاثة أجبار » وهكذا كان الاستنجاء في الابتداء حتى نزلت الآية في أهل قباء . قبل لسلان قد علمت بكم كل شيء حتى الحمرأة

قال سلمان أجل نهانا أن نستقبل القبلة بباطل أو بول أو نستنجي بالبحرين أو يستنجي أحدنا بأقل من ثلاثة أجبار أو نستنجي برجبع أو

وأما النسب فبأن تقول أبوه نعلى أو هدى أو فاسق أو خيس أو إسكاف أو زناى أو شىء مما يكرهه كئما كان . وأما الحق فبأن تقول هو سىء الخلق يحيل منكبر مرآء شديد الضرب جبان عاجز ضيف القلب متهور وما يجرى مجراه . وأما فى أقواله التافهة بالدين فكذلك هوسارق أو كذاب أو شارب خمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصلاة أو الزكاة أو لا يحسن الركوع أو السجود أو لا يحترز من التجاسات أو ليس باراً بالوالديه أو لا يضيّع الزكاة موضعها أو لا يحسن قسمتها أو لا يحرس صومه عن الرقت والتبعية والتمترس لأعراض الناس . وأما فصله للعلق بالدنيا فكذلك إنه قليل الأمتهاون بالناس أو لا يرى لأحد على نفسه حقاً أو يرى لنفسه الحق على الناس أو أنه كثير الكلام كثيراً أو لا يترك النوم في غير وقت النوم ويجلس في غير موضعه . وأما فى توبه فكذلك إنه واسع السكم طويل الذيل وسخ الثياب وقال قوم لا غيبة فى الدين لأنه ذم مادمه الله تعالى فذكره بالمعاصى ودمه بها يجوز بدليل ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له امرأة وكثرة صلاحها ووصومها ولكنها تؤذى جيرانها بلسانها قال « هي فى النار »^(١) وذكرت عنده امرأة أخرى بأنها غيلة فقال « فما غيرها إذن »^(٢) فهذا فاسد لأنهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم إلى تعرف الأحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقيص ولا يحتاج إليه فى غير مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والدليل عليه إجماع الأمة على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو متعاب لأنه داخل فيها ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حد التبية وكل هذا وإن كان صادقاً فيه فهو به متعاب عاص لربه وآكل لحم أخيه بدليل ماروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « هل تدرون ما التبية قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكرهه قبل أن ترى إن كان فى أشىء ما أقوله قال إن كان فيه ما تقول قد اغتبه وإن لم يكن فيه قد بهت »^(٣) وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبت أخاك قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتوه »^(٤) وعن حذيفة عن عائشة رضى الله عنها أنها ذكرت عند رسول الله ﷺ امرأة فقالت إنها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبتها »^(٥) وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة التبية والبهتان والإفك وكل فى كتاب الله عز وجل فالتبية أن تقول ما فيه والبهتان أن تقول ما ليس فيه والإفك أن تقول ما لم تفك وذكر ابن سيرين رجلاً فقال ذلك الرجل الأسود ثم قال استغفر الله إلى أرائى قد اغتبه وذكر ابن سيرين إبراهيم الخنى فوضع يده على عينه ولم يقل إلا عور وقالت عائشة لابنتا بن أحمد كآ فأتى قتل لامرأة مرة وأنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إن هذه الطويلة الذيل فقال لى « القطي القطي فلفظت مضفة لحم »^(٦)

(١) حديث ذكره له امرأة وكثرة صومها وصلاحها لكن تؤذى جيرانها فقال هي فى النار ابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة (٢) حديث ذكر امرأة أخرى بأنها غيلة قال فما غيرها إذن الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث أبى جعفر محمد بن على مرسل وروناه فى أمالى ابن اعموم هكذا (٣) حديث هل تدرون ما التبية قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره الحديث مسلم من حديث أبى هريرة (٤) حديث معاذ ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه فقال ما أعجزه الحديث الطبرانى بسند ضعيف (٥) حديث عائشة أنها ذكرت امرأة فقالت إنها قصيرة فقال اغتبتها رواه أحمد وأصله عند أبى داود والترمذى وصححه بلفظ آخر ووقع عند الصنفين حذيفة عن عائشة وكذا هو فى الصحيح لابن أبى الدنيا والبواب عن أبى حذيفة كما عند أحمد وأبى داود والترمذى واسم أبى حذيفة سلمة بن صهيب (٦) حديث عائشة قتل لامرأة إن هذه طويلة الذيل فقال صلى الله عليه وسلم القطي فلفظت بضمة من لحم ابن أبى الدنيا وابن مردويه فى التفسير وفى إسناده امرأة لأعرقها .

عظم . حدثنا شيخنا
صبياء الدين أبو الجيب
إسلاء قال أنا
أبو منصور الحريرى
قال أنا أبو بكر الخطيب
قال أنا أبو عمرو الهامنى
قال أنا أبو الوليد
قال أنا أبو داود قال
حدثنا عبد الله بن محمد
قال حدثنا ابن المبارك
عن ابن عجلان عن
القنمق عن أبى صالح
عن أبى هريرة رضى
الله عنه أنه قال : قال
صلى الله عليه وسلم
« إنما أنا لكم بمنزلة
الوالد أعلمكم فإذا
أتى أحدكم الغائط
فلا يستقبل القبلة
ولا يستدبرها ولا
يستطيع يمينه » وكان
يأمر بثلاثة أحجار
ويبنى عن الروث
والرمة . والفرض فى

(بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان)

اعلم أن الذكر باللسان إنما حرم لأن فيه تفهم الغير قصان أخبك وتعرفه بما يكرهه فالتعريض به كالتمريح والتعلل فيه كالقول والإشارة والإيماء والتمزج والهمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم التصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام فمن ذلك قول عائشة رضي الله عنها دخلت علينا امرأة فلما ولت أومأت يدي أنها قصيرة فقال عليه السلام « اغتبتها »^(١) ومن ذلك الماكة كأن عيسى متعارجا أو كما عيسى فهو غيبة بل هو أشد من الغيبة لأنه أعظم في التصور والتفهم ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة حاكمت امرأة قال « ما يسنن أنى حاكمت إنسانا ولي كذا وكذا »^(٢) وكذلك الغيبة بالكتابة فإن القلم أحد اللسانين وذكر المصنف شخصا معنا وتهجين كلامه في الكتاب غيبة إلا أن يقرر به شيء من الأغذار المحوجة إلى ذكره كما سيأتي بيانه وأما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة إنما الغيبة التعريض لشخص معين إما محيا وإما بدت ومن الغيبة أن تقول بعض من مر بنا اليوم أو بعض من رأيناه إذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لأن المخدور تفهمه دون ما به اتهمهم فأما إذا لم يفهم عنه جاز كان رسول الله ﷺ إذا كره من إنسان شيئا قال « ما ل أقوام يفعلون كذا وكذا »^(٣) فكان لا يعين وتقولك بعض من ندم من السفر أو بعض من يدعى العلم إن كان معه قرية تفهم عين الشخص فهي غيبة وأخبرت أنواع الغيبة غيبة القراء للرائين فانهم يفهمون التصود على صفة أهل الصلاح ليطهروا من أنفسهم التفت عن الغيبة ويذهبون للتصود ولا يدرون بمجهلهم أنهم جميعا بين فاحشيتين الغيبة والرياء وذلك مثل أن يذكر عنده إنسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام أو يقول نودى بالله من قلة الحياء نسأل الله أن يصننا منها وإنما قصده أن يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وإتيل بمجانبتي به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده أن يذم غيره في ضمن ذلك ويخلص نفسه القسبة بالصالحين بأن يذم نفسه فيكون مغتابا ومراثيا ومزكيا نفسه فيجمع بين المثلث فواش وهو مجمله بظن أنه من الصالحين المتفهمين عن الغيبة ولذلك يابى الشيطان بأهل الجهل إذا اشتغلوا بالمباداة من غير علم فانه يتعمم ويحيط بتكايده عنهم ويضاحك عليهم ويسخر منهم ومن ذلك أن يذكر عيب إنسان فلا يفتنه له بعض المخاضرين فيقول سبحان الله ما أعجب هذا حتى يضمني إليه ويبلغ ما يقول فيذكر الله تعالى ويستعمل اسم آله له في تحقير خبثه وهو يتقن على الله عز وجل يذم جهلا منه وغرورا وكذلك يقول سامي من ماجري على صديقا من الإسكندرية به نسأل الله أن يروح نفسه فيكون كاذبا في دعوى الاعتناء وفي إظهار الدعاء له بل لو قصد الدعاء لأخفاء خلوة عقيب صلاته ولو كان يتم به لا غنى أيضا بظهور ما يكرهه وكذلك قول ذلك المسكين قد بلى بأفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو لعله لا يدري أنه قد تعرض لفت أعظم مما تعرض له الجهال إذا جاهر أو ومن ذلك الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجب فانه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط القلب

الاستعجاب شيئا إنزاله الجث وطهارة الزليل وهو أن لا يكون رجيما وهو الروث ولا مستملا مرة أخرى ولا مرة وهي عظم اللينة ووتر الاستعجاب سنة فلما ثلاثة أحجار أو خمس أو سبع واستعمال الماء بعد الحجرة سنة وقد قيل في الآية - يحجون أن ينظروا ولا يسلوا عن ذلك قالوا كنا تتبع للماء الحجرة والاستعجاب بالجمال سنة ومسح اليد بالقرب بعد الاستعجاب سنة وهكذا يكون في الصحراء إذا كانت أوصا طاهرة وزيبا طاهرا . وكيفية الاستعجاب أن يأخذ الحاجر بيساره وضمه على مقدم المخرج قبل

(١) حديث عائشة دخلت علينا امرأة فأومأت يدي أى قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اغتبتها ابن أبي الدنيا وابن مردويه من رواية حسان بن خمارق عنها وحسان وثقه ابن حبان وابقهم ثقات (٢) حديث ما يسنن أنى حكيت ولي كذا وكذا تقدم في الآفة الحاوية عشرة (٣) حديث كان إذا كره من إنسان شيئا قال ما ل أقوام يفعلون كذا وكذا الحديث أبو داود من حديث عائشة دون قوله وكان لا يعبره ورحاله رجال الصحيح .

في البيت فندفع فيه أو كأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجب ما علمت أنه كذلك ما عرفه إلى الآن إلا بالخبر وكنت أحسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فإن كل ذلك تصديق للغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك الغتاب قال صلى الله عليه وسلم «السمع أحد المتأينين» (١) وقد روى عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن أحدهما قال لصاحبه إن فلانا لنشوم ثم إنهما طلبا أدما من رسول الله ﷺ ليأكل به الخبر فقال صلى الله عليه وسلم «قد اتدتما» فقالا ما نضله قال بل إنكما أكنتما من لحم أحبكما» (٢) فانظر كيف جمعهما وكان القائل أحدهما والآخر مستمعا وقد للرجلين اللذين قال أحدهما أقمص الرجل كما يقمص السكب «انهم شامن هذه الجمعة» (٣) فجمع بينهما فالسمع لا يخرج من إثم الغيبة إلا أن ينسكب بلسانه أو بقلبه إن خاف وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه وإن قال بلسانه أسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرج من الإثم مالم يكرهه بقلبه ولا يكتفى في ذلك أن يشير باليد أى أسكت أو يشير بحاجبه وجيبته فإن ذلك استحقاق للمذكور بل ينبغي أن يعظم ذلك فيذهب عنه صريحا وقال صلى الله عليه وسلم «من أدلَّ عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره أدله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق» (٤) وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من ردَّ عن عرض أخيه بالغب كان حقا على الله أن يردَّ عن عرضه يوم القيامة» (٥) وقال أيضا «من ذبَّ عن عرض أخيه بالغب كان حقا على الله أن يعقبه من النار» (٦) وقد ورد في نصرة السلم في الغيبة وفي فضل ذلك أخبار كثيرة أوردناها في كتاب آداب الصعبة وحقوق المسلمين فلا نطول أعادتها .

(بيان الأسباب الباعثة على الغيبة)

اعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها أحد عشر سببا تحمى منها تطرد في حق العامة وثلاثة تخص بأهل الدين والخاصة . أما الخاصة : فالأول أن يشفى القبط وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه فانه إذا هاج غضبه يشقى بذلك مساويه فيسب القبط إلى الباطن فيسب فحدا ثابتا فيكون دين وازرع وقد تمتد تشفى القبط عند الغضب فيحذف الغضب في الباطن فيصير فحدا ثابتا فيكون سببا دائما لكره المساوي فالخقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة . الثاني موافقة الأقران وبجملته الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فانهم إذا كانوا ينفسكهم بذلك الأعراس فيمأولوا أنكر عليهم أو قطع المجلس استقلوه ونفروا عنه فيسأدهم ويرى ذلك من حسن الماشرة ويظن أنه

(١) حديث السمع أحد المتأينين الطبراني من حديث ابن عمر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة وهو ضيق (٢) حديث أن أبا بكر وعمر قال أحدهما لصاحبه إن فلانا لنشوم ثم طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد اتدتما ؟ فقالا ما علم فقال بل ما أكنتما من لحم صاحبكما أبو العباس الدغولي في الآداب من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى مرسل أخوه (٣) حديث أنهما من هذه الليلة قاله للرجلين اللذين قال أحدهما أقمص كما يقمص السكب تقدم قبل هذا بأثر عشر حديثا (٤) حديث من أدلَّ عنده مؤمن وهو قادر على أن ينصره فلم ينصره أدله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق الطبراني من حديث سهل بن حنيف ورواه ابن أبي عمير (٥) حديث أبي الدرداء من رد عن عرض أخيه بالغب كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة ابن أبي الدنيا في الصمت وفيه شهر بن حوشب وهو عند الطبراني من وجه آخر لعن الله عن وجهه البار يوم القيامة وفي رواية له كان له حجاب من النار وكلاهما ضعيف (٦) حديث من ذبَّ عن عرض أخيه بالغب كان حقا على الله أن يعقبه من النار أحمد والطبراني من رواية شهر بن حوشب عن أسامة بن زيد .

ملأفة النجاسة وبجره بالمسح وبدير الحجر في مره حتى لا ينقل النجاسة من موضع إلى موضع بفعل ذلك إلى أن ينتهي إلى مؤخر المخرج وبأخذ الثاني ويضعه على المؤخر كذلك ويمسح إلى القدمة وبأخذ الثالث ويديره حول السرة وإن استجمر بمحجر ذي ثلاث شرب جاز وأما الاستبراء إذا انقطع البول فبعد ذكره من أسله ثلاثا إلى الحشفة بالرفق ثلاثا يندفق بقية البول ثم يشتر ثلاثا ويحط في الاستبراء بالاستبراء وهو أن يتحنن ثلاثا لأن العروق ممتدة من الحلق إلى النكسر وبالتالي تنحسج تحرك

عامة في الصلابة وقد يضرب رهاؤه فيحتاج إلى أن يضرب لضربهم إظهارا للصراحة والبراءة فيخوض معهم في ذكر العيوب والساوئ . الثالث أن يستثمر من إنسان أنه سيصدق وطول لسانه عليه أو يبيع حاله عند محنته أو يشهد عليه بشهادة فيأدره قبل أن يبيع هو حاله ويطعن فيه ليستقط أثر شهادته أو يبتدىء بذكر مافيه صادقا ليكذب عليه بصدء فيروج كذبه بالصدق الأول ويستشهد ويقول مامن عادنى الكذب فأتى أخبرتكم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت . الرابع أن ينسب إلى شيء فيريد أن يترأ منه فيذكر الذي فعله وكان من حقن يرى نفسه ولا يذكر الذي فعل فلا ينسب غيره إليه أو يذكر غيره بأنه كان مشاركا له في الفعل لمجد بذلك عذر نفسه في فعله . الخامس إرادة التصنع والبهانة وهو أن يرفع نفسه بتفخيم غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويربهم أنه أعلم منه أو يحذر أن ينظم مثل تعظيمه فيفتقد فيه لذلك . السادس الحسد وهو أنه ربما يحسد من يشي الناس عليه ومحبوه ويكرهونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا إليه إلا بالقدح فيه فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثاء عليه لأنه يشغل عليه أن يسمع كلام الناس وثأدهم عليه وإكرامهم له وهذا هو عين الحسد وهو غير الضرب والخذلان ذلك يستدعي جناية من الغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والرفيق الوافي . السابع اللب والهزل والطايرة وتزكية الوقت بالضحك فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المذاكرة ومنشؤه التكبر والعجب . الثامن السخرية والاستهزاء استغفارا له فان ذلك قد يجري في الحضور ويجرى أيضا في الغيبة ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزاء به . وأما الأسباب الثلاثة التي هي في الخاصة فهي أغضبها وأدفعها لأنها شرور خباياها الشيطان في معرض الحيرات وفيها خبائر ولكن شاب الشيطان بها الشر . الأول أن تثبت من الدين داعية التعجب في إنكار النكر والخطأ في الدين فيقول ما عجب ما رأيت من فلان فانه قد يكون به صادقا ويكون تعجبه من النكر ولكن كان حقه أن تعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في إظهار تعجبه فصار به مغتابا وأما من حيث لا يدري ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل . الثاني الرحمة وهو أن يفتن بسبب ما يبني به فيقول مسكين فلان قد غنى أمره وما أبقي به فيكون صادقا في دعوى الاعتنام وبلويه الثم من الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون محمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكن ساقه الشيطان على ذكر اسمه فيذكره لا يدري والترحم والاعتنام يمكن دون ذكر اسمه فيجبه الشيطان على ذكر اسمه ليبتل به بواب اغتنامه وترحمه . الثالث الغضب لله تعالى فانه قد يغضب على منكر قارفه إنسان إذارأتم أو سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يظهره على غيره أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء فضلا عن العوام فانهم يظنون أن التعجب والرحمة والغضب إذا كان لله تعالى كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطأ بل الرخص في الغيبة حاجات محصورة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتي ذكره . روى عن عامر بن وثالة « أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم إني لأبغض هذا في الله تعالى فقال أهل المجلس ليس لي شأن والله لنبتشه ثم قالوا يا فلان لرجل منهم قم وأدركه وأخبره . بما قال فأدركه رسولهم فأخبره فأتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قال وسأله أن يدعو له ففداه وسأله فقال قد قلت ذلك

وتعطف مافى جرى
البول فان متى
خطئنا وت زاد في
التتحن فلا بأس
ولكن براعى حدالم
ولا يحمل للشيطان
عليه سبيلا بالسوسة
فيضيع الوقت ثم مسح
الله ذكر ثلاث مسحات
أوأكثر إلى أن لا يرى
الطوبة وشبه بضربهم
الله ذكر بالضرع وقال
لا يزال تظهر منه
الطوبة مادام يجد
فيراى الحد في ذلك
وبراعى الور في ذلك
أيضا للسحبات تكون
على الأرض الطاهرة
أو حجر طاهر وإن
احتاج إلى أخذ الحجر
لصفه فلأخذ الحجر
باليدين والله كرا باليسار
وبمسح على الحجر
وتسكون الحركة

قال صلى الله عليه وسلم لم تنفسه ؟ فقال أنا جاره وأنا به خاب والله مارأيت يصل صلاة قط إلا هذه للكنوة دل فأسأله يارسول الله هل رأيت أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو أوال كوع أو السجود فيها فسأله قل لا فقال والله مارأيت يصوم شهرا قط إلا هذا الشهر الذي يصوم البر والفاجر قال فسأله يارسول الله هل رأيت قطأ فطرت فيه أو قصمت من حقه شيئا فسأله عنه فقال والله مارأيت يمسى سائلا ولا مسكنا قط ولا رأيت ينفق شيئا من ماله في سبيل الله إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر قال فسأله يارسول الله هل رأيت قصمت منها أو ما كنت فيها طالبا الذي يسألها فسأله فقال لا قال صلى الله عليه وسلم للرجل قم فله خير منك (١) .

(بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن التوبة)

اعلم أن مساوى الأخلاق كلها إنما تعالج بمجون العلم والعمل وإنما علاج كل علة بمضادة سببها ، فلنفحص عن سببها . وعلاج كف اللسان عن التوبة على وجهين : أحدهما على الجملة والآخر على التفصيل . أما على الجملة فهو أن يعلم تعرضه لسخن الله تعالى بنيتة بهذه الأخبار التي رويها وأن يعلم أنها محيطة لحسناته يوم القيامة فانها تنقل حسناته يوم القيامة إلى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فان لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه وهو مع ذلك متعرض لقتل الله عز وجل ومشيبه عنده يأكل النية بل البعد يدخل النار بأن ترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وربما تنقل إليه سيئة واحدة فمن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار وإنما أقل الدرجات أن تنقص من ثواب أعماله وذلك بعد التهاكمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال صلى الله عليه وسلم « ما النار إلا ليس بأسرع من التوبة في حسنات البعد (٢) » وروى أن رجلا قال للحسن : بلغني أنك تفتاني قال ما بلغ من قدرك عندي أتى أحكمك في حسنات البعد (٣) فها هو ذا ورد من الأخبار في التوبة لم يطلق لسانه بها خوفا من ذلك ونفسه أيضا أن يتدبر في نفسه فإن وجد فيها عيا اشتغل بيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن شغله عيه عن عيوب الناس (٤) » ومهما وجد عيا فينبغي أن يستحيي من أن يترك ذم نفسه ويذم غيره بل ينبغي أن يتحقق أن محز غيره عن نفسه في النزء عن ذلك العيب كمحزه وهذا إن كان ذلك عيا يتناقى بفعله واختياره وإن كان أمرا خلقيا فالزم له ذم الخلق فان من ذم صنعة فقد ذم صانعها . قال رجل لحكيم يا قبيح الوجه : قال ما كان خلق وجهي إلى فأحسنه وإذا لم يجد البعد عيا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوثن نفسه بأعظم العيوب فان ثلب الناس وأكل لحم اليتيم من أعظم العيوب بل لو أنصف لعل أن ظنه بنفسه أنه برى من كل عيب جهل بنفسه وهو من أعظم العيوب وينبغي أن يعلم أن تأم غيره بنيتة كئأله بنية غيره له فإذا كان لا يرضى لنفسه أن يتأب فينبغي أن لا يرضى لغيره مالا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جليلة . أما التفصيل فهو أن ينظر في السبب الباعث له على التوبة فان علاج العلة يقطع سببها . وقد قدمنا الأسباب . أما الضبط فيعالمه بما سيأتى في كتاب آفات الغضب وهو أن يقول : إنى إذا أمتضيت غضبي عليه فلفل الله تعالى يغض غضبه على سبب التوبة إذ نهأت عنها فاجترأت على تبهه واستخففت

(١) حديث عامر بن واثقه أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم إنى لا يأنس هذا في الله الحديث بطوله وفيه فقال قم فله خير منك أحمد بإسناد صحيح (٢) حديث ما النار في اليس بأسرع من التوبة في حسنات البعد لم أجده أصلا (٣) حديث طوبى لمن شغله عيه عن عيوب الناس الزيار من حديث أنس بسند ضعيف .

باليسار لا باليمين فلا يكون مستتبيا باليمين وإذا أراد استعمال اللسان انتقل إلى موضع آخر ويقع الحجر ما لم ينتشر البول على الحشفة وفى ترك الاستسقاء في الاستبراء وعيد ورد فيها رواه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال « مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما هذا فكان لا يستبرأ ولا يستتره من البول وأما هذا فكان يمشي بالنجاسة ثم دعا بسبيل فطبع فشققه اثنين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا وقال له تخفف عنهما ما لم ييبسا » والمسيب الجريد وإذا

بزجره وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن لجهنم باباً لا يدخل منه إلا من شق غيظه بمصيبة الله تعالى » وقال صلى الله عليه وسلم « من أتى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظاً وهو يقدر على أن يفضيه دعاء الله تعالى يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء ^(٢) » وفي بعض الكتب للزلة على بعض النبيين : يا ابن آدم أذكر أن حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أحقك فيمن أحق . وأما الواقعة فإن تعلم أن الله تعالى يغضب عليك إذا طلبت سخطه في رضا الخلقين فكيف ترضى نفسك أن توقر غيرك وتخقر مولاك فتترك رضا لرضاهم إلا أن يكون غضبك لله تعالى وذلك لا يوجب أن تذكر للتשוב عليه بسوء بل ينبغي أن تغضب لله أيضاً على رقائك إذا ذكروه بالسوء فاتهم عدوا ربك بأغضب الذنوب وهي التوبة . وأما تنزيه النفس بنسبة الغير إلى الحياة حيث يستثنى عن ذكر الغير فتعالم بأن تعرف أن التعرض لقت الحاقق أشد من التعرض لقت الخلقين وأنت بالذية متعرض لسخط الله فبقينا ولا تدرى أنك تتخلص من سخط الناس أم لا فتخاص نفسك في الدنيا بالتوهم وتملك في الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله تعالى قدما وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والحقول . وأما عندك كقولك إن أكلت الحرام فقلان يأكله وإن قبلت مال السلطان فقلان يقبله فهذا جهل لأنك تعتذر بالاعتداء عن لا يجوز الاعتداء به فإن من خالف أمر الله تعالى لا يقتدى به كما من كان ولو دخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم تواقه ولو واقته لسفه عقلك فبما ذكرته غيبة وزيادة مصيبة أعفيتها إلى ما اعتذرت عنه وسجات مع الجمع بين الصبيتين على جهلك وغياوتك وكنت كاشاة تنظر إلى المزي تزدى نفسها من قلة الجبل فهي أيضاً تزدى نفسها ولو كان لها لسان ناطق بالعدو وصرحت بالعدو وقالت العزأ كيسي وقد أهلكت نفسها فكذلك أنا أفضل لكنت تفحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تعجب ولا تضحك من نفسك . وأما قصدك الباهة وتزكية النفس بزيادة الفضل بأن تضح في غيرك فينبغي أن تعلم أنك بما ذكرته به أبطلت فضلك عند الله وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما قص اعتقادهم فيك إذا عرفوك بثلث الناس فتكون قد بعت ماعند الخالق بقيتنا بما عند الخلقين وهما ولو حصل لك من الخلقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يفتنون عنك من الله شيئاً . وأما التوبة لأجل الحسد فهو جمع بين عقابين لأنك حصدت على نعمة الدنيا وكنت في الدنيا معذبا بالحسد فما كتبت بذلك حتى أضفت إليه عذاب الآخرة فكنت خاسراً نفسك في الدنيا فصرت أيضاً خاسراً في الآخرة لجمع بين السكابين فقد قصدت محسودك فأحببت نفسك وأهديت إليه حسناتك فإذا أنت حصدته وعدو نفسك إذ لا تضره غيبتك وتضره وتنفه إذ تنقل إليه حسناتك أو تنقل إليك سيئاته ولا تنفك وقد جمعت إلى حيث الحسد جهل الحساسة وربما يكون حصدك وقصدك سبب انتشار فضل محسودك كما قيل :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويبت أتاح لها لسان حود

وأما الاستهزاء فمقصودك منه إزاء غيرك عند الناس بإخزاء نفسك عند الله تعالى وعند اللائكة

(١) حديث إن لجهنم باباً لا يدخله إلا من شق غيظه بمصيبة الله الزار وإن أدى الدنيا وإن عدى واليبقى والناس من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٢) حديث من أتى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه أبو منصور الديلمي في مستند القردس من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف ورويناه في الأربيعين البدائية للسلي (٣) حديث من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفذه الحديث أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس .

كان في الصحراء يعد من العيون . روى جابر رضي الله عنه أن النبي عليه السلام كان إذا أراد البراء انطلق حتى لا يراه أحد . وروى للتيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فأتى النبي عليه السلام حاجته فأبعدني الذهب » وروى « أن النبي عليه السلام كان يبتسوا لحاجته كما يبتسوا الرجل النزل ، وكان يستتر بهائط أو نشر من الأرض أو كوم من الحجارة » ويجوز أن يستتر الرجل براحلته في الصحراء أو يذبله إذا حفظ التوبة من الرشاس ويستحب البول في أرض دمنة أو على تراب

والنبيين عليهم الصلاة والسلام فلو تنكرت في حمرتك وجنائيك وخجلتك وخزيتك يوم القيامة يوم تحمل ميثاق من استنزأت به وتناق إلى النار لأوهشك ذلك عن إخراج صاحبك ولوعرفت حالك لكنت أولى أن تضحك منك فأنك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لأن يأخذ يوم القيامة يدهك في ملأ من الناس ويسوقك تحت سيئاته كأياسق الحمار إلى النار مستهزئاً بك وفرحاً بخزيتك وسروراً بنصرة الله تعالى إياه عليك وتسلطه على الانتقام منك . وأما الرحمة له على إجماعه وحسن ولكن حمدك إيليس فأنتك واستنطقك بما ينقل من حسناتك إليه ما هو أكثر من رحمتك فيكون جيرا لإيم للرحوم فيخرج عن كونه مرحوما وتقبل أنت مستحقاً لأن تكون مرحوماً إذ حبط أجرك ونقصت من حسناتك وكذلك التضيض لله تعالى لا يوجب التوبة وإنما الشيطان حجب إليك التوبة ليحبط أجر غضبك وتصير معصاة ملقت الله عز وجل بالتوبة . وأما التمتع إذا خرجك إلى التوبة فضعف من نفسك أنت كيف أهلك نفسك ودينك بدن غيرك أو ديناه وأنت مع ذلك لاتأمن عقوبة الدنيا وهو أن يهلك الله سترك كما هتكك بالتعجب سترك أخيك فاذن علاج جميع ذلك العرفة قط والتحقق بهذه الأمور التي هي من أبواب الإيمان فمن قوى إيمانه بجميع ذلك انكشف لسانه عن التوبة لاحالة .

(بيان تحريم التوبة بالقلب)

اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوي الغير فليس لك أن تحدث نفسك وتساء الظن بأخيك ولست أعني به الاعتقاد القلب وحكمه على غيره بالسوء ، فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك أيضا معفو عنه ولكن النهي عنه أن يظن والظن عبارة عما تركي إليه النفس ويعمل إليه القلب فقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم - وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يسلمها إلا لعالم الغيوب فليس لك أن تعتقد في غيرك سوما إلا إذا انكشف لك بيان لا يقبل التأويل فعند ذلك لا يمكنك إلا أن تعتقد ما عرفت وشاهدته وما لم تشاهده بينك ولم تسمعه أذنك ثم وقع في قلبك فأما الشيطان يلقيه إليك فينفي أن تكذبه فانه أفسق الفساق وقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة - فلا يجوز تصديق إيليس وإن كان ثم محيلة دل على فساد واحتمل خلافة لم يحز أن تصدق به لأن الفاسق يتصور أن يصدق في خبره ولكن لا يجوز لك أن تصدق به حتى إن من استنكس فوجد منه راحة الحمر لا يجوز أن يحذر إذ يقال يمكن أن يكون قد تضمن بالخبر وعجها وما شربها أو حمل عليه قهرا فكل ذلك لاحالة فلا عزمة فلا يجوز تصديتها بالقلب وإساءة الظن بالمسلم بها وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الله حرم من السلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء » (١) فلا يستباح ظن السوء إلا بما يستباح به المال وهو نفس مشاهدته « وبينة عادلة فإذا لم يكن كذلك وخطرتك وسواس الظن فينفي أن تدفعه عن نفسك وتقر عليها أن ساء عندك مستور كما كان وأن مارأيت منه محتمل الخير والشر . فان قلت فهذا يعرف عند الظن والشكوك فالتخلف والنفس تحدث . فقول : أمانة عند سوء الظن أن يتغير القلب معه كما كان في نعرته فقروا ما وبسته الله ويمر عن مراعاته وتقوده وإكرامه والاغتمام بسببه فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال

(١) حديث إن الله حرم من السلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند ضعيف ولان ما جاءه نحوه من حديث ابن عمر .

مهيل قال أبو موسى :
وكت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فأراد أن يول فأنى
دشا في أصل جدار
فقال ثم قال : إذا أراد
أحدكم أن يول
فليرتد لوله « وبني
أن لا يستقبل التوبة
ولا يستدبرها ولا
يستقبل الشمس والقمر
ولا يكره استقبال القبلة
في البنيان والأولى
اجتنابه للذهب بسم
القفاه إلى كراهية
ذلك في البنيان أيضا
ولا يرفع ثوبه حتى
يدنو من الأرض
ويتجنب مهابة الريح
احترازا من الرشا
قال رجس ليعض
الصعابة من الأعراب
وقد ضامه لأحسبك
تحسن المرأة فقال

صلى الله عليه وسلم «ثلاث في المؤمن وله منهن» مخرج فخرجه من سوء الظن أن لا محققه (١) أي لا محققه في نفسه بقدر لافضل لا في القلب ولا في الجوارح، أما في القلب فينتبه إلى التفرقة والكراهة، وأما في الجوارح فيالعمل بموجبيه والسيطان قد يقرر على القلب بأدنى حيلة مساواة الناس ويقل إليه أن هذا من فطنتك وسرعة فهمك وذلك وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق «نظر ربور السيطان وظلمته». وأما إذا أخبرك به عدل فقال ظنك إلى تصديقه كنت مبدورا لأنك لو كذبتك لكنت جانيا على هذا العدل إذ ظننت به الكذب وذلك أيضا من سوء الظن فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحد سوى الآخر ثم ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة ومحاسنة وتحت تستطرق التهمة بسببه فقد ردا للشرع شهادة الأب العدل الولد للتهمة ورد شهادة العدو (٢) فلك عند ذلك أن توقف وإن كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول في نفسك للذكر حاله كان عدو في ستر الله تعالى وكان أمره محجوبا عني وقد بقي كالكان لم ينكشف لي شيء من أمره وقد يكون الرجل ظاهره العدالة ولا محاسنة بينه وبين المذكور ولكن قد يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساوئهم فهذا قد يظن أنه عدل وليس يبدل فإن الكتاب فاسق وإن كان ذلك من عادته ردت شهادته إلا أن الناس لكثرة الاعتبارات ساهلوا في أمر التوبة ولم يكتفوا بتناول أعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر بسوءه في مسلم فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعوله بالخبر فإن ذلك يفيظ السيطان ويدفعه عنك فلا يلقي إليك الحاضر السوء خيفة من اشتغالك بالعلم والراءاء ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا غدرتك السيطان فيدعوك إلى اغتيابه وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلا على في قصه لينظر إليك بين التعظيم وتظهر إليه بين الاستحقاق وترفع عليه بأبداء الوعظ وليكن تصدق خليفه من الائمه وأنت حزين كالحزن على نفسك إذا دخل عليك تصان في دينك وبنيت أن يكون تركه لك من غير نصحك أحب إليك من تركه بالنصيحة فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ وأجر التعم بصيئته وأجر الاعانة له على دينه، ومن محرات سوء الظن التجسس فإن القلب لا يفتح بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضا منهي عنه قال الله تعالى - ولا تجسسوا - فالنية وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة ومعنى التجسس أن لا تترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل إلى الاطلاع وهتك السر حتى ينكشف له ما لو كان مستورا عنه كان أسلم قلبه ودينه وقد كرنا في كتاب الأمر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته .

(بيان الأعداء الرخصة في التوبة)

اعلم أن الرخص في ذكر مساوئ الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا به فودفع ذلك إثم التوبة وهي ستة أمور : الأول النظم فإن من ذكر قاضيا بالظلم والحيانة وأخذ الرشوة كان مفتابا عاميا إن لم يكن مظلوما ، أما للظلم من جهة القاضي فله أن ينظم إلى السلطان وينسبه إلى الظلم إلا لا يمكنه استيفاء حقه إلا به قال صلى الله عليه وسلم «إن صاحب الحق مظلوم» وقال عليه السلام

- (١) حديث ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج الطبراني من حديث حارثة بن النعمان بسند ضعيف
- (٢) حديث رد الشرع شهادة الولد العدل وشهادة العدو الترمذي من حديث عائشة، وضمنه لا يجوز شهادة خائن ولا خاتنة ولا مجلود حدا ولا ذى غير لأخيه وفيه ولا ظن في ولاء ولا رابة ولا دود وابن ماجه بأسناد جيد من روايه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد شهادة الحائن والحائنة وذى النمر على أخيه (٣) حديث صاحب الحق مقال متفق عليه من حديث أبي هريرة .

بلى وأيسك إني بها لحاقق قال فضنها لى فقال أبعد البشر وأعد للعدو واستقبل الشبح واستدر الرمح وأصم إصماء الظمى وأجفل إجمال التمام ينى أمخيل أصول النبات من الشبح وغيره واستدبر الرمح احترازا من الرشاخ والإصماء ههنا أن يستوفى على صدور قديمه والواجبال أن يرفع عجزه . ويقول هند الفراغ من الاستنجاء : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وظهر قلبى من الزياء وحسن فرجى من القواشش وبكره . أن يول الرجل في الغنسل . روى عبيد الله ابن مفضل أن النبي عليه السلام : «نهى أن

« مطل النبي ظلم »^(١) وقال عليه السلام « لى الواجد يحل عقوبته وعرضه »^(٢) ، الثاني الاستئذان على تغيير التكرار ورد العاصي إلى منبج الصلاح كما روى أن عمر رضى الله عنه مر على غسان وقيل على طابغة رضى الله عنه فسلم عليه فلم يرد السلام فنهبت إلى أبي بكر رضى الله عنه فذكر له ذلك فلما أبو بكر إليه لصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عنهم وكذلك لما بلغ عمر رضى الله عنه أن أبا جندل قد عاقر الحجر بالشام كتب إليه - بسم الله الرحمن الرحيم - تمزيك الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب - الآية فتاب ولم ير ذلك عمر ممن أبنته غيبة إذ كان قصده أن يشكر عليه ذلك فيمنعه نصحه ما لا ينفعه نصحه غيره وإعما بإباحة هذا التصد الصحيح فإن لم يكن ذلك هو القصد وكان حراما . الثالث الاستفتاء كما يقول للمنفق ظلى أنى أزوجنى وأخى فكيف طريقى في الخلاص والأسلم التعريض بأن يقول : ما قولك في رجل ظله أبوه أو أخوه أو زوجته ، ولكن التعيين مباح بهذا التقدير لما روى عن هند بنت عتبة أنها قالت لنبى صلى الله عليه وسلم « إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى ما يكفينى أنا وولدى أفأخذ من غير علمه فقال : خذى ما يكتفيك ووليك بالمعروف »^(٣) فقد كرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يجرها صلى الله عليه وسلم إذ كان قصدها الاستفتاء . الرابع تحذير المسلم من الشر فإذا رأيت قريبا يتردد إلى مبتدع أو فاسق وخفت أن تعدى إليه بدعته وفسقه فلك أن تكشف له بدعته وفسقه معه ما كان الباعث لك الخوف عليه من سزاية البدعة والفسق لا غيره وذلك موضع الضرر إذ قد يكون الحسد هو الباعث وببأس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة أو بالفسق أو ببسب آخر فلك أن تذكر ذلك فإن في سكونك ضرر المشتري وفي ذكره ضرر المبد والمشتري أولى بمراعاة جانبه وكذلك الزكى إذا سئل عن الشاهد فله الطعن فيه إن علم مطلقا وكذلك المستشار في الزوج وإبداع الأمانة له أن يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوفاء فإن علم أنه يترك الزوج بمجرد قوله لا تصلح لك فهو الواجب وفيه الكفاية وإن علم أنه لا يزوج إلا بالصرح ببيعه الله أن يصرح به إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آرعون عن ذكر الفاجر اهتكموه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه حق يحذره الناس »^(٤) وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم : الإمام الجائر والبيّذع والمجاهر بفسقه الخامس أن يكون الإنسان معروفا بقلب يهرب عن عيبه كالأميرج والأعشى فلا يتم على من يقول روى أبو الزناد عن الأعرج ولسان عن الأعشى وما جرى مجراه فقد قل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولأن ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد أن قد صار مشهورا به ، نعم إن وجد عنه معدلا وأمكنه التعريف بعبارة أخرى فهو أولى ولذلك يقال للأعشى البصير عدولا عن اسم الفص . السادس أن يكون مجاهرا بالنسب كالتخشب وصاحب الساور والمجاهر بجرم الحجر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر به بحيث لا يستنكف من أن يذكر له ولا يكره أن يذكر به فإذا ذكرت فيه ما يتظاهر به فلا يتم عليك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث مطل النبي ظلم متفق عليه من حديثه (٢) حديث لى الواجد يحل عرضه وعقوبته أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الترمذي بإسناد صحيح (٣) حديث إن هذا قالت إن أبا سفيان رجل شحيح متفق عليه من حديث عائشة (٤) حديث آرعون عن ذكر الفاجر اهتكموه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس الطبراني وابن حبان في الضعفاء وابن عدى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده دون قوله حتى يعرفه الناس ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا في الصمت .

يقول الرجل في مستحبه وقال : إن عامة الوسواس منه وقال ابن المبارك : يوسع في البول في الستم إذا جرى فيه الماء وإذا كان في البنيان يقدم رجليه اليسرى لمخول الخلاه ويقول قبل الدخول : بسم الله أعوذ بالله من الحبت والحبائث . حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو التيجيب السمروردي قال أنا أبو منصور القري قال أنا أبو بكر الخطيب قال أنا أبو عمرو الهامشي قال أنا أبو علي اللؤلؤي قال أنا أبو داود قال حدثنا عمر وهو ابن مروزق البصري قال حدثنا شعبة عن قتادة عن النضر ابن أنس عن زيد

« من أتى جلباب الحياء عن وجهه فلا غية له » (١) وقال عمر رضي الله عنه ليس لأعاجر حرمة وأراد به الجهر بفسقه دون اللستر إذ اللستر لا بد من مراعاة حرمة . وقال الصلت بن طريف قلت لأبي الحسن الرجل الفاسق الملن بجنونه ذكرى له بما فيه غيبة له قال لا ولا كرامة . وقال الحسن ثلاثة لا غية لهم صاحب الهوى والفاسق الملن بفسقه والامام الجائر هؤلاء الثلاثة يجمعهم أنهم يتظاهرون بهور بما يتفخرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون إظهاره ، ثم لو ذكره بغير ما يتظاهرون به . وقال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت عنده الحجاج فقال إن الله حكم عدل ينتم الحجاج من اغتابه كان ينتم من الحجاج إن ظله وإنك إذا لقيت الله تعالى غدا كان أصغر ذنب أصعب عليك من أعظم ذنب أصابك الحجاج .

(بيان كفارة النية)

اعلم أن الواجب على اللتباب أن يتوب ويتأسف على ما فعله يخرج به من حق الله سبحانه ثم يستحل اللتباب ليحله فيخرج من مظلمته وينبغي أن يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله إذ الرائي قد يستحل ليطهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد تآفر مصيبة أخرى .

وقال الحسن بكتي الاستغفار دون الاستحلال وربما استدل في ذلك بما روى أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كفارة من اغتبت أن تستغفر له » وقال مجاهد كفارة أكل لحم أخيك أن تفتي عليه وتدعو له بخير . وسئل عطاء بن أبي رباح عن التوبة من النية قال أن تسمى إذا صاحبك فتقول له كذبت فيما قلت وظلمتك وأسأت فان شئت أخذت بمحك وإن شئت عفوت وهذا هو الأصح ، وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال لا ضعيف إذ وجوب في العرض حد التقذير وثبت الطالبة به . بل في الحديث الصحيح ما روي أنه عليه السلام قال « من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليستحلها منه قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم إنما يؤخذ من حسنة فأن لم يكن له حسنة أخذ من سيئات صاحبه فزبدت على سيئاته » (٢) وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لأخري إنها طويلة القبل قد اغتبت فأستحط يا فاذن لا بد من الاستحلال إن قدر عليه فإن كان غائبا أو ميتا فينبغي أن يكثر له الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات . فان قلت فالتحليل هل يجب ؟ فأقول لا لأنه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل العذر أن يبالغ في التناء عليه والتودد إليه وبلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطيب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة النية في القيامة . وكان بعض السلف لا يحال . قال سعيد بن السبيل لأحلم بن ظفري وقال ابن سيرين إنني لم أحرمها عليه فأحلها له إن أقره الله النية عليه وما كنت لأحل ما حرم الله أبدا . فان قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ينبغي أن يستحلها وتحليل ما حرمه الله تعالى غير ممكن . فنقول للراد به العفو عن المظلمة لأن يتقلب الحرام حلالا وما قاله ابن سيرين حسن في التحليل قبل النية فإنه لا يجوز له أن يحل لله النية . فان قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « أصبح أحكم أن يكون كأي مضمض كان إذا خرج من بيته قال اللهم إنني قد تصدقت برضى على الناس » (٣)

(١) حديث من أتى جلباب الحياء فلا غية له ابن عدي وأبو الشيخ في كتاب ثواب الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدم (٢) حديث كفارة من اغتبت أن تستغفر له ابن أبي الدنيا في الصمد والحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث من كانت له عند أخيه مظلمة من عرض أو مال فليستحلها الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أصبح أحكم أن يكون كأي مضمض كان إذا خرج من بيته قال اللهم إنني تصدقت برضى على الناس الزبارة وابن السني في اليوم والآية والعربي في الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف وذكره

ابن أرتم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن هذه الحشوش مهتصرة فإذا أتى أحدهم الحلاء فليقل أعوذ بالله من الخبث والجنات » وأراد بالحشوش الكنف وأصل الحش جماعة النخل الكثيف كانوا يقضون حوائجهم إليها قبل أن تنخذل الكنف في اليسوت وقوله مهتصرة أي يحضرها الشياطين وفي الجلوس للحاجة يجتمع على الرجل اليسرى ولا يتوكل يده ولا يخط في الأرض والحائط وقت قعوده ولا يكثر النظر إلى عورته إلا للحاجة إلى ذلك ولا يتكلم قد ورد أن رسول الله صلى الله

فكيف يصدق بالمرض ومن تصدق به نهل يباح تناوله فإن كان لا ينفذ صدقة لما معنى الحث عليه فنقول معناه أن لا أطلب مظلة في القيامة منه ولا أخاصمه ولا أفانصم إليه حالاً به ولا تسقط المظلة عنه لأنه عفو قبل الوجوب إلا أنه وعد وله العزم على الوفاء بأن لا أخاصم فإن رجعت خاصم كان القياس كسائر الملقوق أن له ذلك بل صرح الفقهاء أن من أباح القذف لم يسقط حقه من حد القذف ومظلة الآخرة مثل مظلة الدنيا ، وعلى الجملة فالعفو أفضل . قال الحسن إذا جئت الأم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة نودوا ليقيم من كان له أجر لله على أن فلا يقوم إلا العاقلون عن الناس في الدنيا وقد قال الله تعالى لا تأخذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا جبريل ما هذا العفو فقال إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك » (١) . وزوى عن الحسن أن رجلاً قال له إن فلاناً قد اغتابك فبعث إليه رطباً على طبق وقال قد بلغني أنك أعهدت إلي من حسناتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرني فإني لأقدر أن أكافئك على النعام .

(الآفة السادسة عشرة النجعة)

قال الله تعالى - هاز مشاء بنميم - ثم قال - عتل بعد ذلك زنبم - قال عبد الله بن المبارك الزنبم ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث وأشار به إلى أن كل من لم يكتم الحديث ومضى بالنجعة دل على أنه ولد زنا استنباطاً من قوله عز وجل - عتل بعد ذلك زنبم - والزنبم هو الدعي ، وقال تعالى - ويل لكل همزة لم يقل المزمرة الغام وقال تعالى - حمالة الحطب - قيل إنها كانت حمالة لحديث وقال تعالى - فلتأمنن - فم يضاعفها من الله شيئاً - قيل كانت امرأة لوط تخبر بالغيبان وامرأة نوح تخبر أنه مجنون وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة نمام » (٢) وفي حديث آخر « لا يدخل الجنة قتات » والقتات هو النمام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحكم إلى الله أحسنكم أخلاقاً للوطون أكنافاً الذين يأفكون ويؤلفون وإن أيسمكم إلى الله الشاؤون بالنجعة الفرقون بين الإخوان للتمسسون للبراءة الثرات » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال الشاؤون بالنجعة للفسدون بين الأئمة الباغون للبراءة العيب » (٤) وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة » (٥) وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ « إنما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها يرى ليشينه بها في الدنيا كان حقاً على الله أن يذيه بها يوم القيامة في النار » (٦) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن عبد البر من حديث ثابت مرسله عدد ذكر أني صمغ في الصحابة قلت وإني ما هو رجل من كان قبلنا كاعتد الزوار والعقلى (١) حديث نزول - خذ العفو - الآية فقال يا جبريل ما هذا فقال إن الله يأمرك أن تحفو عن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك تقدم في رياضة النفس .

(الآفة السادسة عشرة النجعة)

(٢) حديث لا يدخل الجنة نمام وفي حديث آخر قتات متفق عليه من حديث حذيفة وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة وأحكم إلى الله أحسنكم أخلاقاً للوطون أكنافاً الطيراني في الأوسط الصغير وتقدم في آداب الصبغة (٤) حديث ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال الشاؤون بالنجعة الحديث أحد من حديث أبي مالك الأضرعى وقد تقدم (٥) حديث أبي ذر من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني في معارج الأخلاق وفيه عبد الله بن يسوم فان يكن القداح فهو متروك الحديث (٦) حديث أبي الدرداء إنما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها يرى ليشينه بها في الدنيا كان حقاً على الله أن يذيه بها يوم القيامة في النار ابن أبي الدنيا موقوف على أبي الدرداء ،

عليه وسلم قال « لا يخرج الرجلان يضربان القائط كاشفين عورتيهما يتحدثان فان الله تعالى يمقت على ذلك » ويقول عند خروجه غفرانك الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني وأبقى علي ما ينفعني ولا يستصعب معه شيئاً عليه اسم الله من ذهب وخاتم وغيره ولا يدخل حاسر الرأس روث عائشة رضى الله عنها عن أبيها أني بكر رضى الله عنه أنه قال: استحيوا من الله فإني لأدخل الصكيف فأتق ظهري وأعطى رأسي استحياء من ربي عز وجل .

[الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأسراره]

إذا أراد الوضوء

« من شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار » (١) وبه ل: إن ثلث عذاب الغير من القيمة . وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي فقالت سعد من دخلني قال الجبار جل جلاله وعز وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس : لا يسكنك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو الخسام ولا دوث ولا شرطي ولا غث ولا قطر رحم ولا الذي يقول على عهد الله إن لم أقبل كذا وكذا ثم لم يبق به » (٢) وروى كعب الأحبار أن بني إسرائيل أصابهم قحط فاستنق موسى عليه السلام مرات فلما سقوا فأوصى الله تعالى إليه : إن لا تستعيبك ولن معك وفيك تمام قد أصرت على القيمة فقال موسى يارب من هو دثني عليه حتى أخرجه من بيننا يا موسى أنها كم عن القيمة وأكون تماماً فتابوا جميعاً فسقوا . ويقال اتبع رجل حكياً سبعمائة فرسخ في سبع كسات فلما قدم عليه قال : إني جشك لهدى آناك الله تعالى من العلم أخبرني عن السماء وما أنزل منها وعن الأرض وما أوسع منها وعن الصخر وما أغشى منه وعن النجوم ما أحرز منها وعن الزمهرير وما أبرد منه وعن البحر وما أغشى منه وعن اليتيم وما أدل منه فقال له الحكيم : البهتان على البريء أثقل من السموات والحق أوسع من الأرض والقلب القانع أغنى من البحر والحرس والحمد أحر من النار والحاجة إلى القريب إذا لم تتجح أبرد من الزمهرير وقلب الكافر أغنى من الحجر والتمام إذا بان أمره أدل من اليتيم .

(بيان حد القيمة وما يجب في ردها)

اعلم أن اسم القيمة إنما يطلق في الأكثر على من يتم قول الغير إلى القول فيه كما تقول فلان كان بشككم فيك بكذا وكذا وليست القيمة مختصة به بل حدھا كشف ما يكره كشفه سواء كرهه للقول عنه أو للقول إليه أو كرهه ذلك وسواء كان الكشف بالقول أو بالسكابة أو بالمرأ أو بالباء وسواء كان للقول من الأعمال أو من الأقوال وسواء كان ذلك عينا وتقصا في القول عنه أو يمكن به حقيقة القيمة إنشاء السر وهتك السر عما يكره كشفه بل كل ما لا آت الإنسان من أحوال الناس بما يكره فينبغي أن يسكت عنه إلا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية كما إذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق الشهود له فأما إذا رآه يفتني مالا لنفسه فدكره فهو قيمة وإنشاء للسر فإن كان ما يتم به نقصا وعيبا في المحكي عنه كان قد جمع بين النية والقيمة فالبايع على القيمة بما يراه السوء للمحكي عنه أو إظهار الحب للمحكي له أو التفرج بالحديث والخوض في الفضول والباطل وكل من حملت إليه القيمة وقول له إن فلانا قال فيك كذا أو فعل في حقك كذا أو هو يدبرني إفساداً أمراً أو في لأمة عدوك أو تنسب حاله أو ما يجري مجراه فليسته أمور : الأول أن لا يصدقه لأن التام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيدوا قوماً بمجرأه الثاني أن ينهض عن ذلك وينسحب له ويبقى عليه فعله قال الله تعالى - وأمر بالمعروف وإنه عن السر - الثالث أن ينفض في الله تعالى فانه يفيض عند الله تعالى ويجب بفيض من يفيض الله تعالى . الرابع أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى - اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم - الخامس أن لا تعملك ما يحكيك على التجسس والبحث لتتحقق اتباعاً لقوله تعالى - ولا تجسسوا - السادس أن لا ترضى لنفسك ما نهيت الخيام عنه ولا تحكي نية فتقول فلان قد حكى لي كذا وكذا فتشكون به بما مقتا وقد تشكون

ورواه الطبراني بلفظ آخر مرفوعاً من حديثه وقد تقدم (١) حديث أبي هريرة من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار أحمد وابن أبي الدنيا وفي رواية أحمد رجل لم يسم أسقطه ابن أبي الدنيا من الإسناد (٢) حديث ابن عمر إن الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي

يبتدىء بالسواك .
حدثنا شيخنا
أبو النجيب قال أنا
أبو عبد الله الطائي
قال أنا عبد الواحد بن
أحمد الطائي قال أنا
أبو منصور محمد بن
أحمد قال أنا أبو جعفر
محمد بن أحمد بن عبد
الجبار قال لنا جريد بن
زنجويه قال لنا علي
ابن عبيد قال لنا محمد
بن إسحق عن محمد بن
إبراهيم عن أبي سلمة
ابن عبد الرحمن عن
زيد بن خالد الجهني
قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم « لا
أن أشق على أمتي
لأخبرت الغشاء إلى ثلث
الليل وأمرتهم بالسواك
عند كل مكتوبة »

قد أنبت ماعنه نهيت . وقد روى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئا فقال له عمر إن شئت نظرنا في أمرك فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية - إن جاءك فاسق بذي قنبوا - وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية - هاهنا شاء بنعم - وإن شئت عوفنا عنك فقال الفو يأمر المؤمنين لأعود إليه أبدا . وذكر أن حكاهما من الحكما زاره بعض إخوانه فأخبره خبر عن بعض أصدقائه فقال له الحكيم قدأ بطأت في الزبارة وتأتبت بثلاث جنائيات بنضت أخي إلى وشغلت قلبى القارغ واهتمت نفسك الأمانة . وروى أن سلبان بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهرى فجاءه رجل فقال له سلبان بلنى أنك وقتت في وقتك كذا وكذا فقال الرجل ماملت ولاقلت فقال سلبان إن الذى أخبرنى صادق فقال له الزهرى لا يكون النجم صادقا فقال سلبان صدقت ثم قال للرجل اذهب بسلام وقال الحسن من ثم إليك ثم عليك وهذا إشارة إلى أن النجم ينفى أن ينفى ولا يوفق بشو له ولا يصادف وكيف لا ينفى وهو لا ينفى عن الكذب والقيبة والقدر والحيانة والغل والحسد والتفاق ولا يفسد بين الناس والمخدبة وهو بمن يسمون في قطع ما أمر الله بأن يوصل ويشدون في الأرض وقال تعالى - إنما السبيل على الذين يظنون الناس ويغيثون في الأرض بغير الحق - والنجم منهم . وقال « لا يدخل الجنة عليه وسلم » إن من شرار الناس من اتقاء الناس لشره (١) » والنجم منهم وقال « لا يدخل الجنة قاطع » قبل وما القاطع قال قاطع بين الناس (٢) » وهو النجم وقيل قاطع الرحم وروى عن علي رضى الله عنه أن رجلا سعى إليه رجل فقال له يا هذا نحن نسأل عما قلت فإن كنت صادقا فمتناك وإن كنت كاذبا عتابك وإن شئت أن نقتلك أفتلك فقال أفتنى يأمر المؤمنين . وقيل لمحمد بن كعب القرظى أى خصال المؤمنين أوضع ؟ قال كثرة الكلام وإشياء السر وقبول قول كل أحد وقال رجل لعبد الله بن غاصم وكان أميرا بلنى أن فلانا أعلم الأمير أى ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فأخبرنى عما قال لك حتى أظهر كذبه عندك قال ما أحب أن أشتم نفسى بلسانى وحسى أى لم أصدق فياقل ولا أقطع عنك الوصال وذكر السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم يقوم محمد الصادق من كل طائفة من الناس إلا مهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دالة والقبول إجازة وليس من دل على شئ . فأخبر به كنى قبله وأجازه فاتفقوا الساعى فلو كان صادقا في قوله لكان لثما في صدقه حيث لم يخطف الحرمه ولم يستر العورة والسعاية هي النجعة لأنهم إذا كانت إلى من يخاف جانبه بحيث سعاية وقد قال صلى الله عليه وسلم « الساعى الناس إلى الناس لغير رشده » (٣)

فالت سعد من دخل في الجبار وعزى وجلالى لا يسكن فيك ثمانية فذكر منها ولا تقات وهو التمام جده هكذا بنعمه ولا أحد لا يدخل الجنة عاق لوالديه ولا يوثق والناس من حديث عبد الله بن عمرو لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر ولا شبعين من حديث حذيفة لا يدخل الجنة قتات ولهم من حديث جبير بن مطعم لا يدخل الجنة قاطع وذكر صاحب القردوس من حديث ابن عباس لما خلق الله الجنة قال لها تسكنين تزيين تزيين قالت طوبى لمن دخلنى ورضى عنه إلى قال الله عز وجل لا سكك محنت ولا ناعمة (١) حديث إن من شر الناس من اتقاء الناس لشره متفق عليه من حديث عائشة نحوه (٢) حديث لا يدخل الجنة قاطع متفق عليه من حديث جبير بن مطعم (٣) حديث الساعى الناس إلى الناس لغير رشده أو فيه شئ منها وقال له أسأله هذا أمثها قالت فيه سهل بن عطية قال فيه ابن طاهر في التذكرة منكر الرواية قال والحديث لأصله وقد ذكر ابن جبان في الثقات سهل بن عطية ورواه الطبرانى لفظ لا يسعى على الناس إلا ولا ينفى - وإلا من فيه عرق منه وزاد سهل بن عيسى وبين بلال بن أبى بردة أبا الوليد القرشى .

وروت عاشق رضى الله تعالى عنها أن روى الله صلى الله عليه وسلم قال « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب » وعن حذيفة قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يشوش فاه بالسواك » والشوش : الدلك ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وكذا تغير الفم من أزم وغيره وأصل الأزم إمساك الأسنان بعضها على بعض وقيل لا سكوت أزم لأن الأسنان تطبق وبذلك يتغير الفم ويكره للصائم بعد الزوال ويستحب له قبل الزوال وأكثر استحبابه مع غسل الجمعة وعند القيام من الليل ويندى

يعني ليس بولد حلال ، ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه في الكلام وقال إني مكلمك
بأمر المؤمنين بكلام فاحتمله وإن كرهته فإن وراءه مأخوذ إن قبلته فقال قل بأمر المؤمنين
إنه قد أكتفك رجال ابتاعوا دينك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك
فلا تأمنهم على ما تمتك الله عليه ولا تصخ إليهم فيما استحفظك الله إياه فانهم لن يأثروا في الأمة خسفا
وفي الأمانة تضديعا والأعراض قطعاً وانهاكا على قريبهم البنى والنجية وأجلّ وسائلهم النية والوقعة
وأنت مشول عما أجرموا وليسوا للشوئين عما أكرمت فلا تصلح دينهم فساد آخرتك فان أعظم
الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره ، وسعى رجل يزيد الأعمى إلى سليمان بن عبد الملك فجمع
بينهما الموافقة فأقبل زياد على الرجل وقال :

فأنت امرؤ إما ائمتك خاليا غتت وإما قلت قولاً بلا علم
فأنت من الأمر الذي كان بيننا بمنزلة بين الحيانة والام

وقال رجل لعمرو بن عبد إن الأسارى مازال بذكرك في قصصه جبر فقال له عمرو يا هذا ما ربيت
حق بحالة الرجل حيث قلت إلينا حديثه ولا أدبت حق حين أغلقتني عن أخى ما أكره ولكن
أعلمه أن الموت يمنا والقبر يضمن والقيامة تجمعنا والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين
ورفع بعض السعاة إلى صاحب بن عباد رقعة فيه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه لكثرة فوقع
على ظهرها السعاة قبيحة وإن كانت صحيحة فإن كنت أجريتها بحري الصبح غشرك فيها أفضل
من الریح وماد الله أن قبل مهتوكا في مستور ولولا أنك في خفارة شيتك لقابلناك بما يقتضيه
فعلك في مثلك نفوق يابلون العيب فان الله أعلم بالنيب ، البت رحمة الله وإليكم جبره الله والسال
نمره الله والساعي لئنه الله ، وقال لقمان لابنه يا بني أوصيك بخلاف إن تحمكت بهن لم تزل مسيدا أبسط
خلفك للقرب والبعد وأمسك جهلك عن الكريم والاثم واحفظ إخوانك وصل أفا ربك وآمنهم
من قبول قول ساع أو صاع ياغ يريد فسادك وبروم خداعك وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك
لم تعهم ولم يعيوك . وقال بعضهم النجبة مبنية على الكذب والحسد والتفاق وهي أثافي القل وقال
بعضهم لو صلح ماقله الثمام إليك لكان هو المجترى بالشتم عليك والنقول عنه أولى بحملك لأنه
لم يقابل بشتك وعلى الجلة فشر الثمام عظيم ينبغي أن يشوق قال حماد بن سلمة ياغ رجل عبدا
وقال للمشتري ما فيه عيب إلا النجبة قال قد رضىبت فاشتراه فكش الغلام إياها ثم قال زوجتكم ولأمان
سيدى لا يحرك وهو يريد أن يفسرى عليك غذى الوسى وأحلق من شر قاعه عند نومه مشعرات
حق أسجعه عليها فيحك ثم قال للزوج إن امرأتك أخذت خيلا وتريد أن تفلك فتنام لها حتى
تأمر ذلك فتنام لها فجاءت المرأة بالوسى فظن أنها تريد قتله فقام إليها فقتلها فجاء أهل المرأة فقتلوا
الزوج ووقع القتال بين القبطيين ، فسل الله حسن التوفيق .

(الآفة السابعة عشرة)

كلام ذي السانين الذى يتردد بين المتعادين ويحكم كل واحد منهما بكلام يوافقهما وفقا غلونه
من يشاهد متعادين وذلك عين التفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة » (١) وقال أبو هريرة قال رسول الله

(الآفة السابعة عشرة : كلام ذي السانين)

(١) حديث عمار بن ياسر : من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة ، البخارى
في كتاب الأدب الفرد وأبو داود بسند حسن

السواك اليابس بالما
ويستاك عرضا وطولا
فان اتصر فمرضا فاذا
فرغ من السواك ينسله
ويجلس لا وضوء
والأولى أن يكون
مستقبل القبلة ويستند
بمس الله الرحمن الرحيم
ويقول سرب أعوذ بك
من هزات الشياطين
وأعوذ بك رب أن
يحضروني ويقول عند
غسل اليد : اللهم إني
أسألك الجن والبركة
وأعوذ بك من الشؤم
والهامة ويقول عند
الضمضة : اللهم صل
على محمد وعلى آل
محمد وأعني على تلاوة
كتابك وكثرة الذكر
لك ويقول عند
الاستنشاق : اللهم صل
على محمد وعلى آل
محمد وأرحمني راحة

صلى الله عليه وسلم « تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بعديت وهؤلاء بعديت (١) » وفى لفظ آخر « الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » وقال أبو هريرة لا ينبئنى لدى الوجهين أن يكون أمنا عند الله ، وقال مالك بن دينار قرأت فى التوراة بطلت الأمانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين وقال صلى الله عليه وسلم « أبغض خلقه إلى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكفرون البضلاء خواتهم فى صدورهم فاذا لقوا قومهم تلقوا لهم والدن إذا دعوا إلى الله ورسوله كانوا بطلاء » وإذا دعوا إلى الشيطان وأمره كانوا سراعا (٢) » وقال ابن مسعود لا يكون أحدكم إمعة قالوا وما الإمعة ؟ قال الذى يجرى مع كل ربح وافتقوا على أن ملاقة الاثنين بوجهين ثفاق وللثفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها وقد روى أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال له عمر : يموت رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تصل عليه فقال يأمرى المؤمنين إنه منهم قال نعدتكم الله أنا منهم أم لا ؟ قال اللهم لا ولا تؤمن منها أحدا بعدك . فان قلت بمساذا صير الرجل ذا لسانين وما حد ذلك ؟ فأقول إذا دخل على متعادين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن مناققا ولا ذا لسانين فان الواحد قد يصادق متعادين ولكن صداقة ضيقة لا تنتهى إلى حد الآخرة إذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الأعداء كما ذكرنا فى كتاب آداب الصبغة والآخرة ، ثم لو قل كلام كل واحد منهما إلى الآخر فهو ذو لسانين وهو شر من الخيعة إذ يصير نعاما بأن ينقل من أحد الجانبين فقط فاذا قل من الجانبين فهو شر من النمام وإن لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعادة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك إذا دعوا كل واحد منهما بأن ينمره وكذلك إذا أتى على كل واحد منهما فى معاداته وكذلك إذا أتى على أحدهما وكان إذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبئى أن يسكت أو يثنى على الحق من المتعادين ويثنى عليه فى غيبته وفى حضوره وبين يدي عدوه ، قول لابن عمر رضى الله عنهما : إنا ندخل على أمرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره ، قال كنا نعد هذا ثقاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وهذا ثفاق مهم كان مستغنيا عن الدخول على الأمير وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن إذا دخل تخاف إن لم يثنى فهو ثفاق لأنه الذى أحوج نفسه إلى ذلك فان كان مستغنيا عن الدخول لو وقع بالقليل وترك المال والجاء فدخل لضرورة الجاء والثنى وأثنى فهو مناقق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم « حب المال والجاء يثبتان الثفاق فى القلب كما يثبت الساء البقل (٤) » لأنه ينجح إلى الأمراء وإلى مراعاتهم ومرا آتهم فاما إذا ابتلى به لضرورة وخاف إن يثنى فهو معذور فان انتفاء الشر حازل قال أبو الدرداء رضى الله عنه إنا لنكسر فى وجوه أقوام وإن قولنا لنكسرهم

(١) حديث أبي هريرة : تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الحديث متفق عليه بلفظ تجد من شر الناس لفظ البخارى وهو عند ابن أبى الدنيا بلفظ المصنف (٢) حديث أبغض خلقه الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكفرون البضلاء خواتهم فى صدورهم فاذا لقوا قومهم تلقوا لهم الحديث لم أقف له على أصل (٣) حديث قيل لابن عمر إنا ندخل على أمرائنا . فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره قال كنا نعد ذلك ثفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الطبرانى من طرق (٤) حديث حب الجاء والمال يثبتان الثفاق فى القلب كما يثبت الساء البقل أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضيف إلا أنه قال حب الثناء وقال المشب مكان البقل .

الجنة وأنت على راض
ويقول عند الاستئثار:
اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد وأعوذ
بك من روائح النار
وسوء الدار ، ويقول
عند غسل الوجه: اللهم
صل على محمد وعلى
آل محمد ويغن
وجهى يوم تبيض
وجوه أوليائك
ولا تسود وجهى يوم
تسود وجوه أعدائك،
وعند غسل العين :
اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد وأنت كتابى
يعينى وحاسبى حسابا
يسرا ، وعند غسل
التال : اللهم إني أعوذ
بك أن تؤثني كتابى
بنال أو من وراء
ظهري ، وعند مسح
الرأس : اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد

وذلك عائشة رضى الله عنها « استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتذنوا له فبش رجل المشيرة هو ثم لما دخل ألان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم أنت له القول فقال بعائشة إن شر الناس الذى يكرم انقاء شره ^(١) » ولكن هذا ورد فى الإقبال وفى الكسبر والتبسم فأما التناء فهو كذب صراح ولا يجوز إلا لضرورة أو إكراه يباح الكذب بمثله كما ذكرناه فى آفة الكذب بل لا يجوز التناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس فى معرض التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل يفتنى أن ينكر فان لم يقدر فيكبت لسانه وينكر قبله.

(الآفة الثامنة عشرة للدخ)

وهو منهى عنه فى بعض اللوائح ، أما الدم فهو التنية والوقية وقد ذكرنا حكمها والمدح بدخه ست آفات أربع فى السامح واثنان فى المدوح . فأما السامح : فالأولى أنه قد يفرط فيفتنى به إلى الكذب قال خالد بن معدان من مدح إماما أو أحدا بما ليس فيه على رءوس الأشهاد بشه الله يوم القيامة ينثر بلسانه . الثانية أنه قد بدخه الرياء فانه بالمدح مظهر للجب وقد لا يكون مضمره ولا معتقدا لجميع مايقوله فيصير به مرائسا ناقضا . الثالثة أنه قد يقول ما لا يتحقق ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه ، روى « أن رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام : وبخك قطعت عنك صاحبك لو سمعها ما أطلع ثم قال إن كان أحدمك لابد مادما أخاه قليلا حسب فلا يوالا أزعجك على الله أحدا حسبه الله إن كان يرى أنه كذلك ^(٢) » وهذه الآفة تنطبق إلى الدنيا والأوصاف للطلقة التي تعرف بالأدلة كقوله إنه متق وورع وزاهد وغير وما يجري مجراهما إذا قال رأيتني صلى بالليل ويتصدق ويحج فهذه أمور مستيقنة ومن ذلك قوله إنه عدل رضا فان ذلك خفى فلا يفتنى أن يحزم القول فيه إلا بعد خبرة باطنة . مع عمر رضى الله عنه رجلا يشي على رجل فقال أسأفرت معه قال لا ، قال أخاطبته فى البايعة والماملة قال لا ، قال فأنت جاره صاحبه ومساؤه قال لا ، وقال والله الذى لا إله إلا هو لأراك تعرفه . الرابعة أنه قد يفرح المدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يغضب إذا مدح الفاسق ^(٣) » وقال الحسن من دعا لظالم يطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله تعالى فى أرضه والظالم الفاسق يفتنى أن يذم لغيره ولا يمدح لغيره . وأما المدوح فيضربه من وجهين : أحدهما أنه يحدث فيه كبرا وإعجابا وها مهلكان قال الحسن رضى الله عنه : كان عمر رضى الله عنه جالسا ومعه الدرة والناس حوله إذ أتى الجارود ابن اللندى فقال لرجل هذا سيد فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال مالى ولك يا أمير المؤمنين قال مالى ولك أما قد سمعنا قال سمعنا أنه قال خشيت أن يغاط قلبك منها شيء فأجبت أن أعاطىء منك . الثانى هو أنه إذا أتى عليه بالخير فربح وبقر ورضى عن نفسه

(١) حديث عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتذنوا له فبش رجل المشيرة فبش رجل المشيرة ، وفيه إن شر الناس الذى يكرم انقاء شره متفق عليه وقد تقدم فى الآفة التى قبلها.

(الآفة الثامنة عشرة للدخ)

(٢) حديث إن رجلا مدح رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وبخك قطعت عنك صاحبك متفق عليه من حديث أبي بكره بحدوه وهو فى الصمت لأن أبى الدنيا بلفظ المصنف

(٣) حديث إن الله يغضب إذا مدح الفاسق ابن أبى الدنيا فى الصمت واليهيق فى الشعب من حديث أنس وفيه أبو خلف خادم أنس ضعيف ورواه أبو يعلى الوصلى وإن عدى بلفظ إذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز العرش قال الذهبي فى اللبزان منكر وقد تقدم فى آداب الكسب .

وغشى رحمتك وأتزل على من ربك وأطلى تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك عرشك ويقول عند منحه الأذنين : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجبني ممن يسمع القول فيتبع أحسنه اللهم آمين منادى الجلسع الأبرار ويقول فى مسح النقي : اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ويقول عند غسل قدمه اليمنى : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وثبت قدمي على الصراط مع أقدام المؤمنين ، ويقول عند اليسرى : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك أن تزل

ومن أعجب نفسه قلّ تشعره وإنما يتشعر للعمل من يرى نفسه مقصرا فأما إذا انطلقت الألسن
بإثاء عليه ظن أنه قد أدرك ولهذا قال عليه السلام « قطعت عنّي صاحبك لو صحبها ما أظنح » وقال
صلى الله عليه وسلم « إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمررت على حلقه موسى وميثا »^(١)
وقال أيضا لمن مدح رجلا « غرت الرجل غرك الله »^(٢) وقال مطرف ما سمعت قطاشة تقول لأمدة
إلا تصغرني إلى غصي وقال زياد بن أبي مسلم ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة إلا تراه إلى الشيطان
ولكن للؤمن رابع فقال ابن المبارك قد صدق كلاما أما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام وأما
ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم « لو شئ رجل إلى رجل بسكين مرهف
كان خيرا له من أن يشئ عليه في وجهه »^(٣) وقال عمر رضي الله عنه للحداد هو القبيح وذلك
لأن للذبح هو الذي يتر عن العمل وللحداد يوجب التور أو لأن للحداد هو اللعج والسب والكبر
وهما مهلكان كالذبح فذلك شبه به فإن سلم للحداد من هذه الآفات في حق السامع والمدح لم يكن
به بأس بل ربما كان مندوبا إليه ولذلك أنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة فقال
« لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالم لرجح »^(٤) وقال في عمر « لو لم أبت لبثت يا عمر »^(٥)
وأى ثناء يزيد على هذا ولكنه صلى الله عليه وسلم قال عن صدق وبصرة وكانوا رضى الله عنهم
أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبرا وعجبا وقنورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر
والتفاخر إذ قال صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم ولا غر »^(٦) أي لست أقول هذا تخافرا
كما يقصده الناس بإثاء على أنفسهم وذلك لأن اتخاذه صلى الله عليه وسلم كان بالله وبالقرب من
الله لا بولده أو بتقدمه عليهم كأن التبول عند الملك قولاً عظيماً إنما ينتخر بقبوله إياه وبغيره
لا يتقدم على بعض رعاياه وتفضيل هذه الآفات تحذر على الجمع بين ذمّ للحداد وبين الحديث عليه قال
صلى الله عليه وسلم « وجبت »^(٧) لما أثنوا على بعض اللوى وقال مجاهد إن لبي أبى آدم جلساء من
للالسكة فإذا ذكر الرجل للسل أخاه للسل غير قالت للالسكة ولك بنته وإذا ذكره يسوء قالت
للالسكة يا ابن آدم للسنور عورتك أربع على نفسك واحمد الله الذي ستر عورتك فهذه آفات المدح .

(بيان ما على المدوح)

اعلم أن على المدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة التور ولا ينجونه
إلا بأن يعرف نفسه ويتأمل ما في خطر الحفاة ودقائق الرياء وآفات الأعمال فإنه يعرف من نفسه
مالا يعرفه السامع ولو اكتشف له جميع أسراره وما يجري على خاطره لكف السامع عن مدحه وعليه
(١) حديث إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمررت على حلقه موسى وميثا ابن المبارك في الزهد
والرقائق من رواية يحيى بن جابر مرسل (٢) حديث غرت الرجل غرك الله قاله لمن مدح رجلا
لم أجده له أصلاً (٣) حديث لو شئ رجل إلى رجل بسكين مرهف كان خيراً له من أن يشئ عليه
في وجهه لم أجده أيضاً (٤) حديث لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالم لرجح تقدم في السلم
(٥) حديث لو لم أبت لبثت يا عمر أبو منصور القليل في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة
وهو مسكر والمعروف من حديث عتبة بن عامر لو كان يمدى نبي لكان عمر بن الخطاب يوماً التمدى
وحسنه (٦) حديث أنا سيد ولد آدم ولا غر ، الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري
والحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاستاد وله من حديث عباد بن الصامت : أنا سيد الناس يوم
القيامة ولا غر ، ولمسلم من حديث أبي هريرة : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة (٧) حديث وجبت ، قاله لما أثنوا
على بعض اللوى متفق عليه من حديث أنس .

قدمي عن الصراط يوم
تزل فيم أقدم للناقين .
وإذا فرغ من الوضوء
يرفع رأسه إلى السماء
ويقول : أشهد لا إله
إلا الله وحده لا شريك
له وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله سبحانه
الأمم وبمحمد لا إله
إلا أنت حملت سوما
وظلت نفسي أستغفرك
وأتوب إليك فاغفر لي
وتب علي إنك أنت
التواب الرحيم اللهم
صل على محمد وعلى
آل محمد واجعلني من
التوابين واجعلني من
الطاهرين واجعلني
صبوراً شكوراً واجعلني
أذكرك كثيراً وأبشرك
بكرة وأصليلاً .
وفرائض الوضوء :
التب عند غسل
الوجه . وغسل الوجه

أن يظهر كراهة للبح بإذلال للباح قال صلى الله عليه وسلم « احتوا التراب في وجوهكم لادسين^(١) » وقال سفيان بن عيينة لا يضر^(٢) للبح من عرف نفسه وأثنى على رجل من الصالحين قال الله إن هؤلاء لا يرفونى وأنت تعرفى ، وقال آخر لما أثنى عليه الله إن عبدك هذا قرب إلى عفتك وأنا أشبهك على مفتة . وقال على رضى الله عنه لا أثنى عليه الله أغفر لى ما لا يملون ولا تؤاخذنى بما يقولون واجتنى خيرا مما يظنون . وأثنى رجل على عمر رضى الله عنه قال أنهلكنى وتهلك نفسك وأثنى رجل على كرم الله وجهه فى وجهه وكان قد بلنه أنه يقع فيه فقال أنا دون ماقلت وفوق ما فى نفسك .

(الآفة التاسعة عشرة)

الفلة عن دقائق الخطأ فى لحوى الكلام لاسيافيا يتلقى بالله صفاته ويرتبط بأموال الدين فلا يندرج على تحريم القفط فى أمور الدين إلا الملاء الفصحاء فن قصر فى علم أو صاحب حل كلامه عن الزلل لكن الله تعالى يصف عنه لجهه ، مثاله ما قال حذيفة قال الذى صلى الله عليه وسلم « لا يقل أحدكم ماشاء الله وشئت ولكن ليقل ماشاء الله ثم شئت^(٣) » وذلك لأن فى العطف للطلق تضرى كما توسيق وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس رضى الله عنهما « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه فى بعض الأمور فقال ماشاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم أجعلنى فـه عدلا بل ماشاء الله وحده^(٤) . وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يعطى الله ورسوله فقد رشدا ومن يصعب الله فقد غوى فقال قل : ومن يصعب الله ورسوله فقد غوى^(٥) » فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ومن يصعب الله فقد غوى لأنه تسوية وجمع وكان إبراهيم بكراهة أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك وبجوز أن يقول أعوذ بالله ثم بك وأن يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكراهة بضمهم أن يقال اللهم اغفرنا من النار وكان يقول المتفق يكون بعد الورود وكانوا يستجيبون من النار ويتعذرون من النار وقال رجل لله اللهم اجعلنى ممن تصفيه شفاعته محمد صلى الله عليه وسلم فقال حذيفة إن الله يفتى المؤمنين عن شفاعته محمد ويكون شفاعته للمؤمنين من المسلمين وقال إبراهيم إذا قال الرجل الرجل يا حماد يا خير قيل له يوم القيامة حماد رايتنى خاتمة ، خير رايتنى خلقته وعن ابن عباس رضى الله عنهما : إن أحدكم يشرك حتى يشرك بكاه فيقول لولاه لشرقا الليلة ، وقال عمر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى إنما أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فاذبح بآب أو ليصمت^(٦) » قال عمر رضى الله عنه فوالله ما حلفت بها منذ صغرت ، وقال صلى الله عليه وسلم « لاسموا العنب كراما إنما الكرم الرجل للكرم^(٧) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يقول أحدكم عدى ولا ألقى كلكم عبيد الله وكل نساءكم إماء الله وليل غلامى وجارىتى وتأتى وتأتى ولا يقول المملوك ردى ولا ربهى وليل سيدى وسيدتى فكلكم عبيد الله والرب الله سبحانه وتعالى »

وحد الوجه من مبتداً
تسطح الوجه إلى
منتهى الذقن وما ظهر
من اللحية وما استرسل
منها ومن الأذن إلى
الأذن عرضاً ويدخل فى
التسل الأبيض الذى
بين الأذنين واللحية
وموضع الصلح
وما انحسر عنه الشعر
وهما الزعنجان من الرأس
ويستحب غسلهما مع
الوجه ويوصل للماء
إلى شعر التخذى وهو
القدر الذى يزيله النساء
من الوجه ويوصل
للماء إلى الصنفة
والشارب والحاجب
والفارس وما عدا ذلك
لا يجب ثم اللحية إن
كانت خفيفة يجب
إرسال الماء إلى البثرة
وحد الخفيف أن ترى
البشرة من تحته وإن

(١) حديث احتوا فى وجوه الداحين التراب مسلم من حديث اللقدا .

(الآفة التاسعة عشرة فى الفلة عن دقائق الخطأ)

- (٢) حديث حذيفة لا يقل أحدكم ماشاء الله وشئت الحديث أبو داود والنسائى فى الكبرى بسند صحيح
(٣) حديث ابن عباس جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه فى بعض الأمور قال ماشاء الله وشئت فقال أجعلنى فـه عدلا بل ماشاء الله وحده . النسائى فى الكبرى بإسناد حسن وابن ماجه (٤) حديث خطب رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يعطى الله ورسوله فقد رشدا ومن يصعب الله فقد غوى الحديث مسلم من حديث عدى بن حاتم (٥) حديث عمر إن الله إنما أن تحلفوا بآبائكم متفق عليه (٦) حديث لا اسموا العنب كراما إنما الكرم الرجل للكرم بسند صحيح (٧) حديث لا يقول أحدكم عدى ولا ألقى كلكم عبيد الله وكل نساءكم إماء الله وليل غلامى وجارىتى وتأتى وتأتى ولا يقول المملوك ردى ولا ربهى وليل سيدى وسيدتى فكلكم عبيد الله والرب الله سبحانه وتعالى

وقال صلى الله عليه وسلم «لا تقولوا لفاسق سيدنا فإنه إن يكن سيدكم فقد أسخطكم ربكم» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان صادقا فهو كافا وإن كان كاذبا قلن يرجع إلى الإسلام سالما» (٢) فهذا وأمثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره، ومن تأمل جميع ما أورده من آفات اللسان علم أنه إذا أطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سرّ قوله صلى الله عليه وسلم «من صمت نجما» (٣) لأن هذه الآفات كلها هالك ومعاطب وهي على طريق التلكم فإن سكت سلم من الكل وإن نطق وتكلم خاطر بنفسه إلا أن يوافق لسان فصيح وعلم غزير وروح حافظ ومراقبة لازمة ويخلو من الكلام فضاء يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر فإن كنت لا تتقدم على أن تكون ممن تكلم فتمت فكن ممن سكت فلم فالسلامة إحدى التينيتين .

(الآفة العشرون)

سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وأنها قديمة أو محدثة ومن قهّم الاشتغال بالعمل بما في القرآن إلا أن ذلك تجل على النفوس والنفوس خفيف على القلب والعالم يترجم بالحروف في العلم إذ الشيطان يخيل إليه أنك من العلماء وأهل الفضل ولا يزال يحجب إليه ذلك حتى يتكلم في العلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العالم فهي أسلم له من أن يتكلم في العلم لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته وإنما شأن العوام الاشتغال بالمباديات والایمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالمباديات سوء أدب منهم يستحقون به المقت من الله عز وجل ويترتب من خطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن أسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فإنه بالإضافة إليه عالم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «ذروني ما تركتكم فاتمها هلك من كان بكم بكم تسؤلهم وأختلأ بهم على أنبيائهم ما يتبعكم عنه فاجنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعمتم» (٤) وقال أنس «سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فكثروا عليه وأغضبوه فصعد النبر وقال سلوني ولا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به فقام إليه رجل فقال يا رسول الله من أبي فقال أبوك حذافة فقام إليه شابان أخوان فقالا يا رسول الله من أبونا فقال أبوكا الذي تدعيان إليه ثم قام إليه رجل آخر فقال يا رسول الله أفي الجنة أنا في النار فقال لا بل في النار فقال لابل في النار ففأمرى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسكوا فقام إليه عمر رضى الله عنه فقال رضىنا بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فقال اجلس يا عمر رحك الله إنك ما علمت لوقى (٥) وفي الحديث «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال وإضاعة المال وكثرة السؤال» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «يوشك

(١) حديث لا تقولوا للنافق سيدنا الحديث أبو داود من حديث بريدة بسند صحيح (٢) حديث من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان صادقا فهو كافا والحديث النسائي وابن ماجه من حديث بريدة بإسناد صحيح (٣) حديث من صمت نجما الترمذي وقد تقدم في أول آفات اللسان .

(الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى)

(٤) حديث ذروني ما تركتكم فاتمها هلك من كان بكم بكم يسؤلهم الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فكثروا عليه وأغضبوه فصعد النبر فقال سلوني ولا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به الحديث متفق عليه مقتصر على سؤال عبد الله ابن حذافة وقول عمر . ولمسلم من حديث أبي موسى فقام آخر فقال من أبي فقال «يوشك ما ملأ مولى شية» (٦) حديث النهي عن قيل والقال وإضاعة المال وكثرة السؤال متفق عليه من حديث القصة بن شعبة .

كانت كشيعة فلا يجب
ويجهد في تنقية مجتمع
الكحل من مقدم
العين . الواجب الثالث:
غسل الدين إلى
المرتقين ويجب إدخال
المرتقين في الفصل
ويستحب غسلها إلى
أنصاف الضعدين ،
وانطالات الأظفار حتى
خرجت من ردوس
الأصابع يجب غسل
ماغتها على الأصح .
الواجب الرابع: مسح
الرأس ويكتفى ما يطلق
عليه اسم المسح
واستيعاب الرأس
بالمسح سنة وهو أن
يلصق رأس أصابع
اليمنى باليسرى
ويضعهما على مقدم
الرأس ويعدّهما إلى القفا
ثم يردّهما إلى الوضع
الذي بدأ منه وينصف

الناس يتساءلون حتى يقولوا قد خلق الله الخلق فمن خلق الله فإذا قالوا ذلك قفوا - قل هو الله أحد الله الصمد - حتى تخموا السورة ثم لينفل أحدكم عن يساره ثلاثا وليستد بالله من الشيطان الرجيم (١) وقال جابر: ما زالت آية الثلاثين إلا للكرة السؤال (٢). وفي قصة موسى والحضر عليهما السلام تنبيه على اللعن من السؤال قبل أو أن استحقاقه إذ قال - فإن اتبعتي فلأتأسئي عن شيء - حتى أحدث لك منه ذكرا - فلما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر وقال - لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا - فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال - هذا فراق بيني وبينك - وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهو من الكبريات للفقن فيجب قمعهم ومنهم من ذلك وخوضهم في حروف القرآن يضاهي حال من كتب الملك إليه كتابا ورسم له فيه أموراً فلم يشتغل بشيء منها وضيع زمانه في أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث فاستحق بذلك العقوبة لاهالة فكذلك تشجيع العاصي حدود القرآن واشتغاله بحروفه أحمى قديعة أم حديث وكذلك سائر صفات الله سبحانه وتعالى ، والله تعالى أعلم .

﴿ كتاب ذم الضب والمقد والحسد ﴾

(وهو الكتاب الخامس من ربيع للسلكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد الذي لا يشك على عفوهِ ورحمته إلا الراجون ، ولا يحذر سوء غيبهِ وسطوته إلا الخائفون ، الذي استدرج عباده من حيث لا يملكون ، وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشعرون ، وابتلاهم بالضب وكلفهم كظم الغيظ فبما ينضون ، ثم فقههم بالمكاره والذات وأمل لهم لينظر كيف يعملون ، وامتنح به حجب يعلم صدقهم فيما يدعون ، وعرفهم أنه لا يخفى عليه شيء مما يسرون وما يعلنون ، وحذرهم أن يأخذهم بفتنهم لا يشعرون ، وقال - ما ينظرون إلا الصيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون - والصلاة والسلام على محمد رسوله الذي يسر تحت لوائه النبيون ، وعلى آله وأصحابه الأئمة للهديين ، والسادة للرضيين ، صلاة يوازي عددها عدداً كان من خلق الله وما سيكون ، ويحظى بركتها الأولون والآخرون ، وسلم تسليماً كثيراً .

[أما بعد] فإن الضب شعلة نار اقتبست من نار الله للوقدة التي تطلع على الأئمة ، وإلهام المستكة في طيئ النواذ ، استكانت الجمر تحت الرماد ، وبستخرجها الكبر الدفين في قلب كل جبار عنيد كاستخراج الحجر النار من الحديد ، وقد انكشف للتأطرين بؤر البقين ، أن الإنسان يزع منه عرق إلى الشيطان العين ، فمن استفزه نار الضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال - خلقتي من نار وخلقته من طين - فإن شأن الطين السكون والوقار وشأن النار التلظى والاستعار ، والحركة والاضطراب ، ومن تأنج الضب المقدد والحسد ، وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومفيضهما مضقة إذا صلت صلب معها سائر الجسد وإذا كان المقدد والحسد والضب ، مما يسوق البعد إلى مواطن العطب ، فلما حوجه إلى معرفة معاطبه ومساوئه ليحذر ذلك ويتقيه ، ويميطه عن القلب إن كان وبنيته ، ويماجله إن رسخ في قلبه ويادويه ، فإن

جل الكفبين مستقبلا
ومستندرا . والواجب
الحامس : غسل القدمين
ويجب إدخال الكمين
في القسل ويستحب
غسلهما إلى أنصاف
الساقين ويقتن غسل
القدمين من الكمين
ويجب تغذيل الأصابع
للشفة فيخلل بخصم
يده اليسرى من اطن
القدم ويبدأ بخصم
رجله اليمنى ويغشم
بخصم اليسرى وإن
كان في الرجل شقوق
يجب لمصالح الماء إلى
باطنها وإن ترك فيها
عجينا أو شحما يجب
إزالة عين ذلك الشيء .
الواجب . السادس :
الترتيب على النسق
للكور في كلام الله
تعالى . والواجب السابع :
التتابع في القول القديم

(١) حديث يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا قد خلق الله الخلق الخالح الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٢) حديث جابر ما زالت آية الثلاثين إلا للكرة السؤال رواه البراء بن عازب

﴿ كتاب الضب والمقد والحسد ﴾

من لا يعرف السر يقع فيه . ومن عرفه فالمرءة لاستكفي . ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع السر
وضعيه . ونحن نذكر كم النضب وآفات الحفد والحسد في هذا الكتاب وجميعها هي من النضب ثم
يان حقيقة النضب ثم يان أن النضب هل يمكن إزالة أصله بالراحة أم لا ثم يان الأسباب للوجبة
النضب ثم يان علاج النضب بعد هيجانه ثم يان ضربة كظم اللين ثم يان ضربة الحزن ثم يان القدر
الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحفد وشأنه وضربة الغفوة والرفق ثم
القول في دم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وظافة الواجب في إزالته ثم يان السبب في كثرة الحسد
بين الأمثال والأقران والإخوة وبين المم والأقارب وتأكدوه وقتله في غيرهم وصفه ثم يان الدواء الذي
به ينفي مرض الحسد عن القلب ثم يان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب وبالله التوفيق .

(یمان فم الغضب)

قال الله تعالى - إذ جعل الدين كدوا في نالهم الحجة حجة الجاهلة فأزل الله سببته على رسول
 وعلى المؤمنين - الآية . ثم الكفار بما ظاهروا به من الحجة الصادرة عن النبي الباطل ومنع المؤمنين
 بما أزل الله عليهم من السبكة وروى أبو هريرة أن رجلا قال « يا رسول الله من يسمي وأقل قال
 لا تنضب ثم أعاد عليه قال لا تنضب ^(١) » وقال ابن عمر « قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قلني
 قولاً وأقله لعل أعفاه قال لا تنضب فأعدت عليه مرتين كل ذلك رجع إلى لا تنضب ^(٢) » وعن عبد الله
 ابن عمرو « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يفتن من غضب الله قال لا تنضب ^(٣) » وقال
 ابن مسعود قال النبي ﷺ « ما تدعون الصبره فيكم قلنا الذي لا صبره الرجال قال ليس ذلك
 ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب ^(٤) » وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد
 بالصبره وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ^(٥) » وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم
 « من كف غضبه ستر الله عورته ^(٦) » وقال سلمان بن داود عليها السلام : يا بني إياك وكثرة
 الغضب فان كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم . وعن عكرمة في قوله تعالى الوسيد وحسورا
 قال السيد الذي لا يغلبه الغضب . وقال أبو الدرداء « قلت يا رسول الله دلي على عمل بدخل الجنة قال
 لا غضب ^(٧) » وقال يحيى لميسر عليها السلام لا تنضب قال لا تستطيع أن لا تغضب إنما أنا بشر قال
 لا تغضب مالا قال هذا عسى وقال صلى الله عليه وسلم « الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العمل ^(٨) »
 وقال صلى الله عليه وسلم « ما غضب أحد إلا أخطأ على جهنم ^(٩) » وقال له رجل « أي شيء أئبد

(١) حديث أبي هريرة إن رجلاً قال لرسول الله مرني بعمل وأقول قال لا تضرب ثم أعاد عليه فقال لا تضرب رواه البخاري (٢) حديث ابن عمر قلت لرسول الله ﷺ قل لي قولاً وأقول الحديث نحوه أبو يعلى بإسناد حسن (٣) حديث عبد الله بن عمرو سألت رجلاً رسول الله ﷺ الله عليه وسلم ما يعينني من غضب الله قال لا تضرب الطبراني في معارج الأخلاق وابن عبد البر في التيجان بإسناد حسن وهو عند أحمد وإن عبد الله بن عمرو هو السائل (٤) حديث ابن مسعود ماتحدثون بالصراعة الحديث رواه مسلم (٥) حديث أبي هريرة وليس الشديد بالصرعة الحديث متفق عليه (٦) حديث ابن عمر من كف غضبه ستر الله عورته ابن أبي الدنيا في كتاب الغفوة وذم الغضب وفي الصمت وقدم في آفات اللسان (٧) حديث أبي البرداء حدثني رجل يدخلني الجنة قال لا تضرب إن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والأوسط بإسناد حسن (٨) حديث الغضب يغضب الأيمان قال يغضب الرجل الغضب الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من رواية جهم بن حكيم عن أبيه عن جده بسند ضعيف (٩) حديث مغضباً أحد إلا أغشى لي جهنم الزائر وابن عدي من حديث ابن عباس فنار باب لا يدخله إلا من شفي غيظه عصية

عند الشافعي رحمه الله
تعالى وحدثنا الفريق الذي
يقطع التابع نصف
العضو مع اعتدال
الهواء .

[وسنن الوضوء ثلاثة
عشر]

النسبة في أول
الطهارة . وغسل
البدن إلى الكوعين
والضمة والاستنشق
وبالباقة فيها فيغفر
في الضمة حتى يرد
الساه إلى العاصمة
ويستند إلى الاستنشق
الساه بالنفس إلى
الحياشم ويرقى في
ذلك إن كان صاحبها
وتخليل اللحية الكتلة
وتخليل الأمانع
التفرجة والبسادة
باليامن وإطالة الفرة
واستيعاب الرأس
بالمس ومس الأذنين

قال غضب الله قال لما يمدني عن غضب الله قال لا تغضب (١) . الآثار : قال الحسن : يا ابن آدم كما غضبت وثبت ووشك أن تشب وربة فتقع في النار وعن ذي القرنين أنه لقي ملكا من الملائكة قال عني علما أرزاد به إيماناً وثيقنا قال لا تغضب فإن الشيطان أقدر مايكون على ابن آدم حين يغضب فرد الله - بالكظم وسكنه بالثؤدة وإياك والرجلة فانك إذا عملت أخطأت حظك ولكن سهلاً لنا للقريب والبيد ولا تكن جباراً عبداً وعن وهب بن منبه أن راهباً كان في صومته فأراد الشيطان أن يضلّه فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال له اقنع فلم يجبه فقال اقنع فإني ذبحت نعمت فلم يلقث إليه فقال إني أنا السبع قال راهب وإن كنت السبع فما صنع بك أليس تدامرتاً بالعبادة والاجتماع ووعدتا القيامة فلو جثنا اليوم بغيرة لم قبله منك قال إني الشيطان وقد أردت أن أملكك فلم أستطع فجئت لتأسني عما شئت فأخبرك فقال ما أريد أن أسألك عن شيء قال فولي مدراً فقال راهب ألا تسلم قال بلى قال أخبرني أي أخلاق بني آدم أعون لك عليهم قال الحدة إن الرجل إذا كان حديداً فقلبتا كأي قلب السيان السكره وقال خيصة الشيطان يقول كيف يظلي ابن آدم وإذا رضى جث حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرحت حتى أكون في رأسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الأنصار رأيت الجن الحدة وقائده الغضب ومن رضى بالجهل استغنى عن العلم والهمز ومنعته بالجهل عين ومضرة والسكرت عن جواب الأحمق جوابه . وقال مجاهد قال إبليس ما أعجزني بؤكدم فلم يجزوني في ثلاث : إذا سكر أعدم أخذنا عجزاً عنه حيث شئنا وعمل لنا بما أحبينا وإذا غضب قال بما لا يبرح عمل بما يندم ونبله بما في يديه ونغته بما لا يقدر عليه قيل لحكم مالك فلا تفسد قال إذا لاذته الشهوة ولا يصبره الهوى ولا يخلي الغضب وقال بعضهم إياك والغضب فانه يصيرك إلى ذلالة الاعتذار وقيل انقوا الغضب فانه يغسد الإيمان كما يغسد الصبر السمل . وقال عبد الله بن مسعود انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه وأمانته عند طمعه وما عليك محله إذا لم يغضب وما عليك بأمانته إذا لم يطعم وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله أن لا تعاقب عند غضبك وإذا غضبت على رجل فاحبسه فإذا سكر غضبك فأخرجه فماتيه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطاً وقال علي بن زيد أغفل رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فأطرق عمر زماناً طويلاً ثم قال أردت أن يستغفرني الشيطان بجز السلطان فأقال منك اليوم مائتاته مني غداً وقال بعضهم لا يهني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحى في التناير السجورة فأقل الناس غضباً أعقلهم فإن كان للدنيا كان دهاء ومكراً وإن كان للأخرة كان حلاً وعلاً فقد قبل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر رضي الله عنه إذا خطب قال في خطبته أفلح منكم من حفظ من الطعام والهوى والغضب وقال بعضهم من أطاع شهوته وغضبه قاداه إلى النار وقال الحسن من علامات السلم قوة في دين وحزم في دين وإيمان في دين وعلم في حلم وكيس في رفق وإعطاء في حق وقصد في غنى وتعمل لذة فتوة وإحسان في نة ردة وتحمل في رفاة وصبر في شدة لا يظليه الغضب ولا يجمع به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تنفضه بطمه ولا يستخفه حرصه ولا تنقص به نيته فينصر الظلوم ويرحم الضعيف ولا يخل ولا يذروا لاسرف ولا يقرضوا لظلم ويصون عن الجاهل نفسه منه في عناه والثام منه في رخاء وقبل لبد الله بن المبارك أجل ناحسن الحلق في كلمة قال ترك الغضب وقال نبي من الأنبياء لمن تبعه من يشكّل في أن لا يغضب فيكون الله وإسناده ضعيف وتقدم في آفات اللسان (١) حديث قال رجل أي شيء أشد على قال غضب الله قال لما يمدني من غضب الله قال لا تغضب أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالشرط الأخير منه وقد تقدم قبله بست أحاديث .

والثلاث ، وفي القول الجسد المتابع ويحجب أن يزيد على الثلاث ولا يفيض اليد ولا يشككم في أثناء الوضوء ولا يظلم وجهه بالماء لطفاً وتعديب الوضوء مستحب بشرط أن يصلى بالوضوء مائيسر وإلا فمكروه .

[الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الخصوص والصوفية في الوضوء]
آداب الصوفية بعد القيام بمعرفة الأحكام أدهم في الوضوء حضور القلب في غسل الأعضاء . سمعت بعض الصالحين يقول إذا حضر القلب في الوضوء يحضر في الصلاة وإذا دخل السهو فيه دخلت

مضى في درجتي ويكون بسدى خليقي فقال شاب من القوم أنا ثم أعاد عليه فقال الشاب أنا أوفى به
فلم مات كان في منزله بهد وهو ذوالكفل مضى به لأنه تسكفل بالنضب ووفى به وقال وهب بن
منه لكفر أربعة أركان : النضب ، والشهوة والخرق ، والطعم .

(بيان حقيقة النضب)

اعلم أن الله تعالى لما خلق الحيوان مَرَضًا لفساد اللواتن بأسباب في داخل بدنه وأسباب خارجة عنه
أنهم عليه بما يحمله عن الفساد ويدفع عنه الهلاك إلى أجل معلوم سماه في كتابه . أما السبب الداخل
فهو أنه ركه من الحرارة والرطوبة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة
تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير أجزاءها بخارًا يتصاعد منها فلولم يصل بالرطوبة مقدم من
التغذية مجرمًا لتحلل وتبخر من أجزاءها لفسد الحيوان خلق الله الغذاء الوافق لبدن الحيوان وخلق
في الحيوان شهوة تته على تناول الغذاء كالكلب به في خير ما تنكسر وسد ما تنكسر ليكون ذلك حافظًا له
من الهلاك بهذا السبب . وأما الأسباب الخارجة التي يتعرض لها الإنسان فكالسيف والسنان وسائر
الهلكات التي يقصد بها فاختار إلى قوة وحية شور من باطنه فتدفع للهلكات عنه خلق الله طبيعة
النضب من النار وغرزها في الإنسان ومجها بطيئته فيها صد عن غرض من أغراضه ومقصوده من
مقاصده اشتملت نار النضب وفارت ثورانها بخلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرفع إلى أعلى
البدن كما ترتفع النار وكما يرفع الماء الذي يغلي في القدر فذلك ينصب إلى الوجه فيحمر الوجه
والعين والبشرة لصفائها تحكي لون ماوراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وإعسا ينسبط
الدم إذا غضب على من دونه واستثمر القدرة عليه فان صدر النضب على من فوقه وكان معه بأس
من الانتقام تولد منه ابتياض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون
وإن كان النضب على نظير يشك فيه تردد الدم بين ابتياض وانسباط فيحمر ويصفر ويضطرب
وبالجملة قوة النضب عليها القلب ومعناها غليان دم القلب بطاب الانتقام وإعسا توجه هذه القوة عند
ثورانها إلى دفع المؤذات قبل وقوعها وإلى التثني والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة
وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن إلا به ثم إن الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في أولها الفطرة من
التفريط والإفراط والاعتدال . أما التفريط فيفقد هذه القوة أضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال
فيه إنه لاجبة له ولذلك قال الشاعر رحمه الله سبحانه أصحاب النبي ﷺ بالشدة والحمية فقال أشدنا على الكفار
رحماء بينهم - وقال لبيبة صلى الله عليه وسلم جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم - الآية وإنما الغلبة
والثبته من آثار قوة الحمية وهو النضب . وأما الإفراط فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة
القلل والدين وطاعة ولا يبق للره معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير في صورة الضطر
وسبب غلبته أمور غريزية وأمور اعتيادية قرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة النضب حتى كأن
صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لأن النضب من النار (١) قال
صلى الله عليه وسلم وإنما برودة الزواج تطفئه وتكسره صورته . وأما الأسباب الاعتيادية فهو
أن يخالف قوما يتجسسون بتشتي التفتظ وطاعة النضب ويسمون ذلك شجاعا عورجولية يقول الواحد
منهم أنا الذي لأسير على للكر والمال ولاأحتمل من أحد أمرا ومناة لاأقل في ولاحلم ثم يذكره

(١) حديث النضب من النار الترمذي من حديث أبي سعيد بسند ضعيف النضب حمرة في قلب إن
آدم ولأبي داود من حديث عطية السعدي أن النضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار .

الوسوسة في الصلاة
ومن آدابهم استدامة
الوضوء والوضوء سلاح
الزمن والجوارح إذا
كانت في حماية الوضوء
التي هو أثر شر محيى يقل
طروق الشيطان عليها .
قال عدى بن حاتم
ما أقيمت صلاة منذ
أسلمت إلا وأنا على
وضوء . وقال أنس
ابن مالك « قدم النبي
عليه الصلاة والسلام
للدينة وأنا يومئذ
ابن ثمان سنين فقال
لي : يا بني إن استطعت
أن لا تزال على الطهارة
فأفضل فانه من أتاه
الوث وهو على الوضوء
أعطى الشهادة فثأن
العاقل أن يكون أبدا
مستمدا للوث ومن
الاستعداد لزوم الطهارة
وحكى عن الحصري

في معرض الفخر بجهله فمن سمعه رشح في نفسه حسن الضرب وحب التثب بالقوم فيقوى به الضرب ومهما اشتدت نار الضرب وقوى اضطرابها أعمت صاحبها وأستعت عن كل موعظة فإذا عظم يسمع بل زاده ذلك غضبا وإذا استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدّر إذ ينطق «نور القلب» بمعنى في الحال بدخان الضرب فإن معدن الفكر الدماغ يتصاعد عند شدة الضرب من قلبان دم القلب دخان مظهر إلى الدماغ يستولى على معدن الفكر وربما يندى إلى غمادن الحسن فتظلم عنه حتى لا يرى بينه وتودد عليه الدنيا بأسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضطربت فيه نار فأسود وجوه وحس مستغرة

وامتلاء بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضيف فاعمى أو انطفأ نور ففلا تيق فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا يرى فيه صورة ولا يقدر على إطفائه لامن داخل ولامن خارج بل يضيئ أن يصير إلى أن يحترق جميع ما يتبل الاحتراق فكذلك يفعل الضرب بالقلب والدماغ وربما يقوى نار الضرب فتنفث الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار في الكهف فينشق وتهدأ عليه على أسفله وذلك لا يظال النار مافي جوانبه من القوة للمسكة الجامعة لأجزائه فكذلك حال القلب عند الضرب وبالحنيفة فلسفية في ملتطم الأمواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر أحسن حالا وأرجى سلامة من النفس المضطربة غيظا إذ في السنين من محال لتسكينها وتديرها ونظرها ويسوسها وأما القلب فهو صاحب السنية وقد سقطت حيلته إذا عمى الضرب وأصم من آثاره هذا الضرب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الأطراف وخروج الأضداد عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الأضداد وتغير الأحداق وتتقلب للناشر وتستحيل الحلقة ولورأى الضربان في حالة

غضبه تبع صورته لسن غضبه حياه من تبع صورته واستحالة خلقته وتبع طبعه أعظم من تبع ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وإعاقبت صورة الباطن أولًا ثم انتشر فيها إلى الظاهر ثانياً فبغير الظاهر ثمرة تغير الباطن نفس الثمرة بالثمرة فهذا أثره في الجسد . وأما أثره في الفسان فانطلاقاً بالشم والفحش من الكلام الذي يستحي منه ذوالفعل ويستحي منه فاعله عند خور الضرب وذلك مع تخطيط النظم واضطراب اللفظ وأما أثره على الأعضاء فالضرب والهجم والتعزيق والقتل والجرح عند التحسك من غير مبالاة فإن هرب منه للضوب عليه أوفاته بسبب وهجز عن التشنج رجع الضرب على صاحبه فزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد ضرب يده على الأرض ويدعو عدو الواله السكان والدهوش والتعير وربما يسقط سريعا لا يطيق العدو والهوش بسبب شدة الضرب ويحترق مثل الفشة وربما يضرب الجذات والحيوانات فيضرب القصعة مثلا على الأرض وقد يكسر السائمة إذا غضب عليها ويتماطى أفعال المجانين فيشم البريمة والجمادات ويخطأها ويقول إن متى منك هذا يا كيت وكيت كأنه يخاطب عاقلا حتى ربما رفسته دابة فيزق الدابة ويقابلها بذلك . وأما أثره في القلب مع للضوب عليه فالخقد والحسد وإضيار السوء والشجاعة ناسا آت والحن بالسرور والعزم على إفشاء السرو هتك السر والاستنزاء وغير ذلك من القبايح فهذه ثمرة الضرب للفرط وأما ثمرت الحجة الضعيفة قلة الألفة مما يؤثف منه من التعرض للحرم والزوجة والأمة وأحوال الذل من الأخصاء وصغر النفس والقماء وهو أيضا مذموم إذ من ثمراته عدم الثيرة على الحرم وهو خوثة قال صلى الله عليه وسلم «إن سعدا ثبور وأنا غير من سعد وإن الله أغبر مني» (١) وإنما خلقت الثيرة لحفظ الأنساب ولو تسامح الناس بذلك لا خلطت الأنساب ولذلك قيل كل أمقوضت الثيرة

(١) حدث إن سعدا ثبور الحديث مسلم من حديث ابن هرة وهو متفق عليه من حديث الثيرة

ينحوه وتقدم في التسكاح

أنه قال مهما أتيتم من الليل لا يحملن النوم إلا بسد ما أقوم وأجدد الرضوء مثلا يسود إلى النوم وأنا على غير طهارة وصحت من صحت الشيخ على بن الهيثمي أنه كان يقدم الليل جمعه فان غلبه النوم يكون قاعدا كذلك وكما اتبعه يقول لا أكون سأت الأدب فيقوم ويجدد الرضوء ويصلى ركعتين . وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال عند صلاة العجر «يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فاني سمعتك تدعى تعليك بين يدي في الجنة» قال ما عملت عملا في الإسلام

في رجليها وضمت الصانعة في نساها ومن ضف الغضب الحور والسكوت عند مشاهدة تلك الكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم « خير أمتي أحداؤها »^(١) يعني في الدين وقال تعالى - ولا تأخذاكم بهما آفاق دين الله - بل من قد الغضب هجز عن رياضة نفسه إذ لاتهم الرياضة إلا بشغل الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الليل إلى الشهوات الخسيسة فتفقد الغضب مذموم وإعماها فهو غضب ينتظر إشارة العقل والدين فينبعث حيث يحب الحمية وينطق حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « خير الأمور أوسطها »^(٢) فمن مال غضبه إلى القنور حتى أحس من نفسه بضعف القنور وخسة النفس في احتال الدل والبهم في غير محله فينبغي أن يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه إلى الانراط حتى جره إلى التهور واتقام الفواحش فينبغي أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويغف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو أرق من الشعرة وأحسن من السيف فان هجز عنه فليطلب القرب منه قال تعالى - ولئن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تبالوا كل الليل فتذروها كالمعلقة - فليس كل من هجز عن الاثيان بالخير كله ينبغي أن يأتي بالشر كله ولكن بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته نسأل الله حسن التوفيق لما يرزقه إنه على ما يشاء قدير .

(بيان الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا)

اعلم أنه ظن ظانون أنه يتصور محو الغضب بالكيفية وزعموا أن الرياضة إليه توجه وإياه تصدقظن آخرون أنه أصل لا يقبل العلاج وهذا رأي من يظن أن الخلق كالحلق وكلاهما لا يقبل التغير ولا الرأي ضعيف بل الحق فيه ماند كره وهو أنه ما بين الإنسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يغلو من القبط والغضب ومادام يوافق شيء وغالبه آخر فلا بد من أن يحب ما يوافق ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما أخذ منه محبوبه غضب لا محالة وإذا قصد يكرهه غضب لا محالة إلا أن ما يحبه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام : الأول ما هو ضرورة في حق الكافة كالقوت والسكن واللبس ومحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وأن يغضب وكذلك إذا أخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك إذا أخرج من داره التي هي مسكنه أو أريق ماؤه الذي لمطشه فيهذه ضرورات لا يغلو الإنسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها . القسم الثاني ما ليس ضروريا لأحد من الخلق كالجاء والمال الكثير والفلان والدواب فان هذه الأمور صارت محبوبة بالعادة والميل بغاقد الأمور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في أنفسهما فيكثران يغضب على من يسرقهما وإن كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصور أن يفك الإنسان عن أصل القبط عليه فإذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز أن لا يغضب إذ يجوز أن يكون بسيرا بأمر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها فانه لا يحب وجودها ولو أحب وجودها لغضب على الضرورة بأخذها وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجامد الميت والصدرفي المجالس وللباهة في العلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب إذا زاحم من أحمل التصدر في المجالس ومن لا يحب ذلك فلا يزال ولو جلس في صف التعال فلا يغضب إذا جلس غيره فوهذه المادات الرديئة هي التي أكثر تهاب الإنسان ومكراهه فأكثر غضبه وكما كانت الارادات والشهوات

(١) حديث خير أمتي أحداؤها الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث علي بن سعيد ضعيف وزاد الدين إذا غضبوا رجسوا (٢) حديث خير الأمور أوسطها البيهقي في الشعب مرسل وقد تقدم.

أرجى عندى أن لم
أظهر طهرها في ساعة ليل
أونهازل أصليت لربى
عز وجل بذلك الطهور
ما كتب لى أن أسأل
ومن أدبهم بالطهارة
ترك الاسراف في اللباس
والوقوف على حد العلم.
أخبرنا الشيخ العالم
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن علي قال أنا أبو القاسم
المروى قال أنا أبو نصر
الترقي قال أخبرنا
أبو محمد الجراحي قال
أنا أبو العباس الجبوي
قال أنا أبو عيسى
الترمذي قال حدثنا
محمد بن يشار قال حدثنا
أبو داود قال حدثنا
خارجة بن مصعب
عن يونس بن عبيد
عن الحسن عن يحيى
ابن زمره السدي عن
أبي بن كعب عن النبي

أكثر كان صاحبها أحمق رتبة وأغص لأن الحاجة صفة قصص فيها كثرت كثير النقص والجاهل بدأ جهده في أن يزيد في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري أنه مستكثر من أسباب الألم والحزن حتى يبتلى بعض الجهال بالأمراض الرديئة ومخالطة قرناء السوء إلى أن يضطرب لوقيل أنه لا تحسن القلب بالطيور واللب بالشطرنج ولا تحذر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجرى هذا في الرذائل فالتنضب على هذا الجنس ليس بضروري لأن حبه ليس بضروري . القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض الكتاب مثلا في حق العالم لأنه منظر إليه فيجبه فيضبط على من يحرقه ويفرقه وكذلك أدوات الصناعات في حق للسكتب الذي لا يمكنه التوصل إلى القوة إلا بها فان ماهو وسيلة إلى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالأشخاص وإنما الحب الضروري ما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله « من أصبح آتيا في سره معاني في بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذاقها » (١) ومن كان صيرا اجتماعي الأمور وسلم هذه الثلاثة يتصور أن لا يضطرب في غيرها قبله ثلاثة أقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها . أما القسم الأول : فليس الرياضة فيه لينعم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على أن لا يطبع التنبؤ ولا يستسلم في الظاهر إلا على حد يستجبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك يمكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فأما قسم أصل التيقن القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن ثم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجانه التيقن في الباطن وينتهي ضفه إلى أن لا يظهر أثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث أيضا لأن ما صار ضروريا في حق شخص فلا يمنعه من التيقن استثناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه . وأما القسم الثاني : فيمكن التوصل بالرياضة إلى الانسكاف عن التنبؤ عليه إذ يمكن إخراج حبه من القلب وذلك بأن يعلم الإنسان أن وطنه القبر ومستقره الآخرة وأن الدنيا ممر جبر عليها ويؤد منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبالقوله وطنه ومستقره في هذا الدنيا ويعو حبه عن قلبه ولو كان للإنسان قلب لا يحبه لا يضطرب إذا ضربه غيره فالتنضب تبع لقلب فالرياضة في هذا تنتهي إلى فتح أصل التنبؤ وهو نادر جدا وقد تنتهي إلى اللع من استعمال التنبؤ والعمل بموجبه وهو أهون . فان قلت : الضروري من القسم الأول التألم بواجبات المحتاج إلى التنبؤ فذلك شاة مثلا وهي قوته فانت لا تضطرب على أحد وإن كان يحمل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الإنسان يتألم بالقصد والحجامة ولا يضطرب على الفساد والحجامة فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الأشياء كلها بيد الله ومنه فلا يضطرب على أحد من خلقه إذ يرام مسخرين في قبضة قدرته كالتقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يضطرب على التقلم فلا يضطرب على من يذبح شاته التي هي قوته كما لا يضطرب على موتها إذ يرى الذبح والموت من الله عز وجل فيندفع التنبؤ بقلية التوحيد ويندفع أيضا بحسن الظن بالله وهو أن يرى أن السكل من الله وأن الله لا يقدر له إلا ما فيه الخير وربما تكون الخيرة في مرضه وجوعه وجرحه وقتله فلا يضطرب كما لا يضطرب على التصاد والحجامة لأنه يرى أن الخيرة فيه فيقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد إلى هذا الحد إنما تكون كالبريق الخاطف تنقلب في أحول مخطفة ولا تدمم ويرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من أصبح آتيا في سره معاني في بدنه عند قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذاقها الترمذي وابن ماجه من حديث عبيد الله بن محسن دون قوله بحذاقها قال الترمذي حسن غريب.

صلى الله عليه وسلم أنه قال « لولوه شيطان يقال له الوهان فاتقوا وسادس الساء » قال أبو عبد الله الرودباري إن الشيطان يجتهد أن يأخذ نصيبه من جميع أعمال بني آدم فلا يبالى أن يأخذ نصيبه بأن يزدادوا فباأمروا به أو ينقصوا عنه . وحكى عن ابن الكرنبي أنه أصابته جنابة ليلة من الليالي وكانت عليه مرقمة فحين غلبته فجاء إلى الدجلة وكان برد شديد فخرت نفسه عن الدخول في الساء لشدة البرد فطرح نفسه في الساء مع الرقة ثم خرج من الساء وقال عقدت أن لا أترعها من بدني حتى تجف على فمكت

فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه (١) حتى قال « اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأبما مسلم سبته أولسته أو ضربته فأجعلها مني صلاة عليه وزكاة وقرية تقربه بها إليك يوم القيامة (٢) » وقال عبدالله بن عمرو بن العاص « يارسول الله أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا قال اكتب فوالله يبتى بالحق نبيا ما يخرج منه إلا حق وأشار إلى لسانه (٣) » فربما قل إن لا غضب ولكن قال إن الغضب لا يخرجني عن الحق أي لأعمل بموجب الغضب « وغضبت عائشة رضي الله عنها مرة قال لما رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك جاءك هيطانك قالت ومالك هيطان قال بلى ولكن دعوت الله فأغضب عليه فأسلم فلا يأمري إلا بالخير (٤) » ولم يقل لا هيطان لي وأراد هيطان الغضب لكن قال لا يعماني على الشر ، وقال علي رضي الله عنه « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب لهدنيا فإذا أغضب الحق لم يفره أحد ولم يتم غضبه شيء حتى يتصره (٥) » فكان يغضب على الحق وإن كان غضبه لله فهو الثبات إلى الوساطة إلى الجنة بل كل من يغضب من من يأخذ ضرورته وقوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فأما غضب لله فلا يمكن الاضطرار منه . نعم قد يفقد أصل الغضب فبا هو ضروري إذا كان القلب مشغولا بضروري أهم منه فلا يكون في القلب متسع لغضب لا يشغله بشيء فان استراق القلب ببعض اللهايات يمنع الإحساس بمساعدته ، وهذا كأن سلمان لما شتم قال إن خفت موازيني فأنا شر مما تقول وإن ثقلت موازيني لم يضرك ما تقول قد كان حمصا مرفقا إلى الآخرة فلم يأت قلبه بالشر . وكذلك غم الرياح بن خبث قال : يا هذا قد سمع الله كلامك وإن دون الجنة عقبة إن قطعها لم يضرك ما تقول وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول . وسب رجل أبا بكر رضي الله عنه فقال ماستر الله عنك أكثر فكأنه كان مشغولا بالنظر في تعبير نفسه عن أن يبقى الله حق فقامه ويعرفه حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره إياه إلى نقصان إذ كان ينظر إلى نفسه بين النقصان وذلك لجلالة قدره ، وقالت امرأة لمالك بن دينار يارسول الله قال ما عرفني غيرك فكأنه كان مشغولا بأن بنى عن نفسه آفة الرياء ومسكر على نفسه ما يليق الشيطان إليه فلم يغضب لئلا ينسب إليه . وسب رجل النبي فقال إن كنت صادقا ففقر الله لي وإن كنت كاذبا ففقر الله لك فمذه الأقاويل دالة في الظاهر على أنهم لم يبخسوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويعتدل أن يكون ذلك قاذرا في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الأغلب على قلوبهم فإذا اشتغال القلب ببعض اللهايات لا يمد أن يمنع هيجان الغضب عند قوات بعض الهبات فإذا يتصور قد القبط إمبا اشتغال القلب بهم أو بجهة نظر التوحيد أو بسبب ثالث وهو أن يعلم أن الله يحب من أن لا يخطئ قطعي شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في أحوال نادرة وقد عرفت بهذا أن الطريق للخلاص من نار الغضب

(١) حديث كان صلى الله عليه وسلم يغضب حتى تحمر وجنتاه مسلم من حديث جابر كان إذا غضب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه ولما حكم كان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه وقد تقدم في أخلاق النبوة (٢) حديث اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر الحديث مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله أغضب كما يغضب البشر وقال جلده بدل ضربته وفي رواية اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واصله متفق عليه وقد تقدم وسلم من حديث أنس إنما تابشر أرضي كما رضي البشر وأغضب كما غضب البشر ولأن جلي من حديث أبي سعيد أوزعته (٣) حديث عبدالله بن عمرو يارسول الله أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا قال اكتب فوالله يبتى بالحق ما يخرج منه إلا حق وأشار إلى لسانه أبو داود بنحوه (٤) حديث غضبت عائشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم مالك جاءك هيطانك الحديث مسلم من حديث عائشة (٥) حديث علي كان لا يغضب للدين الحديث الترمذي في الشبايل وقد تقدم.

عليه شيئا لثغابا
وغلظها أدب بذك
نفسه لما حرفت عن
الاعتار لأمر الله تعالى
وقيل إن سهل بن
عبد الله كان بحث
أصحابه على كثرة شرب
النساء وقلة صبه على
الأرض وكان يرى أن
في الإكثار من شرب
النساء ضعف النفس
وإمالة الشهوات وكسر
القوة ومن أفعال
الصوفية الاحتياط في
استيفاء النساء للوضوء
قيل كان إبراهيم
الحواشي إذا دخل
البادية لأعمل معه
إلا ركوة من الماء وربما
كان لا يشرب منها
إلا القليل يحفظ للنساء
للوضوء وقيل إنه كان
يخرج من مكة إلى
السكوة للاحتياط إلى

موجب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سيأتي في كذب ذم الدنيا ومن أخرج حب الزايع القلب لخلس من أكثر أسباب الضب ولا يمكن محوه يمكن كسره وتضعه في موضع الضب بسببه ومون دمه ، نسال الله حسن التوفيق بطلقه وكرمه إنه على كل شيء قدير والحمد لله وحده .

(بيان الأسباب للهجة للضب)

قد عرفت أن علاج كل علة حسم مادتها وإزالة أسبابها فلا بد من معرفة أسباب الضب ، وقد قال يحيى لميسى عليه السلام أي شيء أشد قال غضب الله قال فلا يقرب من غضب الله قال أن تضب قال فما يندب الضب وما يندبه قال عيسى : الكبر والفخر والتعزز والخيول والأسباب للهجة للضب هي الزهو والمجب والزاج والمزل والمزهو والتعير والمارة والضادة والقدر وشدة الحرص على فضول السال والجاه وهي أجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص من الضب مع قيام هذه الأسباب فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأحدادها ، فينبغي أن يمتح الزهو بالتواضع ويحتجب الجب بمعرفة نفسك كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والمجب وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك إذ الناس يجمعهم في الانتساب أب واحد ، وإنما اختافوا في الفضل أشعنا فينوآهم جنس واحد وإنما الفخر بالاضائل ، والفخر والمجب والكبر أكبر الرذائل وهي أسهل وأرأسا فإذا لم تخل عنها فلا تفضل لك على غيرك فلم تفتخر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والأعضاء الظاهرة والباطنة . وأما الزواح فتريله بالتشاغل بالهمات الدينية التي تستوجب العمر وتغفل عنه إذا عرفت ذلك . وأما المزل فتريله بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تملك إلى سعادة الآخرة . وأما المزهو فتريله بالكرم عن إيداء الناس وبصيانة النفس عن أن يستأرك . وأما التعير فالخود عن القول الصحيح صيانة النفس عن مرأ الجواب . وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتريل الاعتناء بقدر الضرورة طلبا لفر الاستثناء وترضا عن ذلك الحاجة وكل خلق من هذه الأخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجه إلى رياضة وتعمل مشقة ، وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلها ثم الرغبة النفس عنها وتفر عن قبحها ثم الوالطية على مباشرة أمدادها مدة مديدة حتى يصير العادة مألوقة هينة على النفس فإذا انبعت عن النفس قد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضا عن الضب الذي يتولد منها ومن أشد البواعث على الضب عند أكثر الجهال تسميتهم الضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبرهمة وتقليبه بالألقاب المحموده غباوة وجهلا حتى يميل النفس إلى الموت تستحسنه وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الضب عن الأكابر في معرض اللعج بالشجاعة والنفس مائلة إلى التقيبه بالأكابر فيرجع الضب إلى القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب وتقصان عقل وهو لضعف النفس وتقصانها وآية أنه لضعف النفس أن الرض أسرع غضبا من الصحيح والمرأة أسرع غضبا من الرجل والصبي أسرع غضبا من الرجل الكبير والشيوخ الضعيف أسرع غضبا من السكهل وذو الجلق السي والرذائل القبيحة أسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل غضب لشهوته إذا فاته اللقمة ولبخله إذا فاته الحبة حتى إنه يضرب على أهله ولده . ومما به بل القوى من تلك نفسه عند الضب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ^(١) بل ينبغي أن يبالغ هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والودع وما تستحسن منهم من كظم اللغظ فإن ذلك منقول عن الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء وأكابر الملوك الفضلاء ومند ذلك منقول عن الأكراة والأثراك والجهلة والأغبياء الذين لا يقول لهم ولا تفضل فيهم .

(١) حدث أبس الشديد بالصرعة قدّم قبله .

التيمم يحفظ الله
لوضوءه ويقنع بالقليل
لشرب . وقيل إذا
رأيت الصوفي ليس معه
ركوة أو كوزة فاعلم أنه
قد عزم على ترك الصلاة
شاه أن لم يأت . وحكى عن
بعضهم أنه أدب نفسه
في الطهارة إلى حد أنه
أقام بين ظهراني جماعة
من النسكاء وم
مجنونين في دار فآركه
أحد منهم أنه دخل
الحلاء لأنه كان يقضي
حاجته إذا خلا للموضع
في وقت يريد تأديب
نفسه ، وقيل مات
الحواس في جامع
الري في وسط الماء
وذلك أنه كان به علة
اليطن وكما قام دخل
الماء وغسل نفسه
فدخل مرة ومات فيه
كل ذلك لحظفه على

(بيان علاج الغضب بعد هيجانه)

ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لأسبابه حتى لا يهيج فإذا جرى سبب هيجانه فتمنع به التثبت حتى لا ينشطر صاحبه إلى السمل على طي الوجه للغموم وإنما يبالغ الغضب عند هيجانه بمجموع العلم والعمل . أما العلم فهو ستة أمور : الأول ينشكر في الأخبار التي سنورها في فضل كظم الغيظ والغنى والحلم والاحتيال فيرغب في ثوابه فتدفعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التثني والانتقام وينظمي عنه غيظه قال مالك بن أوس بن الحدثان غضب عمر على رجل وأمر بضربه قتل يأمر المؤمنين - خذ الغنى وأمر بالفقر وأعرض عن الجاهلين - فكان عمر يقول خذ الغنى وأمر بالفقر وأعرض عن الجاهلين - فكان يتأمل في الآية وكان وقفا عند كتاب الله مهمات على كثير التدبر فيه فقدر فيه وعلى الرجل وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى والكاظمين الغيظ - فقال لعلامه خل عنه . الثاني أن يخوف نفسه بقباب الله وهو أن يقول قدرة الله على أعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو أمضيت غضي عليه لم آمن أن يخفي الله غضبه على يوم القيامة أوجع ما أكون إلى الغنى فقد قال تعالى في بعض الكتب القديمة : يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أعفك فيمن أعفك . وبث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا إلى حاجة فأبطأ عليه فلما جاء قال « لولا القصاص لأوجعتك » أي القصاص في القيامة وتل ما كان في بعض إسرائيل ملك الأدمه حكيم إذا غضب أعطاه محبة فيها : ارحم السكين واخش الوت واذا ذكر الآخرة فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه . الثالث أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمير العدو لمقاتلته والسمي في هدم أغراضه والشهانة بصائبه وهو لا يخلو عن الصائب فيخوف نفسه بمواقب الغضب في الدنيا إن كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه لأنه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض إلا أن يكون محذوره أن تتشوش عليه في الدنيا فراغته لعم والعمل وما يمينه على الآخرة فيكون مثابا عليه . الرابع أن ينشكر في قبح صورته عند الغضب بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب وينشكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادئ التارك للغضب للأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء . وغير نفسه بين أن يشبه بالكلب والسباع وأراذل الناس وبين أن يشبه بالعلماء والأنبياء في عاداتهم قليل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء إن كان قد بقي معه مسكة من عقل . الخامس أن ينشكر في السبب الذي بدعوه إلى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد وأن يكون له سبب مثل قول الشيطان له إن هذا عمل منك على العجز وصغر النفس والقلة والهوانة وتصير حقيرا في أعين الناس فيقول لنفسه ما أعجبك تأففين من الاحبال الآن ولا تأففين من خزي يوم القيامة والانتقام إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منه وتحذرين من أن تصغري في أعين الناس ولا تحذرين من أن تصغري عند الله والملائكة والنبين فمهما كظم الغيظ فينبغي أن يكظمه لله وذلك ينظمه عند الله فماله وللناس وذل من ظله يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن أفلا يحب أن يكون هو القائم إذا نودي يوم القيامة ليقيم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا نفسا وأمثاله من معارف الإيمان فينبغي أن يكرره على قلبه . السادس أن يعلم أن غضبه من تحبب من جريان الشيء على وفق مراد الله لا على وفق مراده فكيف يقول مرادى أولى من مراد الله ويوهلك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه . وأما العمل فان تقول بلسانك

(١) حديث لولا القصاص لأوجعتك أبو يعلى من حديث أم سلمة بسند ضعيف .

أعوز بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال عند التيط (١) « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضبت عائشة أخذ بأشها وقال يا عيشة قولي للبهديب النبي محمد اغفري ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن » فيستحب أن يقول ذلك فان لم يزل بذلك جالس إن كنت قائماً واضطجع إن كنت جالسا وأقرب من الأرض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب الجلوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الغضب جرة توفد في القلب » (٢) ثم اتروا إلى اتساع أو داحه وحرمة عييه فاذا وجد أحدكم من ذلك شيئا كان قائماً فليجلس وإن كان جالسا فليتم فان لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يقتل النار لايظنها إلا لله . قد قال صلى الله عليه وسلم « إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء قائماً الغضب من النار » (٣) وفي رواية إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا غضبت فاسكت » (٤) وقال أبو هريرة « كان رسول الله ﷺ إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه » (٥) وقال أبو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا إن الغضب جرة في قلب ابن آدم » (٦) ألا ترون إلى حرمة عييه واتساع أوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليقلق خده بالأرض وكان هذا إشارة إلى السجود وتمكين أعز الأضغان من أذل اللوامع وهو التراب لتستريح به النفس القل وتزایل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب . وروى أن عمر غضب يوما مدنا بجاء فاستنشق وقال إن الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد استعملت على الجن قال لي أبي أو ليت قلت نعم قال فاذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك وإلى الأرض تحثك ثم عظم خاتمتها . وروى « أن أبا ذر قال لرجل يابن الجراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله

ابن وهب عن زيد
ابن حباب عن أبي
معاذ عن الزهري
عن عروة عن عائشة
رضي الله عنها قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرة ينفش بها أعضاءه بسد الرضوء . وروى معاذ ابن جبل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توضأ مسح وجهه بطرف ثوبه واستفصا الصوفية في تطهير البواطن من الصفات الرديسة والأخلاق الذمومة لا الاستعانة في طهارة الظاهر إلى حد يخرج من حد الطموتوضأ عمر رضي الله عنه من جرة ضرائية مع كون النصارى لا يحترزون عن المحر وأجرى الأمر

(١) حديث الأمر بالتوضأ بالله من الشيطان الرجيم عند التيط متفق عليه من حديث سليمان بن صرد قال كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان فأحدهما أحمر وجهه واتفتحت أوداجه الحديث وفيه لوقال أعوز بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد فقالوا له إن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعوذ بالله من الشيطان الرجيم الحديث (٢) حديث كان إذا غضبت عائشة أخذ بأشها وقال يا عيشة قولي للنبي محمد اغفري ذنبي وأذهب غيظ قلبي الحديث ابن السني في اليوم والليلة من حديثها وتقدم في الأدكار والله عوات (٣) حديث إن الغضب جرة توفد في القلب الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد دون قوله توفد وقد تقدم ورواه بهنذ القطة البيهقي في الشعب (٤) حديث إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء البارد الحديث أبو داود من حديث عطية السدي دون قوله بالماء البارد وهو بلفظ الرواية الثانية التي ذكرها الصنف وقد تقدم (٥) حديث ابن عباس إذا غضبت فاسكت أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني واللفظ لها والبيهقي في شعب الإيمان وفيه ليث بن أبي سليم (٦) حديث أبي هريرة كان إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه ابن أبي الدنيا وفيه من لم يسم ولا أحد باستناد جديد في أثناء حديث فيه وكان أبو ذر قائماً فجلس ثم اضطجع قيل له لم جلست ثم اضطجعت فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فان ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع والرفع عند أبي داود وفيه عدة انقطاع سقط منه أبو الأسود (٧) حديث أبي سعيد ألا إن الغضب جرة في قلب ابن آدم الحديث الترمذي وقال حسن .

صلى الله عليه وسلم قال ياأبذر بلغني أنك اليوم عبرت أخاك بأمة فقال نعم فانطلق أبو ذر ليرضى صاحبه فسبقه الرجل فلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياأبذر ارفع رسك فانظر ثم اعلم أنك لست بأفضل من أحر فيها ولا أسود إلا أن تفضله بعمل ثم قال إذا غضبت فإن كنت قائما فاقعد وإن كنت قاعدا فاستكن. وإن كنت متكئا فاضطجع (١) وقال للصحبة سلين كان رجل من كان قبلكم يضرب فيشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف وأعطى كل صحيفة رجلا وقال للأول إذا غضبت فأعطني هذه وقال للثاني إذا سكن بعض غضبي فأعطني هذه وقال للثالث إذا ذهب غضبي فأعطني هذه فاشتد غضبه يوما فأعطى الصحيفة الأولى فإذا فيها ثلاث وأنت وهذا الغضب إنك لست إلا إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بضعك بضعاً فكن بعض غضبه فأعطى الثانية فإذا فيها أرحم من في الأرض ريمحك من السماء فأعطى الثالثة فإذا فيها خذ الناس بحق الله فإنه لا يصلهم إلا ذلك أي لا تمل الحدود . وغضب المهدي على رجل فقال شبيب لا تغضب لله بأشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله .

(فضيلة كظم الغيظ)

قال الله تعالى - والكاظمين الغيظ - وذكر ذلك في معرض اللوم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - من كلف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه سر الله عورته (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « أشدكم من غلب نفسه عند الغضب وأحلكم من عفا عند القدرة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه لمضاه ملاأه قلبه يوم القيامة رضا - وفي رواية ملاأ الله قلبه أمنا وإيمانا (٤) » وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جرع عبد جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى (٥) » وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم « إن لجبن بابا لا يدخله إلا من شق

(١) حديث أبي ذر أنه قال لرجل ياأبا الحراء في خصومة بينهما فإبع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه فقال ياأبذر ارفع رأسك فانظر الحديث وفيه ثم قال إذا غضبت إلى آخره ابن أبي الدنيا في الغفوفم الغضب باسناد صحيح وفي الصحيحين من حديثه قال كان بيني وبين رجل من إخواني كلام وكانت أمه أعمجة فغيره بأمة فتكأن إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ياأبذر إنك امرؤ فيك جاهلية ولا تحدثه من الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بخير من أحر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى ورجاله ثقات.

(فضيلة كظم الغيظ)

(٢) حديث من كلف غضبه كف الله عنه عذابه الحديث الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الایمان واللفظ له من حديث أنس باسناد ضعيف ولا بن أبي الدنيا من حديث ابن عمر من ملك غضبه ووقف الله عذابه الحديث وقد تقدم في آفات اللسان (٣) حديث أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وأحلكم من عفا عند القدرة ابن أبي الدنيا من حديث علي بن مسعود ضعيف البيهقي في الشعب بالشر الأول من رواية عبد الرحمن بن مهزيان باسناد جيد والبراز والطبراني في معجم الأئمة والأخلاق واللفظ له من حديث أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وفيه عمران القطان مختلف فيه (٤) حديث من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه لمضاه ملاأ الله قلبه يوم القيامة رضا وفي رواية أمنا وإيمانا بن أبي الدنيا بالرواية الأولى من حديث ابن عمر وفيه سكين بن أبي سراج تسلم فيه ابن حبان وأبو داود بالرواية الثانية من حديث رجل من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن أبيه ورواه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة وفيه من لم يسم (٥) حديث ابن عمر ما جرع رجل جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله من ماجه.

على الظاهر وأصل الطهارة وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون على الأرض من غير سجدة وعشرون حاة في الطرق وقد كانوا لا يجلسون وقت النوم بينهم وبين التراب حائلًا وقد كانوا يقتصرون على الحجر في الاستنجاء في بعض الأوقات وكان أمرهم في الطهارة الظاهرة على السهل واستقصاء في الطهارة الباطنة وهكذا غفل الصوفية وقد يكون في بعض الأشخاص تشدد في الطهارة ويكون مستند ذلك روعة النفس فلو امتنع ثوبه فخرج ولا يبالى بما في باطنه من القل والحق والكبر

غيظه بمعية الله تعالى (١) « وقال صلى الله عليه وسلم » ما من جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها عبد إلا ملأ الله قلبه إيماناً (٢) « وقال صلى الله عليه وسلم » من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رموس الخلائق وبغيره من أي الحور شاء (٣) « الآثار : قال عمر رضي عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يغل ما يشاء ولولا يوم القيامة لكان غير ما نزل . وقال لقمان لابنه : يا بني لا تنضب ماء وجهك بالمساؤل ولا تنصف غيظك بغضبك واعرف قدرك تنفك مميتك . وقال أيوب حلم ساعة يدفع شراً كثيراً ، واجتمع سفيان الثوري وأبو خزيمة البر بوعى والقضيل بن عباس فذاكروا الزهد فأجمعوا على أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الجزع . وقال رجل لمرضى الله عنه والله ما تنصني بالعدل ولا تصطلي الجوز فغضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه فقال له رجل يا أمير المؤمنين ألا تسع أن الله تعالى يقول سخذ الله وأمر بالرفق وأعرض عن الجاهلين - فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكم كانت ناراً فأظففت وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله إذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل وإذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق وإذا قدر لم يتناول ما ليس له . وجاء رجل إلى سلمان قال يا عبد الله أوصني قال لا تنضب قال لا أقدر قال فان غضبت فأفسك لسانك وبك .

(بيان فضيلة الحلم)

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ لأن كظم الغيظ عبارة عن التحمل أي تكلف الحلم والاحتياج إلى كظم الغيظ إلا من حاج غيظه واحتياج فيه إلى مجاهدة شديدة ولكن إذا تم ذلك مدته صار ذلك اعتياداً فلا يبيح الغيظ وإن حاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطيب وهو دالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداء التحمل كظم الغيظ تكلفاً قال صلى الله عليه وسلم « إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحمل ومن يتغير الخير يصطه ومن يتوق الشر يوقه (٤) » وأشار بهذا إلى أن اكتساب العلم طريقته التحمل أولاً وتكفنه كالأنا اكتساب العلم طريقته التحمل . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم وأطلبوا العلم مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولن تتبدون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيقلب جهلكم حكمكم (٥) » وأشار بهذا إلى أن التواضع والتجبر هو الذي يبيح الغضب ويمنع من الحلم واللين ، وكان من دعائه ﷺ « اللهم اغني بالمعلم والموثوقين بالحلم وأكرمني بالتقوى وجملي بالمعافاة (٦) » وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ابتغوا الرضا عند الله قالوا وماهي يا رسول الله ؟ قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحمل عن جهل عليك (٧) »

(١) حديث ابن عباس إن جهنم بابا لا يدخل منه إلا من شق غيظه بمعية الله فتمد في آفات اللسان
(٢) حديث ما من جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها عبد إلا ملأ الله قلبه إيماناً ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس وفيه نصف ويتلف من حديث ابن عمر وحديث الصحابي الذي لم يسم وقد تقدم (٣) حديث من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رموس الخلائق حتى بغيره من أي الحور شاء تقدم في آفات اللسان .

(فضيلة الحلم)

(٤) حديث إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحمل الحديث الطبراني والدارقطني في العلل من حديث أبي الدرداء وسند ضيف (٥) بث ابن هريرة أطلبوا العلم وأطلبوا مع العلم السكينة والحلم الحديث ابن السني في رياضة السنين بسند ضعيف (٦) حديث كان من دعائه اللهم اغني بالمعلم والموثوقين بالحلم وأكرمني بالتقوى وجملي بالمعافاة لم يجده أصلاً (٧) حديث ابتغوا الرضا عند الله قالوا وماهي ؟ قال تصل من قطعك الحديث الحاكم والبيهقي وقد تقدم .

والعجب والرياء والنفاق
ولله يصحكر على
الشخص لو دلس
الأرض حافياً به وجود
رخصة الشرع ولا
ينكره عليه أن يتكلم
بكلمة غيبة فخر بها
دينه وكل ذلك من قلة
العلم وترك التأديب
بصحة الصادقين من
الملاءم الراغبين وكانوا
يكرهون كثرة ذلك
في الاستبراء لأندرجا
بسترى المرقق ولا
يسك البول ويؤكل
منه القطر للفرط .
ومن حكايات للتصوفة
في الوضوء والطهارات
أن أبا عمرو الزجاجي
جاءه بكاء ثلاثين سنة
وكان لا ينوط في الحرم
ويخرج إلى الحل وأقل
ذلك فرسخ . وقيل
كان بسهم على وجهه

وقال صلى الله عليه وسلم « خمس من سنن الرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتطير » (١) وقال على كرم الله وجهه قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القاهم وإنه يكتب جبارا عنيدا ولا يملك إلا أهل بيته » (٢) وقال أبو هريرة « إن رجلا قال لرسول الله إن لي قرابة أسلمهم ويقطعون وأحسن إليهم ويسئون إلي ويجهلون على وأحلم عنهم قال إن كان كانوا قتلوا فمكناهم نسفهم لل ولإبرار ملك من الله ظهر مادمت على ذلك » (٣) إلى معنى به الرجل وقال رجل من المسلمين « اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأقبأ رجل أصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة فأوحى الله تعالى إلى النبي ﷺ إن قد غفرت له » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « أيعجز أحدكم أن يكون كأي منضم فقالوا وما أبو منضم قال رجل ممن كان قبلكم كان إذا أصبح يقول اللهم إني تصدقت اليوم بمرض على من ظنني » (٥) وبقي في قوله تعالى - ربانيين - أي علماء علماء وعن الحسن في قوله تعالى - وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما - قال حماد إن جعل عليهم لم يجهلوا. وقال عطاء بن أبي رباح - يعشون على الأرض هوتا - أي حفا وقال ابن أبي حبيب في قوله عز وجل - وكبرا - قال السكندر انتهى الحلم. وقال مجاهد - وإذا مروا باللغو مروا كراما - وروى « أن ابن مسعود مر بغير مرضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسى كريما » (٦) ثم لا إبراهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله تعالى - وإذا مروا باللغو مروا كراما - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتقون فيه العلم ولا يستحيون فيه من الخلق قلوبهم قلوب العجم والسنتهم ألسنة العرب » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « ليليني منكم ذؤاب الأعلام والنهي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تخطفوا فتختلف قلوبكم وإياكم وهيشات الأسواق » (٨) وروى « أنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم الأشعث فأتاه راحلته ثم غلبها وطرح عنه ثوبين كانا عليه وأخرج من اللية ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بين »

(١) حديث خمس من سنن الرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتطير أبو بكر بن أبي عاصم في الثنائي والآحاد والترمذي الحكمي في نوادر الأصول من رواية ملبخ بن عبد الله الحطمي عن أبيه عن جده وللترمذي وحسنه من حديث أبي أيوب أربع فأسقط الحلم والحجامة وزاد السكاك (٢) حديث على بن جرير قال يا رسول الله إن لي قرابة أسلمهم ويقطعون وأحسن إليهم ويسئون إلي ويجهلون على وأحلم عنهم الحديث رواه مسلم (٣) حديث قال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأقبأ رجل أصاب من عرضي شيئا فهو صدقة عليه الحديث أبو نعيم في الصعبة والبيهقي في الشعب من رواية عبد الحميد بن أبي عيسى بن جبر عن أبيه عن جده بإسناد ابن زاذ البقي عن علي بن يزيد وعليه هو الذي قال ذلك كما في أثناء الحديث وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أنه رواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلا من المسلمين لم يسلمه وقال أظنه أبان منضم قلت وليس بأبي منضم إنما هو علي بن زيد وأبو منضم ليس له محبة وإنما هو مندم (٤) حديث أيعجز أحدكم أن يكون كأي منضم الحديث تقدم في آفات اللسان (٥) حديث ابن مسعود مر بغير مرضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسى كريما ابن المبارك في البر والصلة (٦) حديث اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتقون فيه العلم ولا يستحيون فيه من الخلق الحديث أحمد من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف (٨) حديث ليليني منكم ذؤاب الأعلام والنهي الحديث مسلم من حديث ابن مسعود دون قوله ولا تخطفوا فتختلف قلوبكم فهي عند أبي داود والترمذي وحسنه وهي عند مسلم في حديث آخر لابن مسعود .

قرح لم يتبدل الخفق
عشرة سنة لأن الماء
كان يضره وكان مع
ذلك لا يدع تجديد
الوضوء عند كل
فرصة وبمنهم زل
في عيه الماء لحداوا
إليه اللدوي وبذلوا
له مالا كثيرا ليدأويه
قال اللدوي يحتاج
إلى ترك الوضوء أياما
ويكون مستلقيا على
قناه فلم يفعل ذلك
واختار ذهاب بصره
على ترك الوضوء .
[الباب السادس
والثلاثون في فضيلة
الصلاة وكرهاها]
روى عن عبد الله بن
عباس رضي الله عنهما
أنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« لما خلق الله تعالى
جنة عدن وخلق فيها

رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ما يمتحن ثم أقبل بمضى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام إن فيك بأشجع خلقين مجيها الله ورسوله قال ماها بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال الحلم والأناة قال خلتان تخلفتهما أول خلقان جبلت عليهما فقال بل خلقان جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذي جعلني على خلقين مجيها الله ورسوله ^(١) وقال ^(٢) «إن الله يحب الحلم الذي لا يتغضب بالأيال التي لا تقى» ويغضب الفاحش البذي السائل للتحف التي ^(٣) وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم تكن في واحدة منهن فلا تمتدوا بشئ من عمله غوى يحجزه عن معاصي الله عز وجل وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس ^(٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا جامع أحد الخلق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فيطلقون سراعا إلى الجنة فتقام للامسكة فيقولون لهم إننا نركم سراعا إلى الجنة فيقولون نحن أهل الفضل فيقولون لهم ما كان فضلكم فيقولون كنا إذا ظلمنا صبرنا وإذا أسيء إلينا عفونا وإذا جهل علينا حملنا فقال لهم ادخلوا الجنة فتم أجر الصالحين ^(٥) . الآثار : قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا العلم السكينة والحلم وقال علي رضي الله عنه ليس الحري أن يكثر مالك وولدك ولكن الحري أن يكثر علك ويظلم حملك وأن لا يباهي الناس بعبادة الله وإذا أحسنت حمدت الله تعالى وإذا أسأت استغفرت الله تعالى وقال الحسن الطبري العلم والهدى والهدى بالهدى والهدى بالحلم . وقال أكرم من صفي دعامه العقل والحلم وجماع الأهم الصبر . وقال أبو الدرداء أدرتكم الناس ورقا لا شوك فيه فأصبعوا شوكا لا ورق فيه إن عرقهم قد حوك وإن تركهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع ؟ قال تعرض عن عرضك يوم حرك . وقال علي رضي الله عنه إن أول معاوض الحليم من خلقه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل . وقال معاوية رحمه الله تعالى لا يبلغ العبد مبلغ الرأى حتى ينقلب حلمه وجهه وصوره شهوته ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم . وقال معاوية للمروان الأحمري أي الرجال أشجع قال من رده جهه بجملة قال أي الرجال أسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه . وقال أنس بن مالك في قوله تعالى - فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم - إلى قوله - عظيم - هو الرجل يشتمه أخوه فيقول إن كنت كاذبا فظفر الله لك وإن كنت صادقا فظفر الله لي . وقال بعضهم شتمت فلانا من أهل البصرة ظلم على فاستعبدني بها زمانا . وقال معاوية لمرأة بن أوس بن سدد قومك يا عرابية قال يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطيت سائلهم وأمسيت في حوائجهم فمن فعل فعل فهو مثل ومن جاوزني فهو أفضل مني ومن صرعتني فأنا خير منه . وسب رجل ابن عباس رضي الله عنهما فلما فرغ قال يا بكرمه هل للرجل حاجة فتفضها فكس الرجل رأسه واستمسى . وقال رجل لمرمر بن عبد العزيز أشهد أنك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك . وعن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أنه سمع رجلا فرمى إليه بحمصة كانت عليه وأمره بأنف درهم فقال بعضهم جمع له خمس خصال حمودة : الحلم وإسقاط الأذى وتخليص الرجل مما يهد من الله عز وجل وجهه في التمسو التوبة

(١) حديث بأشجع إن فيك خصلتين مجيها الله الحلم والأناة الحديث متفق عليه (٢) حديث إن الله يحب الذي لا يتغضب بالأيال التي لا تقى الحديث الطبراني من حديث سعد بن عبد الله بن أبي حمزة (٣) حديث ابن عباس ثلاث من لم تكن في واحدة منهن فلا تمتدوا بشئ من عمله أبو نعيم في كتاب الإيعاز باستناد ضيف والطبراني من حديث أم سلمة باستناد ابن سعد في آداب الصلوة (٤) حديث إذا جمع الخلق نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس الحديث وفيه إذا جهل علينا حملنا البيهقي في شعب الإيمان من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال البيهقي في إسناده ضعف .

ملاعين رأيت ولا أدن سمعت ولا خطر على قلب جر قال لما تكلمى هناك - قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون - ثلاثا وشهد القرآن المجيد بالصلاح للمسلمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتاني جبرائيل ليلدلك الشمس حين زالت وصلى في الظهر» اشتقاق الصلاة قبل ن الصلي وهو التارز والحشية الموجبة إذا أرادوا أن يجمعوا تعرض على التارز ثم تقوم وفي العبد اعوجاج لوجود فيه الأمانة بالسوء وسبغات وجه الله الكريم التي لو كشف حجابها أحرقت من أدرتك بسبب بها

ودرجوعه إلى مدح بعد القم اشترى جميع ذلك شيء من الدنيا يسرو وقال رجل لعن ابن محمد إنه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في أمر وإلى أريد أن أركه فأخشي أن يقال لي إن تركه له ذل قد جسر إنما الدليل الظالم وقال الحليل بن أحمد كان يقال من أساء فأحسن إليه قد جيل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل إساءته وقال الأحنف بن قيس لست بحليم ولكنني أعلم وقال وهب بن منبه من رحم يرحم ومن صمت يسل ومن يجهل يبل ومن يخطئ يخطئ ومن يحرس على الصرا يسل ومن لا يدع للراء يشم ومن لا يكره الشر يأثم ومن يكره الشر يحسم ومن يبيع وعية الله يحفظ ومن يحذر الله يأمن ومن يتول الله يتع من لا يسأل الله يختر ومن يأمن مكر الله يخذل ومن يستمن بالله يظفر وقال رجل لمالك بن دينار بلغني أنك ذكرتني بسوء قال أنت إذن أكرم علي من ضحي إن إذا ضلت ذلك أهدت لك حسنا . وقال بعض العلماء الحلم أرفع من العقل لأن الله تعالى تسمى بموقال رجل لبعض الحكماء والله لأسببك سبا يدخل منك في قبرك فقال مالك لا محي ومرا ليسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقوم من اليهود فقالوا له شرا قال لهم خيرا قيل له إنهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا . يقال كل ينفع مما عنده وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة لا يعرف الحليم إلا عند الضيق ولا الشجاع إلا عند الحرب ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه . ودخل علي بعض الحكماء صدق له قدم إليه طعاما فخرجت امرأة الحكماء وكانت سيئة الخلق فرضت للسائدة وأقبلت على شتم الحكماء فخرج الضيق مضيا فيه الحكماء وقال له تذكر يوم كنا في منزلك نطعم فطقت دجاجة على السائدة فأفسدت ماعليا فلم يضب أحد منا قال نعم قال فاحسب أن هذه مثل تلك الدجاجة فسرى عن الرجل غضبه وانصرف وقال صدق الحكماء الحلم شفاء من كل ألم وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه فلم يضب قيل له في ذلك فقال أقتمه مقام جبر تترت به فذهبت الغضب وقال محمود الوراق:

سأترم ضحي الصنع عن كل مذنب وإن كثرت منه على الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثلى مقام
فأما الذي فوق فأعرف قدره وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فإن قال صفت من إجابته عرضي وإن لام لأثم
وأما الذي مثلي فإن زل أوهنا فضلت إن الفضل بالحلم حاكم
(بيان التقدم الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام)

اعلم أن كل ظلم متدر من غش فلا يجوز مقابله بمثله فلا يجوز مقابلة الغيبة بالنسبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا السب بالسب وكذلك سائر المعاصي وإنما القصص والقرامة على قدر ما ورد الشرع به وقد ضلنا في الفقه . وأما السب فلا يقابل بمثله إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه » (١) وقال « اللسان ما قال فهو على البادي ما لم يمتد الظالم » وقال « للسان شيطان يتأثران » (٢) « وشتم رجل أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ يتنصر منه قام رسول الله ﷺ فقال أبو بكر إنك كنت ساكنا لما شتمني فلما تكلمت قلت لأن الملك كان يجب عليك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم أكن لأجلس في مجلس فيه الشيطان » (٣)

(١) حديث إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه أحمد من حديث جابر بن مسلم وقد تقدم
(٢) حديث اللسان شيطان يتأثران تقدم (٣) حديث شتم رجل أبا بكر رضي الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ يتنصر منه قام صلى الله عليه وسلم الحديث أبو داود من حديث أبي هريرة متصلا ومرسلا قال البخاري للرسول أصح .

الصل من وهج
السلوة الإلهية
والعظمة الربانية
ما يزول به اعوجاجه
بل يتحقق به معراج
فالمحلى كالمحلى بالنار
ومن اصطلي بنار الصلاة
وزال بها اعوجاجه
لا يمرض على تار جهنم
إلا نعمة القسم . أخبرنا
الشيخ العالم رضى
الدين أحمد بن إسماعيل
القزويني بإجازة قال أنا
أبو محمد محمد بن أبي
العباس بن محمد بن أبي
العباس الحلبي قال أنا
أبو سعيد الفرخزاذي
قال أنا أبو إسحاق أحمد
ابن محمد قال أنا
أبو القاسم الحسن بن
محمد بن الحسن قال أنا
أبو زكريا يحيى بن محمد
الضبي قال أنا جسر
ابن أحمد بن العافظ

وقال قوم يجوز للقاتلة بما لا كذب فيه وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقابلة التعبير بثله
 نهى تنزيهه والأفضل تركه ولكنه لا يحس به والذي رخص فيه أن تقول من أنت وهل أنت لا من
 بن فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل أنت إلا من بن هذيل وقال ابن مسعود وهل أنت لا من بن
 أمية ومثل قوله بالحق قال مطرف كل الناس أحمق فيما بينه وبين ربه إلا أن بعض الناس أقل حماقة
 من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حتى في ذات الله تعالى (١) وكذلك قوله
 يا جاهل إذا من أحد إلا وفيه جهل قد آذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سي الحاق يا صديق الوجه
 يا تلبا للأعراس وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك شيء لما تسكمت وما أضررك على عيني بما
 فعلت وأخزأك الله وانتم منك . فأما الحجة والنية والكذب وسب الوالدين حرام بالأغلاق لما روى
 أنه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد ما إن ما بيننا لم يبلغ
 ديننا يعني أن يأثم بضنا في بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز له أن يقوله والدليل على جواز ما ليس
 بكذب ولا حرام كالنسبة إلى الزنا والفحش والسب ما روت عائشة رضي الله عنها أن أزواج النبي صلى
 الله عليه وسلم أرسلن إليه فاطمة فجاءت فقالت يا رسول الله أرسلني إليك أزواجك بسألك العدل في
 ابنة أبي نضلة والتي صلى الله عليه وسلم تأثم فقال يا برة أعجبين ما أحب قالت نعم قال فاجبي هذه فرجست
 إليهن فأخبرتهن بذلك فقلن ما أغضبنا شيئا فأرسلن زين بنت جحش قالت وهي التي كانت تسمى
 في الحب فجاءت فقالت بنت أبي بكر وبنت أبي بكر لما زالت تدركن وأنا ما كنته أنتظر أن يأذن لي
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فأذن لي فسيبها حتى جف لساني فقال النبي صلى الله عليه
 وسلم : كلا إنها ابنة أبي بكر (٢) يعني أنك لا تتجاوزينها في الكلام فطوقها بسبها ليس الراد به الفحش
 بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبي صلى الله عليه وسلم « السببان ما قال أفضل
 البادي » منها حتى يتبدى المظلوم (٣) فأثبت للمظلوم انتصار إلى أن يتبدى فهذا القدر هو الذي أباحه
 هؤلاء وهو رخصة في الإيذاء جزاء على إيذائه السابق ولا يبعد الرخصة في هذا القدر ولكن الأفضل
 تركه فإنه يجره إلى ما وراءه ولا يمكنه الانتصار على قدر الحق فيمو السكوت عن أصل الجواب لعله يسر
 من الصروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يتحدر على ضبط نفسه
 في قوة الضرب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف نفسه في الابتداء ولكن يعمد على الدوام والناس
 في الضرب أربعة فبعضهم كالخلفاء سريع الوقود سريع المحمود وبعضهم كالنصابي « الوقود بطي » المحمود
 وهذا هو بطي « الوقود سريع المحمود وهو الأحمق ما يثبت إلى قوة الحجة والغيرة وبعضهم سريع الوقود
 بطي » المحمود وهذا هو شرهم وفي الخبر « المؤمن سريع الضرب سريع الرضى فنهذ تلك » (٤) وقال
 الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يضرب فهو حمار ومن استرضى لم يرض فهو شيطان وقد قال
 أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا إن بين آدم خلقا على طبقات حتى
 فمنهم بطي » الضرب سريع التي ومنهم سريع الضرب سريع التي فكلك بتلك ومنهم سريع
 الضرب بطي » التي « ألا وإن خيرهم البطي » الضرب السريع التي « وشرهم السريع الضرب البطي » التي » (٥)

قال أنا أحمد بن نصر
 قال ثنا آدم بن أبي
 إياس عن ابن سنان
 عن السلاء بن
 عبد الرحمن عن أبيه
 عن أبي هريرة رضي
 الله عنه أن النبي صلى
 الله عليه وسلم قال « يقول
 الله عز وجل قسمت
 الصلاة بيني وبين
 عبدي نصفين فادع الله
 العبد باسم الله الرحمن
 الرحيم قال الله عز وجل
 مجدي عبدي فإذا
 قال الحمد لله رب العالمين
 قال الله تعالى حمدني
 عبدي فإذا قال
 الرحمن الرحيم قال الله
 تعالى أني على عبدي
 فإذا قال مالك يوم
 الدين قال فوض إلى
 عبدي فإذا قال إياك
 نهد وإياك نستعين
 قال هذا بيني وبين

- (١) حديث ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حتى في ذات الله تعالى
- (٢) حديث عائشة إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلن فاطمة فقالت يا رسول الله أرسلني أزواجك بسألك العدل في ابنة أبي بكر وبنت أبي بكر لما زالت تدركن وأنا ما كنته أنتظر أن يأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فأذن لي فسيبها حتى جف لساني فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كلا إنها ابنة أبي بكر
- (٣) فثبت للمظلوم انتصار إلى أن يتبدى المظلوم
- (٤) حديث للؤمن سريع الضرب سريع الرضى فنهذ تلك
- (٥) حديث أبي سعيد الخدري ألا إن بين آدم خلقا على طبقات الحديث تقدم

ولما كان الغضب يهيج ويؤثر في كل إنسان وجب على السلطان أن لا يعاقب أحدا في حال غضبه لأنه ربما يندى الواجب ولأنه ربما يكون متعظا عليه فيكون متشفيًا لنيظه ومرحبا نفسه من ألم التعظ فيكون صاحب حظ فينبغي أن يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه . ورأى عمر رضي الله عنه سكران فأراد أن يأخذه ويصره فشمته السكران فرجم عمر قتيله بأمر المؤمنين لما شتمك تركته قال لأنه أغضبي ولو عزرتك لكان ذلك لنفسي وليس لي . ولم أحب أن أضرب مسلما حية لنفسي . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل أغضبه لولا أنك أغضبتني لما قبضت .

(القول في معنى الحقد وتأثيره فضيلة العفو والرفق)

اعلم أن الغضب إذا لزم كلمته لعجز عن التثني في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدًا ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استقالته والبغضة له والنفار عنه وأن يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم « للؤمن ليس بمحقد » (١) فالحقد حمرة الغضب والحقد شمر ثمانية أمور: الأول الحسد وهو أن يحسدك المحقد في أن تمنى زوال النعمة عنه فتتم نعمة إن أصابها وترى بحسنة إن زلت به وهذا من فضل للتائقين وسبب أن شاء الله تعالى . الثاني أن تزيد على إضمار الحسد في الباطن فتشتم بما أصابك من البلاء . الثالث أن تهجره وتصارمه وتقطع عنه وإن طلبك وأقبل عليك . الرابع وهو دونه أن تعرض عنه استنصاره . الخامس أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإنشاء سر وهتك ستر وغيره . السادس أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه . السابع إيذاءه بالقرب وما يؤلم بدنه . الثامن أن تمنه حقه من قضاء دين أو صلة رحم أو رد مظلمة وكل ذلك حرام وأقل درجات الحقد أن تحترز من الآفات الخاسية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد إلى ما تصي الله به ولكن تستغله في الباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه حتى تمنع عما كنت تطوع به من البشاشة والرفق والمناة والقيام بحاجاته والمجالسة معه في ذكر الله تعالى والمناوة على النعمة له أو بترك الدعاء له والثناء عليه أو التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجاتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وإن كان لا يمرضك لعقاب الله ولما حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينطق على مسطح وكان قريبه لكونه تكبر في واقعة الإفك زل قوله تعالى - ولا تأتوا أولوا الفضل منكم - إلى قوله - ألا نجبرون أن يغفر الله لكم - فقال أبو بكر نعم نحب ذلك وعاد إلى الاتفاق عليه (٢) والأولى أن يبقى على ما كان عليه فإن أمكنه أن يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وإرغامًا للشيطان فذلك مقام الصديق وهو من فضائل أعمال القربين فلم يحقد ثلاثة أحوال عند القدرة . أحدها أن يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل . الثاني أن يحسن إليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل . الثالث أن يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الأراذل والثاني هو اختيار الصديقين والأول هو منتهى درجات الصالحين ولذا ذكر الآن فضيلة العفو والاحسان .

(فضيلة العفو والاحسان)

اعلم أن معنى العفو أن يستحق حقا فيسقطه ويرى عنه من قصاص أو غرامة وهو غير الحكيم والحكم

(فضيلة العفو)

(١) حديث المؤمن ليس بمحقد تهمد في العلم (٢) حديث لما حلف أبو بكر أن لا ينطق على مسطح زل قوله تعالى - ولا تأتوا أولوا الفضل منكم - الآية متفق عليه من حديث عائشة .

جدي فاذا قال شاهدنا
الصراف السقيم
صراف الدين أمنت
عليهم غير للتصوب
عليهم ولا الضالين -
قال الله تعالى هذا
ليدعي وليدعي مائلا
فالعلاصلة بين الرب
والبد وما كان صلة
بينه وبين الله خلق
البد أن يكون خاشعا
لصوة الربوبية على
المبودية وقد ورد أن
الله تعالى إذا تجلى
شيء خضع له ومن
يتحقق بالصلاة في الصلاة
تلع له طالع التجلي
فينشع والقلاخ للذين
هم في صلاتهم خاشعون
وبانتفاء الخشوع ينفي
القلاخ وقال الله تعالى
- وأتم الصلاة لذكرى -
وإذا كانت الصلاة
للذكر فكيف يقع

النيظ فذلك أفردناه قال الله تعالى - خذ الفؤ وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال الله تعالى - وأن تقموا أقرب للتقوى - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث والذي نفسي بيده لو كنت حلالاً لحلفت عليهن مائة مائة من صدقة تصدقوا ولا غار رجل عن مظلة بيتي بها وجه الله لإزائه الله بها عز يوم القيامة ولا تنح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « التواضع لا تزيد العبد إلا راحة فتواضعوا يرفقكم الله والفؤ لا يزيد العبد إلا عزاً فاعفوا يركم الله والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله (٢) » وقالت عائشة رضي الله عنها « مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلة ظلمها قوم ماله يتك من محارم الله فإذا انتهك من محارم الله شيء كان أشد من ذلك غضباً وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً (٣) » وقال عتبة « لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فابتدرته فأخذت يده أودبرني فأخذ يدي فقال : يا عتبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتمطي من حرملك وتغفو عن ظلمك (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « قال موسى عليه السلام يارب أي عبادك أعز عليك قال الذي إذا قدر عفا (٥) » وكذلك سئل أبو الدرداء عن أعز الناس قال الذي يعمو إذا قدر فاعفوا يركم الله « وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس وأراد أن يأخذه بظلمته فقال له صلى الله عليه وسلم : إن الظالمين هم للفلاحون يوم القيامة (٦) » فأتى أن يأخذها حين صعد الحديث وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات : يا معشر اللوحدين إن الله قد عفا عنكم فليعب بعضكم عن بعض (٧) » وعن أبي هريرة « أن رسول الله

فيها التيسان قال الله تعالى - لا تحربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون - فمن قال ولا يعلم ما يقول كيف يصل وقد نهى الله عن ذلك فالسكران يقول الشيء لا يحضور عقل والتالف يصل لا يحضور عقل فهو كالسكران وقيل في غرائب التفسير في قوله تعالى - فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى - قيل نعليك همك بإمرائك وغنمك فالاهتمام بغير الله تعالى سكر في الصلاة وقيل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفون أبحارهم إلى السماء في الصلاة وينظرون عينا وشيها فلما زلت

(١) حديث ثلاث والذي نفسي بيده إن كنت حالفا لحلفت عليهن ما قصت صدقة من مال الحديث الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري ومسلم وأبي داود نحوه من حديث أبي هريرة (٢) حديث التواضع لا تزيد العبد إلا راحة فتواضعوا يرفقكم الله الأصمغاني في الترغيب والترهيب وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث عائشة مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلة ظلمها قوم الترمذي في الشهاب وهو عند مسلم بلفظ آخر وقد تقدم (٤) حديث عتبة بن عامر يا عتبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك الحديث ابن أبي الدنيا والطبراني في معارج الكرام والأخلاق والبيهقي في الشعب بإسناد ضعيف وقد تقدم (٥) حديث قال موسى يارب أي عبادك أعز عليك قال الذي إذا قدر عفا الخرائطي في معارج الكرام الأخلاق من حديث أبي هريرة وفيه ابن أبي الدنيا وفيه ابن أبي الدنيا في معارج الكرام يوم القيامة وفي أوله قصة ابن أبي الدنيا في كتاب الفؤ من رواية أبي صالح الخنزي مرسل (٦) حديث أنس إذا بعث الله عز وجل الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات يا معشر اللوحدين إن الله قد عفا عنكم فليعب بعضكم عن بعض أبو سعيد أحمد بن إبراهيم القرقي في كتاب التبصرة والذكرة بلفظ ينادي مناد من بطن العرش يوم القيامة بأمة محمد إن الله تعالى يقول ما كان في قبلكم قد وهبته لكم وبقيت النعمات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي وإسناده ضعيف ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ ينادي مناد يا أهل الجمع تاركوا النظام ينسبكم وتوابكم على أوله من حديث أم هانئ ينادي مناد يا أهل التوجه ليعب بعضكم عن بعض وعلى الثواب .

صل الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بضادى الباب فقال ماقولون وما تقولون قالوا حولنا وابن عمك جبريل قالوا ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم أتقول كما قال يوسف - لا تشرب عليكم اليوم ينظر الله لكم وهو أرحم الراحمين (١) قالوا طرخوا أكثما فنصروا من القبور فدخلوا في الاسلام . وعن سبل بن عمرو قال « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يده على باب الكعبة والناس حوله قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم قال يا مضر فريضي ماقولون وما تقولون ؟ قال قلت يا رسول الله قول خيرا ولنظن خيرا أمع كرم وابن عم رحيم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتقول كمالا أمي يوسف - لا تشرب عليكم اليوم ينظر الله لكم - (٢) » وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا وقف العباد نادى مناد ليقيم من أجره على الله فليدخل الجنة قبل ومن ذالذي له على الله أجر ؟ قال العاقلون عن الناس فيقوم كذا وكذا أتألف فيدخلونها ينظر حساب (٣) » وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وليضوا وليسعدوا - الآية (٤) » وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل من أي أبواب الجنة شاء وزوج من الجور العين حيث شاء من أي دينا خفيا وقرأ في در كل صلاة - قل هو الله أحد - عشر مرات وعفا عن قاتله قال أبو بكر أو أحدهن يارسول الله قال أو أحدهن (٥) » . الآثار : قال إبراهيم التيمي إن الرجل يظلمني فأرحمه وهذا إحسان وراء الفؤ لأنه يشتغل قلبه بتعريضه لحسية الله تعالى بالظلم وأنه يطلب يوم القيامة فلا يكون له جواب وقال بعضهم إذا أراد الله أن ينجح عبدا فيض له من يظلمه ويدخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فيقبل يسكو إليه رجلا ظلمه ويضع فيه فقال له عمر إنك أن تلقى الله ومظنتك كماهي خير لك من أن تلقاه وقد اقتصتها . وقال يزيد بن ميسرة إن ظلمت تدعو على من ظلمك فإن الله تعالى يقول إن آخر يدعو عليك بأنك ظلمته فإن شئت استجبت لك وأجبتا عليك وإن شئت أخرتكما إلى يوم القيامة فيسكتا غفوى . وقال مسلم بن يسار رجل دعا على ظالمه كل الظالم إلى ظلمه فانه أسرع إليه من دعائك عليه إلا أن يتداركه بسبل ولكن أن لا يفعل . وعن ابن عمر عن أبي بكر أنه قال بلغنا أن الله تعالى يأمر مناديا يوم القيامة فينادي من كان له عند الله شيء فليقيم فيقوم أهل الفؤ فيكلمهم الله بما كان من عقوبهم عن الناس . وعن هشام بن محمد قال أتى النعمان بن النضر برجلين قد أذنب أحدهما ذنبا عظيما فغنا عنه والآخر أذنب ذنبا خفيفا فغناقه وقال :

تمسوا للؤلؤة عن المظلمين من الذنوب بغضها
وقد تهاجى في اليسير وليس ذاك لجلها

(١) حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بضادى الباب فقال ماقولون ماقولون الحديث رواه ابن الجوزي في الوفاء من طريق أبي أن الله تعالى وفيه ضعف (٢) حديث سبل بن عمرو لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يده على باب الكعبة الحديث بنحوه لم أجده (٣) حديث أنس إذا وقف العباد نادى مناد ليقيم من أجره على الله فليدخل الجنة قبل من ذالذي له على الله قال العاقلون عن الناس الحديث الطبري في معارج الأخلاق وفيه الفضل ابن يسار ولا يتابع في حديثه (٤) حديث ابن مسعود لا ينبغي لوالى أمر أن يؤتى بعد إلا أقمه والله غفوب الفؤ الحديث أحمد وإلحاكم وصححه وفتحهم في آداب الصحبة (٥) حديث جابر ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة من أي أبواب الجنة شاء أو أحدهن الطبري في الأوسط وفي الدعاء بسند ضعيف

- الذين هم في صلاحهم
خلصون - جعلوا
وجوههم حيث
يسجدون وما رءو بعد
ذلك أحد منهم ينظر
إلا إلى الأرض وروى
أبو هريرة رضى الله
عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال
« إن البعد إذا قلم إلى
الصلاة فانه بين يدي
الرحمن فإذا انتفت قال
له الرب إلى من تخلص
إلى من هو خير لك مني
إبن آدم أقبل إلى قائم
خير لك من تخلصت
إليه » وأبصر رسول
الله صلى الله عليه وسلم
رجلا يبيت ببعته في
الصلاة فقال لو خضع
قلب هذا خضع
جوارحه » ولقد قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إذا صليت

إلا ليعرف حلها وخاف شدة دخلها

وعن مبارك بن فضالة قال: وفد سوار بن عبد الله في وفد من أهل البصرة إلى أبي جعفر قال: فكنيت عنده إذ أتى رجل فأمر بقتله فقتل رجل من السليين وأنا حاضر فأتى أمير المؤمنين (عليه السلام) لأحدك حديثاً سمعته من الحسن قال وما هو؟ قلت سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد حيث يسمهم الماعى وينفخهم البصر فيقوم مناد فينادى من له عند الله يد فلبين فلا يقوم إلا من عفا قال والله لقد سمعته من الحسن قلت والله لسمعته منه قال خلتنا عنه. وقال معاوية عليكم بالعلم والاحسان حتى تمسكنكم الفرمة فإذا أنتم كنتم فليكنم بالصنع والإيفال. وروى أن راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال لراهب أ رأيت ذا القرنين؟ كان نبيا؟ فقال لا ولكنك إنما أعطى ما أعطى بأربع خصال كفى فيه: كان إذا قدر عفا وإذا وعد وفى وإذا حدث صدق ولا يجوع شغل اليوم لقد. وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم ظلم حتى إذا قدر اتهم ولكن الحليم من ظلم ظلم حتى إذا قدر عفا. وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة بيني الحقد والغضب. وأتى هشام رجل بقلبه عنه أمر فلما أقيم بين يديه جعل يشكم بحجته فقال له هشام وتكلم أيضا فقال الرجل يا أمير المؤمنين قال الله عز وجل - يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها - أفتجادل الله تعالى ولا تسكلم بين يديك كلاما. قال هشام بلى ويحك تسكلم. وروى أن سارقا دخل خباء همار بن ياسر بصفين قليل له أقطعه عنه من أعدائنا فقال بل أستر عليه لعل الله يستر على يوم القيامة. وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع طعاما فأتبعه ثم طلب الدرهم وكانت في عمامته فوجدها قد خالت فقد جلسوا إليها على فعلها يدعون على من أخذها ويقولون: اللهم أقطع يد السارق الذى أخذها اللهم أفل به كذا قال عبد الله اللهم إن كان حمله على أخذها حجة فيارك له فيها وإن كان حمله جرأة على الذنب فأعمله آخر ذنوبه. وقال الفضيل ما رأيت أزهد من رجل من أهل خراسان جلس إلى في المسجد الحرام ثم لم يطموف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت ألى الدنانير تبكى؟ فقال لا ولكن مثلتى وإياه بين يدي الله عز وجل فأشرف على إدحاض حجته فكأنى رحمة له وقال مالك بن دينار أتينا منزل أهل الحس ابن أيوب ليلا وهو على البصرة أمير وجاه الحسن وهو خائب فدخلنا معه عليه فبا كننا مع الحسن إلا بمنزلة الفراعنة قد ذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به إخوته من عيابه وإهم وطرحهم له في الحب فقال باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم وذكر مالمقى من كيد النساء ومن العجب ثم قال يا أبا الأمير ماذا صنع الله به أذاله منهم ورفع ذكره وأعلى كفته وجعله على خزان الأرض فسادا صنع حيناً كل له أمره وجمع له أهله - قال لا تتريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين - مرض للحكم بالعفو عن أصحابه قال الحكم فأنأ أقول لا تتريب عليكم اليوم ولو لم أجد إلا نوبى هذا لو أريتكم تحت وكتب ابن القعق إلى صديق له يسأله العفو عن بعض إخوته فلان هارب من زله إلى غفوك لا تد منك بك. واعلم أنه لن يزداد الذنب عظما إلا ازداد العفو فضلا. وأتى عبد الملك بن مروان بأسارى ابن الأشعث فقال لرجاء بن حيوة ما ترى؟ قال إن الله تعالى قد أعطك ما يحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو صفاء عنهم. وروى أن زيادا أخذ رجلا من الخوارج فأقلت منه فأخذ أسأ له فقال له إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك فقال أ رأيت إن جئت بك بآب من أمير المؤمنين فأتى سبيل قال نعم قال فأنأ أتيت بك بآب من المزيه الحكم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى ثم تلا - أم لم يبقا بما في صعب موسى وإبراهيم الذى وفى أن لا تزوروا زورا أخرى - فقال زياد دخلا سيده هذا رجل قد فهم حجته. وقيل مكتوب في الإنجيل من اسعبر لمن ظله فقد هزم الشيطان.

فصل صلاة مودع

فالمصل سائر إلى الله تعالى بقلبه يودع هواه ودينه وكل شيء سواه والصلاة في اللغة هي الدعاء فنكان الصلى يودع الله تعالى بجميع جوارحه صفات أعزاه كلها ألسنة يدعو بها ظاهرها وباطنها ويشترك الظاهر الباطن بالتفريع والقلب والحيث في غلقات يتضرع سائل محتاج فإذا دعا بقلبه أجاه مولاه لأنه وعده فقال - ادعوني - استجب لكم - كان خالدا إلى يقول بحجته لهذه الآية - ادعوني استجب لكم - أمرهم بالدعاء وعدم الإجابة ليس بينهما شرط والاستجابة والإجابة

(فضيلة الرفق)

اعلم أن الرفق محمود ويزاده العنف والحدة والعنف نتيجة الضرب والفظاظة واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الضرب وقد يكون سبب الحدة الحرس واسلأله بحيث يدهش عن التفكير ويمنع من التثبت للرفق في الأمور منجزة لا يشرها إلا حسن الخلق ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الضرب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولأجل هذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق واللين فيه فقال «يا عائشة إنه من أعطى حظه من الرفق قد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق قد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة»^(١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق»^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الرفق ليعطى على الرفق ما لا يعطى على الخرق وإذا أحب الله عبد أعطاه الرفق وما من أهل بيت يجرمون الرفق إلا حرموا عمة الله تعالى»^(٣) وقالت عائشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الله رقيق يحب الرفق يعطى عليه ما لا يعطى على العنف»^(٤) وقال عليه السلام «يا عائشة ارفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دلم على باب الرفق»^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم «من يجرم الرفق يجرم الخير كله»^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم «أيماناً وأولى فرقى ولان رفق الله تعالى بيوم القيامة»^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم «تدرون من يجرم على النار يوم القيامة كل حين لين سهل قريب»^(٨) وقال صلى الله عليه وسلم «الرفق بين والخرق شؤم»^(٩) وقال عليه السلام «التأني من الله والمجلة من الشيطان»^(١٠) وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال يا رسول الله «إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فأخصني منك بخير فقال الحمد لك مرتين أو ثلاثاً ثم أقبل عليه فقال هل أنت متوسم مرتين أو ثلاثاً قال نعم قال إذا أردت أمر اقتدر عاقبته فإن كان رشداً فأمنه وإن كان سوي ذلك فاته»^(١١)

(فضيلة الرفق)

(١) حديث يا عائشة إنه من أعطى حظه من الرفق قد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة الحديث أحمد والمثلي في الضعفاء في ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر الليثي وضمه عن القاسم عن عائشة وفي الصحيحين من حديثها يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله (٢) حديث إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق أحمد بسند جيد والبيهقي في الشعب بسند ضيف من حديث عائشة (٣) حديث إن الله ليعطى على الرفق ما لا يعطى على الخرق الحديث الطبراني في الكبير من حديث جرير بإسناد ضيف (٤) حديث إن الله رقيق يحب الرفق الحديث مسلم من حديث عائشة (٥) حديث يا عائشة ارفقي إن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دلم على باب الرفق أحمد من حديث عائشة وفيه انقطاع ولأبي داود يا عائشة ارفقي (٦) حديث من يجرم الرفق يجرم الخير كله مسلم من حديث جرير وروى قوله أنه نهي عنه أبي داود (٧) حديث أيماناً وأولى فلان ورفق رفق الله بيوم القيامة مسلم من حديث عائشة وفي حديث فيه ومن ولي من أمر أمي شيئاً فرفق بهم فإن رقى به (٨) حديث تدرون من على من يجرم النار على كل حين لين سهل قريب الترمذي من حديث ابن معدود وقدّم في آداب الصعبة (٩) حديث الرفق بين والخرق شؤم الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود والبيهقي في الشعب من حديث عائشة وكلاهما ضيف (١٠) حديث التأني من الله والمجلة من الشيطان أبو يعلى من حديث أنس ورواه الترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد انفظ الأمانة من أفق قدّم (١١) حديث أتاه رجل فقال يا رسول الله إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك الحديث وفيه فإذا أردت أمر اقتدر عاقبته فإن كان رشداً فأمنه الحديث ابن المبارك في الزهد والرفق من حديث أبي جعفر

هي تؤذ دعاء العبد
فإن الله يمدد الصادق
العالم بمن يدعو به نور
يقينه فتخرق الحجب
وتقف الدعوة بين
يدى الله تعالى فتعانية
للحاجة وخمس الله
تعالى هذه الأمانات
فأتم الكتاب وفيها
تقديم الشاء على الدعاء
ليكون أسرع إلى
الاجابة وهي تعليم الله
تعالى عباده كيفية
الدعاء وفأتم الكتاب

هي السبع للثاني
والقرآن العظيم قبل
سميت مثاني لأنها نزلت
على رسول الله صلى الله
عليه وسلم مرتين مرة
بمكة ومرة بالمدينة
وكان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم
بكل مرة نزلت منها فهم
آخر بل كان لرسول

وعن عائشة رضي الله عنها « أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه بينا وهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانة ولا ينزع من شيء إلا شانه ^(١) ». الآثار : بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جماعة من رعيته اشتكوا من عمله فأمرهم أن يوافوه فلما أتوه قام خمد الله وأثنى عليه قال : أيها الناس أيها الرعية إن لنا عليكم حقا الصبغة بالتيب والماءونة على الخير ، أيها الرعاة إن للرعية عليكم حقا فاعلموا أنه لا شيء أحب إلى الله ولا أعز من حلم إمام ورفقه وليس جهل أبشئ إلى الله ولا أغمر من جهل إمام وخرقه ، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهره يرزق العافية بمن هودونه. وقال وهب بن منبه الرفق شيء الحلم ، وفي الخير موقوفا ومرفوعا « العلم خليل للؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قبعة والرفق والده واللين أخوه والصبر أمير جنوده ^(٢) ». وقال بعضهم : ما أحسن الإيمان بزينة العلم وما أحسن العلم بزينة العمل وما أحسن العمل بزينة الرفق وما أضيف شيء إلى شيء مثل حلم إلى علم . وقال عمرو بن العاص لابنه عبيد الله : ما الرفق ؟ قال أن تكون ذائبا ناعفلا من الولاة . قال فما الخرق ؟ قال معادة إيمانك ومناوأة من يقدر على ضررك . وقال سفيان لأصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا أبا عبد الله قال أن تضع الأمور من مواضع الشدة في مواضعها واللين في مواضعها واللين في موضع السوط في موضعها ، وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج النظة واللين والفظافة بالرفق كما قيل :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلل مضر كوضع السيف في موضع الندى

فالمعهود وسط بين العنف واللين كما في سائر الأخلاق ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحدة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر فذلك كثرة تناء الشرع على جانب الرفق دون العنف وإن كان العنف في عمله حسنا كما أن الرفق في عمله حسن فإذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الحموى وهو ألد من الربد بالتيه وهكذا . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : روى أن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية يعاتبه في الثاني فكتب إليه معاوية . أما بعد : فإن التظهير في الخير زيادة رشد وإن الرشيد من رشد عن العجلة وإن الخائب من خاب عن الأناة وإن التثبت مصيب أو كاد أن يكون مصيبا وإن العجل مخطئ أو كاد أن يكون مخطئا وإن من لا ينفعه الرفق يضربه الخرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك العلى ، وعن أبي عون الأنصاري قال ما تسلك الناس بكلمة صعبة إلا ولى جانبها كلمة ألين منها تجرى مجراها . وقال أبو حمزة السكوني لا تتخذ من الحزم إلا ما لا بد منه فان مع كل إنسان شيطانا واعلم أنهم لا يعطونك بالشدة شيئا إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه. وقال الحسن المؤمن وقاف متأن وليس كطاب لب ليل فهذا ثناء أهل العلم على الرفق وذلك لأنه محمود ومفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور والحاجة إلى العنف قد تنفع ولكن على التدور وإعمال الكلام من بين مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطى كل أمر حقه فان كان قاصر البصيرة أو أشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله إلى الرفق فان النجح معه في الأكثر .

الله صلى الله عليه وسلم يكن مرة يقرؤها على التردد مع طول الزمان فهم آخرو هكذا للصلوات المتهفون من أمته يتكشف لهم عجائب أسرارها وتنفذ لهم كل مرة درر مجراها وقيل سميت مثالي لأنها استثبتت من الرسل وهي سبع آيات وروى لم رومان قالت رآني أبو بكر وأنا أميل في الصلاة فزجرت زجرا كدت أن أنصرف عن صلاتي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فليسكن أطرافه لا يتيمل بتمل اليهود فان سكوت الأطراف من تمام الصلاة » وقال رسول الله صلى الله

هو السمي عبد الله بن مسور الهاشمي ضعيف جدا ولا يقيم في كتاب الإيجاز من رواية إسماعيل الأنصاري عن أبيه عن جده إذا هممت بأمر فاجلس فقدر عاقبته وإسناده ضعيف (١) حديث عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانة ولا ينزع من شيء إلا شانه (٢) حديث العلم خليل للؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل فأفهم والرفق والدهما أبو الشيخ في كتاب الثواب وقضائل الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف ورواه التضاخي في مسند الشباب من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف.

(القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسيابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته)

(بيان ذم الحسد)

اعلم أن الحسد أيضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع الغضب أصل أصله ثم إن للحسد من الفروع الدائمة ما لا يكاد يحصى ، وقد ورد في ذم الحسد خاصة أخبار كثيرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» (١) وقال صلى الله عليه وسلم في النهي عن الحسد وأسيابه وعمراته «لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تداربوا وكونوا عباد الله إخوانا» (٢) وقال أنس «كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة قال فطلع رجل من الأنصار ينفض لحيتيه وضوئه قد علق نعليه في يده الثبال فسلم فلما كان القد قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبدالله بن عمرو ابن العاص فقال له إني لأحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا فإن رأيت أن تؤوبني إليك حتى تمضي الثلاث قلت فقال نعم فأت به ثلث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يغم حتى يقوم لصلاة الفجر قال غير أني ما سمعته يقول إلا خيرا فلما مضت الثلاث وكردت أن أحضر محله قلت بأبعد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فأردت أن أعرف عملي فلم أرك تعمل عملا كثيرا فما الذي بلغ بك ذلك فقال ما هو إلا ما رأيت فلما وليت دعائي فقال ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجده على أحد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله إياه قال عبدالله ع قتلت له هي التي بلغت بك وهي التي لا نطق» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاث لا ينجو منهن أحد الظن والطيرة والحسد وسأحدثكم بالمرح من ذلك إذا ظننت فلا تحقق وإذا طيرت فامض وإذا حسدت فلا تبغ» (٤) وفي رواية «ثلاثة لا ينجو منهن أحد وقل من ينجو منهن» فأثبت في هذه الرواية إمكان النجاة وقال صلى الله عليه وسلم «دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضاء هي الحالقة لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد بيده لا يَدْخُلُون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما شئت ذلك لكم أفشوا السلام بينكم» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم

(القول في ذم الحسد)

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أبو داود من حديث أبي هريرة وابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث لا تقاطعوا ولا تداربوا ولا تباغضوا الحديث متفق عليه وقد تقدم (٣) حديث أنس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة الحديث بطوله وفيه أن ذلك الرجل قال لا أجده على أحد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين ورواه الأبرار وصي الرجل في رواية له سعدا وفيها ابن لبيعة (٤) حديث ثلاث لا ينجو منهن أحد الظن والطيرة والهمد الحديث وفي رواية وقل من ينجو منهن ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي هريرة وفيه يعقوب بن محمد الزهري وموسى بن يعقوب الرمي ضعهما الجمهور والرواية الثانية رواها ابن أبي الدنيا أيضا من رواية عبد الرحمن بن معاوية وهو مرسل ضعيف والطبراني من حديث حارثة ابن النعمان نحوه وتقدم في آفات اللسان (٥) حديث دب إليكم داء الأمم الحسد والبغضاء الحديث الترمذي من حديث مولى الزبير عن الزبير .

عليه وسلم «تمودوا بالله من خشوع التفاف قبل وما خشوع التفاف قال خشوع البدن وتفا القلب» . أما عبد البرود قبل كان موسى يامل بن إسرائيل على ظاهر الأمور لفة ما في باطنهم فكان يبي الأمور ويظهرها ولهذا التي أوحى الله تعالى إليه أن يحل التوراة بالذهب ، ووقع لي والله أعلم أن موسى كان يرد عليه الولد في صلاته ومعالجته فيجوع به باطنه كبحر ساكن تهب عليه الريح فتلاطم الأمواج فكان غمائل موسى عليه السلام تلاطم أمواج بحر القلب إذا هب عليه نجات

« كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحمد أن يذهب القدر » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « إنه يصيب أمق داء الأمم قالوا وما داء الأمم قال الأشر والبطر والتكبر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون النبي ثم المهرج » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « لا تظهر الثمالة بأخيك فيما فيه الله وبينك » (٣) وروى أن موسى عليه السلام لما تمجد إلى ربه تعالى رأى في ظل العرش جلافة يحكمه بكمه فقال إن هذا لكريم على ربه فقال ربه تعالى أن غيره باسمه فلم يغيره وقال أحدكم من عمله ثلاث : كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يبق والده ولا يبغي بالقيمة وقال زكريا عليه السلام قال الله تعالى : الحاسد عدو لعمى منسخط قضائي غير راض بقسمي القى قسمت بين عبادي . وقال صلى الله عليه وسلم « أخوف ما أخاف على أمق أن يكثر فيه المال فيحاسدون ويقتلون » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « استنبوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « إن نعم الله أعداء قبيل ومن هم فقال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » (٦) وقال صلى الله عليه وسلم « ستة يدخلون النار قبل الحساب ستة قبل يارسول الله من هم قال الأمراء بالجر والعرب والصعيبة والدهاقين بالتكبر والتجار بالحياطة وأهل الرستاق والجبهة والفساء بالحسد » (٧) الآثار : قال بعض السلف أول خطبة كانت هي الحمد حسد إبليس آدم عليه السلام على ربه فآبى أن يسجد له فحله الحسد على الصبي . وحكى أن عون بن عبد الله دخل في القفل اليلب وكان يومئذ على واسط فقال إني أريد أن أعطك شيء فقال وما هو قال إيالك والسكبر قاته أول ذنب عصى الله به ثم قرأ - وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس - الآية وإيالك والحرص فانه أخرج آدم من الجنة أمكه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والأرض يأكل منها إلا شجرة واحدة نهى الله عنها فأكل منها فأخرجه الله تعالى منها ثم قرأ - اهبطوا منها - إلى آخر الآية وإيالك والحسد فاعقل

الفضل وربما كانت الروح تطلع إلى الحضرة الإلهية فتم بالامتلاء ولقلب بها تشبك وامزاج فيضطرب القلب ويتمايل فرأى اليهود ظاهره فبايلوا من غير حظ لبوا لهم من ذلك ولهذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكارا على أهل الوسوسة « هكذا

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحمد أن يذهب القدر أبو مسلم الكشي والبيهقي في الشعب من رواية يزيد الرقاشي عن أنس وي زيد ضعيف ورواه الطبراني في الأوسط من وجه آخر لفظ كادت الحاجة أن تكون كفرا وفيه ضعف أيضا (٢) حديث إنه يصيب أمق داء الأمم قيلكم قالوا وما داء الأمم قال الأشر والبطر الحديث ابن أبي الدنيا في ذم الحسد والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة بإسناد جيد (٣) حديث لا تظهر الثمالة بأخيك فيما فيه الله وبينك الترمذي من حديث وثالثه في الأسف وقال حسن غريب وفي رواية ابن أبي الدنيا في غيره الله (٤) حديث أخوف ما أخاف على أمق أن يكثر فيه المال فيحاسدون ويقتلون ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي عامر الأشعري وفيه ثابته بن أبي ثابت جهله أبو حاتم وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد إن محسدا أخاف عليكم من بدى نافع عليكم من زهرة الدنيا وزينتها ولهما من حديث عمرو بن عوف البصري والله ما الفقر أخشى عليكم ولكي أخشى أن تنسب عليكم الدنيا الحديث ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو إذا فقت عليكم فارس والروم الحديث وفيه يتافهون ثم يحاسدون ثم يتدبرون الحديث ولأحمد والزيار من حديث عمرو لا تنسب الدنيا على أحد إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة (٥) حديث استنبوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود ابن أبي الدنيا والطبراني من حديث معاذ بسند ضعيف (٦) حديث إن نعم الله أعداء قبيل ومن أولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس إن أهل الم حسادا فاحذروهم (٧) حديث ستة يدخلون النار قبل الحساب ستة قبل يارسول الله ومن هم قال الأمراء بالجر الحديث وفيه والفساء بالحسد أبو منصور الديلمي من حديث ابن عمر وأنس بسندين ضعيفين .

خرجت عظمة الله من قلوب بني إسرائيل حتى شهدت أبدانهم وقامت قلوبهم لا يغبل الله صلاة امرئ لا يشهد فيها قلبه كما يشهد بدنه وإن الرجل على صلاته دائم ولا يكتب له عثره إذا كان قلبه ساهيا لا هياها وأعلم أن الله تعالى

ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ - وائل عليهم نبأ ابن آدم بالحق - الآيات، وإذا كراه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك وإذا ذكر القدر فاسكت وإذا كرت النجوم فاسكت. وقال بكر بن عدي أنه كان رجل يخشى بعض اللوك فيقوم بحذاء الملك فيقول أحسن إلى الحسن بأحسنه قال صلى الله عليه وسلم ميكائيل إسماءه لحسده رجل على ذلك للقام والكلام فسمى به إلى الملك فقال إن هذا الذي يقوم بحذاءك ويقول ما يقول زعم أن الملك أغبر فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه إليك فإنه إذا نادى منك وضع يده على أذنه لئلا يسمع ربح البخر فقال له أنصرف حتى أنظر نخرج من عند الملك فعدا الرجل إلى منزله فأطمعه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك على عادته فقال أحسن إلى الحسن بأحسنه فان للسوء ميكائيل إسماءه فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه فخافه أن يشم الملك منه رائحة الثوم فقال الملك في نفسه ما أرى فلانا إلا قد صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أوله فسكتب له كتابا بخطه إلى عامل من عماله إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذهبه واسلمه واحش جلده تبنا وابتس به إلى فأخذ الكتاب وخرج فلقبه الرجل الذي سمى به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك لي بصفة فقال به لي فقال هو لك فأخذه ومضى به إلى العامل فقال العامل في كتابك أن أذبحك وأسلكك قال إن الكتاب ليس هو لي فأنه الله في أمري حتى تراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذهب وسلمه وحشا جلده تبنا وابتس به ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته وقال مثل قوله فسحب الملك وقال ماضل الكتاب فقال لقمي فلان فاستوجهه مني فوجهته له قال له الملك إنه ذكر لي أن بك زعم أتى أغبر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على فيك قال لأنه أطمعني طعاما فيه ثوم فسكرته أن تشمه قال صدقت ارجع إلى مكانك فقد كفى للسوء إسماءه . وقال ابن سيرين رحمه الله ما حدثت أحدا على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو صير إلى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما أنساك بن يعقوب نعم ولكن غمه في صدره فإنه لا يضره ما لم تعد به بدا ولا لسانا . وقال أبو الدرداء ما أكره عبد ذكرا لو أن لا يقل فرحه وقل حسده وقال معاوية كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد فإنه لا يرضيه إلا زوالها ولذلك قيل :

كل العداوات قد ترجى إماتها إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسد ما بقي . وقال أعراي ما رأيت ظما أشبهه بمظلوم من حاسد إنه يرى النعمة عليك نعمة عليه . وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد أخاك فإن كان الذي أعطاه لكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار . وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس إلا مزمة وذلا ولا ينال من الملاهي إلا لمة وبضا ولا ينال من الخلق إلا جزعا وغما ولا ينال عند الزرع إلا هدة وهو لا ينال عند الوقف إلا فضيحة ونكالا .

(بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه)

اعلم أنه لا حسد إلا على نعمة فإذا أتم الله على أخيك نعمة فلنك فيها حالان : أحدهما أن تذكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حدة كراهة النعمة فوجب زوالها عن النعم عليه . الحالة الثانية أن لا تحب زوالها ولا تذكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تخلص باسم المنافسة وقد تسمى للنافسة حسدا والجدد منافسة ووضع أحد الطرفين موضع الآخر ولا حرج في الأسماء بعد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه وسلم : إن المؤمن يغيظ

(بيان حقيقة الحسد وحكمه)

أوجب الصلوات الحسنى
وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« الصلاة عماد الدين »
فمن ترك الصلاة فقد
كفر « بالصلاة تحقيق
العبودية وأداء حق
الربوبية وسائر
العبادات وسائر إلى
تحقيق سر الصلاة .
قال سهل بن عبد الله
يحتاج العبد إلى السنن
الرواتب لتكميل
الفرائض ويحتاج إلى
النوافل لتكميل
السنن ويحتاج إلى
الآداب لتكميل
النوافل ومن الأدب
ترك الدنيا والى ذكره
سهل هو معنى ما قال
عمر بن الخطاب إن
الرجل يشيب عارضا
في الإسلام وما أكل
له صلاة قبل وكيف

والنافع محمد (١) « فأما الأول فهو حرام بكل حال إلا نعمة أصابها فأنجر أو كافر وهو يستعين بها على تهيج التهمة وإفساد ذات الدين وإيذاء الخلق فلا يشارك كراهتك لها وعيبك لزوجها فانك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آلة الفساد ولو امت فسادهم يفسدك نعمتهم ويبدل على تحريم الحسد الأخبار التي نقلناها وأن هذه الكراهة تسخط قضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة وأى مصيبة تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة وإلى هذا أشار القرآن بقوله - إن تمسك حسنة نسؤم وإن تمسك سيئة فخرابها - وهذا الفرع شناعة الحسد والشناعة يتلزمان وقال تعالى - ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم - فأخبر تعالى أن جهنم زوال نعمة الإيمان حسداً وقال عز وجل - ودوا لو تكفرون كما كفروا فكفروا نوا سوا سوا سوا كراهة تعالى حسداً وخوة يوسف عليه السلام وعبر عما في قلوبهم بقوله تعالى - إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين - اقتلوا يوسف وأوطر حوه أرضاً لخل لكم رجوعاً لكم - فلما كرهوا أحب أبهم له وساءم ذلك وأحبوا زواله عنه فقبوه عنه وقال تعالى - ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا - أى لا يفتنون صدورهم به ولا يفتنون فأنش عليهم يمد الحسد وقال تعالى في معرض الإنكار - أم يجدون الناس على ما آتاهم الله من فضله - وقال تعالى - كان الناس أمموا أحدياً إلى قوله - إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم البينات بنيائهم - قيل في التفسير حسداً وقال تعالى سوماً فرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بنيائهم - فأزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته وأمرهم أن يتنقلوا بالعلم فحاصدوا واختلقوا إذ أراد كل واحد منهم أن ينفرد بالرئاسة ويقول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس : كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوماً قالوا نألكم بالنبي الذي وعدتنا أن يرسله وبالكتاب الذي نزلنا إلا ما نصرتنا (٢) . فكانوا ينصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل عليه السلام عرفوه وكفروا به بعد معرفته إياه فقال تعالى - وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به إلى قوله أن يكفروا عما أزل الله بنياً - أى حسداً . وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم : جاءني وعمي من عندك يوماً فقال لي لمعي ما تقول فيه قال أقول إنه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى قال أرى معاداته أيام الحياة (٣) فهذا حكم الحسد في التحريم . وأما للنافعة فليست بحرام بل هي إما واجبة وإما مندوبة وإما مباحة وقد يستعمل لفظ الحسد بدل للنافعة وللنافعة بدل الحسد

(١) حديث الثؤمن يبط والنافع محمد لم أجده أصلاً مرفوعاً وإنما هو من قول الفضيل بن عياض كذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد (٢) حديث ابن عباس قوله كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوماً قالوا نألكم بالنبي الذي وعدتنا أن يرسله الحديث في نزول قوله تعالى - وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا - ابن إسحاق في السيرة ذكراً بله عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره نحوه وهو منقطع (٣) حديث قالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم : جاءني وعمي من عندك يوماً فقال لي لمعي ما تقول فيه قال أقول إنه النبي الذي بشر به موسى الحديث ابن إسحاق في السيرة قال حدثني أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال حدثني عن صفية فذكره نحوه وهو منقطع أيضاً

ذلك قال لا يمتدحسوها وتوأمها وإياه على الله فيها وقد ورد في الأخبار « إن العبد إذا قام إلى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجه الكريم وفاضت الملائكة من لدن منكبيه إلى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وإن المصل ليشرع عليه البر من عاتق السماء إلى مفرق رأسه ويناديه مناد لو علم المصلي من يناجي ما لفتت » أو ما اغتزل وقد جمع الله تعالى للمصلين في كل ركعة ما فرق على أهل الصلوات فله ملائكة في الركوع منذ خلقهم الله لا يرضون من

فَلَمْ يَمْنَحْ بَيْنَ الْبَاسِ لَمَّا أَرَادَ هُوَ وَالْفَضْلُ أَنْ يَأْتِيَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَسْأَلَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُمَا عَلَى الصَّدَقَةِ قَالَا لَمْ نَلْنِي حِينَ قَالَ لهما لِأَهْلِيهِمَا أَنْ يَأْتِيَهُمَا عَلَى قَوْلِهِ مَا هَذَا مِنْكَ إِلَّا غَشَاةٌ وَاللَّهُ أَقْدَرُ زَوْجَكَ ابْنَتُهُ لَمَّا تَسْأَلُكَ عَلَيْكَ (١) أَيْ هَذَا مِنْكَ حَسَدٌ وَمَا حَسَدُكَ عَلَى تَرْوِجِهِ عَلَيْكَ فَاطْمَنةُ وَالنَّافِثَةُ فِي الْفَتَى مُشْتَقَّةٌ مِنَ النَّافِثَةِ وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى إِبَاحَةِ النَّافِثَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى - وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ - وَقَالَ تَعَالَى سَابِقُوا إِلَى مَفْرَقَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ - وَإِنْ سَالَتْ جَاءَتْ عَنْدُ خَوْفِ الْفُتُورِ وَهُوَ كَالْبُعْدَيْنِ يَسْبِقَانِ إِلَى خِدْمَةِ مَوْلَاهُمَا إِذْ يَجْزَعُ كُلُّ وَاحِدٍ أَنْ يَسْبِقَهُ سَابِقُ فَيَحْظِي عِنْدَ مَوْلَاهُ بِمَنْزِلَةٍ لَا يُعْطَى هُوَ بِهَا كَيْفِيَّةٌ وَقَدْ صَرَّحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ قَالُوا لِحَسَدِهِ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا فِطْلَةَ عَلَيْهِ هَلَكَتُهُ عَلَى الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا فَهُوَ يَعْمَلُ بِهِ وَيَعْلَمُ النَّاسُ (٢) ثُمَّ فَرَسَ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ أَبِي كَبْشَةَ الْأَسْمَارِيُّ قَالُوا مِثْلُ هَذِهِ الْأَمْعَةِ مِثْلُ رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا عِلْمَ لَهُ فَيَعْمَلُ بِسِلْمِهِ فِي مَالِهِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يُوْتِهِ مَا لَا يَقُولُ رَبُّهُ لَوْ أَنَّ لِي مِثْلُ مَا لَكَ فَلَانَ لَكُنْتُ أَجْعَلُ فِيهِ مِثْلَ عَمَلِهِ فَمَا فِي الْأَجْرِ سِوَاهُ وَهَذَا مِنْهُ حَبٌّ لِأَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ مَا لَهُ فَيَعْمَلُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ مِنْ غَيْرِ حَبٍّ زَوَالِ النِّعْمَةِ عَنْهُ قَالَ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يُوْتِهِ عِلْمًا فَهُوَ يَنْفَقُهُ فِي مَعَاصِي اللَّهِ وَرَجُلٌ لَمْ يُوْتِهِ عِلْمًا وَلَمْ يُوْتِهِ مَا لَا يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مِثْلُ مَا لَكَ فَلَانَ لَكُنْتُ أَتَقَفُّهُ فِي مِثْلِ مَا أَتَقَفُّهُ فِيهِ مِنَ الْمَعَاصِي فَمَا فِي الْوَزْرِ سِوَاهُ (٣) فَهَذِهِ رِثْمَةُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جِهَةِ تَنْبِيهِ لِلْحَصِيَّةِ لَا مِنْ جِهَةِ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنَ النِّعْمَةِ مِثْلُ مَا لَهُ فَإِذَا لَاحِظَ عَلَى مَنْ يَنْبِطُ غَيْرُهُ فِي نِعْمَةٍ وَيَنْتَهِي لِنَفْسِهِ مِثْلَهَا مِمَّا لَمْ يَحِبَّ زَوَالَهَا عَنْهُ وَلَمْ يَكْرَهُ دَوَامَهَا لَهُ ، نَحْنُ إِنْ كَانَتْ تِلْكَ النِّعْمَةُ نِعْمَةً دِينِيَّةً وَاجِبَةً كَالْإِيمَانِ وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ فَهَذِهِ النَّافِثَةُ وَاجِبَةٌ وَهُوَ أَنْ يَحِبَّ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ يَحِبُّ ذِكْرَهُ يَكُونُ رَاضِيًا بِالْحَصِيَّةِ وَذَلِكَ حَرَامٌ وَإِنْ كَانَتْ النِّعْمَةُ مِنَ الْفَضَائِلِ كَالنَّاقِ الْأَمْوَالِ فِي الْمَسَاكِينِ وَالصَّدَقَاتِ فَالْمُنَافِثَةُ فِيهَا مَذْبُوبٌ إِلَيْهَا وَإِنْ كَانَتْ نِعْمَةً يَنْتَمِي بِهَا إِلَى وَجْهِ مَبِيعٍ فَالْمُنَافِثَةُ فِيهَا مَبِيعَةٌ وَكُلُّ ذَلِكَ رُجِعَ إِلَى إِرَادَةِ مَسَاوَاتِهِ وَالْحَقُّ فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ وَلَيْسَ فِيهَا كِرَاهَةُ النِّعْمَةِ وَكَانَ تَحْتَ هَذِهِ النِّعْمَةِ أَعْرَافُ أَحَدُهَا رَاحَةُ النِّمِّ عَلَيْهِ وَالْآخَرُ ظُهُورُ نِقْصَانٍ غَيْرِهِ وَتَخَلُّفُهُ عَنْهُ وَهُوَ يَكْرَهُ أَحَدَ الْوَجْهَيْنِ وَهُوَ تَخَلُّفُ نِقْصِهِ وَحِبُّ مَسَاوَاتِهِ لَهُ وَلَاحِظَ عَلَى مَنْ يَكْرَهُ تَخَلُّفَ نِقْصِهِ وَتَقْصَانَهَا فِي اللَّيَالِي ، نَحْنُ ذَلِكَ نَقْصُ مِنْ الْفَضَائِلِ وَيَنْاقِضُ الزُّهْدَ وَالتَّوَكُّلَ وَالرِّضَا وَعَجَبُ عَنِ الْقَامَاتِ الرَّقِيعَةِ وَلَكِنَّهُ لَا يُوجِبُ الْعِيَانِ ، وَهِيَ دَقِيقَةٌ غَاضِيَةٌ ، وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا أَسِسَ مَنْ أَنَّ يَبَالُ مِثْلَ تِلْكَ النِّعْمَةِ وَهُوَ يَكْرَهُ تَخَلُّفَهُ وَتَقْصَانَهَا فَلَا مَحَالَةَ عَجَبُ زَوَالِ النِّقْصَانِ وَإِنْ جَازَلَ تَقْصَانَهُ بِمَا يَبَالُ مِثْلَ ذَلِكَ أَوْ بَانَ زَوَالُ نِعْمَةِ الْمَحْسُودِ فَإِذَا أَسَدَا أَحَدُ الطَّرِيقَيْنِ فَيَكَادُ الْقَلْبُ أَنْ يَنْفَكَ عَنْ شِدَّةِ الطَّرِيقِ الْآخَرِ حَقٌّ إِذَا زَالَتِ النِّعْمَةُ عَنِ الْمَحْسُودِ كَانَ ذَلِكَ أَشَقَّ عِنْدَ مَنْ دَوَامًا إِذْ يَزُولُهَا وَيَزُولُ تَخَلُّفُهُ وَتَقْصَانُهُ ، وَهَذَا يَكَادُ يَنْفَكُ الْقَلْبُ عَنْهُ فَإِنْ كَانَ حَبِيبًا لَوْ أَنَّ الْأُمْرَ إِلَيْهِ وَورد

(١) حَدِيثٌ قَالَ تَمِّمُ بْنُ الْبَاسِ لَمَّا أَرَادَ هُوَ وَالْفَضْلُ أَنْ يَأْتِيَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَسْأَلَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُمَا عَلَى الصَّدَقَةِ قَالَا لَمْ نَلْنِي الْحَدِيثَ هَكَذَا وَقَعَ لِلْمُصَنِّفِ أَنَّهُ تَمَّ وَالْفَضْلُ وَإِنْ جَاءَهُمَا وَالْفَضْلُ وَالْطَّلَبُ ابْنُ رِيْمَةَ كَمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ الطَّلَبِ ابْنُ رِيْمَةَ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ اجْتَمَعَ رِيْمَةُ بْنُ الْحَارِثِ وَالْبَاسُ بْنُ عَبْدِ الطَّلَبِ قَالَا وَاللَّهِ لَوْ بَشَا هَذَيْنِ الْفَلَاحَيْنِ قَالَ لِي وَالْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ أَتَيْتَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَاهُ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ (٢) حَدِيثٌ لِحَاسِدٍ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ الْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمَرَ وَقَدْ خَدِمَ فِي الْعِلْمِ (٣) حَدِيثُ أَبِي كَبْشَةَ مِثْلُ هَذِهِ الْأَمْعَةِ مِثْلُ رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا الْحَدِيثَ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَسَنٌ مُصَحِّحٌ

الرَّكُوعُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
وهكذا في السجود
والقيام والاعمال والبعد
للتيقظ ينصف في
ركوعه بصفة الرَّاكِعِينَ
منهم وفي السجود
بصفة السَّاجِدِينَ وفي
كل هيئة هكذا يكون
كالواحد منهم وبينهم
وفي غير الفريضة
ينبغي للمصل أن يبتك
في ركوعه مثلذا
بالركوع غير مهم
بالرفع منه فأن طريقه
سامة بحكم الجيلة
استغفر منها ويستديم
تلك الهيئة ويتطلع
أن يذوق المحشور
اللائق بهذه الهيئة
ليسير قلبه بلون الهيئة
وربما تراءى للراكع
الحق أنه إن سبق
هم في حال الركوع
أو السجود إلى

إلى اختياره لى في إزالة النعمة عنه فهو حشود حشدا مضموما وإن كان قدس القوي عن إزالة ذلك فيضى مما يجد في طبعه من الارتياح إلى زوال النعمة عن محشودهما كان كارهها لذلك من نفسه بقوله ودنه وله القى قوله على الله عليه وسلم ثلاث لا يفتك المؤمن عنهن : الحسد والظن والطيرة (١) ثم قال «وه منهن» مخرج إذا حدث فلا تبغ «أى إن وجدت في قلبك شيئا فتأمل بهويدا يكون الإنسان مريدا لحاق بأخيه في النعمة فيحس عنها ثم يفتك عن ميل إلى زوال النعمة إذ يجد لاحتالة ترجيحها على دوامها فهذا الحد من الثافة بزاحم الحسد الحرام فينبغي أن يحاط فيه بما موضع الخطر وما من إنسان إلا وهو يرى فوق نفسه جماعة من مكاره وأقرانه يحسب أسوأهم ويكاد يجر ذلك إلى الحسد المخطور إن لم يكن قوى الإيمان رزين القوى ومهما كان محرره خوف الثافات وظهور قهانه عن غيره جره ذلك إلى الحسد للذموم وإلى ميل الطبع إلى زوال النعمة عن أخيه حتى ينزل هو إلى مساواته إذ لم يقدر هو أن يرتقى إلى مساواته بأدراك النعمة وذلك لأرخص فيه أصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا ولكن يفتى عنه في ذلك ما لم يصل به إن شاء الله تعالى وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد وأحكامه. وأما ما أتت به فارب : الأولى : أن يحب زوال النعمة عنه وإن كان ذلك لا ينقل إليه وهذا غاية الحب. الثانية : أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو مئة نالها غيره وهو يحب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة لأزوالها عنه ومكرهه قد النعمة لانتهم غيره بها. الثالثة : أن لا يشهى عينا لنفسه بل يشهى مثلها فإن عجز عن مثلها أحب إليها ولا ينظر الثافات بينهما. الرابعة : أن يشهى لنفسه مثلها فإن لم تحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الأخير هو المقصود عنه إن كان في الدنيا وللندوب إليه إن كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم أو الثانية أخف من الثالثة والأولى مذموم محض وتسمية الرتبة حشدا فيه يجوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى - ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض - فتمنه مثل ذلك غير مذموم وأما غنية عن ذلك فهو مذموم.

(بيان أسباب الحسد والثافة)

أما الثافة فسيها حب ما فيه الثافة فإن كان ذلك أمرا دينيا فسيها حب الله تعالى وحب طاعته وإن كان دنويا فسيها حب مباحات الدنيا والتعمم فيها وإنما نظرنا الآن في الحسد للذموم ومداخله كثيرة نجدا ولكن يحصر جملة سبعة أبواب : العداوة والتعزز والكبر والتجب والخوف من قوت القاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وغلبا فانه بما يكبره النعمة على غيره إما لأنه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالأثمال بل بحسد الحسيس الملك بمعنى أنه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب إساءته إليه أو أولى من محبه وإما أن يكون من حيث يعلم أنه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لمزة نفسه وهو المراد بالتعزز وإما أن يكون في طبعه أن يشكر على المحسود ويتمتع ذلك عليه لنعمته وهو المراد بالشكر وإما أن تكون النعمة عظيمة والنسب عظيم فتمتجب من فوز مثله بثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب وإما أن يخاف من قوت مقاصد بسبب نعمته بأن يتوصل بها إلى مزاحمته في أغراضه وإما أن يكون يحب الرياسة التي تفتى على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها وإما أن لا يكون بسبب من هذه الأسباب بل لحث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى ولا بد من شرح هذه الأسباب . السبب الأول : العداوة والبغضاء وهذا أحد أسباب الحسد

الرفع منه ما وقع للمرية
حقا فيكون همه
الهيئة مستغنى فيها
مشغولا بها عن غيرها
من الهيات فذلك
يتوفر حظه من بركة
كل هيئة فإن السرعة
التي يتقاضى بها الطبع
تسد باب التفرغ ويوقف
في مهاب الثفات
الإلهية حتى يشكامل
حظ السعد فتتمنى
آثاره بحسن الاسترسال
ويستفر في مقصد
الوصال . وقيل في
الصلاة أربع هيات
وسنة أذكراكها هيات
الأربع القيام والقعود
والركوع والسجود
والأذكراكها الصلاة
والاستغفار والثناء
والصلاة على النبي عليه
الصلاة والسلام فصارت

(١) حديث ثلاث لا يفتك المؤمن عنهن : الحسد والظن والطيرة الحديث تقدم غير مرة .

(بيان أسباب الحسد والثافة)

فإن من آذله غنص يسبب من الأسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه أمضه عليه وغضب عليه ورسخ في قسه الحقد والحقد يقتضي التشنج والانتقام فإن حيز اليئس عن أن يتشج بنفسه أحب أن يتشج منه إيمان وربما يحبل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فهما أصابت عدوه بلية فرح بها وظلها بكافاة له من جهة الله على فضه وأنها لأجله ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك لأنه مضر مدور بها يحظر له أنه لا مثولة له عند الله حيث لم يتم له من عدوه الذي آذله بل أنتم عليه. وبالجملة فالغضب يوجب اليئس والمدةولة ولا غارقهما وإنما غاية التقي أن لا يئس وأن يكره ذلك من قسه فأما أن يئس أناسانهم يستوى عنده مسرته ومساوته فهذا غير ممكن وهذا ما وصف الله تعالى الكفار بأفعى الحسد بالعداوة إذ قال الله تعالى - وإذا هوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الفيلق قولوا يا بنيظكم إن الله علم بذات الصدور - إن تمسك حسنة تؤثم - الآية ، وكذلك قال تعالى سودا ما علمتم قد بدت البضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر - والحسد بسبب اليئس ربما يغضى إلى التنازع والقتال واستمرق العصر في إزالة النعمة الحبل والسعاية وهتك السر وما يجري مجراه. السبب الثاني: التمز وهو أن يظن عليه أن يترفع عليه غيره فإذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علما أو مالا خاف أن يتكبر عليه وهو لا يطبق تكبره ولا تسمح قسه باحتيال صلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه أن يتكبر بل غرضه أن يدفع كره فانه قد رضى بمساواته مثلا ولكن لا رضى بالترفع عليه. السبب الثالث: التكبر وهو أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستغفره ويستغفره ويتوقع منه الاتياده وللنافة وللنافة أغراضه فإذا نال نعمة خاف أن لا يحبل تكبره ويترفع عن متابعه أو ربما ينشوف إلى مساواته أو إلى أن يترفع عليه فيعود متكبرا جد أن كان متكبرا عليه من التكبر والتعز كان حسدا كثر الكفار لرسول الله ﷺ إذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطأ على رؤسنا قاهوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم (١) أي كان لا يثقل علينا أن نترافع له وتبته إذا كان عظيما وقال تعالى يصف قول قريش - أهؤلاء من الله عليهم من بيننا - كالاتخار لهم والأفنة منهم. السبب الرابع: التصجب كأخبر الله تعالى عن الأمم السالفة إذ قالوا ما آتاهم إلا بشر مثلنا - وقالوا - أنؤمن لبشر مثلنا - ولئن أطعتم جبرائلكم إنكم إذا لحسرون - فتعجبوا من أن يفوز رتبة الرسالة والوحى والقرب من الله تعالى بشر مثلهم لحسودم وأحبوا زوال النبوة عنهم جزعا أن يغضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لآعن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة أو سبب آخر من شأر الأسباب وقالوا متعجبين - أبش الله جبرائلا رسولا - وقالوا - لولا أنزل علينا اللاتكة - وقال تعالى - أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم - الآية ، السبب الخامس : الخوف من فوت القاصد وذلك غنص بمزاحجين على مقصود واحد فأن كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عوناً له في الاشراد فيقصودون من هذا الجنس تحاسد الضرائق في الزام على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في الزام على نيل اللزقة في قلب الأيوون لتوصل به إلى مقاصد الكرامة والسال وكذلك تحاسد الصديقين لأن شادوا واحد على نيل اللزقة من قلب الأستاذ وتحاسد ندماء لللك وخواصه في نيل اللزقة من قلبه لتوصل به إلى السال

(١) حديث حبيب نزول قوله تعالى - لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - ذكر ما بين اسحاق في السيرة وإن قائل ذلك الوليد بن النيرة قال أنزل على محمد وأركونا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود عمرو بن حمر التقي سيد تهيف فنص عظماء القريتين فأزل الله فبا يئس هذه الآية ورواه أبو محمد بن أبي حاتم وابن مردويه في تفسيرهما من حديث ابن عباس إلا أنها قالا مسعود بن عمرو وفي رواية لابن مردويه حبيب بن حمر التقي وهو صعب .

عشرة كلمة عرق
هذه العشرة على عشرة
صفوف من اللاتكة
كل صف عشرة آلاف
فيجمع في الركتين
ما يفرق على مائتات
من اللاتكة .

[السبب السابع
والاثنون في وصف
صلاة أهل القرب]
وتذكر في هذا الفصل
كيفية الصلاة ببياتها
وشروطها وآدابها
الظاهرة والباطنة على
الكامل بأقصى ما انتهى
إليه فهنا وعلمنا على
الوجه مع الاعراض
عن نقل الأقوال في
كل شيء من ذلك إذ في
ذلك كثرة وبخرج
عن حدة الاختصار
والإيجاز القصود فنقول
وبالله التوفيق : ينبغي
لعمد أن يستمد للصلاة

والجاء وكذلك تحاسد الواعظين للزّاحمين على أهل بلعة واحدة إذا كان غرضها نيل المال بالقبول وعدمه وكذلك تحاسد العالمين للزّاحمين على طائفة من التفقة محصورين إذ يطلب كل واحد منهم في قلوبهم التوصل بهم إلى أغراض له . السبب السادس : حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل به إلى القصد وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون إذا غلب عليه حب التناء واستغزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد البهر وفريد العصر في فنه وأنه لا نظير له فإنه لو سمع نظيره له في أقصى العالم لسأده ذلك وأحب موته أو زوال النعمة عنه التي بها يشاركه في اللذة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما يفتخرون به ويفرح بسبب غرده وليس السبب في هذا عداوة ولا تمززا ولا تكبرا على المحسود ولا خوف من فوات القصد سوى محض الرياسة بدعوى الاشراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والترفقة في قلوب الناس للتوصل إلى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود يشكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم واستتباعهم مما نسخ عنهم . السبب السابع : خبث النفس وشحها بالخير لمباد الله تعالى فأنك تجد من لا يشغل رياسة وتكبر ولا طلب مال إذا وصف عنده حسن حال جيد من نجاد الله تعالى أنهم الله به عليه يشق ذلك عليه وإذا وصف له اضطراب أمور الناس وإدبارهم وفوات مقاصدهم وتنقص عيشهم فرح به فهو أبدع إقباله لغيره ويسخط بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزائنه ويقال البخل من يخيل بمال نفسه والتشحيح هو الذي يخيل بمال غيره فهذا يخيل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه وبينهم عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث في النفس وردالة في الطبع عليه وقت الحيلة ومساكنة شديدة لأن الحسد الثابت بآثر الأسباب أسبابا عارضة تصور روالها فيقطع في إزالتها وهذا خبث في الحيلة لا عن سبب عارض قصير إزالتها إذ يستجبل في العبادة إزالتها فهذه هي أسباب الحسد وقد تجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعا في شخص واحد فيعظم فيه الحسد بذلك ويحوى قوة لا يفسد معها على الإخفاء والمجاهلة بل يثبتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة وأكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الأسباب وقفا يتجدد سبب واحد منها .

(بيان السبب في كثرة الحسد بين الأئمة والأقران والإخوة وبني الم والأقارب)

وتأكدته وقلته في غيرهم وضحه)

اعلم أن الحسد إنما يكثر بين قوم تكثر بينهم الأسباب التي ذكرناها إنما يحوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الأسباب فيهم وتظاهر إذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لأنه قد يتجمع عن قبول التكبر ولأنه يشكّر ولأنه عداو ولغير ذلك من الأسباب وهذه الأسباب إنما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المحاطبات ويتواردون على الأغراض فإذا خالف واحد منهم صاحبه في غرض من الأغراض قرر طبعه عنه وأبغضه وثبت الحقد في قلبه فعد ذلك يريد أن يستحقه ويشكّر عليه ويكافئه على مخالفته لثمرته ويكره تمسكه من النعمة التي توصله إلى أغراضه وتترادف جملة من هذه الأسباب إذ لارابطة بين شخصين في بلدين متباينتين فلا يكون بينهما محاسدات وكذلك في محلتين ، ثم إذا تجاورا في مسكن أو سوق أو مدرسة أو مسجد أو راد على مقاصد تتناقض فيها أغراضهما فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تور به أسباب الحسد ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البراز إلا بسبب آخر سوى الاجتناع في الحرمة وحسد الرجل أخاه وإن عمه أكثر بما يحسد الأجانب

تبيل دخول وقتها بالوضوء ولا يوقع الوضوء في وقت الصلاة فذلك من المحافظة عليها ويحتاج في معرفة الوقت إلى معرفة الزوال وتفاوت الأقدام لطول النهار وقصره ويستر الزوال بأن الظل مادام في الانقراض فسوى النصف الأول من النهار فإذا أخذ الظل في الازدياد فهو النصف الآخر وقد زالت الشمس وإذا عرف الزوال وأن الشمس على كم قدم تزول يعرف أول الوقت وآخره ووقت العصر ويحتاج إلى معرفة التنازل ليعلم طلوع الفجر ويسلم أوقات الليل وشرح ذلك يطول ويحتاج أن يرغده باب فإذا دخل وقت الصلاة

والراء محمد ضربتها وسرية زوجها أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته لأن مقصد البراز غير مقصد الاسكاف فلا يترحمون على المقاصد إذ مقصد البراز الثروة ولا يحصلها إلا بكثرة الزيون وإنما يترحمه فيه برز آخر إذ تحريف البراز لا يطلبه الاسكاف بل البراز ثم مزاحمة البراز المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه إلى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار أكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لأن مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشترها وينفرد بهذه الحصلة ولا يترحمه العالم على هذا القرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ لواعظ أكثر من حسده للفقير والطبيب لأن التزام بينهما على مقصود واحد خاص فاصل هذه المهادت المداوة وأصل المداوة التزام بينهما على غرض واحد والقرض الواحد لا يجمع متباينين بل متناسين فلذلك يكثر الحسد بينهما ، نعم من اشتد حرصه على الجاه وأحب الفصيت في جميع أطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وإن يمد بمن يساهم في الحصلة التي يتفاخرها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على التزاحمين أما الآخرة فلا تضيق فيها وإنما مثال الآخرة نعمة العالم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملاكته وأنيابه وملكوته هو المودع له محسد غيره إذا حريف ذلك أيضا لأن للفرقة لا تضيق عن العارفين بل المعلوم الواحد يله ألف ألف عالم وخرج بمعرفة ويلتذ به ولا تنقص قدة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الألف والحرمة الاستفادة والأفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لأن مقصود معرفة الله تعالى هو بحر واسع لا تضيق فيه وغرضهم التلذذ عند الله ولا تضيق أيضا فبا عند الله تعالى لأن أجل ماعند الله سبحانه من النعم لله تعالى وليس فيها مخافة ومزاحمة ولا تضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الأوس بكرتهم ، نعم إذا قصد العلماء بالمعالي والجاه محاسدوا لأن للمال أعيان وأجسام إذا وفت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب وهما امتلاك قلب شخص يتظم عالم انصرف عن تعظيم الآخر وأرض عنه لالهالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة وإذا امتلاك قلب بالقرص بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك أن يتولى قلب غيره بها وأن يترحم بذلك والقرص بين العلم والمال أن المال لا يحل في يد عالم يرتحل عن اليد الأخرى والعلم في قلب العالم مستقر وهمل في قلب غيره تعليمه من غير أن يرتحل من قلبه والمال أجسام وأعيان ولها نهاية فلو ملك الإنسان جميع ما في الأرض لم يبق بعده مال يتسلكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فنعود نعمة الفكر في جلال الله وعظمته وملكوته أرضه وسأله صار ذلك أنه عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا منه ولا مازاحمية فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق لأن غيره أيضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من قدره بل زاد قدره بمؤانسة فتكون لله هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام أعظم من لذة من ينظر إلى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفاته يأمن زوالها وهو أبدا يحيى بخمارها فهو بروحه وقلبه منتدج بأحكامه عليه وهي فأكثرة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل تظلونها دائمة فهو وإن غمض العين الظاهرة فروحه أبدا ترتج في جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين - ونزعنا ما في صدورهم من خلق إخوانا لم سر متضائلين - فهذا حالهم وهم يمد في الدنيا لماذا يظن بهم عند انكشاف النطاء ومشاهدة الحبوب في التي فاذن لا يتصور أن يكون في الجنة محاسدة ولأن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسدة لأن الجنة لا مصابة فيها ولا مزاحمة ولاتال إلا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضا فأهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعا بل الحسد من

يقدّم السنة الرابطة في ذلك سر وحقه وذلك والله أعلم أن البعد تشتمل عليه ونزق همه لما يلي بمن الخاطفين الناس وقيامه بهما العاش أوسو جرى بوضع الجلبة أو صرف هم إلى أكل أو نوم بفتن في العادة فاذا قدّم السنة يتجذب باطله إلى الصلاة ويشبها للاجابة وينهب بالسنة الرابطة أثر الغفلة والكدورة من الباطن فينصلح الباطن ويصير مستمدا للفرصة فالسنة مقدمة صالحة يستنزل بها البركات وتطسرق النفعات ثم يرد التوبة مع الله تعالى عند الفرصة عن كل ذنب عمله ومن الذنوب طامة وخاصة فالامة الكبار

صفات للبعدين عن سمة عليين إلى مضيق - جبين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته أنه حسد آدم عليه السلام على ماخس به من الاجنباء ولما دعى إلى السجود استكبر وأبى وعمرّد وعصى قد عرفت أنه لاحد لا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لآثرى الناس يتحاسدون على النظر إلى زينة النساء ويتحاسدون على رؤية البساتين التي هي جزء يسير من جملة الأرض وكل الأرض لا وزن لها بالاصافة إلى السماء ولكن السامدة الأقطار واقية بجميع الأبعاد فلم يكن فيها تراحم ولا تحاسد أصلاً فليكن إن كنت بصيراً وعلى غشك مشفقاً أن تطالب بنعمة لا زحمة فيها ولنة لا كدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في مرة لله عز وجل - ومعرفة صفاته وأفعاله وهما بم ملكوت السموات والأرض ولا ينال ذلك في الآخرة إلا بهذه المعرفة أيضاً فإن كنت لا تشاق إلى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وقر عينك بأربك وضعت فيها رغبتك فأنت في ذلك معدود إلى العتئين لا يشاق إلى لذة الوقاع والعلى لا يشاق إلى لذة الملك فإن هذه لذات يختص بأدراكها الرجال دون الصبيان والفتش فذلك لذة المعرفة يختص بأدراكها الرجال - رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله - ولا يشاق إلى هذه اللذة غيرهم لأن الشوق بعد الذوق ومن لم يذوق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشاق ومن لم يشاق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك لم يتبع مع المحرومين في أسفل السافلين - ومن يش عن ذكر الرحمن فيفيض له شيطاناً فهو له قرين - .

(بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب)

اعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ولا تداءى بأمراض القلوب إلا بالعالم والعمل والعلم والتمتع لمرض الحسد هو أن تعرف حقاً أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما ومما عرفت هذا عن بصيرتكم ولم تكن عدوً وتحسك وصديق عدوك فأرت الحسد لاجل أنه كونه ضرراً عليك في الدين فهو أنك بالحدس بخطط قضاء الله تعالى وكهرت نعمته التي قسمها بين عباده وعده الذي أقامه في ملكه يخفى حكمته فاستكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدة التوحيد وقضى في عين الإيمان وناهيك بها جناية على الدين وقد انضاف إلى ذلك أنك غششت رجلاً من المؤمنين وتركت نصيحتهم وفارقت أولياء الله أنبياءه من جهم الخبير لعباده تعالى وشاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم المؤمنين بالابواب والتم وهذا خباثت في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يحوي الليل النهار وأما كونه ضرراً عليك في الدنيا فهو أنك تتألم بحسبك في الدنيا أوتنذب به ولا تزال في كد وغم إذ أعداك لا يحلهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى معنوماً محروماً منشعب القلب ضيق الصدر قد تزل بك ما يشيه الأعداء وتشتبه لأعدائك فقد كنت تريد الهمة لعدوك فتنجرت في الحال محنتك وتحسك قدما ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسبك ولو لم تكن تؤمن باليتم والحساب لكان مقتضى النقلة إن كنت عاقلاً أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءة تمتع عدم النفع فكيف وأنت ما في عافى الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما تعجب من العاقل كيف ينترس لسطط الله تعالى من غير تقربنا له بل مع ضرر محتمله وألم بغايه فيهلك دينه ودياره من غير جدوى ولا فائدة وأما أنه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لأن النعمة لا تزول عنه بحسبك بل مافده الله تعالى من إقبال ونعمة فلا بد أن يدوم إلى أجل معلوم قد رآه الله سبحانه فلا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار ولكل أجل كتاب ولذلك كثر من الأنبياء من امرأة ظالة - منولية على الحق فإوحى الله إليه فر من قدامه حتى تنقضي أيامها أي مافده تافى الأزل

والصائر مما أوما إليه الشرع ونطسق به الكتاب والسنة والخاصة بنوب حال الشخص فكل عبد على قدر مقامه حاله له نوب تلائم حاله ويرفها صاحبها وقول حسنات الأبرار سيئات القومين .

ثم لا يصلح إلا جمعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - تفضل صلاة الجماعة صلاة الغد يسع وعشرين درجة - ثم يستقبل القبلة بظاهره والخضرة الإلهية يابته ويقرأ - قل أعوذ برب الأرم - ويقرأ في نفسه آية التوجه وهذا التوجه قبل الصلاة والاعتناء قبل الصلاة لوجه الظاهر بصرافه إلى القبلة وتخصيص

لأسيب إلى تغييره فأصبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضاء بدوام إقباله فيها ومهما زل النعمة بالحسد لم يكن له المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه إثم في الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدى ، وهذا غاية الجهل فانه بلاه تشبهته أولا لنفسك فانك أيضا لا تخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله تعالى عليك نعمة ولا على أحد من الخلق ولا نعمة الإيمان أيضا لأن الكفار محسودون المؤمنين على الإيمان . قال الله تعالى - وذكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم - إذ ما يريد المحسود لا يكون ، ثم هو يشل برادته الضلال لغيره فان إرادة الكفر كفر ، فمن اشتبه أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكأنما يريد أن يسلب نعمة الإيمان بحر : الكفار وكذا سائر النعم ، وإن اشتبهت أن تزول النعمة عن الخلق بمحسود ولا تزول عنك بعد غيرك فهذا غاية الجهل والغباء لكل واحد من حقى الحساد أيضا يشتهى أن يفسد بهذه الحاسية ولست بأولى من غيرك فنعمة الله تعالى عليك في أن لم تزول النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وأنت بجهلك تنكرها . وأما أن المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح . أما منعت في الدين فهو أنه مظلوم من جهتك لاسيما إذا أخرجك المحسد إلى القول والفعل بالتيه والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذا هديا تهبها إليه : أعني أنك بذلك تهدي إليه حسناك حتى تلقاه يوم القيامة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكأنك أرتوت زوال النعمة عنه فلم تزول . ثم كان لله عليه نعمة إذ وفقك للحسنة فقلتها إليه فأمنت فيه نعمة إلى نعمة وأمنت في نفسك عقاوة إلى عقاوة . وأما منعت في الدنيا فهو أن أم أغراض الخلق مساة الأعداء ونهمهم وشقاوتهم وكونهم معذيين مضمومين ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد وغاية آمانى أعدائك أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بفنك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي أن تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد لتنظر إلى نعمة الله عليه فيقطع قلبك حسدا ، ولذلك قيل :

لامات أعداؤك بل خلدوا حتى يروا نيك الذي يكهد
لأزلت محسودا على نعمة فأنما الكامل من محسد

ففرح عدوك بفسادك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك أعظم معية وبلية عنده فانت فيما يلزمه من غم الحسد إلا كما يشتهيه عدوك فإذا تأملت هذا عرفت أنك عدو نفسك وصديق عدوك إذا تطايت ما تضررت به في الدنيا والآخرة واتنفع بعدوك في الدنيا والآخرة وصرت مضموما عند الخالق والخالق ضيقا في الحال والمآل ونعمة المحسود دائما شئت أم أبيت باقية ثم لم تنص على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت إلى إدخال أعظم ضرور على أبياس الذي هو أعدى أعدائك لأنه لما رآك محروما من نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوك عنك خاف أن تحب ذلك له فتشارك في الثواب بسبب المحبة لأن من أحب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الأكبر في الدين لم يفته ثواب المحبة مهما أحب ذلك خاف إلى ليس أن تحب ما أم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فيفسد إليك حتى لا تلحقه بمحك كالم تلحقه بملك . وقد قال أغرابي للذي صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : للرمع من أحب ^(١) » وقام أغرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقال « يا رسول الله متى الساعة فقال ما أعددت لها ؟ »

(١) حدث الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال هو مع من أحب متفق عليه من حديث ابن مسعود

جهته بالتوجه دون
جهة الصلاة ثم رفع
يديه حذو منكبيه
بحيث تكون كفاه
حذو منكبيه وإيمانه
عند شحمة أذنيه
وروس الأصابع مع
الأذنين ويضم الأصابع
وإن نشرها جازواضم
أولى فانه قيل النشر
نشر الكف لا نشر
الأصابع ويكبر ولا
يدخل بين ياه أكبر
ورائه ألفا ويرم أكبر
ويجعل للذي في الله ولا
يبالغ في ضم الماه من
الله ولا يبتدىء
بالتكبير إلا إذا
استقرت البدان حذو
التكبير ويرسلهما مع
التكبير من غير تقص
فالقول إذا سكن القلب
تشككت به الجوارح
وأقيدت بالأولى

قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام إلا آتى أحب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم أنتم من أحببت (١) قال أنس لما فرح المسلمون بعد إسلامهم بكفرهم يومئذ إشارة إلى أن أكبر بختهم كانت حب الله ورسوله قال أنس فحينئذ يحب رسول الله وأبا بكر وعمر ولا شغل مثل حملهم ورجو أن نكون معهم . وقال أبو موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب الصليين ولا يسل ويرغب الصوم ولا يصوم حتى يعد أشياء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من أحب (٢) وقال رجل للمربي عبد الصوم إنه كان يقال إن امتطعت أن تكون عالما فكأن عالما فإن لم تستطع أن تكون عالما فكأنك متضا فان لم تستطع أن تكون متضلا فأحجم فان لم تستطع فلا بغضهم فقال سبحانه الله لقد جعل الله لنا عزجا فانظر الآن كيف حسدك إبليس قوتك عليك ثواب الحب ثم لم يشغ به حتى ينقض إليك أخاك وحملك على الكراهة حتى آتت وكيف لا وعساك تحاسد رجلا من أهل العز وتجب أن تعطى في دين الله تعالى ويكشف خطؤه ليفتح وتجب أن يخرس لسانه حتى لا يشك أو يمرض حتى لا يسل ولا يتلم وأى إم يزيد على ذلك فليكن إذ فاتك الحاق به ثم اختصمت بسببه سلمت من الالم وعذب الآخرة وقد جاء في الحديث « أهل الجنة ثلاثة : الحسن والمحب له والكافي عنه » (٣) أى من كف عنه الأذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف أبعدك إبليس عن جميع الدخائل الثلاثة حتى لا تكون من أهل واحد منها أئنة قد تغد فيك حسد إبليس وما تغد حسدك في عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك في بقطة أو منار لرأيت نفسك أيها الحاسد في صورته من يرى سمالا إلى عدوه ليسيب مقتله فلا يصيبه بل يرجع إلى حدقه اليمنى فيقلما فيزيد غضبه فيعود ثانية فيرى أشد من الأولى فيرجع إلى عينه الأخرى فيصعبا فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود إلى رأسه فيشبهه وعدوه سالم في كل حال وهو إليه راجع مرة بعد أخرى وأعداؤه حوله يفرحون به ويضجون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه بل حالك في الحسد أقبح من هذا لأن الرمية العاتدة تنفوت إلا بالعين ولو بقينا لغاتنا بالوت لأمحاة والحسد يهود بالآلم والألم لا ينفوت بالوت ولله يسوق إلى غضب الله وإلى النار فلأن تذهب عنه في الدنيا خير له من أن تبقى له عين يدخل بها النار فيقلع الحبيب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد إذ أراد زوال النعمة عن الحسود فزهرها عنهم أزالها عن الحاسد إذ السلامة من الآلم نعمة والسلامة من الألم والكسد نعمة قد زالتا عنه تصد بهما قوله تعالى لا يوجب للكر السى إلا بأهله وربما يتنزل بين ما يشتهيه لعدوه وقفا يشمت شامت بمساءة لإبريل مثلها حتى قالت عائشة رضى الله عنها : ما نيت لثمان شيئا إلا نزل في حتى لو نيت له القتل لقتلت ، فهذا إم الحسد نفسه فكيف ما يجز إليه الحسد من الاختلاف وجعود الحق وإطلاق اللسان واليه بالقواش في التشفى من الأعداء وهو الداء الذى فيه هلاك الآلم الساقفة ، فهذه هى الأدوية السليقة لمجانسك الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطقت نار الحسد من قلبه وعلم أنه مهلك نفسه ومنصرح عدوه ومسخط ربه ومنفس عيشه . وأما العمل الدافع فيه فهو أن يحكم الحسد فكل ما يقضاه الحسد من قول وفعل فينبغي أن يكلف نفسه تقيده فان بشه الحسد على القصد في محمودة كلف لسانه للدع والثناء عليه وإن حمله على التكبر عليه أزم نفسه التواضع له والاعتذار إليه وإن بهته على كفا الإظام

والأصوب وبجمع بين نية الصلاة والتكبير بحيث لا يلبس عن قلبه حالة التكبير أنه يصل الصلاة جينا . وحكى عن الجيد أنه قال لكل شئ مفعول وصفوة الصلاة التكبيرية الأولى وإنما كانت التكبيرية صفوة لأنها موضع النية وأول الصلاة . قال أبو نصر السراج صحت ابن سالم يقول التبة بالله لله ومن الله والآفات التي تدخل في صلاة العبد بعد النية من الدنو وتضيق الدنو وإن كثر لا يوازن بالنية التي هي لله بالله وإلا قل . وسئل أبو سعيد الخراز كيف الدخول في الصلاة ؟ قال هو أن تهبل على الله تعالى

- (١) حديث سؤال الأعرابي متى الساعة فقال ما أعددت لها الحديث متفق عليه من حديث أنس
- (٢) حديث أنس قال يا رسول الله الرجل يحب الصليين ولا يصل الحديث وفيه هو مع من أحب متفق عليه من حديث بلفظ آخر مختصرا الرجل يحب الصوم ولما يلحق بهم قال الرازم من أحب .
- (٣) حديث أهل الجنة ثلاثة : الحسن والمحب له والكافي عنه لم أجده أصلا .

عليه أزم حسه الزيادة في الانعام عليه فهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأجه ومهما ظهر جبه عاد الحاسد فأجه وتولد من ذلك اللواقعة التي تقطع مادقا لحسد لأن التواضع والتناهي وللح وإظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب للنم عليه ويستترقه ويستعطفه ويجعله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود إلى الأول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه أولا طيبا آخره ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت وأثبتت عليه حملك العدو على العجز أو على التفاق أو الحلو وأن ذلك مثله ومما نة وذلك من خدع الشيطان ومكايده بل الهامة تكلفا كانت أو طيبا تكسر سورة العداوة من الجانبين وتذل مرغوبا وتعود القلوب التآلف والتحاب وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض فهذه هي أدوية الحسد وهي نافعة جدا لإلها مرة على القلوب جدوا ولكن النفع في الدواء للرفن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلوة الشفاء وإنما تهون مرارة هذا الدواء أعنى التواضع للأعداء والتقرب إليهم بالمدح والتثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى وحب ما حبه وعزة النفس وترضاها عن أن يكون في العالم شيء على خلاف مرادها جهل وعند ذلك يريد مالا يكون إلا مطمع في أن يكون ما يريد فبذوفوات الراد دل وجسة ولا طريق إلى الخلاص من هذا الدل إلا بأحد أمرين إما بأن يكون ما تريد أو بأن تريد ما يكون والأول ليس إليك ولا مدخل لتكسلف والمجاهدة فيه وأما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل ونحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء السكبي فأما الدواء الفاصل فهو يتبع أسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وشدة الحرص على مالا يخفى وسيأتي تفصيل مداواة هذه الأسباب في مواضع إن شاء الله تعالى فأما مواد هذا المرض ولا ينفع المرض إلا بقمع السادة فان لم تقمع السادة لم يحصل بما ذكرناه إلا تسكين ونطفة ولا يزال يعود مرة بعد أخرى وبطول الجهد في تسكينه مع قيام موادها فانه مادام محبا للجاه فلا بد وأن يحسد من استأثر بالجاه والبرزة في قلوب الناس دونه وبغضه ذلك لا محالة وإنما غايته أن يهون الألم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده فأما الخلو عنه رأسا فلا يمكن والله الوقت.

(بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب)

اعلم أن للؤذي محقود بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك أن لا تبغضه غالبا فإذا تبسرت له نعمة فلا يمكنك أن لا تسكرها له حتى يستوى عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا زال تردك في النفس بينهما نفرة ولا يزال الشيطان ينازعك إلى الحسد له ولكن إن قوى ذلك حتى يبتك على إظهار الحسد يقول أوصل بحث عرف ذلك من ظاهرك بأصاقل الاختيارية فأنت حشود عاص محسد وإن كفت ظاهرك بالسكينة إلا أنك يابطك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فأنت أيضا حشود عاص لأن الحسد صفة القلب لاصفة القلب قاله الله تعالى - ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا - وقال عز وجل - ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكفرون سواهم - إن تسكر حسنة تسؤم - أما القلب فهو غيبة وكذب وهو محل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس مظلة يجب الاستحلال منها بل هو معصية يبتك وبين الله تعالى وإنما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح فأما إذا كفت ظاهرك وأزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك تمقت نفسك على ما في طبعها انتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الليل من جهة الطبع فقد أدبت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في أغلب الأحوال أكثر من هذا فأما تنيير الطبع ليستوى عنده للؤذي والمحسن ويكون فرحه أو غمه بما تبسر لهما من نعمة أو تعصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه مادام

إقبالك عليه يوم القيامة ووقوفك بين يدي الله ليس يبتك وبينه ترجمان وهو مقبل عليك وأنت تاجبه وتعلم بين يدي من أنت واقف فانه الملك العظيم . وقيل لبعض العارفين كيف تكبر التكبير الأولى فقال ينبغي إذا قلت الله أكبر أن يكون مصحوبك في الله العظيم مع الألف والهيبة مع اللام والرائية والقرب مع الهناء . واعلم أن من الناس من إذا قال الله أكبر غاب في مطالعة العظمة والكبرياء وامشلا بابطه نورا وصار السكون بأسره في قضاء شرح صدره تكردة بأرض فلاة

ملفتا إلى حظوظ الدنيا إلا أن يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله قد يتهى أمره إلى أن لا يلتفت قلبه إلى تفاصيل أحوال العباد بل ينظر إلى الكل بين واحدتهى عين الحمورى الكل عباد الله وأصالحهم أضالاه وبرام مسخرين وذلك إن كان فهو كالبقرى الحافظ لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك إلى طبعه ويسود العدو إلى منازعته أفعى الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فهما قابل ذلك بكرهته وأزيم قلبه هذه الحالة قد أدى ما كلفه . وقد ذهب ذاهبون إلى أنه لا يتم إذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روى عن الحسن أنه مثل من الحسد قال نعم فانه لا يضرك ما لم تبده . وروى عنه موقوفا ومرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وثلاثة لا يخلوهم من المؤمنين وله منهن مخرج فخرجه من الحسد أن لا ينهى . والأولى أن يجعل هذا على ما ذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة تنم عن البغى والإبداء فان جميع ما ورد من الأخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم ثم الحسد عبارة عن صفات القلب لا عن الأفعال فكل من يحب إساءة مسلم فهو حاسد فاذن كونه آثما بمجرد حسد القلبين غير فعله على محل الاجتهاد والأظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والأخبار ومن حيث للى إذ يعد أن يبقى عن العبدى إرادته إساءة مسلم وإشباله بالقلب على ذلك من غير كراهة وقد عرفت من هذا أن ذلك في أعدائك ثلاثة أحوال : أحدها أن تحب مساءهم بطيئك وتكره حيك ذلك وميل قلبك إليه بقلبك وتفت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في إزالة ذلك الليل منك وهذا مغف عنه قطعا لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه . الثانى أن تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته إما بإبسانك أو بهجرانك فهذا هو الحسد المحذور قطعا . الثالث وهو بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير مقت نفسك على محل الحسد أو من غير إنكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا على محل الخلاف والظاهر أنه لا يخلو عن آثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(كتاب ذم الدنيا)

(وهو الكتاب السادس من ربيع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى عرف أوليائه غوائل الدنيا وآفاتنا . وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدا وآياتها ووزنوا بحسناتها سيئاتها فدلوا أنه يزيد منكرها على معروفها ولا يني مرجوها بمخوفها ولا يسل طوعها من كسوفها ولكنها في صورته أمر أجليه تستميل الناس بحمالها ولها أسرار سوء قبائح تهلك الراغبين في صلاحها ثم هي فرارة عن طلبها شجيرة إيقالها وإذا أتيت لم يؤمن شرها ووبالها إن أحسنت ساعة أساءت سنة وإن أساءت مرة جعلتها سنة فدوائر إقبالها على التفارب دائرة وتجارة ينهب خاسرة بأثرة وآفاتنا على التوالى لصدور طلبها رافقة عجاير أحوالها بذل طلبها ناطقة فكل مفروود بها إلى الدال مصيره وكل متكبر بها إلى التجرس مسيره شأنها الحرب من طلبها والطلب لها ربا ومن خدمها فاته ومن أعرض عنها واتته لا يغلو مشوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن للنصات سلامتها تعقب السقم وشبابها يدوق إلى الحرمة وتعيها لا لايمر إلا الحسرة والتهم فهي خداعة مكاراة طيارة فرارة لأتزال تميزن لطلبها حتى إذا صاروا من أحيائها كثرت لهم عن أنبيائها وشوشت عليهم منازم أسبابها وكشمت لهم عن مكنون محباها فأذاقهم قوائم صامها

(كتاب ذم الدنيا)

ثم تأتي الحردة لما يخشى من الوسوسة وحديث النفس وما يتخايل في الباطن من السكون الذى صار بمثابة الحردة فألقيت فكيف تراحم الوسوسة وحديث النفس مثل هذا العبد وقد تراحم مطالعة العظمة والغبوبة في ذلك كون التبة غير أنه لغاية لطف الحال يخفى الروح بمطالعة العظمة والقلب يميز بالنية فتكون النية موجودة بالظن صفاتها مندرجة في نور العظمة اندراج السكواك في ضوء الشمس ثم يفيض يده التقي يده اليسرى ويجهلها بين السرة والصدر والجنبى

ورفقتهم بسوا لم يهملهما. يينا أصحابها منها في سرور وإنهم إذ ذلوت عنهم كانوا أمضات أحلامهم عكرت عليهم بدواهم. فطعنهم طعن الحصيد ووارتهم في أكفانهم تحت الصيد إن ملكك واحدا منهم جميع ما ظلمت عليه للمضي جعلته حصيدا كأن لم يكن بالأس نعى أصحابها سرورا وتندم غرورا حتى يأملون كثيرا وينبون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجههم بورا وسيم وجههم مشورا ودعاؤهم بئورا هذه صفاتها وكان أمراءه قدرا مقدورا، والصلاة والسلام على محمد عبدوره وسوله للربل إلى الملائك بشرها وتذيرا وسراجا منها وعلى من كان من أهلها أصحابه له في الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا وسلم تسليما كثيرا.

[أما بعد] فإن الدنيا عدوة لله وعدوه ولأوليائه الله وعدوه لأعداء الله وأعداؤها الله فاتها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها، وأما عداؤها لأوليائه الله عز وجل فاتها زينت لهم زينتها وعظم زهرتها ونفارتها حتى تجرعوأمرارة الصبر، وأما عداؤها لأعداء الله فاتها استندرجتهم بمكرها وكدها فقتنصهم بشبكها حتى وقتلوا عليها غلذلتهم أحوج ما كانوا إليها فاجتوا منها حسرة تقطع دورها الأكباد ثم حرمتهم السعادة أبد الآباء فهم على فراغها يتحسرون ومن مكابدها يستغيثون ولا يأتون بل يقال لهم - اخسأ فيها ولا تكلمون - أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينعرون - وإذا عظمت غوائل الدنيا وشروها فلا بد أولا من معرفة حقيقة الدنيا وماهي وما الحسكة في خلقها مع عداوتها وما مدخل غرورها وشروها فإن من لا يعرف الترياق فيه ويوشك أن يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وأمثلتها وحقيقتها وتضميل معانيها وأصناف الأفعال الناطقة بها ووجه الحاجة إلى أصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفشلها إن شاء الله تعالى وهو اللعين على ما رتبته.

(بيان ذم الدنيا)

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وأصرفها الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة بل هو معقود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا إلا لذلك فلاحاجة إلى الاستنباط بآيات القرآن لظهورها وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها قد دروي "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال: أترون هذه الشاة هينة على أهلها؟ قالوا من هو أهلها؟ أتقوها قال والذي نفسي بيده الدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء" (١) وقال صلى الله عليه وسلم "الدنيا سجن المؤمن ووجه الكافر" (٢) وقال رسول الله ﷺ "الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان فيها" (٣) وقال أبو موسى الأشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من أحب دنياه أضرب آخرته ومن أحب آخرته أضرب دنياه فأثروا ما ينفع في ما ينفع" (٤) وقال صلى الله عليه وسلم "حب الدنيا رأس كل خطيئة" (٥).

(١) حديث مر على شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على صاحبها الحديث ابن ماجه والحاكم وصححه إسناده من حديث سهل بن سعد وآخره عند الترمذي وقال حسن صحيح ورواه الترمذي وإن ماجه من حديث الشنود بن شداد دون هذه القطعة الأخيرة ولمسلم نحوه من حديث جابر (٢) حديث الدنيا سجن للمؤمن ووجه الكافر مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الترمذي وحسنه وإن ماجه من حديث أبي هريرة وزاد إلا ذكر الله وما والاودعاهم ومتعلم (٤) حديث أبي موسى الأشعري من أحب دنياه أضرب آخرته الحديث أحمد والبراز والطبراني وابن حبان والحاكم وصححه (٥) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا واليهي في شعب الإيمان من طريقه من رواية الحسن مرسلا.

لكرامتها تجمل فوق
اليسرى وبعد السبحة
والوسطى على الساعد
وتبيض بالثلاثة
البواق اليسرى من
الطرفين وقد فرأى
الؤمنين على رضى
الله عنه قوله تعالى
- فصل ربك وأمر -
قال إنه وضع اللعين على
الشمال تحت الصدر
وذلك أن تحت الصدر
عرق يقال له الناحر
أى منع يدلع على الناحر
وقال بعضهم وأمرأى
استقبل القبلة بنحرك
وفى ذلك سر خفي
يكشف به من وراء
أستار التيب وذلك أن
الله تعالى يلطيف
حكته خلق الآدمي
وشرفه وكرمه وجعله

عمل نظره ومورد حبه
ونحية ما في أرضه

وقال زيد بن أرقم : كنا مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه فمما شرب فأبى بماء وحصل ظمأ دنا من أبي بكر حتى أبكى أصحابه وسكروا ومالكت ثم عاد وبكى حتى طئروا أنهم لا يندرون على مسأله قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما بك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فترأبى بدفع عن نفسه شيئا ولم أرمه أحدا قلت يا رسول الله ما الذي بدفع عن نفسك قال والله الدنيا ثبات لي قلت لها إليك عنى ثم رجعت فقالت إنك إن أفلت مني لم تلت مني بعد ^(١)

وقال صلى الله عليه وسلم **وإياها كلب الحب للصديق** **بدار الخلد** وهو يسمى **لدار التور** ^(٢٧) **وروي**
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مذبلة قل - هـ إلى الدنيا وأخذ خذرة قد قبلت على تلك
المذبلة وعظاما قد خثرت فقال هذه الدنيا ^(٢٨) وهذه إشارة إلى أن رزية الدنيا متخلق مثل تلك
الحرق وأن الأجسام التي ترى بها تتغير عظاما بالية وقال صلى الله عليه وسلم **إن الدنيا حلوة خضرة**
وإن الله مستخلفكم فيها فانظروا كيف تعملون **إن بنى إسرائيل لما بطلت لهم الدنيا ومهدت لها**
والجالية والنساء والطيب والتياب ^(٢٩) **وقال عيسى عليه السلام : لا تستخذو الدنيا ياخذكم عبيدا**
أكثرها وكركم عند من لا يتيهه فان صاحب كثر الدنيا يخاف عليه الآفة **وصاحب كثر الله لا يخاف**
عليه الآفة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام **وأيامشر الحواريين إن قد كبت لكم الدنيا على وجهها**
فلا تتشوها **يهدى فان من خبث الدنيا أن عصى الله فيها وإن من خبث الدنيا أن الآخرة لا تلامدرك**
إلا بتركها **ألفا عبروا الدنيا ولا تعمدروها واعرفوا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا وروى بشعره وساعة وأمرت**
أهاها حزنا طويلا وقال أيضا : بطلت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا تذاق عنكم فيها اللوك والنساء
فأما اللوك فلا تذاق عوم الدنيا فاتهم إن يرمضوا لكم ما تركتموه من دينهم وأما النساء فاتهم من الصوم
والصلاة **وقال أيضا الدنيا طلبة وطالبة والآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل تهازتها وطلب**
الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجي الرويت غلبه بقتله **وقال وسى بن سيار قال الله عز وجل**
إن الدنيا خد طغت خلقا يمشي فيه من الله ومن دونه خلقها لم ينظر إلى الله **وروي أن نسيان بن إد قال عليهما**
السلام مر في موضعك والطير تنظره والجن والإنس عن بينه ومما قال قال رب ما بعد من يسر إلى الله
والله **يا بن داود لقد أتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان قال : لتسبحني في صحيفة مؤمن خير مما أعطى**
إن داود فان ما أعطى ابن داود ذهب والتسبيحة **بنى وقال صلى الله عليه وسلم : لهما ك الشكار**
يقول ابن آدم ما لي مالي وهل لك من مالك إلا ما كنت فأقيمت أو لبست فأقيمت أو صدقت فأقيمت ^(٣٠)

(١) حديث زيد بن أنوف كما مع أي بكر فعدا شراب فتى بقاء وعسل فلما أداناه من فيه بك الحديث وفيه كنت مع رسول الله صل الله عليه وسلم فرأيت بدفع عن نفسه شيئا للحديث البراز يستدصيف بنحوه والحاكم وصرح إسناده وابن أبي الدنيا والبيهقي من طريقه بلفظه (٢) حديث أبي يحيى بآكل الجب للصدق بدار الخلود وهو يسمى لدار القرور ابن أبي الدنيا من حديث أبي جرير مرسل (٣) حديث ابنه وقف على من به قتال دعوا إلى الدنيا الحديث ابن أبي الدنيا في ثم الدنيا والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه من رواية أبي بصير عن الشعبي مرسل وفيه بقية من الوليد وقد ضمنه وهو مدلس (٤) حديث ابن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فانظر كيف يهملون الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد عن قوله إن بني إسرائيل الخ والشرط الأول متفق عليه ورواه ابن أبي الدنيا من حديث الحسن مرسل بالزيادة التي في آخره (٥) حديث موسى بن يسار إن الله كان تناوؤا لم يخاف خلفا أبغض إليه من الدنيا وإنه كان خلقها لم ينظر إليه) ابن الحاكم

وَحَمَلَهُ رُوحَانِيًا
وَجَمَانِيًا رُشِيًا وَحَمَلَهَا
مُسْتَعْبِقَةً الْقَامَةَ بِمُرْتَفَعِ
الْحَيَاةِ فَخَصَّهُ الْأَعْلَى
مِنْ حَذَائِقِ الدُّنْيَا مُتَوَدِّعًا
أَسْرَارَ السَّمَوَاتِ وَنَصَفَهُ
الْأَسْفَلَ مُسْتَوَدِّعًا
أَسْرَارَ الْأَرْضِ فَحَمَلَ
نَفْسَهُ وَمَرَكَهَا النِّصْفَ
الْأَسْفَلَ وَحَمَلَ رُوحَهُ
وَالْقَلْبَ
النِّصْفَ الْأَعْلَى فَوَازِبَ
الرُّوحِ مَعَ جَوَازِبِ
النَّفْسِ يَطَارِدَانِ
وَيَتَحَارَبَانِ وَبِإِغْتِرَابِ
تَطَارُدِهِمَا وَخِلَافِهِمَا
تَتَكُونُ لِمَا لِلَّهِ وَلِمَا
لِلشَّيْطَانِ وَفِي وَقْتُ الصَّلَاةِ
يَتَكَلَّمُ التَّطَارُدُ لَوْجُودِ
التَّجَازُبِ بَيْنَ الْإِيمَانِ
وَالطَّوْعِ فَيَكُونُ نِصْفُ
الْحَلَالِ الَّذِي صَارَ قَلْبُهُ
وَحَمَلُهُ مُرْتَدًّا بَيْنَ
الْقِيَامِ وَالْقَاءِ فَوَازِبَ

قال صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها جمع من لاعقل له وعليها
 مبادئ من لاعلم له وعليها عسجد من لا تقه له ولها عيسى من لا يتقين له (١) » وقال صلى الله عليه وسلم
 « من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وأثم الله قلبه أربع خصال: ما لا يتقطع عنه أبدا
 وشغلا لا يتفرغ منه أبدا وقصرا لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ مثناه أبدا (٢) » وقال أبو هريرة قال
 لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جيمها بما فيها قتلت بلى يارسول الله
 فأخذ يدي وآني في واديا من أو دية للدينة فإذا مزلة فيها رهوس أناس وعذرات وخرق فذوها في بطونهم
 يا أبا هريرة هذه رهوس كانت تحرس كركمك وتأمل كأمسك ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي مائة
 رمادا وهذه العذرات هي ألوان أطمعتم اكتبوها من حيث اكتسبوها ثم فذوها في بطونهم
 فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الحرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفها
 وهذه العظام عظام واهبهم التي كانوا ينتجون عليها أطراف البلاد فمن كان يا كيا على الدنيا فليكن
 قال فصا برحنا حتى اشتد بكأنا (٣) » وروى أن الله عز وجل لما أهبط آدم إلى الأرض قال له إن الغراب
 وله لقننا . وقال داود بن هلال مكنوب في صف إبراهيم عليه السلام: يادنيا ما هو منك على الأبرار الذين
 تصمت وترتبت لهم إلى قذفت في قلوبهم بضك والصدود عنك وما خلقت خلقا أهون على منك
 كل شأئك صغير وإلى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدوم لأحد ولا يدوم لك أحد
 وإن غجل بك صاحبك وشغ عليك طوبى للأبرار الذين أطلهوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم
 على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء إذا وفدوا إلى من قبورهم إلا التوريسى
 أمامهم ولللائكة حافون بهم حتى يأبئهم ما يرجون من رحمتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر إليها وتقول يوم القيامة يا رب اجعالي
 لأذى أوليائك اليوم نصيبا فيقول أسكني بالآخرة إلى بؤسك لهم في الدنيا أأرضك لهم اليوم (٤) » وروى
 في أخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحرك معدته لحروج الثفل ولم يكن ذلك بمحولا
 في شيء من أطعمة الجنة إلا في هذه الشجرة فذلك نهيها عن أكلها قال فجعل يدور في الجنة فأمر
 الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له قل له أي شيء تريد ؟ قال آدم أريد أن أضغ ما في بطني من الأذى
 قليل للملك قل له في أي مكان تريد أن تضعه أعلى الفرس أم على السرر أم على الأنهار أم تحت ظلال
 الأشجار هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك ؟ أهبط إلى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم « ليجزبن أوام يوم
 التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشخير (١) حديث الدنيا
 دار من لادار له الحديث أحمد من حديث عائشة مقصرا على هذا وعلى قوله ولها جمع من لاعقل
 له دون بقية وزاد ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه ومال من لامال له وإسناده جيد
 (٢) حديث من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وأثم الله قلبه أربع خصال الحديث
 الطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر دون قوله وأثم الله قلبه الخ وكذلك رواه ابن أبي
 الدنيا من حديث أنس بإسناد ضيف والحاكم من حديث حذيفة وروى عنه الزيادة منفردة
 صاحب الفردوس من حديث ابن عمر وكلاهما ضعيف (٣) حديث أبي هريرة ألا أريك الدنيا
 جيمها بما فيها قلت بلى يارسول الله فأخذ يدي وآني في واديا من أودية المدينة فإذا مزلة
 لم أجده له أصلا (٤) حديث الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله لا ينظر إليها الحديث
 تقدم به من رواية موسى بن يسار مرسل ولم أجده باقية

النفس متصاعدة من
 مركزها والجوارح
 وتصرفها وحركتها
 مع معاني الباطن
 ارتباط وموازنة
 فيوضع الجسم على السهل
 حصر النفس ومنع
 من صعود جوارحها
 وأثر ذلك يظهر بدفع
 الوسوسة وزوال
 حديث النفس في
 الصلاة ثم إذا استولت
 جوارح الروح
 وتعلكت من الفرق
 إلى القدم عند كمال
 الأنس وتحقق قرة
 العين واستقلاء سلطان
 الشاهدة نصير النفس
 مقفورة ذليلة ويستتير
 مركزها بذور الروح
 وتقطع جنته وجوارح
 النفس وعلى قصد
 استتارة مركز النفس
 بزل كل العبادة

فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتمتعوا له فبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
راكم ثم قال أنظركم مجتمع أن أبا عبدة قدم بئى قالوا أجل يا رسول الله قال فأبديروا وأملوا
ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت
على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها قبلكم كما أهلكنهم ^(١) « وقال أبو سعيد الخدري ذل
رسول الله صلى الله عليه وسلم » إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض
قليل ما بركات الأرض قال زهرة الدنيا ^(٢) « وقال ^(٣) « لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا ^(٤) « فبئى عن
ذكرها فضلا عن إصابه عينها ، وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بحيرة فإذا أهلها موت
في الألفية والطرق فقال يا معشر الحوارين إن هؤلاء ماتوا عن سخطه ولو ماتوا عن غير ذلك
لندافوا فقالوا ياروح الله وعدنا أن لو علمنا خبرهم فسل الله تعالى فأوحى إليه إذا كان الليل فنادم
بجودك فلما كان الليل أشرف على نثر ثم نادى بأهل القرية فأجابه مجيب ليك ياروح الله قال
ما حالك وما قصتك قال بئنا في عافية وأصبحنا في المساوية قال وكيف ذلك ؟ قال مجننا الدنيا
وطاعتنا أهل للعاصي قال وكيف كان حكيم للدنيا ؟ قال حب الصبي لأمه إذا أقبلت فرحنا بها وإذا
أدبرت حزنا وبكىنا عليها قال فما بال أمها بك لم يجيئوني قال لأنهم ملجمون باجم من نار بأبدى
ملائكة غلاظ شداد قل فكيف أجبني أنت من بينهم قال لأنى كنت فيهم ولم أكن منهم فلما
نزل بهم العذاب أصابني معهم فأنما ملقى على شفير جهنم لأدري أنجو منها أم أكبكب فيها قال
السيح للحواريين لأكل خبز الشعير بالمح الجرش وليس للسوح والنوم على الزبال كثير مع
عافية الدنيا والآخرة . وقال أنس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الضياء لاتبق فجاء
أعرابي بناقة له فسبها فتشق ذلك على السليدين فقال صلى الله عليه وسلم « إنه حق على الله أن لا يرفع
شيئا من الدنيا إلا وضعه ^(٥) « وقال عيسى عليه السلام من الذى يبني على موج البحر دار تلتم
الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علمنا علما واحدا مجننا الله عليه قال أنفضوا
الدنيا يحكم الله تعالى وقال أبو الدرداء قال رسول الله ^(٦) « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآترتم الآخرة ^(٧) « ثم قال أبو الدنيا من قبل نفسه لو تعلمون ما أعلم
لخرجنكم إلى الصمدات تجأرون وتبكون على أنفسكم ولتركنكم أموالكم لا حارس لها ولا راع لها إليها
إلا ما لا يد لكم منه ولكن ينب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الأمل فصارت الدنيا أملاك
بأعمالكم وصرتم كالذين لا يطمون فيضكم شر من البهائم التى لاتدع هواها عفاة عما في عاقبتهم مالكم
لا تحابون ولا تتاصحون وأنتم إخوان على دين الله مافرق بين أهوائكم إلا خبث سرائركم ولو اجتمعتم

(١) حديث بث أبا عبدة بن الجراح فجاء بهمال من البحرين فسمعت أنصافا يقولون يا عبدة متفق
عليه من حديث عمرو بن عوف البدرى (٢) حديث أنى سعيد إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله
لكم من بركات الأرض الحديث متفق عليه (٣) حديث لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا البيهقي في
الشعب من طريق ابن أنى الدنيا من رواية محمد بن النضر الحارثى مرسل (٤) حديث أنس كانت
ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الضياء لاتبق فجاء أعرابي بناقة له فسبها فتشق ذلك على
السليدين فقال صلى الله عليه وسلم « إنه حق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه البخارى
والله تعالى أعلم (٥) حديث أنى الدرداء لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
ولهانت عليكم الدنيا ولآترتم الآخرة الطبرانى دون قوله ولهانت الخ وزادوا لخرجنكم إلى الصمدات
الحديث وزاد الترمذى وابن ماجه من حديث أنى ذو وما تلهذتم بالنساء على الفرس وأول الحديث
متفق عليه من حديث أنس وفى أفراد البخارى من حديث عائشة .

الأخلاق فانه لا يهدى
لأحسنها إلا أنت
واصرف عني سبها
فانه لا يصرف عني
سبها إلا أنت ليك
وسعدك فالحسب
كله يديك تباركت
وتعالت استغفرك
وأثوب إليك ويطرق
رأسه في قيامه ويكون
نظيره إلى موضع
المجدود ويكمل القيام
باتصاف القامة ونزع
يسير الانطواء ويكون
الركبتين والحواسير
ومعاطف البدن
ويقف كأنه ناظر
بجميع جسده إلى
الأرض فهذا من
خشوع سائر الأجزاء
ويتكئون الجسد
يتكون القلب من
الخضوع وبرواح بين
القدمين بمقدار أربع
أصابع فان ضم الكعبين

على البر لتأنيهم ما لم تاصحون في أمر الدنيا ولا تاصحون في أمر الآخرة ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه ويدينه على أمر آخرته ما هذا إلا من فقه الإيمان في قلوبكم لو كنتم توفقون بغير الآخرة وشربها كما توفقون بالدنيا لأترتم طلب الآخرة لأنها أملك لأموركم . فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجلة من الدنيا للأجل منها تسكدون أنفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب أمر لم يكن لاندركونه فبئس القوم أنتم ما حققتم إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فأتونا لبين لكم ولربكم من النور ما تطمئن إليه قلوبكم والله ما أنتم بالمقوصة عقولكم فنعدكم إنكم تستبينون صواب الرأي في دنياكم تأخذون بالحزم في أموركم ما لم تخرجوا باليسير من الدنيا تصدونه وتخزون على اليسير منها يغوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم وبظمر على أنفسكم وتسمونها للصاب وتقيمون فيها للآثم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حالكم إنى لأرى الله قد تبرأ منكم ببق بضعكم بضا بالسرور وكلكم بكرمان يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بثله فاضطجبت على القل وبنت مرامكم على الدهن وتضافتم على رفض الأجل ولوددت أن الله تعالى أراخني منكم والخفى بمن أحب رؤيته ولو كان حيا لم يشارككم فان كان فيكم خير فقد أصمتكم وإن تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا والله أسعيتكم على تقى وعليكم . وقال عيسى عليه السلام : يا مشركي الجواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا ، وفي معناه قيل :

أرى رجلا بأدى الدين قد تنصوا وما أراهم رشا في العيش بالدين

فاستن بالدين عن دنيا الملوك كالمه تنفى الملوك بدنيام عن الدين

وقال عيسى عليه السلام : يا طالب الدنيا لتبر ترك الدنيا أبر . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم ولتأنيتمك بدنى دنيا نأكل إيمانكم كما نأكل النار الحطب ^(١) « وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام يا موسى لا تتركني إلى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي أشد منها ، ومرو موسى عليه السلام برجل وهو يئس ورجع وهو يئس فقال موسى يارب عبدك يئس من مخالفتك فقال يا ابن عمران لو سال دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقط لم أغفر له وهو يحب الدنيا . الآثار : قال طي رضى الله عنه من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبيا ولا عن النار مهربا أولها : من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فغصاه وعرف الحق فاتبه وعرف الباطل فافقه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فقبلها وقال الحسن : رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم ودية فأدوها إلى من اتهمهم عليها ثم أروا خفافا وقال أيضا رحمه الله من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فأفاتها في نحره وقال لقمان عليه السلام لانه : يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينةك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها بالإيمان بالله تعالى وشراعيها بالتوكل على الله عز وجل ولكل تنجو ومأواك ناجيا ، وقال الفضيل طالت فسكرني في هذه الآية - إنا جلنا ماعلى الأرض زينة لها ليلا يوم أقيم أحدن حملنا وإنا لجاعلون ماعليها صيدا جزا - وقال بعض الحكماء : إنك لن تصعب في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغدا يوم فلا تهلك في أكلة وهم عن الدنيا وأفطر على الآخرة وإن رأس مال الدنيا الهوى ورجعها النار وقول لبعض الرهبان كيف ترى الدهر ؟ قال يخاف الأبدان ويجدد الآمال ويهرب اللية ويسعد الأمية . قيل فما حال أهله ؟ قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب ، وفي ذلك قول :

هو الصنف للتي عنه
ولا يرفع إحدى
الرجلين فانه الصنف
التي عنه هي رسول
الله صلى الله عليه وسلم
عن الصنف والصنف
وإذا كان الصنف منيا
عنه ففي زيادة الاعتاد
على إحدى الرجلين
دون الأخرى معنى
من الصنف فالأولى
رعاية الاعتدال في
الاعتاد على الرجلين
جميعا ويكره اشتغال
الصماء وهو أن يخرج
يده من قبل صدره
ويجتنب السدل وهو
أن يرضى أطراف
الثوب إلى الأرض فقيه
معنى الخلاء وقيل هو
الذى ياتف بالثوب
ويجعل يده من داخل
فركه ويد كذلك
وفي معناه ما إذا جعل

(١) حديث لتأنيتمك بدنى دنيا نأكل إيمانكم كما نأكل النار الحطب ، ما أجده له أصلا .

ومن بعد الدنيا لبعي يسره
فصوف لعمري عن قليل يلوهمها
إذا أدبرت كانت على الرء حسرة
وإن أقبلت كانت كثير اهمومها

وقال بعض الحكماء : كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن إلا ما كان عيشها
نكد وصوفها كدر وأهالها منها على وجل إما بنعمة زائلة أو بليّة نازلة أو منية قاضية . وقال بعضهم :
من عيب الدنيا أنها لا تعطى أحدا ما يستحق لكنها إما أن تزيد وإما أن تنقص ، وقال سفيان أمارى
التم كأنها مغضوب عليها قد وضعت في غير أهلها . وقال أبو سليمان الداراني : من طلب الدنيا على
الهيئة لها لم يسط منها شيئا إلا أراد أكثر ومن طلب الآخرة على الهيئة لها لم يسط منها شيئا إلا أراد
أكثر وليس لهذا غاية . وقال رجل لأبي حازم أشكو إليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر
ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذ به إلا ما أمن حله ولا تضعه إلا في حقه ولا يضر لك حب الدنيا ولا ينجع لك
هذا لأنه لو أخذ نفسه بذلك لأتبعه حتى يترجم بالدنيا ويطلب الخروج منها ، وقال يحيى بن معاذ :
الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجسه في طابه فيأخذك ، وقال الفضيل لو كانت
الدنيا من ذهب يفتى والآخرة من خرف يبقى لكان يفتى لنا أن نختر خرفا يبقى على ذهب يفتى
فكيف وقد اخترنا خرفا يفتى على ذهب يفتى ، وقال أبو حازم إياكم والدنيا فإنه يفتى أنه يوقف البعد
يوم القيامة إذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ما حتره الله ، وقال ابن مسعود ما أصبح أحد من
الناس إلا وهو ضيف وماله حارية فالضيف مرعى والغارية مردودة ، وفي ذلك قيل :

وما لك والاهلوان والإدائع ولا بد يوما أن تردّ الودائع

وزار رابعة أصحابها فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها فقال استكواعن ذكرها فلا تلاموهم من قلوبكم
ما أكثرتم من ذكرها إلا من أحب شيئا أكثر من ذكره وقيل لإبراهيم بن آدم كيف أنت فقال :
رفع دينا ما يمزق ديننا فلا ديننا يفتى ولا ماترفع
فطوبى لبيد آثر الله ربه وجاد بدنياء لما يتسوع

وقيل أيضا في ذلك :

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره وتال من الدنيا سرورا وأتاما

حكيان يحي بئسائه فأقامه فلما استوى ما قد بناء تهادما

وقيل أيضا في ذلك :

هب الدنيا تساق إليك عفوا أليس مصر ذلك إلى انتقال

وما ديناك إلا مثل في أظلك ثم آذن بالزوال

وقال لقمان لابنه يابن : مع ديناك بآخرك ترجعها جميعا ولاتبع آخرتك بديناك تخسرهما جميعا .
وقال مطرف بن الشخير لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر إلى سرعة ظم
وعودهم منقلهم . وقال ابن عباس إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء
للكافر فالؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع . وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن أرامنها شيئا
فليسبر على معاينة الكلاب ، وفي ذلك قيل :

يا خاطب الدنيا إلى نفسها تنح عن خطبتها تعلم

إن القى تخطب غداة قريبة العرس من اللأثم

وقال أبو الدرداء من هوان الدنيا على الله أنه لا يصح إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها ، وفي ذلك قيل :

إذا امتحن الدنيا لبيب تسكت له عن عدو في ثياب صدق

يديه داخل التميم
ويجتنب الكف وهو
أن يرفع ثيابه يديه
عند السجود ويكره
الاختصار وهو أن
يجعل يده على الحاصرة
ويكره الصلب وهو
وضع اليدين جيده على
الحصرين ويجافي
الضدين فإذا وقفت
الصلاة على الهيئة التي
ذكرناها تجنبا للسكران
فقد تم القيام وكله
فيقرأ آية التسوية
والدعاء كما ذكرنا ثم
يقول أعوذ بالله من
الشيطان الرجيم ويقرأ
في كل ركعة أمام
القراءة ويقرأ القاتعة
وباعدها بحسور قلب
وجمع ثم يركع ويقرأ
القلب واللسان يحفظ
وافر من الوصلة والدنو
والهيئة والخشوع

وقيل أيضا : يارافد الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسعارا
أفنى القرون التي كانت منعمة كرم الجديدين إقبالا وإدبارا
كم قد أبادت صروف الدهر من ملك قد كان في الدهر نفاعا وضارا
يلمن يمانق دنيا لا بناء لها عسى ويصبح في دنياه سفارا
هلا تركت من الدنيا معاقبة حق تصانق في الفردوس أبارا
إن كنت تجنى جنات الخلد تسكها فيبغى لك أن لاتأمن النارا

وقال أبو أمانة الباهلي رضى الله عنه لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أنت إليس جنوده فقالوا قد بعث
نبي وأخرجت أمة قال يحبون الدنيا ؟ قالوا نعم قال لئن كانوا يحبون الدنيا ما لبثوا أن لا يبدوا الأوثان
وإنما أغدو عليهم وأروح بثلاث أخذ للال من غير حقه وإفاته من غير حته وإسأكه عن
سته والكر كله من هذا بيع . وقال رجل لعل كرم الله وجهه بالأمير المؤمنين صف لنا الدنيا قال:
وما أصف لك من دار من صغ فيها سقم ومن أمن فيها نعم ومن اتقى فيها حزن ومن استغنى فيها افتقار
في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب ومتشابهها الضباب ، وقيل له ذلك مرة فأخبري فقال أطول أم
أقصر قيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب ، وقال مالك بن دينار قالوا السحارة فاتها سحر
قلوب العلماء يعني الدنيا .. وقال أبو سليمان الداراني إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تراحمها فإذا
كانت الدنيا في القلب لم تراحمها الآخرة لأن الآخرة كرمعة والدنيا لينة ، وهذا تشديد عظيم ورجو
أن يكون ما ذكره سياري الحكم أصح إذ قال الدنيا والآخرة يهتمعان في القلب فأيهما غلب كان
الأخر تما له ، وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك بقدر ما تحزن
للاخرة يخرج هم الدنيا من قلبك ، وهذا اقتباس مما قاله علي كرم الله وجهه حيث قال : الدنيا
والآخرة ضربان فيقدر ما ترضى إحداها تسخط الأخرى ، وقال الحسن والله لقد أدركت أقوالها
كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه ما يألون أشرفت الدنيا أم غربت ذهبت
إلى ذا أذهبت إلى ذا وقال رجل للحسن ما تقول في رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه
أيعسن له أن يعيش فيه ؟ يعني يتمتع فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها إلا الكفاف ويقدم
ذلك ليوم قعره ، وقال الفضيل لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لحاسب عليها في الآخرة لكتكت
أنفقدتها كما يتفقد أحدكم الجيفة إذا صر بها أن تصيب ثوبه ، وقيل لما قدم عمر رضى الله عنه الشام
فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقه مخطومة بجمل فسلم وسأله ثم أتى منزله فمرفقه بالإسيف وترسه
ورحله فقال له عمر رضى الله عنه لو اتخذت متاعا فقال يا أمير المؤمنين إن هذا ليضائل الليل والاسفان
خذ من الدنيا ليدنك وخذ من الآخرة لقلبك ، وقال الحسن والله لقد عديت بنو إسرائيل الأصنام بعد
عبادتهم الرحمن بحجم للدنيا ، وقال وهب قرأت في بعض الكتب الدنيا غنمة الأكراس و غنمة الجهال
لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسلوا الرجعة فلم يرجعوا ، وقال لقمان لابن أبيه إنك استدرت الدنيا
من يوم زلتها واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تبتاعها ، وقال سعيد بن مسعود
إذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك النبون الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر
وقال عمرو بن العاص على الثبر : والله ما رأيت قوما قط أرغب فيها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزهد فيه منك والله ما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث إلا والله عليه أكثر من الذي له (١)
(١) حديث عمرو بن العاص والله ما رأيت قوما قط أرغب فيها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزهد فيه منك الحديث الحاكم ومحمد ورواه أحمد وابن حبان بنحوه .

والخشية والتعظيم
والوقار والشاهدة
والساجدة وإن قرأين
العاقة وما يبرأ بعدها
إذا كان إماما في
السكنة الثانية : اللهم
بعدني وبين خطاي
كما بعدت بين الشرق
والغرب وتشتى من
الخطايا كينيتي الثوب
الأبيض من الدنس
اللهم اغسل خطاي
بالماء والتاج والبرد
لحسن ، وإن قلها في
السكنة الأولى لحسن
روى عن النبي عليه
الصلاة والسلام أنه قال
ذلك وإن كان منفردا
بقولها قبل القراءة
ويعلم العبد أن تلاوته
نطق اللسان ومعناها
نطق القلب وكل
مخاطب لشخص
يتكلم بلسانه ولسانه

وقال الحسن يمد أن تلا قوله تعالى - فلا تفرنكم الحياة الدنيا - من قل ذا قاله من خلفه ومن هو أعلم بها إياكم وما شغل من الدنيا فإن الدنيا كثيرة الأفعال لا يفتح رجل على نفسه باب فغل إلا أوعدك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب . وقال أيضا مسكين ابن آدم رضى بدار حلالها حساب وحرامها عذاب إن أخذته من حله حوسب به وإن أخذته من حرام عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله فخرج بمصيته في دينه وبمخرج من مصيته في دنياه . وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز سلام عليك . أما بعد : فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات فأجابته عمر سلام عليك كأنك بالدنيا ولم تسكن وكأنك بالآخرة لم تزل . وقال الفضيل بن عياض الدخول في الدنيا هين ولكن الخروج منها شديد . وقال بعضهم هيبا لمن يعرف أن الموت حق كيف يفرح وبهيبا لمن يعرف أن النار حق كيف يضحك وبهيبا لمن رأى قلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها وبهيبا لمن يعلم أن القدر حق كيف ينصب . وقدم على معاوية رضى الله عنه رجل من نجران عمره مائة متفكاه عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيت بلاء وسنيت رخاء يوم قيوم وليلة فليلة بولود وبولود بملك هالك فلولو للولود بلاد الحق ولولا المسالك ضاقت الدنيا بمن فيها فقال له سل ما شئت قال عمر مضى قتره أو أجل حضر قد ضعه قال لا أم لك ذلك قال لاحاجة لي إليك . وقال داود الطائي رحمه الله يا ابن آدم فرحت ببلوغ أملاك وإنما بلغت باقتضاء أجلك ثم سوف يملكك كأن منفعته لنيرك وقال جسر من سأل الله الدنيا فاعما بسأله طول الوقوف بين يديه . وقال أبو حازم ماقى الدنيا شيء سرك لا أوعد ألسن الله إليه شيئا يدومك . وقال الحسن لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بمسرات ثلاث : إنه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما أمل ولم يحسن الزاد لما يقدم عليه . وقيل لبعض السادة نلت القنى فقال إنما نالت القنى من حق من رقى الدنيا . وقال أبو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطلاحنا على حب الدنيا فلا يأمر بمشنا وبضا ولا ينهى بمشنا وبضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شمرى أى عذاب الله ينزل علينا . وقال أبو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة . وقال الحسن أهيئوا الدنيا فوالله ما هي لأحد بأنها لمن أهاتها . وقال أيضا إذا أراد الله بعبده خيرا أعطاه من الدنيا عطية ثم يمكك فإذا أعاد عليه وإذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا . وكان بعضهم يقول في دعائه يا معلى السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنك أمسك الدنيا عني وقال محمد بن التكرس أرايت لو أن رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله ويجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غير أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال إن هذا عظم في عيني ما صرته فاه وصغر في عيني ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عند مدغم ما اقترنا من الذنوب والحطاي وقال أبو حازم اعتدت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فانك لا تجد عليها أعوانا وأما مؤنة الدنيا فانك لا تضرب يدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجرا قد سبقك إليه وقال أبو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والأرض كالشئ البالى تنادى ربه منذ خلقها إلى يوم ينفيا يارب يارب لم تنضى فيقول لها اسكني بالآسى . وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته حتى يصل الخير إليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بهى من الدنيا قد ضل خطا إلى الحكمة ومن جل شيوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب عليه هواه القالب وقيل لشر مات فلان قال جمع الدنيا وذهب إلى الآخرة ضيع نفسه قيل له إنه كان يفعل ويفعل وكروا يا بامن الرق قال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا . وقال بعضهم الدنيا تبتغى إلى التفتها ونحن نحبها فكيف لو تحببت إلينا وقيل لحكيم الدنيا إن هي قالن تركها قيل الآخرة إن هي قالن طلبها وقال حكيم الداداد خراب وأخرب

يسر عما في قلبه ولو
أمكن التكلم لإخام
من يكلمه من ضير
لأن فعل ولكن
حيث تنظر الأفهام
إلا بالكلام جعل اللسان
ترجما ناذ قال باللسان
من غير مواطاة القلب
للسان ترجما ناولا
القارى متكلما قاصدا
إسباع الله حاجته
ولا مستمعا إلى الله
فأما عنه سبحانه
ما غايبه وما عنده غير
حركة اللسان بقلب
غائب عن قصد
ما يقول فينبغي أن
يكون متكلما متاجيا
أو مستمعا راعيا فأقل
مراتب أهل الحوص
في الصلاة الجمع بين
القلب واللسان في
التلاوة ووراء ذلك
أحوال الحوص بطول

منها قلب من يصرها والجنة دار عمران وأحمر منها قلب من يطلها، وقال الجنيدي كان الشافعي رحمه الله من الرديين الباطلين لسان الحق في الدنيا وعظ أخاه في الله وخوفه بالله فقال يا أخي إن الدنيا حوض مزلّة ودار مذلّة عمراتها إلى الخراب صار وما سكنها إلى القبور زائر فحمل على الفرقه موقوف وغناها إلى الفقر مصروف الإكثار فيها إفسار والإعسار فيها يسار فافزع إلى الله وأرض برزق الله لا تتسلف من دار فئاتك إلى دار فئاتك فإن عيشك في زائل وجددار مائل أكثر من حملك وأتصر من أمك . وقال إبراهيم بن آدم رجل أدرهم في النام أحب إليك أم يدنار في اليقظة فقال دینار في اليقظة فقال كذبت لأن الذي تحبه في الدنيا كأنك تحبه في النام والذي لا تحبه في الآخرة كأنك لا تحبه في اليقظة . وعن إسماعيل بن عياش قال كان أصحابنا يسمون الدنيا خزيرة فيقولون إليك عنايا وخزيرة فلو وجدوا لها اسماً أقبح من هذا لسموها به . وقال كب تخبين إليك الدنيا حتى تبدوها وأهلها وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله الغلاء ثلاثة : من ترك الدنيا قبل أن تتحركه وبني قبره قبل أن يدخله وأرضى خالقه قبل أن يلقاه . وقال أيضاً الدنيا باغ من شؤمها أن تخليك لما يليك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من أراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كعقبي النار البئین وقال بندار إذا رأيت أبناء الدنيا يتسكدون في الزهد فاعلم أنهم في سخرة الشيطان وقال أيضاً من أقبل على الدنيا أحرقتة نيرانها حتى الحرس حتى يصير رماداً ومن أقبل على الآخرة صفته نيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن أقبل على الله عز وجل أحرقتة نيران التوحيد فصار جوهر الاحد قيمته . وقال علي كرم الله وجهه إنما الدنيا أشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشوم فأشرف الطعومات العسل وهو مذقة ذباب وأشرف اللبوس الثياب والسوء يستوى فيه البر والفاجر وأشرف اللبوسات الحرير وهو نسج دودة وأشرف الركوبات القرس وعليه يقتل الرجال وأشرف التسكوحات المرأة وهي مبال وإن المبالاة لرزين أحسن شيء منها ويراد أقبح شيء منها وأشرف للشموحات للسك وهو دم .

(بيان اللواعظ في ذم الدنيا وصفها)

قال بعضهم يا أيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تقنطروا بالأمل ونسيان الأجل ولا تتركوا إلى الدنيا فاتها غدارة خداعة قد زخرفت لكم بفروها وفتنكم بأمانها وتزينت لحطائها فأصبحت كالمرس الحلبية البيون إليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكر من عاشق لها قتلت ومطمئن إليها خذلت فانظروا إليها بين الحقيقة فاتها دار كثير ياتونها وذمها خالقها جديدها يبل وملكتها يغنى وعزها يذل وكثيرها يذل ودها يموت وخيرها يهوت فاستقظوا رحمكم الله من غفلتكم واتبوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان عليل أو مدنف تعيل فهل على الدواء من دليل أو هل إلى الطبيب من سبيل فتدعي لك الألباء ولا يرجي لك الشفاء ثم يقال فلان أوصى ولما له أحصى ثم يقال قد قتل لسانه فما يكلم إخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتابع أينك وثبت جينك وطمعت جفونك وصدت ظنونك وتلجج لسانك وبكى إخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان ، وهذا أخوك فلان ومنبت من الكلام فلا تطع وتتم على لسانك فلا ينطق ثم حلك القضاء وانزعقت نفسك من الأعضاء ثم عرج بها إلى البلاء فاجتمع عند ذلك إخوانك وأحضررت أكنفانك فسلوكك وسكنفوك فانتقطع عوداك واستراح حساك وانصرف أهلك إلى مالك وبقيت مرتها بأعمالك . وقال بعضهم لبعض اللوك إن أحق الناس بدم الدنيا وأقلها من بسط له فيها وأعطى حاجته منها لأنه يتوفى آفة تمدد

شرحها . قال : بهيتم
مادخلت في صلاة قط
فأهمني قريبا غير ما أقول
وقيل لأمير بن
عبد الله هل تجد في
الصلاة شيئا من أمور
الدنيا فقال لأن تغتاف
على الأمتة أحب إلى
من أن أجدي الصلاة
تجدون . وقيل لبعضهم
هل تحدث نفسك في
الصلاة بشيء من أمور
الدنيا فقال لا في الصلاة
ولا في غيرها ومن الناس
من إذا أقبل على الله
في صلاته يتحقق معنى
الإجابة لأن الله تعالى
قام الإجابة وقال -
متبين إليه واتقوه
واقبوا الصلاة -
فينيب إلى الله تعالى
ويثق الله تعالى بالتبصر
عما سواه ويقيم الصلاة
بجسمه مشروح

على بابه فتجتاحه أو على جمعه فتفرقه أو تأتي سلطانه قديمه من القواعد أو تدب إلى جسمه فتسحقه أو تضيق به بين أحبابه فالله أعلم بالدم هي الأخذ من طي الراسية تهب تهب ينهائى
تضحك صاحبها إذ أضحكته منه غيره وبينها هي تبكي له إذ أبكت عليه ويبنيها تبسط كنفها بالإعطاء
إذ بسطتها بالاسترداد فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتنفره بالتراب غدسوا عليها ذهاب مذهب
وبقاء ما بقي تجدد في الباقي من المذهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا . وكتب الحسن البصري إلى
عمر بن عبد العزيز . أما بعد : قال الدنيا دار ظن ليست بدار إقامة وإنما أنزل علمه السلام من
الجنة إليها عقوبة فأحذرهما يأمر المؤمنين فإن أراد منها تركها والتي منها فقرها لها في كل حين قيل
تفذل من أعزها وتفر من جمعها هي كالمسكأكله من لا يعرفه وفيه حشفة فكيفها كالدوى جراحه
عظمى قليلا مخافة ما يكره طويلا ويسر على شدته الهواء مخافة طول الداء فأحذر هذه الدار الدائرة
أخالة الحداة التي قد تزييت جندعها وفنت بفرورها وحلت بآمالها وسوت غلطها فأصبحت
كالروس الحلية ، البيون إليها ناظرة والقلوب على أوالها والنفس لها عاتقة قوهي لأزواجها كلهم قالية
فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالأول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عن ما ذكر
فماشق لها قد ظفر منها عجاته فاغترى وطنى ونسى للماد فقتل فيها له حق زلت به قدمه فسطعت
زدامته وكثرت حسره واجتمعت عليه سكرات اللوت وتآله وحشرات النوت بضته وراغب فيها
لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فأحذرهما يا أمير المؤمنين
وكن أسرا ما تكون فيها أحذر ما تكون فيها فإن صاحب الدنيا كلما اطمان منها إلى سرور أسخطته
إلى مكروه السار في أهلها غار والنافع فيها غدر صار وقد وصل الرخاء منها إلى البلاء وجعل البقاء فيها
إلى فناء فسرورها مشوب بالأحزان لا يرجع منها ما ولى وأدبر ولا يدري ما هوات فينتظر أما منياها
كاذبة وآمالها باطلة وصنوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر إن عقل ونظر فهو من
النماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الحائق لم يغير عنها خيرا ولم يضرب لها مثلا لكانت
الدنيا قد أيقظت النائم ونهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ
لها عند الله جل ثناؤه قدر وما ننظر إليها منذ خلقها ولقد عرست على نبيك صلى الله عليه وسلم
بغنائبها وخزائنها لا ينصف ذلك عند الله جناح بعوضة فأي أن قبلها (١) إذ كره أن يخالف على الله
أمره أو يوجب ما لا ينصف خالفه أو يرفع ما يوجب ملكه فزواها عن الصالحين اختارا وبسطها لأعدائه
اغترارا فيظن للفرور بها لا تقدر عليها أنه أكرم بها ونسى ما صنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه
وسلم حين شد الحجر على بطنه (٢) ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه عز وجل أنه قال لوسى عليه
السلام : إذا رأيت النبي مقبلا قل ذنب غلبت عقوبته وإذا رأيت الفقر مقبلا قل مرجا بشعار الصالحين
وإن شئت اتقيت صاحب الروح والسكعة عيسى ابن مريم عليه السلام فانه كان يقول إداي الجوع
وشعاري الخوف ولباسي الصوف وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس وسراجي القمر ودابتي رجلاي

(١) حديث الحسن وكتب به إلى عمر بن عبد العزيز عرست أي الدنيا على نبيك صلى الله عليه وسلم
وسلم بغنائبها وخزائنها الحديث ابن أبي الدنيا هكذا مرسله وأما أحمد الطبراني متصلا من حديث
أبي موهبة في أثناء حديث فيه إلى قد أعطيت خزائن الدنيا والخلد من الجنة الحديث وسنده صحيح
ولقلمي من حديث أبي أمامة عرض على ربي ليحصل لي بطعام مكة ذهبا الحديث (٢) حديث
الحسن مرسل في شد الحجر على بطنه ابن أبي الدنيا أيضا هكذا ولبخاري من حديث أنس رضي
عن بطوننا من حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرين وقال حديث غريب .

بالاسلام وقلب منتعج
بنور الإنعام فخرج
السكعة من السران
من لسانه وبسمها
قبله فتعك السكعة
في فضاء قلب ليس فيه
غيرها فيتملكها القلب
بحسن القسم وقيد
نعمه الإصغاء
وبشرها بحلاوة
الاستماع وكال الوحي
ويدرك لطيف معناها
وتسرف لغواها معاني
تلطف عن تفصيل
الذكر وتنشكي غنى
الفكر ويسير الظاهر
من معاني القرآن قوت
النفس فانفس للطمعة
متوعدة بمعاني القرآن
عن حديقها لكونها
معاني ظاهرة متوجهة
إلى عالم المحسنة
والشهادة تحسب
مناسبتها من النفس

وطماى وفاكهى ما أنبت الأرض آيت وليس لى شئ وأصبح وليس لى شئ وليس على الأرض أحد أغنى منى . وقال وهب بن منبه لما بث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام إلى فرعون قال لا يروعنكما لباسه الذى ليس من الدنيا فإن ناصيته يدى ليس ينطق ولا يطف ولا يتنفس إلا بأذى ولا يجيئكما ما تمنع به منها فإنما هى زهرة الحياة الدنيا وزينة الترفين فلو شئت أن أزيئكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن قدرته تعجز عما أوتيتا لقطت ولكنى أرغب سكا عن ذلك فأزوى ذلك عنكما وكذلك أفضل بأوليائى إلى لأودهم عن نعيمها كايذو والراعى الشقيق غنمه عن مراعى الهلكة وإنى لأجزيهم ملائها كما يحب الراعى الشقيق إليه عن منازل القرى وما ذاك لهاوتهم على ولكن ليسكنوا نصيبهم من كرامى سالما موفرا إنما يتزين لى أوليائى بالقل والحوف والخصوف والتوى تنبت فى قلوبهم وتظهر على أجسادهم ففى نعيمها إلى بدو ونودارم الذى يظهر ون وصغيرم الذى يستشعرون ونجائبهم التى يابوزون ورجاؤم الذى إياه يأملون ومجدمم الذى به يغترون وسبامم التى بها يعرفون فإذا لقيتهم فاحضن لهم جناحك وذلل لهم فكلك ولسانك واعلم أنهم أخافلى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ثم أنا الثائر له يوم القيامة . وخطب كرى الله وجهه يوم أخاطبه فقال فيها: اغلوا أنسكم ميتون وميمونون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ويجزون بها فالترت أنسكم الحياة الدنيا فإنها بالبلاد محفوفة وبالثناء معروفة وبالقدر موصوفة وكل ما فيها إلى زوال وهى بين أهلها دول وسجل لا تدوم أحوالها ولا يسل من شرها زائلها بينا أهلها منها فى رخاء وسرور وإذام منها فى بلاء وغرور أحوال مختلفة وتارات منصرفة العيش فيها مدموم والرخاء فيها لا يدوم وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميمهم بسهامها وتقسيم مجاهمها وكل حنفه فيها مقدور وحظه فيها موقوف . واعلموا عباد الله أنسكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى بمن كان أطول منكم أعمارا وأشد منكم بطشا وأعمر ديارا وأشد آثارا فأصبحت أنصوتهم هامة خادمة من يسطول ثقلها وأجسادهم بالة وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم غاية واستبدلوا بالنصور للشيعة والسرور والنجار للهمدة الصخور والأحجار للسند فى القبور اللطافة للهمدة فحلهم مقرب وما كنهتم مقرب بين أهل محارة موحدتين وأهل محلة متشاكين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون توصل الجيران والإخوان على ما بينهم من قرب للسكان والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم توصل وقد طعنهم بكسلكه البلاء وأكلتهم الحفاد والتوى وأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد نضارة العيش رقانا طعنهم الأحباب وسكبوا تحت التراب وطفنوا فليس لهم إياب هيهات هيهات - كلا إنها كفة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون - فكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلاء والوحدة فى دار اللزوى وأرتهتم فى ذلك الضجع وضكم ذلك المستودع فكيف بكم لو عايت الأمور وبعثت القبور وحصل ما فى الصدور وأوقفت للتحصيل بين يدى الملك الجليل فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب وهذنت عنكم الحجب والأستار وظهرت منكم العيوب والأسرار هنالك تجرى كل نفس بما كسبت إن الله عز وجل يقول - ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحق - وقال تعالى - ووضعت الكتاب قترى المجرمين مشفقين مما فيه - الآية جعلنا الله وإياكم كاملين بكتابه متبعين لأوامره حتى جعلنا وإياكم دار القامة من فضله إنه حميد مجيد . وقال بعض الحكماء : الأيام سهو والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلبائيه وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة اللبائى فى يدك لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم ياب عليك واستنقلت سمر الساعة بك ولكن تدير الله

للكون لاقامة رسم
الحكمة ومه فى القرآن
الباطنة التى يكشفها
من اللكوت قوت
القلب وتخلص الروح
للقدر إلى أو ثل
سرادقات الجيروت
بطلالة عظيمة للنعك
وعثل هذه الطلعة
يكون كمال الاستراق
فى ليج الأشواق كما
تقل عن مسلم بن يسار
أنه صلى ذات يوم فى
مسجد البصرة فوقف
أسطوانة تسامع
بسطها أهل السوق
وهو واقف فى الصلاة
يلم بذلك ثم إذا أراد
الركوع غصل بين
الفرامة والركوع ثم
يركع منطوى القامة
والنصف الأسفل بحاله
فى القيام من غير انطواء
الركعتين ويجانى

فوق تدمير الاعتبار وبالسوا عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وإنها لأمر من الملقم إذا فصح الحكيم وقد أُميت الواصف لبروبها بظواهر أفضالها وما تأتي به من المنجيات أكثر مما يحيط به الواعظ اللهم أرشدنا إلى الصواب . وقد بسض الحكما وقد استوصف الدنيا وقدر بقاها فقال: الدنيا وقتك الذي يرجع إليك فيه طرفك لأن ماضى عنك قد فاتك إدراكه وما لم يأت فلا عاك بك هو الدهر يوم قبيل تنعم ليلته وتطويه ساعاته وأحداثه تتوالى على الإنسان بالتغير والنقصان والله موم كل يشتهي الجماعات وانخرام الشمل وتقل الدول والأمل طويل والعمر قصير وإلى الله تصير الأمور . وخضب عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فقال : يا أيها الناس إنكم خلقت لأمر إن كنتم تصدقون به فانكم حتى وإن كنتم تكذبون به فانكم هلكتي إنما خلقتم للأبد ولكنكم من دار إلى دار تتقلون عباد الله إنكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص . ومن شر أكرم شرق لا تصفولكم نصبة تسرون بها لا يفرق أخرى تكثرهون فراقها فاعلموا لما أنتم سارون إليه وخالدون فيه ثم غلب البكاء ونزل . وقال طي كرم الله وجهه في خطبته : أومبكم بتقوى الله والترك للدنيا التركة لكم وإن كنتم لا تحبون تركها لليلة أجسامكم وأنتم تريدون عبيدتها فاعلموا مثلكم ومثلا كنل قوم في سفر سلكوا طريقا واثقواهم قد قطموا وأفسوا إلى علم فسكتهم بلقوه وكم عسى أن يجرى المجرى حتى يتنهي إلى الناية وكم عسى أن يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حديث بطلابه حتى يارقها فلا تجزعوا رؤسها فانه إلى انقطاع ولا تفرحوا بتابعها ونهايا فانه إلى زوال هيب لطالب الدنيا والوالت بطلابه وغافل وليس مغفول عنه . وقال محمد بن الحسين : لما علم أهل الفضل والدم والمعرفة والأدب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا وأهأنه رضى لأزلياتها وأنها عنده حقيرة قليلة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر أصحابها من فتنها أكلوا منها قعدا وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يليه ليسوا من التياب ماستر العورة وأكلوا من الطعام أدناه مما سد الجوعة ونظروا إلى الدنيا بعين أنها فانية وإلى الآخرة أنها باقية فترودوا من الدنيا كزاد الراكب غرّبوا الدنيا وعمرّوها الآخرة ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم فملوا أنهم سينظرون إليها بأعينهم فارتحلوا إليها بقلوبهم لما علوا أنهم سيرتحلون إليها بأيمانهم تبيوا قليلا وتتمموا طويلا كل ذلك يتوفى مولا من السكرم أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم . (بيان صفة الدنيا بالأمثلة)

اعلم أن الدنيا سرية القناء قرية الانقضاض تعدد البقاء ثم تخلف في الوفاء تنظر إليها قراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيرا عنيفا ومرحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر إليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن إليها وإنما يحس عند انقضائها ومثلها الظل فانه متحرك ساكن ، متحرك في الخفية ساكن في الظاهر لا تدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالصيرة الباطنة ولهذا ذكرت الدنيا عند الحسن البصري رحمه الله أنشد وقال :

أحلام نوم أو كظلم زائل إنَّ الطبيب يثلها لا ينجح

وكان الحسن بن طي بن أبي طالب كرم الله وجهه يتمثل كثيرا ويقول :

يا أهل قنات دنيا لا جاء لها إنَّ اغترارا بظلم زائل حتى

وقيل إنَّ هذا من قوله . ويقال إنَّ أغرايا نزل يقوم قدسوا إليه طعاما فأكل ثم قام إلى ظلم خيمة لهم فنام هناك فالتقوا الحجة فأصابته الشمس فاقبته فقام وهو يقول :

ألا إنما الدنيا كظلم نوبة ولا بد يوما أن ظلك زائل

وكذلك قيل : وإن امرأ دنياه أكبر همه لستمسك منها بمجل غرور

مرقبه عن جنبيه

وعد منعه مع ظلمه

ويضع راحته على

رصيفته منشورة

الأصابع . روى مصعب

ابن سعد قال صليت إلى

جنب سعد بن مالك

فجلست بدي بين ركبتي

وبين غنذي وطبقهما

فضرب يدي وقال

اضرب بكفيك على

ركبتك وقال يا بني إنا

كنا نعمل ذلك فأمرنا

أن نضرب بالأكف

على الركب ، ويقول :

سبحان ربي العظيم

ثلاثا وهو أدنى الكمال

والكمال أن يقول

إحدى عشرة وما يأتي

به من المدد يكون بعد

التحسين من الركوع

ومن غير أن يترج آخر

ذلك بالرفع ويرفع يديه

للكركوع والرفع من

[مثال آخر لدينا من حيث التفرير بخيالاتها ثم الإفلاس منها بعد إفلاتها] اتفه خيالات النام وأسفات الأعلام قال رسول الله ﷺ « الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون » (١) وقال يوسف بن عيسى ما سمعت نبي في الدنيا إلا كرجل تام فرأى في منامه ما يكره وما يحب فيها هو كذلك إذ اتفه فكذلك الناس نيام فافهم ماتوا انتبهوا فإذا ليس بأيديهم شيء عاركنوا إليه وفرحوا به . وقيل ليس الحكما أي شيء أشعب الدنيا قال أعلام النام [مثال آخر لدينا في عداوتها لأهلها وإهلاكها لبنيها] اعلم أن طبع الدنيا التلطف

في الاستدراج أولا والتوصل إلى الإهلاك آخر اهوى كاهرا فتزين للخطباء حتى إذا كتمتهم غدتهم وقعدوى أن عيسى عليه السلام كرعف بالدنيا فرأها في صورة مجوزها . عليها من كل زينة قلها كما تزوجت قلت لأصحابهم قال فكلمهم مات عنك أم كلمهم طلقك قالت بل كلمهم قلت فقال عيسى عليه السلام يؤسا لأزواجك الباقين كيف لا يمترون بأزواجك للساكنين كيف نهلكهم واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر [مثال آخر لدينا في مخالفة ظاهرها لباطنها] اعلم أن الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي شبه مجوز مزينة تجمع الناس بظاهرها فإذا وقوا على باطنها وكفوا التقاع عن وجهها تمثل لهم قبايعها فتمسوا على اتباعها وخبيلوا من ضيف عقولهم في الغرار بظاهرها وقال الملا ابن زياد رأيت في النام مجوزا كبيرة متعبة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها معجوبون ينظرون إليها بشت ونظرت وتجتبت من نظرم إليها وإقبالها عليها قتل لها . ولك من أنت ؟ قالت أو ما تعرفني . قلت لأدري من أنت قالت أنا الدنيا قلت أعوذ بالله من شركك قالت إنا أحببت أن نحاذ من شرى فابض الدرهم . وقال أبو بكر بن عياش رأيت الدنيا في النوم مجوزا مشوطة تصفق يديها وخلفها خلق يتبعونها بصفتون ويرقصون فلما كانت بخدائي أقبلت على قتلت مشوطة بك لصنت بك مثل ماصنت هؤلاء ثم بكى أبو بكر وقال : رأيت هذا قبل أن أقدم إلى بغداد . وقال الفضيل بن عياش قال ابن عباس يؤق بالدنيا يوم القيامة في صورة مجوز مشوطة زرقاء . رأينا بها بادية مشوطة فتشرف على الخلاق فيقال لهم اتعرفون هذه فيقولون نموذجنا من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تناحرت عليها بها تناطحتم الأرقام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم ينفذ بها في جهنم فتنادي أي رب أين أبائي وأشياعي فيقول الله عز وجل : ألقوا بها أبتاعوها وأشياعها والدنيا باقية بالنفي أن رجلا عرج بروحه فاذا امرأة على قاعة الطريق عليها من كل زينة من الخيل واليابس وإداليم بها أحد إلا جرحته فاذا هي أدبرت كانت أحسن شيء . رآه الناس وإذاهي أقبلت كانت أقبح شيء . رآه الناس مجوز مشوطة . زرقاء عشاء قال قتلت أعوذ بالله منك قالت لا والله لا يذكك الله من حق تنفض الدرهم قال قتلت من أنت ؟ قالت أنا الدنيا [مثال آخر لدينا وعبور الإنسان بها] اعلم أن الأحوال ثلاثة : حالة لم تكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك إلى الأول . وحالة لا تكون فيها مشاهد الدنيا وهي ما بعد موتك إلى الأبد . وحالة متوسطة بين الأبد والأزل وهي أيام حياتك في الدنيا فانظر إلى مقدار طولها وانسبه إلى طرفي الأزل والأبد حتى تعلم أنه أقل من منزل قصير في سفر بعيد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « مالي وللدنيا وإنما مثل الدنيا كمثل ركب سار في يوم صائف فرقت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها » (٢) ومن رأى الدنيا بهذه الدين لم يركن إليها

(١) حديث الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون لم أجد له أصلا (٢) حديث مالي وللدنيا وإنما مثل الدنيا كمثل ركب سار في يوم صائف فرقت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها . ومن رأى الدنيا بهذه الدين لم يركن إليها بنحوه . ورواه أحمد والحاكم وصححه من حديث ابن عباس .

الركوع ويكون في ركوعه ناظرا نحو قدميه فهو أقرب إلى الخشوع من النظر إلى موضع السجود وإنما ينظر إلى موضع سجوده في قيامه ويقول بعد التسبيح : اللهم لك ركنك ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلعت خشع لك سمعي وبصري وعظمي وعني وعصي ويكون قابه في الركوع متصفا بمعنى الركوع من التواضع والإخبات ثم يرفع رأسه قائلا . مع الله لمن حمده عالما بقلبه ما يقول فاذا استوى فثما محمد ويقول : ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت

ولم يبال كيف انتضت أيامه في ضر ومضيق أوفى سعة ورفاهية بل لا يبين لينة على لينة وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وضع لينة على لينة ولا قصبة على قصبة (١) ورأى بعض الصحابة يني شيئا من جس قهان : ورأى الأمر أهمل من هذا أنكسر ذلك (٢) وإلى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قطرة فاعبروها ولا تمسروها وهو مثال واضع فان الحياة الدنيا سمر إلى الآخرة ولهدهو الليل الأول على رأس القطرة والاحد هو الليل الآخر وبينهما سافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيفما كان قلابه من العبور والبناء على القطرة وتزيينها بأصناف الزينة وأنت عابر عليها غاية الجهل والخذلان [مثال آخر للدنيا في لبن موردها وخشونة مصدرها] اعلم أن أوائل الدنيا تبدو هيئة لينة يظن الحائض فيها أن حلاوة خفصها كحلاوة الحوض فيها وهيات فان الحوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب علي رضي الله عنه إلى سدان الفارسي بمثاقاة المثل الدنيا مثل الحياة ابن مسعود يفتل سمها فأعرض عما يجيبك منها قلقة ما يصحبك منها وضع عنك هومها بما أيقنت من فرقاها وكن أصر ماتكون فيها أحذر ماتكون لها فان صاحبها كالأمان منها إلى سرورها شخصه عنكم كروهه السلام [مثال آخر للدنيا في تعذر الخلاص من تبعثها بعد الحوض فيها] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنما مثل صاحب الدنيا كالشاة في الماء هل يستطيع الذي عصى في الماء أن لا يتبل قدماء (٣) وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا أنهم مخوضون في نعيم الدنيا بأبدانهم وقلوبهم منها مطردة وعلاقتها عن بواطنهم بمنقطة وذلك مكيدة من الشيطان بل لو أخرجوا جوامهم فيه لسكانوا من أعظم النجسين فراقها كآثار الشئ على الماء يقتضي بلا لاحتاجه يلتصق بالقدم فكذلك ملاعبة الدنيا تقتضي علاقة وظلة في القلب بل علاقة الدنيا مع القلب تمنع حلاوة العبادة قال عيسى عليه السلام بحق أقول لكم كما ينظر المرض إلى الطعام فلا يتذبه من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوته مع ما يجد من حب الدنيا وبحق أقول لكم إن الدابة إذا لم تركب وتمتنن تصعب وتبتر خلقها كذلك القلوب إذا لم ترقق بذكر الموت وتصعب العبادة تقسو وتقلظ وبحق أقول لكم إن الرق مالم ينخرق أو يتحل يوشك أن يكون وعاء لفصل كذلك القلوب مالم تخرقها الشهوات أو يدنسها الطمع أو يتسبها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إنما بقي من الدنيا بلاء وفتنة وإنما مثل عمل أحدكم كشل الوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله وإذا خبث أعلاه خبث أسفله (٤)» مثال آخر لما بقي من الدنيا وقلته بالإضافة إلى ماسبق [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقى متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع (٥)»

(١) حديث ما وضع لينة على لينة الحديث ابن حبان في الثقات والطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف من سأل عن أسره أن ينظر إلى فلينظر إلى أشعث صاحب مشعر لم يضع لينة على لينة الحديث (٢) حديث رأى بعض أصحابه يني بيتا من جس فقال أرى الأمر أهمل من هذا أبو داود والترمذي من حديث عبدالله بن عمرو وقال حسن صحيح (٣) حديث إنجامل صاحب الدنيا كشل الشاة في الماء الحديث ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من رواية الحسن قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره ووصله البيهقي في الشعب وفي الزهد من رواية الحسن عن أنس (٤) حديث إنما بقي من الدنيا بلاء وفتنة الحديث ابن ماجه من حديث معاوية قرأه في موضعين ورجاله ثقات (٥) حديث مثل هذه الدنيا كشل ثوب شق من أوله إلى آخره أبو الشيخ ابن حبان في الثواب وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الاعمان من حديث أنس بسند ضعيف.

من شيء» بعد ثم يقول
أهل التواء والمجد
أحق ما قال المبروكنا
لك عبد لا مانع لما
أعطيت ولا معطي
لما منعت ولا ينفع
ذا الجدمك المجدفان
أطال في النافلة القيام
بعد الرفع من الركوع
فليقل لري الحمد
مكررا ذلك مهما شاء
فأما في القرض فلا
يطولك تطويلا يزيد
على الحد زيادة بينة
ويبغض في الرفع من
الركوع بتمام الاعتدال
بإقامة الصلابة ، ورد
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال
«لا ينظر الله إلى من
لا يقيم عليه بين
الركوع والسجود
ثم يهوى ساجدا
ويكون في هوى مكبرا

[مثال آخر لتأدية علائق الدنيا بضها إلى بعض حق الهلاك] قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله [مثال آخر لخالفه آثر الدنيا وأولها ولغزارة أوائلها وخبث عواقبها] اعلم أن شهوات الدنيا في القلب قديمة كشهوات الأسمطة في المعدة وسيجد العبد عند اللوث لشهوات الدنيا في قلبه من السكراة والنشوة مع ما يجده للأسمطة القديمة إذا بلغت في المعدة فائتها وكان أن الطعام كان آفة طعاما أكثر دساوا ظهر حلاوة كان رجيحه أقدر وأشد فتنا فسكنك كل شهوة في القلب هي أشهى وأشد وأقوى فتنبها وكرهاها التأذي بها عند اللوث

أشد بل هي في الدنيا مشاهدة فان من نهبت داره وأخذ أهله وماله وولده وتكون مصيبته وألمه وتجنبه في كل ما قد يقدر قتله به وجهه له وحرمة عليه فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده وأقرب عنده فقد أدى وأمر ولا مضي للوث إلا قد مافي الدنيا وقد روى [أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحاك بن سفيان الكلبي : ألت توثى بطعامك وقد ملح وقرح ثم تشرى عليه اللبن والساء قال بلى قال فلأم يصير قال إلى ما قد علفت بإرسوله الله قال فان الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير إليه طعام ابن آدم ^(١)] وقال أبي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [إن الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر إلى ما يخرج من ابن آدم وإن قدحه وملحه إلام يصير ^(٢)] وقال صلى الله عليه وسلم [إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا وإن قرحه وملحه ^(٣)] وقال الحسن قد رأيته يطبونه بالأفاويه والطيب ثم يرمونه به حيث رأيته وقد قال الله عز وجل فلينظر الإنسان إلى طعامه قال ابن عباس إلى رجيحه وقال رجل لابن عمر إني أريد أن أسألك وأستحي قال فلا تسألي وأسأل قال إذا قضى أحدنا حاجته قدام ينظر إلى ذلك منه قال نعم إن الملك يقول انظر إلى ما علفت به انظر إلى ماذا صار . وكان بشر بن كعب يقول انطلقوا حتى أربكم الدنيا فذهب بهم إلى زينة فيقول انظروا إلى ما صارهم ودجاجهم وعصاهم وسمهم] مثال آخر في الدنيا في الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ما جعل أحدكم أصممه في المم فلينظر أحدكم يرجع إليه ^(٤)] [مثال آخر للدنيا وأهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها] اعلم أن أهل الدنيا مثلهم في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فأنهت بهم إلى جزيرة أأمرهم اللجاج بالخروج إلى قضاء الحاجة وحذرهم القيام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها ففرقوا في زواحي الجزيرة فمضى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة فصادف السكان خاليا فأخذ أوسع الأماكن وألبها وأوقتها لمراده وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر إلى أنوارها وأزهارها العجيبة وغيضاها للشفقة ونفحات طيورها الطيبة وألحائها اللوزنة الغريبة وصار يحظ من برئها أحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الألوان والأشكال الحسنة للنظر العجيبة الفتوش السالبة أعين الناظرين

(١) حديث أنه قال للضحاك بن سفيان الكلبي ألت توثى بطعامك وقد ملح وقرح الحديث وفيه فان الله ضرب مثل الدنيا لما يصير إليه طعام ابن آدم أحمد والطبراني من حديثه نحوه وفيه على بن زيد بن جعدان مختلف فيه (٢) حديث أبي بن كعب إن الدنيا ضربت مثلا لابن آدم الحديث الطبراني وابن حبان بلفظ إن مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلا ورواه عبد الله بن أحمد في زيادته بلفظ جعل (٣) حديث إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا الحديث النضر الأول منه غريب والشر الأخر هو الذي تقدم من حديث الضحاك بن سفيان إن الله ضرب ما يخرج من بني آدم مثلا للدنيا (٤) حديث ما الدنيا في الآخرة إلا كالأكل ما يجعل أحدكم أصممه في المم فلينظر ثم يرجع إليه مسلم من حديث المستورد بن شداد .

مستيقظا حاضرا خاشعا عالما بما يهوى فيه وإليه وله من الساجدين من يكشف أنه يهوى إلى تخوم الأرضين متبيا في أجزاء الملك لا متلا قلبه من الحياء واستمرار روحه عظيم الكبرياء كما ورد أن جبرائيل عليه السلام استرخا في جناحه حياء من الله تعالى . ومن الساجدين من يكشف أنه يطوى بساط العسكون والكان ويرس قلبه في قضاء الكشف والبيان قهوى دون هوىه أطباق السموات وتنمى لهوة شهوده تمثيل الكائنات ويسجد على طرف

بحسن زبرجدها وعجايب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع إليها فلم يصادف إلا مكالما سافقا
 ترحبا فاستقر فيه وبضمهم أكب على تلك الأهداف والأحجار وأعجب حسنها ولم تسمع نفسه بأهلها
 فاستصحب منها جملة فلم يجد في السفينة إلا مكانا ضيقا وزاده ساحله من الحجارة ضيقا وصار تقريبا عليه
 ووبلا قدم على أخذه ولم يجد على ربه ولم يجد مكانا لوضه فجلس في السفينة على عنقه وهو متأسف على
 أخذه وليس ينفعه التأسف وبسهم تولى البياض ونسى المركب وبعد في متفرجه وشتره منه حتى
 لم يلقه نداء اللوح لاختتاله بأكل تلك الخماز واستتيعام تلك الأتوار والتفرج بين تلك الأحجار وهو
 مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا منك عن شوك ينشب بتيابه
 وغصن يجرح بدنه وشوكه تدخل في رجله وصوت هائل يزعج منه وعوسج يخرق ثيابه ويهتك
 عورته ويمتعه عن الانصراف لو أراد فلبث نداء أهل السفينة انصرف متقلا بحسامه ولم يجد
 المركب موضعا فبقى في الشط حتى مات جوعا وبسهم لم يلقه النداء وسارت السفينة فظنهم من اقتصرته
 السباع ومنهم من تاه فقام على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الأوحال ومنهم من نهت عن الحيات
 ففزعوا كالخيل في الشقة ، وأما من وصل إلى المركب بنقل مأخذه من الأزهار والأحجار فاستدركته
 وشقه الحزن بحفظها والحزن في فونها وقد ضيق عليه مكانه فلم يلبث أن ذلت تلك الأزهار وكادت
 تلك الألوان والأحجار تظهر نثن رثتها فصارت مع كونها ضيقة عليه مؤذية بنتها ووحشتهم فلم يجد
 حيلة إلا أن أقامها في البحر هربا منها وقد أثر فيه ما أكل منها فلم يثبت إلى الوطن إلا بعد أن ظهرت عليه
 الأقسام تلك الروائح فيبلغ سقيا مدبرا ومن رجع قريبا ما فاته إلا سعة المثل فأذى ضيق الكائن مدة
 ولكن لما وصل إلى الوطن استراح ومن رجع أولا وجد للكان الأسوس وصل إلى الوطن سالما فها
 مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بمخطوطهم الماحقة ونسياتهم وموردهم وغفلتهم عن عاقبة أمورهم
 وما أقبح من يزعم أنه بصير غافل أن تخره أحجار الأرض وهي الذهب والفضة وهشم التبت وهي زينة
 الدنيا وتوى من ذلك لا يصعب عند اللوت بل يسير كلا ووبلا عليه وهو في الحال شاغل في الحزن
 والحزن عليه وهذه حال الخلق كلهم إلا من عصاه الله عز وجل [مثال آخر لا غترار الخلق بالدنيا وضغف
 إيمانهم] قال الحسن رحمه الله بلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه [إنما مني ومثلكم
 ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى إذا لم يدروا ما سلكوا منها أكثرا وما بقي أنفدوا الزاد
 وخسروا الظهر وبقوا بين ظهري النازة ولا زاد ولا حيلة فأغنوا بالهلكة فيبنيهم كذلك إذ خرج
 عليهم رجل في حلة نظير رأسه فقالوا هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا إلا من قريب فلما انتهى
 إليهم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال علام أتم قالوا على ما ترى قال أرى أني إن هديتكم إلى ماء رواء
 ورياض خضر ماتموتون ؟ قالوا لا نصيب شيئا قال عهودكم وموآثيقكم بالله فأطعوه عهودكم وموآثيقكم
 بالله لا يصونه شيئا قال فأوردكم ماء رواء ورياضا خضرا فكث فيهم ماشاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا
 يا هذا قالوا الرجل قال إلى أين قالوا إلى ماء ليس كائكم وإلى رياض ليست كرياضكم فقالوا كثرتم
 والله ما وجدنا هذا حتى ظننا أن لنا نجدة وما نضع جيش خير من هذا قالت طائفة منهم أنظروا فماتوا
 هنة الرجل عهودكم وموآثيقكم بالله أن لا تصوموه شيئا وقد صدقكم في أول حديثه فوالله لا يصدقكم
 في آخره فراح فيمن اتبعوه وخلف بيمينهم فبدرم عدو فأصبوا بين أسير وقتل^(١) [مثال آخر لثمن

(١) حديث الحسن بلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه [إنما مني ومثلكم ومثل
 الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء الحديث ابن أبي الدنيا هكذا بطوله لأحمد والبراء الطبراني من
 حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فبارى التام ملكان الحديث وفيه قال

رداء العظمة وذلك
 أنصى ما ينسى إليه
 طائر الهمة البشرية
 وتقي بالوصول إليه
 القوى الانسانية
 وبضاوت الأنيباء
 والأولياء في مراتب
 العظمة واستشعار
 كنهها لكل منهم على
 قدره حفظ من ذلك
 وفوق كل ذي علم عليم
 ومن الساجدين من
 يشع عاؤه وينتشر
 ضياؤه ويحظى
 بالصنفين ويسط
 الجناحين فيتواضع
 بقلبه لإجلال ورفع
 بروحه إكراما وإنفاذا
 فيجمع له الأنس
 والهيبة والحضور
 والقبول والقرار والقرار
 والإسعاد والجهار
 فيكون في سجوده
 ساجعا في بحر شهوده

الناس بالدنيا ثم تفجهم على فراخها [اعلم أن مثل الناس فيها أعطوا من الدنيا مثل رجل هباً داراً وزبياً وهو يدعو إلى داره على الترتيب قوماً واحداً بعد واحد قد دخل واحد داره قدّم إليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلبسه لا يملكه ويأخذه لجهل ربه وظن أنه قد وهب ذلك منه فتعلق به قلبه لما ظن أنه له فلما استرجع منه ضجر وتضجع ومن كان عالمًا برحمته انتفع به وشكره وردّه بطيب قلب وانشراح صدر وكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم أنها دار ضيقة عليلت على المتنازعين لاهل القيمين ليتردوا منها وينتصوا بما فيها كما ينتفع السافرون بالواري ولا يصرفون إليها كل قلوبهم حتى تمتلئ مصيبتهم عند فراغها فهذه أمثلة الدنيا وآفاتنا وغواطلها تسأل الله تعالى اللطيف الخبير حسن المون بكرمه وحله .

(بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد)

اعلم أن معرفة ذم الدنيا لا تكفيك ما لم تعرف الدنيا الذمومة ما هي وما الذي ينبغي أن يجنب منها وما الذي لا يجنب فلا بد وأن يبين الدنيا للذمومة للأموار بآبائها لكونها دعوة قاطعة للطريق إلى الله ما هي فنقول دنياك وأخرتك عبارة عن حالين من أحوال قلبك فاقرب الداني منها يسمى دنيا وهول ما قبل الموت والتراخي للتأخر يسمى آخرته وهو ما جدلوت فكل ما لك فيه حظ وتصبو غرض وشهوة ولذة عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقل إلا أن جميع ما لك إليه ميل وفيه نصب وحفظ فليس بمنوم بل هو ثلاثة أقسام . القسم الأول : ما يصحبك في الآخرة وتبقى معك ثمرة بعد الموت وهو شيئين العلم والعمل قطع وأعني بالعلم العلم بالله وصفاته وأصافه وملائكته وكتبه ورسله وملكوته أرضه وصمته والدم بدمية نبيه وأعني بالعمل العبادة الخالصة لوجهه لقه تعالى وقد يأسي العالم بالعلم إلى حقير ذلك أنه الأشياء عنده فيهمج النوم والطعم والتكسب في لذته لأنه أشهى عنده من جميع ذلك قد صار حظاً عاجلاً في الدنيا ولكن إذا ذكرنا الدنيا الذمومة لم نجد هذا من الدنيا أصلاً بل قلنا إن من الآخرة وكذلك العابد قد يأسي عبادته فيستلها بحيث لو منع عنها لكان ذلك أعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وكان آخر يقول اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلاة عنده من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكننا لسانني بالدنيا الذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم « حب إلى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرعة عني في الصلاة » (١) فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وكذلك كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود إنما يكون في الدنيا فذلك إنما أشأها إلى الدنيا إلا أن لسانني هذا الكتاب تعرض إلا للدنيا الذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا . القسم الثاني : وهو المقابل له في الطرف الأقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة أصلاً كالتلذذ بالمعاصي كلها والنتم بالمباحات التي الهت على قدر الحاجات والضرورات الداخلة في جملة الرغاية والرغوات كالنتم بالقاطر القطر من الذهب والفضة والحل للسمومة والأنعام والحرق واللسان والجوارح والحيل وللواشي والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائد الأطعمة حفظ العبد من هذا كله هي الدنيا الذمومة وفيها يندفع لأولي محل الحاجة نظر طويل إذ روى عن عمر رضي الله عنه أنه استعمل أبا الدداه على حصن فأتخذه كيفاً أتقى أي أحد للسكين إن مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سفر اتبوا إلى مفازة قد ذكر نحوه أخضر منه وإسناده حسن (١) حديث حب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرعة عني في الصلاة التثاني والحاكم من حديث أنس دون قوله ثلاث وتقدم في النكاح .

لم يختلف منه عن السجود همة كما قال سيد البشر في سجوده سجد لك سواذي وخيالي - وقد يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكراهة - الطوع للروح والقلب لما فيهما من الأهلية والسكره من النفس لما فيها من الأجنية ويقول في سجوده : سبحان ربّي الأعلى ثلاثاً إلى العشر الذي هو الكمال ويكون في السجود مفتوح الدينين لأهسما يسجدان وفي الهوى يصع ركبتيه ثم يديه ثم جبهته وأفعه ويكون ناظراً نحو أربة أنه في السجود فهو أبلغ في الخشوع للساجد ويأشرك بكذبة الصل

عليه درهمين فكتب إليه عمر بن محمد بن الخطيب أمير المؤمنين إلى عويمر قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به عن عمران الدنيا حين أرا: الله خرابها فإذا أتاك كتابي هذا فاقسم لك إلى دمشق أنت وأهلك فلم يزل بها حتى مات فهذا رأي فضولا من الدنيا فتأمل فيه. القسم الثالث: وهو متوسط بين الطرفين كل حفظ في العاجل معين على أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه لئلا يتأذى الإنسان البقاء والصحة التي بها يتوصل إلى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كاقسم الأول لأنه معين على القسم الأول ووسيلة إليه فهما تناوله اليد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولا لدنيا ولم يصرف به من أبناء الدنيا وإن كان يباعته الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يتقي مع العبد عند الموت إلا ثلاث صفات صفاء القلب أغنى تطهرته عن الأدناس وأنه يذكر الله تعالى وحبه لله عز وجل و صفاء القلب وطهارته لا يحصل إلا بالكف عن شهوات الدنيا والأنس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله تعالى والواظبة عليه والحب لا يحصل إلا بالمفرقة ولا تحصل معرفة الله إلا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هي للنجيات السعداء بعد الموت. أما تطهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من النجيات إذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله كما ورد في الأخبار «إن أعمال العبد تنازل عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه وإذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه» (١) الحديث. وأما الأنس والحب فهما من السعداء وما يوصلان العبد إلى لغة اللقاء والشاهدة وهذه السعادة تصل عقيب الموت إلى أن يدخل أوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة من رياض الجنة ولم يكن له إلا محبوب واحد وكانت الموائق توفقه عن دوام الأنس بدوام ذكره ومطالعة جماله فانفتحت الموائق وأفلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سلبا من اللوانع آمنا من الموائق وكيف لا يكون عجب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب إلا الدنيا وقد غصب منه وحل بينه وبينه وسدت عليه طرق الخيلة في الرجوع إليه ولذلك قال :
ما حل من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد

وليس الموت عدما إنما هو فراق الحبيب الدنيا وقد موى على الله تعالى فإذا سالك طريق الآخرة هو الواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يغطيه عن شهوات الدنيا ويغنى إليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن وصحة البدن لا تتأتى إلا بقوت وميلين ومسكن وبحاج كل واحد إلى أسباب فاقدر الذي لا بد منه من هذه الالامة إذا أخذ العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من أبناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة للآخرة وإن أخذ ذلك لحظ النفس وعلى قصد التمتع صار من أبناء الدنيا والراغبين في حظوظها إلا أن الرغبة في حظوظ الدنيا تقسم إلى ما يمرض صاحبه لعذاب الآخرة ويسمى ذلك حراما وإلى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم أن طول التوقف في عرصات القيامة لأجل الهامة أيضا عذاب فمن نوقش الحساب عذب (٢) إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حلالها حساب وحرامها عذاب» (٣)

(١) حديث مناسلة أعمال العبد عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه الحديث الطبراني من حديث عبد الرحمن بن حمزة بطوله وفيه خالد بن عبد الرحمن الخزرجي منصف البخاري وأبو حاتم وأحمد من حديث أنس بن مالك إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمنا أمر به عمله الصلاة والصيام الحديث وإنسانه صحيح (٢) حديث من نوقش الحساب عذب متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث حلالها حساب وحرامها عذاب ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه

ولا يلحقها في التوب ويكون رأسه بين كفيه ويدها حذو منكبيه غير متمايمن ومتمايسر بهما ويقول بعد التسبيح : اللهم لك سجدت وك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين . وروى أمير المؤمنين على رضي الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده ذلك» وإن قال سبح قدوس رب اللانكسة والروح طعن روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده ذلك ويجافي مرقبه عن

وقد قال أيضا : حلالها عذاب . إلا أنه عذاب أخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما غوت من العرجات الملا في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ حقيرة خسيسة لا لبقاء لها هو أيضا عذاب وقس به حالك في الدنيا إذا نظرت إلى أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف ينقطع قلبك عليها حسرات مع علك بأنها سعادات منصرفة لا بقاء لها ومنصبة بكدورات لاضفاء لها فما حالك في فوات سعادة لا يحيط الوصف بظمتها وتنقطع الدهور دون فاتها فكل من تتم في الدنيا ولو بسعاد صوته من طائر أو بالنظر إلى خضرة أو شربة ماء بارد فانه ينقص من حظه في الآخرة أضماؤه وهو المني بقوله صلى الله عليه وسلم لمرضى الله عنه وهذان النعم الذي تشغل عنه (١) وأشار به إلى الساء البارد والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ، ولذلك قال عمر رضي الله عنه اعزلوا عن حسابها حين كان به عطش ففرض عليه ماء بارد بسل فأداره في كفه ثم امتنع عن شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حرامها وحلالها ملوثة إلا ما عان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته أقوى واتقن كان حظه من نعيم الدنيا أشد حتى إن عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما نام ثم ما إذ تمثله إبليس وقال رغبت في الدنيا حتى إن سليمان عليه السلام في ملكه كان يعلم الناس لذلك الأطلعة وهو يأكل خبز الشعير فجعل للكل على نفسه هذا الطريق امتنا واشدة فان الصبر عن لذات الأطلعة مع القدرة عليها ووجودها أشد ولهذا روى أن الله تعالى «زوى الدنيا عن نبينا ﷺ فكان يطوى أياما» (٢) «وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع» (٣) ولهذا سلط الله البلا والحن على الأنبياء والأولياء ثم الأمثل فأمثل كل ذلك نظرا لهم وامتنان عليهم ليتوبوا من الآخرة عظمهم كما نعت الولد الشفيق ولد له القواكة ويومئذ الصدو الحجابة شفقة عليه وجباله لا غلابة عليه وقد عرفت بهذا أن كل ما ليس فهو من الدنيا وما هو في ذلك ليس من الدنيا فان قلت فما الذي هو في . فأقول الأشياء الثلاثة أقام منها لا يتصور أن يكون في وهو الذي يميز عنه بالخاص والمختلطات وأنواع التتمحات في الباحات وهي الدنيا المحضة المسمومة فهي الدنيا بصورة ومعنى ومنها ما صورته في ويمكن أن يجعل لتبريقه وهو ثلاثة الفسكو والذكرو الكفن عن الشهوات فان هذه الثلاثة إذا جرت سرا ولم يكن عليها باع سوى أمراقه واليوم الآخر فهي في ليست من الدنيا وإن كان القرض من الفكر طلب العلم للتحرف به وطلب القول بين الخلق بالعلم والعرفه أو كان القرض من ترك الشهوة حفظ المال أو الحلية لصحة البدن والاعتدال بالزهد قد سار هذان من الدنيا بالمعنى وإن كان بطن بصورته أنه في تعالى ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن أن يكون معناه في وذلك كالأكل والنسكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وقبائه ولده فان كان التصدق النفس فهو من الدنيا وإن كان القصد الاستماعة به على التقوى فهو في معناه وإن كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وإن كان طلب الدنيا حلالا مكافرا لمافرا أتى الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استغنا عن الساة وسلم موقفا على طي بن أبي طالب بإسناد منقطع بلفظ وحرامها النار ولم أجده مرفوعا (١) حديث هذا من النعم الذي تشغل عنه تتقدم في الأطلعة (٢) حديث زوى الله الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوى أياما محمد بن حنفية في شرف الفقراء من حديث عمر بن الخطاب قال قلت يا رسول الله هبنا لمن بسط الله لهم الدنيا وزواها عنك الحديث وهو من طريق إسحاق بن منصور ولقمة بن جابر بن ماجة من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بيت البالي للثمانية طاويا وأهله الحديث قال الترمذي حسن صحيح (٣) حديث كان يشد الحجر على بطنه من الجوع تقدم .

جنيه ويوجه أصابه في السجود نحو القبلة ويضم أصابع كفيه مع الأبهام ولا يغرش ذراعيه على الأرض ثم يرفع رأسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى موجهة بالأصابع إلى القبلة ويضع اليدين على الفخذين من غير تكلف ضمهما وتفرجهما ويقول : رب اغفر لي وارحمي واهدني واجبرني وعافني وعاف عني ولا يطل هذه الجلسة في القرضه أما في النافقة فلا بأس معها أطال قائلا رب اغفر وارحم مكررا ذلك ثم يسجد السجدة الثانية مكبرا ويكره الإقضاء في القعود وهو ههنا أن يضع

وصيانة لنفسه جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر ^(١) » فانظر كيف اختلف ذلك بالصعد فالدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة إليه لأمر الآخرة ويسر عنه الهوى وإليه الإشارة بقوله تعالى - ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي الأولى - وبجمع الهوى خمسة أمور وهي ما جمعه الله تعالى في قوله - إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد - والأعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة بجمعها قوله تعالى - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المتفرطة من الذهب والفضة والحيل للموسم والأناجم والحراث ذلك متاع الحياة الدنيا - قد عرفت أن كل ما هو لله فليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس هو لله إن قصد به وجه الله والاستكثار منه تتم وهو لغير الله وبين التتم والضرورة درجة يسير عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فإن الاقتصاد على حد الضرورة غير ممكن وطرف يزاحم جانب التتم ويقرب منه ويبني أن يعجز عنه وبينهما وسائط متشابهة ومن حاش حول المحي يوشك أن يقع فيه والحزم في الحذر والتقوى والتقرب من حد الضرورة مما يمكن اقتداء بالأشباه والأولياء عليهم السلام إذا كانوا يردون أنفسهم إلى حد الضرورة حتى إن أبو إسحاق الرقني كان يظن أهله أنه مجنون لشدة تضيقه على نفسه فيناله يتناطح باب دارهم فكان يأتي عليهم السنة والسنتان والثلاث لا يرون له وجهاً وكان يخرج أول الأذان ويأتي إلى منزله بعد الشاء الآخرة وكان طمأنه أن يلتقط النوى وكلما أصاب حشفة خبأها لإفطاره وإن يصيب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى بشه ما يقوته وكان لباسه مما يلتقط من الزبال من قطع الأكسية فيضلها في التراب ويلقى بعضها إلى بعض ثم يلبسها فكان ذلك لباسه وكان ربما مرّ السبيان فيرمونه ويظنون أنه مجنون فيقول لهم بالإخوان إن كنتم ولا بد أن ترموني فارموني بأحجار صفار فاني أخاف أن تدموا عني فيحضر وقت الصلاة ولا أصيب للساء فهكذا كانت سيرته ولقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره فقال « إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن ^(٢) » إشارة إليه رحمه الله ولما ولى الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال أهبنا الناس من كان معكم من العراق فليتم قال فقاموا فقال اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من قرن فجلسوا كلهم إلا رجلاً واحداً فقال له عمر أقرني أنت؟ فقال نعم فقال أنصرف أوس بن عامر القرني فوصفه ؟ فقال نعم وما ذلك تسأل عنه بأمر المؤمنين والله ما بيننا أحق منه ولا أجن منه ولا واهش منه ولا أدنى منه فيك عمر رضي الله عنه ثم قال ما قلت ما قلت إلا لأنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر ^(٣) » فقال هرم بن حبان لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لي هم إلا أن أطلب أويسا القرنى وأسأل عنه حتى سقطت عليه جالساً على شاطئ القرات نصف النهار يتوضأ ويصل ثوبه قال فصرفته بالتت الذي نعت لي فاذا رجل لحم شديد الأمة مخلوق الرأس كتّ اللحية متغير جداً كره أوجه متهب النظر قال

(١) حديث من طلب الدنيا حللاً مكثرًا فآخراً لقي الله وهو عليه غضبان الحديث أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن أشار به إلى أويس القرنى تقدم في قواعد العقائد [جده أصلاً (٣) حديث عمر يدخل الجنة في شفاعته مثل ربيعة ومضر يريد أويسا وروياه في جزء ابن السكيت من حديث أبي أمامة يدخل الجنة بشفاعته رجل من أمي أكثر من ربيعة ومضر وإنسانه حسن وليس فيه ذكر لأويس بل في آخره فكان الشيخة يرون أن ذلك الرجل عثان بن عفان .

إليه على عيبه ثم إذا أراد التوضأ إلى الركعة الثانية يجلس جلسة خفيفة الاستراحة ويغسل في بقية الركعات هكذا ثم يتشهد وفي الصلاة المراج وهو معراج القلوب والتشهد مقر الوصول بقطع مسافات الهيئات على تدريج طبقات السموات والتحيات سلام على رب البريات فاذهبن لما يقول ويتأدب مع من يقول ويبدد وكيف يقول ويصل على النبي صلى الله عليه وسلم ويثقل بين عيني قلبه ويصل على عباد الله السالحين فلا يبق عدى في السها ولا في الأرض من عباد الله إلا ويصل عليه بالنسبة الروحية

فسلط عليه فرد على السلام ونظر إلى قنصل حياك الله من رجل ومددت يدي لأصافه فأبى أن يصافني قنصل رحمة الله يا أويس وغفر لك كيف أنت رحمة الله ثم خفني العبرة من حي إياه ورفعي إليه إذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى فقال وأنت حياك الله يا هرم بن حيان كيف أنت يا أئني ومن ذلك على قال قلت الله قال لا إله إلا الله سبحانه الله - إن كان وعد ربنا لمضوا - قال فضبت حين عرفني ولا والله ما رأيت قبل ذلك ولا رأي قنصل من ابن عرف اسمي واسم أبي وما رأيت قبل اليوم؟ - قال بناتي الطيب الحير - وعرفت روعي روحك حين كنت نفسي شاك إن الأرواح لها أنفاس كأفئس الأجساد وإن المؤمنين يعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وإن نأت بهم الدار وتفرقت بهم النازل قال قلت حدثني رحمة الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أحبه منك قال إن لم أذكرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن لي معه محبة بأني وأبي رسول الله ولكن رأيت رجلا قد حموه وبلغني من حديثه كابلنك ولست أحب أن أفصح في نفسي هذا الباب أن أكون محدثا أو مفتيا أو قاضيا في نفسي شغل عن الناس يا هرم بن حيان قنصل يا أئني اقرأ آية من القرآن أممها منك وادع لي بدعوات وأوصني بوصية أحفظها عنك فاني أحبك في الله حبا شديدا قال قائم وأخذ يدي على شاطئي الترات ثم قال أعوذ بالله المسيح الطيب من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال: قال رب والحق قول رب وأصدق الحديث حديثه وأصدق الكلام كلامه ثم قرأ - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بيمينه - ما خلقنا إلا بالحق ولكن أكرمهم لا يملكون - حتى انتهى إلى قوله - إنه هو العزيز الرحيم - فشق شقة ظننت أنه قد غشى عليه ثم قال يا ابن حيان مات أبوك حيان وبوعك أن تموت فلما إلى جنودنا إلى نار ومات أبوك آدم ومات أمك حواء ومات نوح ومات إبراهيم خليل الرحمن ومات موسى نبي الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم وهو رسول رب العالمين ومات أبو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب أخي وصفي ثم قال يا هرم له يا عمره قال قلت رحمة الله إن عمر لم يمض قال قد نفاه إلى ربّي ونسي إلى نفسي ثم قال أنا وأنت في اللوق كأنه قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتي إليك يا هرم بن حيان كتاب الله ونهج الصالحين المؤمنين قد نبيت إلى نفسي ونفسك عليك بذكر اللوق لا يفرق قلبك طرفة عين ما نبيت وأتذر قومك إذا رجعت إليهم ووضح للأمة جميعا وإياك فإن تفرق الجماعة تفدشر فتفارق دينك وأنت لاتعلم قد دخل النار يوم القيامة ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم إن هذا يزعم أنه يحبي فيك وزارني من أجلك فزفني وجهه في الجنة وأدخله على في دارك دار السلام واحفظه مادام في الدنيا حيا كان وضم عليه ضيقته وأرضه من الدنيا باليسير وما أعطيته من الدنيا فيفسره له تسيرا واجعله لما أعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عن خير الجزاء ثم قال استودعك الله يا هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم رحمة الله تظلمني فاني أكره الشهرة والوحدة أحب إليّ من كثير المم شديد التمع هؤلاء الناس ما مدت حيا فلا تسأل عن ولا تطلبني واعلم أنك متى على بال وإني لم أرك ولم ترني فاذكرني وادع لي فاني سأذكرك وأدعوك إن شاء الله انطلق أنت ههنا حتى انطلق أنا ههنا فحسرت أن أمشي معه ساعة فاني على وفارقه فبكى وأبكاني وجعلت أنظر في فناء حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت أحدا يغبرني عنه بشيء رحمه الله وغفر له فكذلك كانت سيرة أبناء الآخرة المرعزين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق في بيان الدنيا ومن سيرة الأنبياء والأولياء أن حد الدنيا كل ما ظلمه الحضراء وأقنطه البهراء

والحامية الفطرية ووضعه يده اليمنى على غفده اليمنى مقبوضة الأصابع إلا السبحة ورفع السبحة في الشهادة في إلا الله لا في كلمة النبي ولا يرفعها متصبة بل مائلة برأسها إلى التقذ منطوية فهذه هيئة خضوع السبحة ودليل سراية خضوع القلب إليها ويدعو في آخر صلاته لنفسه وللمؤمنين وإن كان إماما ينبغي أن لا يفرد بالدعاء بل يدعو لنفسه وللمؤمنين ورواه فان الامام لا ينفذ في الصلاة كاجب دخل على سلطان ورواه أصحاب الموالج بسأل لهم ويعرض حاجتهم وللمؤمنون كالبيان يشد بعضه ببعض وهذا وصفهم الله تعالى في

إلا ما كان له عز وجل من ذلك وعند الدنيا الآخرة وهو كل ما أريد به الله تعالى مما يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا لأجل قوة طاعة الله وذلك ليس من الدنيا ويشين هذا بشك وهو أن الحاج إذا حلف أنه في طريق الحج لا يشتغل بشئ الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل ما لا بد للحج منه لم يحث في بيته ولم يكن مشغولا بشئ الحج فكذلك البدن مركب النفس تقطع به مسافة السم تصعد البدن مما يتقي به قوته على سلوك الطريق بالمع والعدل هو من الآخرة لا من الدنيا ، ثم إذا قصد تلك البدن وتنمعه جنى من هذه الأسباب كان منحرفا عن الآخرة وغشى على قلبه القسوة قال الطنطاوي : كنت على باب بنى شيبه في المسجد الحرام سبعة أيام طاولا فسمعت في الليلة الثامنة مناديا وأنا بين اليقظة والنوم : ألا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج إليه أحمى الله عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في حرك فاعلم ذلك ترشد إن شاء الله تعالى .

(بيان حقيقة الدنيا في نفسها وأغفلها التي استغرقت هم الخلق حتى أنسهم أنفسهم

وخالقهم ومصدرهم ومودمهم)

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة وللإنسان فيها حظ وله في إصلاحها غفل فلهذه ثلاثا أمور قد بطن أن الدنيا عبارة عن أحادها وليس كذلك ، أما الأعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الأرض وما عليها قال الله تعالى : إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا فالأرض فراش للأحيين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنسك ويجمع ماعلى الأرض ثلاثة أقسام : للعادن والنبات والحيوان . أما النبات فيطلبه الأذى للأنثبات والتدوير وأما العادن فيطلبه للآلات والأواني كالنحاس والبرصا والنفق كالذهب والفضة وغير ذلك من المقاصد وأما الحيوان فينقسم إلى الإنسان والبهائم أما البهائم فيطلب منها لحومها للمأكول وظهورها للدرك والزينة وأما الإنسان فقد يطلب الأذى أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم ويستخرهم كالغلمان أو ليشتمع بهم كالجواري والنسوان ويطلب قلوب الناس ليجلها بأن يفرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يبر عنه الجاه إذ معنى الجاه ملك قلوب الأعميين فلهذه هي الأعيان التي يبر عنها بالدنيا وقد جمعا الله تعالى في قوله - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا من الإنسي - والظواهر للظنطرة من الذهب والفضة - وهذا من الجواهر والعادن وفيه تنبيه على غيرها من الآلى، واليوأقبت وغيرها - والجمل السومة والاضام - وهي البهائم والحيوانات والحرش وهو النباتات والزرع فهذه هي أعيان الدنيا إلا أن لما مع البدن علاقتين علاقة مع القلب وهو جبه لها وحظه منها وانصراف همه إليها حتى يصير قلبه كالبدن أو الحب للشتهر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب للعلقة بالدنيا كالسكر والقتل والحسد والرياء والصمعة وسوء الظن والذاهنة والفتنة

وحب التكاثر والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة وأما الظاهرة فهي الأعيان التي ذكرناها. العلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله بإصلاح هذه الأعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره . وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق إنما نسوا أنفسهم وما بهم ومنقلبهم بالدنيا هاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم أن هذه الأعيان التي حينها دنیا لم تخلق إلا لقلب الدابة التي يسير بها إلى الله تعالى وأنها بالذابة البدن فانه لا يلقى إلا لعظم ومشرب وملبس ومسكن كالآتي الجمل في طريق الحج إلى طائف وماء وجلال ومثال البدن في الدنيا في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يحلف الثاقفة ويتهمها ونظفها ويكسوها ألوان الثياب ويحمل إليها أنواع الحشيش ويردها لاله بالالتج حتى

كلامه بقوله سبحانه

كأنهم بينان مرصوص-

وفي وصف هذه الأمة

في الكتب السابقة

سيفهم في صلهم

كسهم في قتالهم

حدثنا بذلك شيخنا

شياء الدين أبو النجيب

السروردي إبله قال

أنا أبو عبد الرحمن محمد

ابن عيسى بن شبيب

النايلي قال أنا أبو الحسن

عبد الرحمن بن محمد

الظفر الواعظ قال

أنا أبو محمد عبد الله

ابن أحمد السرخسي

قال أنا أبو عمران

عيسى بن محمد بن

الباس السمرقندي

قال أنا أبو محمد عبد الله

ابن عبد الرحمن

الدري قال أنا محمد

ابن موسى قال ثامن

هو ابن عيسى أنسأل

خوته القافة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافة وعن بقائه في البادية فريسة لسباع هوانته والحاج البصير لاهمه من أمر الجبل إلا القدر الذي يقوى به على الشئ فيتمه ويقلبه إلى السكنى والجميع وإنما يلتفت إلى الناقة بقدر الضرورة ، فكذلك البصير في السفر إلى الآخرة لا يشتغل بسبيل البدن إلا بالضرورة كما لا يبدل بيت الساء إلا بالضرورة ولا فرق بين إدخال الطعام في البطن وبين إخراجها من البطن في أن كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همت ما يدخل بطنه فحتمته ما يخرج منها أو أكثر ما شغل الناس عن الله تعالى هو البطن ، فإن القوت ضروري وأمر السكن ولللبس أهون ولو عرفوا سبب الحاجة إلى هذه الأمور وانقصوا عليه لم تستغرقهم أشغال الدنيا وإنما استغرقهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابت أشغال الدنيا عليهم وأصل بعضها بعض وتداعت إلى غير نهاية محدودة فآهوا في كثرة الأشغال ونسوا مقاصدها ، ونحن نذكر تفاصيل أشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة إليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى تتضح لك أشغال الدنيا كيف صرف الخلق عن الله تعالى وكيف أنسهم عاقبة أمورهم . فنقول : الأشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والأعمال التي ترى الخلق منسكين عليها وسبب كثرة الأشغال هو أن الإنسان مضطر إلى ثلاث القوت والسكن واللبس فالقوت للغذاء والبقاء ، واللبس لدفع الحر والبرد والسكن لدفع الحر والبرد ولدفع أسباب الهلاك عن الأهل والمال ولم يخلق الله القوت والسكن واللبس مصلحا بحيث يستغنى عن صنعة الإنسان فيه ، ثم خلق ذلك ليهتم فان النبات يغذي الحيوان من غير طبعه والحر والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغنى عن البناء ويقنع بالصحرى ولباسها شعورها وجودها تقتضى عن اللباس والإنسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك إلى خمس صناعات هي أصول الصناعات وأوائل الأشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية والاقتناس والحياكة والبناء . أما البقاء فليسكن ، والحياكة وما يكتنفها من أمر الثزل والحياطة فللبس ، والفلاحة للمطعم ، والرعاية للمواشى والحيل أيضا للمطعم والزرع ، والاقتناس نفع به تحصيل ما خلقه الله من صيد أو معدن أو حشيش أو حطب فالقوت يحصل للنباتات والرعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها ، وللقطن يحصل ما نبت وتنج بنفسه من غير صنع آدمي وكذلك يأخذ من معادن الأرض ما خلق فيها من غير صنعة آدمي ونفع بالاقتناس ذلك ويدخل تحت صناعات وأشغال عدة ، ثم هذه الصناعات تنحصر إلى أدوات وآلات كالخياكة والفلاحة والبناء والاقتناس والآلات إنما تؤخذ إما من النبات وهو الأخشاب أو من المعدن كالحديد والرصاص وغيرها أو من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة إلى ثلاثة أنواع آخر من الصناعات التجارية الحداثة والحرف وهؤلاء هم عمال الآلات ونسب بالجار كل عامل في الحطب كصياك كان وبالحداد كل عامل في الحديد وجواهر المعدن حتى النحاس والابري وغيرها وغرضنا ذكر الأجناس فأما أحاد الحرف فكثيرة . وأما الحراف فنسب به كل عامل في جلود الحيوانات وأجزائها فهذه أمهات الصناعات . ثم إن الإنسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر إلى الاجتماع مع غيره من أبناء جنسه وذلك لسببين : أحدهما حاجته إلى النسل لبقاء جنس الإنسان ولا يكون ذلك إلا بالاجتماع الذي ذكره الأولى وعشرتهما . والثاني التعاون على تهية أسباب الطعام واللبس ولثريته الولد فان الاجتماع يغضى إلى الولد لاهلته والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهية أسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الأهل والوليد الزل بل لا يمكنه أن يعيش كذلك ما لم يجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج إلى آلاتها ويحتاج الآلة إلى حداد ونجار ويحتاج الطعام إلى طهوان وخياز وكذلك كيف ينرد بتحصيل اللبس وهو يفقر إلى حراسة القطن وآلات الحياكة والحياطة

كعب الأحبار كيف نجد نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال نبي محمد ابن عبد الله يولد بكه وباجر ليلين ويكون ملكه بالشم وليس بغناش ولا صايفي الأسواق ولا يكاف بالبيعة البيعة ولكن ينفو ويغفر ، أمته المداون محمدون الله في كل سراة وبكبرون الله على كل نجد يوشنون أطرافهم ويأثرون في أوساطهم يصفون في صلاتهم كما يصفون في قتالهم دويهم في مساجد كدوى النحل يسبح مناديه في جو السماء فالإمام في الصلاة مقدمة الصف في محاربة الشيطان فهو أولى

وآلات كثيرة فذلك امتنع عيش الإنسان وحده وحدثت الحاجة إلى الاجتماع ثم واجتمعوا في صحراء مكتوفة تأفوا بالحرّ والبرد والطر والصور فافتقروا إلى أبنية محكمة وسنازل ينفرد كل أهل بيت به وبعماله من الآلات والأثاث وللتنازل تدفع الحرّ والبرد والطر وتدفع أذى الجيران من الصومعة وغيرها لكن للتنازل قد خصصها جماعة من الصوص خارج التنازل فافتقر أهل التنازل إلى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع التنازل فحدثت البلاد لحلة الضرورة ثم معاً اجتمع الناس في التنازل والبلاد وتمايلوا تولدت بينهم خصومات إذ تحدثت رياسة وولاية لزوج من الوجة وولاية للأبوين على الولد لأنه منيف يحتاج إلى قوام بهمومها حصلت الولاية على عاقل أفضى إلى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم إذ ليس لها قوة الخاصة وإن ظلمت فالمرأة تخاصم الزوج والولد تخاصم الأبوين هذا في التنازل ، وأما أهل البلد أيضاً فيخاصمون في الحاجات وينتازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة يتواردون على المراعي والأراضي واليهاد وهي لافتي بأغراضهم فينتازعون لأحدهم ثم قد يميز بينهم عن الفلاحة والصناعة يسمى أو مرض أوهرم وتعرض عوارض عنائفة ولو ترك ضالماً هلك ولو وكل فقدمه إلى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب فحصل كان لا بد من له حدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع أخرى فيها صناعة لساعة التي بها تعرف مقادير الأرض لتتمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع الصوف عنهم ومنها صناعة الحكم والتوصل لقصل الخصومة ومنها الحاجة إلى الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي أن يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى في العائلات وشروطها فبذلك أمور سياسية لا بد منها ولا يشتغل بها إلا خصومون صفات محصورة من العلم والتجيز والهداية وإذا اشتغلوا بهم لم يتفرغوا للصناعة أخرى ويحتاجون إلى العايش ويحتاج أهل البلد إليهم إذا واشتغل أهل البلد بالحرب مع الأعداء مثلاً تعطلت الصناعات ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح للصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس واستضر الناس فستحتاج الحاجة إلى أن يصرف إلى معاليهم وأرزاقهم الأموال الضائعة التي لا مالك لها إن كانت أو تصرف للقائم إليهم إن كانت العدو مع الكفار فإن كانوا أهل ديانة وورع قمعوا بالقليل من أموال الصالحين وإن أرادوا التوسع فخصس الحاجة لأحدهم إلى أن يعدم أهل البلد بأموالهم فيمدوم بالحراسة فتحدث الحاجة إلى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة إلى الخراج الحاجة لصناعات أخرى إذ يحتاج إلى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وأرباب الأموال وهم العمال وإلى من يستوفى منهم بالرفق وهم الجباة والقضرون وإلى من يجمع عنده ليحفظه إلى وقت التفرقة وهم الخزّان وإلى من يفرّق عليهم بالعدل وهو الفارض للسداكر وهذه الأعمال لتوتلها عدد لا يحصى من رابطة انخرم النظام فتحدث منه الحاجة إلى ملك يدرم وأمر مطاع يبين لكل عمل شخصاً ويختار لكل واحداً يليق به ويرعى النصف في أخذ الخراج وإعطائه واستعمال الجند في الحرب وتوزيع أسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الأمير والقائد على كل طائفة منهم إلى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم أهل السلاح وبعد الملك الذي يراقبهم بالعين الكاتبة يدرم الكاتبة إلى السكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال ثم هؤلاء أيضاً يحتاجون إلى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فتحدث الحاجة إلى مال الفرع مع مال الأصل وهو يسمى فرع الخراج ، وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلاث طوائف الفلاحون والرعاة والمهترفون ، والثانية الجندية الحماة بالسيف ، والثالثة الترة دون بين الطائفتين في الأخذ والعطاء وهم العمال والجباة وأمثالهم ، فانظر كيف ابتدأ الأمر من حاجة القوت ولللباس

الصلين بالخصوع
والايتان بوظائف
الأدب ظاهراً وباطناً
والصاوتن التيقظون كما
اجتمعت طواهرهم
تجتمع بواطنهم
وتتناصر وتعاقد
وتسرى من البعض
إلى البعض أنوار
وبركات بل جميع
الصلين الصليين في
أقطار الأرض بينهم
تصادف وتناصر بحسب
القنوب ونسب الاسلام
ورابطة الإيمان بل
يعدم الله تعالى باللائكة
الكرام كما أمّر رسول
الله صلى الله عليه وسلم
باللائكة السويين
لجائتهم إلى محاربة
الشیطان أسس من
حاجاتهم إلى محاربة
الكفار ولهمدا كان
يقول رسول الله صلى

ولسكن وإلى ماذا انتهى وهكذا أمور الدنيا لا يفتح منها باب إلا ويفتح بسببه أبواب أخرى وهكذا تنقضى إلى غير حد مصور وكأنها هاوية لا نهاية لمنهنا من وقع في مهوأة منها سقط منها إلى أخرى وهكذا على التوالي فهذه هي الحرف والصناعات إلا أنها لا تتم إلا بالأمور والآلات والوسائل والجار من أعيان الأرض وماعليها مما يفتتح به وأعلاها الأغذية ثم الأمكنة التي يأوي الإنسان إليها وهي المور ثم الأمكنة التي يسمى فيها لتجميعها كالخوانيت والأسواق والزروع ثم الكسوت ثم أثاث البيت والآلة ثم آلات الآلات وقد يكون في الآلات مالهو حيوان كالكلب آلة الصيد والبقرة آلة الحراثة والقرقرس آلة الركب في الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فان القلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة القلاعة والحداد والتجار يسكنون قرية لا يمكن فيها الزراعة فالضرورة يحتاج القلاح إلىهما ويحتاجان إلى القلاح فيحتاج أحدهما أن يبذل ماعنده للآخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق الماوعة إلا أن التجار مثلا إذا طلب من القلاح الغذاء يأكله رجلا لا يحتاج القلاح في ذلك الوقت إلى آله فلا يبيعه والقلاح إذا طلب الآلة من التجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج إليه فتتوقف في الأغراض فاضطروا إلى حانوت يجمع آله كل صناعة ليرصد بها صاحبها أرباب الحاجات وإلى آيات يجمع إليها ما يعمل القلاصون فيشتريه منهم صاحب الآيات ليرصد به أرباب الحاجات فظهرت لذلك الأسواق والمخازن فيعمل القلاح الحبوب فإذا لم يصادف محتاجا يباعها لمن رخيص من الباعة فيخزنونها في انتظار أرباب الحاجات طعاما في الربح وكذلك في جميع الأمكنة والأموال ثم يحدث لعماله بين البلاد والقرى ترفد فتردد الناس يشترى من القرى الأطعمة ومن البلاد الآلات ويقلون ذلك ويتعيشون به لتنظيم أمور الناس في البلاد بسببهم إذ كل بلد ربما لا توجد فيه كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام فالبعض يحتاج إلى البعض فيجوز إلى أهل فيحدث التجار للتشكول بالقلع وبماشهم عليه حرص جمع المال لأحالة فيتنبون طول الليل والنهار في الأمصار قرض غيرهم ورضيهم مناجع السال الذي يأكله لعماله غيرهم إما قاطع طريق وإما سلطان ظالم ولكن جعل الله تعالى في غفلتهم وجهلهم نظاما لبلاد ومصلحة للبلاد بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالشفقة وخسة المله ولو عقل الناس وارتفعت همهم لزهدهوا في الدنيا ولو ضلوا ذلك لطلعت الماشي ولو بطلت لمسلوكها لهلكوا فهاذا أيضا. ثم هذه الأموال التي تنقل لا يتقدر الإنسان على حملها فيحتاج إلى دواب لحملها وصاحب المال قد لا تكون له دابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير الكراء نوعا من الاكتساب أيضا ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة إلى التقدين فان من يراد أن يشتري طعاما يثوب فن أن يمدى للقدار الذي يساويه من الطعام كم هو والماملة تجري في أجناس مختلفة كاياع ثوب بطعام وحيوان يثوب وهذه أمور لا تناسب فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين الطرفين يبدل أحدهما بالآخر فيطلب ذلك العدل من أعيان الأموال ثم يحتاج إلى مال يطول بقاءه لأن الحاجة إليه تدمر واتي الأموال للعدان فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم مست الحاجة إلى الضرب والنقش والتقدير فمست الحاجة إلى دار الضرب والصيارفة وهكذا تتداعى الأشغال والأعمال بعضها إلى بعض حتى انتهت إلى ما تراه فهذه أشغال الخلق وهي مماشهم وشئ من هذه الحرف لا يمكن مباشرة إلا بنوع تعلم وتعب في الابتداء وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به أو يعبده تنماتع فيبقى عاجزا عن الاكتساب ليجزءه عن الحرف فيحتاج إلى أن يأكل مما يسمى فيه غيره فيحدث منه حرقان خبيستان اللعوبة والكذابة إذ يجمعها ألسنها بأكلان من سعى غيرها ثم الناس محترزون من الصومر والتكديث ويغفلون عنهم أموالهم فانفادوا إلى صرف عقولهم في استنباط

الله عليه وسلم رجنا
من الجهاد الأصغر إلى
الجهاد الأكبر
قد اركهم الأملاك
بل بأغاسم الصادقة
تعاكس الأفلاك فإذا
أراد الخروج من
الصلاة سلم على بيته
وبنى مع التسليم
الخروج من الصلاة
والسلام على اللانكة
والحاضرين من المؤمنين
ومؤمى الجن ويجعل
خذه مبينا لمن على بيته
يلوؤه عنقه ويغسل
بين هذا السلام
والسلام عن يساره
قد ورد الهى عن
الواصله والواصله
خس اثنتان تخص
بالامام وهوان لا يوصل
القراءة بالصكبر
والركوع بالقسرة
واتقان على المأموم وهو

الحيل والتدائير . أما الصوص : فمن من يطلب أعوانا ويكون في يديه شوكة وقوة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطريق كالأعراب والأكراد . وأما الضعاء منهم فيفزعون إلى الحيل إما بالقتب أو التسلق عند ابتهاز فرصة الثقة وإما بأن يكون طرار أو سلالا في غير ذلك من أنواع التماس الحداثة بحسب مانتته الأفكار المروفة إلى استباطها . وأما الكسدى فانه إذا طلب ملى فيغير موقبله الصب وأعمل كما عمل غرك فالك البطالة فلا يحط شيئا فانقرض إلى حقة في استخراج الأموال الوعبد العذر لأخسهم في العاطة فاحتالوا الفشل بالمعز إما بالحقة بكعامة جعون أولادهم وأنقسم بالحيلة لينفروا بالمس فيعطون وإما بالتامس والتفالج والتجائن والنفارض وإظهار ذلك بأنواع من الحيل مع يان أن تلك حنة أصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يتسمن قوا أو أفضالا يتعجب الناس منها حتى تبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسبحوا برفع اليد عن قليل من المال في حال التعجب ثم قد يندم بعد وهال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتعجز والمها كادو الكسفة والأضال الضحكة وقد يكون بالأشعار الغرية والكلام الثور السجع مع حسن الصوت والشعر اللوزون أعد تأثيرا في النفس لاسبا إذا كان فيه تصب ينطق بالمذاهب كأشعار مناب الصحة وفضائل أهل البيت أو الذي يحرك دامية العشق من أهل الهجاة كصنة الطالين في الأسواق وصنعما يشبه العوض وليس يوض كعيب التوبيذات والحشيش الذي غيل بامه أنها أدوية فيخدع بذلك الصبيان والجهال وكأصعاب القرعة والقال من التجهين ويدخل في هذا الجنس الوعاط والكسبون على روس النار إذا لم يكن وراهم طائل على وكان غرضهم استالة قلوب العوام وأخذ أموالهم بأنواع الكسفة أو أنواعا تزيد على ألف نوع والفتين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكرة لأجل البشة فهذه هي أشتال الخلق وأعمالهم التي أكبوا عليها وجرم إلى ذلك كله الحاجة إلى القوة والكسوة ولكنهم نسوا في أثناء ذلك أخسهم مقدم ومقتلهم ومآلهم فاهوا وضلوا وسبق إلى عقولهم الضعيفة بعد أن كدرتها زحمة الاشتغالات بالدين خيالات فاسدة فاهست مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة أوجه : فطائفة غلبهم الجهل والفتنة فلم تفتح أعينهم للنظر إلى عاقبة أمورهم فقالوا المقصود أن نعيش أياما في الدنيا فنجهتد حتى نكسب القوة ثم نأكل حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى نأكل فبأ يكون ليكسبوا ثم يكسبون لبأ أكوا وهذا مذهب الفلاحين والمهترفين ومن ليس له تتم في الدين ولا قدم في الدين فانه يتب نهارا لبأ كل ليلا وبأ كل ليلا ليتب نهارا وذلك كبير السواني فهو سفر لا ينقطع إلا بالموت وطائفة أخرى زعموا أنهم غفلوا عن الأمر وهو أنه ليس المقصود أن يشق الانسان بالعمل ولا يتعبد في الدنيا بل السعادة في أن يقضى وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج فهؤلاء أنسوا أنفسهم وصرفوا همهم إلى اتباع النساء وجمع قاذئ الأطعمة بأكون كما نأكل الأنعام ونظنون أنهم إذا نالوا ذلك فقد أدرکوا غاية السعادة فغفلهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر . وطائفة ظنوا أن السعادة في كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز فأسهروا ليلهم وأصبوا نهاريهم في الجمع فهم يتسمن في الأسفار طول الليل والنهار ويرتعدون في الأعمال الشاقة ويتكسبون ويعمسون ولا يأكون إلا قدر الضرورة عشا ويغلا عليها أن تنقص وهذه أفتهم وفي ذلك ذلهم وحركتهم إلى أن يدركهم الموت فيبقى تحت الأرض أو ينظر من به يأكله في الشهوات والذفات فيكون للجامع تمه وبواله ولا لآكل لفته ثم الذين يحسون ينظرون إلى أمثال ذلك ولا يتبرؤ . وطائفة ظنوا أن السعادة في حسن الاسم وانطلاق الألسنة بالثناء واللدح بالتجمل والروء فهؤلاء يتبسون في كب اللعاش ويعيقون على أنفسهم في الطم والشرب ويصرفون جميع مالهم إلى الملابس الحسنة والدواب

أن لا يوصل تكبيره
الاحرام بتكبيره
الامام ولا تسليحه
بتسليحه وواحدة على
الامام والمؤمنين وهو
أن لا يوصل تسليم
الفرض بتسليم النفل
وبعزم التسليم ولا يعد
مدا ثم يدعو بعد
التسليم بما يشاء من
أمر دينه ودينه
ويدعو قبل التسليم
أيضا في صلب الصلاة
فانه يستجاب ومن
أقام الصلوات المحس
في جماعة قد ملأ
البر والبحر عبادة
وكل المقامات والأحوال
زبدتها الصلوات
الحس في جماعة وهي
سر الدين وكماره
المؤمن وتحميس
للتطاي على ما أخرنا
شيخنا شيخ الاسلام

التفيسه ويرزقون أبواب الدور وما يقع عليها أضرار الناس حتى يقال إنهم يؤذون ويؤذون ويظنون أن ذلك هي السعادة فهم فيها في نهارهم وليلهم في سعادتهم موقع نظر الناس . وطائفة أخرى ظنوا أن السعادة في الجاه والكرامة بين الناس واتخاذ الخلق بالتواضع والتوقير صرّفوا همهم إلى استرجار الناس إلى الطاعة يطلب الولايات وتقلد الأعمال السلطانية لينفذ أمرهم بها على طائفة من الناس وورون أنهم إذا تمت ولا يتهم واتقادت لهم رعاياهم قد سعدوا سعادة عظيمة وأن ذلك غاية للطلب وهذا أغلب الشهوات على قلوب الدافلين من الناس فهو لا يشغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكير في آخرتهم ومعادهم . ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها يزيد على ثلث وسبعين فرقة كلهم قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل وإنساجروا إلى جميع ذلك حاجة العلم واللبس والسكن ونسوا ما أراد له هذه الأمور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها وأجرت بهم وألأ أسياها إلى أواخرها وتداعى بهم ذلك إلى مهاولم يمكنهم الرقي منها في عرف وجه الحاجة إلى هذه الأسباب والأشغال وعرف غاية التصود منها فلا يخوض في شغل وحرقة وعمل إلا وهو عالم بتصوده وعالم بحظه وضيعه منه وأن غاية مقصوده تمهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك إن سلك فيمسيل التقليل اندفعت الأشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهمة إلى الاستمدا له وإن تصدى به قدر الضرورة كثرت الأشغال وتداعى البعض إلى البعض وتسلسل إلى غيرتها فيقتضب به الموموم ومن تنصبت به الموموم في أودية الدنيا فلا يالي الله في أوداهلكتهم منها ثم إن الذين تمكن في أشغال الدنيا وتنبه لذلك طائفة فأعرضوا عن الدنيا فحدهم الشيطان ولم يتركهم وأضلهم في الأعراس أيضا حتى انقسموا إلى طوائف فظننت طائفة أن الدنيا دار بلاء ومحنة والآخرة دار سعادة لكل من وصل إليها سواء تميد في الدنيا أو لم يتيد فأروا أن الصواب في أن يتقوا أنفسهم للآخرة من محنة الدنيا وإليه ذهب طوائف من البعاد من أهل الهند فهم يتجهجون في النار ويقتلون أنفسهم بالإحراق ويظنون أن ذلك خلاص لهم من محنة الدنيا وظننت طائفة أخرى أن القتل لا يخلص بل لا بد أو لامن إمامة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكيفية وأن السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم أقبلوا على المجاهدة وشدوا على أنفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبضهم فسد عقله وجن وبضهم مرض وانسد عليه الطريق في العبادة وبضهم عجز عن قمع الصفات بالكيفية فظن أن ما كلفه الشرع محال وأن الشرع تلبس لأصل له فوقع في الإلحاد وظهر لبعضهم أن هذا التنب كلفه الله وأن الله تعالى مستغن عن عبادة العباد لا ينقص عصيان عاص ولا تزيد عبادة متعب فنادوا إلى الشهوات ولسكوا مسلك الإباحة وطووا بساط الشرع والأحكام وزعموا أن ذلك من صفات توحيدهم حيث اعتقدوا أن الله مستغن عن عبادة العباد وظن طائفة أن التصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها إلى معرفة الله تعالى فإذا حصلت المعرفة قد وصل وبمد الوصول يستغنى عن الوسيط والجهة فتركوا السعي والعبادة وزعموا أنه ارضعهم في معرفة الله سبحانه عن أن يمتحنوا بالكيف وإنما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول حصارها إلى ما يبالغ فيها وسبعين فرقة وإنما التاجي منها فرقة واحدة وهي المالكية ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن لا يترك الدنيا بالكيفية ولا يقطع الشهوات بالكيفية أما الدنيا فيأخذ منها قدر الفرد وأما الشهوات فيقطع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يطم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يتقوى به البدن على العبادة

ضياء الدين أبو النجيب
السهروردي رحمه الله
بإضافة قال أنا أبو منصور
محمد بن عبد الملك بن
خيرون قال أنا أبو محمد
الحسن بن علي
الجوهري بإضافة قال
أنا أبو عمر محمد بن
العباس بن زكريا قال
تأ أبو محمد يحيى بن
محمد بن صاعد قال
تأ الحسين بن الحسن
المروزي قال أنا عبد الله
ابن المبارك قال أنا يحيى
ابن عبد الله قال سمعت
أبا يقول سمعت أبا
هريرة رضي الله عنه
يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« الصلوات الخمس
كفارات لخطاياكم فافعلوا
إن هتم إن الحسنات
يذهبن السيئات ذلك
ذكرى لداكرين » .

ومن الممكن ما يحفظ عن الأصوص والحرق والبرد ومن الكسوة كذلك حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله تعالى بكنهه واشتغل بالذكر والفكر طوله العمر وبقى ملازم السياسة للشهوات ومراقب لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يسهل شغل ذلك إلا بالاعتناء بالفرقة الناجية وهم الصحابة فإنه عليه السلام لما قال «الناجي منها واحدة قالوا يارسول الله ومن هم؟ قال أهل السنة والجماعة قليل ومن أهل السنة والجماعة؟ قال ما أنا عليه وأصحابي» وقد كانوا على التبحر القصد وعلى السبيل الواضح الذي فصلناه من قبل فانهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهربون الدنيا بالكسبية وما كان لهم في الأمور تغريط ولا إفراط بل كان أمرهم بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو أحب الأمور إلى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع والله أعلم .

ثم كتاب ذم الدنيا والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

(كتاب ذم البخل وذم حب المال)

(وهو الكتاب السابع من ربيع الهلكت من كتاب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله مستوجب الحمد بركة البسوط . وكاشف الضرر بسدا القنوط ، الذي خلق الخلق ، ووسع الرزق ، وأفاض على العالمين أصناف الأموال ، وأبتلاهم فيها بتقلب الأحوال . وردد لهم فيها بين الصبر والبسر والتقى والفقر والطمع واليأس والثروة والإفلاس والعجز والاستطاعة والحرس والقناعة والبخل والجود والفرح بالوجود والأنف على النقص والإثبات والإغناق والتوسع والإملاق والتبذير والتفتير والرضا بالقليل واستحسان الكثير كل ذلك ليبلوهم أيهم أحسن عملا وينظر أيهم أقرب إلى الدنيا على الآخرة بدلا وينتفي عن الآخرة عدولا وحولا واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا . والصلاة على محمد الذي نسخ بعثته ملا وطوى بشريته أديانا ونحلا وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذلا وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فإن في الدنيا كثيرة المشيب والأطراف واسعة الأرجاء والأكناف ولكن الأموال أعظم فتنا وألمت عنها وأعظم فتنة فيها أنه لا غنى لأحد عنها ثم إذا وجدت فلا سلامة منها فإن قد المال حصل منه الفقر الذي يكاد أن يكون كفرا وإن وجد حصل منه الطغيان الذي لا يتكون عاقبة أمره إلا خسرا . وبالجملة فهي لا تخلو من الفوائد والآفات وفوائدها من النجيات وآفاتنا من الهلكتات وتعين غيرها عن شرها من الموصات التي لا تقوى عليها إلا الذوق الباسر في الدين من العلماء الراغبين دون المرشحين المترفين وشرح ذلك مهم على الأفراد فإن ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة بل في الدنيا عامة إذ الدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض أجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها ونشق التليظ بحكم الضرب والحمد

(١) حديث اقتراف الأمة وفيه الناجي منهم واحدة قالوا ومن هم قال أهل السنة والجماعة الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وحسنه تفرق أمي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا ما هي يارسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي ولأبي داود من حديث معاوية وابن ماجه من حديث أنس وعوف بن مالك وهي الجماعة وأسانيدنا جيد .

(كتاب ذم البخل وذم حب المال)

[الباب الثامن
والاستلوث في ذكر
آداب الصلاة
وأمرها]

أحسن آداب المصل
أن لا يكون مشغول
القلب بشيء قبل أو أكثر
لأن الأكياس لم يرضوا
الدنيا إلا لينحوا
الصلاة كما أمروا لأن
الدنيا وأشغالها لما
كانت شاغلة للقلب
رفضوها غيرة على
عمل النجاة ورغبة
في أوطان الصريات
وإذعاناً بالباطن لرب
البريات لأن حضور
الصلاة بالظاهر إذعان
تظاهر وفرغ القلب
في الصلاة عما سوى
الله تعالى إذعان الباطن
فلم يروا حضور الظاهر
وتخلف الباطن حتى
لا يحتل إذعائهم فتخبر
عبوديتهم فيجتنب أن

بعضها والكبر وطلب المال وبعضها ولها أعيان كثيرة وجميعها كل ما كان للإنسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في اللال وحده إذ فيه آفات وغوائل وللإنسان من قدده صفة الفقر ومن وجوده وصف الثنى وهما حاتان يحصل بهما الاختيار والامتحان . ثم للفاقد حاتان: القناعة والحرص وإحداها مذمومة والأخرى محمودة وللحرص حاتان طمع فيها في أيدي الناس وتشرم الحرف والصناعات مع اليأس عن الحلق والطمع شر الحاتين وللواجب حاتان إمسك بحكم البخل والشح وإشفاق وإحداها مذمومة والأخرى محمودة وللشفق حاتان تبهز وتقتصد والهمود هو الاقتصاد وهذه أمور متشابهة وكشف الغطاء عن التموض فيها مهم . ونحن نعرض ذلك في أربعة عشر فصلا إن شاء الله تعالى وهو بيان ذم اللال ثم مدحه ثم تحصيل فوائده للال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الأسخياء ثم ذم البخل ثم ذم حكايات البخلاء ثم الآثار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف في اللال ثم ذم الثنى ومدح الفقر إن شاء الله تعالى .

(بيان ذم اللال وكرهه حبه)

قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تهلكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يعمل ذلك فأولئك هم الخاسرون - وقال تعالى - إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم - فمن اختار ماله وولده على ما عاهد الله فقد خسر وخسرنا عظيم ، وقال عز وجل - من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها - الآية وقال تعالى - إن الإنسان ليطغى أن أرى آتاهم - فاحلوا لولاقة الآية - على العظيم - وقال تعالى - أهلكم التكاثر - . وقال رسول الله ﷺ «حب اللال والشرف يفتنان النفاق في القلب كما يفتن اللاء البخل (١)» وقال صلى الله عليه وسلم «ما ذبان ضاريان أرسلنا في زرية غنم بأكثر إفساداً فيها من حب الشرف والمال والجاء في دين الرجل السلم (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «هلك المكثرون لإيمان قال به في عبادته هكذا وهكذا أو قليل مام (٣)» وقيل «بارسول الله أي أمتك شر قال الأغنياء (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطياب الدنيا وألوانها ويركبون

(١) حديث حب اللال والشرف يفتنان النفاق في القلب كما يفتن اللاء البخل ما أجده بهذا اللفظ وذكره بهذا اللفظ الجاء بدل الشرف (٢) حديث ما ذبان ضاريان أرسلنا في زرية غنم بأكثر فساداً لها من حب اللال والجاء في دين الرجل السلم الترمذي والنسائي في الكبرى من حديث كعب بن مالك وقال جاثمان مكان ضاريان ولم يقل في زرية وقال الشرف بدل الجاء قال الترمذي حسن صحيح ولطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد ما ذبان ضاريان في زرية غنم الحديث والبراء من حديث أبي هريرة ضاريان جاثمان واستاد الطبراني فيه ما ضيف (٣) حديث هلك الأكثرون لإيمان قال صلى الله عليه وسلم «ما أجده بهذا اللفظ أسكتون وهو متفق عليه من حديث أبي ذر بلطف في عبادته هكذا وهكذا أو قليل مام (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطياب الدنيا وألوانها ويركبون

يكون باطنه مرتباً
جنى ويدخل الصلاة
وتقل من فقه الرجل
أن يداً بقضاء حاجته
قبل الصلاة ولهذا
ورد وإذا حضر المشاء
والمشاء قد دعوا للمشاء
على المشاء ولا يصلي
وهو حاقن يطالب بالبول
ولا حارق يطالب بالنظ
والحرق أيضاً شريك
الحف ولا يصلي أيضاً
وخفه شريك يشغل قلبه
قد قيل لا رأى لحارق
قيل الذي يكون معه
شريك وفي الجنة ليس من
الأدب أن يسلي وعنده
ما غير مزاج باطنه عن
الاعتدال كهذه الأشياء
التي ذكرناها وإهاجم
الفرط والغضب . وفي
الحبر ولا يدخل أحدكم
في الصلاة وهو مغضب
ولا يسلي أحدكم وهو

فرَّ الحبل وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون أجمل الثياب وألوانها لم يطلون من القليل لتبضع وأضى بالكثير لانفتح ما كفون على الدنيا يندون وبروحون إليها أخذوها ألهمن دون إلهم وربا دون ربهم إلى أمرها يتهنون ولهاوم يتعنون فمزة من محمد بن عبد الله بن أنس ذكره ذلك الزمان من عقب عتيق وخلف خلفك أن لا يسلم عليهم ولا يودم مناهم ولا يتبع جنازهم ولا يوتر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الإسلام (١) وقال صلى الله عليه وسلم «دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حنفة وهو لا يشعر (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفثيت أو لبست فأفثيت أو صدقت فأمنيت (٣)» وقال رجل «يا رسول الله مالي لأحب للوت فقال هل معك من مال؟ قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع الله إن قدمه أحب أن يلقه وإن خلفه أحب أن يتخلف معه (٤)» وقال رسول الله «أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثاني إلى قبره والثالث إلى عشرين سنة يتبعه إلى قبض روحه فهو ماله والذي يتبعه إلى قبره فهو أهله والذي يتبعه إلى عشرين سنة فهو عمله (٥)» وقال الحارثيون ليسى عليه السلام : مالك تسمى على الماء ولا تدر على ذلك ؟ فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندهم قالوا حسنة قال لكسبا والدر عندى سواء . وكتب سلمان الفارسي إلى أبي العرواء رضى الله عنهما : يا أخى إياك أن تجمع من الدنيا مالا تؤدى شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «بجاء صاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه كلها تكفأ به الصراط قاله الله له انفس قد أدبت حق الله في ثم بجاء صاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلها تكفأ به الصراط قال له ماله وملك ألا أدبت حق الله في فما يزال كذلك حتى يدعوا بالويل والثبور (٦)» وكل ما أوردهنا في كتاب الزهد والفقر في ذم التقى ومدح الفقر يرجع جميعه إلى ذم السال فلا تطلو بتكريره وكذا كل ما ذكرناه في ذم الدنيا فيتأول ذم اللال بحكم العموم لأن السال أعظم أركان الدنيا وأساسها كذا لأن ماورد في اللال خاصة صلى الله عليه وسلم «إذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف (٧)»

(١) حديث سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطياب الدنيا وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها الحديث بطلوه الطبراني في الكبير والأوسط من حديث أبي أمامة سيكون رجال من أمي يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب يتشدقون في الكلام أولئك شرار أمتي وسنده ضيف ولم أجده لياقيه أصلا (٢) حديث دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حنفة وهو لا يشعر الزمان من حديث أنس وفيه هائي بن للتوكل ضعه ابن حبان (٣) حديث يقول العبد مالي مالي الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشخير وأبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث قال رجل يا رسول الله مالي لأحب الموت الحديث لم أنف عليه (٥) حديث أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثاني إلى قبره الحديث أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث الثعالب بن بشير بإسناد جيد نحوه ورواه أبو داود الطيالسي وأبو الشيخ في كتاب الثواب والطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند جيد أيضا وفي الكبير من حديث سمرة بن جندب ولشيوخين من حديث أنس يتبع الملت ثلاثة فيرجع إثنان ويبقى واحد الحديث (٦) حديث كتب سلمان إلى أبي العرواء وفيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بجاء صاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه الحديث . قلت ليس هو من حديث سلمان إنما هو من حديث أبي العرواء أنه كتب إلى سلمان كذا رواه البيهقي في الشعب وقال بدل الدنيا المال وهو منقطع (٧) حديث إذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم ما قدم الحديث البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة

غضبان « فلا ينبغي للعبد أن يلبس بالصلاة إلا وهو على أتم الحيات وأحسن لبسة المحل يحسكون الأطراف وعسم الالتفات والإطراق ووضع اليدين على الثياب لما أحسبها من هيئة جسد ذليل واقف بين يدي ملك عزيز وفي رخصة الشرع دون الثلاث حركات متواليات جائز وأرباب العزبة يتركون الحركة في الصلاة جملة وقد حركت يدي في الصلاة وعندى شخص من الصالحين فلما انصرف من الصلاة أنكر على وقال عنده إن العبد إذا وقف في الصلاة ينبغي أن يبقى جامدا مجمدا لا يتحرك منه شيء . وقد جاء

وقال صلى الله عليه وسلم « لا تتخذوا الضجة فحبوا الدنيا (١) ». الآثار : روى أن رجلا قال من أني المرداء وأراه سودا فقال اللهم من فعل في سودا فأصح جسمه وأطل عمره وأكثر ماله فانظر كيف رأى كثرة السالك غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لأنه لا بد وأن يفضي إلى الطيوان. ووضع على كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال أما إنك ما لم تخرج عنى لا تفتنى . وروى أن عمر رضي الله عنه أرسل إلى زبني بنت جحش ببطائنها قالت ما هذا ؟ قالوا أرسل إليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم ملئت سترًا كان لها قطعتن وجعلته صريرا وقسمته في أهل بيتها ورحمها وأبناها ثم رصت يدها وقالت : اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد ماى هذا فكانت أول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به وقال الحسن والله ما أعز الدرهم أحد إلا أذهله الله وقيل إن أول ما ضرب الدينار والدرهم رصهما إليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عبيد حقا وقال سميط بن محمد بن إن الدرهم والدينارين أزمة للتأقين يقادون بها إلى النار . وقال يحيى بن معاذ الدرهم غريب فإن لم تحسن رقيقته فلا تأخذنه فإنه إن لدنك تلك منه قيل وما رقيقته قال أخذته من حله ووضعه في حقه وقال الهادي بن زياد تمثلت في الدنيا وعليها من كل زينة قتلت أعوذ بالله من شرك فقالت إن شرك أن يبيدك الله منى فأبغض الدرهم والدينار وذلك لأن الدرهم والدينار هما الدنيا كلها إذ يتوصل بهما إلى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفي ذلك قيل :

إني وجدت فلا تظنوا غيري أن التورع عند هذا الدرهم
فإذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بأن ثناك تهوى للدم

وفي ذلك قيل أيضا :

لا يضرنك من اللرم ليس رقه أو أزار فوق عظم الساق منه رقه
أو جبين لاح فيه أثر قد خلعه أره الدرهم تعرف حبه أو ورعه
وروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته فقال يا أمير المؤمنين صنعت صنعا لم يصمه أحد قبلك تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من الولد فقال عمر أقصدوني فأصدوه فقال أما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما فاني لم آمنهم فخالهم ولم أعظم حقا لغيرهم وإنما ولدي أحد رجلين إما مطيع لله فأفقه كافيه والله يتولى الصالحين وإما غاص لله فلا أبالي على ما وقع . وروى أن محمد بن كعب القرظي أصاب مالا كثيرا فقبل له لوالد أخوته فلو لدك من بعده قال لا ولكني أذكره لنفسى عند ربي وأذكره لولي . وروى أن رجلا قال لابي عبدربه يا أخى لا تنهب بشر وتترك أولادك غير فأخرج أبو عبدربه من ماله مائة ألف درهم وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون يتعلمن للبعد في ماله عند موته قبل وما هاهنا يؤخذ منه كله ويستهل عنه كله .

(بيان مدح السالك والجمع بين دين الله)

اعلم أن الله تعالى قد سمى السالك خيرا في مواضع من كتابه العزيز فقال جل وعز إن ترك خيرا - الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم السالك الصالح للرجل الصالح (٢) » وكل ما جاء في ثواب الصدقة والجمع فهو ثناء على السالك إذ لا يمكن الوصول إليها إلا به وقال تعالى - ويستخرجنا من كثرة ما رحمه من ربك - وقال تعالى محتنا على عباد - وعبدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم

يلج به وقد تقدم في آداب الصبغة (١) حديث لا تتخذوا الضجة فحبوا الدنيا الترمذي والحاكم وصححه إسناده من حديث ابن مسعود بلفظ فترغبوا (٢) حديث ثم السالك الصالح يستخرج الرجل الصالح أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث عمرو بن الماص يستد صحيح بلفظ تاهوا ولا للمره .

في الجبر : صبة
أشياء في الصلاة
من الشيطان : الرعاف
والتماس والوسوسة
والتلؤب والحكك
والافتات : والبث
بالله من الشيطان
بضا وقيل السهو
والشك : وقد روى

عن عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما أنه قال
إن المستوع في الصلاة
أن لا يعرف للصلى من
على يمينه وشماله . ونقل
عن سفيان أنه قال :
من لم يخشع فسدت
صلاته ، وروى عن معاذ
ابن جبل أشد من
ذلك قال : من عرف
من عن يمينه وشماله
في الصلاة متعمدا فلا
صلاة له وقال بعض
العلماء من قرأ كلمة
مكتوبة في خاط أو

أنهارا - وقال صلى الله عليه وسلم «كاد الفقر أن يكون كفرا»^(١) وهو تعالى للمال ولا تحفظ وجه الجمع
بمدح الله وللدخ إلا بآمن تعرف حكمة للمال ومقصوده وآفاته وغوائله حتى يشكك في أنه خير من وجه
وشر من وجه وأنه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فإنه ليس بغير محض ولا هو شر محض
بل هو سبب للأخمين جميعا وما هذا وصفه فيمدح لا محالة تارة يمدح ولكن البصر المميز يدرك أن
المحمود منه غير للمموم ويأته بالاستعداد مما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفضيل
درجات الثم والقدر الترفع هي أن مقصد الأكراس وأرباب البصائر سعادة الآخرة التي هي الصنيع الدائم
ولذلك التقيم والتصدى إلى هذا باب الكرام والأكراس إذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «من أكرم
الناس وأكرهم فقال: أكثرهم لئلا ذكرت وأشد هم له»^(٢) وهذا السعادة لا تنال إلا بالثبات
وسائل في الدنيا وهي الفضائل النسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل
الخارجية عن البدن كالجمال وسائر الأبواب وأعمالها النفسية ثم البدنية ثم الخارجية فالجاءت بها المال
من جهة الخراجات وأدائها الدراهم والدنانير فإنها خادمات ولا خادم لها وادان لغيرها ولا يراد أن
لذاتها إذ النفس هي الجوهر الفين للطلوب سعادتها وأنها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الأخلاق
لتصلها حقة في ذاتها والبدن تخدم النفس بواسطة الحواس والأعضاء والطعام واللباس تخدم
البدن وقد سبق أن المقصود من الطعام إبقاء البدن ومن الناحية إبقاء النسل ومن البدن تسهيل
النفس وتزكيها وتزيينها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجع شره
وأنه من حيث هو ضرورة للطعام واللباس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس
الذي هو خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده واستعمله لذلك غاية ملتفتا إليها غير تاس لها فقد
أحسن وانفتح وكان ماضيا لشره محمودا في حقه فاذن للمال آلة ووسيلة إلى مقصود صحيح وصلح
أن يتخذ آلة ووسيلة إلى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادرة عن سعادة الآخرة وتسد سيل العلم والعمل
فهو إذا محمود ومذموم محمود بالإضافة إلى القصد المحمود ومذموم بالإضافة إلى القصد المذموم فمن أخذ من
الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حظه وهو لا يشر^(٣) كأورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة إلى
اتباع الشهوات القاطمة لبصيل الله وكان للمال مسهلها وآلة إلى أعظم الخطر فبما يزيد على قدر الكفاية
فاستعداد الأنبياء من شره حتى قال نبينا عليه الصلاة والسلام «اللهم اجعل قوت آل محمد كقاة»^(٤)
فلم يطلب من الدنيا إلا ما ينفعه من غيره وقال «اللهم أحق مسكينا وأمتى مسكينا وأحشنى في زمرة
الساكنين»^(٥) واستعداد إبراهيم صلى الله عليه وسلم فقال - واجنبي وبني أن تعبد الأصنام - وعني بها
هذين الحجرين الذهب والفضة إذ رتبة النبوة أجل من يغنى عليها أن تعتقد الإلهية في شيء من هذه
الحجارة إذ اذ قد كفي قبل النبوة عبادتها مع الصغر وإنما معنى عبادتها جميعا والاعتراض بها والركون

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا أبو مسلم البستي في سننه والبيهقي في شعب الإيمان من حديث
أنس وقد تضمن في كتاب ذم التلذذ (٢) حديث من أكرم الناس وأكرهم قال أكثرهم الموت
ذكرنا الحديث ابن ماجه من حديث ابن عمر يلفظ أي المؤمنين أكراس ورواه ابن أبي الدنيا في الموت
يلفظ المصنف وإسناده جيد (٣) حديث من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حظه وهو
لا يشر حتم قبله يتسمه احاديث وهو بية احذروا الدنيا (٤) حديث اللهم اجعل قوت آل محمد
كقاة متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث اللهم أحق مسكينا وأمتى مسكينا الترمذي
من حديث أنس وابن ماجه والحاكم وصححه إسناده من حديث أبي سعيد وقد تضمن .

بساط في صلته فصلاته
باطلة قال بعضهم لأن
ذلك عدوه عملا، وقول
في تفسير قوله تعالى
- والذين هم على صلاتهم
داعون - قيل هو
سكون الأطراف
والطمانينة . قال
بعضهم إذا سكبت
التكبير الأولى فاعلم
أن الله ناظر إلى شخصك
عالم بما في ضميرك
ومثل في صلاتك اللجنة
عن يمينك والنار عن
شمالك . وإنما ذكرنا
أن تمثل اللجنة والنار
لأن القلب إذا شغل
بذكر الآخرة ينقطع
عنه الوسواس فيكون
هذا التثليل تدابيرا
للقلب لدفع الوسوسة .
أشبهنا شبيخنا
ضياء الدين أبو العجيب
السهروردي بإجازة قال

إليهما قال نبينا صلى الله عليه وسلم «تس عبد الدينار وتس عبد الدرهم تس ولا تمش وإذا شيك فلا تمش» (١) فين أن محبها عابدهما ومن عبد حجر فهو عابده صنم بل كل من كان عبد لغير الله فهو عابده صنم أي من قطعه ذلك عن الله تعالى وعن أداء حقه فهو كما بدصم وهو شرك إلا أن الشرك شركان شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقلنا ينفك عنه للؤمنون فإنه أخفى من ديب النمل وشرك جلي يوجب الخلود في النار نموذج بالله من الجميع .

(بيان تفصيل آفات اللذات وفوائدها)

اعلم أن اللذات مثل حبة فيها سم وتزيق فوائدها تغريه وغوائلها مموهة فمن عرف غوائلها وفوائدها علم أنه أكثر من يجتر من شره ويستند من خيره . أما القوائد : فهي تنقسم إلى ذنوبية ودنيوية : أما الدنيوية فلا حاجة إلى ذكرها فإن معرفتها مشهورة مشتركة بين أصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهلكوا على طلبها وأما الدنيوية فتتضمن جميعها في ثلاثة أنواع . النوع الأول : أن ينفعه على نفسه إما في عبادة أو في الاستمانة على عبادة أما في العبادة فهو كالاستمانة به على الحج والجهاد فإنه لا يتوصل إليها إلا بالمال وهما من أمهات القربات والفقر محروم من فضلهما وأما فيما يقويه على العبادة فذلك هو الطعام والملبس والسكن والشكع وضرورات العيشة فإن هذه الحاجات إذا لم تيسر كان القلب مصروفا إلى تدبيرها فلا يفرغ للدين وما لا يتوصل إلى العبادة إلا به فهو عبادة فأخذ الكفاية من الدنيا لأجل الاستمانة على الدين من القوائد الدنيوية ولا يدخل في هذا التتم والزيادة على الحاجة فإن ذلك من حظوظ الدنيا فقط . النوع الثاني : ما يصرفه إلى الناس وهو أربعة أقسام الصدقة والمروءة ووقاية العرض وأجرة الاستخدام . أما الصدقة فلا يخفى ثوابها وإليها تلتفت غضب الرب تعالى وقد ذكرنا فضلها فيما تقدم . وأما المروءة فعنى بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف على ضيافة وهدية وإعانة وما يجري مجراها فإن هذه تسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم إلى المحتاج إلا أن هذا من القوائد الدنيوية إذ به يكتسب العبد الإخوان والأصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الأشراف فلا يوصف بالجرود إلا من يصطنع اللزوم ويسلك سبيل المروءة والقوة وهذا أيضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا والضيافات وإطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاق في مصارفها . وأما وقاية العرض فعنى به بئد المال لدفع هوى الشراء وتلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم وهو أيضا مع تجزئ فائدته في العاجلة من الحظوظ الدنيوية قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم «ما وقي به المرء عرشه كتب له به صدقة» (٢) وكيف لا وقيته منع الكتاب عن معصية القية واحتراز عما يشور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافأة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة . وأما الاستخدام فهو أن الأعمال التي يحتاج إليها الإنسان تهيئة أسبابه كثيرة وتولواها بنفسه ضاعت أوقاته وتمذر عليه سلوك سبيل الآخرة والفكر والذكر الذي هو أعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر إلى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطحنه وكس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج إليه وكل ما يتصور أن يقوم به غيرك ويحصل به غرضك فأنت متعوب إذا اشتغلت به إذ عليك من العلم والعمل والذكر والفكر مالا يتصور أن يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسار

(١) حديث تس عبد الدينار تس عبد الدرهم الحديث البخاري من حديث أبي هريرة ولم يقل وانتش وإعنا علق آخره بلفظ تس وانتسك ووصل ذلك ابن ماجه والحاكم (٢) حديث ما وقي المرء عرشه به فهو صدقة أبو يعلى من حديث جابر وقد تقدم .

أنا عمر بن أحمد
الصغار قال أنا أبو بكر
ابن خلف قال أنا
أبو عبد الرحمن قال
سمعت أبا الحسين
الفارسي يقول سمعت
محمد بن الحسين يقول
قال سهل من خلا قلبه
عن ذكر الآخرة
تعرض لوساوس
الشیطان فأما من بشر
باطنه صنو اليقين
ونور المعرفة فيستغنى
بشاهده عن تمثيل
مشاهدة قال أبو سعيد
الحراز إذا ركع فالأدب
في ركوعه أن ينصب
ويذو ويتدل في
ركوعه حتى لا يبقى
منه مفصل إلا وهو
منتصب نحو العرش
الظيم ثم يعظم الله
تعالى حتى لا يكون
في قلبه شيء أعظم

النوع الثالث : ما لا يصرفه إلى إنسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء للمسجد والقنابر والرباطات ودور الرضى ونصب الجباب في الطريق وغير ذلك من الأوقاف للرصدة للعبثات وهي من الخيرات للزبدة الدائرة بعد الموت للسجلة بركة أدعية الصالحين إلى أوقات متبادلة وناهيك بها خيرا فهذه جملة فوائده للمال في الدين سوى ما يتعلق بالخطوط العاجلة من التخلص من ذل السؤال وحارة الفقر والوصول إلى المز والجد بين الخلق وكثرة الإخوان والأعوان والأصدقاء والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال من الخطوط الدنيوية . وأما الآفات فدينية ودنيوية أما الدينية ثلاث . الأولى : أن يجبر إلى المعاصي فإن الشهوات متفاضة والسجدة يحول بين اللز والمصيبة ومن الصمة أن لا يجد ومهما كان الإنسان آسأ عن نوع من الصبغة لم تحرك داعيته فإذا استثمر القدرة عليها انبثت داعيته والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب التجور فإن اتحم ما اشتاء هلك وإن صبر وقع في شدة إذ الصبر مع القدرة أشد وقته السراء أعظم من فتنة الضراء . الثانية : أنه يجبر إلى التمس في الباحات وهذا أول الدرجات فتى يقدر صاحب المال على أن يتناول خبز الشير ويلبس الثوب الحسن ويترك لذائذ الأطعمة كما كان يقدر عليه سلمان ابن داود عليهما الصلاة والسلام في ملكه فأحسن أحواله أن يتمم بالدنيا ويمرر عليها نفسه فيصير التمس مأوفا عنه ونحوها لا يصبر عنه ويجره البعض منه إلى البعض فإذا اشتد أنه يبرح ما لا يقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال فيتنعم بالشهات ونحوها في الرأاء والداهنة والكذب والنفاق وسائر الأخلاق الرديئة لينظم له أمر دنياه ويتيسر له تنمعه فإن من كثر ماله كثر حاجته إلى الناس ومن احتاج إلى الناس فلا بد وأن يتأقهم ويصسى الله في طلب رضاهم فإن سلم الإنسان من الآفة الأولى وحس مباشرة الخطوط فلا يسلم عن هذه أصلا ومن الحاجة إلى الخلق ثور العداوة والصدقة ينشأ عنه الخس والخذ والرياء والكبر والكذب والفتية وسائر المعاصي التي تخص القلب واللسان ولا غلو عن التصدي أيضا إلى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة إلى حفظه وإصلاحه . الثالثة : وهي التي لا ينفك عنها أحد وهو أنه بلهه إصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسار ولذلك قال عيسى عليه الصلاة والسلام : في المال ثلاث آفات أن يأخذهم من غير حله ، قليل إن أخذهم من حله ؟ قال يصحه في غير حقه قليل إن وضعه في حقه فقال بشفه إصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الهداء الضال فإن أصل العبادات ومنها سرها ذكر الله والتفكير في جلالة وذلك يستدعى قلبا فارغا وصاحب الشبهة يسمى ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسنه وفي خصومة التركاء ومنزاعهم في الماء والحدود وخصومة أعوان السلطان في الخراج وخصومة الأجراء على التصير في العمارة وخصومة الفلاحين في خياثهم وسرقتهم صاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتضيقه في العمل وتضيده للمال وكذلك صاحب العواشي وهكذا سائر أصناف الأموال وأبديها عن كثرة الشغل التمدد المسكون تحت الأرض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف إليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يثر عليه وفي دفع أطماع الناس عنه وأدعية أفكار الدنيا لانهاية لها والتي معه قوت يومه في سلامة من جميع ذلك فهذه جملة الآفات الدنيوية سوى ما يغاييه أرباب الأموال في الدنيا من الخوف والحزن والتم والمهم والتعب في دفع الحساد ونجم المصائب في حفظ المال وكبه فاذن تزيق المال أخذ الثوت منه وصرف الباقي إلى الخيرات وما عدا ذلك محوم وآفات نسأل الله تعالى السلامة وحسن المون بلطفه وكرمه إنه على ذلك تدبر .

من الله ويسر في نفسه حتى يكون أقل من الهباء وإذا رفع رأسه وحمد الله علم أنه سبحانه وتعالى يسبح ذلك . وقال أيضا ويكون معهم من الحشية ما يكذب يذوب به . قال السراج إذا أخذ العبد في التساوة فالأدب في ذلك أن يشاهد ويسمع قلبه كأنه يسبح من الله تعالى أو كأنه يقرأ على الله تعالى . وقال السراج أيضا من أديهم قبل الصلاة المراقبة ومراعاة القلب من الحواطر والموارض ونفي كل شيء غير الله تعالى فإذا قاموا إلى الصلاة محضون القلب فكأنهم قاموا من الصلاة إلى الصلاة فيكون مع النفس

(بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة والياس مما في أيدي الناس)

اعلم أن الفقر محمود كما أوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي أن يكون الفقير قانعاً بما قطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حرصاً على اكتساب المال كيف كان ولا يكتنه ذلك إلا بأن يتقن الضرورة من اللطم واللبس والسكن ويقتصر على الله قدراً وأخيه نوماً وبرد أمه إلى يومه أو إلى شهره ولا يشغل قلبه بما بهد شهر فأن تشوق إلى الكثير أو طول الله فانه عز القناعة وتدنى لامحالة بالطمع وذلك الحرص وجبر الحرص والطمع إلى مساوئ الأخلاق وأركانها التكرات الحارة للمروآت وقد جبل الأدي على الحرص والطمع وقفة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يبتغي لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» (١) وعن أبي واقد الليثي قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوحى إليه أنبياء يملأها مما أوحى إليه يفتته ذات يوم فقال: إن الله عز وجل يقول: إنا أنزلنا المال لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لأحب أن يكون له ثاب ولو كان له ثاب لكان له الثاني لأحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» (٢) وقال أبو موسى الأشعري زلت سورة نحو برادة ثم رقت وحفظ منها إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلق لهم ولو أن لابن آدم واديان من مال لتي واديا ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الأمل وحب المال أو كما قال» (٥) ولما كانت هذه جلبة للأدي مضلة وغرزة مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم «طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «مامن أحد فقير ولا غنى إلا ود يوم القيامة أنه كان أوفى قوتا في الدنيا» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «ليس التي عن كثرة العرض إنما التي غنى النفس» (٨) ونهى عن عدة الحرص والبالغة في الطلب فقال «ألا أيها الناس أجعلوا في الطلب فانه ليس لبيد إلا ما كتب له وإن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راحة» (٩)

(١) حديث لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يبتغي لهما ثالثاً الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس وأنس (٢) حديث أبي واقد الليثي إن الله عز وجل يقول: إنا أنزلنا المال لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة - الحديث أحمد والبيهقي في الشعب. بسند صحيح (٣) حديث أبي موسى زلت سورة نحو برادة ثم رقت وحفظ منها إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلق لهم لو أن لابن آدم واديان من مال الحديث مسلم مع اختلاف دون قوله إن الله يؤيد هذا الدين ورواه بهذه الزيادة الطبراني وفيه طي بن زيد متشكك فيه (٤) حديث منهومان لا يشبعان الحديث الطبراني من حديث بن مسعود بسند ضيف (٥) حديث يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الحديث متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى من حديث نضالة بن عبيد ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو قد أفلع من أسلم وورق كفافاً وقنع الله بما آتاه (٧) حديث مامن أحد غنى ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه كان أوفى قوتا في الدنيا قوتا ابن ماجه من رواية تبع بن الحارث عن أنس ونسج ضيف (٨) حديث ليس التي عن كثرة العرض إنما التي غنى النفس متفق عليه من حديث أبي هريرة (٩) حديث ألا أيها الناس أجعلوا في الطلب فانه ليس لبيد إلا ما كتب له الحاكم من حديث جابر بنحوه وصححه إسناده وقد تقدم في آداب السكسب والعاش.

والفعل الذين دخلوا في الصلاة بهما فإذا خرجوا من الصلاة رجعوا إلى ما لهم من حضور القلب فكأنهم أبدا في الصلاة فهذا هو أدب الصلاة وقيل كان بعضهم لا يتبأ له حفظ العدد من كمال استغراقه وكان مجلس واحد من إحصائه يعدد عليه كم ركة صلى. وقيل: الصلاة أربع شعب حضور القلب في المحراب وشهود العقل عند الملك الوهاب وخشوع القلب بلا ارتياب وخضوع الأركان بلا ارتياب لأن عند حضور القلب رفع الحجاب وعند شهود العقل دفع التاب وعند حضور النفس فتح الأبواب وعند خضوع

وروى أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال أي عبادك أغنى ؟ قال أنعمهم بما أعطيتهم قل فأبهم أعدل ؟ قال من أنصف من نفسه . وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن روح القدس نفث في روعي إن نسا لن تموت حتى تستكمل رزقه فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » (١) وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة إذا اشتد بك الجوع فليكن رغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار » وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما حبب لنفسك تكن مؤمنا » (٢) ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع في أيدي الناس (٣) وقال عوف بن مالك الأشجعي « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة قال: ألا تبايعون رسول الله قلنا أو ليس قد بايعاك يارسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعاك فعلى ماذا تبايعك ؟ قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتصلوا الخمس وأن تسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا » (٤) قال فلقد كان بعض أولئك الفرس يسقط سوطه فلا يسأل أحدا أن يناوله إياه . الآثار : قال عمر رضى الله عنه : إن الطمع تقروان اليأس غنى وإنه من يئس عما في أيدي الناس استغنى عنهم . وقيل لبعض الحكماء : مالتني ؟ قال قلعة تمنيك ورضاك بما يكتفيك وفي ذلك قيل :

البئش ساعات تمرّ وخطوب أيام تنصرّ
اقنع ببشك ترضه وأترك هواك تميش حرّ
فلربّ حنّف ساقه ذهب وإقوت ودرّ

وكان محمد بن واسع يملّ الحزن اليأس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد . وقال سفيان : خير دنياكم ما لم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به ما خرج من أيديكم . وقال ابن مسعود : ما من يوم إلا وملك ينادي يا ابن آدم قليل بكفك خير من كثير بطنك . وقال سبط بن مجلان : إنما بطنك يا ابن آدم خير في شرب فم يدخلك النار . وقيل لحكيم ما مالك قال التجل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس . ويروي أن الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت وإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابا على غيرك فأنا إليك محسن . وقال ابن مسعود : إذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتي الرجل فقول إنك وإنك يقطع ظهرك فأعما بأية ما قسم له من الرزق أو مازق . وكتب بعض بني أمية إلى أبي حازم يبرم عليه إلا رفع إليه حوائجه فكتب إليه قد رخصت حوائجي إلى مولاي فما أعطاني منها قبلت

(١) حديث ابن مسعود إن روح القدس نفث في روعي إن نسا لن تموت حتى تستكمل رزقها الحديث ابن أبي الدنيا في القناعة والحكماء مع اختلاف وقد تقدم فيه (٢) حديث أبي أيوب إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه وأجمع اليأس مما في أيدي الناس ابن ماجه وتقدم في الصلاة وللسا كم غوه من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح الاسناد (٤) حديث عوف بن مالك كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أو ثمانية أو تسعة فقال ألا تبايعون الحديث وفيه ولا تسألوا الناس . مسلم بن حذيفة ولم يقل قال قائل ولا قال تسمعوا وقال سوط أحدهم وهي عند أبي داود وابن ماجه كاذ كرها للصف

الأركان وجود الثواب
فمن آتى الصلاة بلا
حضور القلب فهو
مصلّ له ومن أتاهها
بلا شهود العقل فهو
مصلّ ماله ومن أتاهها
بلا خضوع النفس فهو
مصلّ خاطي ومن
أتاهها بلا خشوع
الأركان فهو مصل
جاف ومن أتاهها كما
وصف فهو مصل وواف.
وقد ورد عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« إذا قام العبد إلى
الصلاة المكتوبة مقبلا
على الله بقلبه وحمه
ويعصر انصرف من
صلاته وقد خرج من
ذنوبه ك يوم ولدته أمه
وإن الله يغفر بصل الوجه
خطيئة أصابها وبصل
يديه خطيئة أصابها
وبصل رجليه خطيئة

وما أمسك عن قنص . وقيل لبعض الحكماء : أي شيء أسر للعامل وأيا شيء أعون على دفع الحزن؟
 فقال أسرها إليه ما قدم من صالح العمل وأعونها له على دفع الحزن الرضا بجمود القضاء . وقيل لبعض
 الحكماء : وجدت أطول الناس غما الحسود وأهناهم عيشا القنوع وأصبرهم على الأذى الحريص إذا
 طمع وأخفهم عيشا أرضهم للدينا وأعظمهم ندامة العالم القرط وفي ذلك قيل :
 أرفه يال فتى أسمى على ثقة إن الذي قسم الأرزاق يرزقه
 فالعرض منه مصون لا يدنسهُ والوجه منه جديد ليس يثقله
 إن القناعة من محلل بساحتها لم يبق في دهره شيئا يؤرقه
 وقد قيل أيضا :

حتى متى أنا في حلّ وترحال وطول سعي وإدبار وإقبال
 وتنازع الدار لا أنفك متربيا عن الأجنحة لا يدرون ما حال
 بمشرق الأرض طورا ثم مغربا لا يخطر للوئ من حرص على بالي
 ولو قمت أنا في الرزق في دعة إن القنوع التي لا كثرة المال

وقال عمر رضي الله عنه : ألا أخبركم بما استدل من مال الله تعالى حلتان لفتاوى وقبضى وما يسمى
 من الظاهر لحصى وعمرتى وقوتى بعد ذلك كفوت رجل من فريش لست بأرغمهم ولا بأوضهم
 فوالله ما أدري أجل ذلك أم لا كأنه شك في أن هذا التدر هل هو زيادة على الكفاية التي تجب
 القناعة بها . وعاب أعرابي أخاه على الحرس فقال يا أخي أنت طالب ومطلوب يطلبك من لاغوته
 وتطلب أنت ما قد كفيته وكان ما غاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد قلت عنه كأنك يا أخي
 لم تر حرصا محروما وزاهدا مرزوقا ، وفي ذلك قيل :

أراك يزيدك الإترأ حرصا على الدنيا كأنك لا تحسوت
 فهل لك غاية إن صرت يوما إليها قلت حسبي قد رضى

وقال الشعبي حكى أن رجلا صاد قنبرة فقالت ما تريد أن تصنع بي ؟ قال أذبحك وآكلك قالت والله
 ما أشقى من قرم ولا أشبع من جوع ولكن أعليك ثلاث خصال هي خير لك من أكلتي ، أما واحدة
 فأعليك وأنا في يدك وأما الثانية فإذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فإذا صرت على الجبل فانهات
 الأولى قالت : لاتلهفن على ما فاكنا غللا فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن
 بما لا يكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقي لو بمنعني لأخرجت من حوصاني
 درتين زنة كل درة عشرون مثقالا قال فعص على شنته وتلفى وقال هات الثالثة قالت أنت
 قد نسيت الثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لاتلهفن على ما فاكنا ولا تصدقن بما لا يكون
 أنا لحى ودعى ورشى لا يكون عشرون مثقالا فكيف يكون في حوصلي درتان كل واحدة عشرون
 مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لقرط طمع الأدنى فانه يحبه عن ذلك الحق حتى يقدر
 ما لا يكون أنه يكون . وقال ابن السكك : إن الرجاء جبل في قلبك وقيد في رجلك فأخرج الرجاء
 من قلبك يخرج القيد من رجلك . وقال أبو محمد الزيدى : دخلت على الرعيد فوجدته ينظر في
 ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رأى تبسم قلت فائدة أصح الله أمير المؤمنين قال نعم وجدت هذين
 البيتين في بعض خزائن بني أمية فاستحسنتهما وقد أصفتهما إليهما ثالثا وأنشدني :

إذا صدّ باب عنك من دون حاجة فدعه لا تخشى ينفعك لك إياها
 فإن قرباب البطن يكفيك ملؤه ويكفيك سواك الأمور اجتنابها

أصاها حتى يدخل في
 صلاته وليس عليه
 وزر . وذكرت السرفة
 عند رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 فقال أي السرفة أقيح
 فقالوا الله ورسوله أعلم
 فقال إن أقيح السرفة
 أن يسرق الرجل من
 صلاته قالوا كيف يسرق
 الرجل من صلاته ؟
 قال لا يهر كوعها ولا
 سجودها ولا خشوعها
 ولا القراءة فيها .
 وروى عن أبي عمرو بن
 العلاء أنه قرأ للإمامة
 فقال لا أصلح فلما ألحوا
 عليه كبر فنتى عليه
 قدّموا إماما آخر فلما
 أفاق سئل فقال لما
 قلت استووا هتف بي
 هاتف هل استويت
 أنت مع الله قط . وقال
 عليه السلام وإن العبد

ولذلك ميذا لمرضك واجتنب ركوب للعاصي يجتذب عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد إذ وعوها ونة لوها قال الطمع وشبهه النفس وطلب الحوائج . وقال رجل للفقيه فسر لي قول كعب قال يطعم الرجل في الشيء يطلعه يذهب عليه دينه وأما الشراء فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب أن يفوتها شيء ويكون لك إلى هذا حاجة وإلى هذا حاجة فإذا قضاها لك خرم أنك وقدك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حبك للدنيا سلت عليه إذا مرتت به وعدته إذا مرض لم تسلم عليه له عز وجل ولم تصدقه فلو لم يكن لك إليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان عن فلان . قال بعض الحكماء : من عجب أمر الإنسان أنه لو نودي بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال . وقال عبد الواحد بن زيد : مرتت براهب فقلت له من أين تأكل ؟ قال من يدير اللطيف الحبيب الذي خلق الرعا يأتها بالطين وأومأ بيده إلى رعا أضراسه فسبحان القدير الحبيب .

(بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتب به صفة القناعة)

اعلم أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان : الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة أمور : الأول وهو العمل ، الاقتصاد في العيشة والرفق في الاتفاق فمن أراد عز القناعة فينبغي أن يسد عن نفسه أبواب الخروج ما أمكنه ويرد نفسه إلى ما لا بد له منه فمن كثر خرجه واتسع إنفاقه لم تمكنه القناعة بل إن كان وحده فينبغي أن يقنع بثوب واحد خشن ويقنع بأى طعام كان ويقتل من الإدام ما أمكنه ويوطن نفسه عليه وإن كان له عيال فيرد كل واحد إلى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر بأدنى جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب والاقتصاد في العيشة وهو الأصل في القناعة ونعني به الرفق في الإنفاق وترك الحرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الرفق في الأمر كله ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما عال من اقتصد ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث منجات : خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب ^(٣) » وروى أن رجلا أبصر أبا الدرداء يلتقط حبا من الأرض وهو يقول : إن من قتهلك رفقتك في معيشتك وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم « الاقتصاد وحسن السمع والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة ^(٤) » وفي الخبر « التدبير نصف العيشة ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « من اقتصد أغناه الله ومن بذر أقراه الله ومن ذكر الله عز وجل

(١) حديث إن الله يحب الرفق في الأمر كله متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم (٢) حديث ما عال من اقتصد أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود ورواه من حديث ابن عباس لفظ مقتصد (٣) حديث ثلاث منجات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الغضب والبرار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث ابن عباس الاقتصاد وحسن السمع والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة أبو داود من حديث ابن عباس مع تقديم وتأخير وقال السمع الصالح وقال من خمسة وعشرين ورواه الترمذي وحسنه من حديث عبد الله بن سرجس وقال التؤدة بدل الهدى الصالح وقال من أربعة (٥) حديث التدبير نصف العيشة رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وفيه خلل بن عيسى جره العقيل ووثقه ابن معين

إذا أحسن الوضوء
وصلّى الصلاة لوقتها
وحافظ على ركوعها
وسجودها ومواقيتها
قالت حفظك الله كما
حفظني ثم صعدت ولها
نور حتى تنتهى إلى
الباء وحتى تصل إلى
الله فتشفع لصاحبها
وإذا أماعها قالت
صيمك الله كما صيمتني
ثم صعدت ولها ظلة
حتى تنتهى إلى أبواب
الباء فتلقا دونها ثم
تلف كما تلف الثوب
الحلق فيضرب بها
وجه صاحبها « وقال
أبو سليمان الداراني إذا
وقف العبد في الصلاة
يقول الله تعالى ارفعوا
الحجب فإني بين وبين
عبيدي فإذا التفت
يقول الله أرخواها فإني
بين وبينه وخلوا

أحب الله ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أردت أمرا فليكن قلبك على الله حتى يجعل الله لك فرجا وخرجاً » ^(٢) والتؤدة في الانشاق من أهم الأمور ، الثاني أنه إذا تسير له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي أن يكون هديدا واضطراب لأجل المستقبل وبينه على ذلك قصر الأمل والتحقق بأن الرزق الذي قدر له لابد وأن يأتيه . وإن لم يشتد حرصه فازدأ الحرص ليست هي السبيل لوصول الرزاق بل ينبغي أن يكون وثاقا ، وبعد الله تعالى إذا قال عز وجل - وما من دابة في الأرض إلا على إغز رقها فسوف كأن الشيطان يمد يده الفقر ويأمرك بالفقراء ، ويقول إن لم تحصر على الجمع والادخار فخرجت عما ضرورت به عاجز وتحتاج إلى احتيال القدر في المآل فلا يزال طول العمر يتبعه في الطلب خوفا من الحب وضحك عليه في احتياله الحب قدما مع الفاقة عن الله لئلا يفتقر في ثبات الحال وربما لا يكون . وفي مله قيل :

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فاكى فضل الفقر

وقد دخل ابن خال علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما « لا تأيسا من الرزق ما نهزوت ردوسكما فان الانسان ثلثه أنه أحمق ليس عليه قشر ثم يبرقه الله تعالى ^(٣) » ومرو رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن مسعود وهو حزين فقال له « لا تسكر همك ما قدر ريكين وما ترقى بأك ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أيها الناس أجمعوا في الطلب فانه ليس لبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راحة ^(٥) » ولا تفك الانسان عن الحرص إلا بحسن تقته بتدبير الله تعالى في تقدير أرزاق العباد وأن ذلك يحصل لاجل الجمع الإجمالي في الطلب بل ينبغي أن يعلم أن رزق الله للبدن من حيث لا يحتسب أكثر قال الله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب - فإذا اتسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي أن يضطر قلبه لأجله . وقال صلى الله عليه وسلم « أي الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب ^(٦) » وقال سفيان اتق الله فما رأيت تقيا يحتاج إلى لا يتراكم التي قدما لضرورته بل يتق الله في قلوب المسلمين أن يوصلوا إليه رزقه ، وقال للفضل الضبي قلت لأعرابي من أين معاشك قال نذر الحراج قلت زادنا هذا وانكسر وقال لو لم ينش إلا من الأمن حيث ندرى لم نعيش . وقال أبو حازم رضي الله عنه وجدت الدنيا شين شيئا منها هو لي فاني أحمله قبل وقته ولو طلبته بقوة السموات والأرض وشيئا منها هو لغيري فلذلك لم أله فيها مضى فلا أرجوه غيا . يقي يمنع الذي لغيري متى كما يمنع الذي لي من غيري في أي هذين أفني عمري فهذا دواء من جهة المعرفة لابد منه لدفع تخويف الشيطان وإنذاره بالفقر . الثالث أن يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الحرص والطعم من الدال فاذا غنق عند ذلك ابتعت رغبة إلى القناعة لأنه

(١) حدث من اقتصد أغناه الله الحديث الزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله ومن ذكر الله أحبه الله وشيخه فيه عمران بن هارون البصري قال الذهبي شيخ لا يعرف حاله أتى بخبر منكرو أي هذا الحديث ولأحمد وأبي يعلى في حديث لأبي سعيد ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله .

(٢) حديث إذا أردت أمرا فليكن قلبك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا وخرجاً رواه ابن المبارك في البر والصلة وقد تقدم (٣) حديث لا تأيسا من الرزق ما نهزوت ردوسكما الحديث ابن ماجه من حديث حبة وسواء ابن خالده . وقد تقدم (٤) حديث لا تسكر همك ما قدر ريكين وما ترقى بأك لأنه لا ين مسعود أبو نعيم من حديث خالد بن رافع وقد اختلف في صحته ورواه الأصفهاني في الترهيب والترهيم من رواية مالك بن عمرو للمافري مرسل (٥) حديث ألا أيها الناس أجمعوا في الطلب الحديث تقدم قبل هذا بزيادة بشر حديث (٦) حديث أبي الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب ابن حبان في الضعفاء من حديث علي بن أسناد واه ورواه ابن الجوزي في الموضوعات .

عسدي وما اختار لنفسه . وقال أبو بكر الوراق ربما أصلى ركعتين فأصرف منهما وأنا استحي من الله حياء رجل أنصرف من الزنا قوله هذا لعظيم الأرب عنده ومعرفة كل إنسان بأدب الصلاة على قدر حظه من القرب . وقيل لموسى بن جعفر إن الناس أقصدوا عليك الصلاة بعمرهم بين يدك قال إن الذي أصلى له أقرب إلى من الذي يعشى بين يدي وقيل كان زين العابدين على بن الحسين رضي الله عنهما إذا أراد أن يخرج إلى الصلاة لا يعرف من تقبلونه فيقال له في ذلك يقول أتدرون بين يدي

في الحرص لا يخلو من ثقب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في القناعة إلا ألم الصبر عن الشهوات والفتور وهذا ألم لا يطلع عليه أحد إلا الله وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف إليه نظر الناس وفيه الربال ولأنهم ثم بنوته عز النفس والقدرة على متاجرة الحق فإن من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته إلى الناس فلا يمكنه دعوتهم إلى الحق ويبرزه المداخلة وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ريكب العقل ناقص الإيمان قال صلى الله عليه وسلم « عز المؤمن استخاؤه عن الناس ^(١) » ففي القناعة الحرية والعز ، ولذلك قيل استغن عن شئت تكن نظيره واحتج إلى من شئت تكن أسيره وأحسن إلى من شئت تكن أميره . الرابع أن يكثر تأمل في تتم الجود والصدارة وأراذل الناس والحق من الأكراد والأعراب الأجلاف ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء والأولياء وإلى صمت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمع أحاديثهم ويطالع أحوالهم ويغير عقله بين أن يكون على مشابهة أراذل الناس أو على الاقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على العنت والسك والفتنة بالسيرة فإنه إن تتم في البطن الحمار أكرأ كلاله منه وإن تتم في الواقع فالخزير أظن رتبة منه وإن ترين في اللبس والجلب في اليهود ومن هو أظن زينة منه وإن قنع بالقليل ورضى به لم يساهم في رتبته إلا الأنبياء والأولياء . الخامس أن يهتم بما جمع السالدين الخطر كما ذكرنا في آفات السال ومافي من خوف السرقة والنهب والضياع ومافي خلوايدين الأمن والفرار ويتأمل ما ذكرناه في آفات السال مع ما يهتونه من المدافعة باب الجنة فإنه إذا لم يفتح ما يفتقه الحق بزمرة الأغنياء وأخرج من جريدة الفقراء وبثم ذلك بأن ينظر أبدا إلى من دونه في الدنيا لا إلى من فوته فإن الشيطان أبدا يصرف نظره في الدنيا إلى من فوته فيقول لم تفتح عن الطلب أرباب الأموال يتمتعون في الطعام وللألبس ويصرف نظره في الدين إلى من دونه فيقول ولم تقبض على نفسك وتخاف الله وفلان أعز منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتمتع فلم يزد أن تتهرب عنهم . قال أبو ذر أوصاني خليلي صلوات الله عليه أن أنظر إلى من هو دوني لا إلى من هو فوق ^(٢) أي في الدنيا . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في السال والحق فليُنظر إلى من هو أسفل منه بمن فضل عليه ^(٣) » فبهذه الأمور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الأمر الصبر وقصر الأمل وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام قلائل لتنتع منها طويلا فيكون كل مريض الذي يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء .

(بيان فضيلة السخاء)

اعلم أن السال إن كان مققودا فينبغي أن يكون حال البعد القناعة وقلة الحرص وإن كان موجودا فينبغي أن يكون حال الإثراء والسخاء واسطناع للمعروف والتباعد عن الشح والبخل فإن السخاء من أخلاق الأنبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول النجاة ، وعنه عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال « السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية إلى الأرض فمن أخذ بعض منها قاده ذلك

(١) حديث عز المؤمنين استخاؤه عن الناس الطبراني في الأوسط والحاكم وصححه إسناده وأبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية من حديث سهل بن سعد أن جبريل قاله للنبي صلى الله عليه وسلم في أثناء حديث وفيه زفر بن ساهان عن محمد بن عبيدة وكلاهما يختلف فيه وجهه القضاعي في مسند الشهاب من قول النبي صلى الله عليه وسلم (٢) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر لمن هو فوق أحمد وابن حبان في أثناء حديث وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في السال والحق فليُنظر إلى من هو أسفل منه بمن فضل عليه متفق عليه وقد تقدم

من أريد أن أقف .
وروى عمار بن ياسر
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال
« لا يكتب للعبد من
صلاته إلا ما يقتل » وقد
ورد في السقط آخر
« منكم من يصلي
البصاة كاملة ومنكم
من يصلي النصف
والثالث والرابع والخمس
حتى يبلغ العشر » قال
الحواص بنبيس فرجل
أن يسوي نوافله
لنقصان فرائضه فإن
لم ينوها لم يحسب له
منا شيء . بلنا أن الله
لا يقبل نافعة حق
تؤدي فريضة يقول
الله تعالى : مثلكم كل
البعد السوء بدأ
بالهدية قبل قضاء
الدين ، وقال أيضا
اشطع الحقن عن الله

النصن إلى الجنة (١) » وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى إن ههنا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموا بهما ما استعظمتم (٢) » وفي رواية « فأكرموا بهما ما صحبتموه » وعن عائشة الصديقة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جبل الله تعالى وليا له إلا على حسن الخلق والسخاء (٣) » وعن جابر قال « قيل يا رسول الله أى الأعمال أفضل ؟ قال الصبر والباحة (٤) » وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان ينفضهما الله عز وجل فأما اللذان يحبهما الله تعالى حسن الخلق والسخاء وأما اللذان ينفضهما الله فسوء الخلق والبخل وإذا أراد الله بعبده خيرا استعمله فى قضاء حوائج الناس (٥) » وروى للقدام بن شريح عن أبيه عن جده قال « قلت يا رسول الله دلتى على عمل يدخلنى الجنة قال إن من موجبات للجنة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام (٦) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السخاء شجرة فى الجنة فمن كان سخيّا أخذ بنسب منها فلم يترك ذلك النصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة فى النار فمن كان شحيحا أخذ بنسب من أغصانها فلم يترك ذلك النصن حتى يدخله النار (٧) » وقال أبو سعيد الخدرى قال النبى صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحمان عبادى تمسحوا فى أكفهم فاني جعلت فيه رحمتى ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيه سخطى (٨) »

(١) حديث السخاء شجرة فى الجنة الحديث ابن حبان فى الضعفاء من حديث عائشة وابن عدى والمدار قطفى فى الاستجداد من حديث أبي هريرة وسياق بعده وأبو نمير من حديث جابر وكلاهما ضعيف ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات من حديثهم ومن حديث الحسين وأبو سعيد (٢) حديث جابر مرفوعا حكاية عن جبريل عن الله تعالى إن هذا دين رضىته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق الدار قطفى فى الاستجداد وقد تقدم (٣) حديث عائشة ما جبل الله تعالى وليا له إلا على السخاء وحسن الخلق الدار قطفى فى الاستجداد دون قوله وحسن الخلق بسند ضعيف ومن طريقه ابن الجوزى فى الموضوعات وذكره بهذه الزيادة ابن عدى من رواية بقة عن يوسف بن أبى السفر عن الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة ويوسف ضعيف جدا (٤) حديث جابر أى الإيمان أفضل قال الصبر والباحة أبو يعلى وابن حبان فى الضعفاء بلفظ سئل عن الإيمان وفيه يوسف بن محمد بن الشكدر ضعفه الجمهور ورواه أحمد من حديث عائشة وعمر بن عتبة بلفظ ما الإيمان قال الصبر والباحة وفيه شبر بن حوشب ورواه البيهقى فى الزهد بلفظ أى الأعمال أفضل قال الصبر والباحة وحسن الخلق وإسناده صحيح (٥) حديث عبد الله بن عمرو خاتمان يحبهما الله وخلقان ينفضهما الله فأما اللذان يحبهما الله فحسن الخلق والسخاء الحديث أبو منصور الديلمى دون قول فى آخره وإذا أراد الله بعبده خيرا وقال فيه الشجاعة بدل حسن الخلق وفيه محمد بن يونس الكديمى كذب أبو داود وموسى ابن هارون وغيرهما ووثقه الخطيب وروى الأصفهاني جميع الحديث موقوفا على عبد الله بن عمرو وروى الديلمى أيضا من حديث أنس إذا أراد الله بعبده خيرا صبر حوائج الناس إليه وفيه يحيى بن شبيب ضعفه ابن حبان (٦) حديث القدام بن شريح عن أبيه عن جده إن من موجبات للجنة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام الطبراني بلفظ بذل السلام وحسن الكلام وفى رواية له بوجوب الجنة لإطعام الطعام وإفشاء السلام وفى رواية له عليك بحسن الكلام وبذل الطعام (٧) حديث أبى هريرة السخاء شجرة فى الجنة الحديث وفيه والشح شجرة فى النار الحديث الدار قطفى فى الاستجداد وفيه عبد العزيز بن عمران الزهري ضعيف جدا (٨) حديث أبى سعيد يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحمان من مبادئ تمسحوا فى أكفهم الحديث ابن حبان فى الضعفاء والخراطى فى مكارم الأخلاق والطبراني

تعالى بمحبتتين
إحداهما أهم طلبوا
الزواجر وضربوا
القراض والثانية
أنهم عملوا أعمالا
بالظاهر ولم يأخذوا
أنفسهم بالصدق فيها
والصدق لما ولى الله
تعالى أن يقبل من عامل
عملا إلا بالصدق وإصابة
الحق وفتح العين فى
الصلواة أولى من
ضمض العين إلا أن
يشقت هم بتفريق
النظر فيمض العين
للاستعانة على الحشوع
وإن تشاء فى الصلاة
يضم شفثية بقدر
الامكان ولا يلقى دقة
صدره ولا يزاحم فى
الصلواة غيره قيل ذهب
للزحوم صلاة المزاحم
وقيل من ترك الصف
الأول عفاة أن يضيق

ومن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تجافوا عن ذنب السخي فإن الله أخذنيده كما عثر^(١)» وقال ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم «الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعر وإن الله تعالى ليأهي عظم الطعام للأنفة عليهم السلام^(٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله جواد يحب الجود ويحب مكارم الأخلاق ويكره سفاسفها^(٣)» وقال أنس «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل على الإسلام شيئا إلا أعطاه وأما رجل فسأله فأمره بشيء كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع إلى قومه فقال يا قوم أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفاقة^(٤)» وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم «إن لله عبادا يخصهم بالمع لثامع الباطل يغفل تلك النافع على العباد تغلبا الله تعالى عنه وحوّلها إلى غيره^(٥)» وعن الهلال قال «أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسرى من بني النضير فأمر يقتلهم وأفرد منهم رجلا فقال طي بن أبي طالب كرم الله وجهه يارسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فبال هذا من بينهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم نزل على جبريل فقال اقتل هؤلاء وأترك هذا فإن الله تعالى شكره سخاء فيه^(٦)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن لكل شيء ثمرة وثمرته للعرف تمجيد السراح^(٧)» وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «طعام الجواد دواء وطعام البخل داء^(٨)» وقال صلى الله عليه وسلم

في الأوسط وفي محمد بن مروان السدي الصغير ضيف ورواه العقيلي في الضعفاء لحقه عبد الرحمن السدي وقال إنه مجهول وتابع محمد بن مروان السدي عليه عبد الملك بن الخطاب وقد غمز ابن القطان وتابيه عليه عبد التفار بن الحسن بن دينار قال فيه أبو حاتم لأبأس بعديته وتكلم فيه الجوزجاني والأزدى ورواه الحاكم من حديث طي وقال إنه صحيح الاستاد وليس كقائل^(٩) حديث ابن عباس تجافوا عن ذنب السخي فإن الله أخذنيده كما عثر الطيراني في الأوسط والحرطاني في مكارم الأخلاق . وقال الحرطاني أقبوا السخي زنته وفيه لث بن أبي سليم مختلف فيه ورواه الطبراني فيه وأبو نعيم من حديث ابن مسعود نحوه بإسناد ضعيف ورواه ابن الجوزي في اللوؤعات من طريق الدار قطنى^(١٠) حديث ابن مسعود الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعر الحديث لم أجده من حديث ابن مسعود ورواه ابن ماجه من حديث أنس ومن حديث ابن عباس بلفظ الخبر أسرع إلى البيت الذي يتشى وفي حديث ابن عباس يؤكل فيمن الشفرة إلى سنم البعر ولأبي الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر الرزق إلى أهل البيت الذي فيه السخاء الحديث وكلها ضعيفة (٣) حديث إن الله جواد يحب الجود ويحب مكارم الأمور ويكره سفاسفها الحرطاني في مكارم الأخلاق من حديث طلحة بن عبيد الله بن كرز وهذا مرسل ولا طبراني في الكبير والأوسط والحاكم البهتي من حديث سهل بن سعد إن الله كرم يحب الكرم ويحب مكارم الأمور وفي الكبير والبيهقي تعالى الأخلاق الحديث وإسناده صحيح وتقدم آخر الحديث في أخلاق النبوة (٤) حديث أنس لم يسأل على الإسلام شيئا إلا أعطاه فأما رجل فسأله فأمره بشيء كثير بين جبلين الحديث مسلم وتقدم في أخلاق النبوة (٥) حديث ابن عمر إن لله عبادا يخصهم بالمع لثامع الباطل يغفل تلك النافع على العباد تغلبا الله تعالى عنه وحوّلها إلى غيره (٦) حديث الهلال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسرى من بني النضير فأمر يقتلهم وأفرد منهم رجلا الحديث وفيه فإن الله شكره سخاء فيه لم أجده أصلا (٧) حديث إن لكل شيء ثمرة وثمرته للعرف تمجيد السراح لم أقف له على أصل (٨) حديث نافع عن ابن عمر طعام الجواد دواء وطعام البخل داء ابن عدى والدار قطنى في غرائب مالك وأبو علي الصدقي في عوالي وقال رجاله

على أهله تمام في الثاني
أعطاه الله مثل ثواب
الصف الأول من غير
أن ينقص من أجورهم
شيء . وقيل إن إبراهيم
الحليل عليه السلام
كان إذا قام إلى الصلاة
يسمع خفقان قلبه
من ميل . وروى
عائشة رضى الله عنها
أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يسمع
من صدره أزيز كأزيز
الرجل حتى كان يسمع
في بعض سكك المدينة.
ومثل الجنيذ عافضة
الصلاة ؟ قال قطع
الملائق وجمع المم
والحضور بين يدى الله
وقال الحسن ماذا يمز
عليك من أمر دينك
إذا هانت عليك
صلائك . وقيل أوحى
الله تعالى إلى بعض

« من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه ^(١) » فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة الزوال . وقال عيسى عليه السلام : استكثروا من شيء لا تأكله النار قبل وما هو قال للمروف . وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ « الجنة دار الأسخياء ^(٢) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وإن البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي أحب إلى الله من عالم غيبل وأدوأ الداء البخل ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « اصنع العروف إلى من هو أهله وإلى من ليس بأهله فإن أصبت أهله قد أصبت أهلها وإن لم تصب أهله فأنت من أهله ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الأئسي وسلامة الصدور والنصح للسلين ^(٥) » وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل جل للعروف وجوها من خلقه حب إليهم للمروف وجب إليهم فله وجه طلاب للمروف إليهم ويسر عليهم إعطائه كما يسر التيت إلى البلدة الجدي فيحيها ويحيي أهلها ^(٦) » وقال ﷺ « كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة وما يوق به الرجل عرسته فهو له صدقة وما أنفق الرجل من نفقة ففعل الله خلقها ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب إغاثة الملهان ^(٨) » وقال صلى الله عليه وسلم

تقات أمة قال ابن النطان وإنيهم لمشاهير تقات إلا مقدم ابن داود فإن أهل مصر تتكلموا فيه .
 (١) حديث من عظمت نعمة الله عليه عظمت مؤنة الناس عليه ابن عدي وابن جبان في الضعفاء .
 من حديث معاذ بن جبل ما عظم نعمة الله على عبد إلا ذكره وفيه أحمد بن مهران قال أبو حاتم مجهول الحديث باطل ورواه الخرائطي في مكالم الأخلاق من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيه جليس ابن محمد أحد التروكين ورواه العقيلي من حديث ابن عباس قال ابن عدي يروي من وجوه كلها غير محفوظة (٢) حديث عائشة الجنة دار الأسخياء ابن عدي والداد قطني في السجادة والخرائطى قل الدار قطني لا يصح ومن طريقه رواه ابن الجوزي في الموضوعات . وقال الذهبي حديث منكر ما آفته سوى جندر . قلت رواه الدار قطني فيه من طريق آخر وفيه محمد بن الوليد القفري وهو ضعيف جدا (٣) حديث أبي هريرة إن السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة الحديث الترمذي وقال غريب ولم يذكر فيه وأدوأ الداء البخل ورواه بهذا الزيادة الدار قطني فيه (٤) حديث اصنع العروف إلى أهله وإلى من ليس من أهله الدار قطني في السجادة من رواية جعفر ابن محمد عن أبيه عن جده مرسل وقد تم في آداب المشقة (٥) حديث ابن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الأئسي الحديث الدار قطني في السجادة وأبو بكر بن لال في مكالم الأخلاق من حديث أنس وفيه محمد بن عبد العزيز الديوري أورد ابن عدي له منكر وفي الميزان إنه ضعيف منكر الخرائطي في مكالم الأخلاق من حديث أبي سعيد نحوه وفي صالح للرى متكلم فيه (٦) حديث أبي سعيد إن الله جل للعروف وجوها من خلقه حب إليهم للمروف الحديث الدار قطني في السجادة من رواية أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه الحاكم من حديث علي وصححه (٧) حديث كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة الحديث ابن عدي والداد قطني في السجادة والخرائطى في الشعب من حديث جابر وفيه عبد الحميد بن الحسن الهلال وفيه ابن معين وضعفه الجوهري والجليلة الأروى منه عند البخاري من حديث جابر وعند مسلم من حديث حذيفة (٨) حديث كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله

الأنياء قال إذا دخلت الصلاة فبهل من قلبك الخسوع ومن بدلك الخسوع ومن عنيك النموع فاق قريب . وقال أبو الحارث الأنطع رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله أوصني فقال « يا أبا الحارث عليك بالصلاة فاني استوصيت ربي فأوصاني بالصلاة وقال لي إن أرب ما أكون منك وأنت تمل » .
 وقال ابن عباس رضي الله عنهما ركعتان في تفكير خير من قيام ليلة . وقيل إن محمد ابن يوسف الرافعي رأى حاتميا الأصم واقفا يسط الناس فقال له يا حاتم أراك تخط

« كل معروف فعلته إلى غنى أو فقير صدقة » (١) وروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام لا تختل السامري فإنه سخي وقال جابر « بث رسول الله صلى الله عليه وسلم بثنا عليهم قيس بن سعد ابن عبادة فبهدها فخر لهم قيس تسع ركائب فحدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم إن الجود لمن شيعة أهل ذلك البيت » (٢) . الآثار : قال على كرم الله وجهه إذا أقبلت عليه الدنيا فأشفق منها فاتها لا تضي وإذا أدبرت عنك فأشفق منها فاتها لا تبتق وأشد :

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة فليس ينقصها التبذر والترف
وإن تولت فأحرى أن يجودها فاجده منها إذا ما أدبرت خلف

وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الرومة والتجدة والكرم فقال أما الرومة فخط الرجل دينه وحفره نفسه وحسن قيامه بنفسه وحبس للنازعة والادخام في السكرية . وأما التجدة فالدب عن الجار والصبر في اللواطن وأما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والإعطاء في المحل والرافع السائل مع بدل النائل . ورفع رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقة فقال حاجتك مقبلة فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقتي ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يا بني الله عز وجل عن ذلك فقامه بين يدي حتى أقرأ رقتي . وقال ابن السكيت هببت لمن يشتري للمالك بقاله ولا يشتري للأحرار بمعروفه . وسئل بعض الأعراب من سيدكم فقال من احتل همتنا وأعطى ما لئنا وأغنى عن جاهلنا .

وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما من وصف يدل ماله لطلائع يكن سخيا وإنما السخي من يتدنى بحق الله تعالى في أهل طاعته ولا تنازع نفسه إلى حب الشكر له إذا كان يتيه بواب الله تاما . وقيل للحسن البصري ما السخاء ؟ قال أن تجود بمالك في الله عز وجل قبل ما الحرم ؟ قال أن تمنع ماله فيك قبل ما الأسراف ؟ قال الاتفاق لحب الرياسة . وقال جعفر الصادق رحمه الله عليه لا مال أعون من العقل ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا مظاهره كالمشاورة إلا وأن الله عز وجل يقول : إن جواد كرم لا يجاورني ثليم والثاؤم من السكر وأهل السكر في النار والجود والكرم من الإيمان وأهل الإيمان في الجنة . وقال حذيفة رضي الله عنه غريب فاجر في دينه أخرى في معيشته يدخل الجنة بساخته . وروى أن الأنصف بن قيس رأى رجلا في يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي قال أما إنه ليس لك حتى يخرج من يدك وفي مناه قيل : أنت لعمري إذا أسكته فإذا أنفقت فإلما لك

وصي واصل بن عطاء الفزالي لأنه كان يجلس إلى الفزاليين فإذا رأى امرأة ضيفة أعطاها عايشا . وقال الأصمعي كتب الحسن بن علي إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما يسئله عليه في إعطاء الشعر . فكتب إليه خير للمال ما وقى به العرض . وقيل لسفيان بن عيينة ما السخاء قال السخاء البر الإخوان والجود بالمال . قال وورث أبي حسين ألف درهم فبث بها صررا إلى إخوانه . وقال قد كنت

والله حب إكافة الهمان الدار قطفي في السخاء من رواية الحاجب بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده والحجاج ضيف وقد جاء مغفرا فالجدة الأولى خدمت قبله والجليلة الثانية خدمت في العلم من حديث أنس وغيره والجليلة الثالثة رواها أبو بلى من حديث أنس أيضا وفيها زيادة الجبري ضيف

(١) حديث كل معروف فعلته إلى غنى أو فقير صدقة الدار قطفي فيه من حديث أبي سعيد وجابر والطبراني والحراطي كلاما في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود وابن منيع من حديث ابن عمر بسنادين ضيفين (٢) حديث جابر بث رسول الله صلى الله عليه وسلم بثنا عليهم قيس بن سعد ابن عبادة فبهدها فخر لهم الحديث وفيه قال إن الجود لمن شيعة أهل ذلك البيت الدار قطفي فيه من رواية أبي حمزة الجبري عن جابر ولا يعرف اسمه ولا حاله .

لثلاثي الحسن بن علي
تصل فقال نعم كيف
تصل ؟ قال اليوم الأمر
وأشئ بالحشة
وأدخل بالحشة وأكبر
بالعطة وأقرأ بالتزويل
وأركب بالحشوع
وأسجد بالتواضع
وأقعد للتشهد بالتمام
وأسلم على السنة
وأسلها إلى ربي
وأحفظها أمام حياتي
وأرجع بالوهم على نفسي
وأخاف أن لا تهبل
معي وأرجو أن تهبل
معي وأنا بين الخوف
والرجاء وأشكر من
عافني وأعلمها من
سألتني وأحذر من يذ
هداني قال محمد بن
يوسف مثلك يصلح
أن يكون واعظا وقوه
تعالى - لا تخربوا
الصلاة وأتم سكرى -

أسأل الله تعالى لأخواني الجنة في صلاتي فأعجل عليهم بالمال . وقال الحسن بذل المجهود في بذل الوجود منتهى الجود . وقيل لبعض الحكماء من أحب الناس إليك قال من كثرت أيادي عندي قيل فإن لم يكن قال من كثرت أيادي عنده . وقال عبد العزيز بن مروان إذا الرجل أسكنني من نفسه حتى أضح معروفني عنده فيده عندي مثل يدي عنده وقال الهذلي لثيب بن شبة كيف رأيت الناس في داري قد لا يأمر المؤمنين إن الرجل منهم ليدخل راجيا ويخرج راضيا ويثقل متمثل عند عبد الله بن جعفر فقال :

إن الصنيعة لا تصكون صنيعة حتى يصاب بها طريق للصنع
فاذا اصطفت صنيعة فاصمد بها لله أو تدوى القراية أودع

فقال عبد الله بن جعفر إن هذين البيتين ليخلان الناس ولكن أمطر المروف مطرا فان أصاب السكرام كانوا له أهلا وإن أصاب اللثام كنت له أهلا .

(حكايات الأسخياء)

عن محمد بن النكدر عن أم درة وكانت تخدم عائشة رضى الله عنها قالت إن معاوية بعث إليها بعال في غراريتين ثمانين ومائة ألف درهم فدعت ببطيخ فبصلت تقسمه بين الناس فلما أمت قالت بإجارية هلم فطوري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها أم درة ما استطعت فبما قسمت اليوم أن تشتري لنا بذرهم لما تقطر عليه فقالت لو كنت ذكرتيني لعلت . وعن أبان بن عثمان قال أراد رجل أن يضار عبد الله بن عباس فأتى وجوه قريش فقال يقول لكم عبد الله تتدولوا عندي اليوم فأتوه حتى ملأوا عليه الدار فقال ماهذا فأخبر الخبر فأمر عبد الله بشراء فاكهة وأمر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت الفاكهة إليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الواقد فأكلوا حتى صدروا وقال عبد الله لوكلاهم أو وجود لنا هذا كل يوم قالوا نعم قال فلينفذ عندنا هؤلاء في كل يوم . وقال مصعب بن الزبير حج معاوية فلما انصرف مر بالديرة فقال الحسين بن علي لأخيه الحسن لائقه ولا تسلم عليه فلما خرج معاوية قال الحسن إن علينا دينا فلا بد لنا من إتيانه فركب في آثره ولحقه فسلم عليه وأخبره بدينه ففروا عليه يبنخي عليه ثمانون ألف دينار وقد أعيا وتخلف عن الابل وقوم يسوقونه فقال معاوية ماهذا قد ذكر له فقال اصرفوه بما عليه إلى أبي محمد . وعن واقد بن محمد الواقدي قال حدثني أبي أنه رفع رقعة إلى المأمون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المأمون على ظهر رقعته إنك رجل اجتمع فيك خصلتان السخاء والحياء فأما السخاء فهو الذي أطلق ما في يديك وأما الحياء فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما أنت عليه وقد أمرت لك بمائة ألف درهم فإن كنت قد أصبت فازد في بسط يدك وإن لم تكن قد أصبت فجنابتك على نفسك وأنت حدثني وكنت على قضاء الرشيد عن محمد بن اسحق عن الزهري عن أنس « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير بن العوام يا زبير اعلم أن مفاتيح أرزاق العباد بإزاء العرش يبعث الله عن وجل إلى كل عبد بقدر ثقته فمن كثرت له ومن قل قل له وأنت اعلم » قال الواقدي فوالله لقد أكره المأمون إلي أبي الحديث أحب إلى من الجزأة وهي مائة ألف درهم . وسأل رجل الحسن بن علي رضى الله عنه ما حجة فقال له يا هذا حتى سؤلك إلي يهظم لدى ومعرفي بما يجب لك تسكير على وبدي تمنع عن نيلك بما أنت أهله والكثير في ذات الله تعالى قليل وما في ملكي وفاء لشركك فإن قبلت البيور ورفضت

(١) حدث أنس يابيزر اعلم أن مفاتيح أرزاق العباد بإزاء العرش الحديث وفي أوله تضمنت المأمون الدار تطفي فيه وفي إسناده الواقدي عن محمد بن اسحق عن الزهري بالبنية ولا يصح .

قيل من حب الدنيا
وقيل من الاهتمام وقال
عليه السلام « من صلى
وكثبن ولم يحدث
نفسه بشئ من الدنيا
غفر الله له ما تقدم من
ذنبه » وقال أيضا إن
الصلاة تسكن وتواضع
وتفزع وتادم وترفع
يديك وتقول : اللهم
اللهم فكن لا يفعل ذلك
فهو خداج « أي نافسة
وقد ورد أن المؤمن إذا
توسعا للصلاة تباعد
عنسه الشيطان في
أقطار الأرض خوفا منه
لأنه تاهب للدخول على
لللك فاذا كبر حجب
عنه إبليس قيل
يضرب بينه وبينه
سرادق لا ينظر إليه
وواجهه الجبار بوجهه
فاذا قال الله اكبر اطاع
لللك في قلبه فاذا لم

عن مؤنة الاحتمال والاهتمام لما أمسكفه من واجب حنك فقلت فقال يا ابن رسول الله أقبل وأمسك العطية وأعد رطل للنع فدعا الحسن يوكفه وجعل يحاسبه على ثقافته حتى استقصاها فقالها قال القل لمن الثالثة ألف درهم فأحضر حسين ألفا قال لما فقلت بالحباثة دينار قال على عندي قال أحضرها فأحضرها فدفع الدينارين والدرهم إلى الرجل وقال هات من محملها لك فأتاه بمالين فدفع إلى الحسن ردها له لكراه المحالين فقال له مواليه والله ما عندنا درهم فقال أرجوا أن يكون لي عند الله أجر عظيم. واجتمع قراء البصرة إلى ابن عباس وهو عامل بالبصرة فقالوا لتجار صوام قولم يتنى كل واحدنا أن يكون مثله وقد زوج بنته من ابن أخيه وهو قدير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم داره وفتح صندوقا فأخرج منه ست بطر فقال احملوا حملوا فقال ابن عباس ما أنصفناه أعطيناه ما يشفه عن قيامه وصيامه أرجوا بنا نكنز أعوانه على تجهيزها فليس الدنيا من القدر ما يشغل مؤننا عن عبادة ربنا وما بنا من الكبر ما لا نخدم أولياء الله تعالى فقلل وقللوا. وسكن أنه لما أجذب الناس بمصر وعبد الحيد بن سعد أميرهم فقال والله لأعطي الشيطان أن عدوة فقال حوايهم إلى أن رخصت الأسعار ثم عزل عنهم فرحل ولتجار عليه ألف ألف درهم فترهم بها حل نساءه وقينها خبثاته ألفا ألف فلما تذر عليه ارتجاعها كتب إليهم يبعها ودفع القاتل منها عن حقوقهم إلى من لم تله صلاته. وكان أبو طاهر بن كثير شيئا قال لرجل يحمي على بن طالب لما وهبت لي نعلتك فموضع كذا وكذا فقال قد فعلت وحقه لأعطينك ما يليها وكان ذلك أضاف ما طلب الرجل وكان أبو مرثد أحد الكرماء فهدى بعض الشراء فقال للشاعر: والله ما عندى ما أعطيك ولكن قدنى إلى القاضى وأدع على عشرة آلاف درهم حتى أتركك بها ثم احبسني فان أهل لا يتركوني محبوسا فقبل ذلك فلم يسح حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرثد من الحبس. وكان معن بن زائدة عاملا على الرماطين بالبصرة فحضر بأه حاعر فأقام مدة وأراده الدخول على معن فلم يتيسر له فقال يوما لبعض خدامه من إذا دخل الأمير البستان فزنى فلما دخل الأمير البستان أعله فكذب الشاعر بيتا على خشبة وألقاها في الماء الذى يدخل البستان وكان معن على رأس الماء فلما بصير بالحشية أخذها وقرأها فاذا مكتوب عليها:

أيا جود معن ناج معنا بهاجى فالى إلى معن سواك شفيح

فقال من صاحب هذه فدعى بالرجل فقال له كيف قلت فقال فأمره بشرب دواء فأنفذه ووضع الأمير الحشية تحت بساطه فلما كان اليوم الثانى أخرجه من تحت البساط وقرأها ودعا بالرجل فدفع إليه مائة ألف درهم فلما أخذها الرجل شكر وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج فلما كان في اليوم الثالث قرأها فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن على أن أعطيه حتى لا يلقى في بيت مالى درهم ولا دينار. وقال أبو الحسن للدائى خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجابا فقامتهم اتاهم فاجتمعوا وعطشوا ففروا بسجور في خباء فلما قالوا هل من شراب؟ فقلت نعم فأتاها وإياها وليس لها إلا هوربة في كسر الحمية فحالت اسبلوها وامتلقوا إليها فاضلوا ذلك ثم قالوا لما هل من طعام قالت لا إلا هذه الفاة فليذهبها أحكم حتى أهمل لكم مما تكون مقام إليها أحدم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا وألهوا حتى أربدوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نمر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعتنا سألين فألمى بنا فانا صامتون بكه خيرا ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبره بمخبر القوم والثاة فغضب الرجل وقال وياك تدرين خاتى قوم لا مفر فيهم ثم تحولن فمرمن قريش قال ثم بعد مدة لما أتتها الحاجة إلى دخول المدينة فدخلها وجلا بقتلان البر إليها وبمعانته وبمشيانه فتمت

يكن في قلبه أكبر
من الله تعالى يقول:
صدقت الله في قلبك
كما تحول وتشتع من
قلبه نور يلحق
باصكوت العرش
ويكشفه بذلك النور
ملكوت السموات
والأرض ويكتب له
حشو ذلك السور
حسنات وإن الجاهل
الفاصل إذا قام إلى الصلاة
احتوشته الشياطين كما
احتوش الذباب على
قطعة العسل فاذا أكبر
الطلع الله على قلبه فاذا
كان شئ في قلبه أكبر
من الله تعالى عنده
يقول له كذبت ليس
الله تعالى أكبر في
قلبك كما تحول فينور
من قلبه دخان يلحق
بنتان السماء فيكون
حجابا لقلبه من

فمرت المجوز يعض سكك المدينة فإذا الحسن بن علي جالس على باب داره صرف المجوز وهي له منكسة فبعت غلامه فدعا بالمجوز وقال لها يا أمه الله أنصرفي ؟ قالت لا قال أنا ضيفك يوم كذا وكذا قالت المجوز بأبي أنت وأمي أنت هو ؟ قال نعم ثم أمر الحسن فاشترى لها من شاء الصدقة ألف شاة وأمر لها معها بألف دينار وبث بها مع غلامه إلى الحسين فقال لها الحسين بك وصلك أني ؟ قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها الحسين أيضا بمثل ذلك ثم بث بها مع غلامه إلى عبد الله ابن جعفر فقال لها بك وصلك الحسن والحسين ؟ قالت بأني شاة وألقي دينار فأمر لها عبد الله بأني شاة وألقي دينار وقال لها لو بدأت بي لأتبعها فرجعت المجوز إلى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار . وخرج عبد الله بن عامر بن كرز من السجدة يريد منزله وهو وحده فقام إليه غلام من قتيب فحس إلى جانبه فقال له عبد الله ألك حاجة يا غلام ؟ قال صلاحك وفلاحك رأيك نحس وحكك قلت أتوك بنفسى وأعوذ بالله إن طار بجناحك مكروه فأخذ عبد الله يده ومضى معه إلى منزله ثم دعا بألف دينار فدفنها إلى الغلام وقال استقني هذه فقم مائذ بك أهلك . وحكى أن قوما من العرب جاءوا إلى قبر بعض أسخياءهم للزيارة فزولوا عند قبره . وبنوا عنده وقد كانوا جاءوا من سفر بعيد فرأى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك أن تبادل بيريك بنجي وكان السخي الليث قد خلف نجيا معروفا به ولهذا الرجل بيري معين فقال له في النوم نعم فباعه في اليوم بغيره بنجي فقا وقع بينهما القدر عند هذا الرجل إلى بيرة فحرقه في النوم فاتبه الرجل من نومه فإذا البير شيخ من نحر بيرة فقام الرجل فحرقه وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم منه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال أنا فقال هل بعت من فلان بن فلان شيئا ذكر الليث صاحب القبر قال نعم بعت منه بيري بنجي في اليوم فقال خذ هذا بنجي ثم قال هو أني وقد رأيته في النوم وهو يقول إن كنت ابني فادفع بنجي إلى فلان بن فلان وسماه . وقدم رجل من قريش من السمرقند برجل من الأعراب على قارة الطريق قد أقدمه الدهر وأضر به للرض فقال بإعنا له الدهر فقال الرجل لعلامة ما بقي معك من النفقة فادفعه إليه فصب الغلام في حجر الأعرابي أربعة آلاف درهم فذهب لينضف فلم يقدر من الضرب فبكى فقال له الرجل ما بك لك استقلت ما أعطيناك ؟ قال لا ولكن ذكرت ما تأكل الأرض من كرمك فأبكاني . واشترى عبد الله بن عامر من خالده بن عقبة بن أبي معيط داره التي في السوق بثمانين ألف درهم فلما كان الليل جمع بكاء أهل خاله فقال لأهله ما هؤلاء ؟ قالوا يكون لدرهم فقال يا غلام اتهم فأعلمهم أن للسل والدار لهم جميعا . وقيل بث هرون الرشيدى إلى مالك بن أنس رحمه الله فبسمائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فأخذ إليه ألف دينار فضرب هرون وقال أعطيه خمسمائة ونعطيها ألفا وأنت من رضى فقال يا أمير المؤمنين إن لي من غنى كل يوم ألف دينار فاستجيت أن أعطى مثله أقل من دخل يوم . وحكى أنه لم يحب عليه الزكاة مع أن دخله كل يوم ألف دينار . وحكى أن امرأة سألت الليث بن سعد رحمه الله عليه هبتا من عدل فأمر لها بزي من عسل فقيل له إنها كانت تنقع بدون هذا ؟ فقال إنها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر النعمة علينا . وكان الليث بن سعد لا يشك كل يوم حتى يصدق على ثمانية وستين مسكينا . وقال الأعمش اشتكت شاة عندي فكان خيصة بن عبد الرحمن يودها بالبداءة والعش . وبسأني هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ قدوا لبنا وكان نحى لبد أجلس عليه فإذا خرج قال خذ ماتحت البعد حتى وصل إلى في علة الشاة أكثر من ثلثائة

للسكوت فيزداد ذلك الحجاب صلاية وبلغتم الشيطان قلبه فلا يزال ينفع فيه وينفث ويوسوس إليه ويزين حتى يصرف من صلاته ولا يعقل ما كان فيه . وفي الخبر ولولا أن الشياطين يحومون على قلوب في آدم لنظروا إلى ملكوت السماء . والقلوب الصافية التي كل أديها لكال أدب قولها تصير مساوية تدخل بالهكبير في السماء كما تدخل في الصلاة والله تعالى حرس السماء من تصرف الشياطين فألقب الهادى لاسبيل للشيطان إليه فحقى هواجس غشائية عند ذلك لا تطلع بالتحسن بالساء كاتطاع تصرف

ديار من ربه حتى تحيت أن النشأة لم تبرا . وقال عبد الملك بن مروان لأبيه بن خازنة بنى عنك خصال لحديثي بها ، فقال هي من غيري أحسن منها حتى فقال عزمت عليك ، إلا حدثتني بها فقال يأمر المؤمنين ماعدت رجلى بين يدي جليس لي قط ولا صنعت طعاما قط فدعوت عليه فوسا لا كانوا أمن لي حتى عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط بسألي شيئا فاستكرت شيئا أعطيتني إياه . ودخل سعيد بن خالد بن سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فإذا لم يجد شيئا كتب لمن سأله سكا على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر إليه سليمان ثمل بهذا البيت فقال :

إني سمعت مع الصباح مناديا يأمن يعين على التقي اللعان

ثم قال ما حاجتك ؟ قال دني قال وكم هو ؟ قال ثلاثون ألف دينار قال لك دينك ومثله . وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ إخوانه فقيل له إنهم يستعيون من مالك عليهم من الدين فقال أخزى الله ملايخ الإخوان من الزيارة ثم أمر مناديا فنادى من كان عليه قيس بن سعد حتى فهو منه برى . قال فأنكسرت درجة بالفضي لكثرة من زاره وعاده . وعن أبي إسحق قال صليت القبر في مسجد الأعمش بالكوفة ألطبخ غريبا لي فلما صليت وضع بين يدي حلة ونعلان فقلت لست من أهل هذا المسجد فقالوا إن الأعمش بن قيس الكندي قدم البصرة من مكة فأمر لكل من صلى في المسجد بحلة وتلعين . وقال الشيخ أبو سعد الحرکوشى النيسابورى رحمه الله : سمعت محمد ابن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي الجاور بمكة يقول : كان بمصر رجل عرف بأن يجمع الفقراء ههنا فيؤد لهم مولودا قال فحلت إليه وقتل له ولد في مولود وليس معنى شىء أقام معنى ودخل على جماعة فلم يخرج بشيء فاجأه إلى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمك الله كنت تفضل وتضع وإن دوت الزوم على جماعة فكلفتهم دفع شىء لمولود فلم يبق لي شىء . قال ثم قام وأخرج ديناراً وقسمه نصفين وناولني نصفه وقال هذا دين عليك إلى أن يخرج عليك بشىء . قال فأخذته وانصرفت فأصلحت ما اتفق لي به قال فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال سمعت جميع ما قلت وليس لنا إذن في الجواب ولكن احضر منزل وقول لأولادى يهفروا مكان السكاون ويخرجوا قرابة فيها خميسة دينار فاحملها إلى هذا الرجل فلما كان من الند تقدم إلى منزل الميت وقص عليهم القصة فقالوا له اجلس وهفروا للوضع وأخرجوا الدنانير وجاءوا بها فوضوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس رؤى حكم فقالوا هو يتشنى ميتا ولا يتشنى نحن أحياء فلما ألحوا عليه حمل الدنانير إلى الرجل صاحب الولود وذكر له القصة قال فأخذ منها دينارا فكسره نصفين فأعطاه النصف الذى أقرضه وحمل النصف الآخر وقال يكفينى هذا وتصدق به على الفقراء فقال أبو سعيد فلا أدرى أى هؤلاء أسخى . وروى أن الشافعي رحمه الله لما مرض مرض موته بمصر قال مروا فلا تأخذوا مني شىء . وروى أن الشافعي رحمه الله قال أتوني بتذكرة فأتى بها فظفر فيها فإذا على الشافعي سبعون ألف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غسل إياه أى أراد به هذا . وقال أبو سعيد الواعظ الحرکوشى لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه فرأيت جماعة من أصفاده وزرهم فرأيت فيهم سباعا وخير وأثار القتل قلت بلغ أثره في الخير إليهم وظهرت بركته فيهم مستدلا بقوله تعالى - وكان أبوها صالحا - وقال الشافعي رحمه الله لا أزال أحب حماد بن أبي سليمان لثى . بلنى عنه أنه كان ذات يوم راكباً حمارة فمركه فاقطع زره فرمى على خياط فأراد أن يتزل إليه ليسوى زره فقال الخياط والله لا نزلت مقام الخياط إليه فسوى زره فأخرج إليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها إلى الخياط واعتذر إليه من قتلها وأشهد الشافعي رحمه الله نفسه :

الشیطان والقاب
الرافة بالقرب تدرج
بالقرب وترجع في
طبقات السموات وفي
كل طبقة من أطباق
الماء يتخلف شىء من
ظلمة النفس ويغدو
ذلك يقل الما حاس إلى
أن يتجاوز السموات
ويقف أمام العرش
ففسد ذلك يلعب
بالكلية هاجس النفس
بساطع نور السرور
وتدرج ظلمات النفس
في نور القاب اندراج
الليل في النهار وتأتى
حينئذ حقوق الآداب
على وجه الصواب .
وما ذكرنا من أدب
الصلاة يسير من كثير
وشأن الصلاة أكبر
من وصفنا أو كمل من
ذكرنا وقد غلط
أصوام وظنوا أن

يألف قلبى على مال أجود به على اللعين من أهل اللروات
إن اعتدلى إلى من جاء يسألى مالى عنى لمن إحدى الصليات
وعن الربيع بن سليمان قال أخذ رجل بركاب الشافى رحمه الله قال يارب أعطه أربعة دنانير
واعتمر إليه عى . وقال الربيع سمعت الحميدى يقول قدم الشافى من صنعاء إلى مكة بشرة آلاف
دينار ففرض خباه فى موضع خارج عن مكة وشراها على نوب ثم أقبل على كل من دخل عليه قبض
له قبضة وبسطه حتى على الظهر ونشئ الثوب وليس عليه ثوب . وعن أبى ثور قال أراد الشافى
الخروج إلى مكة ومعه مال وكان قلما يمسك شيئا من صاحبه فقلت له يبنى أن تشتري بهذا اللال
ضبعة تكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا فأنشأه عن ذلك اللال فقال ما وجدت بمكة ضيمة
يكنى أن اشتريها لمعرفى بأصلها وقد وقف أكثرها ولكنى بنيت بعى مضربا يكون لأصحابنا إذا
حبوا أن ينزلوا فيه وأنشد الشافى رحمه الله نفسه يقول :

أرى نفسى تنوق إلى أمور يقصر دون مبلغين مالى
ففسى لا تطاوعى يخذل ومالى لا يلفسنى فمالى

وقال محمد بن عباد الهلبى دخل أبى على المأمون فوصله بمائة ألف درهم فلما قام من عنده تصدق بها
فأنجز بذلك المأمون فلما عاد إليه غايه المأمون فى ذلك فقال يأمر المؤمنين : منع الوجود . سوء ظن
بالمبود ، فوصله بمائة ألف أخرى . وقام رجل إلى سيد بن العاص فسأله فأمر له بمائة ألف درهم
فبكى فقال له سعيد ما ييكى ؟ قال أبكى على الأرض أن تأكل مثلك فأمر له بمائة ألف أخرى .
ودخل أبو تمام على إبراهيم بن شكلة بأيات امتدحه بها فوجد عليه لا قبل منه للذة وأمر حابية
بنه ما يصلحه وقال عسى أن أقوم من مرضى فأقام شهرين فأوحشه طول اللقام فكتب
إليه يقول : إن حراما بقول مدحتنا وترك ما ترهبى من الصدف

كالدرهم والدينار فى البسح حرام إلا بدا يد

فلما وصل البيتاني إلى إبراهيم قال لحابيه كم أقام بالباب ؟ قال شهرين قال أعطه ثلاثين ألفا
وجئى بدواة فكتب إليه :

أعجلتنا فأناك عاجل برنا قلا ولو أمهلتنا لم نقتل
نغد القليل وكن كأنك لم نقتل ونقول نحن كأننا لم نقتل

وروى أنه كان لثمان على طاحه رضى الله عنها خمسون ألف درهم فخرج عثمان يوما إلى المسجد
فقال له طاحه قد تهيأ مالك فأقبضه فقال هو لك يا أبا محمد موعة لك على مروءتك . وقالت سمى
بنت عوف دخلت على طاحه فأرأت منه ثقلا فقلت له مالك ؟ فقال اجتمع عندى مال وقد غمى فقلت
وما ينعك ادع قومك فقال يا غلام على بقوى قسمه فيهم فسألت الخادم كم كان ؟ قال أربع مائة ألف .
وجاء أعرابى إلى طاحه فسأله وتغرب إليه يرحم فقال إن هذه الرحم ماسألى بها أحد قبلك إن لى
أرضا قد أعطانى بها عثمان ثلثمائة ألف فان شئت فأقبضها وإن شئت ضما من عثمان ودفت إليك
الغن قال الغن فباعها من عثمان ودفع إليه الغن : وقيل بكى على كرم الله وجهه يوما فقيل ما ييكى
فقال لم يأتى شريف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله قد أهانتى . وأبى رجل صديقا له فدى عليه
الباب فقال ماجاه بك ؟ قال على أربع مائة درهم دين فوزن أربع مائة درهم وأخرجها إليه وعاد ييكى
فقلت امرأته لم أعطيه إذ شق عليك فقال إنما أبكى لأنى لم أعفد حاله حتى احتاج إلى مفاعنى
فرحم الله من هذه صفاتهم وغفر لهم أجمعين .

للقصود من الصلاة
ذكر الله تعالى وإذا
حصل الذكر فأبى
حاجة إلى الصلاة
وصلكوا طرقا من
الضلال وركبوا إلى
أباطيل الخيال ومحو
الرسود والأحكام
ورفضوا الحلال
والحرام وتوهم آخرون
سلكوا في ذلك طريقا
أدتهم إلى تضان الحان
حيث سدلوا من
الضلال أنهم اعترفوا
بالفراض وأنكروا
فضل النوافل واغترروا
ببسير روح الحال
وأهملوا فضل الأعمال
ولم يعلموا أن الله فى
كل هيئة من الهيئات
وكل حركة من
الحركات أسرارا
وحكايات جديدة فى
من الأذكار والأحوال

(بيان دم البخل)

قال الله تعالى - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - وقال تعالى ولا يحسن الدين يخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم يسلطون ما غلوا به يوم القيامة وقال تعالى - الذين يخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله - وقال صلى الله عليه وسلم «إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقتلوا أرحامهم» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة تجل ولا خب ولا خائن ولا سيء للكرة» (٣) وفي رواية ولا يجارو في رواية ولا من قال صلى الله عليه وسلم «ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب للره بنفسه» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله يفضي ثلثة الشيخ الزاني والبخل اللان والليل المتهال» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «مثل التقي والبخل كمثل رجاين عليهما جيتان من حديد من لدن تدبهما إلى تراقيهما فأما التقي فلا ينق فلا ينق شيئا إلا سبغ أو فرغ على جلده حتى نخفي بناته وأما البخل فلا يرد أن ينق شيئا إلا قلقت وترسكل حلقة مكانها حتى أخذت بتراقيه فهو يوسمها ولا تتسع» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «خصيتان لا تجتمعا في مؤمن البخل وسوء الخلق» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «الهم إلى أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم «إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة وإياكم والفحش فإن الله لا يحب الفاحش ولا للتفحش وإياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالبطية فظلموا» (٩) وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث إياكم والشح الحديث مسلم من حديث جابر بلفظ واتقوا الشح فإن الشح الحديث ولأبي داود والنسائي في الكبرى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو إياكم والشح فأما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالبطية فظلموا وأمرهم بالمعجور ففجروا (٢) حديث إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقتلوا أرحامهم الحاكم من حديث أبي هريرة بلفظ حرمتهم مكان أرحامهم وقال صحيح على شرط مسلم (٣) حديث لا يدخل الجنة تجل ولا خب ولا خائن ولا سيء للكرة وفي رواية ولا من أنحد والترمذي وحسنه من حديث أبي بكر واللفظ لأحمد دون قوله ولا من أنفهي عند الترمذي وله ولا بن ماجه لا يدخل الجنة سيء للكرة (٤) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم في العلم (٥) حديث إن الله يفضي ثلثة الشيخ الزاني والبخل للان والفقر المتهال الترمذي والنسائي من حديث أبي ذر دون قوله البخل للان وقال فيه التي الظلم وقد تقدم والطبراني في الأوسط من حديث على بن الله ليض التي الظلم والشيخ الجوهول والمائل المتهال وسنده ضعيف (٦) حديث مثل للتقي والبخل كمثل رجاين عليهما جيتان من حديد الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث خصيتان لا تجتمعا في مؤمن البخل وسوء الخلق الترمذي من حديث أبي سعيد وقال غريب (٨) حديث الهم إلى أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن الحديث البخاري من حديث سعد وتقدم في الآذكار (٩) حديث إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة الحديث الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا قال عوضا عنهما والبخل فبخلوا والمعجور ففجروا وكذا رواه أبو داود مقتصرا على ذكر الشح

والأعمال روح وجبان وما دام البعد في دار الدنيا إعراضه عن الأعمال عين الطغيان فالأعمال تزكو بالأحوال والأحوال تنمو بالأعمال .

[الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم وحسن أثره]
روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «الصبر نصف الإيمان والصوم نصف الصبر» وقيل ما في عمل ابن آدم شيء إلا ويبذبه ردة الظالم إلا الصوم فإنه لا يدخله قصاص ويقول الله تعالى يوم القيامة هذا لي فلا ينقص أحد منه شيئا . وفي الخبر «الصوم وأنا أجزي به» قيل أضافه إلى

« شر ماني الرجل شح هالـع وجبن خالـع »^(١) « وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت بكاءً قالت : واشبهدها فقال صلى الله عليه وسلم « وما يدريك أنه شهيد فقله كان يتكلم فيها لانيته أو يبخل بما لا ينقصه »^(٢) « وقال جبير بن مطعم « يتناحـن لسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفلة من خير إذ علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم والأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى حمرة غطفت رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال أعطوني ردائي فوالله تقي يده لو كان لي عدد هذه الضاء لعمنا لقسمت بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً »^(٣) « وقال عمر رضي الله عنه « قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قباً قتلت غير هؤلاء كان أحق به منهم فقال انهم يخبرون بين أن يسألوني بالفحش أو يبخلوني ولست ياخذ » وقال أبو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن بئر فأعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقبهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأنبياً وقال معروفاً وشكراً ماصع بهما فدخل عمر على رسول الله ﷺ فأخبره بما قال فقال صلى الله عليه وسلم « لكن فلان أعطيت ما بين عشرة إلى مائة ولم يقل ذلك إن أحدكم ليسأني فينطلق في مسأله تباطها وهي تارقال عرفلم تعطهم ماهونار فقال يابون إلا أن يسألوني ويأني الله لي البخل »^(٤) « وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجود من جود الله تعالى فيجودوا بجد الله لكم ألا إن الله عز وجل خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل رأسه راسخاً في أصل شجرة طوى وعدأ أغصانها بأغصان سدرة للنتهى ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بفضن منها أدخله الجنة ألا إن السخا من الإيمان والإيمان في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل رأسه راسخاً في أصل شجرة الزقوم ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بفضن منها أدخله النار ألا إن البخل من الكفر والكفر في النار »^(٥) « وقال ﷺ « السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يبلغ الجنة إلا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يبلغ النار إلا بخيل »^(٦) «

وقد تقدم قبله بسبعة أحاديث وللمع من حديث جابر اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فذكره بلفظ آخر ولم يذكر الفحش^(٧) حديث شرماني الرجل شح هالـع وجبن خالـع أبو داود من حديث جابر بسند جيد^(٨) حديث وما يدريك أنه شهيد فقله كان يتكلم فيها لا يمينه أو يبخل بما لا ينقصه أبو يعلى من حديث أبي هريرة بسند ضعيف والبرقي في الشعب من حديث أنس أن أمه قالت ليهنك الشهادة وهو عبد الترمذي إلا أن رجلاً قال له أبقير بالجنة^(٩) حديث جبير بن مطعم بيننا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفلة من حين علقت الأعراب به الحديث البخاري وتقدم في أخلاق النبوة^(١٠) حديث عمر قسم النبي صلى الله عليه وسلم قباً الحديث وفيه ولست ياخذ^(١١) مسلم^(١٢) حديث أبي سعيد في الرجلين الذين أعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارين فلقبهما عمر فأنبياً وقال معروفاً الحديث وفيه ويأني الله لي البخل رواه أحمد وأبو يعلى والزيار نحوه ولم يقل أحمد إنهما سألاه عن بئر وبرواه الزيار من رواية أبي سعيد عن عمر ورجال أسانيدهم ثقات^(١٣) حديث ابن عباس الجود من جود الله فيجودوا بجد الله لكم الحديث بطوله ذكره صاحب الفردوس ولم يخرج له ولده في مسنده ولم أنف له على إسناد^(١٤) حديث السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يبلغ إلا سخي الحديث تقدم دون قوله فلا يبلغ في الجنة إلى آخره وذكره بهذه الزيادة صاحب الفردوس من حديث ولم يخرج له ولده في مسنده .

تسه لأن فيه خلقاً من أخلاق الصمدية وأيضاً لأنه من أعمال السر من قبيل التروك لا يطلع عليه أحد إلا الله وقيل في تفسير قوله تعالى - الصالحون - الصالحون لأنهم ساحتوا إلى الله تعالى بجوعهم وعطشهم وقيل في قوله تعالى - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - هم الصالحون لأن الصبر اسم من أسماء الصوم ويفرق للصائم إفراغاً ومجازفة له مجازفة وقيل أحد الوجوه في قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون - كان عملهم الصوم . وقال

وقال أبو هريرة « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد بني الحنظلة من سيدكم يا بني الحنظلة؟ قالوا سيدنا جد بن قيس إلا أنه رجل فيه بخل فقال صلى الله عليه وسلم وأى داء أدوا من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجوح^(١) وفي رواية أنهم قالوا «سيدنا جد بن قيس» فقال لهم تسودونه؟ قالوا إنه أكثر مالا فزنا على ذلك ترى منه البخل فقال صلى الله عليه وسلم وأى داء أدوا من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله؟ قال سيدكم بشر بن البراء وقال صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله يفضي البخل في حياته السخى عندما يموت»^(٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «السخي الجاهل أحب إلى الله من العابد البخل»^(٣) وقال أيضا قال صلى الله عليه وسلم «الشح والإيمان لا يجتمعان في قلب عبد»^(٤) وقال أيضا «خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الحاق»^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم «لا ينفى المؤمن أن يكون بخلا ولا جبانا»^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم «يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأى ظلم أعظم عند الله من الشح حلف الله تعالى بزمته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل»^(٧) وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول : بحرمة هذا البيت لا أغفرت لي ذنبي فقال صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفه لي فقال هو أعظم من أن أصفه لك فقال ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون فقال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الجبال قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم البحار قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم السموات قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الأرض قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الله قال بل الله أعظم وأعلى قال ويحك صف لي ذنبك قال يا رسول الله إني رجل ذو ثروة من المال وإن السائل لأبني بسأني فكأنما يستبني بشتمه من نار فقال صلى الله عليه وسلم إليك عني لأنعم قتي ببارك فوالذي بعثي بالهداية والكرامة لو كنت بين الزكن والمقام ثم صليت ألفي ألف عام ثم بكيت حتى تجرى من دموعي الأنهار وتسقي بها الأشجار ثم مت وأنت تلميذ لا يكيك الله في النار ويحك أمانعت أن البخل كفر وأن الكفر في النار ويحك أما علمت أن الله تعالى يقول - ومن يبخل فاعلم يبخل عن نفسه - ومن بوق نفسه فأولئك هم المفلحون -^(٨) » الآثار ، قال ابن عباس رضي الله عنهما خلق الله

(١) حديث أبي هريرة من سيدكم يا بني الحنظلة قالوا سيدنا جد بن قيس الحديث الحكمي وهو صحيح على شرط مسلم بل يفظ يا بني سلمة وقال سيدكم بشر بن البراء وأما الرواية التي قال فيها سيدكم عمرو ابن الجوح فرواها الطبراني في الصغير من حديث كعب بن مالك بإسناد حسن (٢) حديث علي بن إن الله يفضي البخل في حياته السخى عند موته ذكره صاحب الفردوس ولم يخرج له ولده في مستنده ولم أجده إلا إسنادا (٣) حديث أبي هريرة السخي الجاهل أحب إلى الله من العابد البخل الترمذي بافظ ولجاهل سخي وهو بقة حديث إن السخي قريب من الله وقد تقدم (٤) حديث أبي هريرة لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد النساء وفي إسناده اختلاف (٥) حديث خصلتان لا يجتمعان في مؤمن الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٦) حديث لا ينفى المؤمن أن يكون جبانا ولا بخلا لم أره بهذا اللفظ (٧) حديث يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأى ظلم أعظم من الشح الحديث وفيه لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل لم أجده تنامه وللترمذي من حديث أبي بكر لا يدخل الجنة بخيل وقد تقدم (٨) حديث كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقوم بحرمة هذا البيت لا أغفرت لي ذنبي الحديث في ذم البخل وفيه قال إليك عني لأنعم قتي ببارك الحديث بطلوه وهو باطل لأصله .

يحيى بن معاذ إذا
اشتبى الريد بكثرة
الأكل بكت عليه
اللائكة رحمة له ومن
اشتبى همصر الأكل
قد أحرق بآثار الشهوة
وفي نفس ابن آدم
ألف عضو من الشر
كلها في كف الشيطان
متعلق بها فإذا جوع
بطنه وأخذ حلقه
وراض نفسه بيس كل
عضواؤه أحرق بنار
الجوع وفر الشيطان
من ظله وإذا أشبع
بطنه وترك حلقه
في لذائذ الشهوات فقد
رطب أعضائه وأمكن
الشيطان والشفيع نهر
في النفس ترويه
الشياطين والجوع
نهر في الروح ترويه
اللائكة وبشرم
الشيطان من جاعل نائم
فكيف إذا كان

جنى عدن قال لها تربي قريخت ، ثم قال لها أظهرى أهلك فأظهرت عين السليل وعين
 السكاوور وعين التسليم ففجر منها في الجنان أثمار الخروأوار السل والبن ثم قال لها أظهرى سرورك
 وحبالك وكراميك وحليك وحللك وسور عينك فأظهرت فطر إليها قال تسكلى قالت طوبى
 لمن دخلنى فقال الله تعالى وعزنى لأنسك بخله . وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد المزنى : نف
 لبخل لو كان البخل قيسا مالبسته ولو كان طريقا ماسلكته ، وقال طلحة بن عبيد الله رضى الله
 عنه : إنا لنجد بأموالنا ما يجد البخله لكننا نصبر ، وقال محمد بن النكدر كان يقال : إذا أراد الله
 بقوم شرأ أمر عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدي بخلانهم ، وقال على كرم الله وجهه في خطبه
 إنه سيأتى على الناس زمان عضوض يعض اللوسر على ما في يدهم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولانساوا
 الفضل بينكم - وقال عبد الله بن عمرو الشح أشد من البخل لأن الشحيح هو الذى يشح على ما في
 يده غيره حتى يأخذوه ويشح بما في يده فيحبسه والبخل هو الذى يبخل بما في يده . وقال الشعبي
 لأدري أبعها أهد غورا في نار جهنم البخل أو الكذب . وقيل ورد على أنو شروان حكيم الهند
 وفيلسوف الروم فقال للهندي تسكلم فقال خير الناس من ألقى سحيا وعند الضب وقورا وفى القول
 متأنيا وفى الرقة متواضعا وعلى كل ذى رحم مشفقا . وقام الروى قتال من كان بخيلا ورث عوداه
 ماله ومن قل شكره لم يزل النجح وأهل الكذب مذمومون وأهل الخبة يعوتون قفرا ومن لم يرحم
 سلطان عليه من لا يرحمه . وقال الضحاك في قوله تعالى - إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا قال البخل أسك
 الله تعالى أيديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يصرون الهدى وقال كب : ما من صباح إلا وقد وكل
 به لمسلان يناديان اللهم عجل لمسلك تلقا وعجل لمنق خلفا . وقال الأسيبي سمعت أعرابيا وقد وصف
 رجلا قتال قد صفر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه وكأنما يرى السائل ملك الموت إذا أتاه . وقال
 أبو حنيفة رحمه الله لا أرى أن أعدل بخيلا لأن البخل عمله في الاستصاء فيأخذ فوق حقه خيفة
 من أن يبين فمن كان هكذا لا يكون مأمون الأمانة . وقال على كرم الله وجهه : واقعه ما تستصى كرم
 قط حقه . قال الله تعالى - عرّف بفسه وأعرض عن بعض - وقال الجاحظ ما بين من اللذات الثلاث
 ذم البخله وأكل القديس وحك الجرب . وقال بشر بن الحرث البجلي لا غية له قال النبي صلى الله عليه
 وسلم « إنك إذا لبخل ^(١) » . « ومحدث امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا امرأة قومة
 إلا أن فيها بخلا قال فاحيرها إذا ^(٢) » وقال بشر : النظر إلى البجلي يسي القلب ولقاء البخله كرب
 على قلوب المؤمنين ، وقال يحيى بن مازة : ما في القلب لأسخيا ولا حيو لو كانوا أفعالا ولا بخله إلا بئس
 ولو كانوا أبرارا . وقال ابن المنز أبخل الناس بماله أجودهم برمه . وفى يحيى بن زكريا عليه السلام
 إبليس في صورته فقال له يا إبليس : أخبرني بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك قال أحب الناس
 إلى المؤمنين البخل والبغض الناس إلى الفاسق السخى قال له ثم قال لأن البخل قد كفاني فبغض الفاسق
 السخى أخوف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم لى وهو يقول لولا أنك يحيى لما أخبرتك .

(حكايات البخله)

قيل كان البصرة رجل موسر بخيل ففداه بعض جيرانه وقدم إليه طباخة بيض فأكل منه فأكثر
 (١) حديث ابن لبخل [١] (٢) حديث أميرة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامه
 قومة إلا أن فيها بخلا الحديث تقدم في آفات اللسان .

[١] قول العراقى إنك لبخل ، هكذا بالنسخ من غير ذكره ولم يحضره الشارح أيضا فلنظره .

وجعل يشرب للماء فاستبح بطه ونزل به الكرب واللوت فجعل يتلوى فلما جهده الأمر وصف حاله للطبيب فقال لياأس عليك : تقياً ما أكلت فقال هاه أنفياً طباةجة يبيض الوت ولذلك، وقبل أنيل أعرابي يطلب رجلاً وبين يديه تين فضطى التين بكسائه فجلس الأعرابي فقال له الرجل هل تحسن من التران شيئا قال نعم فقرأ والزيتون وطور سينين فقال وابن التين قال هو تحت كسائك . ودعا بعضهم أخاه ولم يعطمه شيئا فجلسه إلى الصخر حتى اشتد جوعه وأخذته مثل الجنون فأخذ صاحب البيت العود وقال له بجاني أي صوت تشهي أن اسمك قال صوت القمل . وبكى أن محمد بن يحيى ابن خاله بن برمك كان بخيلاً فبيع البخل فشتل نسيب له كان يعرفه عنه فقال له قال صف لي ما تدينه فقال هي قتر في قتر ومحفافه من حب الحشاشين قيل فبن محضرها قال الكرام السكتيون قال فما يأكل منه أحد قال بل القذاب فقال سوانك بدت وأنت خاص بهو ثوبك محرق قال أنا والله ما أقدر على إبرة أخبطها به ولو ملك محمد بيتا من بغداد إلى التوبة بملاء الإبر ثم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوت النبي عليه السلام يظلمون . منه إبرة ويسألونه إعارتهم إياها ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دير ماضل . ويقال كان مروان بن أبي حفصة لا يأكل اللحم بخلاً حتى يقرم إليه فاذا قرم إليه أرسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله فقيل له ترك لا تأكل إلا الرءوس في السيف والشاء فلم يختر ذلك قال نعم الرأس أعرف سعره فقام خيانة الغلام ولا يستطيع أن يبين في ولس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه إزار مس عينا أو أذنا أو خذا وقفت على ذلك وآكل منه أو أتا عنه لونا وأذنه لونا ولسانه لونا وغلصته لونا ودماغه لونا وأكفى مؤنة يطبخه فقد اجتمعت في فيه مرافق وخرج يوماً يريد الحليفة الهدي فقالت له امرأة من أهله مالي عليك إن رجعت بالجائزة فقال إن أعطيت مائة ألف أعطيتك درهما فأعطى ستين ألفاً فأعطاها أربعة دنانير واشترى مرة لحماً بدرهم فعداه صديق له فرد اللحم إلى النصاب بنقصان دانق وقال أكره الاسراف ، وكان للأعمش جار وكان لا يزال يمرض عليه التزل ويقول : لو دخلت فأكلت كسرة وملحاً فبقي عليه الأعمش ففرض عليه ذات يوم فوافق جوع الأعمش فقال سرينا فدخل منزله فقرب إليه كسرة وملحاً فجاء سائل فقال له رب التزل بورك فيك فأعاد عليه السئلة فقال له بورك فيك فلما سأل الثالثة قال له اذهب والإواظ خرجت إليك بالعضا قال فأعاد الأعمش وقال اذهب وبورك فلا والله ما رأيت أحداً أصاب في مواعيد منه هو منذ مدة يدعوني على كسرة وملح فأعادني عليهما .

(بيان الإيثار وفعله)

اعلم أن السخاء والبخل كل منهما ينقسم إلى درجات فأرفع درجة السخاء الإيثار وهو أن يهود بالمال مع الحاجة إليه وإعانة السخاء عبارة عن بذل ما يحتاج إليه المحتاج أو توفير محتاج والبذل مع الحاجة أشد وكان السخاوة قد تنهى إلى أن يسخو الإنسان على غيره مع الحاجة فالبخل قد ينهى إلى أن يدخل على نفسه مع الحاجة فكمن بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يعينه منها إلا البخل باليمن ولوجدها بجناناً لا كلاًها ، فهذا بخيل على نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه وغيره مع أنه يحتاج إليه فانظر ما بين الرجلين فإن الأخلاق عطايا يعضها الله حيث يشاء وليس بعد الإيثار درجة في السخاء ، وقد أمى الله على الصحابة رضى الله عنهم به فقال - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - وقال النبي صلى الله عليه وسلم «أبما امرئ» اشتهى شهوة فرد شهوة وآثر على نفسه غفر له (١) وقالت عائشة رضى الله عنها «ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية

(١) حديث أبى هريرة رجل اشتهى شهوة فرد شهوة وآثر على نفسه غفر له ابن حبان في الضعفاء . وأبو الشيخ

ولاشترت حتى رويت
إلا عصيت الله وأهملت
بعمية . وروى القاسم
ابن محمد عن عائشة
رضي الله عنها قالت :
كان يأتي علينا الشهر
ونصف شهر مأنذخل
بيتنا نار للمصباح
ولانفسره قال قلت
سبحان الله فبأي
شيء كنتم تمشون
قالت بالنار والساء وكان
لنا جيران من الأنصار
جزام الله خيرا كانت
لهم منافع فربما واسونا
بشيء . وروى أن
حفصة بنت عمر رضى
الله عنهما قلت لياها
إن الله قد أوسع الرزق
فلو أكلت طعاما
أكثر من طعامك
ولبست ثياباً ألين من
ثيابك فقال ليا
أخاصمك إلى تسك

حق فارق الدنيا ولوشنا لشبنا ولكنا نؤثر على أنفسنا (١) وتزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند أهله شيئا فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب فذهب الضيف إلى أهله ثم وضع بين يديه الطعام وأمر امرأته بإطفاء السراج وجعل يمد يده إلى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف فلما أصبح قال له رسول الله ﷺ لقد عجب الله من منيكم اللذة إلى ضيفكم وتزلت - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - (٢) فالسقاء خلق من أخلاق الله تعالى والإشارة أعلى درجات السقاء ، وكان ذلك من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم حق صباه الله تعالى عظيمًا فقال تعالى - وإنك لى خلق عظيم - وقال سهل بن عبد الله التستري : قال موسى عليه السلام : يارب أرى بعض درجات محمد صلى الله عليه وسلم وأمنته فقال : يا موسى إنك لن تطيق ذلك ولكن أريك منزلة من منازل جليلة عظيمة فضلتها بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السموات فظفر إلى منزلة كادت تلتف نفسه من أنوارها وقرعها من الله تعالى قال يارب بماذا بلغت به إلى هذه الكرامة قال بخلق اختصته به من بينهم وهو الإشارة ، يا موسى لا يأتيك أحد منهم قد عمل به وقتا من عمره إلا استحييت من محاسبه وبوأته من جنت حيث يشاء - وقول خرج عبداً ابن جعفر إلى ضيعة له فقول على تخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه إذ أتى الصلابة بقوة فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرأى إليه الغلام بقرص فأكله ثم رعى إليه الثاقل والثالث فأكله وعبد الله بنظر إليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آتت به هذا الكلب قال ما به أرض كلاب إنه جاء من مسافة بعيدة جائعا ففكرت أن أشبع وهو جائع قال لما أنت صانع اليوم قال أطوى يدي هذا ، فقال عبد الله بن جعفر : ألام على السقاء إن هذا الغلام لأشفي مني فاشترى الحائط والغلام ومافيه من الآلات فأعتق الغلام ووهبه منه ، وقال عمر رضي الله عنه : أهدى إلى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال : إن أشي كان أروح مني إليه فبث به إليه فلم يزل كل واحد يبعث به إلى آخر حتى تداوله سرعة آيات ورجع إلى الأول ، وبات على كرم الله وجهه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام : اني أخيت بينكما وجمعت عمر أحكما أطول من عمر الآخر فأبكا يؤثر صاحبه بالحياة فاختارا كلاهما الحياة وأحبها ، فأوحى الله عز وجل إليهما أفلا كنتا مثل علي بن أبي طالب أخيت بينه وبين نبي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يغديه بنفسه ويؤثره بالحياة اعطاه إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجله وجبريل عليه السلام يقول حج بمن مثلك يا ابن أبي طالب والله تعالى يباهي بك الملائكة فأقر الله تعالى - ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد - (٣) وعن أبي الحسن الأنطاكي أن اجتمع في الثواب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد تقدم (١) حديث عائشة ماشيع رسول الله صلى الله عليه وسلم لثلاثة أيام متواليات ولوشنا لشبنا ولكنا نؤثر على أنفسنا البيهقي في الشعب بلفظ ولكنه كان يؤثر على نفسه وأول الحديث عند مسلم بلفظ ماشيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خير برحق - رضي لسبيله وللشيعين ماشيع آل محمد منذ قدم المدينة ثلاث ليال تباعا حتى قبض ، زاد مسلم من طعام (٢) حديث زول به ضيف فلم يجد عند أهله شيئا فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب به إلى أهله الحديث في نزول قوله تعالى - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل اني أخيت بينكما وجمعت عمر أحكما أطول من الآخر

ألم يسكن من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا يقول مرارا فبكت فقال قد أخبرتك والله وأشاركنه في عيشه الشديد لى أصعب عيشة الرخاء . وقال بعضهم ما غلت لعمري دقيقا إلا وأنا له طاس . وقالت عائشة رضي الله عنها : ماشيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام من خير برحق مضى لسبيله . وقالت عائشة رضي الله عنها : أدعوا قرع باب الملكوت ينشع لكم ألوا كيف نديم قالت بالجوع والطش وانظروا . وقيل ظهر للإمام ليحيى بن زكريا عليهما السلام وعليه مازيق قال ما هذه قال

عنده نيف وثلاثون نقسا وكانوا في قرية بقرب الري ولهم أرغفة ممدودة لم تشبع جرهم فكسروا
الزغقان وأطفأوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام بحاله ولم يأكل أحد منه شيئا إشارا
لصاحبه على نفسه . وروى أن شعبة جاءه سائل وليس عنده شيء فترع خبزة من سفن بيته فأعطاه
ثم اعتذر إليه . وقال حذيفة المدوي انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعي شيء من ماء وأنا
أقول إن كان به رمق سقته ومسحت به وجهه فاذا أنا به قلت أسقيك فأشار إلي أن نعم فاذا رجل
يقول آء فأشار ابن عمي إلى أن اطلق به إليه فجثته فاذا هو هشام بن الماس قلت أسقيك فسمع به
آخر فقال آء فأشار هشام اطلق به إليه فجثته فاذا هو قد مات فرجست إلى هشام فاذا هو قد مات
فرجعت إلى ابن عمي فاذا هو قد مات رحمة الله عليهم أجمعين . وقال عباس بن دهقان : ما خرج أحد
من الدنيا كما دخلها إلا جسر بن الحرث فانه أتاه رجل في مرسته فشكا إليه الحاجة فزع قميصه وأعطاه
إياه واستعار ثوبا فلبس فيه . وعن بعض الصوفية قالة : كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى
باب المهدي فتمنا كلب من البلد فلما بلغنا ظاهر الباب إذا نحن بدابة ميتة فصدنا إلى موضع عال
وقدنا فلما نظر الكلب إلى لبتة رجع إلى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجاء إلى
ذلك اللبة وقد ناحة ووقفت الكلاب في اللبة فما زالت تأكلها وذلك الكلب قاعد ينظر إليها حتى
أكلت اللبة وبق العظم ورجعت الكلاب إلى البلد فقام ذلك الكلب وجاء إلى تلك العظام فأكل مما
بق عليها قليلا ثم انصرف . وقد ذكرنا جملة من أخبار الإتيار وأحوال الأولياء في كتاب الفقر والزهد
فلا حاجة إلى الإعادة هنا وباقة التوفيق وعليه التوكل فيما يرضيه عز وجل .

(بيان حد السخاء والبخل وحققتهما)

ملكك تقول قد عرف بشواهد الشرع أن البخل من الهلكات ولكن ما حد البخل وماذا يصير الانسان
بخيلا ؟ وما من إنسان إلا هو يرى نفسه سخيا ورجا يراه غيره بخيلا وقد يصدرفل من إنسان فيختلف
فيه الناس فيقول قوم هذا بخيل ويقول آخرون ليس هذا من البخل وما من إنسان إلا ويجد من نفسه
جبا للسال ولأجله يحفظ السال ويمسكه فان كان يصير إماما كان لا ينفك أحد عن البخل
وإذا كان الامساك مطلقا لا يوجب البخل ولا معنى للبخل إلا الامساك فما الذي يوجب الهلاك
وما حد السخاء الذي يستحق به العبد صفة السخاوة وتوابعها فنقول : فذلك قولون حد البخل منع
الواجب فنكل من أدى ما يجب عليه فليس ببخل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم مثلا إلى القصاب
والخبز للخباز بنصفان جبة أو نصف جبة فانه يحد بخيلا بالانفاق وكذلك من يسلم إلى عباله القدر الذي
يغرضه القاضي ثم يضاقهم في قمعة أو زاد دواها عليه أو تمره أو كلوا من ماله يحد بخيلا ومن كان بين يديه
رغيف لحفر من بطن أنه يأكل معه فأخفاه عنه يحد بخيلا وقال قائلون : البخل هو الذي يستصعب
العطية وهو أيضا قاصر فانه إن أربد به أنه يستصعب كل عطية فكيف من بخيل لا يستصعب العطية
القليلة كالخبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوق ذلك وإن أربد به أنه يستصعب بعض المطايا من
جواد أو قرد يستصعب بعض المطايا وهو ما يستغرق جميع ماله أو السال العظيم فهذا لا يوجب الحكم
بالبخل وكذلك تكلموا في الجود قيل الجود عطاء بلا من وإسراف من غير روية . وقيل الجود عطاء

الحديث في نزول قوله تعالى - ومن الناس من يثرى نفسه ابتغاء مرضات الله - أحمد مختصرا
من حديث ابن عباس ثرى على ثمة فليس ثوب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام مكانه الحديث
وليس فيه ذكر جبريل وميكائيل ولم تحذف لهذه الرواية على أصله وفيه أبو بلج مختلف فيه
والحدث منكر .

الشهوات التي أصيب
بها ابن آدم قال هل
تجد لي فيها شهوة قال
لا غير أنك شبعت ليلة
فتفكك عن الصلاة
والذكر فقال لا جرم
إني لا أشبع أبدا قال
إليس لأجرم إني
لأنصح أحدا أبدا .
وقال شفيق العبادة
حرفه وحانوتها الخولة
والأنها الجوع . وقال
لقمان لابنه إذا ملئت
اللمدة نالت الفكرة
وخربت المحسنة
وقصدت الأعضاء عن
العبادة . وقال الحسن
لا تجمعوا بين الأدمين
فانه من طعام الناقصين
وقال بعضهم أعوذ بالله
من زاهد قد أفسد
معدته ألوان الأغذية
فيكره للرديد أن
يولي في الإفطار أكثر

من غير مسأله على رؤيه التذليل . وقبل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما أمكن وقيل الجود عطا . على رؤيه أن المال لله تعالى والبدن لله عز وجل فمطى عبد الله مال الله على غير رؤيه الفقر وقيل من أعطى البعش وأبقى البعش فهو صاحب سخاء ومن بذل أكثر وأبقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر وأكثر غيره بالبخل فهو صاحب إيثار ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل ووجه هذه السمكيات غير محيطة بحقيقة الجود والبخل بل تقول : السال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن إمساكه عن الصرف إلى ما خلق للصرف إليه ويمكن بذله بالصرف إلى ما لا يحسن الصرف إليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالإمساك حيث يجب البذل وبخل والبذل حيث يجب الإمساك تبذير وبينهما وسط وهو الحمود وبينى أن يكون السخاء والجود عبارة عنه إذ لم يؤمر رسول الله ﷺ إلا بالسخاء وقد قيل له - ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وقال تعالى - والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما - فالجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين البسط والتبسط وهو أن يقدر بذله وإمساكه بقدر الواجب ولا يكتفى أن يفعل ذلك بموارحه فلم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه فإن بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصار بها فهو متسخط وليس بسخي بل ينبغي أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال إلا من حيث يراد السال له وهو صرفه في ما يحب صرفه إليه . فان قلت فقد صار هذا موقفا على معرفة الواجب فما الذى يجب بذله . فأقول : إن الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمرءة والعادة والسخي هو الذى لا يمنع واجب الشرع وأما واجب المرءة فإن منع واحدا منهما فهو بخل ولكن الذى يمنع واجب الشرع أغل كالذى يمنع أداء الزكاة ومنع عياله وأهله النفقة أو يؤدبها ولكنه يثق عليه فانه يغفل بالطبع وإغما يتسنى بالتسكف أو الذى يتعم الجشيت من ماله ولا يطيع قلبه أن يعطى من أطيب ماله أو من وسطه فهذا كله بخل . وأما واجب المرءة فهو ترك الضايقة والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستنبح واستنباح ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص فمن كثر ماله استنبح منه مالا يستنبح من الفقير من الضايقة ويستنبح من الرجل الضايقة مع أهله وأقاربه ومما يليك مالا يستنبح مع الأجانب ويستنبح من الجار مالا يستنبح مع البعيد ويستنبح في الضايقة من الضايقة مالا يستنبح في العامة فيختلف ذلك عافيه من الضايقة في ضايقة أو معاملة أو بماهية الضايقة من طعام أو ثوب إذ يستنبح في الأطعمة مالا يستنبح في غيرها ويستنبح في شراء السكن مثلا أو شراء الأضحية أو شراء خبز الصدقة مالا يستنبح في غيره من الضايقة وكذلك بمن معه الضايقة من صدق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولد أو أجنبي ومنه الضايقة من صبي أو امرأة أو شيخ أو شاب أو طام أو جاهل أو مومر أو فقير فالبخل هو الذى يمنع حيث ينبغي أن لا يمنع إما بمكرم الشرع وإما بحكم المرءة وذلك لا يمكن التخصيص على مقداره ولعل حد البخل هو إمساك المال عن غرض ذلك القرض هو أهم من حفظ السال فان صيانة الدين أهم من حفظ السال فحاشى الزكاة والنفقة وبخل وصيانة المرءة أهم من حفظ السال والضايقة في الدقائق مع من لا تحسن الضايقة معه هاتك ستر المرءة لحب السال فهو بخل ثم تبقى درجة أخرى وهو أن يكون الرجل بمن يؤدى الواجب ويحفظ المرءة ولكن معه مال كثير قد جمعه ليس يصرفه إلى الصدقات وإلى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ السال ليكون له علة على نواب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجته في الآخرة وإمساك المال عن هذا القرض بخل عند الأحكام وليس يخل عند عوام الخلق ، وذلك لأن نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون إمساك لدفع نواب الزمان ومهما يظهر عند العوام أيضا

من أربعة أيام فان النفس عند ذلك تركن إلى العادة وتنسج بالهوية . وقيل الدنيا بطئك فلى قدر زهدك في بطئك زهدك في الدنيا . وقال عليه السلام « ما ملأ آدم أذى وعاء شر من بطن حسب ابن آدم لقيات يقمن عليه فان كان لاهماله كلت طعامه وثلاث لشرابه وثلاث لنفسه » وقال فتح الوصل : سمعت ثلاثين شيخا كل يؤمنى عند مفارقتي إياه بترك عشرة الأحداث وقلة الأكل .

[الباب الأربعون في اختلاف أحوال الصوفية بالصور والإقطار]

جمع من الشايخ

سمة البخل عليه إن كان في جواره محتاج فتمه وقال قد أدبت الزكاة الواجبة وليس على غيره واختلف استيعاب ذلك باختلاف مقدار ماله باختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاح دينه واستحقاقه فمن أدى واجب الشرع وواجب الرومة الالهية به فقد تبرأ من البخل ، ثم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبدل زائدة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات فاذا اقتست نفسه لذلك البخل حيث لا يوجهه الشرع ولا توجه إليه للامانة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس أجود من بعض فاصطناع المعروف وراء ما توجه العادة والرومة هو الجود ولكن بشرط أن يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء فان من طمع في الشكر والثناء فهو يبايع وليس بجواد فانه يشتري بالمال والمدح ليدب وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشيء من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك إلا لمن الله تعالى وأما الآدمي فاسم الجود عليه مجاز إذ لا يبدل الشيء إلا لفرض ولكنه إذا لم يكن غرضه إلا الثواب في الآخرة أو اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا فان كان الباعث عليه الخوف من الهباء مثلا أو من ملامة الخلق أو ما يتوقضه من شغيبته من التمس عليه فكل ذلك ليس بالجود لأنه مضطر إليه بهذه البواعث وهي أعراض مجبلة له عليه فهو معارض لا جوادا كما روى عن بعض المتقدمين أنها وقعت على جبان بن هلال وهو جالس مع أصحابه قتلت هلى فبكى من أماله عن مسألة قتالوا له على محامشة وأشاروا إلى جبان بن هلال قتلت ما للسقاء عندكم قالوا اللطاء والبذل والإيثار قالت هذا السقاء في الدنيا فما السقاء في الدين قالوا أن نمد الله سبحانه سخية بها أنفستنا بكم رهقة قالت تريدون على ذلك أجرا ؟ قالوا نعم قالت وقالوا الآن الله تعالى وعدنا بالجنة عشر أمثالها قالت سبحانه الله فإذا أعطيت واحدته وأخذت عشرة فبأي شيء تستجيت عليه قالوا لها فما السقاء عندك رحمك الله قالت السقاء عندى أن تميدوا الله متمعين متلذذين بطاعة غير كارهين لا تريدون على ذلك أجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء ألا تستجيبون من الله أن يطعم على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئا بشئ ؟ إن هذا في الدنيا لبيع وقالت بعض المتقدمين أعربون أن السقاء في الدرهم والدينار فقط قبل فقيم قالت السقاء عندى في الهج وقال الحاسي السقاء في الدين أن تسخو بنفسك تتلفها لله عز وجل ويسخو قلبك يبدل مهجتك وإهراق دمك لله تعالى بساخة من غير إكراه ولا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا أجلا وإن كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يقابل على ظنك حسن كمال السقاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذى يفعل لك ما لا تحزن أن تختار لنفسك.

(بيان علاج البخل)

اعلم أن البخل سببه حب للمال ولحب المال سببان : أحدهما حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل فان الانسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربما أنه كان لا يسلخ بماله إذ القدر الذى يحتاج إليه في يوم أو شهر أو سنة قريب وإن كان قصير الأمل ولكن كان له أولاد أقام الولد مقام طول الأمل فانه يقدر بقادم كقمام نفسه فيمسك لأجلهم ولذلك قال عليه السلام « الولد مبخلة مجنة مجنة (١) » فاذا انضاف إلى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بجنى الرزق قوى البخل لاجل الحاجة. السبب الثانى : أن حب عين السالط في الناس من ممة ما يكفيه لبقية عمره إذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته وتفضل آلاف وهو شيخ بلا دمه وأموال كثيرة ولا تسمح نفسه بأخراج الزكاة ولا بمداواة نفسه عند

(١) حديث الولد مبخلة زادني رواية عزينة ابن ماجه من حديث يعلى بن مرة دون قوله محزون ترواه بهذه الزيادة أبو يعلى والبراز من حديث أبي سعيد والحاكم من حديث الأسود بن خلف وإسناده صحيح.

الصوفية كانوا يمدون الصوم في السفر والحضر على الدوام حتى لحقوا بالله تعالى . وكان أبو عبد الله بن جابر قد صام نيفا وخمسين سنة لا يقطر في السفر والحضر فجهده به أصحابه يوما فأنظر فاعتل من ذلك إياما فاذا رأى المريد صلاح قلبه في دوام الصوم فليصم دائما وبنوع لا لافطار جانبيا فهو عون حسن له على ما يريد . روى أبو موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام الدهر ضيق عليه جهنم هكذا وعقد تسعين » ألى يمكن له فبا موضع وكره قوم صوم الدهر وقد ورد

الربض بل صار محبا للذنانير عشقا لما يتبع وجودها في يده ويخدمته عليها فيكثرها تحت الأرض وهو يعلم أنه يموت فضيع أوبأخذها أعداؤهم مع هذا فلا تسمع نفسه بأن يأكل أو يصدق منها بحجة واحدة وهذا مرض للقلب عظيم غير العلاج لا سببا في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فأحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الذنانير رسول يبلغ إلى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لأن الوصول إلى القذبة قد يذم ثم نسي الحاجات وبغير الذهب عنده كأنه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من رأى بينه وبين الحجر قرافة فهو جاهل بالإمن حيث قضاء حاجته به فالواصل عن قدر حاجته والحجر بثابة واحدة فهذه أسباب حب المال وإنما علاج كل علة بمضادة سببها فتعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير والبصر وتعالج طول الأمل بكثير ذكر الموت والنظر في موت الأقران وطول تهميم في جمع المال وضايعة بسددهم وتعالج التفات القلب إلى الولد بأن خلقه خلق معه رزقه وكمن ولد لم يرث من أبيه مالا وحاله أحسن ممن ورث وأن يعلم أنه يجمع المال لولده يريد أن يترك ولده ويجري وينقلب هو إلى شروان وقد إنه كان تبايا صالحا فانه كافيه وإن كان فاسقا فيستعين بماله على الحسبة وترجع مظنة إليه وبالمال أيضا قلبه بكثرة التأمل في الأخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعده الله به على البخل من العقاب العظيم ومن الأدوية النافعة كثرة التأمل في أحوال البخل والخلافة ونفرة الطبع عنهم واستيفاحهم له فانه ما من يجمل إلا ويستطيع البخل من غيره ويستقل كل يجمل من أصعابه فيعلم أنه مستقل ومستقدر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه وبمعالج أيضا قلبه بأن يتفكر في مقاصد المال وأنها لما دأخل ولا يحفظ من المال إلا بقدر حاجة إليه والباقي يدخره لنفسه في الآخرة بأن يحصل له ثواب بذله فهذه الأدوية من جهة المعرفة والعلم فإذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الامساك في الدنيا والآخرة حاجت رغبته في البذل إن كان عاقلا فان تحركت الشهوة فينبغي أن يجيب الحائط الأول ولا يتوقف فان الشيطان يمدد الفقر وخوفه ويصد عنه . حتى أن أبا الحسن البوشنجي كان ذات يوم في الحلاء فدعا تلميذه له وقال انزع عن القميص وادفعه إلى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم آمن على شئ أن تتغير وكان قد خطر إلى بذله ولا تزول حفة البخل إلا بالبذل تكسفا كاللايزول المشق إلا بغيره للمعشوق بالمرغ من مستقره حتى إذا سافر وفارق تكسفا وصبر عنه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي أن يفارق المال تكسفا بأن يبذل بل لورماه في للساء كان أولى به من إمساكه بإياه مع الحب له ومن لطائف الخيل فيه أن يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمع نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الرياء ولكن ينظف بعد ذلك على الرياء ويؤزله بهلاجه ويكون طلب الاسم كالتمسك لنفسه عند فطامه عن المال كما قد يسأل الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالنصاير وغيرها لا يخيل واللعب ولكن لينفك عن الثدي إليه ثم ينقل عنه إلى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي أن يسلط بعضها على بعض كالتمسك الشهوة على الغضب وتكسر سوره بها وسلط الغضب على الشهوة وتكسر رعوها به إلا أن هذا منيف في حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الأقوى بالأضعف فان كان الجاه محروبا عنده كالمسال فلا فائدة فيه فانه يقلع من علة وزيد في أخرى مثله إلا أن علامة ذلك أن لا يتعلل عليه البذل لأجل الرياء فيذلك يتبين أن الرياء أغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي أن يبذل فان ذلك يدل على أن مرض البخل أغلب على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال إن الميت تستحل جميع أجزائه دودا ثم يأكل بعض الديدان البعض حتى يقل عددها

في ذلك ما روي أنه أوتقادة
قال مثل رسول الله
صلى الله عليه وسلم
كيف بمن صام الدهر
قل لا صام ولا أنظر
وأول قوم أن صوم
الدهر هو أن لا ينظر
العينين وأيام التشريق
فهو الذي يكره وإذا
أنظر هذه الأيام فليس
هو الصوم الذي كرهه
رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومنهم من
كان يصوم يوما وينظر
يوما وقد ورد «أفضل
الصيام صوم أخي داود
عليه السلام كان يصوم
يوما وينظر يوما»
واستحسن ذلك قوم
من الصالحين ليسكون
بين حال الصبر وحال
الشكر . ومنهم من
كان يصوم يومين
وينظر يوما أو يصوم

ثم يأكل بضها يضاحي ترجع إلى اثنين قوتين عظيمتين ثم لا تزالان تتنازلان إلى أن تطلب إحداهما
الأخرى فتأكلها وتضمن بها ثم لا تزال تبقى جائعة وحدها إلى أن تموت فكذلك هذه الصفات الحسية
يكن أن يسلط بضها على بعض حتى يضمها ويجعل الأضنف قوتا للأنوى إلى أن لا يبقى إلا واحدة
ثم تضع الثانية بمحوها وإذا بها بالمجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع الصفات أن لا يصل
بقتضاها فاتها تختفي لاهالة أحمالها وإذا خولقت خذت الصفات وامتنعت البخل فاته تختفي بسلك
المال فإذا منع مقتضاه وبذل المال مع المجهود بعد أخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طبعاً وسقط
التب فيه فان علاج البخل يعلم وعمل القاطر يرجع إلى معرفة آفة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع
إلى الجود والبذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يمس ويصم فيمنع تحقيق المعرفة
فيه وإذا لم يتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى الملة مزمعة كالمرض الذي يمنع معرفة
الدواء وإمكان استئصاله فانه لاحية فيه الإلصاق إلى الوت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية
في معالجة علة البخل في الردين أن يمنهم من الاختصاص بزواياهم وكان إذا توم في مريد فرحه
بزأوته ومافيا تله إلى زاوية غيرها وتقل زاوية غيره إليه وأخرجه عن جميع مملكته وإذا رآه
يلفت إلى ثوب جديد يلبسه أو سجادة يفرح بها يأمره بفسايعها إلى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لا يلبس
إليه قلبه فهذا يشيق القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل أنس بالدنيا وأحبها فان كان له
ألف متاع كان له ألف محروب ولذلك إذا سرق كل واحد منه ألبت به مصيبة بقدر حبه لها فاماتت زلز
به ألف مصيبة دعة واحدة لأنه كان يحب الكل وقد سابعه بل هو في حياته على خطر النسيبة فقد
والهلاك . حمل إلى بعض اللوك قدح من فيروز مرصع بالجواهر لم ير له نظير قدح الملك بذلك فرحا
شديدا قال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال أراء مصيبة أو فترا قال كيف قال إن كسر كان
مصيبة لا جبرها وإن سرق صرت فقيرا إليه ولم تجدهم له وقد كنت قبل أن يعمل إليك في أمن من المصيبة
والفقير ثم اتفق يوما أن كسر أوسرق وعظمت مصيبة الملك عليه فقال صدق الحكيم إنه لم يعمل
إليها وهذا شأن جميع أسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لأعداء الله إذ تسوقهم إلى النار وعدوة أولياء الله
إذ تقسمهم بالصر عنها وعدوة الله إذ تقطع طريقه على عباده وعدوة نفسها فانها تأكل نفسها فان المال
لا يحفظ إلا بالخرائن والحراس والخرائن والحراس لا يمكن تحصيلها إلا بالمال وهو بذل الدرهم والدنانير
فالمال بأكل نفسه ويضاد ذاته حتى يبقى ومن عرف آفة المال لم يأمن به ولم يفرح به ولم يأخذ منه
إلا بقدر حاجته ومن فتح بقدر الحاجة فلا يخل لأن ما أمسه لحاجته فليس يخل ويحتاج إليه فلا
يتم نفسه بمحظفه فيبذل بل كالماء على شط الدجلة إذ لا يخل به أحد لقناعة الناس منه بقدر الحاجة.
(بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله)

اعلم أن المال كالصفاة خير من وجه وشتر من وجه ومثاله مثال حبة يأخذها الرافق ويستخرج منها
الترياق ويأخذها الغافل فيقتله معها من حيث لا يدري ولا يغلو أحد عن سم المال إلا بالحافظة على
خمس وظائف . الأولى : أن يعرف مقصود المال وأنه لما دأخل في أنه لم ينجح إليه حتى يكتب ولا يحفظ
إلا قدر الحاجة ولا يطعمه من همة فوق ما يستحقه . الثانية : أن يراعي حبة دخل المال فيجنب الحرام
الحض وما القالب عليه الحرام كال السلطان ومحبب الجهات للكرهية الملاحقة في الزوارة كالهدايا
التي فيها عوائب الرشوة كالسؤال الذي فيه الذلة وهتك الرومة وما يجري مجراه . الثالثة : في القدر
الذي يكتبه فلا يستكثر منه ولا يستقل على القدر الواجب ومعايره الحاجة الحاجة فليس ومسكن
ومعلم للسلك واحد ثلاث درجات أدنى وأوسط وأعلى ومادام ما لا إلى جانب القلة ومتنزه من حد

يوما ويغفر يومين
ومنهم من كان يصوم
يوم الاثنين والخميس
والجمعة . وقيل : كان
سبل بن عبد الله يأكل
في كل خمسة عشر يوما
مرة وفي رمضان يأكل
أكلة واحدة وكان
يعطر بالماء القراح
للجنة . وحكى عن
الجنيد أنه كان يصوم
على الدوام فإذا دخل
عليه إخوانه أفطر معهم
ويقول ليس فضل
للساعة مع الإخوان
بأقل من فضل الصوم
غير أن هذا الاقطار
يحتاج إلى علم فقد
يكون الداعي إلى ذلك
شره النفس لانبسة
لواقعة وتخليص الية
لحسن الواقعة مع
وجود شره النفس
صعب وصحمت شيحا

الضرورة كان حقا وبجى من جملة المحققين وإن جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لعمقها وقد ذكرنا
تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد . الرابعة : أن يراعى جهة المخرج ويقتصد في الاغاثى غير
مبذر ولا يقتصر كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يفضله في غير حقه فان الالم في
الأخذ من غير حقه والوضغ في غير حقه سواء . الخامسة : أن يصلح نيته في الأخذ والترك
والاقتضى والامساك فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقاقا له
إذا فضل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال على رضى الله عنه لو أن رجلا أخذ جميع مالى الأرض
وأراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس زاهدا فلتكن
جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة أو مابين على العبادة فان أبعد الحركات عن
العبادة الأكل وقضاء الحاجة وهما مبيتان على العبادة فإذا كان ذلك تصدك بهما صار ذلك عبادة
في حقه وكذلك ينبغي أن تكون نيتك في كل ما يحفظك من ليس وإزار وفراش وآية لأن
كل ذلك مما يحتاج إليه في الدين وما فضل من الحاجة ينبغي أن يقصد به أن ينتفع به بعد من
عباد الله ولا يمتنع منه عند حاجته لمن فعل ذلك فهو الذى أخذ من حيلة المال جوهرها وتركها
واقى منها فلا تضره كثرة المال ولكن لا يتأتى ذلك إلا لمن رغب في الدين قدمه وعظم فيه طعمه
والعسى إذا تشبه بالعالم في الامتنكار من المال وزعم أنه يشبه أضياف الصعابة هابه العسى الذى
يرى للزوم الحائق بأخذ الحيلة ويتصرف فيها فيخرج تركها فيقتدى به ويظن أنه أخذها مستحسنا
سورتها وشكلها ومستلينا جدها فيأخذها اقتداء به فقتله في الحال إلا أن قيل الحيلة يدرى أنه
تتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحيلة قصيد :

هى دنيا كية تحف السهم وإن كانت الحيلة لانت

وكا يستحيل أن يشبه الأعمى بالبصير في تحظى قلل الجبال وأطراف البحر والطرق للتوكل فالحال
أن يشبه المسمى بالعالم الكامل في تناول المال .

(بيان فم التى ومدح القفر)

اعلم أن الناس قد اختلفوا في تفضيل التى الشاكر على القفر الصابر وقد أوردنا ذلك في كتاب القفر
والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكننا في هذا الكتاب ندل أن القفر أفضل وأجل من التى
على الجملة من غير التفات إلى تفصيل الأحوال وتقتصر فيه على حكاية فصل ذكر الحارث المحاسي
رضى الله عنه في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الأغنياء حيث احتج بأغنياء الصعابة وبكثرة
مال عبد الرحمن بن عوف وعنه نفسه بهم والمحاسي رحمه الله حرا لأمته في علم الدماء قوله السبق على جميع
البايعين عن عيوب النفس وآفات الأعمال وأغوار العبادات وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه وقد قال
بعد كلامه في الرد على علماء السوء : بلغنا أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال يا عباد الله تصومون
وتصومون وتصدقون ولا تصفون ماتومرون وتدرسون مالا تصومون فيا سواه ما تحكمون يتوبون بالقول
والأمانى وتصومون بالهوى وما ينهى عنكم أن تنفوا جلودكم وفلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تكونوا
كلنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك أتم يخرجون الحكم من أفواهكم
ويبقى الثل في صدوركم يا عباد الدنيا كيف يدرك الآخرة لا تنتفى من الدنيا شهوته ولا تنتفع
بها رغبة بحق أقول لكم إن فلوبكم نبيك من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل
تحت أقدامكم بحق أقول لكم أقصدتم آخرتكم صلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأى
الناس أخسر منكم لو تعلمون ويلكم حنات تصفون الطريق للدجلين وتبينون في محل التعيرين

يغول لى سنين ما أكلت
شيئا بشهوة نفس ابتداء
واستدعا بل يقدم إلى
التى فأراه من فضل
الله ونعمته وقضه
فأوافق الحق في فضله .
وذكر أنه في ذات يوم
اشتهى الطعام ولم يحضر
من عاداته تقديم الطعام
إليه قال فتحت باب
البيت الذى فيه الطعام
وأخذت رمانة لآكلها
فدخلت السنور
وأخذت دجاجة كانت
هناك فقلت هذا عقوبة
على من تصرف في أخذ
الرمانة . ورأيت الشيخ
أبا السعود رحمه الله
يقول الطعام في اليوم
مراتى وقت أحضر
الطعام أكل منه
وبرى أن تناوله للطعام
مواقفة الحق لأن حاله
مع الله كان ترك الاختيار
في مأ كوله وملبوسه

كانكم تدعون أهل الدنيا ليركوها لكم مهلا مهلا وبكم ما بني عن البيت النظم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحى مظهر كذلك لايضى عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة متصلة بأبيد الدنيا لا كيد أضياد ولا كأحرار كرام توهك الدنيا أن تظلمكم من أصولكم فتظلمكم على وجوهكم ثم تكتكم على متاعكم ثم تأخذ خطاياكم بتواضعكم ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلك إلى الملك الدنان هرة فرادى فيوتقكم على سواكم ثم يزيكم بسوء أعمالكم ثم قال الحارث رحمه الله إخواني هؤلاء علماء السوء هياطين الإنس وقتة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفضوا وأكروها في الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وبعين وفي الآخرة هم الخاسرون أو يصفو الكسب بفضله [وبعد] فأن رأيت المهلك المؤثر لله ناسوره مزجج بالتنصيص فيشجر عنه أنواع المسمومينون المماس إلى البؤور والتلف مصيره فرح المالك برجائه فلم يبق له دنياه ولم يسلم له دينه - خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران البين - فيلجأ من مصيبة ما أنقظها ورزية ما أجلها أفرأبوا الله إخوان ولا يفرّكم الشيطان وأولياؤه الأنسين بالجميع الداحضة عند الله فانهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لأحسهم الماذير والمجس وبزعمون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم أموال فيزين المترورون بذكر الصحابة ليعزروا الناس على جمع المال وقصدعاهم الشيطان وما يشعرون وبك أيها القتون إن احتجاجك بحال عبد الرحمن ابن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك قبلك لأنك متى زعمت أن أخبار الصحابة أرادوا المال للتكاثر والتدبر والزيادة قد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أصل وأفضل من تركه فقد ازدريت محمدا والمرسلين ونسبتهم إلى قلة الرغبة والزهة في هذا الخير الذي رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتهم إلى الجبل إذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أصل من تركه فقد زعمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصح للأمة إذ نهام عن جمع المال ^(١) وقد علان جمع المال خيرا للأمة قد غشهم زعمك حين نهام عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد كان للأمة نصحا وعليهم مشقفا وبهم رؤوفا ومتى زعمت أن جمع المال أفضل قد زعمت أن الله عز وجل لم ينظر لبياده حين نهام عن جمع المال وقد علان جمع المال خير لهم أوزعمت أن الله تعالى لم يعلم أن الفضل في الجمع فذلك نهام عنه وأنت عليهم بما في المال من الخير والفضل فذلك رغبت في الاستكثار كأنك أعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك أيها المتقون تدبر بعقلك ما دعاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بحال الصحابة ويحك ما ينفعك الاحتجاج بحال عبد الرحمن بن عوف وقد ود عبد الرحمن بن عوف في القيامة أنه لم يؤت من الدنيا إلا قوتا ولقد بلغني أنه لما توفي عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إننا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كعب طيبا وأنتى طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مضطبا يريد كعبا فرأى يعظم لحي يميز فأخذه يديه ثم انطلق يريد كعبا قبيل لكعب إن أبا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر وأقبل أبو ذر بقس الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فقادخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من

(١) حديث الهى عن جمع المال ابن عدى من حديث ابن مسعود ما أوحى الله إلى أن أجمع المال وأكون من التجار بين الحديث ولأبى نعم والحطوبى في الداريج واليبقى في الزهد من حديث الحارث بن سويد في أثناء الحديث لا يجمعوا مالا تأكلون ولا يجمعوا ضنيف .

وجميع تصارغهم وكان حاله الوقوف مع فضل الحق وقد كان له في ذلك بداية يمز مثلها حتى قل أنه كان يبق أنما لا يأكل ولا يعلم أحدهما ولا يتصرف هو لنفسه ولا يتنصير إلى تناول شيء وينتظر فضل الحق لسيافته الرزق إليه ولم يشر أحد بحالهم من الزمان ثم إن الله تعالى أظهر حاله وأقام له الأصحاب والتسليمات وكانوا يتكلمون الأطمعة ويأتون به إليه وهو يرى في ذلك فضل الحق والواقعة . سمته يقول أصبح كل يوم وأحب ما إلى الصوم وينقض الحق في محبة الصوم بفضله فأوافق الحق في فضله . وحكى عن بعض

أبي ذر قال له أبو ذر هيه يا ابن اليهودية زعم أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو أحد وأنامته فقال « يا أبا ذر قلت ليك يارسول الله فقال : الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وحماله وقدمه وخلفه وقليل مالم ثم قال يا أبا ذر قلت نعم يارسول الله يا بني أنت وأمي ، قال ما يسرك أني مثل أحد أم أنه في سبيل الله أموت يوم أموت وأترك منه قيراطين قلت أو قنطارين يارسول الله ؟ قال بل قيراطان ثم قال يا أبا ذر أنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل (١) » فرسول الله يريد هذا وأنت تحول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه خوفا حتى خرج وبلغنا أن عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه غير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة رضي الله عنها ما هذا ؟ قيل غير قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك عبد الرحمن فسألها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إني رأيت الجنة فرأيت قراء المهاجرين وللسليين يدخلون منها ولم أر أحدا من الأغنياء يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف يدخلها معهم حيا (٢) » فقال عبد الرحمن إن العير وما عليها في سبيل الله وإن أرقاها أحررا لعل أن أدخلها معهم سيما وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف « أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمي وما كذبت أن تدخلها إلا حيا (٣) » وبك أنها الفتون فسا احتياجا لك بالسال وهذا عبد الرحمن في فضله وتواضعه وصانته اللزوق وبذله الأموال في سبيل الله مع محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجرأه بالجنة (٤) أيضا يوقف في عرسات القيامة وأهوالها بسبب مال كسبه من حلال لثمنه ولصنائع المعروف وأثق منه صدا وأعطى في سبيل الله سمحا منع من السعي إلى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يجوب في آثارهم حيا . فسلطك بأماننا الفرق في فن الدنيا وبعد فالجرب كل العجب لك يامفتون تنمرغ في تحاليل الشهوات والسمت وتكالب على أوساع الناس وتقلب في الشهوات والزينة والبهاة وتقلب في فن الدنيا ثم تنجج بيد عبد الرحمن وتزعم

(١) حديث أبي ذر الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا الحديث متفق عليه وقد تقدم دون هذه الزيادة التي أوله من قول كعب حين مات عبد الرحمن بن عوف كعب طيبا وترك طيبا وإنكار أبي ذر عليه فلم أقف على هذه الزيادة إلا قول الحارث بن أسد الهامسي يابني كاذ كره للصف وقد رواها أحمد وأبو يلى أخضر ، من هذا لفظ كعب إذا كان قضى عنه حق الله فلا بأس به فرفض أبو ذر عصاه فضرب كعبا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أحب لو كان هذا الجبل لي ففعلت الحديث وفيه ابن لجة (٢) حديث عائشة رأيت الجنة فرأيت قراء المهاجرين وللسليين شفا الحديث في أن عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حيا رواه أحمد مختصرا في كون عبد الرحمن يدخل جوادون ذكر بقراء المهاجرين وللسليين وفيه عمارة بين زافان مختلف فيه الحديث (٣) حديث أنه قال أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمي وما كذبت أن تدخلها إلا حيا رواه البخاري من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفا وقال صحيح الإسناد قلت بل ضيف فيه يا ابن عوف إنك من الأغنياء حديث أنس بسند ضيف والحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف خالد بن أبي مالك صفه الجمهور (٤) حديث جرأه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف بالجنة الترمذي والنسائي في الكبرى من حديثه أبو بكر في الجنة الحديث وفيه وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وهو عند الأرملة من حديث سعيد بن زيد قال البخاري والترمذي وهذا أصح

الصادقين من أهل واسط أنه صام ستين كثيرة وكان يطر كل يوم قبل غروب الشمس إلى رمضان . وقال أبو نصر السراج أنكر قوم هذه الخرافة وإن كان الصوم تطوعا واستحسنه آخرون لأنه صاحبه كان يربذ بذلك تأذي النفس بالجوع وأن لا يتبع برؤية الصوم ووقع في أن هذا إن قصد أن لا يتبع برؤية الصوم قد تمت برؤية عدم الجمع برؤية الصوم وهذا ينسأل والأليق بموافقة العلم إضاء الصوم قال الله تعالى ولا يظنوا أنكم الكرم ولكن أهل الصدق لهم نيات فيها يفعلون فلا يبارزون والصدق

أبك إن جئت المال قد جمه الصحابة كأنك أشبهت السلف فضلمهم ويحك إن هذا من قياس إبليس ومن قبياه لأوليائه وأسأف لك أحوالك وأحوال السلف لتصرف فضأحك وفضل الصحابة ولعمري لقد كان لبعض الصحابة أموال أرادوها لتتفقد والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا وأكلوا طيبا وأتقوا قصدا وأتقوا فضلا ولم يمتوا منها حقا ولم يخلوا بها لكتم جادوا الله بأكثرها وجاد بهم جميعا وفي الشدة آثروا الله على أنفسهم كثيرا فبأنه أكدك أنت والله إنك لمبد الشبه بالقوم [وبعد] فإن أخبار الصحابة كانوا للسكنة محبين ومن خوف الفقر آمنين وبأنه في أرزاقهم وأتقن بمقادير الله سرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السرادع مدامين وكانوا متمواضين وعن حب العلو والتكثار ورعين لبيتا لواء من الدنيا إلا البياح لهم ورشوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارها وتجرعوا مرارها وزهدوا في نعيمها وزهرتها فبأنه أكدك أنت . ولقد بلغنا أنهم كانوا إذا أقبلت الدنيا عليهم حزوا وقالوا ذنب جعلت عقوبتي من الله وإذا رأوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشمار الصالحين وبلغنا أن بعضهم كان إذا أصبح وعند عياله شيء أصبح كشيء حزينا وإذا لم يكن عندهم شيء أصبح فرحا مسرورا قيل له إن الناس إذا لم يكن عندهم شيء حزوا وإذا كان عندهم شيء فرحوا وأنت لست كذلك قال إنى إذا أصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت إذ كان لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أموة وإذا كان عند عيالي شيء اغضمت إذ لم يكن لي بأك محمد أموة وبلغنا أنهم كانوا إذا سلك بهم سبيل الرخاء حزوا وأشفقوا وقالوا مالنا وللدنيا وما بارها فكأنهم على جناح خوف وإذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الآن تماهدنا ربنا فهذه أحوال السلف ونتمهم وفيهم من الفضل أكثر مما وصفنا . فبأنه أكدك أنت إنك لمبد الشبه بالقوم وأسأف لك أحوالك أنها التفتون ضد أحوالهم وذلك أنك تطعن عند القى وتبطر عند الرخاء وتبرح عند السراء وتقف عن شكر ذي النعماء وتخط عند الضراء وتخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتأنف من السكنة وذلك غر الرسلين وأنت تأنف من نفهم وأنت تدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله عز وجل وقلة اليقين بفضائه وكفى به إنما وعساك تجمع المال لنعم الدنيا وزهرتها وشبهاتها ولقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « شرار أمتي الذين غدوا بالنعم فرب عليهم أجسامهم (١) » وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ليحيى يوم القيامة قوم يطلبون حسنا لهم فيقال لهم - أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها - وأنت في غفلة قد حرمت نعم الآخرة بسبب نعم الدنيا فبأنها حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكثار والعلو والفخر والزينة في الدنيا . وقد بلغنا أنه من طلب الدنيا للتكثار أولت تفاخر لقي الله وهو عليه غضبان وأنت غير مكترث بما حل بك من غضب ربك حين أردت التكثار والعلو نعم وعساك للثب في الدنيا أحب إليك من النفقة إلى جوار الله فأنت تترك لقاء الله والله فتأفك أكره وأنت في غفلة وعساك تأسف على ما فاتك من عرض الدنيا . وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أسف على دنيا فاته اقرب من النار مسيرة شهر وقيل سنة » وأنت تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك أحيانا لتوفير دينك وتضرع بإقبال الدنيا عليك وترتاح ذلك سرورا بها . وقد بلغنا أن رسول الله (١) حديث شرار أمتي الذين غدوا بالنعم الحديث تقدم ذكره في أوائل كتاب فم البخل عند الحديث الرابع منه من أسف على دنيا فاته اقرب من النار مسيرة سنة .

محمود لبيد كيف كان
والصادق في خفارة
صدقه كيف قلب وقال
بعضهم إذا رأيت
الصوف في صوم صوم
الطوبى قائمه فانه قد
اجتمع معه شيء من
الدنيا . وقيل إذا كان
جماعة متواقفين
تشكلا وفيهم حميد
يحنونه على الصيام فان
لا يساعدهم يمشوا
لافتاره ويشكوا له
رغباه ولا يعملوا حاله
على حاله وإن كانوا
جماعة مع شيخ
يسومون لفسومه
ويفطرون لافطاره إلا
من يأمره الشيخ بغير
ذلك . وقيل إن بعضهم
صام سنين بسبب شارب
كان يصعبه حتى ينظر
الشباب إليه فتأذب
به بصوم بضياعه .

صلى الله عليه وسلم قال «من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه» (١) وبلغنا أن بعض أهل العلم قال إنك تحاسب على التجرد على ما فاتك من الدنيا وتحاسب فخرحك في الدنيا إذا قدرت عليها وأنت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعساك تقي بأمور دينك أضفاف ما تقي بأمور آخرتك وعساك ترى مصيبتك في معاصيك أهون من مصيبتك في انتقاص دينك وهم خوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل نفاس ما جمعت من الأوساخ كلها للعفو والرفقة في الدنيا وعساك ترضى الخلوتين ما خطاؤه تعالى كما تكرم وتظم وعساك فكل أن احتقار الله تعالى لك في القياس أهون عليك من احتقار الناس إليك وعساك تخفى من الخلوتين مساويك ولا تكثر باطلاع الله عليك فيها فكانت النفيضة عند الله أهون عليك من النفيضة عند الناس فكانت اليد أعلى عندك قدرا من الله ، تعالى الله عن جهلك فكيف تتعلق عند ذوى الألباب وهذه المثالب فيك أفت لك تلوثوا بالأفذار وتحتج ببال الأبرار هيئات هيئات ما بعدك عن السلف الأخيار والله قد بلغني أنهم كانوا فيها أحل لهم أزهدهم منكفيا في حرم عليهم إن القى لأبصار، به عندكم كان من اللوقات عديم وكانوا للزلة الضعيفة أشد استعظاما منكم لكباري للناس فليت أطيب مالك وأمله مثل شهوات أموالهم وليتك أشفقت من سيئاتك كما أشفقت على حسانهم أن لا تقبل ليت صومك على مثال إفطارهم وليت اجتهدك في العبادة على مثل قورم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من سيئاتهم وقد بلغني عن بعض الصحابة أنه قال غيبة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهبتهم ما زوى عنهم منها لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة فيسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة في العلو عند الله وفريق أمثالكم في السفالة أو يفتوا الله الكريم بفضله [وبعد] فإنا إن زعمت أنك متأس بالصحابة بجميع المال لتختلف واليد في سبيل الله قدر أمرك ومحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم وأوجب أنك عحات في طلب الحلال كما احتاطوا . قد بلغني أن بعض الصحابة قال كنا نضع سبعين بابا من الحلال عفاة أن تقع في باب من الحرام أقطم من حشك في مثل هذا الاحتياط لأورب الكمية ما أحسبك كذلك ومحك كن على يقين أن جميع المال لأعمال البر مكر من الشيطان لبوصك بسبب البر في اكتساب الشهوات للمزوجة بالسهل والحرام وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أجترأ على الشهوات أوشك أن يقع في الحرام» (٢) أيها القورر أما علمت أن خوفك من اقتحام الشهوات أحم وأفضل وأعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشهوات وبذلك في سبيل الله وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض أهل العلم قال لأن تضع درهما واحدا عفاة أن لا يكون حلالا خير لك من أن تصدق بألف دينار من شبه لا تدرى أحل لك أم لا فإن زعمت أنك أتقي وأودع من أن تلبس بالشهوات وإنما تجمع المال بزعمك من الحلال للبدل في سبيل الله ومحك إن كنت كما زعمت بالثبات في الودع فلا تعرض للحساب فإن خيار الصحابة خافوا للسألة وبلغنا أن بعض الصحابة قال ما سرني أن أكتب كل يوم ألف دينار من حلال وأتقها في طاعة الله ولم يتقها السكب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذاك رحمتك الله ؟ قال لا تقي غنى عن مقام يوم القيامة فيقول

وحكى عن أبي الحسن
الشيخ أنه كان يصوم
الدهر وكان مقبلا
بالصرة وكان لا يأكل
الخبز إلا ليلة الجمعة
وكان قوته في كل شهر
أربع دوايق يعمل
يسده حال اليأس
وبيعها وكان الشيخ
أبو الحسن بن سالم
يقول لا أسلم عليه
إلا أن يظفر ويأكل
وكان ابن سالم أتجه
بشهوة خفية في ذلك
لأنه كان مشهورا
ببين الناس وقال
بعض ما حاسن الله
عبد قط إلا أحب أن
يكون في جبلا يعرف
ومن أكل فضلا من
الطعام أخرج فضلا
من الكلام وقيل أقام
أبو الحسن التنبؤ

(١) حديث من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه لم أجده إلا بلافا للحارث بن أسد الهامسي كما ذكره الضيف عنه (٢) حديث من أجترأ على الشهوات أوشك أن يقع في الحرام متفق عليه من حديث الثمان بن بشير نحوه وقد تقدم في كتاب الحلال والحرام أول الحديث .

عبدى من أين اكتسبت وفى أى شيء أنفقت فهو لا للتقوى كانوا فى جدة الاسلام والحلال موجود
لدهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة أن لا يقوم خير المال بشره وأنت غاية الأمن والحلال فيدهرك
مفقود تكالب على الأوساخ ثم زعم أنك تجمع المال من الحلال ويحك أين الحلال تتجده [ووجد]
فلو كان الحلال موجودا لذهب أما تخاف أن يتغير عند التقي قلبك وقد بلغنا أن بعض الصعابة كان يرث
المال الحلال فيترك مخافة أن يغيب قلبه أن تقطع أن يكون قلبك أنقى من قلوب الصعابة فلا يزول عن
شيء من الخلق فى أمرك وأحوالك لكن ظننت ذلك لقد أحسنت الظن بنفسك الأمانة بالسوء ويحك
إني لك ناصح أرى لك أن تقع بالمانة ولا تجمع المال لأعمال البر ولا تعرض للحساب فانه يلغى عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من نوقش الحساب عذب » ^(١) وقال عليه السلام « يؤتى رجل
يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأنفقه فى حرام فيقال اذهبوا به إلى النار ويؤتى رجل قد جمع مالا
من حلال وأنفقه فى حرام فيقال اذهبوا به إلى النار ويؤتى رجل قد جمع مالا من حرام وأنفقه فى حلال
فيقال اذهبوا به إلى النار ويؤتى رجل قد جمع مالا من حلال وأنفقه فى حلال فيقال اذهبوا به إلى النار
فى طلب هذا شيء مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها وفرطت فى شيء من ركوعها وسجدوها
ووضوئها فيقول لا يارب كسبت من حلال وأنفقت فى حلال ولم أصنع شيئا مما فرضت على فيقال للملك
اختلت فى هذا المال فى شيء من مركب أو ثوب باهيت به فيقول لا يارب لم أدخل ولم أباذلى شيء فيقال
للك منعت حق أحد أمرتك أن تعطيه من ذوى القربى واليتامى والساكنين وابن السبيل فيقول لا
يارب كسبت من حلال وأنفقت فى حلال ولم أصنع شيئا مما فرضت على ولم أدخل ولم أباذلى شيء فيقال
أحد أمرتك أن أعطيه قال فيجهر أولئك فيخامخونه فيقولون يارب أعطيتهم وأغنيته وجعلته بين
أظفرك وأمرته أن يعطينا فان كان أعطاهم وما ضيع من ذلك شيئا من الفرائض ولم يختل فى شيء ويقال بين
الآن هات عكر كل نعمة أنعمنا عليك من أكلة أو شربة أو لذة فلا يزال يسئل ^(٢) ويحك فمن ذا
الذى تعرض لهذه المسألة التى كانت لهذا الرجل الذى قلب فى الحلال وقام بالحقوق كلها وأدى
الفرائض محمودةا وحسب هذه المسألة فكيف ترى يكون حال أمثالنا العرق فى دن الدنيا ونحوها ليطها
وشبهاتها وشبهاتها وزينتها ويحك لأجل هذه المسائل يخاف التقوى أن يتلبسوا بالدنيا يافروا بالسكاف
منها وعملوا بأنواع البر من كسب المال فلك ويحك هؤلاء الأخيار أسوءة فان أبيت ذلك وزعمت أنك
بالغ فى الورع والتقوى ولم تجمع للمال إلا من حلال بزعمك للتعفف والبذل فى سبيل الله ولم تنفق شيئا
من الحلال إلا بحق ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله ولم تسخط الله فى شيء من سرارك وعلايتك
ويحك فان كنت كذلك ولست كذلك فقد بينيت لك أن رضى بالبلغة وتمترل ذوى الأموال إذا
وقفوا للسؤال وتسق مع الرعي الأول فى زمرة الصطفى لأحبس عليك للمساءلة والحوادث فإسلامة
وإما عطف فانه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يدخل مصالك المهاجرين قبل
أغنيائهم الجنة بخمسة أعام » ^(٣) وقال عليه السلام « يدخل قراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم

(١) حديث من نوقش الحساب عذب متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم (٢) حديث يؤتى
بالرجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأنفقه فى حرام فيقال اذهبوا به إلى النار الحديث بطوله
لم أفسد له على أصل (٣) حديث يدخل مصالك المهاجرين قبل أغنيائهم الجنة بخمسة أعام الترمذى
وحسنه وابن ماجه من حديث أبى سعيد بلطف قراء مكان مصالك ولهما وللنسائى فى الكبرى
من حديث أبى هريرة يدخل القراء الجنة الحديث والمسلم من حديث عبد الله بن عمر إن قراء
المهاجرين يسبقون الأغنياء إلى الجنة بآرمين خريفا .

بالحرم مع أصحابه سبعة
أيام لم يأكلوا خبز
بعض أصحابه لينظروا
فرأى قسرا بطيخ
فأخذته وأكله فرآه
إنسان فاتبع أثره وجاء
يرفق فوضه بين يدي
القوم فقال الشيخ من
جنى منك هذه الجنة
فقال الرجل أنا وجدت
تسر بطيخ فأكلته
فقال كن أنت مع
جانيك ورضك فقال
أنا تأتب من جاني
فقال لا كلام بعد التوبة
وكانوا يستسجون
صيام أيام البيض وهى
الثالث عشر والرابع
عشر والخامس عشر
روى أن آدم عليه
السلام لما أعيط إلى
الأرض أسود جسده
من أثر العصية فلما
تاب الله عليه أمره أن

فيا كلون ويستمعون والآخرون جائة على ركبهم فيقول قبلكم طليق أتم حكام الناس ولو كنهم فأروني ماذا صنعتكم فيها أعطيتكم^(١) ؟ وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ما سرفني أبدا في حمر التمر ولا أكون في الرعي الأول مع محمد عليه السلام وحزبه يافوم فاستبقوا السباق مع الحقين في زمرة الرسلين عليهم السلام وكوّنوا وجلبين من التخلّف والاقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل التقيين قد بلغني وأن بعض الصعابة وهو أبو بكر رضي الله عنه عطش فاستسقى فأني بشربة من ماء وعسل فلما ذاقته خنته العبرة ثم بكى وأبكى ثم مسح السموع عن وجهه وذهب ليكنكم فداد في البكاء فلما أكثر البكاء قبله أكل هذا من أجل هذه الشربة قال نعم بينا أنا ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أحدني البيت غري فجعل يدفع عن نفسه وهو يقول إليك عنى قتلت ه فذاك أبى وأمى ما رى بين يديك أحدا فن غطاب فقال هذه الدنيا تطاولت إلى بنتها ورأسها فقلت لي يا محمد خذني قلت إليك عنى فقلت إن تتج منى يا محمد فانه لا ينجو منى من جحك فأخاف أن تكون هذه قد لحقتى فخطني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) ؟ يا قوم هؤلاء الأخبار بكوا وجلا أن تطعمهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حلال وبحك أنت في أنواع من التمر والشهوات من مكاسب السمح والشبهات لا تخفى الاقطاع أفك ما أعظم جهلك وبحك فان تخلف في القيامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد للمطفي لتنتظرن إلى أهوال جزت منها للأشكة والأنياء ولئن قصرت عن السباق ليطولن عليك الحاق ولئن أزدت الكثرة لتصيرن إلى حساب عسير ولئن لم تضع بالقليل تصيرن إلى وقوف طويل وصرع ووعول ولئن رضيت بأحوال التخلفين لتقطعن عن أصحاب الجين وعن رسول رب العالمين ويطعن عن نعيم التتمين ولئن خالفت أحوال التقيين لتكوفن من المتبسين في أهوال يوم الدين قد ربو بحكم ما صحت [وعد] فان زعمت أنك في مثال خيار السلف فتح بالقليل زاهد في الحلال بذول لك مؤثر في خشك لا تخفى القفر ولا تدخر شيئا لك من بعض للتسكار والنبي راض بالقفر والبلاء فرح بالقليل ولكسكة مسرور بالقليل والضمّة كاره للملأ والرفعة قوى في أمرك لا تفتير عن الرشد فليكن قد حاسبت خشك في الله وأحكمت أمورك كلها على ما وافق رضوان الله ولئن توقفت في السالون بحاسب مثلك من التقيين وإعما تجمع المال الحلال للبدل في سبيل الله وبحك أيها القروور قد رب الأمر وأمن النظر أما عنت أن ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذكر والتذكر والتفكير والاعتبار أسلما دين وإيسر لحساب وأخف للمساءلة وأمن من روعات القيامة وأجزل للثواب وأطهر لقدرك عند الله أضما فلما بلغنا عن بعض الصعابة أنه قال لو أن رجلا في حجره دنائير يسطها والآخرة يذكر الله فكان الله أكرأفضل. وسئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر قال تركه أبر به وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالا فأصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه وأما الآخر فانه جانيها فلم يظفها ولم يتناولها فأعياها أفضل قال بيد الله ما بينهما الذي جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها وبحك فهذا الفضل لك ترك الدنيا على من طلبها ولك في العاجل إن تركت الاشتغال بالمال إن ذلك أروح لبدنك وأقل لتعبك وأتم لمبشك وأرضى لبالك وأقل لهومك فاعذر لك جمع المال وأنت ترك المال أفضل ممن طلب المال لأعمال البر نعم وعفلك بذكر الله أفضل من بذل المال في سبيل الله

يصوم أيام البيض
فايض ثلث جسده
بكل يوم صام حتى
ايض جميع جسده
يصيام أيام البيض
ويستجود صوم
النصف الأول من
شعبان وإفطار نصفه
الأخير وإن واصل بين
شعبان ورمضان فلا
بأس به ولكن إن
لم يكن صام فلا يستقبل
رمضان يوم أو
يومين وكان يكرمه
بضمهم أن يصام رجب
جميع كراهة المضاهاة
برمضان ويستحب
صوم البشر من ذي
الحجة والبشر من
المهرم ويستحب الجفيس
والجمعة والسبت أن
يصام من الأشهر الحرام
وورد في الخبر من صام
ثلاثة أيام من شهر

- (١) حديث يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيستمعون وبأ تكون الحديث لم أره أصلا
- (٢) حديث أن بعض الصعابة عطش فاستسقى فأني بشربة ماء وعسل الحديث في دفع النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا عن نفسه وقوله إليك عنى الحديث البزار والحاكم من حديث زيد بن أرقم قال كنا عند أبي بكر فدعا جربا فأني بماء وعسل الحديث قال الحاكم صحيح الإسناد قلت بل ضعيف

فاجتمع لك واحة الماثل مع السلامة والفضل في الأجل . [وبعد] فلو كان في جمع المال فضل عظيم
لوجب عليك في مكارم الأخلاق أن تأتسب بدينك إذ هداك الله به وترضى ما تخاره لنفسه من مجانبة
الدنيا وعملك تدبر ما سمت وكن على يقين أن السعادة والنور في مجانبة الدنيا فيسر مع لواء الصلطي سابقا
إلى جنة الأولى فإنه بلنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سادات المؤمنين في الجنة من إذا
تدعى لم يجد عشاء وإذا استقرض لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة إلا ما يورثه ولم يقدر على أن يكتب
ما يشي بمسمى مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه . فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » (١) ألا يا أخى متى جمعت هذا المال بهذه البیان فانك
مبطل فيها ادعت أنك لبر والفضل نجمة لا ولكنك خوفا من الفقر نجمة ولتتمم والزينة والتكاثر
والنصر والعلو والرياء والسمة والمعظم والتكرمة نجمة ثم تزعم أنك لأعمال البر تجمع المال وعملك
راقب الله واستحي من دعوالك أيها النور وعملك إن كنت مفتونا بحب المال والدنيا فكأن مقرآن
الفضل والخير في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول ، نعم ولكن عند جمع المال من رباطي نفسك متزافا ساءت
وجلا من الحجاب فذلك أحمى لك وأقرب إلى الفضل من طلب الحجب لجمع المال . إخواني ألعوان
دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك من أروع الناس وأزهدهم في المباح لهم ونحن في
دهر الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال . بلغ القوت وستر المورة فأما جمع المال فدهرنا فأعانا
الله وإياكم منه [وبعد] فأبى لنا بطل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم وأبى لنا مثل
ضائرهم وحسن نيابهم دهرنا ورب الساء بأدواء النفوس وأهوائها وعن قريب يكون الورود في سعادة
المتقين يوم النشور وحزن طويل لأهل التكاثر والتخاليط وقد نصحت لكم إن قبلتم والقابلون لهذا
قليل وقتنا الله وإياكم لكل خير برحمته آمين . هذا آخر كلامه وفيه كفاية في إظهار فضل القفر على القى
ولا مزيد عليه ويشهد لذلك جميع الأخبار التي أوردها في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب القفر والزهدة
ويشهد له أيضا ما روى عن أبي أمامة الباهلي « أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني
مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال
يا ثعلبة أمالك في أسوة أما ترضى أن تكون مثل نبي الله تعالى أما والذي نفسي بيده لو شئت أن يسير
معى الجبال ذهباً وضعة لسارت قال والذي بعثك بالحق نبيا لئن دعوت الله أن يرزقني مالا لأعطين كل
ذى حق حق وألفن ولألفن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فأخذ غنا
فتمت كما يشمو الدود ضافت عليه المدينة فتحنى عنها فنزل وأدا من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر
والصبر في الجماعة ويدع ما أوامهم تمت وكثرت فتحنى حتى ترك الجماعة إلا الجملة وهي تمتو كما هو الدود
حتى ترك الجمعة وطلق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الأخبار في المدينة وسأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عنه فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب ؟ قيل يا رسول الله أخذ غنا ضافت عليه الدينق أخبر بأمره
كله فقال يا بوع ثعلبة يا بوع ثعلبة قال وأرسل الله تعالى - خذ من أموالهم صدقة تطهرهم
وترزقهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم . وأرسل الله تعالى فرائض الصدقة فيمت رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجلا من حبيته ورجلا من بنى سليمان على الصدقة وكتب لهما كتابا يأخذ الصدقة أمرهما أن
يخرجا فيأخذوا الصدقة من السليقين وقالمرا يملأه بن حاطب وخلان رجل من بنى سليمان وخذاصا قاتهما
وقد تقدم قبل هذا في هذا الكتاب (١) حديث سادات المؤمنين في الجنة من إذا تدعى لم يجد
عشاء الحديث عزاء صاحب مستند القردوس للطبراني من رواية أبي حازم عن أبي هريرة مختصرا
بلفظ سادة القراء في الجنة الحديث ولم أره في معارج الطبراني

حرم الخسيس والجملة
والسبت بعد من النار
سبعائة عام .

[الباب الحادي
والأربعون في آداب
السوم ومهامه]

آداب الصوفية في
السوم ضبط الظاهر
والباطن وحسن

الجوارح عن الآثام
كنع النفس عن الطعام
ثم كفف النفس عن

الاهتمام بالأقسام سمعت
أن بعض الصالحين
بالدراق كان طريقه

وطريق أصحابه أنهم
كانوا يصومون وكما
فتح عليهم قبل وقت

الانفطار يخرجونه ولا
يفطرون إلا على ما فتح
لهم وقت الانفطار

وليس من الأدب أن
يسبك الريد عن
الباح ويفطر بحرام

فخرجنا حتى أتينا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هناء إلا جزية ما هناء إلا جزية ما هناء إلا أخت الجزية انطلقا حتى فرغا ثم تمودا إلى فانطلقا نحو السليبي فسمع بهما قام إلى خيار أسنان إليه فزلهما للصدقة ثم استقبهما بها فلما رأوها قالوا لا يجب عليك ذلك وما تريد تأخذ هذا منك قال بل خذوها فغنى بها طيلة وإيماني لتأخذوها فلما فرغا من صدقتهما رجعا حتى مرا ثعلبة فسألاه الصدقة فقال أروني كتابك فظفر فيه فقال هذه أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيت فانطلقا حتى أتينا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأها قال يا بوع ثعلبة قبل أن يكلموا مدعا للسليبي فأخبراه بالذي صنع ثعلبة وبأذي صنع السليبي فأنزل الله تعالى في ثعلبة - ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله غلوا بهوتوا ولم يعرضوا فأعقبهم ثعلبا في قولهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون - وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة فقال لأم لك يا ثعلبة قد أنزل الله عليك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقة فقال إن الله منحن أن أقبل منك صدقة فجعل يحشو التراب على رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك أم تركت فلم أعطني فلما أرى أن يقبل منه شيئا رجع إلى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم جاء به إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وجاء به إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وتوفى ثعلبة بعد في خلافة عثمان ^(١) فهذا طغيان اللال وعشوه وقد عرفته من هذا الحديث ولأجل بركة القفر وشوق النبي ﷺ قال كانت لي من رسول الله القفر لنفسه ولأهل بيته حتى روى عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال كانت لي من رسول الله منزلة وجاء فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاءها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم باني أنت وأمي يا رسول الله قال نعم وقتت ياب منزلة فاطمة ففرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله فقال عمران بن حصين فقالت والذي بيحك الحق نياما على الإعباء فقال اسكني بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسد قد واريته فكيف برأسي فألقى الإهلامه كانت عليه خلقة قال شدني بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليك يا بنتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي أني لست أقدر على طعام أكله فقد أجهدني الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وإلى الأكرم على الله منك ولوسأت ربي لأطعمني ولكني أثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب يده على منكبا وقالها أخرى فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة فقالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وآسية سيدة نساء عالمها إنك في بيوت من قصب لا أدري فيها ولا صلب ثم قالها اتقني يا بن عمك فوالله لقد رزقك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة ^(٢)

الآثم قال أبو الدرداء يا حبيذا نوم الأكياس وفطرم كيف يشنون قيام الحنفي وصيامهم ولذرة من ذي يقين وتوفى فضل من أمثال الجبال من أعمال القربين ومن فضيلة الصوم وأدبه أن يقال الطعام عن الحديث الذي كان يأكله وهو مفطر وإلا إذا جمع الأكلات بأكله واحدة فقد أدرك بها ما فوت وقصود القوم من الصوم قهر النفس ومنعها عن الاتساع وأخذهم من الطعام قدر الضرورة لعلهم أن الاتصاف على الضرورة مجذب النفس من سائر الأفعال والأقوال إلى الضرورة والنفس من طبعها أنها إذا

(١) حديث أبي أمامة أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة قبل تؤذي شكره خير من كثير لا تطيقه الحديث بطوله الطبراني بسند ضعيف (٢) حديث عمران بن حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاء فقال فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله وفيه لقد رزقك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة لأجده من حديث عمران ولأحمد والطبراني من حديث معقل بن يسار وصات النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل لك في فاطمة فتودها الحديث وفيه أما ترضين أن زوجتك أقدم أمي سلواوا كثرهم

فانظر الآن إلى حال فاطمة رضى الله عنها وهى بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أثرت
 الفقر وتزكت المال ومن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم وما ورد من أخبارهم وآثارهم
 لم يشك في أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات إذ أقل ما فيه من أداء الحقوق
 والتوقى من الشبهات والصرف إلى الخيرات اشتغال المم باصلاحه واخراجه عن ذكر الله إذ لا ذكر
 إلا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال ، وقد روى عن جرير عن ليث قال سمعت رجلا يعسى بن مريم
 عليه السلام فقال أكون معك وأصحبك فانطلقا فأتيا إلى شط نهر جلسا يتعلمان ومعهما ثلاثة
 أرغفة فأكلوا رغيفين وبقي رغيف ثالث فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فخرّب ثم رجع فلم
 يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف فقال لأدري قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية
 ومعهما خششان لما قال فدعا أحدهما فأتاه فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذلك الرجل ثم قال للخشف
 ثم باذن الله فقام فذهب فقال للرجل أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لأدري
 ثم اتيا إلى وادى ماء فأخذ عيسى بيد الرجل فشبا على الماء فلما جاؤا قال له أسألك بالذى أراك
 هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لأدري فأتيا إلى مغارة فجلسا فأخذ عيسى عليه السلام يجمع
 ترابا وكثيبا ثم قال كل ذهابا باذن الله تعالى فصار ذهابا فقسمة ثلاثة أثلاث ثم قال ثالث وثالثك
 وثالث لمن أخذ الرغيف فقال أنا الذى أخذت الرغيف فقال كله لك وفارقه عيسى عليه السلام فأتيا
 إليه رجلان في المغارة ومعه المال فأراد أن يأخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا أثلاثا فأشوا أحدهم
 إلى القرية حتى يشتري لنا طعاما نأكله قال فيعشوا أحدهم فقال الذى بث لآى شئ أقسم هؤلاء هذا
 للمال لكنى أضع في هذا الطعام صما فأنتلها وأخذ للمال وحدى قال ففعل وقال ذلك الرجل لآى
 شئ نجعل هذا ثلث للمال ولكن إذا رجع فقلنا واقتسمنا للمال بيننا قال فلما رجع إليهما فقلنا كلا
 الطعام فلما بقي ذلك المال في المغارة وأوثلك الثلاثة عنده قتلى فر بهم عيسى عليه السلام في تلك
 الحالة فقال لأصحابه هذه فاحذروها . وحكى أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس بأيديهم شئ
 مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احترقوا قبورا فاذا أصبحوا شهدوا تلك القبور وكنتسوها وصلوا
 عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قرض لهم في ذلك معايش من نبات الأرض وأرسل ذو القرنين
 إلى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال مالى إليه حاجة فإن كان له حاجة فأتني فقال ذو القرنين
 صدق فأقبل إليه ذو القرنين وقال له أرسلت إليك لتأتني فأيت بها أنا قد جئت فقال لو كان لي إليك
 حاجة لأتيتك فقال له ذو القرنين مالى أراك على حالة فأرأى أحدا من الأمر عليها قال وماذا لك ليس لك
 دنيا ولا شئ . أفلا أخذت الذهب والفضة فاستمتعت بها قالوا إنما كرهناها لأن أحدا لم يطمع بها شيئا
 إلا نالت نفسه ودعته إلى ما هو أفضل منه فقال ما بالك قد احترق قبورا فاذا أصبحت تعاودعوها
 فكنتسوها وطمعتم عندها قالوا أردنا إذا نظرنا إليها وأملنا الدنيا منتضا قبورنا من العمل . قال
 وأراك لا طعام لك إلا البقل من الأرض أفلا أخذت البهائم من الأنعام فاستبذتها وركبتوها
 فاستمتعت بها قالوا كرهنا أن نجعل بطونا قبورا لها ورأينا في نبات الأرض بلاغا وإعسا بكنى ابن آدم
 أذن العيش من الطعام وإعسا ما جاوز الحنك من الطعام لم نجعله طعاما كلنا ما كان من الطعام ثم بسط
 ملك تلك الأرض يده خلف ذى القرنين فتناول فجحمة فقال إذا القرنين أئندرى من هذا قال ومن
 هو قال ملك من ملوك الأرض أعطاه الله سلطانا على أهل الأرض فنشم وطرو عتافا فآمر الله سبحانه
 ذلك منه حسنة بالوت فصار كالبحر اللقي وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرتهم تناولوا
 علما وأعظمهم علما وإسناده صحيح .

أفترت لله تعالى في
 شئ واحد على
 الضرورة تأدى ذلك
 إلى سائر أحواله فيصير
 بالأكل النوم ضرورة
 والقول والقول ضرورة
 وهذا باب كبير من
 أبواب الخير لأهل
 الله تعالى يجب رعايته
 واتقاه ولا يخفى بعم
 الضرورة وفائدتها
 وطوبها إلا بعد إيراد الله
 تعالى أن يفسره
 ويدنيه ويصطفيه
 ويريه ويقتع في
 صومه من ملاعبة
 الأهل وللإسالة فان
 ذلك أئنه لقوم
 ويحسرح استعمالا
 السنة وهو أئعى إلى
 إضفاء الصوم لمئين
 أحدهما عود بركة
 السنة عليه والثاني
 التقوية بالطعام على

جججة أخرى بالية فقال إذا القرنين هل تدري من هذا قال لأدري ومن هو قال هذا ملك مسلكه
بند قد كان يرى ما ينسج الذي قبله بالناس من التسم والنظم والتبوير فتواضع وخضع له عز وجل وأمر
بالعدل في أهل مملكته فصار كما نرى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزه به في آخرته ثم أهوى إلى جججة
في القرنين فقال وهذه الجججة قد كانت كهذين فانتظر إذا القرنين ما أنت صانع فقال له ذو القرنين
هل لك في صبي فأتتهك أنا ووزيراً وشريكاً فيما آتاني الله من هنا المال قال ما أصلح أنا وأنت
مكان ولا أن نكون جميعاً قال ذو القرنين ولم ؟ قال من أجل أن الناس كلهم كعدو لي صديق قال
ولم قال يصاحبتك لسان يدرك من اللك والمال والدنيا ولا أحد أجداد بني رضى لذلك ولما عدى
من الحاجة وقلة الشيء قال فاضرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به فبذره الحكايات كذلك على
آفات النعم التي ما قدمناه من قبل وبالله التوفيق .
(تم كتاب فم اللال والبخل بحمد الله تعالى وعونه ، وفيه كتاب فم الجاه والرياء .)

﴿ كتاب فم الجاه والرياء ﴾

(وهو الكتاب الثامن من ربيع للملكات من كتاب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله علام الصيوب ، الطلع على سررات القلوب ، المتجاوز عن كثر القنوب ، العالم بما يحته الضماير
من خفايا الصيوب ، البصير بسررات الثبات وخفايا الطويات ، الذي لا يقبل من الأعمال إلا ما كد يوفى
وخلص عن ثواب الرياء والشرك وصفا ، فإنه التفرد بالملكوت ، فهو أغنى الأغنياء عن الشرك ،
والصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه للبرئين من الحياة والإيك ، وسلم تسليما كثيرا .
[أما جد] فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة
الحفية التي هي أخفى من ديب التمه السوداء على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء » (١) ، ولذلك يحزن عن الوقوف
على غوائلها مسامرة الطماء فضلا عن عامة العباد والأضياء وهو من أواخر غوائل النفس وجوهر
مكابدها وإعسا يتلى به العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلك سبيل الآخرة فاتهم مهماتهم و
أنفسهم وجاهدوها ونظموها عن الشهوات وصانوها عن الشهوات وحملوها بالهجر على أصناف العبادات
محجرت فحوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة إلى النظاه بالحجر
وإظهار العمل والعلم فوجدت محاسنا من مشقة المجاهدة إلى لقاء القول عند الحق ونظرهم إليه بين الوفاق
والتعظيم فصارعت إلى إظهار الطاعة وتوصلت إلى اطلاع الحق ولم تنتفع بطلاع الحق وفرحت بحمد الناس
ولم تنتفع بحمد الله وخدمت على أنهم إذا عرفوا تركه الشهوات وتوفيق الشبهات وتحمله مشاق العبادات
أطلقوا أنفسهم بالمدح والثناء والتفريط والإطراء ونظرهم إليه بين التوقير والاحترام وتبركوا
بمشاهدته وقام له ورغوا في تركه عاتيه وحرصوا على اتباع رأيه فأنعموا بالحكمة والسلوك كرموه في الحافل
فاية الإكرام ودامحوه في البيع والعمالات وقدموه في المجالس وآثروها بالمظاهر للاباس وتصاغر والاه
متواضعين واقتادوا له في أغراضه موقرين فأصابته النفس في ذلك لنتهى أعظم اللذات وشهوتها أغلب
الشهوات فاستعمرت فيه ترك المعاصي والمفحوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لإدراكها

﴿ كتاب فم الجاه والرياء ﴾

(١) حديث إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الحفية إن صاحبه والمحاكم من حديث شداد
ابن أوس وقالا الشرك بدل الرياء وفسراه بالرياء قال الحاكم صحيح الإسناد قلت بل ضيف وهو عند
ابن المبارك في الزهد ومن طريقه عند البيهقي في الشعب بإلفظ المصنف .

الصيام ، وروى أنس
ابن مالك عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال « تسحروا فان في
السحور بركة »
وبعيد الفطر عملا
بالسنة فإن لم يرتدوا
الطعام إلا بعد المشاء
ويريد إحياء ما بين
الشارين بغير المال
أو على أعداد من
الزبيب أو التمر أو
بأكل لقبات إن كانت
النفس تنازع ليصفوله
الوقت بين المشارين
فاجابه ذلك له فضل
كثير وإلا فيقتصر
على المساء لأجل السنة
أخبرنا الشيخ العالم
صلى الله عليه وسلم
ابن علي قال أنا أبو القاسم
الهروري قال أنا أبو نصر
الرباعي قال أنا أبو محمد

في الباطن لذة اللذات وشهوة للشهوات فهو يظن أن حياته باقة وبمباداة الرضية وإنما حياته بهذه الشهوة لطفية التي تسمى من محركها القول النافذة القوية ويرى أنه خاص في طاعة الله ومجنب لمأزيم الله والنفس قد أبطنت هذه الشهوة تزيينا للبدن وصنعا للخلق وفرحا بما تسمى من التزيين والرفق وأحبطت بذلك ثواب الطاعات وأجود الأعمال وقد أثبتت اسمه في جريدة الناظرين وهو يظن أنه عند الله من للترقيين وهله مكيكة للنفس لا يملك منها إلا الصديقون وممولة لا يرقى منها إلا الترقيون وللهالك قبل آخر ما يخرج من رجوس للصديقين حب الرياسة وإذا كان الرياء هو الصفاء الحقيقي الذي هو أعظم شيكا للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته وأقسامه وطرق معالجته وللمخبر عنه ويضع الترض منه في ترتيب الكتاب على شطرين : الشطر الأول في حب الجله والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجله وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوبا ثم من حب المال وبيان أن الجاه كمال وهمي وليس بكامل حقيق وبيان ما يعبد من حب الجاه وما يتم وبيان السبب في حب للمدح والثناء وكراهية القم وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهية القم وبيان اختلاف أحوال الناس في المدح والقم فمنهم من يتأثر فضلا منها فتشأ معنى الرياء فلا بد من تقديمها والله الوفي للصواب بلطفه ومنه وكرمه .

(بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت)

اعلم أصلحك الله أن أصل الجاه انتشار الصيت والاشتهار وهو مسموم بل المسموم بالخمول إلا من شره الله تعالى لشر دينه من غير شك فكيف طلب الشهرة منه قال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسب امرئ من الشر أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودينهم إلا من عصمه الله » (١) وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسب المرء من الشر إلا من عصمه الله من السوء أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودينهم إلا من عصمه الله ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » (٢) وقد ذكر الحسن رحمه الله الحديث تأويلا ولا بأس به إذ أروى هذا الحديث قبله يا أبا سعيد إن الناس إذا رأوك أشاروا إليك بالأصابع فقال إنه لم يمن هذا وإنما سعى به المتدع في دينه والفاسق في دنياه . وقال طي كرم الله وجهه نبذ ولا تشهر ولا ترفع شخصك لئلا تكون علة لغيرك وأصحت أسم تسر الأبرار وتغيب الفجار وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله ماصدق الله من أحب الشهرة وقال أيوب السخزاني والله ماصدق الله عبده إلا سره أن لا يشعر بمكانه . وعن خالد بن معدان أنه كان إذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة . وعن أبي العالفة أنه كان إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة أقام . ورأى طلحة قوما يمشون معه نحواً من عشرة فقال ذباب طمع وفراس نار . وقال سليمان حنظلة ينادي عن حول أبي ابن كعب يمشي خلفه إذ رآه عمر ضلوه بالردة فقال انظر يا أمير المؤمنين ما صنعت فقال إن هذا مذلة للتابع وقتة للتبوع . وعن الحسن قال خرج ابن مسعود ما من منزلة فأنبه ناس فالتفت إليهم فقال علام تتبعوني

(١) حديث أنس حسب امرئ من الشر إلا من عصمه أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودينهم ودينهم (٢) حديث جابر بحسب امرئ من الشر الحديث مثله وزاد في آخره أن لا ينظر إلى صورته الحديث هو غير معروف من حديث جابر معروف من حديث أبي هريرة رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب بسند ضعيف متصرون في أوله ورواه مسلم مختصراً في الزيادة التي في آخره وروى الطبراني والبيهقي في الشعب أوله من حديث عمران بن حصين بلطف كفي بالمرء إنما ورواه ابن يونس في تاريخ الثراء من حديث ابن عمر بلطف هلاك بالرجل وفسر دينه بالبدعة ودينه بالصدق وإسنادهما ضعيف .

الجراحي قال أنا أبو العباس الجرجاني قال أنا أبو عيسى الترمذي قال أنا اسحق بن موسى الأنصاري قال أنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن ثور عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه قال الله عز وجل « أحب عبادي إليّ أحملهم فطرا » وقال عليه السلام « لا يزال الناس بخير ما جعلوا الفطر » والافطار قبل الصلاة سنة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على جرة من ماء أو مدقة من لبن

فوقه لو تملون ما أغلق عليه بابي ما أتيتكم منكم رجلا . وقال الحسن إن خلق النمل حول الرجل قلنا تلبث عليه قلوب الحق . وخرج الحسن ذات يوم فاتبه قوم فقال هل لكم من حاجة وإلا فلما عسى أن يبقى هذا من قلب المؤمن . وروى أن رجلا صاب ابن عمير في سفر فافارقه قال أوصني فقال إن استطعت أن تعرف ولا تعرف وتعي ولا تبيش إليك وتساءل ولا تستل فافعل . وخرج أبو بوب في سفر ففقيه ناس كثيرون فقال لولا أني أعلم أن الله يعلم من قلبي أتى لهذا كره لحسيت للفتن الله عز وجل . وقال معمر ماتت أبو بوب على طول قميصه فقال إن الشهرة فيها كانت في طولها وهي اليوم في تقصيرها . وقال بضمم كنت مع أبي قلاية إذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال يا كم وهذا الجار الناهق يشير به إلى طلب الشهرة . وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والقباب الرديئة إذ الأصار تمتد إليهما جميعا . وقال جابر بن الحرث أوصني قال حمل ذكر كرو طيب . طمتمك وكان حوشب يبيك ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع وقال بشر ما أعرف رجلا أحب أن يسرف إلا ذهب دينه واقتضه وقال أيضا لا يجد سلامة الآخرة رجل يحب أن يسرفه الناس رحمة الله عليه وعليهم أجمعين .

(بيان فضيلة الجول)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك » (١) . وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم « رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاء الجنة ولم يسطه من الدنيا شيئا » (٢) . وقال الله صلى الله عليه وسلم « ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره وأهل النار كل متكبر متكبر جواظ » (٣) . وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ « إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإذا خطوا النساء لم يسكنوا وإذا قالوا أئمتنا قتلهم حوائج أحدم تخلخل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لو قسم » (٤) . وقال صلى الله عليه وسلم « إن من أمي من لو أتى أحدكم سأله دينار المصطبه إياه ولو سأله درهم لم يعطه إياه ولو سأله فاسالم يعطه إياه ولو سأله الله الجنة لأعطاء إياه ولو سأله الدنيا لم يعطه إياه وأمانته إياه إلهوها على عبد ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » (٥) . وروى أن عمر رضي الله عنه دخل المسجد فرأى ماذن جبل يسكن عند

أوغرات . وفي الخبر « كم من صائم حظه من صيامه الجوع والمطش » قيل هو الذي يجوع بالتأخر ويغفر على الحرام وقيل هو الذي يصوم عن الحلال من الطعام ويغفر على لحوم الناس . نفية . قال صفيان من اغتاب فسد صومه وعن مجاهد خملتان تضدان الصوم النية والكذب قال الشيخ أبو طالب السكي قرن الله الاستماع إلى الباطل والقول بالآثم بأكل الحرام فقال سمعون للكذب أمكنون للصدق . - وورد في الخبر « أن امرأتين صادتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهدها الجوع

(١) حديث رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك مسلم من حديث أبي هريرة رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره ولأحارب أشعث أغبر ذي طمرين تنبؤه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره وقال صحيح الإسناد ولأبي سيم في الحلية من حديث أنس بسند ضعيف رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك وهو عند الحاكم نحوه بهذه الزيادة وقال صحيح الإسناد قلت بل ضعيفه (٢) حديث ابن مسعود رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاء الجنة لو جوع طمرين الدنيا يبيش ابن أبي الدنيا ومن طريقه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف (٣) حديث ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف الحديث متفق عليه من حديث حارثة بن وهب (٤) حديث أبي هريرة إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم الحديث [١] (٥) حديث إن من أمي من لو أتى أحدكم فسأله دينار لم يعطه إياه الحديث الطبراني في الأوسط من حديث ثوبان بسند صحيح دون قوله ولو سأله الدنيا لم يعطه إياه وأمانته إياه والله عليه .

[١] قول العراقي لم يؤذن لهم الحديث هكذا في التسخير من غير أو قال الشارح يرضى العراقي قليظ .

قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك ؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن البير من الرباء شرك وإن الله يحب الأتقياء الذين إن طابوا لم يفتنوا وإن حضروا لم يرفوا قلوبهم مصاييح الهدى ينجون من كل غواء مظنة (١) » وقال محمد بن سويد قسط أهل الديوث كان يهارجل صالح لا يؤبه له لازم لمسجد النبي صلى الله عليه فينبأهم في دعائهم إذ جاءهم رجل عليه طمران خفان فسل ركعتين أوجز فبهما ثم بسط يديه فقال يارب أقسمت عليك إلا أمطرت علينا الساعة فمرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تشتت السحاب وانما وأمطروا حتى صاح أهل المدينة من هفافة الفرق فقال يارب إن كنت تعلم أنهم قد اكفوا فأرفع عنهم وسكن وبيع الرجل صاحبه الذي استسقى حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج إليه فقال إني أتيتك في حاجة فقال ما هي قال تخشى بدعوة قال سبحان الله أنت أنت وتساوي أن أحصك بدعوة ثم قال مالدني بانك مارأيت قال أطعت الله فم أمرني ونهاني فسألت الله فأعطاني . وقال ابن مسعود كونوا بتاييس السلم مصاييح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خاتان الثياب تعرفون في أهل السباب وتخفون في أهل الأرض . وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى « إن أغبط أوليائي عبد مؤمن خفيف الحاذ دوحظ من صلاة أحسن عبادة ربه وأطاعة في السر وكان غامضا في الناس لا يشار إليه بالأصابع ثم يمر على ذلك قال ثم هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال جعلت منيته وقل تراه وقلت بواكبه (٢) » وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أحب عباد الله إلى الله الغراء قبل ومن الغراء « قال الفارون يدينهم يجتمعون يوم القيامة إلى المسيح عليه السلام . وقال الفضيل بن عياض باقى أن الله تعالى يقول في بعض ما عن به على عبده ألم أنعم عليك ألم أسرك ألم أحمل ذكرك . وكان الحليل بن أحمد يقول اللهم اجعلني عندك من أرفع خلقك واجعلني عند نفسي من أوضع خلقك واجعلني عند الناس من أوسط خلقك وقال الثوري وجئت قاي صلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء أصحاب قوت وعناء . وقال إبراهيم بن آدم ما قررت عني يوما في الدنيا قط إلا مرة بث ليلة في بعض مساجد قرى الشام وكان بي البطن طرني للؤذن برجل حتى أخرجني من المسجد . وقال الفضيل إن قدرت على أن لا تعرف فاضل وماعليك أن لا تعرف وماعليك أن لا يثق عليك وماعليك أن تكون مذموما عند الناس إذا كنت عمودا عند الله تعالى فهذه الآثار والأخبار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وإيمانا بطوبى بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمثالة في القلوب وحب الجاه هو منشأ كل فساد . فان قلت فأى شهرة تزيد على شهرة الأنبياء والخلفاء الراشدين وأئمة العلماء فكيف فاتهم فضيلة الخمول . فاعلم أن المذموم طلب الشهرة بقاء وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد فليس بمذموم . ثم فيه فتنة على الضعفاء دون الأقوياء وهم كالترقي الضعيف إذا كان معه جماعة من الفرق فالأولى به أن لا يعرف أحد منهم ذمهم يتلقون به فيضف عنهم فيهلك معهم وأما القوي فالأولى أن يعرفه الفرق ليتقلوا به فينتجهم ويثاب على ذلك .

(بيان فم حب الجاه)

قال الله تعالى - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا - جمع بين إرادة الفساد والعلو وبين أن الدار الآخرة لا تتألى عن الإرادتين جميعا وقال عز وجل من كان يريد الجاه

(١) حديث معاذ بن جبل إن البير من الرباء شرك وإن الله يحب الأتقياء الأتقياء الحديث الطبراني والحاكم واللفظ له وقال صحيح الإسناد قلت بل ضيف فيه عيسى بن عبيد الرحمن وهو الزرق متروك (٢) حديث أبي أمامة إن أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ الحديث الترمذي وابن ماجه باسنادين ضعيفين .

والعطش من آخر التمار حتى كاد أن تهلكا فبعثا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله في الانطار فأرسل إليهما قدحهما وقال قولوا لهما فينا فيه . فكاتباه فقامت إحداهما نصفه وما عيطا ولما غريضا وقامت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتها فحجب الناس من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتان صانتا وأفطرتا على ما حرم الله عليهما » وقال عليه الصلاة والسلام « إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ شامع فليقل إلى صائم » . وفي الخبر « إز الصوم أمانة »

الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يشعرون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون - وهذا أيضا متناول بدوومه حب الجاه فإنه أعظم لقد من لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زينتها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب المال والجاه يثبتان التفاف في القلب كما يثبت الماء البقل (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما ذبيان ضاربان أرسلاني في زرية غنم بأسرع إفساداً من حب الصفر والمال في دين الرجل للسم (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لئلا يكره الله وجهه » إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء (٣) » نسأل الله العفو والعافية عنه وكرمه .

(بيان معنى الجاه وحقيقته)

اعلم أن الجاه وللجاه ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الأعيان للتشبع بها ومعنى الجاه ملك الدلوالب للطلوب تعطيلها وطاعتها وكما أن التقي هو الذي يملك الدرهم والدنانير أي يقدر على ما يتوصل بهما إلى الأغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس أي يقدر على أن يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها أربابها في أغراضه ومآربه وكما أنه يكتسب الأموال بأنواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بأنواع من الملمات ولا نصير القلوب مسخرة إلا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه صفات من أوصاف الكمال اتقاده وتسخر له بحسب قوة اعتقاد القلب وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط أن يكون الوصف كمالاً في نفسه بل يكفي أن يكون كمالاً عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالاً ولا يذعن قلبه للموصوف به اشتداداً ضرورياً بحسب اعتقاده فان اشتد القلب حال القلب وأحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتنا وكما أن حب المال يطلب ملك الأرقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب أن يسترق الأحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم يملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه أعظم لأن المالك يملك العبد قهراً والعبد متائب بطبعه ولو تخلى ورأى أنسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعاً ويغنى أن تكون له الأحرار عبيداً بالبيع والطوع مع الفرح والبرودة والطاعة له لما يطلبه فوق ما يطلبه ملك الرق بكثير فاداً معنى الجاه قيام التزعة في قلوب الناس أي اعتقاد القلوب لعت من نموت الكمال فيه بقدر ما يعتقدون من كاله ندغن له قلوبهم ويقدر إذعان القلوب تكون قدرته على القلوب ويقدر قدرته على القلوب يكون فرحه وحب الجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والإطراء فان للمقدد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيقبي عليه وكالحمة والإالة فانه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون مسخرة له مثل العبد في أغراضه وكالإيتار وترك النازعة والتعظيم والتوقير بالمناجحة والسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه في القلب اشتغال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص إما بصل أو عبادة أو حسن خلق أو نسب أو ولاية

فاحفظ أحكم أماته

والصوفي الذي لا يرجع

إلى معلوم ولا يدري

مق يساق إليه الرزق

فاذا ساق الله إليه

الرزق تناوله بالأدب

وهو دائم الرابضة

لوقتة وهو في إقطاره

أفضل من الذي له

معلوم ممدد فان

كان مع ذلك يصوم

فقد أكل الفضل .

حكى عن روم قال

اجترت في المهاجرة

يحيى سكك بصداد

فطشت فقدمت إلى

باب دار فاستقيت

فاذا جارية قد خرجت

ومعها كوز جديدي

ملآن من الماء البود

فلما أردت أن تتناول

من يدها قالت

صوفي وجرب البهار

وعزبت بالصكوز

(١) حديث السال والجاه يثبتان التفاف في القلب في أول هذا الباب ولم أجده (٢) حديث ما ذبيان ضاربان أرسلاني في زرية غنم بأسرع إفساداً من حب الصفر والمال في دين الرجل للسم (٣) حديث إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء لم أره بهذا اللفظ وقد تقدم في العلم من حديث أنس ثلاث مهلكات: حب مطاع وهوى متبع الحديث ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس بسند ضعيف حب الثناء من الناس يحمي ويحرم .

أو جمال في صورة أو قوة في بدن أو شيء مما يحتفده الناس كالأصاف كلها تنظم عمله في القلوب فتكون سببا لقيام الجاه والله تعالى أعلم .

(بيان سبب كون الجاه محبوا بالطبع حتى لا يغلو عنه قلب إلا بشديد المجاهدة)

اعلم أن السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وسائر أنواع الأموال محبوا به وجبته يقتضي كون الجاه محبوا به بل يقتضي أن يكون أحب من المال كما يقتضي أن يكون الذهب أحب من الفضة مهما تساوى في القدار وهو أنك تعلم أن الدرهم والدينار لا غرض في أعينهما إلا لأصلح لطمع ولا مشرب ولا منسك ولا ملبس وإنما هي والحصباء بمثابة واحدة ولكنهما محبوان لأنهما وسيلة إلى جميع المحاب ودرجة إلى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لأن معنى الجاه ملك القلوب وكما أن ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل إلى جميع الأغراض فلا اشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى أن يكون الجاه أحب من المال وملك الجاه ترجيح على ملك المال من ثلاثة أوجه : الأول ، أن التوصل بالجاه إلى المال أسير من التوصل بالمال إلى الجاه فالعالم بأثر الواحد الذي نغزر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال يتيسر له فإن أرباب القلوب مسخرة للقلوب مبدولة لمن اعتقد فيه الكمال ، وأما الرجل الخسيس الذي لا ينصف صفة كمال إذا وجد كزرا ولم يكن له جاه يحفظ ماله أراد أن يتوصل بالمال إلى الجاه لم يتيسر له فاذن الجاه آلة ووسيلة إلى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فذلك صار الجاه أحب . الثاني هو أن المال معرض للبلوى والثأف بأن يسرق وينصب ويطعم فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه إلى الحفظ والحراس والحرازم ويتطرق إليه أخطار كثيرة وأما القلوب إذا ملكتها فلا تعرض لهذه الآفات فهي على التحفظ خزائن عتيقة لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها أيدي الثباب والتهاب وأثبت الأموال العتار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستثنى عن الرقابة والحفظ وأما خزائن القلوب فهي محفوفة بخطر عورة بأغصان الجاه في أمن وأمان من الغصب والسرقة فيها ، ثم إنما تنصب القلوب بالنصر ويفتقح الحال وتغير الاعتقاد فيها صدق به من أوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر له محاولة فعله . الثالث أن ملك القلوب يسري وينمى ويتزايد من غير حاجة إلى تعب ومقاساة فإن القلوب إذا أذعن لشخص واعتقدت كاله يعلم أو عمل أو غيره أفصحت الألسنة لاجتماعها بما فيها أنصف ما يعتقده لغيره ويقتبس ذلك القلب أيضا ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر لأن ذلك إذا استطاع في الأقطار اقتبس القلوب ودعاها إلى الإذعان والتعظيم فلا يزال يسري من واحد إلى واحد ويتزايد وليس له مردمين وأما لأن المال ملك منه شيئا فهو ماله ولا يقدر على استنائه إلا بتعب ومقاساة الجاه ، أيا في الجاه بنفسه ولا مرد لوصفه والمال واقف ولهذا إذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الألسنة بآثاره استعمرت الأموال في مقامته فهذه جماع ترجيحات الجاه على المال وإذا فصلت كثرت وجوه الترجيح . فان قلت فالإشكال قائم في المال والجاه جميعا فلا ينبغي أن يحب الإنسان المال والجاه ، ثم القدر الذي يتوصل به إلى جلب اللذات ودفع المضار معلوم كالحاجة إلى اللبس والسكن والطعم أو كالتي تبرز أو بحسوبة إذا كان لا يتوصل إلى دفع القوة عن نفسه إلا بمال أو جاه فحب المال والجاه معلوم إذ كل ما لا يتوصل إلى محبوب إلا به فهو محبوب وفي الطبائع أمر محبب وراه هذا وهو حب جمع الأموال كمال الكسوز وإدخال الذخائر وإسكات الحرازم وراه جميع الحاجات حتى لو كان للبدن أديان من ذهب لا ينبغي لهما ثالثا وكذلك يحب الإنسان نساء الجاه وانتشار الصيت إلى أقصى البلاد التي يعلم قطعه أنه لا يخطئها ولا يشاهد أصحابها يعظموه أو ليروه بمال أو ليعتوه على غرض من أغراضه ومع البأس من ذلك فإنه يلذ به

غاية الالتذاذ وحسب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن أن ذلك جهل فاه حسب لئلا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة . فنقول نعم هذا الحب لانتفك عنه القلوب . وله سببان : أحدهما جلي تدركه الحكمة . والآخر خفي وهو أعظم السببين ولكنه أدقهما وأخفهما وأبعدهما عن أفهام الأذكياء فضلا عن الأغبياء . وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها إلا الفاضلون . فأما السبب الأول فهو دفع ألم الخوف لأن الشفق بسوء الظن مولع والانسان وإن كان مكفيا في الحال فانه طويل الأمل ويخطر بباله أن السال الذي فيه كفايته ربما يثقف فيحتاج إلى غيره . فإذا خطر ذلك بباله حاج الخوف من تلبه ولا يدفع ألم الخوف إلا الأمن الحاصل بوجود مال آخر يفرغ إليه إن أصابت هذا المال جائحة فهو أبدا لشفته على نفسه وجه الحياة . يقدر طول الحياة ويقدر هيجوم الحاجات ويقدر إمكان تطرق الآفات إلى الأموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى إن أصيب بظافة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لا يوقف له على مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن ثلثه موقفا إلى أن يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « منومان لا يشمان من نوم العلم ومنوم المال » (١) ومثل هذه العلة تطرد في حب قيام البرقة والبناء في قلوب الأبعد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن حذر حارب يزعجه عن الوطن أو يزعج أولئك عن أوطانهم إلى وطنه ويحتاج إلى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه إليهم مستحيلا إحالة ظاهرة كان للنفس فرح وقلعة قيام بالبناء فيقول لهم لما فيه من الأمن من هذا الخوف . وأما السبب الثاني وهو الأقوى أن روح أمر رباني هو ما ياتيه الله تعالى إذ قال سبحانه - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى - أروى كونه ربانيا أنه من أسرار علوم الكشفة ولا رخصة في إظهاره إذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم أن القلب ميلا إلى صفات سلبية كالأكل والواقع وإلى صفات سلبية كالقتل والضرب والإيذاء وإلى صفات شيطانية كالسكر والحذبة والإغواء وإلى صفات ربوية كالعكر والعز والتعبر وطلب الاستسلام وذلك لأنه مركب من أصول مختلفة بطول شرحها وتفصيلها فلو لم يسهل في من الأمر الرباني يحب الربوية بالطبع ومعنى الربوية التزود بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من صفات الإلهية فصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال بالتفرد بالوجود فان المشاركة في الوجود نقص لاحالة فكمال الشمس في أنها موجودة وحدها فلولا كمالها مع الشمس أخرى لكان ذلك قصا في حقها إذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والتفرد بالوجود هو الله تعالى إذ ليس معه موجود سواء فان مساواة أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لأن اللمية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكمال من لا نظير له في رتبته وكذا أن إشراق نور الشمس في أقطار الآفاق ليس شمساني في الشمس بل هو من حلة كمالها وإنما نقصان الشمس بوجود فهمى أخرى تسمى بها في الرتبة مع الاستثناء عنها فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع إلى إشراق آتوار القدرة فيكون تابعا لا يكون متبعا فإذا فطن معنى الربوية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل إنسان فانه يعطيه محب لأن يكون هو التفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية : مامن إنسان إلا في بطنه ما صرح به فغرو من قوله آثار كبر إلى أعلى .

(١) حديث منومان لا يشمان الحديث الطبراني من حديث أبي مسعود بسند ضعيف والبراز والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس بسند لين وقد تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يظهر سر الروح البخاري من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

الجمع ونقص عليهم .
لا يلزمهم إذ خارهم للصائم
مع العلم بأن الجمع
الفطرين يحتاجون
إلى ذلك فان الله تعالى
بأنى للصائم يرفقه إلا أن
يكون الصائم يحتاج إلى
الرفق لنفسه حاله
أو ضعف بنيته
لشيخة أو غير ذلك
وهكذا الصائم لا يلبق
أن يأخذ نصيبه
فيدخره لأن ذلك من
صنف الحال فان كان
ضعيفا يستتر بحاله
وضعه فيدخره والذي
ذكرناه لا قوام هم على
غير معلوم فأما الصوفية
التي يكون في رابط على
معلوم فالأقرب بحالهم
الصيام ولا يلزمهم
مواظبة الجمع في الإفطار
وهذا يظهر في جمع منهم
لهم معلوم يقدّم لهم

ولكنه ليس بمجدد جهلا وهو كما قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبة بالطبع وذلك
لنفسه الربانية التي اوما إليها قوله تعالى - قل الروح من امر ربي - ولكن لما هيزت النفس عن
ذلك منتهى الكمال لم تسقط شيوعتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتية له وملتذبة به لذاته لا لمحت
آخر وراد الكمال وكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو علم ذاته
أوعدم صفات الكمال من ذاته وإنما الكمال بسبب أن يسلم التفرد بالوجود في الاستيلاء على كل
الوجودات فان أكل الكمال أن يكون وجود غيره منك فان لم يكن منك فأن تكون مستويا عليه
ضار الاستيلاء على الشكل محبوبا بالطبع لأنه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه محبة ذاته ومحب
كل ذاته وملتذبه إلا أن الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التأثير فيه وعلى تغييره بحسب الإرادة
وكونه مسخرًا لك تردده كيف تشاء فأحب الاستيلاء أن يكون له استيلاء على كل الأشياء للوجود
.هـ إلا أن للوجودات مقسمة إلى ما لا يقبل التغيير في نفسه كذات الله تعالى وصفاته وإلى ما يقبل التغيير
ولكن لا يستولى عليه قدرة الخلق كالأنفلاك والكواكب وملسكوت السموات وقنوس للامثلة
والجن والشياطين والحيال والبحار وما تحت الحيات والحيوان ومن جعلتها قلوب الناس فانها قابلة للتأثير والتغيير
مثل أجسادهم وأجساد الحيوانات فاذا انقسمت للوجودات إلى ما يقدر الانسان على التصرف فيه
كالأرضيات وإلى ما لا يقدر عليه كذات الله تعالى والامثلة والسموات أحب الانساب أن يستولى على
السموات بالمعنى والاحاطة والاطلاع على أسرارها فان ذلك نوع استيلاء إذا المعلوم المحاط به كالله اخل
تحت العلم والعالم كالمستولى عليه فذلك أحب أن يعرف الله تعالى والامثلة والأنفلاك والكواكب
وجميع عجائب السموات وجميع عجائب البحار والحيال وغيرها لأن ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء
نوع كمال وهذا يضاهي اشتياقي من عجز عن صنعة عجيبة إلى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يجز عن
وضع الشطرنج فانه قد يشتهي أن يعرف اللعب به وأنه كيف وضع وكمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة
أو الشجيرة أوجر التعليل أو غيره وهو مستشعر في نفسه بعض العجز والقصور عن توليد تلك الصنعة يشتهي إلى
معرفة كيفيةته فهو متأمم بعض العجز متلذذ بكمال العلم إن علمه . وأما القسم الثاني وهو الأرضيات التي
يقدر الانسان عليها فانه يحب بالطبع أن يستولى عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي
قسمان : أجساد وأرواح أما الأجساد فهي الدوام والذاتية والأمنية فيجب أن يكون قدرتها على فعل
فيها ما شاء من الرفع والواضع والتسليم وللعن فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية
والربوبية محبة بالطبع فذلك أحب الأموال وإن كان لا يحتاج إليها في ملبسه ومعتقه في شهورات
نفسه وكذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الأشخاص الأحرار ولو بالهجر والقلبة حتى يتصرف
في أجسادهم وأشخاصهم بالاستسخار وإن لم يملك قلوبهم فانها ربما لم تستفد كماله حتى يصير محبوبا لها
وغرم القهر منزلة فيها فان الحسية القهريّة أيضا للبدنة لما فيها من القدرة . القسم الثاني : نفوس
الآدميين وقلوبهم وهي أشق ما على وجه الأرض فهو محب أن يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون
مستغرة له متفرقة تحت إدارته وإرادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية والقلوب
إنما تستغمر بالحلب ولا تحب إلا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لأن الكمال من الصفات الإلهية
والصفات الإلهية كلها محبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الانسان وهو الذي لا يلبه الموت
فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله فانه مهمل الإيمان والمعرفة هو الواصل إلى لقاء الله تعالى والساعي
إليه فاذا منى الحالم تسخر القلوب ومن تسخر له القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء

بالهار فأما إذا كانوا
على غير معلوم قد قيل
مساعدة الصوم
للفطرين أحسن من
استدعاء الواقة من
الفطرين للصوم وأمر
القوم بمناء على الصدق
ومن الصدق اخفاء
النية وأحوال النفس
فكل ما صحت النية فيه
من الصوم والافطار
والواقة وترك الواقة
فهو الأفضل فأما من
حبب السنة فمن يوافق
له وجه إذا كان صائما
وأفطر للواقة وإن
صام ولم يوافق فله وجه.
فأما وجه من يخطر
ويوافق فهو ما أخبرنا به
أبو زرعة طاهر عن
أبيه أبي الفضل الحافظ
القدسسي قال أنا
أبو الفضل محمد بن
عبد الله قال أنا السيد

كال وهو من أوصاف الربوبية فاذن محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرته والمال والجاه من أسباب القدرة ولا نهاية للمعلومت ولا نهاية للقدورات ومادام بين معلوم ومقدور فالشوق لا يمكن والتمنى والافتقار لا يزول ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «منهومان لا يشبعان» فاذن مطلوب القلوب الكمال والكمال بالعلم والقدرة وضاقوا في غير محصور ضرور كل إنسان ولقدته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب في كون العلم والبال والجاه محبوبا وهو أموراء. كونه محبوبا لأجل التوصل إلى قضاء الشهوات فإن هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الإنسان من العلوم ما لا يصلح لتوصل به إلى الأغراض بل ربما يغوث عليه جملة من الأغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع المجانب وللشكوك لأن في العلم استيلاء على العلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من صفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع إلا أن في حب كمال العلم والقدرة تأغليب لابد من نيته إن شاء الله تعالى.

(بيان الكمال الحقيقي والكال الوهمي الذي لا حقيقة له)

قد عرفنا أنه لا كان بعد فوات التفرّد بالوجود إلا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكال الوهمي ويانه أن كال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة أوجه: أحدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع للمعلومات فذلك كلما كانت علوم البعد أكثر كان أقرب إلى الله تعالى. الثاني من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ماهو به وكون العلوم مكتشفا به ككفا تاما فان للمعلومات مكتشوفة لله تعالى بأنهم أنواع الكشف على ماهو عليه فذلك مهما كان علم البعد أوضح وأيقن وأصدق وأوفق للمعلوم في تفاصيل صفات العلوم كان أقرب إلى الله تعالى. الثالث: من حيث بقاء العلم أبد الأبد بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله تعالى باق لا يتصور أن يتغير فكذلك مهما كان علم البعد بمعلومات لا يتقبل التغير والاقبال كان أقرب إلى الله تعالى والمعلومات فكلما: متغيرات وأزليات. أما التغيرات فثالثها العلم يكون زيد في الدار فانه معلوم ولكنه يتصور أن يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فيقلب جهلا فيكون قصانا لا كالا فكما اعتقدت اعتقادا موافقا وتصور أن يتقلب يعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصد أن يتقلب كذلك قصا ويعد عليك جهلا ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم ككذلك مثلا بارضاع جبل وساحة أرض ويعد البلاد وتباعد ما بينها من الأميال والفراسخ وسائر ما يذكر في السالك والممالك وكذلك العلم بالغات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الأعصار والأهم والمعدات فهذه علوم مطلوباتها مثل الزئبق تتغير من حال إلى حال فليس فيه كال إلا في الحال ولا يبقى كالا في القلب. القسم الثاني: هو للمعلومات الأولية وهو جواز الجزآت وجوب الواجبات واستحالة الاستحالات فان هذه معلومات أولية أبدية إذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز محالولا والامحال واجب فكل هذه الأقسام داخلة في معرفة الله وما يجب له وما يستحيل في صفاته ويجوز في أفعاله فالعلم بالله تعالى وبقضائه وأفعاله وسكنته في ملكوت السموات والأرض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كما لنفسه بدالات وتكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت - يسمى بين أيديهم وباء - انهم يقولون ربنا أنعم لنا نورا - أي تكون هذه المعرفة قرأنا مال يوصل إلى كشف ما لم يتكشف في الدنيا كما أن من معه سراج خفي فانه يجوز أن يصير ذلك سببا لزيادة النور بدراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستقام ومن ليس معه أصل السراج فلا مطمع له في ذلك فمن ليس معه أصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع في هذا النور فيقتى - كمن مثله في الظلمة ليس بخارج منها - بل - كظلمات في بحر لجى يشاء موج من فوقه موج من فوقه سحب

أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي قال أنا أبو بكر محمد بن حمدويه قال ثنا عبد الله بن حماد قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثني عطاء ابن خالد عن حماد بن حميد عن محمد بن النكندر عن أبي سعيد الخدري قال اصطفت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه طعاما فلما قدم إليهم قال رجل من القوم إني صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاكم أخواكم تكلف لكم ثم تقول إني صائم أنطسر وانضى يوما مكانه وأما وجه من لا يوافق قدور ودان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكلوا وبلل صائم

ظلمات بعضها فوق بعض - فاذن لاسعاده إلا في معرفة الله تعالى وأماما عاذ ذلك من المعارف فيها بالافالمة له أصلا كمعرفة الشعر وأنساب العرب وغيرها ومنها ماله منفعة في الاغانى على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقهاء والأخبار فان معرفة لغة العرب تبين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تبين على معرفة مافى القرآن من كيفية العبادات والأعمال التى تخيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس يستمدد النفس لقبول الهداية إلى معرفة الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى - قد افلح من زكاهها - وقال عز وجل - والذين جاءهوا فينا تهدينهم سينالون جنة هذه الطرف كالوسائل إلى تحقيق معرفة الله تعالى وإنما الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله وينطوى فيه جميع المعارف المحيطة بالوجودات إذ لو وجودات كلها من أفعاله فمن عرفها من حيث هي فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهي من متكملة معرفة الله تعالى وهذا كمال العلم كذا ما يؤمن أن يمكن لها ما بأحكام الجاه والرياء ولكن أوردناه لاستيفاء أقسام الكمال . وأما القدرة فليس فيها كمال حقيقى للعبد بل للعبد علم حقيقى وليس له قدرة حقيقية وإنما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الأشياء عقيب إرادة العبد وقدرته وحركته فهي حادثة بأحداث الله كما قررناه في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفى مواضع شتى من ربيع النجيات فكما العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله إلى الله تعالى فأما كمال القدرة فعلا نم له كمال من جهة القدرة بالاشارة إلى الحال وهي وسيلة له إلى كمال العلم كسلامة أضرافه وقدمه بلطش ورجله للمشي وحواسه للادراك فان هذه القوى آلة للوصول بها إلى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى إلى القدرة بالمال والجاه للتوصل به إلى الطم والشرب واللبس والسكن وذلك إلى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به إلى معرفة جلال الله فلا خير فيه أبنة إلا من حيث القدرة الحائلة التى تنفض على القرب ومن ظن ذلك كالأقصد جهل فالخلق أكثرهم هالكون في غمرة الجهل فانهم يظنون أن القدرة على الأجساد بغير الحشمة وعلى أعيان الأموال بسمعة النفس وعلى تنظيم القلوب بسمعة الجاه كمال فذا اعتقدوا ذلك أحبوه ولما أحبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به ونهالوا كواعله فنسوا الكمال الحقيقي الذى يوجب القرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو العلم والحرية أما العلم فاذا كرهنا من معرفة الله تعالى وأما الحرية فالخلاص من أسر الشهوات وغموم الدنيا والاعتقلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا تنفرهم الشهوة ولا يشوبهم الغضب فان دفع آثار الشهوة والغضب عن النفس من الكمال الذى هو من صفات للملائكة ومن صفات الكمال لله تعالى استعالة التأثير عليه فان كان عن التأثير والتأثر بالأمراض أبعد كان إلى الله تعالى أقرب والملائكة أشبهه بمنزلة عند الله أعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وإنما لم نورد في أقسام الكمال لأن حقيقة ترجع إلى عدم نقصان فان التأثير نقصان إذ هو عبارة عن عدم صفته كائنه وهلاكه والهلاك صفات الذات وفى صفات الكمال فاذن الكليات ثلاثة إن عدنا عدم التأثير بالشهوات وعدم الاهتمام لها كالأعمال والحرية وأغنى به عدم العبودية للشهوات وإرادة الأسباب الدنيوية وكال القدرة للعبد طريق إلى اكتساب كمال العلم وكال الحرية ولا طريق له إلى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته إذ قدرته على أعيان الأموال وعلى استمخار القلوب والأبدان تنقطع بالموت ومعرفة وحرية لا يعتمدان بالموت بل بقيان المعبين فأقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذى لا يسلم وإن سلم فلا يتألم وأعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذى إذا حصل كان أبديا لا انقطاع له هؤلاء هم الذين اشتروا الحياة بالدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يغموا قوله تعالى - المال والنون زينة

قال رسول الله تأكل رزقنا ورزق بلال فى الجنة - فاذا علم أن هناك قلبا يتأذى أو فضلا يرجى من موافقة من ينضم موافقة بغطر بحسن النية لا يحب الطبع وشأبه فان لم يجد هذا الذى لا يبين أن يلبس عليه الشره وداعة النفس بالية - فليتم صومه وقد تكون الاجابة لداعة النفس لاقضاء حق أخيه . ومن أحسن آداب الغدير الطالب أنه إذا أظفر وتناول الطعام ربحا يجد باطنه متغيرا عن هيئة ونفسه متباعدة عن أداء وظائف العبادة فيعالج مزاج القلب للتغير باذهب التأثير عنه وبذبح

الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا فالطير والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كالا في النفس وللإل والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كاشته الله تعالى حيث قال - إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض - الآية وقال تعالى وأصابهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلنا من السماء - إلى قوله - فأصبح هشيا تذروه الرياح - وكل ما تذروه رياح اللوث فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما لا يخطه اللوث فهو الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا أن كمال القدرة للبال والجاه كمال على لا أصل له وأن من قصر الوقت على طلبه وتلته مقصود فهو جاهل وإليه أشار أبو الطيب بقوله : ومن ينق الساعات في جمع ماله عفاة قصر فاقى قبل الفجر إلا قدر البقلة منهما إلى السكال الحقيق اللهم اجعلنا ممن وقته للخير وهديته بطلقت .

(بيان ما محمد من حب الجاه وما يمد)

مهما عرفت أن معنى الجامع للقلوب والقدرة عليها حكمه حكم ملك الأموال فإنه عرض من أعراض الحياة الدنيا وينقطع بالموث كالمال والدنيا مزرعة الآخرة فكل ما خلق في الدنيا فيمكن أن يزومنه للآخرة وكما أنه لا بد من أدنى مال لضرورة الطعام وللشرب ولللبس فلا بد من أدنى جاه لضرورة العيشة مع الخلق والإنسان كالا يستغنى عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام والمال الذي يتناوله به الطعام فكذلك لا يغلو عن الحاجة إلى خادم بخدمة ورفيق بعينه وأستاذ برشد وسلطان بحرسه ويدفع عنه ظلم الأشرار عليه لأن يكون له في قلب خادمه من المثل ما يدعو إلى الخدمة ليس بمذموم وحيه لأن يكون له في قلب رفيقه من المثل ما يحسن به مراقبته ومعاوطة ليس بمذموم وحيه لأن يكون له في قلب أستاذه من المثل ما يحسن به إرشاده وتلميحه والعتابة به ليس بمذموم وحيه لأن يكون له من المثل في قلب سلطانه ما يحسنه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم فإن الجاه وسيلة إلى الأغراض كالمال فلا فرق بينهما إلا أن التحقيق في هذا يغضي إلى أن لا يكون السال والجاه بأعينها معي به بل يزل ذلك منزلة حب الإنسان أن يكون له في داره بيت ماء لأنه مضطر إليه لقضاء حاجته وبود أن لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغنى عن بيت للماء فهذا على التحقيق ليس عجايبا لبيت الماء فكل ما يراى قد توصل به إلى محبوب فالجواب هو التصود للتوصل إليه وتترك التفرقة بمثل آخر وهو أن الرجل قد يحب زوجته من حيث إنه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع بيت الماء فضلة الطعام ولو كفى مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما أنه لو كفى قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد عجب الإنسان زوجته لتمامها حب العناق ولو كفى الشهوة لبقى مستصحبًا لكانها فيها ذواها والحوال دون الأول وكذلك الجاه والسال وقد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبها لأجل التوصل بها إلى مهمات البدن غير مذموم وحبها لأعينها فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالنسق والصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما يتوصل به إلى اكتساب كذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل إلى اكتسابه بعبادة فإن التوصل إلى الجاه والسال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام وإليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سبأ . فإن قات : طلبه للزلة والجاه في قلب أستاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به أمره مباح على الإطلاق كيما كان أو يباع إلى حد مخصوص على وجه مخصوص . فأقول : يطلب ذلك على ثلاثة أوجه : وجهان مباحان ووجه محظور .

أما الوجه المحظور فهو أن يطلب قيام التزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة وهو منك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم أنه علوى أو عالم أو ورع ولا يكون كذلك فهذا حرام لأنه كذب وتلبس إما بالقول أو بالعمالة . وأما أحد الباحثين فهو أن يطلب الميزة بصفة هو متصف بها

الطعام بركات يسلبها أو يكاتب يتلوها أو يأكل واستغفار يأتي به قد ورد في الخبر « أذيسوا طعامكم بالذكر » ومن مهام آداب الصوم كنهاته مهما أمكن إلا أن يكون متسكنا من الاخلاص فلا يالى ظهر أم بطن .

[الباب الثاني والأربعون في ذكر الطعام وما فيه من المصاحبة والمفسدة]
الصوفي يحسن نيته ومحة مقصده ووفور علمه وإتقانه بآدابه وتصير عاداته عادة والصوفي موهوب رقة فله ويرد حياته لله كما قال الله تعالى لبيد أمرا له - قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي

كقول يوسف صلى الله عليه وسلم فيها أخبره الرب تعالى - اجلس على خزان الأرض إلى حفيظ علم - فانه طلب للزفة في قلبه يكونه حفيظا عليها وكان محتاجا إليه وكان صادقا فيه . والثاني أن يطلب إضفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا أيضا مباح لأن حفظ السر على التبايع جائز ولا يجوز هتك السر وإظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبس بل هو سب لطريق العلم بملا فائدة في العلم به كالذي يخفى عن السلطان أنه يشرب الخمر ولا ياتي إليه أنه وورع فان قوه إلى ورع تلبس وعلم إقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب . ومن جملة المحظورات تحسين الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان اعتقاده بأن يتبع العلم بالشرب لا يوجب إليه أنه من المخلصين الخاضعين لله . وهو مراد بما يفهم فكيف يكون علما فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل مسببة وذلك يجري مجرى اكتساب لئال الحرام من غير فرق وكذا لا يجوز له أن يملك مال غيره تلبس في عوض أو في غيره فلا يجوز له أن يشك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب أعظم من ملك الأموال .

(بيان السبب في حب للدن والتناء وارتياح النفس به وميل

الطبع إليه ونضها للذم ونفرتها منه)

اعلم أن حب للدن والتذاء القلب به أربعة أسباب : السبب الأول وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فاننا نينا أن الكمال محبوب وكل شيء محبوب فادركه قلبه فلهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت وللحب يشعر نفس المدحوب بكمالها فان الوصف الذي به مدح لا يغلو إلا أن يكون جليا ظاهرا أو يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة به أقل ولكنه لا يخون لذة كنهاته عليه بانه طويل القامة أبيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تفشل عنه فتخون عن لذته فاذا استعمرت لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وإن كان ذلك الوصف مما يتطرق إليه الشك فاللذة فيه أعظم كنهاته عليه بكمال العلم أو كمال الورع أو بالحسن الطلق فان الانسان ربما يكون شاكيا في كمال حسنه وفي كمال علمه وكال ورعه ويكون مشتاقا إلى زوال هذا الشك بأن يصير مستقيما لكونه عديم النظر في هذه الأمور إذ تلمس نفسه إليه فاذا ذكره غيره أورد ذلك طمأنينة وثقة باستثمار ذلك الكمال فعظم لذته وإنما تعظم اللذة بهذه الملة مهماسد التناء من بصير بهذه الصفات خير بها لا يجازف في القول إلا عن تحقيق وذلك كفتح التلذذ بجناه أستاذة عليه بالكياسة والدكاء وغزارة الفضل فانه في غاية اللذة وإن طدر من مجازف في الكلام أو لا يكون بصير بذلك الوصف ضفت اللذة وبهذه الملة يفيض الدم أيضا ويكرهه لأنه يشعر بتقصان نفسه والتقصان ضد الكمال المحبوب فهو محقور والشعور به مؤلم ولذلك ينظم الألم إذا صدر اللذم من بصير موقوف به كذا ذكرناه في اللذم . السبب الثاني : أن اللذم يدل على أن قلب المادح مملوك للمدح وأن مريد له ومتعدي فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بمحصوله لذته وبهذه الملة تعظم اللذة مهماسد التناء من تنس قدرته ويتنعم باقتناس قلبه كالمملوك والأكابر ويضعف مهماسد المادح من لا يؤبه به ولا يجدر على شيء فان القدرة عابه بملك قلبه قدرة على أمر حقير فلا يدل اللذم إلا على قدرة قاصرة وبهذه الملة أيضا يكره الذم ويتألم به القلب وإذا كان من الأكابر كانت نكاته أعظم لأن القامته به أعظم . السبب الثالث : أن شاء الله تعالى ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسلمه لا بما إذا كان ذلك من يذم إلى قوله ويتبدى أنه وهذا حمص يتأدق على الملائع لاجرم كلما كان المصالح أكثر والشيء أجدر بأن ينفذ إلى قوله كان اللذم ألد والذم أشد في النفس . السبب الرابع : أن اللذم يدل

له رب العالمين -

تدخل على الصوف

أمر العادة موضع

حاجته وضرورة

جبرته وعنف بصادته

نور يقطعه وحسن

نيتة فتتور العادات

وتتشكل بالعبادات

ولهذا ورد «نوم العالم

عبادة وتسه تبيح»

هذا مع كون النوم

عين التفلق ولكن كل

ما يستعان به على العبادة

يكون عبادة فتناول

الطعام أصل حكيم

يحتاج إلى علوم كثيرة

لاستغاث على المصالح

الدنيوية والدنيوية

وتلق أثره بالقلب

والقلب بمقوام البدن

باجراء سنة الله تعالى

بذلك والقلب مركب

القلب وهما محمارة

الدنيا والآخرة وقد

على حشمة للمدح واضطرار للادح إلى اطلاق اللسان بالثناء على المدح إما عن طوع وإما عن قهر فان الحشمة أيضا لدنية لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وإن كان للادح لا يستغنى الباطن مامدح به ولكن كونه مضطرا إلى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلاجرم تكون لذته بقدر تمتع اللادح وقوته فتكون لذته تمام القوى الممتنع عن التواضع بالثناء أشد فهذه الأسباب الأربعة تعتد تجمع في مدح واحد فيظلم بها الالتذاذ وقد غترق فتقص اللذة بها أما اللذة الأولى وهي استثمار الكمال فتدفع بأن يعلم المدح أنه غير صادق في قوله كما إذا مدح بأنه نسيب أو سخي أو طامع يعلم أومتورع عن المخطورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التي سببها استثمار الكمال وتبقى لذته الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فان كان يعلم أن اللادح ليس يعتقد مايقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة يطلب اللذة الثانية وهو استيلاءه على قلبه وتبقى للذة الاستيلاء والحشمة على اضطرار لسانه إلى النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيها أصلا لذته لقوات الأسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمسح وتألم بسبب النسيب وإنما ذكرنا ذلك ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحسب المهددة وخوف اللذة فان ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته إذ العلاج عبارة عن حل أسباب المرض والله الوفاق بكر مولع موصلى الله على كل عبد مسلم.

(بيان علاج حب الجاه)

اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصورا لهم على مراعاة الخلق مشغولا بالتودد إليهم وللرعاة لأجلهم ولا يزال في أهواله وأفامه ملتفتا إلى ما يحظم منزلته عندهم وذلك بذر التفاني وأصل السداد ومجر ذلك لا محالة إلى القهال في العبادات والرهانة بها وإلى اتحام المخطورات التي تصل إلى اقتناس القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وإفسادها للدين بذيئين ضارين وقال عليه السلام « إنه بنيت التفاني كما بنيت الماء البقل » إذ التفاني هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول أو الفعل وكل من طلب للترفة في قلوبه الناس فيضطر إلى التفاني معهم وإلى التظاهر بحصل حميدة هو خال عنها وذلك هو عين التفاني غلب الجاه إذن من الهلكات فيجب علاجه وإزالته عن القلب فانه طبع جبل عليه القلب كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل أما العلم فهو أن يعلم السبب الذي لأجله أحب الجاه وهو كمال القدرة على أشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا أن ذلك إن صفا وسلم فآخره الموت فليس هو من البقايات الصالحات بل لو وجد لك كل من على بسطة الأرض من المشرق إلى المغرب فلي خمسة سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له ويكون حالك كالمات مات بقلبك من ذوى الجاه مع المتواضعين فهذا لا ينبغي أن يترك به الدين الذي هو الحياة الأبدية التي لا تنقطع لها من فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صفر الجاه في عينه إلا أن ذلك إنما يصغر في عين من ينظر إلى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحق العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصري حين كتب إلى عمر بن عبد العزيز - أما بعد ، فكنك بأخر من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كاتناو كذلك حال عمر بن عبد العزيز حين كتب في جوابه ، أما بعد فكنك بالدنيا لم تكن . وكانك بالآخرة لم تزل فهو لا . كان الغشام إلى الماقية فكان عملهم لها بالتقوى إذ علوا أن الماقية للفقين فاستحقروا الجاه والمال في الدنيا وأبصار أكثر الحلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتدونها إلى مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى - بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى - وقال عز وجل - كلاب يحبون العاجلة وينذرون الآخرة - فن هذا حده فينبغي أن يعالج قلبه من حب الجاه بالمع بالآفات العاجلة وهو أن يتفكر في الأخطار

ورد « أرض الجنة
قبعان نباتها التسبيح
والتقديس » والقالب
بغفده على طيبة
الحيوانات يستأن به
على عمارة الدنيا والروح
والقلب على طيبة
اللائكة يستأن بهما
على عمارة الآخرة
وبإتباعهما صالحا
لعمارة الدارين والله
تعالى ركب الآدمي
بلطف حكيمه
من أغص جواهر
الجمانيات والروحانيات
وجملته - تنوع خلاصة
الأرضين والسماوات
جسد عالم الشهادة
وما فيها من النبات
والحيوان لقوام بدن

التي يستهدف لها أرباب الجاه في الدنيا فان كل ذى جاه محسود ومقصود بالأيذاء وخائف على الدولام على جاهه وهمز من أن تتغير منزلته في القلوب والقلوب أشد تنبرا من القدر في غلباها وهي مترددة بين الإقبال والاعراض فشكل ما يبنى على قلوب الخلق يساهي ما يبنى على أمواج البحر فانه لا يثبت له والاعتقال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه يدفع كيد الحساد ومنع أذى الأعداء كل ذلك غموم عاجلة ومكندة لهذه الجاه فلا يبق في الدنيا مرجوها بخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة فهذا ينبغي أن تتألم البصرة الضعيفة وأما من فقدت بصيرته وقوى إسمانه فلا يلتفت إلى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم . وأما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق وبثرة أفعال بلام عليها حتى يسقط من أعين الخلق وتغافره لئلا القبول وأنس بالحول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخلق وهذا هو مذهب اللامية إذ اقتحموا القواض في صورتها ليستطروا أنفسهم من أعين الناس فيسلموا من آفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقضى به فانه يوهن الدين في قلوب السليين وأما الذي لا يقضى فلا يجوز له أن يقدم على محذور لأجل ذلك بل له أن يفعل من الباحات ما يسقط قدره عند الناس كإرواء أن التهمة فلما نظر إليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لو نه لونه الحمر حتى يظن به أنه يشرب الحمر فيسقط من أعين الناس وهذا في جوارزه نظير من حيث التهمة إلا أن أرباب الأحوال ربما يبالغون أنفسهم بما لا يفي به القلبيهما رأوا إصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بازده وأقبل الناس عليه فدخل حماما وليس ثياب غيره وخرج فوقف في الطريق حتى عرفوه فأخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا إنه طرار وهجروه وأقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والمجرة إلى موضع الخمول فان المنزل في بيته في البلد الذي هو به مشهور لا يخجل عن حب المنة التي ترسع له في القلوب بسبب عزله فانه ربما يظن أنه ليس بحال ذلك الجاه وهو مشرور وإنما سكنت نفسه لأنها قد ظفرت بمقصودها ولو خير الناس عما اعتقدوه فيه فذروه أو نسبوه إلى أمر غير لائق به جزعت نفسه وتألّت وربما توصلت إلى الاعتذار عن ذلك وإباطة ذلك التبار عن قلوبهم وربما يحتاج في إزالة ذلك من قلوبهم إلى كذب وتلبس ولا يبالى به وبه يتبين بعد أنه بحال الجاه المنزل ومن أحب الجاه والمنزلة فهو كمن أحب المال بل هو شر منه فان فتنة الجاه أعظم ولا يمكنه أن لا يحب المنزلة في قلوب الناس مادام يطعم في الناس فإذا أحرز قوته من كسبه أو من جهة أخرى وقطع طمسه عن الناس رأسا أصبح الناس كلهم عنده كالزاد فلا يبالى أكان له منزلة في قلوبهم أم يكن كالأبالي بما في قلوب الذين هم منه في أقصى المشرق لأنه لا يرام ولا يطعم فيهم ولا يقطع الطعم عن الناس إلا بالقتاعة فمن قطع استغنى عن الناس وإذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن قيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه إلا بالقتاعة وقطع الطعم ويستعين على جميع ذلك بالأخبار الواردة في ضم الجاه ومدح الخمول والنذل مثل قولهم المؤمن لا يغفل من ذلة أو فاقة أو علة وينظر في أحوال السلف ويأشارهم لذلك على المز وغيثهم في ثواب الآخرة رضى الله عنهم أجمعين .

(بيان وجه العلاج لحب الملح وكراهة الدم)

اعلم أن أكبر الناس إنما هلكوا بخوف هفمة الناس وحجب مدحهم فصار حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوفا من النهم وذلك من المهلكات فيجب معالجته بطريقه فملاحظة الأسباب التي لأجلها يحب الملح ويكره الدم . أما السبب الأول : فهو استعمار الكلال بسبب قول

الآدمي قال الله تعالى
- خلق لكم ما في
الأرض حيا - فكونوا
الطبايع وهي الحرارة
والرطوبة والبرودة
واليبوسة وسكون
بواسطتها النبات وجعل
النبات قواما للحيوانات
مسخرة لآدمي يستعين
بها على أمر معاشه قوام
بدنه فالطعام يصل إلى
المددة وفي المددة طبايع
أربع وفي الطعام طبايع
أربع فإذا أراد الله
اعتدال مزاج البدن
أخذ كل طبع من
طبايع المددة مددة من
الطعام فتأخذ الحرارة
لبرودة والرطوبة
لليبوسة فيعتدل

السادح فطريقك فيه أن ترجع إلى عقلك وتقول لتصلك هذه الصفة التي يمدحك بها أنت متصف بها أم لا فان كنت متصفا بها فهي إما صفة تستحق بها اللدح كالملم والورع وإما صفة لا تستحق لللدح كالثرة والجاء والأعراض الدنيوية فان كانت من الأعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الأرض الذي يصير على القرب هشا تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول كما قال النبي: أشد النعم عندى في سرور يتيقن عنه صاحبه استغلا

فلا يذنبى أن يفرح الانسان بمرض الدنيا وإن فرح فلا يذنبى أن يفرح بمدح السادح بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها ، وإن كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالملم والورع فينبى أن لا يفرح بها لأن الحاشية غير معلومة وهذا إنما يقتضى الفرح لأنه يقرب عند الله زلفى وخطر الحاشية باق فى الخوف من سوء الحاشية فدخل عن الفرح بكل ما فى الدنيا بل الدنيا دار أحزان وغموم ولا دار فرح وسرور ثم إن كنت تفرح بها على رجاء حسن الحاشية فينبى أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالملم والتقوى لا بمدح السادح فان اللذة فى استثمار الكمال والكمال موجود من فضل الله من اللدح والمدح تابع له فلا يذنبى أن تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وإن كانت الصفة التي تمدحت بها أنت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجور ومثالك مثال من يهزأ به إنسان ويقول سبحان الله ما كثر العطر الذى فى أحشائه وما أطيب الروائح التى تنوح منه إذ فاض حاشيه وهو مع ما تشتمل عليه معاؤه من الأقدار والأثان ثم يفرح بذلك فكذلك إذا أثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به هو الله مطلق على خباثت بطئك وغوائل سريرتك وأقدار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فاذا المادح إن صدق فليكن فرحك بصفته التى هى من فضل الله عليك وإن كذب فينبى أن يغمك ذلك ولا تفرح به. وأما السبب الثانى وهو دلالة اللدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب آخر فهذا يرجع إلى حب الجاء والمزلة فى القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المزلة عند الله ، وبأن تعلم أن طلبك المزلة فى قلوب الناس وفرحك به يسقط مزلتك عند الله فكيف تفرح به . وأما السبب الثالث وهو الحشمة التى اضطرت السادح إلى المدح فهو أيضا يرجع إلى قدرة عارضة لا ثابت لها ولا تستحق الفرح بل يذنبى أن يغمك مدح المادح وتكرهه وتفض به كما قل ذلك عن السلف لأن آفة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه فى كتاب آفات اللسان ، قال بعض السلف : من فرح بمدح فقد مكن الشيطان من أن يدخل فى بطنه . وقال بعضهم : إذا قيل لك نعم الرجل أنت فكأن أحب إليك من أن يقال لك بش الرجل أنت فأنت والله بش الرجل ، وروى فى بعض الأخبار فان صح فهو قاصم للظهور « أن رجلا أتى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذى قلت فأتى على ذلك دخل النار (١) » وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمادح « ومحك قصمت ظهره لو سمعك ما أفلح إلى يوم القيامة (٢) » وقال عليه السلام « ألا لئامدحوا وإذا رأيتم المادحين فاحشوا فى وجوههم التراب (٣) » فلهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على وجل عظيم من المدح وقتته وما يدخل على القلب من السرور العظيم به حتى إن بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شيء فقال أنت يأمر المؤمنين خيرة منى وأعلم فضيب وقال إني لم آمرك بأن تزكى ، وقيل لبعض الصحابة لا يزال الناس غير ما أمرك الله فضيب وقال

المزاح وبأمن الاعوجاج
وإذا أراد الله تعالى
إفناء قلب وتغريب
بنية أخذت كل
طبيعة جنبها من
المأكول فتبيل
الطبايع ويضطرب
المزاج ويسقم البدن
ذلك تغدير العزير
الصليم . روى عن
وهب بن منبه قال :
وجدت فى التوراة صفة
آدم عليه السلام إلى
خلقت آدم وركبت
جسده من أربعة
أشياء من رطب
ويابس وبارد وسخن
وذلك لأنى خلقت من
التراب وهو يابس
ورطوبته من الماء

- (١) حديث أن رجلا أتى على رجل خيرا فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذى قلت ومات على ذلك دخل النار لم أجد له أصلا (٢) حديث ومحك قطعت ظهره الحديث قاله للمادح تقدم .
(٣) حديث ألا لئامدحوا وإذا رأيتم للمادحين فاحشوا فى وجوههم التراب تقدمون قوله ألا لئامدحوا.

إني لأحترقك عزائلي ، وقال بعضهم لما مدح : اللهم إن عبدك تقرب إلى عتقك فأشبهك على مقته وانما كرهوا لفتح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم مغموتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحاله عند الله ينضى إليهم مدح الخلق لأن المدوح هو القرب عند الله والدموم بالحقيقة هو اللبد من الله للقي في النار مع الأشرار ، فهذا المدوح إن كان عند الله من أهل النار فما أعظم جهله إذا فرح بمدح غيره وإن كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح إلا بفضل الله تعالى وثباته عليه إذ ليس أمره يد الخلق ، ومهما علم أن الأرزاق والأجال بيد الله تعالى قل التفتاته إلى مدح الخلق ودمهم وسقط من قلبه حب الدح واشغل بما يهجه من أمر دينه ، والله للوفيق للصواب رحمة .

(بيان علاج كراهة الدم)

قد سبق أن العلة في كراهة الدم هو ضد العلة في حب للدح فصلاجه أيضا يعمهم ، والقول الوجيز له أن من ذمك لا يخلو من ثلاثة أحوال : إما أن يكون قد صدق فيما قال وقصد به الصبح والشقة ، وإما أن يكون صادقا ولكن قصد الإيذاء والتعنت ، وإما أن يكون كاذبا فإن كان صادقا وقصد الصبح فلا ينبغي أن تدمه وتضبط عليه وتعذب بسببه بل ينبغي أن تتفقد منه فإن من أهدى إليك عيوبك قد أرشدك إلى اللهاك حتى تتجبه فينبغي أن تفرح به وتستغل بإزالة الصفة الذمومة عن نفسك إن قدرت عليها فاما اغنامك بسببه وكراهتك له وفمك إياه فانه غاية الجهل وإن كان قصده التعنت فانت قد انتفعت بقوله إذ أرشدك إلى عيبك إن كنت جاهلا به أو ذكرك عيبك إن كنت غافلا عنه أو فحبه في عيبك لينبث حرصك على إزائه إن كنت قد استحسنته وكل ذلك أسباب سعادتك وقد استفدت منه فاشتغل بطلب السعادة قد أتبع لك أسبابها بسبب ما صحت من اللذة فاستغدت الدخول على ملاه وتوبك ملوث بالمعزة وأنت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لحفت أن يمر ريتك لتوبك جلسته بالمعزة فقال لك قائل أيها الملوث بالمعزة طهر نفسك فينبغي أن تفرح بل لأن تتركه بقوله غيبة وجميع مساوي الأخلاق مملكة في الآخرة والانهاك إنما يفرحها من قول أعدائه فينبغي أن تقتنيه . وأما قصد العدو التعنت لجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تضبط عليه بقول انتفعت به أنت وتضرر هو به . الحالة الثالثة : أن يفتري عليك بما أنت برى منه عند الله تعالى فينبغي أن لا تتركه ذلك ولا تستغل بضمه بل تفكر في ثلاثة أمور : أحدها أنك إن خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن أمثاله وأشباهه وما ستره الله من عيوبك أكثر فانكر الله تعالى إذ لم يطلعه على عيوبك ودفنه عنك بذكر ما أنت برى عنه ، والثاني أن ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك فكانه رماك بسبب أنت برى منه وطهرتك من ذنوب أنت ملوث بها وكل من اغتابك قد أهدى إليك حسناته وكل من مدحك قد قطع ظهرك ، لذا بالك تفرح بقطع الظاهر وتخزن لهذا الحسنات التي تقربك إلى الله تعالى وأنت زعم أنك تحب القرب من الله . وأما الثالث فهو أن للسكين قد جرى على دينه حتى سقط من عين الله وأهلك نفسه باقرا به وتعرض لمقابه الألم فلا ينبغي أن تضبط عليه مع غضب الله عليه فتعنت به الشيطان وتقول اللهم أهلكه بل ينبغي أن تقول اللهم أصلحه اللهم تبي عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر لقومي اللهم اهد قومي فاقمهم لا يملكون »^(١) لما أن كسروا نبيته وشجوا وجهه وقتلوا عمه حمزة يوم أحد ودعا إبراهيم بن آدم لمن شج رأسه بالفرصة قبل له في ذلك قال علت آني مأجور بسببه وما نالني منه إلا خيرا فلا أرضى أن يكون

(١) حديث اللهم اغفر لقومي قاتمهم لا يملكون قاله لما ضرب به قومه اليهودي في دلائل التوبة وقد تقدم والحديث في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قاله حكاية عن نبي من الأنبياء حين ضربه قومه .

وحرارته من قبل النفس وبرودته من قبل الروح وخلقت في الجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع من الخلق هن : ملاك الجسم يذوق الجسد فلا يقوم بهن قومه فلا يقوم الجسم إلا بهن ولا تقوم منهن واحدة إلا بأخرى منهن لذة السوداء والمرة الصفراء والدم واليسلم ثم أسكنت بعض هذا الخلق في بعض فجعلت مسكن اليوسة في المرة البيضاء والسوداء مسكن الطوبى في المرة الصفراء ومسكن الحرارة في الدم ومسكن البرودة

هو معاقبا بسبي وما يهون عليك كراهة الذمة قطع الطمع فان من استغنى عنه مهادمك لم يحظم أثر ذلك في قلبه وأصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن المال الجامود المادام الطمع قائما كان حب البقاء واللذع في قلب من طمعت فيه غالبا وكانت حمتك إلى تحصيل اللذة في قلبه مصروفا قال ذلك الإمام أحمد الدين فلا يخفى أن يطعم طالب المال والبقاء ومحب اللذع ومبعض النعم في سلامته في ذلك بنجدنا.

(بيان اختلاف أحوال الناس في اللذع والهم)

اعلم أن الناس أربعة أحوال بالإضافة إلى الدام والسادح : الحالة الأولى أن يفرح باللذع ويشكر للماض ويضبط من الهم ويحقد على الدام ويكافئ أو يحب مكافأته وهذا حال أكثر الخلق وهو غاية درجات الصبية في هذا الباب . الحالة الثانية أن يتمتع في الباطن على الدام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافأته ويفرح بباطنه ويرتاح للسادح ولكن يحفظ ظاهره عن إظهار السرور وهو هذا من النقصان إلا أنه بالإضافة إلى ما قبله كمال . الحالة الثالثة وهي أول درجات التكامل أن يستوي عنده دماحه فلا تهم للذمة ولا تسره للذعة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مفرورا إن لم يتمتع نفسه بسلامته ، وعلاماته أن لا يجد في نفسه استقلا لقدام عند تطويله الجلوس عندما كثر ما يجده في السادح وأن لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج اللذع فوق ما يجده في قضاء حاجة الدام وأن لا يكون انقطاع الدام عن جملة أهون عليه من انقطاع المادح وأن لا يكون موت المادح المطرقة له أشد نكابة في قلبه من موت الدام وأن لا يكون غم بمصيبة المادح وما ياله من أعدائه كثر ما يكون بمصيبة الدام وأن لا تكون زلة المادح أخف على قلبه وفي غيظه من زلة الدام فيها خاف الدام على قلبه كما خاف المادح واستويا من كل وجه فقد زال هذه الرتبة وما أبعد ذلك وما أشده على القلوب وأكثر العباد فرحهم بمدح الناس لهم مستبطين في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون أنفسهم بهذه العلامات وربما شعر العابد بميل قلبه إلى المادح دون الدام والشیطان يحسن له ذلك ويقول الدام قد عصى الله بخدمتك والمادح قد أطاع الله بمدحك فكيف تسوى بينهما وإنما استغفرك للدوام من الدين المحض وهذا محض التلبس فان العابد لو تفكر علم أن في الناس من ارتكب كبائر المعاصي أكثر مما ارتكب الدام في مذمة ثم إنه لا يستغفرك ولا ينفر عنهم ويعلم أن المادح الذي مدح لا يغلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه فقرة عنه بمذمة غيره كما يجد للذمة نفسه والمذمة من حيث إنها مصيبة لا تختلف بأن يكون هو المذموم أو غيره فاذن العابد الموقر لنفسه يضرب ولهام يتمتع ثم إن الشيطان يغفل إلهامه من الدين حتى يعتل على الله بهواه فيزيد ذلك بعدا من الله ومن لم يطلع على مكاييد الشيطان وآفات النفوس فأكثر عباداته تب ضائع بفوت عليه الدنيا وغشيره في الآخرة وفيهم قال الله تعالى - قل هل ينبتكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - الحالة الرابعة وهي الصدق في العبادة أن يكره اللذع ويمقت المادح إذ يعلم أنه فتنه عليه قاصمة لأظفر مضرة له في الدين ومحب الدام إذ يعلم أنه يميل إليه عيه ومرشده إلى محبه ومهد إليه حسنة قدوة له في ورأس التواضع أن تذكره أن تذكر بالبر والتقوى ^(١) وقد روي في بعض الأخبار ما هو قاصم لظهور أمثاله إن صح إذ روى أنه صلى الله عليه وسلم قال « ويل للصائم ويول للقائم ويول صاحب الصوف الأمن ، قيل يا رسول الله إلا من ؟ قال إلا من تزهدت نفسه عن الدنيا وأبيض المدحة واستحب المذمة »

في البلاء فأبما جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الأربع التي جعلتها ملاك وقوامه فكانت كل واحدة منهم ربما لا يزيد ولا ينقص كملت صحته واعتدلت بنيتة فان زادت منهم واحدة عليهن هزمتن ومالت بهن ودخل عليه السقم من ناحيته بقدر غلبتها حتى يضعف عن طاقتهن ويسجز عن مقدارهن فأما الأمور في الطعام أن يكون حلالا وكل ما لا يذمه الشرع حلال رخصة ورحمة من الله لعباده وتولا رخصة الشرع

وهذا عديد جدا وفأية أشأنا الطمع في الحالة الثانية وهو أن يضر القرح والكراهة على الدام والناح ولا يظهر ذلك بالقوله والصل فأما الحالة الثالثة وهي التسوية بين اللادع والدام فلنسطمع فيها ثم إن طالبا أخصنا بسلامة الحالة الثانية فانها لا تفي بها لأنها لا بد وأن تتصاعد إلى إكرام السالح وقضاء حاجاته وتتأصل على إكرام الدام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا تقدر على أن نسوي بينهما في القصل الظاهر كما لا تقدر عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين اللادع والدام في ظاهر القصل فهو جدير بأن يتخذ قدوة في هذا الزمان إن وجد فانه الكبريت الأحمر يتحدث الناس به ولا يرى فكيف بما بعده من اللزيتين وكل واحدة من هذه الرتب أضافها درجات أما الله جاني في اللوح فهو أن من الناس من يشق للدحة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل إلى نيل ذلك بكل ما يمكن حتى يرى بالعبادات ولا يبالى بغارقة المخطورات لاستقامة قلوب الناس واستطابق ألتهم بالمدح وهذا من المالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا يباشر المخطورات وهذا من شغافرح عارفاً حدود الكلام الذي يستحيل به القلوب وحدود الأعمال لا يمكنه أن يضطعا فيونشك أن يقع فيما لا يحل ليل الحمد فهو قريب من المالكين جدا ومنهم من لا يريد للدحة ولا يسعى لطلبها ولكن إذا مدح سبق السرور إلى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهية فهو قريب من أن يستجرح فرط السرور إلى الرتبة التي قبلها وإن جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهية وبطن السرور إليه بالتفكر في آفات المدح فهو في خطر المجاهدة خاتمة تكون البذل له وتارة تكون عليه ومنهم من إذا مدح للدم لم يسر به ولم يغم به ولم يؤثر فيه وهذا على خيرين كان قد بقي عليه حجة من الإخلاص ومنهم من يكره المدح إذا سمعه ولكن لا يتنهي به إلى أن يضبط على الدام ويشكر عليه وأخصى درجاته أن يكره ويضبط ويظهر الغضب وهو صادق فيه لا أن يظهر الغضب وقلبه يحب له فان ذلك عين النفاق لأنه يريد أن يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالضد من هذا تتفاوت الأحوال في حق الدام وأول درجاته إظهار الغضب وآخرها إظهار القرح ولا يكون القرح وإظهاره إلا بمن في قلبه حق وحقد على شيء لم يردده عليه وكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبساتها الحبيثة فيفضها بغض العدو والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح إذا سمع ذمها ويشكر الدام على ذلك ويحقد نطقته وذكاه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كاللشفي له من نفسه ويكون غنمة عنده إذا صار للذمة أوسع في أعين الناس حتى لا يتلئق بغتة الناس وإذا سبقت إليه حسنات لم تنصب فيها لفساد يكون خيرا لعيوبه التي هو عاجز عن إقامتها ولوجامد الريد نفسه طول عمره في هذه الحسنة الواحدة وهو أن يستوى عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا ينفرد مع لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه إحداها ولا يقطع شيئا منها إلا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل .

(الشطر الثاني : من الكتاب في طلب الجاه والفرقة بالعبادات)

وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما يترتب به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الحق وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة في إظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من نشاط البذل للعبادات بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على الريد أن يوافقه قلبه قبل الطاعة وبعدها وهي عشرة فصول والله التوفيق

سبحر الأمر وأنب
طلب الحلال . ومن
أدب الصوفية رؤية
العلم على النعمة وأن
يتشدد بفسل اليد
قبل الطعام قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« الوضوء قبل الطعام
موجب لنفى الفقر » وإيمان
موجب لنفى الفقر لأن
غسل اليد قبل الطعام
استقبال النعمة بالأدب
وذلك من شكر
النعمة والشكر
يستوجب المزيد فصار
غسل اليد مستجباً
للنعمة ومنها للفقر
وقد روى أنس بن
مالك رضى الله عنه
عن النبي صلى الله

(بيان ذم الرياء)

اعلم أن الرياء حرام ولترأى عند الله محضوت وقد شهدت ذلك الآيات والأخبار . أما الآيات :
 قوله تعالى - فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون وقوله عز وجل - والذين
 يكررون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يورس - قال مجاهد : هم أهل الرياء وقال تعالى - إنما
 نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا - فليح المخلصين بنى كل إرادته وسوجه الله والرياء
 منه وقال تعالى - فمن كان يرجو لقاء ربه فليصل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحد^(١) ونزل
 ذلك فيمن يطلب الأجر والحمد بعبادته وأعماله . وأما الأخبار : فقد قال عليه السلام حين سأله رجل فقال
 يا رسول الله فبم النجاة ؟ فقال « أن لا يصل اليه بطاعة الله يريد بها الناس » وقال أبو هريرة رضي الله عنه
 الثلاثة : للقتول في سبيل الله وللصدق بماله والقارىء لكتاب الله كما أوردنا في كتاب الاخلاص وإن
 الله عز وجل يقول لكل واحد منهم كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد كذبت بل أردت أن يقال
 فلان شجاع كذبت بل أردت أن يقال فلان قارىء فأخبر صلى الله عليه وسلم « أنهم يابوا أن يراءوا وهو
 الذي أحبط أعمالهم^(٢) » وقال ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم « من رآه رأى الله
 به ومن مع سمع الله به^(٣) » وفي حديث آخر طويل « إن الله تعالى يقول لا تكن في هذا المردى بسمه
 فاجعلوه في سجين^(٤) » وقال عليه السلام « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر
 يا رسول الله ؟ قال الرياء ، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم أهو إلى الذين كنتم
 تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « استنذروا الله عز وجل
 من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم أعد للرائين^(٦) » وقال عليه السلام « يقول الله
 عز وجل : من عمل لي عملا أشرك فيه غيري فهو له كره وأتانه برىء وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك^(٧) »

عليه وسلم أنه قال
 « من أحب أن يكثر
 خير يته فليؤنثا إذا
 حضر غداؤه لم يرضى
 الله تعالى » قوله تعالى
 - ولا تأكلوا مما
 لم يذكر اسم الله عليه
 نصيره سبحانه الله تعالى
 عند ذبح الحيوان .
 واختلف الشافعي
 وأبو حنيفة رحمهما
 الله في وجوب ذلك
 وفهم الصوفى من ذلك
 بعد القيام بظاهر
 التفسير أن لا يأكل
 الطعام إلا مقرونا بالذكر
 قهره فريضة وقته
 وأدبه ويرى أن تناول
 الطعام والماء ينتج من
 إقامة النفس ومناجاة

(١) حديث تزول قوله تعالى - من كان يرجو لقاء ربه - الآية فيمن يطلب الآخرة والحمد بعبادته
 وأعماله الحاكم من حديث طاوس قال رجل إلى أنف الوقت أبشئ وجهه الله وأحب أن يرى موطن
 فلم يرد عليه حتى نزلت هذه الآية هكذا في نسخ من الاستدراك وله سقط منه ابن عباس وأبو هريرة
 والزيار من حديث معاذ بن شد مضعف من صام رياء قد أشرك الحديث وفيه أنه صلى الله عليه وسلم
 تلا هذه الآية (٢) حديث أبي هريرة في الثلاثة : للقتول في سبيل الله وللصدق بماله والقارىء
 لكتابه فان الله يقول لكل واحد منهم كذبت رواء مسلم وميقاتي في كتاب الاخلاص (٣) حديث
 ابن عمر من رآه رأى الله به ومن سمع الله به متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله وأما حديث
 ابن عمر فرواه الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من رواية شيخ يكنى أبانيد عنه يلفظ من
 سمع الناس مع الله به سامع خلقه وحقره وصفه وفي الزهد لابن المبارك ومسنود أحمد بن منيع أنه
 من حديث يبد الله بن عمرو (٤) حديث إن الله يقول لا تكن في هذا المردى بسمه فاجعلوه في سجين
 ابن المبارك في الزهد ومن طريقه ابن أبي الدنيا في الاخلاص وأبو الشيخ في كتاب العظيمة من
 رواية حمزة بن حبيب مهسلا ورواه ابن الجوزي في اللومعات (٥) حديث إن أخوف ما أخاف
 عليكم الشرك الأصغر الحديث أحمد والبيهقي في الشعب من حديث محمود بن لبيد وله رواه ورعاه
 ثقات ورواه الطبراني من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج (٦) حديث استنذروا الله من
 جب الحزن قيل وما هو ؟ قال واد في جهنم أعد للقراء الراءين الترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث
 أبي هريرة وصححه ابن عدى (٧) حديث يقول الله من عمل لي عملا أشرك فيه غيري فهو له كره

وقال عيسى المسيح صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم صوم أحدكم فليدن رأسه ولحيته ومسح شفتيه
 ثلاثا يرى الناس أنه صائم وإذا أعطى يمينه فليخف عن شباهه وإذا صلى فليخف ستره فإن الله يقسم
 الشاة كما يقسم الرزق ، وقال نبيتنا صلى الله عليه وسلم « لا يقبل الله عز وجل عملا فيه مخالفة من
 رياء » (١) وقال عمر لما بن جبل حين رآه يكي ما يكيك ؟ قال حديث سمعته من صاحب هذا
 القبر النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن أدنى الرياء شرك » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم
 « أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشبهة الخفية » (٣) وهي أيضا ترجع إلى خطايا الرياء ودعاؤه
 وقال صلى الله عليه وسلم « إن في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجلا تصدق يمينه فكأنه يمين
 شباهه » (٤) ولذلك ورد « أن فضل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعا » (٥) وقال صلى الله عليه
 وسلم « إن للرائي ينادي عليه يوم القيامة يا فاجر يا فاجر يا فاجر يا مرأتى مثل عملك وحيط أجرك انذهب فخذ
 أجرك بمن كنت تعمل له » (٦) وقال شداد بن أوس « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يكي يكي قلت
 ما يكيك يا رسول الله ؟ قال إنى تخوف على أمي الشرك أما إنهم لا يبيدون صبا ولا همسا ولا قرأ
 ولا حبرا ولكنهم يرايون بأعمالهم » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله الأرض مادت
 بأهلها فخلق الجبال فصرها أوتادا للأرض فقالت للأشكة ما خلق ربنا خلقا هو أشد من الجبال
 فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فأذابت الحديد ثم أمر الله الماء بإطفاء النار وأمر الريح
 فكسرت الماء فاختلقت الأشكة فقالت نسأل الله تعالى قالوا يارب ما أشد ما خلقت من خلقك ؟
 قال الله تعالى لم أخلق خلقا هو أشد على من قاب ابن آدم حين يتصدق بيمينه فيخفيها عن
 شباهه فهذا أشد خلقا خلقته » (٨) وروى عبد الله بن المبارك بإسناده عن رجل أنه قال لعاذ بن جبل
 حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيكي معاذ حتى ظننت أنه لا يسكت ثم سك
 ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال لى « يا معاذ قلت ليكي بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال
 الحديث مالك واللفظ له من حديث أبي هريرة دون قوله وأنا منه برى ومسلم مع تقدم وتأخير دونها
 أيضا وهي عند ابن ماجه بسند صحيح (١) حديث لا يقبل الله عملا فيه مقدار ذرة من رياء لم أجده
 هكذا (٢) حديث معاذ إن أدنى الرياء شرك الطبراني هكذا والحاكم يلفظ إن اليسير من الرياء شرك
 وقد تقدم قبل هذه الورقة (٣) حديث أخوف ما أخاف عليكم الرياء الحديث تقدم في أول هذا الكتاب
 (٤) حديث إن في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجلا تصدق يمينه فكأنه يمينه فخبيا عن شباهه
 متفق عليه من حديث أبي هريرة بنحوه في حديث سبعة يظلمهم الله في ظله (٥) حديث تفضيل
 عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعة البيهقي في الشعب من حديث أبي الدرداء إن الرجل ليعمل
 العمل فيكتب له عمل صالح ممول به في السر يصف أجره سبعين ضعا قال البيهقي هذان أفراد يتيقة
 عن شيوخ المجهولين وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الاخلاص من حديث عائشة بسند ضيف بفضل
 الله كرا الحنفى الذى لا تسمة الحنفية على الذكر الذى تسمة الحنفية سبعين درجة (٧) حديث إن
 المرائي ينادى يوم القيامة يا فاجر يا فاجر يا فاجر يا مرأتى مثل عملك وحيط أجرك الحديث ابن أبي الدنيا من
 رواية جبيلة البصيص عن صحابي لم يسم وزاد يا كافر يا خاسر ولم يقل يا مرأتى وإسناده ضيف
 (٧) حديث شداد بن أوس إنى تخوف على أمي الشرك الحديث ابن ماجه والحاكم نحوه وقد تقدم
 قريبا (٨) حديث لما خلق الله الأرض مادت بأهلها الحديث وفيه لم أخلق خلقا هو أعظم من ابن آدم
 يتصدق يمينه فيخفيها عن شباهه الترمذى من حديث أنس مع اختلاف وقال غريب .

هو اها وبرى ذكر الله
 تالم دوامه وترياته .
 روت عائشة رضى الله
 عنها قالت كان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 يأكل الطعام فى ستة
 ثمر من أصابعه فجاء
 أعرابي فأكله بيمين
 فقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أما إنه
 لو كان يسمى الله
 لكفناكم فاذا أكل
 أحدكم طعاما فليقل
 بسم الله فإن نسي أن
 يقول بسم الله فليقل
 بسم الله أوله وآخره .
 ويستحب أن يقول فى
 أول لقمة بسم الله الرحمن
 الثانى بسم الله الرحمن
 وفى الثالثة يهن وضرب

إني محدثك حديثاً إن أنت حفظت نفسك وإن أنت ضيعت ولم تحفظه أهطمت حجتك عند الله يوم
التيامة بإسعاد إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض ثم خلق السموات
فبذل لكل سبعة من السبعة ملكاً بواباً عليها قد جعلها عظاماً تصمد الحفظة بصل العبد من حين أصبح
إلى حين أمسى له نور كنور الشمس حتى إذا صعدت به إلى السماء الدنيا زكته فسكرته فيقول للملك
الحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب القبة أمرني ربي أن لا أدع عمل من اشتاب
الناس بمجاوزتي إلى غيري قال ثم تأتي الحفظة بصل صالح من أعمال العبد تضر به فزكته وتسكره
حتى تبلغ به إلى السماء الثانية فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه
أراد بصله هذا عرض الدنيا أمرني ربي أن لا أدع عمله بمجاوزتي إلى غيري إنه كان يفتخر به على
الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بصل العبد ينتج نوراً من صدقة وصيام وصلاة قد أعجب
الحفظة فيجاوزون به إلى السماء الثالثة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه
صاحبه أنا ملك الكبر أمرني ربي أن لا أدع عمله بمجاوزتي إلى غيري إنه كان يشكر على الناس في
مجالسهم قال وتصعد الحفظة بصل العبد يزهر كإزهر الكوكب المدرى له دوى من تسبيح وصلاة
وحج وعمرة حتى يجاوزوا به السماء الرابعة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل
وجه صاحبه اضربوا به ظهوره وبطنه أنا صاحب السجود أمرني ربي أن لا أدع عمله بمجاوزتي إلى
غيري إنه كان إذا عمل عملاً أدخل العجب في عمله قال وتصعد الحفظة بصل العبد حتى يجاوزوا به
السماء الخامسة كأنه العروس للزفوة إلى أهلها فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل
وجه صاحبه واحملوه على عاتقه أنا ملك الحمد إنه كان يحمد الناس من يتلم ويصل بصل عمله وكل
من كان يأخذ فضلاً من العبادة يحمدهم ويقع فيهم أمرني ربي أن لا أعمله بمجاوزتي إلى غيري
قال وتصعد الحفظة بصل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون بها إلى السماء
السادسة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه كان لا يرحم إنساناً قط
من عباد الله أصابه بلاء أو ضر أو ضر به بل كان يشمت به أنا ملك الرحمة أمرني ربي أن لا أدع
عمله بمجاوزتي إلى غيري قال وتصعد الحفظة بصل العبد إلى السماء السابعة من صوم وصلاة وثقة
وزكاة واجتهاد وورع له دوى كدوى الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون
به إلى السماء السابعة فيقول لهم الملك للوكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به
جوارحه اقتلوا به على قلبه إني أحجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي إنه أراد بصله غير الله
تعالى إنه أراد رضى عند الفقهاء وذكرنا عند العلماء وصيتنا في الدائن أمرني ربي أن لا أدع عمله
بمجاوزتي إلى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصاً فهو رياء ولا يقبل الله عمل الرائي قال وتصعد الحفظة
بصل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى وتسميه
ملائكة السموات حتى يقطعوا به الحجب كلها إلى الله عز وجل فيقفون بين يديه ويشهدون له
بالعمل الصالح المخلص قال فيقول الله لهم أتم الحفظة على عمل عبيدي وأنا الرقيب على نفسه
إنه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فلبى لست فتقول الملائكة كلهم عليه لعنتك ولعننا
ونقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعننا وتلعنه السموات السبع والأرض ومن فيهن قال معاذ
قلت يا رسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ قال قدى وإن كان في عملك تقص بإسعاد حافظ على
أسانك من الوقيعة في إخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحمها عليهم ولا ترك
نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تكبر في مجلسك

للباء بسلامة أنفاس
يقول في أول سن
الحمد لله إذا شرب وفي
الثانية الحمد لله رب
العالمين وفي الثالثة الحمد
له رب العالمين الرحمن
الرحيم وكأن للعدة
طباقة تزد ركاز كراه
بجواقة طابع الطعام
فلقلب أيضاً مزاج
وطابع لأرباب التفقد
والرغايا والبقعة يعرف
انحراف مزاج القلب
من اللقمة التناولة تارة
تحدث من اللقمة
حسرات الطيش
بالتهوس إلى الفضول
وتارة تحدث في القلب
برودة الكسل بالناعدة
عن وظيفة الوقت وتارة

لكني بحذر الناس من سوء خلقك ولا تاج رجلا وعندك آخر ولا تعظم على الناس فيقطع عنك خير الدنيا ولا تحرق الناس فتعرقك كلاب النار يوم القيامة في النار قال الله تعالى - والناشطات نشطا - أتدري من هن؟ يا معاذ؟ قلت ماهن؟ بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال كلاب في النار تنشط للحم والمعظم . قالت بأبي أنت وأمي يا رسول الله فمن يطبق هذه الحصال ومن ينجو منها؟ قال يا معاذ إنه ليسر لي من يسره الله عليه (١) قال فما رأيت أكثر تلاوة القرآن من معاذ للحذر بما في هذا الحديث . وأما الآثار : فيروي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى رجلا يطأطي رقبته فقال يا صاحب الرقة ارفع رقبك ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب ورأى أبو أمامة الباهلي رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال أنت أنت لو كان هذا في بيتك .

وقال علي كرم الله وجهه : لدرأى ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان في الناس ويزيد في العمل إذا أتى عليه وينعم إذا ذم . وقال رجل لعبد بن الصامت أقتل بسبي في سبيل الله أريد به وجه الله تعالى ومحمد الناس قال لاشئ لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لاشئ ثم قال في الثالثة إن الله يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشرك الحديث . وسأد رجل سعيد بن المسيب فقال إن أحدنا يسلطن المعروف بحب أن يحمده ويؤجر فقال له أعجب أن تمثق؟ قال لا قال فإذا عملت فعمل فأخاه . وقال الضحاک : لا يقولن أحدكم هذا لوجه الله ولوجهك لا وتولين هذا ولله رسم فإن الله تعالى لا يشريك له وضرب عمر رجلا بالدرة ثم قال له أقتنى مني فقال لا بل أذهبها له ولك فقال له حمز ماصنت شيئا إما أن تدعني لي فأعرف ذلك أو تدعني له وحده فقال ودعني له وحده فقال فممن إذن . وقال الحسن : لقد صحبت أنوما إن كان أحدهم تعرض له الحكمة لولطق بها . لبغته وضمت أصحابه وباجنته منها إلا عافة الشجرة وإن كان أحدهم ليبر فيرى الأذى في الطريق فإفانته . أن ينبيهه إلا عافة الشجرة . ويقال إن الرازي بنادى يوم القيامة بأربعة أسماء يا مراى يا غادر يا خاسر يا فاجر اذهب غدا أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا . وقال الفضيل بن عياض : كانوا يرادون بما يعملون وصاروا اليوم يرادون بما لا يعملون . وقال عكرمة : إن الله يعطي العبد على نيته ما لا يطلبه على عمله لأن النية لأرياء فيها . وقال الحسن رضى الله عنه : الرازي يريد أن يقلب قدر الله تعالى وهو رجل سوء يريد أن يقول الناس هو رجل صالح وكيف يتولون وقد قل من ربه محل الأرياء فلا بد قلوب المؤمنين أن تعرفه . وقال قتادة : إذا رآى العبد يقول الله تعالى انظروا إلى عبيد يستهزئ بي . وقال مالك بن دينار : القراء ثلاثة قراء الرحمن وقراء الدنيا وقراء اللوك وإن محمد بن واسع من قراء الرحمن . وقال الفضيل : من أراد أن ينظر إلى مرآة فلينظر إلى . وقال محمد بن المبارك الصوري : أظهر السمات بالليل فانه أشرف من منكن بالآثار لأن السمات بالآثار للخلق ومنعت الليل لرب العالمين . وقال أبو سليمان : التوفى عن العمل أشد من العمل . وقال ابن المبارك : إن كان الرجل ليطوف بالبيت وهو غراسان قيسل له وكيف ذاك؟ قال يجب أن يذكر أنه مجاور بمكة . وقال إبراهيم بن آدم : ماصدق الله من أراد أن يشهر .

(١) حديث معاذ الطويل إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض فجعل لكل ساء من السبعة ملكا بوابا عليه الحديث بطوله في صعود الحفظة بعمل العبد ورد اللاتسكة له من كل ساء ورد الله تعالى له بعد ذلك عزاء المصنف إلى رواية عبد الله بن المبارك بإسناده عن رجل من معاذ وهو كما قال رواه في الزهد وفي إسناده كما ذكر من لم يسم درواه ابن الجوزي في اللوحات .

تحدث رطوبة السهو
والغفلة وتارة يوسوس
الحسن والحزن بسبب
الخطوط المائلة لهذه
كلها عوارض ينفعن
لها التيقظ ويرى تغير
القلب بهذه الدواض
تغير مزاج القلب عن
الاعتدال والاعتدال
كما هو مهم طلبه
للقاب فللقاب أهم
وأولى وتطرق
الانحراف إلى القلب
أسرع منه إلى القالب
ومن الانحراف ما يستقم
به القلب فيموت لموت
القالب واسم الله تعالى
دواء نافع مجرب يقى
الأسواء ويذهب الداء
ويجلب الشفاء . حكى

(بيان حقيقة الرياء وما يراه به)

اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وإنما الرياء أصله طلب للترقة في قلوب الناس بإرائهم خصال الخير إلا أن الجاه وللترقة تطلب في القلب بأعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات وأسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب للترقة في القلوب بالعبادات وإظهارها لخد الرياء هو إرادة العباد بطاعة الله فالرائي هو العابد والرائى هو الناس المطلوب رؤيتهم بطلب للترقة في قلوبهم والرائى به هو الحصول التي قصد للرائي إظهارها والرياء هو قصد إظهار ذلك والرائى به كثير وبجمعه خمسة أقسام وهي جماع ما يميز به المبدئ للناس وهو البدن والري والتقول والعمل والأفعال والأشياء الخارجة وكذلك أهل الدنيا يرايون بهذه الأسباب المحضة إلا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون من الرياء بالطاعات .

[القسم الأول : الرياء في الدين بالدين] وذلك بإظهار التحول والصفاء ليوم بذلك حسنة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة وليلد التحول على قلة الأكل وبالصفاء على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن على الدين وكذلك يراني بتشتيت الشمر ليدل به على استغراق العلم بالدين وعدم التفريغ لتسريح الشمر وهذه الأسباب مهما ظهرت استدلت الناس بها على هذه الأمور فارتاحت النفس لمراقبتهم لذلك تدعو النفس إلى إظهارها ليل تلك الراحة وقرب من هذا خفض الصوت وإغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على أنه موافق على الصوم وأن وفاء الشرع هو الذي خفض من صوته أو ضعف الجوع هو الذي ضعف من قوته وعن هذا قال السبيح عليه السلام : إذا صام أحدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه . وكذلك روى عن أبي هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من زغ الشيطان بالرياء ، ولذلك قال ابن مسعود أصبحوا صياماً مدهنين فيهذه مرأاة أهل الدين بالدين ، فأما أهل الدنيا فيرايون بإظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الأعضاء وتناسها .

[الثاني : الرياء بالهيئة والري] أما الهيئة فتشتمل شعر الرأس وحلق الشارب وإطراق الرأس في الشئ والهدوء في الحركة وإبقاء أثر الجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها إلى قرب من الساق وتشمير الأكمام وترك تنظيف الثوب وتركه عرقا كال ذلك يراني به ليظهر من نفسه أنه متبع لسنة فيه ومتدبر فيه بعبادته الصالحين ومن ذلك لبس الرقعة والصلادة على السجادة وليس الثياب الزرق تشبه بالصوفية مع الإخلاص من حقائق التصرف في الباطن ومنه التفتيح بالازار فوق العمامة وإسبال الرداء على العينين ليري به أنه قد انتهى تشغفه إلى الحذر من غبار الطريق ولتصرف إليه الأغنياء بسبب تميزه بتلك الملاية ومنه الدراعة والطيلسان لبسه من هو خال عن العلم ليوم أنه من أهل العلم والراءون بالري على طيقات فمنهم من يطلب للترقة عند أهل الصلاح بإظهار الزهد فلبس الثياب الخرق الوسخة القصيرة القليلة ليراني بخلطها ووسخها وقصرها وتحرقها أنه غير مكرت بالدين ولو كلف أن يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان الساف بلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك خوفاً أن يقول الناس قد بدا له من الزهد وراجع عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا وطبقة أخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاح وعند أهل الدنيا من الملوك والوزراء والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ودهم القراء ولولبسوا الثياب الخرقية البذلة ازدبرتهم من الملوك والأغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا فذلك يطلبون الأصواف الدقيقة والأكسية الرفيعة والرقعات الصوغة والقوط الرجعة فيلبسوها ولعل قبة ثوب أحد الأغنياء ولونه وهيئة لون

أن الشيخ محمد التزالي لما رجع إلى طوس وصف له في بعض القري عبد صالح قصده زائراً فصادفه وهو في صحراء له يذير الحنطة في الأرض فلما رأى الشيخ محمد إجماء إليه وأقبل عليه فجاء رجل من أصحابه وطلب منه البذر لينوب عن الشيخ في ذلك وقت اشتغاله بالتزالي فامتنع ولم يحطه البذر فسأله التزالي عن سبب امتناعه فقال لأني أبلر هذا البذر بلباب حاضر لسان ذاكر أرجو البركة فيه لسكن من

تباب الصلحاء فيلتزمون القبول عند القرينين وهؤلاء إن كفوا لبس ثوب خشن أو وسخ لكان عديم كادح خوفا من السقوط من أعين اللوك والأغنياء ولو كفوا لبس الديق والسكان الديق الأبيض ولتصعب للعلم وإن كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم ذلك عليهم خوفا من أن يقول أهل الصلاح قد رضوا في زى أهل الدنيا وكل طبقة منهم رأى منزلته في زى مخدوس فيقتل عليه الانتقال إلى مادونه أو إلى مانوقه، وإن كان مباحا خيفة من اللعنة، وأما أهل الدنيا فهماءهم بالثياب النفيسة والراكب الرفيعة وأنواع التوسع والتجمل في اللبس والسكن وأثاث البيت وفرة الحيل وبالثياب البضفة والطبالة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فأنهم يلبسون في يومهم الثياب الحقة ويشته عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئة مالم يألوا في الرزية.

[الثالث : الرياء بالقول] ورياء أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار والآثار لأجل الاستعمال في المأجور وإظهار النزاهة العلم ودلالة على حداثة النية يحوال السلف العالين وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الحلق وإظهار التعجب للمعكرات وإظهار الأصف على مقارفة الناس للمعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت بقرأة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن وإدعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والفقهاء على من يروى الحديث بيان خلل في نظره ليرى أنه يصير بالأحاديث والبادرة إلى أن الحديث صحيح أو غير صحيح لإظهار الفضل في قضاة إمام الحزم ليظهر للناس قوته في علم الدين والرياء بالقول كثير وأنواعه لا تحصى. وأما أهل الدنيا فهماءهم بالقول بحفظ الأعداد والأمثال والنفاس في العبارات وحفظ النحو القريب للإغراب على أهل الفضل وإظهار التودد إلى الناس لاسمالة القلوب.

[الرابع : الرياء بالعمل] كإهداء الصلح بطول القيام ومد الظاهر وطول السجود والركوع وإطراق الرأس وترك الانثناء وإظهار الهدوء والكون وتوسية القدمين واليدين وكذلك الصوم والفز والفز والحج والصدقة وإطعام الطعام والإحبات في الشئ عند الفناء كإهداء الجفون وتنكيس الرأس والوقار في الكلام حتى إن للرائي قد يسرع في الشئ إلى حاجته فإذا اطاع عليه أحد من أهل الدين رجع إلى الوقار وإطراق الرأس خوفا من أن ينسبه إلى العجلة وقلة الوقار فإن غاب الرجل عاد إلى عجمته فإذا رآه عاد إلى خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يمدد الحشوع له بل هو لا اطلاع إنسان عليه يخشى أن لا يجد فيه أنه من العباد والصلحاء ومنهم من إذا سمع هذا استعيا من أن تخالف مشيئة في الخلق ومشية برأى من الناس فيكلف نفسه الشئ الحسنة في الخلو حتى إذا رآه الناس لم يفتقر إلى التغيير ويظن أنه يتخاص به عن الرياء وقد تضاعف به رايؤه فإنه صار في خلوته أيضا مرايا فانه إنما يحسن مشيئة في الخلو ليكون كذلك في اللأ لاخوف من الله وحياء منه، وأما أهل الدنيا فهماءهم بالبحث والاختيال وتحريك اليبدين وتخريب الخطأ والأخذ بأطراف التبدل وإدارة المعطين ليدلوا بذلك على الجاه والخسمة.

[الخامس : الرياء بالأصحاب والزائرين والمخالطين] كالتأني بتشكف أن يستزير عالما من العلماء ليقال إن فلانا قد زار فلانا أو عابدا من العباد ليقال إن أهل الدين يتركون زيارته ويرددون إليه أو ملكا من اللوك أو عالما من محال السلطان ليقال إنهم يتركون به لمظهر رتبته في الدين وكالتأني بترك ذكر الشيوخ ليرى أنه لقي شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيأبى بشيوخه ومباهاته ومراءاته تترحم منه عند محاصته فيقول لقرنه من لقيت من الشيوخ وأنا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت المشوخ وما يجري مجراه فهذه جماع ما يراني به للراءون وكلهم يطلبون بذلك الجاه والترفقة في قلوب العباد ومنهم من يتبع بحسن الاعتقادات فيه فكأن من راهب انزوى إلى دبره سنين كثيرة وكمن عابد اعتزل

يتناول منه شيئا فلا
أصب أن أسله إلى
هذا فينذر لسان غير
ذاكرو قلب غير حاضر
وكان بعض الفقهاء
عند الأكل يشرع
في تلاوة سورة من
القرآن يحضر الوقت
بذلك حتى تنقصر
أجزاء الطعام بأنوار
الذكر ولا يعبأ الطعام
مكرهه ويتغير مزاج
القلب وقد كان شيخنا
أبو النجيب السهروردي
يقول أنا أكل دائما
أصل يشير إلى حضور
القلب في الطعام وربما
كان يوقف من منع
عنه الشواغل وقت
أكله فلا يتفرق همه

إلى قلة جبل مدة مديدة وإنما خيأته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولوعرف أنهم يسبوه إلى جرة في ديرة أو صومته لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله براءة ساحته بل يشتد ذلك غم ويسعى بكل حيلة في إزالة ذلك من قلوبهم مع أنه قد قطع طمعه من أحواله ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لا يند كما ذكرناه في أسبابه فانه نوع قدرة وكمال في الحال وإن كان سريع الزوال لا ينتزعه إلا الجاهل ولكن أكثر الناس جهال ومن الزاثنين من لا يقنع بقيام منزله بل يلتصق مع ذلك المطلق اللسان بالتنا والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة إليه ومنهم من يريد الانتشار عند الملوك لتقبل شفاعته وتجنز الحوائج على يده فيقوم له بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك إلى جمع

حطام وكسب مال ولو من الأوقاف وأموال النباه وغير ذلك من الحرام وهو لا يشترط ثبات للرائين الذين يرادون بالأسياب التي ذكرناها فهذه حقيقة الراء وما به يقم الراء. فان قلت فالرياء حرام أو مكروه أو مباح أو فيه تفصيل . فأقول فيه تفصيل فإن الراء هو طلب الجاه وهو إما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث إنه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبسات وأسباب محظورات فكذلك الجاه وإن كسب قليل من المال وهو ما يحتاج إليه الإنسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات أيضا محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال - إني حفيظ علم - وكان المال فيه سمانع وردد راي نافع فكذلك الجاه وإن كان كثير للمال يلهي ويغني وذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل أشد وتفتنا الجاه أعظم من فتنة المال وكما أنا لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول أيضا تملك القلوب الكثير حرام إلا إذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة مالا يجوز . ثم انصرف الهم إلى سعة الجاه مبدا الضرور كاتصرف الهم إلى كثرة المال ولا يقدر حب الجاه للمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرهما وأما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اعتناء بزواله إن زال فلا ضرر فيه فلا يجازي من جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصرف الهم إلى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فقل هذا هو التحسين الثوب الذي يلبسه الإنسان عند الخروج إلى الناس مرءاة وهو ليس بحرام لأنه ليس رياء بالعبادة بل بالدينا وقس على هذا كل

يتميل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روى عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أراد أن يخرج يوما إلى الصحابة فكان ينظر في حب اللاء ويسوى همامته وشعره فقالت أو تفعل ذلك يا رسول الله قال نعم إن الله تعالى يحب من العبد أن يزين لخواصه إذا خرج إليهم ^(١) ثم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لأنه كان مأمورا بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع وأسالة قلوبهم ولوسط من أعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه أن يظهر لهم ع الحسن أحواله لئلا يزدري أعينهم فان أعين عوام الخلق تمتد إلى الظواهر دون السرائر فكان ذلك تصدر رسول الله ﷺ ولكن لو قصد قاصد بأن يحسن نفسه في أعينهم حفرا من ذمهم ولومهم واسترواحا إلى توقيرهم واحترامهم كان قصد أمرا باحسا إذ للأنسان أن يعتز من ألم الذمعة ويطلب راحة الألسن بالأخوان ومهما استغفروا واستغفروهم لم يأس بهم فاذن للرائاة بما ليس من العبادات قد تكون مباحة وقد تكون مأمورة وقد تكون مذمومة وذلك بحسب القرض المطلوب بها ولذلك تقول الرجل إذا أنفق ماله على جماعة من الأغنياء لافي معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتد الناس أنه سعى ففدا مرءاة وليس بحرام وكذلك مثاله. أما العبادات كالصدقة

(١) حديث عائشة أراد أن يخرج على أصحابه وكان ينظر في حب اللاء ويسوى همامته وشعره الحديث ابن عدي في الكامل وقد تقدم في الطهارة .

وقت الأكل ويري

لذكر وحضور القلب

في الأكل أثر كبير

لا يسهل الإجماع له ومن

الذكر عند الأكل

التكثير فبأية الله تعالى

من الإنسان للعبية على

الأكل فيها الكسرة

ومنها التاطعة ومنها

الطاعة وما جعل الله

تعالى من النساء الخلق

القيم حتى لا ينتير الدوق

كما جعل ماء العين مالما

لما كان شحما حتى

لا يفسد وكيف جعل

التداوة تنسج من أرجاء

اللسان والقيم ليعين

ذلك على المنع والدرع

وكيف جعل القوة

الحامضة مسلطة على

والصلاة والصيام والقرآن والجمع فللمرائى فيه حالتان: إحداهما أن لا يكون له قصد إلا الریاء لمحض دون الأجر وهذا يطل عبادته لأن الأعمال بالنیات وهذا ليس بقصد العبادة ثم لا يتصرف لإحباط عبادته حتى يقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصى بذلك وبأثم كما دلت عليه الأخبار والآیات. والثاني فيه أمران أحدهما يتعلق بالعباد وهو التلبس والسكر لأنه خيل إليهم أنه غامس مطيع لله وأنهم أهل الدين وليس كذلك والتلبس في أمر الدنيا حرام أيضا حتى لو فرض دين جماعة وخيل للناس أنه متبرع عليهم ليتعدوا سخاوته أثم به لما فيه من التلبس وتعمك الدلو ببالداع والسكر. والثاني يتعلق بالله وهو أنه مهما قصد عبادة الله تعالى خلق الله فهو على مستهزئ بالله ولذلك قال قتادة إذا زار العبد قال الله ملائكتك انظروا إليه كيف يستهزئ بي ومثاله أن يشغل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وإنما وقوفه للملاحظة جارية من جواری الملك أو غلام من غلامه فإن هذا استهزاء بالملك إذ لم يقصد التقرب إلى الملك بخدمة بل قصد بذلك عبدا من عبيده فأى استحقاق زبدها أن يقصد العبد بطاعة الله تعالى مرادة عبد ضعيف لا يملك له شرا ولا نفعا وهل ذلك إلا لأنه يظن أن ذلك العبد أقدر على تحصيل أغراضه من الله وأنه أولى بالتقرب إليه من الله إذ آخره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادة وأى استهزاء زبده على رفع العبد فوق الولي فهذا من كبائر الهلكات ولهذا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الأصغر (١) ، نعم بعض درجات الریاء أشد من بعض كإسبأني بيانه في درجات الریاء إن شاء الله تعالى ولا يخفى شيء منه عن إثم غليظ أو خفيف بحسب ما به المرادة ولولم يكن في الریاء إلا أنه يسجد ويركع لتبر الله لكان فيه كفاية فانه وإن لم يقصد التقرب إلى الله فقد قصد غير الله ولمعنى لو عظم غير الله السجود لكفر كفر اجابا إلا أن الریاء هو الكفر الحق لأن المرائى عظم في قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة أن يسجد ويركع فكان الناس هم المعظمون بالسجود ومن وجه وهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك إلا أنه قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده بإظهاره من نفسه صورة التعظيم لله فمن هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا وذلك غاية الجهل ولا يقدر عليه إلا من خدعه الشيطان وأوهى عنده أن العبادة يملكون من ضرر موقعه ورزقه وأجله ومصلح حاله وما له أكثر مما عليه الله تعالى فلذلك عدل بوجهه عن الله إليهم وأقبل بقلبه عليهم ليتسبل بذلك قلوبهم ولو وكد الله تعالى إليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك أقل مكافأة له على صنيعه فإن العباد كلهم عاجزون عن أنفسهم لا يملكون لأشبههم فعدا ولا ضرر فكيف يملكون لتبرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يجزى والدع ولده ولا مولود هو جازع والدين شيا بل يقول الأنبياء فيه نفسى نفسى فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله ما رتبته بطعمه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغي أن نشك في أن المرائى بطاعة الله في سخط الله من حيث النقل والقياس جميعا إذا لم يقصد الأجر فأما إذا قصد الأجر والحمد جميعا في صدقته وأصلاته فهو الشرك الذى يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص ويدل على ما قلناه من الآثار قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت : إنه لا أجر له فيه أصلا .

(بيان درجات الریاء)

اعلم أن بعض أبواب الریاء أشد وأغلظ من بعض واختلافه باختلاف أركانه وتفاوت الدرجات

(١) حديث سمى الریاء الشرك الأصغر أحمد من حديث حمود بن لبيد وقد تقدم ورواه الطبراني من رواية حمود بن لبيد عن رافع بن خديج فجعله في مسند رافع وتقدم قريبا وللاحكام وصح إسناده من حديث شداد بن أوس كذا تعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الریاء الشرك الأصغر.

الطعام نفسه وبجره
متلقا مددها بالكبد
والكبد بشابة النار
والصدمة بشابة القدر
وحتى قدر فساد الكبد
نقل الحاشمة وضد
الطعام ولا ينفصل
ولا يصل إلى كل عضو
نصيه وهكذا تأثير
الأعضاء كلهم من الكبد
والطحال والكليتين
ويطول شرح ذلك
فمن أراد الاعتبار
فليطالع شرح
الأعضاء ليرى العجب
من قدرة الله تعالى
من تعاضد الأعضاء
وتعاونها وتعلق بعضها
بالبعض في إصلاح
القضاء واستجداب

فيه وأركانها ثلاثة للرأى به والرأى لأجله ونفس قصد الرياء . الركن الأول : نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو إما أن يكون مجردا دون إرادة عبادة الله تعالى والثواب وإما أن يكون مع إرادة الثواب فإن كان كذلك فلا يخلو إما أن تكون إرادة الثواب أقوى وأغلب أو أضعف أو مساوية لإرادة العبادة فتكون الدرجات أربعة . الأولى : وهي أغلظها أن لا يكون مراده الثواب أصلا كالذي يصلى بين أظهر الناس ولو اتفرد لكان لا يصلى بل برعا يصلى من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصد إلى الرياء فهو للمعقوت عند الله تعالى وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما أدّاها فهذه الدرجة العليا من الرياء . الثانية : أن يكون له قصد الثواب أيضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلو لكان لا يهمله ولا يجعله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن قصد الثواب لكان الرياء يجعله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من ضائقة قصد ثواب لا يستقل بعمله على العمل لا يثنى عنه التمت والإيم . الثالثة : أن يكون له قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يمتعه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة أو كان كل واحد منهما مالوا فاتفردوا لاستقل بعمله على العمل فهذا قد أقصد مثل ما صلح فترجوان يسلم رأسا برأس لاله ولا عليه ويكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الأخبار تدل على أنه لا يسلم وقد تكلنا عليه في كتاب الإخلاص . الرابعة : أن يكون اطلاع الناس مرجعا ومقويا لتشاطعه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة وتوكل قصد الرياء وحده لما أقدم عليه فالذي نظنه والعلم عند الله أنه لا ينجب أصل الثواب ولكنه بنفسه منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب وأما قوله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أنا أغنى الأغنياء عن الشرك » فهو محمول على ما إذا تبارى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح . الركن الثاني : الرأى به وهو الطاعات وذلك ينقسم إلى الرياء بأصول العبادات وإلى الرياء بأوصافها . القسم الأول وهو الأغلظ الرياء ، بأصول وهو على ثلاث درجات : الأولى الرياء بأصل الإيمان وهذا أغلظ أبواب الرياء وصاحبه محمّد في النار وهو الذي يظهر كل الشبهة وباطنه مشحون بالكذب ولكنه يرأى بظاهر الاسلام وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله عز وجل - إذا جاءك المنافقون قالوا تنهدينك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون - أي في دلائهم بقولهم على ضاههم وقد تبارى - ومن الناس من يبيح قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على مافي قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعي في الأرض لبسدها - الآية وقال تعالى - وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ - وقال تعالى - يرادون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذبذبين بين ذلك - والآيات فيه كثيرة وكان الاتفاق يكثر في ابتداء الإسلام ممن يدخل في ظاهر الإسلام ابتداء لفرض وذلك مما يقل في زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجهد الجبهة والنار والدار الآخرة ميلا إلى قول المبدعة أو يعتقد على بساط الشرع والأحكام ميلا إلى أهل الإبادة أو يعتقد كفرا أو بدعة وهو يظهر خلقة فهو لا من المنافقين والرائين المحلدين في النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء أشد حال من الكفار المجاهرين فاتهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر . الثانية : الرياء بأصول العبادات مع التصديق بأصل الدين وهذا أيضا عظيم عند الله ولكنه دون الأول بكثير . ومثاله أن يكون مال الرجل في بدعيه فيأمره بأخراج الزكاة خوفا من ذمه والله يعلم منه أنه لو كان في يده لما أخرجهما ويدخل وقت الصلاة وهو في جمع وعادته ترك الصلاة في الخلوة وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق فيفطر وكذلك يحضر الجمعة ولو لا خوف الذمة لكان لا يحضرها أو يصل رحمه أو يبر والده لا عن رغبة ولكن

القوة منه للأعضاء واتساقه إلى الدم والشمل واللين الخفية للولود من بين فرث ودم لنا خلصا ساقنا للشاربين فبارك الله أحسن الخالقين فالعصر في ذلك وقت الطعام وتعرف لطيف الحكيم والقدر فيه من الذكر وهما يذهب ذاء الطعام للغير مزاج القلب أن يدعو في أول الطعام ويسأل الله تعالى أن يجعله عونا على الطاعة ويكون من دعائه : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ومارزقتنا عما نحب اجعله عونا لنا على

خوفا من الناس أو يشر أو يحج كذلك فهذا مرآة منه أسهل الإيمان بالله يعتقد أنه لا يهود سواء ولو كلف أن يبد غير الله أو يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكل وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق أحب إليه من منزلته عند الخالق وخوفه من منعة الناس أعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته في محبتهم أشد من رغبته في ثواب الله ، وهذا غاية الجهل وما أجدر صاحبه بالقت وإن كان غير منسل عن أصل الإيمان من حيث الاعتقاد الثالثة: أن لا يراى بالإيمان ولا بالفرائض ولكنه يراى بالذواقل والسنن التي لو تركها لا يصى ولكنه يكد على الخلوقة لتصور رغبته في ثوابها ولإظهار هذه الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يسهه الرّياء على نفسها وذلك كعدو الجماعة في الصلاة وعيادة المريض وإتيان الجنازة وغسل الميت وكالتجهد بالليل وصيام يوم عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس ، فقد يفعل الرّائي جملة ذلك خوفا من اللزعة وأطلباً للمحمدة ويسلم الله تعالى منه أنه لو خلا نفسه لما زاد على أداء الفرائض فهذا أيضا عظيم ولكنه دون ما قبله فإن الذي قبله أكثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا أيضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق أعظم عنده من عقاب الله ، وأما هذا فلم يفعل ذلك لأنه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركها وكأنه على الشطر من الأول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الرّياء بأصول العبادات . القسم

ماتحب وما زويت عنا
مما تحب اجعله فراها
لنا فيها تحب .

[الباب الثالث
والأربعون في آداب
الأكال]

فمن ذلك أن يتندى
بالمح ويحتم به روى
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال لعلى
رضى الله عنه « يا حلى
ابدا طماحك بالمح
واختم بالمح فان للمح
شفاء من سبعين داء
منها الجنون والجذام
والبرص ووجع البطن
وجع الأخراس »
وروت عائشة رضي الله
عنها قالت « لدغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم

الذي قبله أكثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا أيضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق أعظم عنده من عقاب الله ، وأما هذا فلم يفعل ذلك لأنه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركها وكأنه على الشطر من الأول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الرّياء بأصول العبادات . القسم
الثاني : الرّياء بأوصاف العبادات لا بأصولها وهو أيضا على ثلاث درجات: الأولى: أن يراى بفعله ما في تركه قصان العبادة كالذي غرضه أن يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فإذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدين ، وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه عز وجل : أى أنه ليس يبالي بإطلاع الله عليه في الخلوقة فإذا اطلع عليه آدمى أحسن الصلاة ومن جلس بين يدي إنسان متربا أو متكئا فدخل غلامه فاستوى وأحسن الجلسة كان ذلك منه تقدما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة . وهذا حال الرّائي بتحسين الصلاة في الملأ دون الخلوقة وكذلك الذي يتباد إخراج الزكاة من الدنانير الرديئة أو من الحب الرديء فإذا اطلع عليه غيره أخرجها من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصوم صومه عن النية والرفث لأجل الخلق لا إكالا لعبادة الصوم خوفا من اللزعة ، فهذا أيضا من الرّياء المحظور لأن فيه تقدما للمخلوقين على الخالق ولكنه دون الرّياء بأصول التطوعات فان قال الرّائي إنما فعلت ذلك صيانة لأنفسهم عن النية فاتهم إذا رأوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات أطلقوا اللسان بالذم والنية وإنما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان عندك وتلبس وليس الأمر كذلك فان ضررك من نقصان صلاتك وهي خدمة منك لمولاك أعظم من ضررك بنية غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شغفك على نفسك أكثر وما أنت في هذا إلا كمن يهدى وصيفة إلى ملك لينال منه فضلا ولا ياتية بتقليدها فيهدى إليها وهي عوراء قبيحة مقطوعة الأطراف ولا يبالى به إذا كان للملك وحده وإذا كان عنده بعض غلامه امتنع خوفا من مذمة غلامه وذلك محال بل من يراعى جانب غلام الملك يبنى أن تكون مراقبته للملك أكثر ، نعم للرّائي فيه حالتان: إحداها أن يطلب بذلك للزعة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا . والثانية : أن يقول ليس يحضرنى الإخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خفت كانت صلاتي عند الله ناقصة وآذاني الناس بذمهم وغيبتهم فاستفيد بتحسين الهية دفع مذمتهم ولا أرجو عليه ثوابا فهو خير من أن أترك تحسين الصلاة فيفوت الثواب وتحصل اللزعة فهذا أدنى نظر ، والصحيح أن الواجب عليه أن يحسن ويخلص فان لم تحضره النية فينبى أن يستمر على عادته في الخلوقة فليس له أن يدفع الذم بالمرأة ببطامة الله

فإن ذلك استهزاء كما سبق . الدرجة الثانية : أن يرأى بفعل مالا يهتصن في تركه ولكن فعله في حكم التسكلة والتسعة لعباده كالطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين المنيعة ورفع اليدين والبادرة إلى التكبيرة الأولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة للثلاثة وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت واختيار الأجود على الجيد في الزكاة وإعطاء الرقة الغالية في السكارة وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه . الثالثة : أن يرأى بزيادات خارجية عن نفس النوافل أيضا كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده لاصف الأول وتوجهه إلى عين الإمام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه أنه لو خلا بنفسه لكان لا يبالى أين وقف ومقر يحرم بالصلاة فهذه درجات الرياء بالإضافة إلى ما يرأى به وبه أشد من بعض والكمل مذموم . الركن الثالث : الرأى لأجله فإن للرأى مقصودا لامحالة وإنما يرأى لإدراك مال أو جاه أو غرض من الأغراض لامحالة وله أيضا ثلاث درجات : الأولى وهي أشدها وأعظمها أن يكون مقصوده التمسك من مصيبة كالذي يرأى بعبادته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن أكل الشبهات وغرضه أن يعرف بالأمانة فيقول القضاء أو الأوقاف أو الوصايا أو مال الأبناء فيأخذها أو يسلم إليه نفقة الزكاة أو الصدقات ليستأثر بما قدر عليه منها أو يودع الودائع فيأخذها ويحبدها أو تسلم إليه الأموال التي تنفق في طريق الحج فيختزل بعضها أو كلها أو يتوصل بها إلى استئجار الحبيج ويتوصل بقوتهم إلى مقاصده الفاسدة في المياضي ، وقد يظهر بعضهم زى التصوف وهبة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وإنما قصده التجب إلى امرأة أو غلام لأجل العجور وقود يحضرون مجلسي العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرون الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النساء والصبيان أو يخرج إلى الحج ومقصوده الظاهر عين في الرقة من امرأة أو غلام وهؤلاء أبغض الرائيين إلى الله تعالى لأنهم جعلوا طاعة ربهم سلا إلى مصيبتهم وتأخذوها آلة ومتجرأوا ضاعة لهم في فستهم ويقرّب من هؤلاء وإن كان دونهم من هو مقترّف بجرعة آتهم بها وهو مصر عليها ويريد أن ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لئني التهمة كالذي جحد وديعة واتهمه الناس بها فيصدق بالمال ليقال إنه تصدق بماله نفسه فكيف يستحل مال غيره ، وكذلك من ينسب إلى لجور بامرأة أو غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالحشوع وإظهار التقوى . الثانية : أن يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال أو نكاح امرأة جميلة أو شريفة كالذي يظهر الحزن والبكاء وبشغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الأموال ويرغب في نكاحه النساء فيقصدا إما امرأة يهبها لينكحها أو امرأة شريفة على الجملة ، وكذلك يرغب في أن يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة لرغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لأنه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنياه ولكنه دون الأول فإن المطلوب بهذا مباح في نفسه . الثالثة : أن لا يقصد نيل حظ وإدراك مال أو نكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من أن ينظر إليه بعين النقص ولا يجد من الخاصة والزهاد ويحتد أنه من جملة العامة كالذي يمشى مستنجلا فيطلع عليه الناس فيحسن المشى ويترك العجلة كلما يقال إنه من أهل اللهو والسهو لأن أهل الوفاء ، وكذلك إن سبق إلى الضحك أو بدامته الزاح فيخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار فيتدب ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وإظهار الحزن ونحو ما أعظم غفلة الأدمى عن نفسه والله يعلم منه أنه لو كان في خلوة لمساكن يثقل عليه ذلك وإنما يخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار لا بعين التوقير وكذلك يرى جماعة يصلون التراويح ويتعبدون أو يصومون المجلس والاثنتين أو تصدقون فوافقه خيبة أن ينسب إلى السكل وبلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان

في إبهامه من رجسه اليسرى لدغة فقال على بذلك الأيض الذي يكون في العجين يثقا يملح فوضه في كفه ثم لمق منه ثلاث لعلقات ثم وضع بقيته على الدغة فسكنت عنه » ويستحب الاجتماع على الطعام وهو سنة الصوفية في الربط وغيرها . روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أحب الطعام إلى الله تعالى ما كثرت عليه الأيدي » وروى أنه قيل « يا رسول الله إننا نأكل ولا نشبع

لا يعمل شيئاً من ذلك وكالتى يحشش يوم عرفة أو عاشوراء أو فى الأشهر الحرم فلا شرب خوفاً من أن يعلم الناس أنه غير صائم فإذا ظنوا به الصوم امتنع عن الأكل لأجله أو يدعى إلى طعام فينتعز ليظن أنه صائم وقد لا يصرح بأنى صائم ولكن يقول لى عذر وهو جمع بين خبيثين فإنه يرى أنه صائم ثم يرى أنه غافل ليس بمجاهد وأنه يجتزى من أن يذكر عبادته للناس فيكون مرأياً بغير يدان يقول إنه سائر لعبادته ثم إن اضطر إلى شرب لم يصبر عن أن يذكر نفسه عذراً قصر عما وتعرضاً بأن ينسل بمرض يتخفى فرط العطش وينع من الصوم أو يقول أفطرت تطيباً لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلاً بغيره كى لا يظن به أنه يتعذر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره فى مرض حكاية عرضاً مثل أن يقول إن فلانا يحب للإخوان شديد الرغبة فى أن يأكل الإنسان من طعامه وقد أخطى اليوم ولم أجِد بدا من تطيب قلبه ومثل أن يقول إن أسمى ضيفة القلب مشقة على تظن أنى وصلت يوماً مرضت فلا تدعى أصوم فهذا وما يجرى مجراه من آفات الرياء فلا يسبق إلى اللسان إلا اللبس عرق الرياء فى الباطن أما الخلق فإنه لا يالى كيف نظر الخلق إليه فان لم يكن له رغبة فى الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد أن يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيكون ملبساً وإن كان له رغبة فى الصوم فتحبب الله الله تعالى ولم يشرك فيه غيره وقد يحظر له أن فى إظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور وسيأتى شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء ومرتبات أصناف الرائيين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهو من أشد المهلكات وإن من عُدته أن فيمتدأ بغيره أخفى من ديب الخذل كما ورد به الخبر يزل فيه لحوّل العلماء فضلا عن العباد الجاهل بآفات النفوس وغوائل القلوب والله أعلم.

(بيان الرياء الحق الذى هو أخفى من ديب الخذل)

اعلم أن الرياء جلى وخفى فالجلى هو الذى يمتدح على العمل ويجعل عليه ولو قصد الثواب وهو أجله وأخفى منه قليلاً هو مالا يعمل على العمل بمجردة إلا أنه يخفف العمل الذى يريد به وجهه الله كالتى يتاد التهجيد كل ليلة ويثقل عليه فإذا نزل عنه ضيف تنشط له وخف عليه وعلم أنه لو لا رجاء الثواب لكان لا يسعى لمجرد رياء الضيفان وأخفى من ذلك مالا يؤثر فى العمل ولا بالتسهيل والتخفيف أيضاً ولكنه مع ذلك مستبطن فى القلب ومهما لم يؤثر فى الدعاء إلى العمل لم يكن أن يعرف إلا بالعلامات وأجلى علاماته أن يسر باطلاع الناس على طاعته قرب عبد بخلص فى عمله ولا ينتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتم العمل كذلك ولكن إذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفى منه يرضع السرور ولولا التفات القلب إلى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكناً فى القلب استكناً النار فى الحجر فأظهر عنه اطلاع الخلق أثر القرح والسرور ثم إذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فبصر ذلك قوتا وغذاء للمرق الحق من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تمامها يخاف أن يتكف سبياً بطلع عليه بالتعرض وإلقاء الكلام عرضاً وإن كان لا يدعوا إلى التصريح وقد يغنى فلا يدعوا إلى الاظهار بالنطق تمريحاً وتصريحاً ولكن بالتأمل كإظهار النحول والصفار وخفى الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة التماس الدال على طول التهجيد وأخفى من ذلك أن يغنى بحث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحباً أن يمدوه بالسلم وأن يمايلوه بالبشاشة والتوقير وأن يشنوا عليه وأن ينشطوا فى قضاء حوائجهم وأن يسامحوه فى البيع والشراء وأن يوسعوا له فى السكنان فإن قصر فيه مقصر ثقّل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعاداً فى نفسه كأنه يتقاضى الاحترام مع الطاعة التى أخفها مع أنه لم يطلع عليه ولو

قال لكم خفرون
على طاعتكم اجتمعوا
واذكروا اسم الله عليه
يشارك لكم فيه ومن
عادة الصوفية الأكل
على السفر وهو سنة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم . أخيراً
الشيخ أبو زرعة
عن القومى باسناده
إلى ابن ناجية الحافظ
القزوينى قال أنا محمد
ابن الشئى قال ثنا معاذ
ابن هشام قال ثنا ابن
عن يونس بن القرات
عن قتادة عن أنس
ابن مالك قال ما أكل
رسول الله صلى الله
عليه وسلم على خزان
ولا فى سكرجة قال

لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد قصير الناس في حقه ومهما لم يكن وجود البادة كدعها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قطع بطل الله ولم يكن خاليا عن شوب خفى من الرياء أخفى من ديب الخلق^(١) وكل ذلك يوشك أن يحبط الأجر ولا يسلم منه إلا الصديقون. وقد روى عن أبي كرم الله وجهه أنه قال: إن الله عز وجل يقول لقراء يوم القيامة: ألم يكن رخص عليكم السر؟ ألم تكونوا تبتدون بالسلام ألم تكونوا ترضى لكم الحوائج وفي الحديث: لا أجر لكم قد استوفيت أجوركم وقال عبد الله بن المبارك روى عن وهب بن منبه أنه قال: إن رجلا من السواح قال لأصحابه: إنا إنما نأرقنا الأموال والأولاد مخافة الطغيان فتخاف أن نكون قد دخل علينا في أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الأموال في أموالهم إن أحدنا إذا لقي أحب أن يظم لمكان دينه وإن سأل حاجة أحب أن ترضى له لمكان دينه وإن اشتري شيئا أحب أن يرضى عليه لمكان دينه فإن ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس فإذا السهل والجبل قد امتلا بالناس قال السائح ما هذا قيل هذا الملك قد أظلك فقال للسلام التي بطعام فأعاه يئيل وقوب الشجر فجعل يحشو شدة ويأكل أكلا عنيفا فقال الملك أين صاحبك؟ فقالوا هذا قال كيف أنت قال كائنات، وفي حديث آخر غير فقال الملك ما عند هذا من خير فأصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وأنت في ذام فلم يزل المهضمون خائفين من الرياء الخفى يجتهدون بذلك في عمادة الناس عن أعمالهم الصالحة يحرسون على إخفائها أعظم مما يحرس الناس على إخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء أن تخلص أعمالهم الصالحة فيجازيهم الله في القيامة بإخلاصهم على ملا من الخلق إذ نلوا أن الله لا يقبل في القيامة إلا الخالص وعملوا شدة حاجتهم وفاقمهم في القيامة وأنه يوم لا ينفع فيه مال ولا بون ولا يحزي والله عن ولده ويستغل الصديقون بأنفسهم فيقول كل واحد نفسى نفسى فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله إذا توجهوا إلى مكة فاتهم يستصحبون مع أنفسهم الذهب الفرى الخالص لهمم بأن أرباب البوادي لا يروج عندهم الزائف والتبهرج والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفرج إليه ولا حميم يمسك به فلا ينجي إلا الخالص من التدفق كذا يشاهد أرباب القلوب يوم القيامة والثراد الذي يزودونه له من التقوى فإذا شوائب الرياء الخفى كثيرة لا تنحصر ومهما أدرك من نفسه تفرقة بين أن يطلع على عبادته إنسان أو بهيمة فيه شعبة من الرياء فإنه لا قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضرة البهائم أو الصبيان الرضع أم غايوا، اطلعوا على حركته أم لم يطلعوا فلو كان مخلصا قلنا بطل الله لاستعقر عقلاء البعاد كما استعقر صبيانهم ومجانينهم وعلم أن العقلاء لا يقدرون له على رزق ولا أجل ولا زيادة ثواب وخصان عقاب كالأجر على البهائم والصبيان والمجانين فإذا لم يجد ذلك فيه شوب خفى ولكن ليس كل شوب يحبط للأجر فمسدا للعمل بل فيه تفصيل. فان قلت لما نرى أحدا ينفك عن السرور إذا عرفت طاعته فالسرور مذموم كله أو بعضه محمود وبعضه مذموم. فتقول أولا: كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم إلى محمود وإلى مذموم، فأما محمود فأربعة أقسام: الأول أن يكون قصد إخفاء الطاعة والإخلاص، في ذلك ما اطلع عليه الخلق علم أن الله أعلمهم وأظهر الجبل من أحواله فيستدل به حسن صنع الله به ونظره إليه وإطافه به فإنه يستر الطاعة والعصية ثم الله يستر عليه العصية ويظهر الطاعة ولا لطف أعظم من ستر التبيح وإظهار الجبل ليكون فرحه بجعل نظر الله لا بعدد الناس

فسلام كانوا يأكلون؟
قال على السفر وصغر
القمة ويجود الأكل
بالفزع وينظر بين
يديه ولا يطلع وجوه
الأكلين ويقعد على
رجله اليسرى وينصب
الحنى ويجلس جلسة
التواضع غير متكبر
ولا متميز هي رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أن يأكل الرجل
متكبرا وروى أنه
أهدى لرسول الله
صلى الله عليه وسلم
شاة فجاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم
على ركبته يأكل
قال أعراب ما هذه
الجلسة يا رسول الله؟

(١) حديث في الرياء شوائب أخفى من ديب الخلق أحمد والطبراني من حديث أبي موسى الأعمري
انفوا هذا الشرك فإنه أخفى من ديب الخلق، ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي بكر الصديق
وضعه هو والدار قطنى.

وقيام للزفة في قلوبهم وقد قال تعالى - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فستأمنوا - فظهر له أنه عند الله مقبول ففرح به . الثاني أن يستدل بظاهر الله الجليل وسره الصريح عليه في الدنيا أنه كذلك فضل في الآخرة إذ قال رسول الله ﷺ «ما سر الله على عبد ذنبا في الدنيا إلا استره عليه في الآخرة» (١) فيكون الأول فرحا بالقول في الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفتت إلى المستقبل الثالث أن يظن رغبة اللطيف على الاقتداء به في الطاعة فيضاعف بذلك أجره فيكون له أجر العملانية بما أظهر آخره وأجر السر بما قصده أولا ومن التقى به في طاعة فله مثل أجر أعمال التقدين به من غير أن ينقص من أجورهم شيء وتوقع ذلك جذر بأن يكون سبب السرور فإن ظهور محابيل الرغبتين وموجب السرور لامحالة . الرابع أن يحمد المظلمون على طاعته فيفرح بطاعتهم فله في مدحهم ومجربهم للطبع ويجعل قلوبهم إلى الطاعة إذ من أهل الإيمان من يرى أهل الطاعة فيجته وعجده أوفيه وهزأه أوفيه إلى الرياء ولا يحمد عليه فهذا فرح بحسن إيمان عباد الله وعلامة الإخلاص في هذا النوع أن يكون فرحه بحمد غيره مثل فرحه بحمد إياه . وأما اللذوم وهو الخاسر فهو أن يكون فرحه بقيام منزلة في قلوب الناس حتى يحمدوه ويقتدوا به ويقوموا بقضاء هواهم ويقابلوه بالاكرام في مصادر وموارد فهذا مكره والله تعالى أعلم .

(بيان ما يحيط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحيط)

فقول فيه : إذا عبد العبد العبادة على الإخلاص ثم ورد عليه واد الرياء لا يغلو إيماناً برديعه بهد فرأه من العمل أو قيل الفراغ فإن ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير إظهار فهذا لا يفسد العمل إذ العمل قد تم في تمت الإخلاص سالما عن الرياء فباطل يعدم في جوانب لا تنطبع عليه آثاره لاسيما إذا لم يتكلف هو إظهاره والتحدث به ولم يمتن إظهاره وذكره ولكن اتفق ظهوره بظاهر الله لم يكن منه إلا ما دخل من السرور والارتياح في قلبه ، نعم لو تم العمل على الإخلاص من غير عذر ديار ولكن ظهرت له بعده رغبة في الإظهار فتحدث به وأظهره فهذا محوف . وفي الآثار والأخبار ما يدل على أنه يحيط فقد روى عن ابن مسعود أنه سمع رجلا يقول قرأت البقرة فقال ذلك حظه ثم أروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل قال سمعت الدهر يارسول الله فقال له «ما صنعت ولا أفطرت» (٢) فقال بعضهم إنما قال ذلك لأنه أظهره وقيل هو إشارة إلى كراهة صوم الدهر وكيفية ما كان فيحتمل أن يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابن مسعود استدلالا على أن قلبه عبد العباد لم يخل عن عقد الرياء وقصده له أن ظهر منه التحدث به إذ يبعد أن يكون ما يطرأ بعد العمل بعلل الكواب العمل بل الأقيس أن يقال إنه شاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراعاة بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير عزمه إلى الرياء قبل الفراغ من الصلاة فإن ذلك قد يسلط الصلاة ويحيط العمل وأما إذا ورد الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلا وكان قد عتد على الإخلاص ولكن ورد في أثناءها واد الرياء فلا يغلو إما أن يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل وإما أن يكون رياء باعته على العمل فإن كان باعته على العمل وختم العبادة به حبط أجره ومثاله أن يكون في تطوع فتجدت له نظارة

(١) حديث ما سر الله على عبد في الدنيا إلا استره عليه في الآخرة مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث قال لرجل قال سمعت الدهر ما صنعت ولا أفطرت . مسلم من حديث أبي قتادة قال عمر يارسول الله كيف بمن يوم الدهر قال لاسام ولا أفطرت ولا طبراني من حديث أسماء بنت يزيد في أثناء حديث فيه قال رجل إلى صائم قل بعض القوم إنه لا يطرأ إنه يصوم كل يوم قل النبي صلى الله عليه وسلم لاسام ولا أفطرت من صام الأب لم أجده بافظ الخطاب .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلقني عبدا ولم يعاني جبارا عنيدا . ولا يتبدى بالطعام حتى يبدأ القدم أو الشيخ روى حذيفة قال وكأ حذرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما لم ينع أحدنا يده حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأكل باليمين . روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «لأكل أحدكم يمينه وليشرب يمينه وأخذ يمينه ولم يمسح يمينه فإن الشيطان يأكل جهالة ويشرط

أوحضر ملك من الملوك وهو يشتكى أن ينظر إليه أوبد كرشيا نسيمن ماله وهو يريد أن يطلبه لولا الناس قطع الصلاة فاستمها خوفا من مذمة الناس قد حبط أجره وعليه الاعادة إن كان في فريضة وقد قال **عليه السلام** «العمل كالوعاء إذا طاب آخره طاب أوله» (١) أي النظر إلى خاتمته، وروى «أنه من رآه بمسلة ساعة حبط عمله الذي كان قبله» (٢) وهذا منزل على الصلاة في هذه الصورة لآل الصلاة ولا على القراءة فإن كل جزء من ذلك مفرد فلا يطرأ أشد الباقي دون الباقي والصوم والحج من قبيل الصلاة وأما إذا كان وارد الرياء بحيث لا يغمى من قصد الاعمال لأجل التواب كالوعاء في جماعة في أثناء الصلاة قد حبط حضورهم وعقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لأجل نظرم وكان لولا حضورهم لكان شيئا أيضا فهذا رياء قد أثر في العمل واتهم باعتنا على الحركات فإن غلب حق التحق منه الاحساس بقصد العبادة والتواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا أيضا ينبغي أن يفسد العبادة معها حتى ركن من أركانها على هذا الوجه لأننا نكتفي بالنية السابقة عند الاحرام بشرط أن لا يطرأ عليها ما ينافيها ويضمرها ويحتمل أن يقال لا يفسد العبادة نظرا إلى حالة العقد وإلى بقاء قصد أصل التواب وإن ضف بهجوم قصد هو أغلب منه . ولقد ذهب الحارث الهامسي رحمه الله تعالى إلى الجواب في أمره وأهون من هذا وقال إذا لم يرد إلا مجرد السرور بإطلاع الناس يعني سروراهو كسب التزلة والجاهالة فقد اختلف الناس في هذا فصارت فرقة إلى أنه يحبط لأنه نفس العزم الأول وركن إلى حمد المخوفين ولم يختم عمله بالاخلاص وإنما يتيم العمل بخاتمته ثم قال ولا تقطع عليه بالحبط وإن لم يتزيد في العمل ولا آثم عليه وقد كنت أقضيه لا اختلاف الناس والأغلب على قولي أنه يحبط إذا ختم عمله بالرياء ثم قال فإن قيل فقال الحسن رحمه الله تعالى : إنها حالتان فإذا كانت الأولى لله لم تقضه الثانية . وقد روي «أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أسر العمل لأحب أن يطلع عليه فيقطع عليه فيفسدني قال ذلك أجرا أن أجري السر وأجر العالنية» (٣) ثم تكلم على الخبر والأثر فقال أما الحسن فإنه أراد بقوله لا يضره أي لا يبدع العمل ولا تقضه الخطرة وهو يريد الله ولم يقل إذا عقد الرياء بعد عقد الاخلاص بل يضره وأما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله إلى ثلاثة أوجه : أحدها أنه يحتمل أنه أراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث أنه قبل الفراغ . الثاني : أنه أراد إن يسره للاقتداء به أو لسرور آخر محمودهما ذكرناه قبل لاسرورا بسبب حب الحمدة والتزلة بدليل أنه جعل له به أجرا ولا ذهاب من الأمة إلى أن للسرور بالحمدة أجرا وغايته أن يفي عنه فكيف يكون له خلس أجرا وللرأي أجرا . والثالث : أنه قال أكثر من بروي الحديث برويه غير متصل إلى أبي هريرة بل أكثرهم يوقفه على أبي صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة في الرياء أولى هذا ماذكره ولم ينقطع به بل أظهر ميلا إلى الاحباط والأقرب عندنا أن هذا القدر إذا لم ينظر أثره في العمل بل بقي العمل صادرا عن باعث الدين وإنما انضاف إليه السرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لأنه لم ينضم به أصل نيته وقيمت تلك

(١) حديث العمل كالوعاء إذا طاب آخره طاب أوله ابن ماجه من حديث معاوية بن أبي سفيان لفظ إذا طاب أسفله طاب أعلاه وقد تقدم (٢) حديث من رآه بمسلة ساعة حبط عمله الذي كان قبله لم أجده بهذا اللفظ ولشيوخين من حديث جندب من سمع مع الله به ومن رآه رآه رآه الله به ورواه مسلم من حديث ابن عباس (٣) حديث إن رجلا قال أسر العمل لأحب أن يطلع عليه فيقطع عليه فيفسدني فقال لك أجرا الحديث البهي في شعب الايمان من رواية كوان عن ابن مسعود ورواه الترمذي وابن جبان من رواية ذكران عن أبي هريرة الرجل يعمل العمل فيفسره فإذا اطاع عليه أعجب قال له أجر السر والعلانية قال الترمذي غريب وقال إنه روى عن أبي صالح وهو ذكر أنه مرسل .

جمله وأخذ جماله ويعطى جماله « وإن كان للأكل عمرا أو ماله يحم لا يجمع من ذلك ما يرى ولا يؤكل على الطبق ولا في كفه بل يضع ذلك على ظهر كفه من فيه ويريه ولا يأكل من فريضة التريد . روى عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إذا وضع الطعام غنوا ومن حاشيته وذروا وسطه فإن البركة تنزل في وسطه» ولا يوجب الطعام روى أبو هريرة رضي الله عنه قال ما باب رسول الله صلى الله عليه وسلم

النية باعثة على الصل وحاملة على الاتمام ، وأما الأخبار التى وردت فى الرياء فهى محمولة على ما إذا لم يرد به إلا الحلقى وأما ما ورد فى الشرعة فهو محمول على ما إذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب وأغلب منه أما إذا كان شقيقا بالانتماء إليه فلا يحيط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الأعمال ولا يبنى أن قصد الصلاة ولا يمد أيضا أن يقال إن الذى أوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله والخالص لا يشوبه شيء فلا يكون مؤديا لواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا فى كتاب الاخلاص كلاما وافيا عما أوردناه الآن فليرجع إليه فهذا حكم الرياء الطارىء بعد عقد العبادة إما قبل الفراغ أو بعد الفراغ . القسم الثالث : الذى يقدّر حال التقد بأن يتبدى الصلاة على قصد الرياء فإن استمر على حق لم يفلخلاف فى أنه يقضى ولا يمتد بصلاته وإن ندم على حق أثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام فقبيلومه ثلاثة أوجه قالت فرقة لم تصدق صلاته مع قصد الرياء فليستأنف وقالت فرقة تلزمه إعادة الأضال كالركوع والسجود وقصد أضاله دون تحريم الصلاة لأن التحريم عقد والرياء خاطر فقبله لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزم إعادة شيء بل يستغفر الله قبله ويتم العبادة على الاخلاص والنظر إلى خاتمة العبادة كما لو ابتدأ باخلاص وختم بالرياء لكان بقصد عمله وشبهوا ذلك بشوب أيضا لطعم بنجاسة عارضة فإذا أزيل العارض عاد إلى الأصل فقالوا إن الصلاة والركوع والسجود لا تكون إلا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اقرن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوب وصار إلى حالة لا يالى بحمد الناس وندمهم فنصح صلاته ومذهب الفريقين الآخرين خارج عن قياس الفقه بحد آخر وسأسم قال يلزمه إعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لأن الركوع والسجود إن لم يصح صارت أضالا زائدة فى الصلاة فقصد الصلاة كذلك قول من يقول لو ختم باخلاص صح نظرا إلى الآخر فهو أيضا منصف لأن الرياء يقدح فى النية وأولى الأوقات بمرعاة أحكام النية حال الافتتاح فالذى يستغفر على قياس الفقه هو أن يقال إن كان باعثة مجرد الرياء فى ابتداء التقد دون طلب الثواب وامتنال الأمر لم يمتد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فحين إذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحريم الصلاة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا أيضا كان يصل لأجل الناس فهذه صلاة لانية فيها إذا لية عبارة عن إجابة باعثة الدين وههنا لا باعثة ولا إجابة فاما إذا كان بحيث لو لا الناس أيضا لكان يصل إلا أنه ظهر له الرغبة فى الهدى فأضاه فاجتمع الباعثان فهذا إما أن يكون فى صدقة وقراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم أو فى عقد صلاة صحيح فان كان فى صدقة فقد عصى بإجابة باعثة الرياء وأطاع بإجابة باعثة الثواب فمن جعل مثقال ذرة خيرا بره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحيط أحدهما الآخر وإن كان فى صلاة تقبل الفساد ينطبق خلل إلى النية فلا يخلو إما أن تكون فرضا أو غلا فان كانت فلا تحكمها أيضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه وأطاع من وجه إذ اجتمع فى قلبه الباعثان ولا يمكن أن يقال صلاته فاسدة والافتداء باطل حتى إن من صلى التراويع وتبين من فرائض حاله أن قصده الرياء باطلار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه وخلاف بيت وحده لمأصل لا يصح الافتداء به فان التصير إلى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم أنه يقصد الثواب أيضا بتطوعه فنصح باعتبار ذلك قصد صلاته وصح الاقتداء به وإن اقرن به قصد آخر وهو به عاصي فاما إذا كان فى فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وإنما يحصل الانتماء بجموعهما فهذا لا يسقط الواجب منه لأن الإيجاب لم يمتد ببعثا فنه بمجرد واستقلاله وإن كان كل باعثة مستتلا حتى لو لم يكن باعثة الرياء لأدى القرائن ولو لم يكن باعثة الفرض لأن شأنا صلاة تطوعا لأجل الرياء فهذا العمل والنظر وهو محتمل جدا فيجتمعا أن يقال إن الواجب صلاة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل أن يقال الواجب امتثال

طعاما فط إن اشتبه
أكله ولا تركه وإذا
سقطت القصة بأكملها
قد روى أنس بن
مالك رضى الله عنه
عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال « إذا
سقطت لقمة أحدكم
فليطعم عنها الأذى
وليأكلها ولا بدعها
الشيطان ويلقى
أصابعه » فقد روى جابر
عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال « إذا
أكل أحدكم الطعام
فليمنص أصابعه فإنه
لا يدري فى أى طعامه
تكون البركة » وهكذا
أمر عليه السلام
بإسلا القصة وهو

الأمر باعثة مستقلة بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار منسوبة فاته وإن كان عاصيا بإيقاع الصلاة في الدار المنسوبة فاته، طبع بأصل الصلاة ومسقط للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في أصل الصلاة أما إذا كان الرياء في البداية مثلا دون أصل الصلاة، مثل من بادر إلى الصلاة في أول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لأخر إلى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدئ صلاة لأجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلاته وسقوط الفرض به لأن باعث أصل الصلاة من حيث إنها صلاة لم يمازحه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا لا يبعد عن الصدق في النية هذا في رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه وأما مجرد السورور بإطلاع الناس عليه إذا لم يبلغ أثره إلى حيث يؤثر في العمل فبعد أن يغسد الصلاة فهذا مآثره لا تخاف بأنون الفقه والسألة غاشية من حيث إن الفقه لم يتعرضوا لها في فن الفقه، والذين غاشوا فيها وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومتنفي فثاوى الفقه في صحة الصلاة وفسادها بل جعلهم الحرس على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على إفساد العبادات بأن الخواطر وما ذكرناه هو الأقصد فيها تراء والعلم عند الله عز وجل فيه وهو عالم الصيب والشهادة وهو الرحمن الرحيم.

(بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه)

قد عرفت مما سبق أن الرياء محبط للأعمال وسبب للمقت عند الله تعالى وأنه من كابر للهلكات وما هذا وصفه لجدير بالتشمير عن ساق الجرد في إزالته ولو بالمجاهدة وتحمل الشاق فلا شفاء إلا في شرب الأدوية للذة البشعة وهذه مجاهدة يضطر إليها العباد كلهم إذا الصي خلق ضعيف العقل والقيم محمد العيين إلى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيطلب عليه حب التصنع بالضرورة وبرسخ ذلك في نفسه وإنما يشعر بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد انقضى الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على نفسه إلا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك أهدن الحاجة إلى هذه المجاهدة ولكنها تنشق أولا وتخف آخرها وفي علاجه مقامان: أحدهما قلع عروقه وأصوله إلى منها انتعابه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال. القام الأول: في قلع عروقه واستئصال أصوله وأصله حب للزلة والجماء وإذا فضل رجع إلى ثلاثة أصول وهي: لذة المصداقة والفرار من ألم القسم والطمع فيها في أيدي الناس وحسد للرياء بهذه الأسباب وأنها الباعثة للعراني ما روى أبو موسى «أن أعرايا سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله الرجل يقاتل حية (١) ومعناه أنه يأبى أن يقهر أو يذم بأنه مهزور مغلوب وقال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجماء والقدرة في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان قال صلى الله عليه وسلم «من قاتل لشكون كلمة الله هي الدنيا فهو في سبيل الله» وقال ابن مسعود إذا التقى الصفان زلت اللاتسكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للهلك إشارة إلى الطمع في الدنيا. وقال عمر رضي الله عنه يقولون فلان شهيد وله لم يكون قد ملأ دقي رحلته ورقا وقال صلى الله عليه وسلم «من غزا لا يني إلا عقلا فله ما نوى (٢)» فهذا إشارة إلى الطمع وقد لا ينتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من ألم القوم كالخيل بين الأسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فاته بتصدق بالقليل كي لا يبخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالجناب بين الشجعان لا يفر من الرحف خوفا من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن إذا أيس

مسحها من الطعام قال
أنس رضي الله عنه أمر
رسول الله صلى الله
عليه وسلم بإسلاط
القصة ولا ينفخ في
الطعام قد روت
عائشة رضي الله عنها
عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال لا ينفخ في
الطعام يذهب بالبركة
وروى عبد الله بن
عباس أنه قال لم يكن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم ينفخ في
طعام ولا في شراب ولا
يتنفس في الإناء فليس
من الأدب ذلك والحل
والبقل على السرعة من
السنة. قيل إن للاتسكة
تحضر للامدة إذا كان

- (١) حديث أبي موسى أن أعرايا قال يا رسول الله الرجل يقاتل حية الحديث متفق عليه.
(٢) حديث من غزا لا يني إلا عقلا فله ما نوى النسائي وقد تقدم.

من الحمد كره القدم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات معدودة حتى لا ينام بالكليل وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لغة الحمد ولا يقدر على الصبر على آلام القدم ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج إليه خيفة من أن يذم بالجهل ويغنى بشر علم ويدعى العلم بالحدث وهو به جاهل كل ذلك حلوا من القدم فهذه الأمور الثلاثة هي التي تحرك للرأيا إلى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الأول من الكتاب على الجملة ولكننا نذكر الآن ما يحض الرأيا وليس يغني أن الانسان إنما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه أنه خير له ونافع ولقد يذم إما في الحال وإما في الآخرة علم أنه لا يذم في الحال ولكنه ضار في ذلك سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم أن السل لا يذول لكن إذا بان له أن فيها أعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم ما فيه من القسرة ومهما عرف البعد منقصة الرياء وما يغوته من صلاح قلبه وما يعمر عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من التزعة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم والتفت الشديد والحزى الظاهر حيث ينادى على رموس الخلائق بالاجر يا غادر يا مرائي أما استحيت إذ اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا وراقت قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله وتجهيت إلى العباد بالنقض إلى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتقررت إليهم بالبعد من الله وتعمدت إليهم بالنذم عند الله وطلبت رضام بالمرض لسخط الله أما كان أحد أهون عليك من الله فهما يتسكرا البعد في هذا الحزى وقابل ما يحصل له من العباد والذين لهم في الدنيا بما يغوته في الآخرة وما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع أن العمل الواحد بما كان يترجع بميزان حسنته لو خلس فاذا فسد بالرياء حول إلى كفة السيئات فترجع به وبهوى إلى النار فلو لم يكن في الرياء إلا إسباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وإن كان مع ذلك سائر حسناته راجعة فقد كان يال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد إلى صف النعال من مراتب الأولياء هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت القلب بسبب ملاحظة قلوب الخلق فإن رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يخطئه به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضام في سخط الله سخط الله عليه وأسخطهم أيضا عليه ثم أي عرض له في مدحهم وإثارة فم الله لأجل حمدهم ولا يزيدهم حمدهم رزقا ولا أجلا ولا ينفعهم يوم قمره وفاته وهو يوم القيامة وأما الطمع فيها في أيديهم فإن يعلم أن الله تعالى هو للسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق إلا الله ومن طمع في الخلق لم يخل من الدل والحياة وإن وصل إلى الراد لم يخل من لغة واللهاة فكيف يترك ما عند الله رجاء كاذب ويوم فاسد قد يصيب وقد يخطئ وإذا أصاب فلا تقي لذته بآلم منته ومذله وأما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيد منهم شيئا مالم يكتبه عليه الله ولا يجلب أجه ولا يؤخر رزقه ولا يجله من أهل النار إن كان من أهل الجنة ولا ينفضه إلى إن كان محمدا عند الله ولا يزيد مقتا إن كان عقوقا عند الله فالعباد كلهم محزة لا يمكن لأحدهم ضرا ولا نفعا ولا يمكن موتا ولا حياة ولا نشورا فإذا قرر في قلبه آفة هذه الأسباب وضررها قترت رغبته وأقبل على الله قلبه فإن العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه أن الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء وإظهار الاخلاص لقتلوه وسبكتف الله عن سره حتى يفضه إلى الناس ويمرهم أنه مرء عتاد ولا وخلص لله لكشف الله لهم إخلاصه وحببه إليهم وسخرهم له وأطلق ألسنتهم بالمدح والتناء عليه مع أنه لا كمال في مدحهم ولا عقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني حمير «إن مدحي زين وإن ذمي شين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليها تجل دون أسعد
رضي الله عنها قالت
ودخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم على عائشة
رضي الله عنها وأنا
عندها فقال هل من
خداء ؟ قالت عندنا
خبز وعمر وخل فقال
عليه السلام: نعم الآدم
الخل اللهم بارك في الخل
فانه كان إدام الأنبياء
قبل ولم يفر بيت فيه
خل ولا يصد على
الطعام فهو من سيرة
الأحسان ولا يقطع
اللحم والحز بالسكين
ففيه نهي ولا يكف به
عن الطعام حتى يفرغ
الجمع فقد ورد عن ابن
عمر رضي الله عنها

كذبت ذلك الله الذي لا إله إلا هو ^(١) إذ لازن إلا في مدحه ولائين إلا في ذمه فأى خير لك في مدح الناس وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار وأى شر لك من ذم الناس وأنت عند الله محمود في زمرة القربين فمن أحضر في قلبه الآخرة وتبعها اللب والنازل الرفيعة عند الله استحق ما يتلقى بالخلق أيام الحياة مع ما فيه من السكدرات والنقصات واجتمع همه وانصرف إلى الله قلبه ونحس من ملة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانعطف من إخلاصه أنوار على قلبه ينتشر بها صدره وينتشر بها له من لطائف للكشافات ما يزيد به أنه بالله ووحشته من الخلق واستحقاقه للدنيا واستقامته الآخرة وسقط عمل الخلق من قلبه وأحل عنه داعية الرياء وتدل له منهج الإخلاص فهنا وما قد مناه في الشطر الأول هي الأدوية العلمية القائمة مغارس الرياء . وأما الدواء العلمي فهو أن يعود نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها كما تنلق الأبواب دون القواش حتى يقع قلبه بلم الله . وأطلاعه على عباداته ولا تنازع النفس إلى طلب علم غير الله به . وقد روى أن بسن أصحاب أبي حنيفة الحداد ذم الدنيا وأهلها فقال : أظهرت ما كان سيئلك أن تخفيه لا ما كان سيئاً بهذا فلم يرخص في إظهار هذا القدر لأن في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا بد والملازمة بل الإخفاء وذلك يشق في بداية المجهود وإذا صبر عليه مدة بالتسكف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل لطف الله وماعبده عباده من حسن التوفيق والتأييد والتسديد ، ولكن الله لا يغير ما قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع أجر المحسنين - وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً - . القام الثاني : في دفع العارض منه في أثناء العبادة وذلك لا بد من تلهة يضافان من جاهد نفسه فله مغارس الرياء من قلبه بالثبابة وقطع الطمع وإسقاط نفسه من أعين الخلق ومن استحقاق مدح الخلق ومن ذمهم فالشيطان لا يترك في أثناء العبادات بل يمارسه بخطر الرياء ولا تنقطع عنه زغاته وهوى النفس وسيلها إلا ينسحق بالسكينة فلا بد وأن يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الرياء وخاطر الرياء ثلاثة قد تخطر دونه واحدة كالخاطر الواحد وقد ترادف على التدرج فالأول العلم بطلان الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلوهم هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول التزلة عندهم ثم يتلوهم هيجان الرغبة في قبول النفس له والركون إليه وعقد الضمير على تحقيقه فالأول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم القصد وإنما كمال القوة في دفع الخاطر الأول وردنه قبل أن يتلوهم الثاني فإذا خطر لهم معرفة اطلاع الخلق أو رجاء اطلاعهم دفع ذلك بأن قلممالك والخلق علواً أولموا وألهموا وألهموا فأى فائدة في علم غيره فإن حاجت الرغبة إلى لذة الحمد يترك ما راسخ في قلبه من قبل من آفة الرياء وتردسه ولدت عند الله في القيامة وخيبته في أحوال أوقاته إلى أعماله فكأن معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء لفرقة آفة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة إذ يتفكر في تعرضه لانت الله وعقابه الأليم والشهوة تدعوه إلى القبول والكراهة تدعوه إلى الإباء والنفس تطاوع لهالهة أنوارها وأغلبها فاذن لا بد في رد الرياء من ثلاثة أمور : للفرقة والكراهة والإباء . وقد صرح البصير العبادة على عزم الإخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبل ولا تحضره للفرقة ولا الكراهة التي كان الضمير متطوياً عليها وإنما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف النعم وحسب الحمد واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يلقى في القلب متسع لتعبه فيعرب عن القلب المعرفة السابقة بأفات الرياء وشؤم عاقبته إذ لم يبق موضع في القلب

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا وضعت للثلاثة فلا يقوم رجل حق ترغ المائدة ولا يرفع يده وإن شبع حتى يغسغ القوم وليتمل فإن الرجل يجبل جلوسه فيقبض يده وعسى أن يكون له في الطعام حاجة » وإذا وضع الحنظل لا ينتظر غيره فقد روى أبو موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكرموا الحنظل فإن الله تعالى سخر لكم ركبات السماء والأرض والحديد والبرق وابن آدم . ومن أحسن الأدب وأهمه

(١) حديث قال شاعر من بني تميم إن مدحى زين وإن ذمى شين فقال كذبت ذلك الله ، هم من حديث الأقرع بن حابس وهو قائل ذلك دون قوله كذبت ورجاله ثقات إلا أني لأعرف لأن سلة ابن عبد الرحمن سباعاً من الأقرع ورواه الترمذي من حديث البراء وحسنه بلفظ قال الرجل إن مدحى

خال عن شهوة الجسد أو خوف الدم وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب ويعزم على التحمل عند جريان سبب الغضب ثم يجري من الأسباب ما يشد به غضبه فينسى سابقة عزمه ويبتلى قلبه غيظا يمنع من فله ذكر آفة الغضب ويشغل قلبه عنه فكذلك حلاوة الشهوة تملأ القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب وإليه أشار جابر بقوله : يا بصنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا تفر ولم يبايعه على الموت فأنتابها يوم حنين ^(١) حتى نودي يا أصحاب الشجرة فرجعوا . وذلك لأن القلوب امتلأت بالحولف فنسيتم العهد السابق حتى ذكروا ، وأكثر الشبوات التي تهجم فجأة هكذا تكون ، إذ نسي معرفة مضرتها الداخلة في عقد الإيمان ومهما نسي المعرفة لم تظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة ، وقد يتذكر الإنسان فيعلم أن الحاطر الذي خطر له هو خاطر الرياء الذي يصره لسلطان الله ولكن يستمر عليه لشهوته فيقلب هو له عقله ولا يقدر على تركه لانه الحال فيسوف بالثوبة أو يتشاغل عن التفكير في ذلك لشدة الشهوة فكأن من عالم يحضره كلام لا يدعو إلى فعله إلا رياء الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فيكون الحجة عليه أو كد إذ قيل داعي الرياء مع علمه بفائلته وكونه مذموما عند الله ولا تنفع معرفته إذا خلت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك قبل داعي الرياء ويصل به ليكون الكراهة مضمضة بل بالإضافة إلى قوة الشهوة وهذا أيضا لا ينعف بكرهاته إذ الغرض من الكراهة أن تصرف عن القتل فاذن لا تائدة إلا في اجتماع الثلاث وهي المعرفة والكراهة والإدراك لإباء ثمرة الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الإيمان ونور العلم وضمف المعرفة بحسب الغلة وحسب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكير فيها عند الله وقلة التأمل في آفات الحياة الدنيا وعظيم نعيم الآخرة وبعض ذلك ينتج بسا ويشره وأصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة وينسحب كل ذنب لأن حلاوة حب الجاه والنزلة ونعيم الدنيا هي التي تغضب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكير في العاقبة والاستمضاء بنور الكتاب والسنة وأتوار العلوم . فان قلت فمن صاف من نفسه كراهة الرياء وحملته الكراهة على الإباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع إليه وجهه له ومنازعة إياه إلا أنه كاره لحبه وميله إليه وغير محب إليه فهل يكون في زمرة المرائين ، فاعلم أن الله لم يكلف العباد إلا ما تطيق وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل إلى الشهوات ولا يترفع إليها وإنما غاية أن يقابل شهوته بكراهة استأثارها من معرفة المواقب وعلم الدين وأصول الإيمان بالله واليوم الآخر فاذن فعل ذلك فهو الغاية في أداء ما كلف به ويدل على ذلك من الأخبار ما روى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم « شكوا إليه وقالوا تعرض لقولنا أشياء لأن نخر من الساء فتخطفنا الطير أو تهوى بنا الريح في مكان سحيق أحب إلينا من أن نتكلم بها فقال عليه السلام أو قد وجدتموها قالوا نعم قال ذلك صريح الإيمان ^(٢) » ولم يجدوا إلا الوسواس والكراهة له ولا يمكن أن يقال أراد صريح الإيمان الوسوسة فلم يبق لإحمله على الكراهة للساقطة الوسوسة والرياء وإن كان مظهرها دون الوسوسة في حق الله تعالى فإذا اندفع ضرر الأعظم الكراهة فإنما

(١) حديث جابر يا بصنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا تفر الحديث مسلم مختصرا دون ذكر يوم حنين فرواه مسلم من حديث النباس (٢) حديث شكوى الصحابة ما يمرض في قلوبهم وقوله ذلك صريح الإيمان ، مسلم من حديث ابن مسعود مختصرا مثل النبي صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة فقال ذلك محض الإيمان ، والنسائي في اليوم والليلة وابن حبان في صحيحه ورواه النسائي فيه من حديث عائشة .

أن لا يأكل إلا بعد الجوع ويمسك عن الطعام حين الشبع فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومائلا آدمي وعائشا من بطنه ومن عادة الصوفية أن يلقم الخادم إذا لم يجلس مع القوم وهو سنة روى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « إذا جاء أحدكم خادمه بطعام فإن لم يجلس معه فليأكله أو أكله أو أكلتني فإنه ولي حره ودخانه » وإذا فرغ من الطعام يحمده الله تعالى روى أبو سعيد

يندفع بها ضرر الأصغر أولى وكذلك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس أنه قال
 « الحمد لله الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة (١) » وقال أبو حازم ما كان من نفسك وكبرهته تشك
 لنفسك فلا يشرك ما هو من عدوك وما كان من تشك فرضيته تشك لنفسك فاحتابا عليه فاذن
 وسوسة الشيطان ومنزاعة النفس لا تشرك مهما رددت مرادها بالإياء والكراهة والخواطر التي هي
 العلوم والتذكريات والتخييلات للأسباب المهيجة للرياء من الشيطان والريغ والويل بمذلة الخواطر
 من النفس والكراهة من الأيمان ومن آثار العقل إلا أن للشيطان هنا مكيدة وهي أنه إذا عجز عن
 حمله على قبول الرياء خيل إليه أن صلاح قلبه في الاشتغال بمجادة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال
 حتى يسليه ثواب الإخلاص وحضور القلب لأن الاشتغال بمجادة الشيطان ومدافعة انصراف عن سر
 للتجاسة مع الله فيوجب ذلك نصيباً في منزلته عند الله . والتخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء
 على أربع مراتب : الأولى أن يردعه على الشيطان فيكذبه ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادته ويطلب
 الجidal معه لئله أن ذلك أسلم لقلبه وهو على التحقيق تصان لأنه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير
 الذي هو بسده وانصرف إلى قتال قطاع الطريق والتعريض على قتال قطاع الطريق تصان في السلوك .
 الثانية : أن يعرف أن الجidal والقتال تصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه لا يشتغل بمجادته .
 الثالثة : أن لا يشتغل بشكذبه أيضاً لأن ذلك وقته وإن قلت بل يكون قد قرى في عقد ضميره كراهة الرياء
 وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحباً للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالخاصة .
 الرابعة : أن يكون قد علم أن الشيطان يسجد عند جريان أسباب الرياء فيكون قد عزم على أنه منها نزع
 الشيطان زاد فيها هو فيه من الإخلاص والاشتغال بالله وإخفاء الصدقة والعبادة غبطة الشيطان وذلك
 هو الذي يبيط الشيطان ويثمه ويوجب بأسه وقنوطه حتى لا يرجع . يروى عن الفضيل بن غزوان
 أنه قيل له إن فلانا بكرك قال والله لأغيظن من أمره قيل ومن أمره ؟ قال الشيطان اللهم اغفر له
 أي لأغيظنه بأن أطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كسف عنه خيفة من
 أن يزيد في حسنته . وقال إبراهيم التيمي إن الشيطان ليدعو العبد إلى الباب من الأثم فلا يطمه
 وليجث عند ذلك خيراً فإذا رآه كذلك تركه . وقال أيضاً إذا رآك الشيطان متردداً طمع فك وإذا
 رآك مداوماً ملك وقلاك . وضرب الحارث الحماسي رحمه الله لهذه الأبرمة مثلاً أحسن فيه قال :
 مثالم كاربة قصدوا مجلسا من العلم والحديث لئلا يوا به فائده وفضلا وهداية ورشدا لحسد على
 ذلك ضال مبتدع وخاف أن يرفوا الحق فتقدم إلى واحد فنهى وصرفه عن ذلك ودعا إلى مجلس
 ضلال فأني لما عرف بإياه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرضاه وهو يظن أن ذلك مصلحة وهو غرض
 الضال ليؤت عليه بقدر تأخره فلما رى الثاني عليه نهى واستوقفه فوقف فدفع في حجر الضال ولم يشتغل
 بالقتال واستعجل ففرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت إليه ولم يشتغل بدفعه
 ولا بقتاله بل استمر على ما كان غلب منه رجاءه بالسكينة فالرابع فلم توقفه له وأراد أن يبيظه فزاد في
 محبته وترك الثاني في الشيء فيوشك إن عادوا ومروا عليه مرة أخرى أن يادوا جميع الإلهاء الأخير فانه
 لا يادوه خيفة من أن يزداد فائده باستمجاله . فان قلت فإذا كان الشيطان لا تؤمن زغاته فهل يجب
 التمسك به قبل حضوره للحد من انتظاره لوروده أم يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له أو يجب
 الاشتغال بالعبادة والفتنة عنه . قلنا اختاف الناس على في ثلاثة أوجه : فذهب فرقة من أهل البصرة
 (١) حديث ابن عباس الحمد لله الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة أبو داود والنسائي في اليوم
 واليلة بلفظ كيد .

قال « كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم إذا
 أكل طعاما قال : الحمد
 لله الذي أطعمنا وسقانا
 وجلسنا سلفين » وروى
 عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أنه قال
 « من أكل طعاما
 قال : الحمد لله الذي
 أطعمني هذا ووزعني
 من غير حول مني
 ولا قوة » غفر له ما تقدم
 من ذنبه » ويشتغل فقد
 روى عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 « تخلصوا فانه نفاقه
 والطاقة تدعو إلى
 الايمان والايمان مع
 صاحبه في الجنة »
 ويصل يديه قد روى

إلى أن الأقوياء قد استنصوا عن الحذر من الشيطان لأنهم اعتقدوا إلى الله واشتغلوا بحبه فاعتز لهم الشيطان وأيس منهم وخسضهم كما أيس من ضغفاد العباد إلى الدعوة إلى الخمر والفرج فاعتزرت ملاذ الدنيا عندهم وإن كانت مباحة كالخمر والحزير فارغوا من حبها بالكيفية فلم يبق للشيطان إليهم سبيل فلاحاجة بهم إلى الحذر. وذهبت فرقة من أهل الشام إلى أن التردد للحذر منه إنما يحتاج إليمن قل يقينه وقص توكفه فمن أين بأن لا شريك لله في تديره فلا يحذر غيره. ويعلم أن الشيطان ذليل عفاو ليس له أمر ولا يكون إلا ما راده الله فهو اضار والنافع والمارف يستحي منه أن يحذر غيره فاليقين بالوحدانية ينشئ عن الحذر وقالت فرقة من أهل السلم لابد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من أن الأقوياء قد استنصوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكيفية فهو وسيلة الشيطان بكاد يكون غرورا إذ الأنبياء عليهم السلام لم يتخلصوا من وسواس الشيطان وزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل في صفات الله تعالى وأسمائه وفي تحمين البدع والضلال وغير ذلك ولا ينبو أحد من الحظر فيه وذلك قال تعالى - وما رسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا نحن آتينا الشيطان في أميته فينسج الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته - وقال النبي ﷺ «إنه ليغان على قلبي» مع أن شيطانه قد أسلم ولا يامر به غير (٢) فمن ظن أن اشتغاله بحب الله أكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام فهو مغرور ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان وذلك لم يسلم منه آدم وحواء في الجنة إلى أن هوى دار الأمن والسرور بعد أن قال الله لما - إن هذا عدوك وتزوجك ولا تجزى منك من الجنة فقتل في ذلك أن لايجوز فيها ولا يرى وأنتك لانتظما فيها ولا تضحى - ومع أنه لم يمتد إلى شجرة واحدة وأطلق له وراء ذلك ما أراد فاما لم يأمن نبي من الأنبياء وهو في الجنة دار الأمن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لشيء أن يأمن في دار الدنيا وهي منبع المهن والفتن ومعدن للاذن والشهوات التي هي عنها قال موسى عليه السلام فيها أخبر عنه تعالى - هذان عمل الشيطان وذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال تعالى - يا بني آدم لا تفتنك الشيطان كما أخرج أبوكم من الجنة - وقال عز وجل - إنه براكم هو وقيله من حيث لا محرومهم - والقرآن من أوله إلى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدع لأمن منه وأخذ الحذر من حيث أمر الله به لا ينافي الاشتغال بحب الله فإن من الحب له امتثال أمره وقد أمر بالحذر من العدو كما أمر بالحذر من الكفار فقال تعالى - وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم وقال تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل - فإذا لمك بأمر الله الحذر من العدو الكفار وأنت زاهد فبان بأنك من الحذر من العدو يراك ولا تراه أولى ولذلك قال ابن حجر - صيد تراه ولا يراك يوشك أن تنظر به بوسيد يراك ولا تراه. يوشك أن يظفر بك فأشار إلى الشيطان فكيف وليس في الفتنة عن عدو والعدو الكافر إلا خذل هو شهادة وفي إهمال الحذر من الشيطان التعرض للعار والعتاب الأليم فليس من الاشتغال باله الإعراض عما حذر الله وبه يضل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم أن ذلك قد وقع في التوكل فإن أخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحمل الخندق لم يدر في توكل رسول الله ﷺ فكيف يدر في التوكل الخوف مما يخوف الله بهوا الحذر مما أمر بالحذر منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما بين غلظ من زعم من معنى التوكل التزوع عن الأسباب بالكيفية وقوله تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل - لا ينافي امتثال التوكل مهما اعتقد القلب أن الضار والنافع والمحي والميت هو الله تعالى فكذلك يحذر الشيطان ويعتد أن الهادي والضل هو الله ويرى الأسباب وسائط منخرة كما ذكرنا.

(١) حديث إنه ليغان على قلبي تقدم (٢) حديث إن شيطانه أسلم فلا يامر إلا بخير تقدم أيضا.

أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من بات وفي يده خمر لم يسلم فأصابه شيء فلا يؤمن غسل الأيدي في طست واحد وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أرعو الطسوس وخالفوا الجوس» ويستحب مسح العين يبل اليد - وروى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا نمت فأنسبوا أعينكم للنساء ولا تفتنوا أيديكم فاتها

في التوكل وهذا ما اختاره الحارث الهادي رحمه الله وهو الصحيح اذ يشهد له نور السلم وما قبله يشبه أن يكون من كلام الابداء الذين لم ينزل علمهم ويظنون أن ما يهجم عليهم من الأحوال في بعض الأوقات من الاسترقاق بالله يستمر على الدوام وهو بعيد ثم اختلفت هذه القرعة على ثلاثة أوجه في كيفية الحذر فقال قوم إذا حذرنا الله تعالى المدو فلا ينبغي أن يكون شيء أعظم على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا إن غفلنا عنه لحظة فيوهك أن يهلكنا وقال قوم إن ذلك يؤدي إلى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال القلب كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان من أجل تشتت البصيرة وذكر الله تعالى والانسى الشيطان وعداوته والحاجة إلى الحذر منه فجميع بين الأمرين فانا إن نسينا ربنا عرض من حيث لا نحسب وإن تجردنا لذكره كنا قد أهملنا ذكر الله فالجمع أولى وقال العلماء المحققون غلط التفرقان أما الأول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسى ذكر الله فلا ينبغي غلظه وإنما أمرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره أعظم الأشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر المدو ثم يؤدي ذلك إلى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى فإذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله تعالى وقوة الاختلال بفيوهك أن يظهر بولاعوى على دمه فلم يأمرنا بانتظار الشيطان ولا إيمان ذكره وأما القرعة الثانية فقد شاركنا الأولى إذ جمعت في القلب بين ذكر الله والشيطان وقد مر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينص من ذكر الله وقد أمر الله الخلق بذكره ونسيان ما عداه إبليس وغيره فلفظ أن يلزم البعد قلبه الحذر من الشيطان وغيره على حقه عدوته فإذا اعتد ذلك وصدق به وتكفل الحذر فيه فيقبل بذكر الله ويكف عليه بكل الحدة ولا يحظر ياله أمر الشيطان فانه إذا اشتغل بذلك بعد معرفة عدوته ثم خطر الشيطان له تنبهه وعند التنبه يشتغل بدنه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من القبط عند نزعة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف من أن يهتوهم عند طلوع الصبح فيلزم حقه الحذر وينام على أن يتنبه في ذلك الوقت فينبه في الليل مرات قبل أو انه لما أسكن في قلبه من الحذر مع أنه اليوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كذب يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي يحرق على دفع المدو إذا كان اشتغاله بمجرد ذكره تعالى قد أمات منه الهوى وأسيا فيه نور العقل والملم وأماط عنه ظلة الصبوات فأهل البصيرة أشعروا قلوبهم بعداوة الشيطان وترصدوا وأزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر غير المدو واستضاءوا بنور الذكر حتى صرخوا خوار المدو وقال القلب بئر أريد تطهيرها من الماء القذر ليتغير منها الماء الصافي فالاشتغال بذكر الشيطان قد ترك فيه الماء القذر والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد تزج الماء القذر من جانب ولكنه تركه جاريا لإيهام جانب آخر فيقول تبه ولا تحف البئر من الماء القذر والبصير هو الذي جبل لجري الماء القذر سدا وملأها بالماء الصافي فإذا جاء الماء القذر دمه بالسكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب.

(بيان الرخصة في قصد إظهار الطاعات)

اعلم أن في الإسرار للأعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياوى في الاظهار فائدة الاعتدال وورع الخبثات من الحذر ولكن فيه آفة الرياء قال الحسن قد علم السلون أن السر أجزز الصليين ولكن في الاظهار أيضا فائدة ولذلك أثنى الله تعالى على السر والعلانية قال - إن بدوا الصدقات فعضاهي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم - والاظهار فبيان أحد هاتين نفي العمل والآخرة بالتحدث بما عمل . القسم الأول : إظهار نفي العمل كالأدعة في اللاترغب الناس فيها كما روى عن الأنصاري

مراوح الشياطين » قبل لأبي هريرة في الوضوء وغيره قال نعم في الوضوء وغيره. وفي غسل اليد يأخذ الأختنان بالعين وفي الحلال لا يزيد ما يخرج بالحلال من الأختنان وإنما ما يلوكة باللسان فلا بأس به ويجنب التصنع في أكل الطعام ويكون أسكه بين الجمع كأكله منفردا فان الرياء يدخل على البعد في كل شيء . وصف لبعض العلماء بعض الصادق فلم يثن عليه قيل له تعلم به بأسا قال نعم رأيت يصنع

الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالعلية لما رأوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « من سن سنة حسنة فصل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه » (١) ونجى سائر الأعمال هذا المجرى من الصلوات الصيام والحج والقرآن وغيرها ولكن الاقتداء في الصدقة على الطباع أغلب ، نعم القاري إذا ما بالخروج فاستمد وعد الرحل قبل القوم نحرصا لهم على الحركة ذلك أفضل له لأن التزوؤ في أصله من أعمال الصلاة لا يمكن إسراره فالبادرة إليه ليست من الإعلان بل هو تخريف مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته في الصلاة بالليل لئنه جبراته وأهله يقتدى به فكل عمل لا يمكن إسراره كالحج والجهاد والجمعة فالأفضل للبادرة إليه وإظهار الرغبة فيه لتعريض بشرط أن لا يكون فيه شوائب الرياء وأما ما يمكن إسراره كالصدقة والصلوة فإن كان إظهار الصدقة يؤدي للتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر أفضل لأن الإبداء حرام فإن لم يكن فيه إبداء فقد اختلف الناس في الأفضل فقال قوم السر أفضل من العلانية وإن كان في العلانية قدوة ، وقال قوم السر أفضل من علانية لا قدوة فيها أما العلانية للقدوة فأفضل من السر ويدل على ذلك أن الله عز وجل أمر الأنبياء بإظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز أن يظن بهم أنهم حرموا أفضل المصلين ويدل عليه قوله عليه السلام « له أجرها وأجر من عمل بها » وقد روي في الحديث « إن عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين متفا وضاعف عمل العلانية إذا استن بسامه على عمل السر سبعين متفا » (٢) وهذا لا وجه للخلاف فيه فانه مهما اتك القلب عن شوائب الرياء وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين لما يقتدى به أفضل لعمالة وإنما يخاف من ظهور الرياء ومهما حصلت ثابته الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف في أن السر أفضل منه ولكن على من يظهر العمل وظنيتان : إحداهما أن يظهره حيث يسل أنه يقتدى به أو يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدى به أهله دون جبراته وربما يقتدى به جبراته دون أهل السوق وربما يقتدى به أهل محله وإنما العالم للمروءة الذي يقتدى به الناس كافة فخير العالم إذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب إلى الرياء والتفاق وذموم ولم يتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة وإنما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو في محل القدوة على من هو في محل الاقتداء به والثانية أن يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه إلى الاظهار بغير الاقتداء وإنما شهوته بالتجمل بالعمل ويكونه يقتدى به وهذا حال كل من يظهر أعماله إلا الأقوياء المخلصين وقليل مام فلا ينبغي أن يذم الضعيف منه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فان الضعيف مثله مثل الفريق الذي يحسن سياحة ضيعة فنظر إلى جماعة من الفرق فرحمهم فأقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك والفرق بالماء في الدنيا أله ساعة ولست كان الهلاك بالرياء مثله لا بل عذابه دائم مدة مدينة وهذه ملة أقدام العباد والماء قائم يشبهون بالأقوياء في الاظهار ولا تنهوى قلوبهم على الاخلاص فتصطب أجورهم بالرياء والتفطن لذلك فامض ومحك ذلك أن يرضى على نفسه

(١) حديث من سن سنة حسنة فصل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه وفي أوله قصة مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي (٢) حديث إن عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين متفا وضاعف عمل العلانية إذا استن بسامه على عمل السر سبعين متفا البيهقي في الشعب من حديث أبي البرداء معتصرا على الشطر الأول لا ينحوه وقال هذا من أفراد بقية عن شيوخ المجهولين وقد تقدم قبل هذا بنحو ورفقته وله من حديث ابن عمر عمل السر أفضل من عمل العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء وقال نضر بن عتبة عن عبد الملك بن مهران وله من حديث عائشة فضل وأضاعف الذكر الخفي الذي لا يسمعه الحفظة على الذي تسمعه سبعين متفا وقال نضر بن معاوية بن يحيى الصدقي وهو ضعيف.

في الأكل ومن تصنع في الأكل لا يؤمن عليه التصنع في الصل وإن كان الطعام حلالا فليقل الحدقه الذي ينمته تم الصالحات وتنزل البركات اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم أطمئنا طمنا واستمئنا سلمنا وإن كان شبهة يقول الحمد لله على كل حال اللهم صل على محمد ولا ينسبه عونا على مصيبتك وليكثر الاستغفار والحزن ويكن على أكل الشبهة ولا يضحك فليس من يأكل وهو يكتن يأكل وهو يضحك

أنه لو قيل له أحب العمل حتى يقتدى الناس بما يد آخر من أقرانك ويكون لك في السر مثل أجر الإعلان فإن مال قلبه إلى أن يكون هو للقتدى به وهو المظهر للعمل فباعته الرياء دون طلب الأجر واتقاه الناس به ورغبتهم في الخير فأنهم قد رغبوا في الخير بالنظر إلى غيره وأجره قد توفر عليهم إسراره لما بال قلبه ميل إلى الاظهار لولا ملاحظته لأعين الخلق ومراءاتهم فليحذر العبد خدع النفس فإن النفس خدوع والشيطان مترصد وحب الجاهل على القلب غالب وقفا تسم الأعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغي أن يبدل بالسلامة شيئا والسلامة في الإخفاء وفي الاظهار من الأخطار مالا يقوى عليه أنشأنا فاحذر من الاظهار أولى بنا وبجميع الضعفاء . القسم الثاني : أن يتحدث بمناقبه بعد الفراغ وحكمه حكم إظهار العمل نفسه والحظر في هذا أشد لأن مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد تجرى في الحسابة زيادة ومبالغة وللنفس لذة في إظهار الدعوى عظيمة إلا أنه لو طرق إلى الرياء لم يؤثر في إفساد العبادة الثانية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه أهون والحكم فيه أن من قوى قلبه ونهت إخلاصه وضر الناس في عيه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل هو مندوب إليه إن صفت النية وسلت عن جميع الآفات لأنه ترغيب في الخير والترغيب في الخير خير وقد قل مثل ذلك عن جماعة من السلف الأتقياء . قال سعد بن بهاذ ما صليت صلاة منذ أسلمت لم يحدث نفس يفرها ولا تمت جنازة لم يحدث نفس يفرها ما هي قائلة وما هو مقول لها وما صمت التي صلى الله عليه وسلم يقول قولاً قط لا علمت أنه حق ، وقال عمر رضي الله عنه : ما أبالي أصبحت على عسر أو يسر لأنني لا أدري أيهما خير لي ، وقال ابن مسعود : ما أصبحت على حال تمنيت أن أكون على غيرها . وقال عثمان رضي الله عنه : ما تمنيت ولا عبت ولا مسست ذكرى يميني منذ بابت رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) ، وقال شداد بن أوس : ما نسكمت بكلمة منذ أسلمت حتى أزمها وأخطمها غير هذه وكان قد قال لثلاثة أثنا بالفرقة لبثت بها حتى فدرت القداء ، وقال أبو سفيان لأهله حين حضره الموت : لا تبكوا لي فاني ما أحدثت ذنباً منذ أسلمت . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : ما قضى الله في قضاء قط فسرت أن يكون قضى لي غيره وما أصبح لي هوى إلا في مواقع قدر الله فهذا كله إظهار لأحوال الشريعة وفيها غاية الرأفة إذا صدرت من برائي بها وفيها غاية الترغيب إذا صدرت من يقتدى به فذلك على قصد الاقتداء جائز الاقوياء بالشرع التي ذكرناها فلا ينبغي أن يسد باب إظهار الأعمال والطاعات بحجب التوبة والاقتداء بل إظهار الرائي للعبادة إذا لم يعلم الناس أنه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شتر للرائي ، فكمن مخلص كان سبب إخلاصه الاقتداء بمن هو وراءه عند الله ، وقد روى أنه كان يجازي الإنسان في مسكك البصرة عند الصبح فيسمع أصوات الصلبيين بالقرآن من البيوت تصنف بعضهم كتاباً في دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون لبث ذلك الكتاب لي تصنف فإظهار الرائي فيه خير كثير لغيره إذا لم يعرف رياءؤه ، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم ^(٢) كما ورد في الأخبار وبعض الرائيين ممن يقتدى به منهم والله تعالى أعلم .

ويقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ولا يلاف قريش ويحسب الدخول على قوم في وقت أكلهم قد ورد من مثي إلى طعام لم يدع إليه مثي فاسقاً وأكل حراماً وصعنا انظروا آخر دخل سارقاً وخرج مغيراً إلا أن ينفق دخوله على قوم يسلم منهم فرحهم بموافقته ويستحب أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار ولا يخرج الضيف بغير إذن صاحب الدار ويجتنب للضيف التكافؤ إلا أن يكون له نية فيه من كثرة الإغناق ولا يبدل

(١) حديث عثمان قوله ما تمنيت ولا عبت ولا مسست ذكرى يميني منذ بابت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو يعلى الوصلي في معجمه باسناد ضعيف من رواية أنس عنه في أثناء حديث وإن عثمان قال يا رسول الله فقد كره بلفظ منذ بابتك قال هو ذاك يا عثمان ^(٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم كما حدثنا في حديث أنس بن مالك وقد تقدم في العلم والثاني رواه الترمذي من حديث أنس بسند صحيح وقد تقدم أيضاً .

(بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليها وكراهة ذمهم له)

اعلم أن الأصل في الاخلاص استواء السريرة والملاينة كما قال عمر رضي الله عنه لرجل عليك بصل
 الملاينة قال يا أمير المؤمنين وما عمل الملاينة ؟ قال ما إذا اطلع عليك لم تستحي منه ، وقال أبو سلم
 الخولاني ما عملت عملا أبالي أن يطلع الناس عليه إلا ابتائي أهلي والبول والناظف لأن هذه درجة
 عظيمة لا ينالها كل واحد ولا يخاف الإنسان عن ذنوب قبله أو يجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع
 الناس عليها لاسيما ما يحتاج به الخواطر في الشهوات والأمان والله مطلع على جميع ذلك فإrade العبد
 لاختفائه عن السيد ربما يظن أنه رياء محظوظ وليس كذلك بل المحظوظ أنه يستتر ذلك ليرى الناس
 أنه ورع خائف من الله تعالى مع أنه ليس كذلك فهذا هو ستر للرأي. وأما الصادق الذي لا يرى الله
 ستر للماصي وصح قصد فيه وصح اغتنامه باطلاع الناس عليه في نجاسة أوجه : الأول أن يفرح
 بستر الله عليه وإذا اقتضح اغتم بستره وخاف أن يترك ستره في القيامة إذ ورد في الخبر «أن
 من ستر الله عليه في الدنيا ذنب ستره الله عليه في الآخرة» (١) وهذا غم يشأ من قوة الإيمان. الثاني
 أنه قد علن الله تعالى بكره ظهور للماصي وبحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم «من ارتكب
 شيئا من هذه القاذورات فليستر بستر الله» (٢) فهو وإن عصى الله بالذنب فلم يغل قلبه عن محبة
 ما أحبه الله ، وهذا ينشأ من قوة الإيمان بكراهة الله لظهور الماصي وأثر الصدق فيه أن يكره ظهور
 الذنب من غيره أيضا ويستم بسببه . الثالث أن يكره ذم الناس له به من حيث إن ذلك يسهل ويشغل
 قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فإن الطبع يتأذى بالذم وينزع العقل ويشغل عن الطاعة وهذه
 العلة أيضا ينفى أن يكره الحمد الذي يشغله عن ذكر الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر ،
 وهذا أيضا من قوة الإيمان إذ صدق الرغبة في فراغ القلب لأجل الطاعة من الإيمان. الرابع أن
 يكون ستره ورغبته فيه لكرهاته لذم الناس من حيث يتأذى طبعه فإن الذم مؤلم للقلب كما أن
 الضرب مؤلم للبدن وخوف تألم القلب بالذم ليس بمرام ولا الإنسان به عاصي وإعاصي إذا جعزت
 نفسه من ذم الناس ودعته إلى ما يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الإنسان أن لا يهتم بتم
 الحلق ولا يتألم به ، ثم كمال الصدق في أن تزول عنه رؤيته للحاق فيستوى عنده ذمهم ومادحه لعله
 أن الضار والنافع هو الله وأن العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا وأكثر الطباع تتألم بالذم لما فيه
 من الشموخ والتقصان ورب تألم بالذم محمود إذا كان الدائم من أهل البصيرة في الدين فاتهم شديدا الله
 وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان في الدين فكيف لا يهتم به ، ثم ألم الذم وهو أن يهتم بقوات
 الحمد بالورع كأنه يحب أن يحمده بالورع ولا يجوز أن يحب أن يحمده بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة
 الله ثوبا من غيره فإن وجد ذلك في نفسه وجب عليه أن يقابله بالكرهية والرد . وأما كراهة الذم
 بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك ويتصور أن يكون العبد بحيث لا يحب
 الحمد ولكن يكره الذم وإعماره أنه يترك الناس حمدا ومذما فكم من صابرين لهذه الحمد لا يصبر على ألم
 الذم إذ الحمد يطلب الفذة وغمد الفذة لا يؤلم وأما الذم فإنه مؤلم فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب على الطاعة
 في الحال وأما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه إلا أمر واحد وهو أن يشغله غم باطلاع الناس على ذنبه
 عن اطلاع الله فإن ذلك غاية نقصان في الدين بل ينفى أن يكون غم باطلاع الله وذمه له أكثر . الخامس
 أن يكره الذم من حيث إن الدائم قد عصى الله تعالى ، وهذا من الإيمان وعلامته أن يكرهه لمجرد أيضا

(١) حديث أن من ستر الله عليه في الدنيا يستر الله عليه في الآخرة تقدم قبل هذا بوقفة (٢) حديث من
 ارتكب من هذه القاذورات شيئا فليستر بستر الله الحاكم في المستدرك وقد تقدم .

ذلك جاء وتكفيا
 وإذا أكل عند قوم
 طعاما قليله عند فراغة
 إن كان بعد للفرج
 أنظر عندكم الصائمون
 وأكل طعامكم الأبرار
 وصلت عليكم للالكة
 وروي أيضا عليكم
 صلاة قوم أبرار ليسوا
 بآمين ولا أجر يصلون
 بالليل ويصومون
 بالتهار . كان بعض
 الصعابة يقول ذلك .
 ومن الأدب أن
 لا يستحقر ما قدم له
 من طعام وكان بعض
 أصحاب رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يقول
 ما ندرى أيهم أعظم
 وزرا الذي يحقر

فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع . السادس : أن يستر ذلك كيلا يتصد بشر إذا عرف ذنبه وهذا وراء ألم القلم فإن ألم القلم مؤلم من حيث يستر القلب بصدنه وخسته وإن كان عمن يؤمن شره . وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الأسباب فله أن يستر ذلك حذرا منه . السابع : مجرد الحياء فإنه نوع ألم وراء ألم القلم والقصد بالشعر وهو خلق كريم يحدث في أول الصياهما أشرق عليه نور العقل فيستحي من القبائح إذا شوهدت منه وهو وصف محمود إذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحياء خير كله »^(١) وقال **عليه السلام** « الحياء شعبة من الإيمان »^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « الحياء لا يأتي إلا بخير »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب المحي الحليم »^(٤) فالله يفسق ولا يزال أن يظهر فسقه للناس جميعا إلى الفسق والتهتك والوقاحة فقد الحياء فهو أشد حاله من يستر ويستحي . لأن الحياء مخزج البراءة ومشتبه اشتباها عظيما قل من يفتن له ويدعي كل مرء أنه مستحي وأن سبب تحسينه البادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خالق ينبت من الطبع الكريم وتنهج عقبيه داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصور أن يخلص معه ويتصور أن يرى معه ويأني أن الرجل يطلب من صديق له قرضا ونفسه لاتسوخ بأقرانه إلا أنه يستحي من رده . وعلم أنه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحي ولا يقرض رياء ولا يطلب الثواب فله عند ذلك أحوال : أحدها أن يشافه بالرد الصريح ولا يزال فينسب إلى قلة الحياء وهذا فعل من لحياء له فإن المستحي إما أن يتعلم أو يقرض فإن أعطى فيصير له ثلاثة أحوال : أحدها أن يمزج الرياء بالحياء بأن يهيج الحياء فيقبل عنده الرد فيهب خاطر الرياء ويقول ينبغي أن تعطى حق يتي عليك وعمدك ويستر اسمك بالسخاء أو ينبغي أن تعطى حق لا يذمك ولا ينسبك إلى البخل فإذا أعطى فقد أعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء . الثاني أن يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيعتذر الإعطاء فيهب داعي الاخلاص ويقول له إن الصدقة واحدة والقرض ثمان عشرة ففيه أجر عظيم وإدخال سرور على قلب صديق . ذلك محمود عند الله تعالى فتسوخ النفس بالإعطاء لذلك فهذا عمل من هيج الحياء إخلاصه . الثالث أن لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته لأنه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فأعطاه بعض الحياء وهو ما يجده في قلبه من ألم الحياء . ولولا الحياء لردة ولوجاهه من لا يستحي منه ، أن الأجانب أو الأراذل لكان يرد . وإن كثر الحمد والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا إلى القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب وللرائي يستحي من اللباحات أيضا حتى إنه يرى مستحيلا في الشيء فيعود إلى الهدوء وضاحك غير جمل إلى الأقباض . وزعم أن ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل إن بعض الحياء ضنف وهو صحيح والرياءه الجاهل بما ليس بقبیح كالحياء من وعظ الناس وإمامة الناس في الصلاة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي القلاء غير محمود وقد تشاهد مصيبة من هيب فتستحي من شيت أن تنكر عليه لأن من إجلال الله إجلال ذي الشية السلم وهذا الحياء حسن وأحسن منه أن يستحي من الله فلا تضعي الأمر بالمعروف فالقوى يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه ، فهذه هي الأسباب التي يجوز لأجلها ستر القبائح والذنوب . الثامن : أن يخاف من ظهور ذنبه أن يستجري

ما يقدم إليه أو الذلي
يحقر ما عنده أن
يقنعه . ويكره أكل
طعام للباهة وما تكلف
به للأعراس والتعازي
لما عمل للنسوان
لا يؤكل وما عمل لأهل
العزاء لأبأس يوما
يجري مجراه وإذا علم
الرجل من حال أخيه
أنه يفرح بالانسياط
إليه في التصرف في
شيء من طعامه فلا
خرج أن يأكل من
طعامه بغير إذنه قال
الله تعالى - أو
صديقكم - قيل دخل
قوم على صيفان الثوري
فلم يجدوه ففتحوا
الباب وأنزلوا السفرة

(١) حديث الحياء خير كله مسلم من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (٢) حديث الحياء شعبة من الإيمان متفق عليه (٣) حديث الحياء لا يأتي إلا بخير متفق عليه (٤) حديث إن الله يحب المحي الحليم الطبراني من حديث فاطمة وللإمام من حديث أبي هريرة إن الله يحب القلي الحليم للتمتف وفيه لث بن أبي سلمة مختلف فيه .

عليه غيره ويبتدى به وهذه العلة المراحدة فقط هي الجارية في إظهار الطاعة وهو القدوة ويحتس ذلك بالآفة أو بمن يبتدى به وبهذه العلة يبنى أيضا أن يغنى العاصي أيضا بصيته من أهله وولده لأهم يتلون منه ففي ستر القلوب هذه الأغصان الخفية وليس في إظهار الطاعة عند الإلهاء العذر الواحد ومهما قصد بستر اللبسة أن يغفل إلى الناس أنه ورع كان مرآيا كما إذا قصد ذلك بإظهار الطاعة. فان قلت فهل يجوز للبدن أن يحب حمد الناس له بالصالح وحبهم إياه بسببه وقد قال الرجل الذي صلى الله عليه وسلم «دلى على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وإنك إليهم هذا الخطام مجبولك (١) » فقول جيك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمدا وقد يكون مذموما فالحمود أن تحب ذلك لتعرف به حب الله لك فانه تعالى إذا أحب عبدا حبه في قلوب عباده بالمدح والثناء أن تحب حبه وحدهم على حبيك وغزوك وصلاتك وعلى طاعة يعينها فان ذلك طلب عرض على طاعة الله عاجل سوى ثواب الله والباح أن تحب أن مجبولك لصفات محمودة سوى الطاعات المحمودة للجنة فليكن ذلك كجيك السال لأن ملك القلوب وسيلة إلى الأغراض فكلك الأموال فلا فرق بينهما.

(بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات)

اعلم أن من الناس من يترك العمل خوفا من أن يكون مرآيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يترك من الأعمال ومالا يترك لحوق الآفات ما نذكره وهو أن الطاعات تنقسم إلى ثلاثة في عينه كالصلاة والصوم والحج والقرآن فاما مقاسة بمجاهدات إنما تصير للبدن من حيث إنها توصل إلى حمد الناس وحمد الناس للبدن وذلك عند اطلاع الناس عليه وإلى ما هو للبدن وهو أكثر مالا يقتصر على البدن بل ينشأ بالخلق كالخلافة والقضاء والولايات والحسبة وإمامة الصلاة والتدبير والتعليم وإتقان المال على الخلق وغير ذلك مما تنظم الآفة فيه لتعلمه بالخلق ولما فيه من اللذة. القسم الأول الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتلقى بالغير ولا لذة في عينها كالصوم والصلاة والحج فطرات الرياء هي ثلاث : إحداها ما يدخل قبل العمل قيمته على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا مما ينبغي أن يترك لأنه مصيبة لا طاعة فيه فانه تدرج بصورة الطاعة إلى طلب المنة لقادر الإنسان على أن يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها ألا تستعينين من مولدك لالتصين بالعمل لأجله وتستعينين بالعمل لأجل عباده حتى يدفع باعث الرياء وتسمو النفس بالعمل لاه عاقبة النفس على خاطر الرياء وكفارة له فليست بالعمل . الثانية أن ينبت لأجل الله ولكن يترضى الرياء مع عقد العبادة وأولها فلا ينبغي أن يترك العمل لأنه وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحسين الاخلاص بالمجاهلات التي ذكرناها من إثم النفس كراهة الرياء والاباء عن القبول. الثالثة أن يقدر على الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فينبغي أن يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكي يرجع إلى عقد الاخلاص ويرد نفسه إليه فها هو حتى يتم العمل لأن الشيطان يدعو له أولا إلى ترك العمل فإذا انجذب واشتغل فبدعوك إلى الرياء فإذا لم تحب ودقت بيقول لك هذا العمل ليس بخامس وأنت مرءا وبك ضائع فأى فائدة لك في عمل لا إخلاص فيه حتى يحبك بذلك على ترك العمل فلا تتركه فقد حصلت غرضه ومثال من يترك العمل لحوقه أن يكون مرآيا كمن سلم إلى مولاه خنطقة يابا زوان وقال خلصنا من الزوان ونها منه فتية بالفة فترك أصل العمل ويقول أخاف إن اشتغلت به لم تخلص خلصا صافيا فها ترك العمل من أجله هو ترك الاخلاص مع أصل العمل فلا معنى له من هذا العمل.

(١) حديث قال رجل دلى على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله الحديث ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بلفظ وا زهد فيها في أبدى الناس وقد تقدم .

وأكلوا فدخل سفيان
فصرح وقال ذكروني
أخلاق السلف هكذا
كانوا ومن دعى إلى
طعام فلاجابة من
السنة وأؤكد ذلك
الوليعة وقد يتخلف
بعض الناس عن
الدعوة تكبرا وذلك
خطأ وإن عمل ذلك
تلبسا بربا فهو أقل
من التكبر . روى
أن الحسن بن علي
مرّ بقوم من السالكين
الذين يسألون الناس
على الطرق وقد ثروا
كسرا على الأرض
وهو على بضعة قسا
مرّ بهم سلم عليهم
فردوا عليه السلام

أن يترك العمل خوفا على الناس أن يقولوا إنه مرآه فيصون الله به فهذا من مكاييد الشيطان لأنه أولا أساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه أن يظن بهم ذلك ثم إن كان فلا يضره قولهم وبغوته ثواب البادة وترك العمل خوفا من قولهم إنه مرآه هو عين الرياء فلو لا حبه لمحمدتهم وخوفهم من ذمهم لقاله ولقولهم قالوا إنه مرآه أو قالوا إنه محلى وأى فرق بين أن يترك العمل خوفا من أن يقال إنه مرآه وبين أن يحسن العمل خوفا من أن يقال إنه فافل مقصر بل ترك العمل أشد من ذلك فهذه كلها مكاييد الشيطان على العباد الجهال ثم كيف يطمع في أن يتخلص من الشيطان بأن يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الآن يقول الناس إنك تركت العمل ليقال إنه محلى لا يشتهي الشهرة فيضطررك بذلك إلى أن تهرب فان هربت ودخلت سراحت الأرض التي في قلبك حلاوة معرفة الناس لزهديك وهربك منهم وتعتز بهم لك بغوهم بل في ذلك فكيف تتخلص منه بل لا حاجة منه إلا بأن تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وهو أنه ضرر في الآخرة ولا نفع فيه في الدنيا تلزم الكراهة والإساءة قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تنال وإن زرع المدو نازغ الطبع فان ذلك لا ينقطع وترك العمل لأجل ذلك يجر إلى البطالة وترك الخبرات فسادت بعدا دينا على العمل فلا تترك العمل واجاهد خاطر الرياء وأزم قلبك الحياء من الله إذا دعيت نفسك إلى أن تستبدل بمحمد حمد الخلقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وأنت تريد حدمه لقتلوك بل إن قدرت على أن تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فاضل فان قال لك الشيطان أنت مرآه فاعلم كذبه وخدعه بما تصادف في قلبك من كراهة الرياء وإبائه وخوفك منه وحيائك من الله تعالى وإن لم تجد في قلبك له كراهية ومنه خوفا ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد فمن شرع في العمل قل فلا بد أن يبقى معه أمل تصد الثواب . فان قلت قد تقل عن أقوال ترك العمل مخافة الشهرة . روى أن إبراهيم النخعي دخل عليه إنسان وهو يقرأ فأطبق للصحف وترك القراءة وقال لا يرى هذا أنا تقرأ أكل ساعة . وقال إبراهيم النخعي إذا أعجبك الكلام فاسكت وإذا أعجبك السكوت فاسكلم . وقال الحسن أن كان أحدم لير بالأذى ما يمنعه من دفعه إلا كراهة الشهرة وكان أحدم بأنه البكاء فيصرفه إلى الضحك مخافة الشهرة . وقد ورد في ذلك آثار كثيرة . قلنا هذا جارضة ماورد من إظهار الطاعات ممن لا يحصى وإظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ أقرب إلى خوف الشهرة من البكاء وإمالة الأذى عن الطريق ثم ليرك . وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في الأفضل ، والأفضل إما يتقدم عليه الأقواء دون الضعفاء ، فالأفضل أن يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يترك وأر باب الأعمال قد يعالجون أنفسهم بخلاف الأفضل لشدة الخوف فالاعتداء بذنبه أن يكون بالأقواء وأما إبطاء إبراهيم النخعي للصحف فيكون أن يكون لهله بأنه سيحتاج إلى ترك القراءة . دخوله واستنائه بعد خروجه للاشتغال بكتلته فرأى أن لا يراه في القراءة أبعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود إليه بعد ذلك وأما ترك دفع الأذى فذلك ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة وإقبال الناس عليه وشغلهم بإياه عن عبادات هي أكبر من دفع خشة من الطريق فيكون ترك ذلك للمحافظة على عبادات هي أكبر من الابتعاد بخوف الرياء . وأما قول النخعي إذا أعجبك الكلام فاسكت يجوز أن يكون قد أراد به مباحات الكلام كالقصص في الحكايات وغيرها فان ذلك يورث المعب والمحب وكذلك المعب بالسكوت الباطح محذور فهو عدول عن مباح إلى مباح حذرا من المعب فأما الكلام الحق للندوب إليه فلم ينس عليه على أن الآفة مما تعظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني وإنما لا تلائم في العبادات الخاصة يدن البديها

وقالوا هم الغداة وابن رسول الله فقال نعم إن الله لا يحب التكبرين ثم نفي ذكره فدل عن دأبه وقد معهم على الأرض وأقبل يأكل ثم سلم عليهم وركب وكان ينال الأكل مع الإخوان أفضل من الأكل مع البقال . وروى أن هارون الرشيد دعا بأبا معاوية الضرير وأمر أن يقدم له طعام فلما أكل صب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال بأبا معاوية تدرى من صب على يدك ؟ قال لا قال أمير المؤمنين قال

لا يتناقى بالأس ولا تعظم فيه الآفات ثم كلام الحسن في تركهم البكاء وإماطة الأذى لحوف الشبهة ربما كان حكاية أحوال الضعفاء الذين لا يعرفون الأفضل ولا يدركون هذه الدقة ثق وإيما ذكره تخوفا للناس من آفة الشبهة وزجرا عن طلبها . القسم الثاني : ما يتلقى بالخلق وتعلم فيه الآفات والأخطار وأعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التدريس والقوى ثم إتقان المال . أما الخلافة والإمارة فهي من أفضل العبادات إذا كان ذلك مع العدل والاخلاص وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما »^(١) فأعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم « أول من يدخل الجنة ثلاثة أئمة الإمام القسط »^(٢) أحدهم وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل »^(٣) أحدهم وقال صلى الله عليه وسلم

« أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة إمام عادل »^(٤) رواه أبو سعيد الخدري فالإمامة والخلافة أعظم العبادات ولم يزل للثقلون يحترزون منها ويهربون من تخلفها وذلك لما قيم من عظيم الخطر إذ تحرك بها الصفات الباطنة وتنبط على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء ونقاد الأمور وهو أعظم ملاذ الدنيا فاذا صارت الولاية محبوبة كان الوالي ساعيا في حفظ نفسه وبوشك أن يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدس في جاهه وولايته وإن كان حقا ويقدم على ما يزيد في مكانته وإن كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرا من فسق ستين سنة فمفهوم الحديث الذي ذكرناه ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضى الله عنه يقول من يأخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « مامن والى عشرة لإجاء يوم القيامة مغفلة يده إلى عنقه أطاعه عدله أو أبقه جورا »^(٥) رواه معقل بن يسار وولاه عمر ولاية قال يأمر المؤمنين أشرفه قال اجلس وأكنم على وروى الحسن « أن رجلا واه النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي خذني قال اجلس »^(٦) وكذلك حديث عبد الرحمن بن مرة إذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم « يا عبد الرحمن لاتسأل الإمارة فإني إن

(١) حديث ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس وقد تقدم (٢) حديث أول من يدخل الجنة ثلاثة الأئمة القسط الحديث مسلم من حديث عياض بن حماد أهل الجنة ثلاث ذو سلطان مقسط الحديث ولم أر فيه ذكر الأولية (٣) حديث أبي هريرة ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل تقدم (٤) حديث أبي سعيد الخدري أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة إمام عادل الأصماني في الترغيب والترهيب من رواية عطية العوفي وهو ضعيف عنه وفيه أيضا إسحق بن إبراهيم الديلمي ضعيف أيضا (٥) حديث مامن والى عشرة لإجاء يوم القيامة يده مغفلة إلى عنقه لا يسقطها لإعده أحمد من حديث عبادة بن الصامت ورواه أحمد والبرز من رواية رجل لم يسم عن سعد بن عبادة وفيها يزيد بن أبي زياد متكلم فيه ورواه أحمد والبرز وأبو إسحق والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ورواه البرز والطبراني من حديث بريدة والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس وثوبان وله من حديث أبي الدرداء مامن والى ثلاثة إلا أنى الله مغفلة بينه الحديث وقد عزي للصفه هذا الحديث لرواية معقل بن يسار والمعروف من حديث معقل بن يسار مامن عبد يستريحه الله رعية لم يعطها نصيحة إلا لم يرج راحة الجنة منقذ عليه (٦) حديث الحسن أن رجلا واه النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم خذني قال اجلس الطبراني موصول من حديث عصمة هوا بن مالك وفيه الفضل بن المختار وأحاديثه منكردة محدث بالأبطل قاله أبو حاتم ورواه أيضا من حديث ابن عمر بن لفظ الأثر ينك وفيه التراب من إلى القرب ضعفه ابن معين وابن عدى وقال أبو حاتم صدوق .

يأمر المؤمنين إيما
أكرمت العلم وأجلته
فأجلك الله تعالى
وأكرمك كأكرمت
العلم .

[الباب الرابع
والأربعون في ذكر
أدبهم في اللباس ونباتهم
ومقاصدهم فيه]

اللباس من حاجات
النفس وضرورتها لدفع
الحر والبرد كما أن
الطعام من حاجات
النفس لدفع الجوع وكما
أن النفس غير قاضية
بقدر الحاجة من الطعام
بل تطلب الزيادة
والشهوات فكذلك في
اللباس تتفنن فيه ولها
فيه أهوية متنوعة

أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها وإن أوتيتها عن مسألة وكنت إليها ^(١) وقال أبو بكر رضى الله عنه لراغب من عمر لأتأمر على اثنين ثم ولى هو الخلافة فقام بها فقال رافع ألم تقل لى لأتأمر على اثنين وأنت قد وليت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلى وأنا أقول لك ذلك فمن لم يجدل فيها فليس به الله أى لئله الله ولعل القليل البصيرة يرى ماورد من فضل الإمارة مع ماورد من التبعي عنها متناظرا وليس كذلك بل الحق فيه أن الخواص الأقوياء في الدين لا يبنين أن يتخووا من تقلد الولايات وأن الضعفاء لا يبنين أن يدوروا بها فيهلكوا وأعطى بالقوى القدى لاتباعه الدنيا ولا يستغفرو الطمع ولا تأخذه في الله لومة لأثم وهم الذين سقط الخلق عن أعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا أنفسهم وملكوها وقهروا الشيطان فأبى منهم هؤلاء لا يجرهم إلا الحق ولا يكتهم إلا الحق ولوزعت فيهم أرواحهم فهم أهل نيل الفضل في الإمارة والخلافة ومن علم أنه ليس بهذه الصفة فحرم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فزاعها صابرة على الحق كافعة عن الشهوات في غير الولايات ولكن خاف عليها أن تتبرر إذا ذاقته للولاية وأن تستحل الجاهل وتستلذ فذا الأمر ففكره العزل فبداهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف العلماء في أنه هل يلزمه الحرب من تقلد الولاية فقال قائلون لا يجب لأن هذا خوف أمر في المستقبل وهو في الحال لم يحدثه إلا قوياً من ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح أن عليه الاحتراز لأن النفس خداعة مدعية للحق وأعدة بالخير فلو وعدت بالخير جزماً لكان يخاف عليها أن تتبرر عند الولاية فكيف إذا أظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية أهون من العزل بعد الشروع فالعزل مؤلّهم هو كقبول العزل طلاق الرجال فإذا شرع لاسمح نفسه بالعزل وعمل نفسه إلى الداهية وإهمال الحق وتوهم به في حرجهم ولا يستطيع التزوع منه إلى اللوث إلا لأن يزل قهراً وكان فيه عذاب عاجل على كل عبد للولاية ومهما مالت النفس إلى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب فهو أمارة الشر وذلك قال صلى الله عليه وسلم «إنا لانولى أمرنا من سألنا ^(٢)» فإذا فهمت اختلاف حكم القوى والضعيف علمت أن نهى أبى بكر رافعاً عن الولاية ثم تقلده لها ليس بمتناقض . وأما القضاء فهو وإن كان دون الخلافة والامارة فهو في معناها فإن كل ذى ولاية أمير أى له أمر نافذ والامارة عبودية بالطبع والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه أيضاً عظيم مع الدول عن الحق وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم «القضاء ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة ^(٣)» وقال عليه السلام «من استغنى فقد ذبح بغير سكين ^(٤)» حكاه حكم الإمارة يبنين أن يترك الضعفاء وكل من للدنيا ولقاداتها وزن في عينه وليتخلفه الأقوياء الذين لا تأخذهم في الله لومة لأثم ومهما كان السلاطين ظلة ولم يقدر القاضي على القضاء لإعدهائهم وإهمال بعض الحقوق لأجلهم ولأجل التملتين بهم إذ جعل أنه لو حكم عليهم بالحق لزلوه أولم يطعموه فأبى له أن يتقلد القضاء وإن تقلده فليس أن يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عدراً مرخصاً له في الأهل أصلاً بل إذا عزل سقطت العهدة عنه فينبين أن يفرج بالعزل إن كان يقضى له فإن لم تسمح نفسه بذلك فهو إذن يقضى لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتب عليه ثواباً وهو مع الظلمة في الدرك الأسفل من النار . وأما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية

ومآرب مختلفة فالصوفى يرد النفس في لباس إلى متابعة صريح العلم . قيل لبعض الصوفية توبك بمزق قال ولكنه من وجه حال وقيل له وهو وسخ قال ولكنه طاهر فظهر الصادق في ثوبه أن يكون من وجه حلال لأنه ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من اشترى ثوباً ببشرة دراهم وفي عنقه درهم من حرام لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً» أى لا يرضون لنافقه ثم بعد ذلك نظره فيه أن يكون طاهراً لأن طهارة الثوب شرط في صحة

(١) حديث عبد الرحمن بن حمزة لاتباع الإمارة الحديث متفق عليه (٢) حديث إنا لانولى أمرنا من سألناه متفق عليه من حديث أبى موسى (٣) حديث القضاء ثلاثة الحديث أصحاب السنن من حديث بريدة وقدم في العلم وإسناده صحيح (٤) حديث من استغنى فقد ذبح بغير سكين أصحاب السنن من حديث أبى هريرة بلطف من جعل قاضياً وفي رواية من ولى القضاء وإسناده صحيح .

الحديث وجمع الأسانيد العالية وكل ما يتبع بسببه الجاه وعظم به القدر فأخته أيضا عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الحافظون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا إليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من أبواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال أوسموا لي ودفن جسر كذا وكذا فاطر من الحديث وقال يمتنى من الحديث أنى أشتى أن أحدث ولو اشتيت أن لا أحدث لحديث والواظع مجدي وعظه وتأثر قلوب الناس به وتلاحق بكثمتهم وزعفاتهم وإقبالهم عليه لثة لا توازيها لثة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه إلى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وإن كان باطلا وبخر عن كل كلام يستحقه العوام وإن كان حقا وبسير مصروف الهمة بالسكية إلى ما يحرك قلوب العوام وعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة إلا ويكون فرحه به من حيث إنه يصلح لأن يذكره على رأس للتبر وكان يبنى أن يكون فرحه به من حيث إنه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به أولا ثم يقول إذا أنعم الله عليّ بهذه النعمة وتنعى بهذه الحكمة فأقصها ليشتركني في نعمها إخواني السليين فهذا أيضا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكه حكم الولايات فن لا يأت له إلا طلب الجاه والفرلة والأكل بالدين والتفاخر والتكاثر فيبني أن يتركه ويخالف الهوى فيه إلى أن ترناض نفسه وتغوى في الدين همت ويأمن على نفسه الفتنة فند ذلك يعود إليه . فان قلت مهما حكم بذلك على أهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق . فتقول قد نهى رسول الله ﷺ عن طلب الإمارة وتوعد عليها (١) حتى قال « إنكم تحرمون على الإمارة وإنها حسرة وندامة يوم القيامة إلا من أخذها بغتها » (٢) وقال « نعمت للرضعة وبشت الفاطمة » (٣) ومعلوم أن السلطة والإمارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الأمن وخربت البلاد وتعطلت العايش فلم ينهى عنها مع ذلك ؟ وضرب عمر رضى الله عنه أبي بن كعب رأى قوما يقيمونه وهو في ذلك يقول أبي سيد للسليين وكان يقرأ عليه القرآن فنع من أن يقيموا وقال ذلك فتنة على التبوع ومذلة على التابع وعمر كان بنفسه يخطب ويعظ ولا يمتنع منه . واستأذن رجل عمر أن يحط الناس إذا فرغ من صلاة الصبح فنهى فقال أمتنى من نصح الناس فقال أشتى أن تنتفع حتى تبلغ الثريا إذ رأى فيه غايل الرغبة في جله الوعظ وقبول الخلق والقضاء والخلافة مما يحتاج الناس إليه في دينهم كالعوظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منهما فتنة وفتنة فلا فرق بينهما فأما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدي إلى اندراس العلم فهو غلط إذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضاء لم يؤد إلى تعطيل القضاء (٤) بل الرياسة وحيا يسطر الخلق إلى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك العلوم تدرس بل لو حبس الخلق وقيدوا بالسلاسل والأغلال من طلب العلوم التي فيها القبول والرياسة لأقتلوا من الحبس وقطعوا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله أن يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك بأمر الناس فإن الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ، ثم إنى أقول مع هذا إذا كان في البلد جماعة يقيمون بالوعظ مثلا فليس في الهوى عنه إلا امتناع بعضهم وإلا فيعلم أن كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لثة الرياسة فإن لم يكن

(١) حديث الهوى عن طلب الإمارة وهو حديث عبد الرحمن بن حمزة لائل الإمارة وقد تقدم قبله بثلاثة أحاديث (٢) حديث إنكم تحرمون على الإمارة وإنها حسرة وندامة إلا من أخذها بحظها البغاري من حديث أبي هريرة دون قوله إلا من أخذها بحظها وزاد في آخره نعمت للرضعة وبشت الفاطمة ودون قوله حسرة وهى في صحيح ابن حبان (٣) حديث نعمت للرضعة وبشت الفاطمة البخاري من حديث أبي هريرة وهو بقية الحديث الذي قبله ورواه ابن حبان بلفظ قبست للرضعة وبشت الفاطمة (٤) حديث الهوى عن القضاء مسلم من حديث أبي ذر لا تؤصرون على اثنين ولا تبين مال بينهم

الصلاة وما عدا هذين
النظرين فظنره في
كونه يدفع الحروب
لأن ذلك مصلحة
النفس وبعد ذلك
ما تدعو النفس إليه
فكله فتقول وزيادة
ونظركم إلى الخلق
والصادق لا يبنى أن
يلبس الثوب إلا لله
وهو ستر العورة
أو لنفسه لدفع الحر
والبرد . وحكى أن
سفیان الثوري رضى
الله عنه خرج ذات يوم
وعليه ثوب قد لبسه
مقلوبا فقيل له ولم يعلم
بذلك فهم أن غلمه
وبخيره ثم تركه وقال
حيث لبست نويت أن

في البلد إلا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته في الظاهر ونحيبه إلى العوام أنه إنما يريد الله بوعظه وأنه تارك الدنيا ومعرض عنها فلا تمنه منه وتقول له اشتغل وجهاده فشك ، فان قال لست أقدر على نفس فتقول اشتغل وجهاده ، أنا نعلم أنه لو ترك ذلك لمالك الناس كلهم إذ لا قائم به غيره ولو واطب وغرسته الجاه فهو المالك وحده وسلامة دين الجميع أحب عندنا من سلامة دينه وحده فنجبه فداء للقوم وهول لمل هذا هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ^(١) » ثم الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة ويؤثر به في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته ، فأما ما أحدثه الوعاظ في هذه الأعصار من الكلمات الزخرفية واللفاظ السجدة القرونة بالأشعار مما ليس فيه تعظيم لأمر الدين وتخويف للمسلمين بل فيه التزجية والتجربة على الماضي بطيارات التثنت فيجب إخلاء البلاد منهم فاتهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان وإنما كلامه في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما أو رداء في كتاب العلم من الوعيد الوارد في حق علماء السوء ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله ، ولهذا قال السبح عليه السلام : يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تعلمون ما تأمرون وتدرسون ما لا تعلمون فيأسؤ ما تحكون تنويرون بالقول والأمانى وتعملون بالهوى وما ينفى عنكم أن تتقوا جلودكم وقلوبكم دنسة عني أقول لكم لا تكونوا كالتنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه الخشالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أقوالكم ويبقى القل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من الخشافة من الدنيا تشبهوه ولا تقطع منها رغبته عني أقول لكم إن قلوبكم بيكن من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم عني أقول لكم أقدمتم آخرتكم بصلاح دنياكم فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأني ناس أخس منكم لو تعلمون وبلغكم حتى حق تصفون الطريق للمسلمين وتقيمون في محلة للتجربين كأنكم تدعون أهل الدنيا لتركوا هلكم بسلامهم لا بفسادهم من البيت للظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا ينبغي عنكم أن يكون نور العلم بأقوالكم وأجوافكم منه وحشة مظلة يا عبيد الدنيا لا كهيد أنقياء ولا كأحرار كرام تركوا الدنيا أن تغفلكم عن أصولكم فتلقبكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم كنواصيك ثم يدفكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم إلى الملك الديان خافة عراة فرادى فيوقصكم على سواك ثم يحزركم بسوء أعمالكم وقد روى المحدث الحسن هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين الانس وقتنة على الناس رغبا في عرض الدنيا ورفضها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين لهداياهم في الساجل طار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون . فان قلت : فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ رغبان كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « أيسا داع دعا إلى هدى واتبع عليه كان له أجره واتبع عليه كان له أجره ^(٣) » إلى غير ذلك من فضائل العلم فينبغي أن يقال للعلم اشتغل بالعلم وترك الرعاة الخلق كما يقال لمن طلبه لواء في الصلاة لا يترك العمل ولكن أتم العمل وجهاده فشك . فاعلم أن فعل العلم كبير وخطره عظيم

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم النسائي وقد تقدم فريسا (٢) حديث لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها متفق عليه من حديث سهل بن سعد بن أبي هاشم (٣) حديث أيسا داع دعا إلى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من تبعه ابن ماجه من حديث أنس بزيادة في أوله ولمسلم من حديث أبي هريرة من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه الحديث .

البسه في الآن فيا
أخيره إلا لنظر الحائق
فلا تفتن الية الأولى
بهذه والصورية خصوصا
بطهارة الأخلاق وما
رزقوا طهارة الأخلاق
إلا بالصلاحيه والأهليه
والاستعداد الذي
هياه الله تعالى لنفوسهم
وفي طهارة الأخلاق
وتاضدها تناسب واقع
لوجود تناسب هيئة
النفس وتناسب هيئة
النفس هو للشار إليه
بقوله تعالى - فاذا
سويته ونفخت فيه
من روحي - فالتناسب
هو التسوية فمن
للتناسب أن يصحكون
لباسهم مشا كالعلماء بهم

كنضل الخلافة والإمامة ولا تقول لأحد من عباد الله أترك العلم إذ ليس في نفس العلم آفة وإعانة الآفة في إظهاره بالصّدق للوعظ والتدريس ورواية الحديث ولا تقول له أيضا أترك ما دام يحسن نفسه عاتيا دينيا بموجب باعث الرياء أما إذا لم يحركه إلا الرياء فترك الظاهر أضرّ له وأسلم وكذلك نوافل الصلوات إذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها أما إذا خطر له وساوس الرياء في أثناء الصلاة وهو كما نراه فلا يترك الصلاة لأن آفة الرياء في العبادات ضئيلة وإنما تعظم في الولايات وفي التصدي للناسب الكبير في العلم . وبالجملة فالمراتب ثلاث : الأولى : الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة . الثانية : الصوم والصلاة والحج والقرن وقد تعرض لها أقوياء السلف وضعفا وهم ولم يؤثر عنهم الترك لحوف الآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على تفهيمها مع إتمام العمل لله بأدنى قوة . الثالثة : وهي متوسطة بين الرتبين وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها أقل مما في الولايات وأكثر مما في الصلاة فالصلاة ينبغي أن لا يترك الضعيف والفتوى ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي أن يتركها الضعفاء رأسا دون الأقوياء ومنصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم أنه بالولايات أشبه وأن الحذر منه في حق الضعيف أسلم والله أعلم . وهما رتبة رابعة وهي : جمع لكلا وأخذته للفرقة على المستحقين فإن في الاتفاق وإظهار الضعفاء استجلابا للنساء وفي إدخال السرور في قلوب الناس لذة للنفس والآفات فيها أيضا كثيرة ، وذلك مثل الحسن عن رجل طلب أنقوت ثم أمسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد أفضل ما يبرءون من قلة السلامة في الدنيا وأن من أزهق تركها قربى إلى الله تعالى . وقال أبو الدرداء ما يسرني أني أنقت على درج مسجد دمشق أصيب كل يوم خمسين ديناراً أتصدق بها أما إني لأحرم البيع والشراء ولكني أريد أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وقد اختلف العلماء فقال قوم إذا طالب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق بها فهو أفضل من أن يشتغل بالعبادات والنوافل ، وقال قوم الجولوس في دوام ذكر الله أفضل والأخذ والإعطاء يشغل عن الله ، وقال السبيح عليه السلام يطالب الدنيا ليربها تركها لها رب ، وقال أقل ما فيه أن يشغله إصلاحه عن ذكر الله وذكر الله أكبر وأفضل وهذا فيمن سلم من الآفات فأما من يمرض لآفة الرياء فتركها له أروا الاشتغال بالذكر لخلاف في أنه أفضل . وبالجملة ما يتلقى الحقائق وللنفس فيه لذة فهو آفة والآفات والأحباب جعل ويدفع الآفات فإن هجر فلينظر وليجتهد وليستغفر قلبه وليرزق ما فيه من الخير بمساقفه من الشر . ولنفع ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل إليه الطبع . وبالجملة ما يجده أخف على قلبه فهو في الأكثر أضر عليه لأن النفس لا تنسحب إلا بالشر وقفا تستلذ الخير وتميل إليه وإن كان لا يبعد ذلك أيضا في بعض الأحوال وهذه أمور لا يمكن الحكم على فاضلها بنقي وبثبات فهو موكلوك إلى اجتهد القلب لينظر فيه لا يهتد به ، ما يريه إلى ما لا يريه ثم قد يقع محاذير ، ما غرور للجاهل فيمسك المال ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل ولا خلاف في أن خفة المال في الباحات فضلا عن الصدقات أفضل من إمساكه وإعسا الخلف فيمن محتاج إلى الكسب أن الأفضل الكسب والاتفاق أو التجرد للذكر وذلك في الكسب من الآفات فأما لئال الحاصل من الحلال فخرته أفضل من إمساكه بكل حال . فإن قلت فبأي علامة تعرف العالم والواعظ أنه صادق محقق في وعظه غير مرید رياء الناس . فأعلم أن لذلك علامات إحداها أنه لو ظهر من هو أحسن منه وعظا أو أغزمته علما والناس له أشد قبولاً فرح به ولم يحسد نعم لا بأس بالعبطة وهو أن يتنق لنفسه مثل علمه ، والأخرى أن الأكابر إذا حضروا مجلسه لم يتنكر كلامه بل يبق كالكان عليه فينظر إلى الحلق بين واحدة والأخرى أن لا يهيب اتباع الناس في الطريق والذي خلفه في الأدواق

وطعامهم مشاكلا
لكلامهم وكلامهم
مشاكلا لغامهم لأن
الناسب الواقع في
النفس مقيد بالعلم
والنشاط والنقاش في
الأحوال يحكم به العلم
ومتوسطة الزمان
لمتزمون بشيء من
الناسب مع مزج
الحوى وما عندهم من
التطلع إلى الناسب
رشح حال سلفهم في
وجود الناسب . قال
أبو سليمان الداراني :
يلبس أحدهم عبادة
بثلاثة دراهم وشهوته
في بطنه خمسة دراهم
أنكر ذلك لعدم
الناسب فمن خشن

وذلك علامات كثيرة يطول إحصاؤها ، وقد روى عن سعيد بن أبي مروان قال كنت جالسا إلى جنب الحسن إذ دخل علينا الحجاج من بعض أبواب المسجد ومعه الحرص وهو على بردون أصغر فدخل المسجد على بردوته فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقة أحفل من حلقة الحسن فوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم وثى وركة فزول ومضى نحو الحسن فداراه الحسن متوجها إليه فقال في من ناحية جلسه قال سعيد وتجايف له أيضا عن ناحية جلوس حتى صار بيني وبين الحسن فرجة وجلوس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم فاقطع الحسن كلامه قال سعيد قلت في نفسي لأبكون الحسن اليوم ولأنظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج إليه أن يزيد في كلامه يتقرب إليه أو يحمل الحسن هبة الحجاج أن ينقص من كلامه يتكلم الحسن كلاما واحدا نحوهما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى إلى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكثرت به رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبر فليكن هذه المجالس وأعيانها فاتخذوها حلقا وعادة فانه يلتقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن مجالس الذكر رياض الجنة (١) ولولا ما حملناه من أهر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمرقتنا بغلبتها قال ثم اقترع الحجاج فتكلم حتى هب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طلق ققامه ، رجل من أهل الشام إلى مجلس الحسن حين قام الحجاج فقال عباد الله للسدين الاتصبيون آتى رجل شيخ كبير وأتى أغزوا كلف فرسا وبند وكلف فسطاطا وأن لي ثلثائة درهم من الطعام وأن لي سبع بنت من البغال فتكلمن حاله حتى رق الحسن له وأصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه قال الملم قاتلهم الله اتخذوا عبادته خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدنار والدرهم فاذا غرأعد والله غرأ في القساطيط الملبية على البغال السباقة وإذا أغزى أخاه أغزاه طابوا برجالها فاقترع الحسن حتى ذكرهم بأقبح العيب وأعداه قدام رجل من أهل الشام كان جالسا إلى الحسن فسمى به إلى الحجاج وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن أن أته رسل الحجاج فقالوا أجب الأمير قدام الحسن وأشفنا عليه من شدة كلامه الذي يتكلم به فلم يلبث الحسن أن رجع إلى جلسته وهو يتسم وقماريته فأغزاه فاه ضحك إنما كان يتسم فأقبل حتى قصد في جلسته فظلم الأمانة وقال إنما مجالسون بالأمانة كأنكم تظنون أن الحياة ليست إلا الدنار والدرهم إن الحياة أشد الحياة أن مجالسنا الرجل فطمعنا إلى جانبه ثم نطلق فيسمى بنا إلى شرارة من نار إني أنبت هذا الرجل قال أقصر عليك من لسانك ونوك إذا غرأعد والله كذا وكذا وإذا أغزى أخاه أغزاه كذا لأبالك تحرض علينا الناس أما ناطل ذلك لاتهم نصبحك أقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عنى وركب الحسن حمارا يريد للزاد فيينا هو يسير إذا تفتت فرأى قوما يتبمون فوقه فقال هل لكم من حاجة أو تسألون عن شيء أو إقرار جو المايق هذا من قلب البعد فيه العلامات وأما التي تتبين سريرة الباطن ومهما رأيت العلماء يتبايرون ويتحاسدون ولا يتواصون ولا يتعاونون فاعلم أنهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون اللهم أرحنا بلطقتك بأمر الرحمين .

(بيان ما يصح من نشاط العبادة بسبب رؤية الحق وما لا يصح)

اعلم أن الرجل قد يبيت مع التوهم في موضع فيقومون للتهجد أو يقوم بعضهم فيصون الليل كله أو يصوم وهو عن يقوم في بيته ساعة قربة فإذا زكمت أنبت نشاطه للواقعة حتى يزيد على ما كان يتأده أو يصل مع أنه كان لا يمتد الصلاة بالليل أصلا ، وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه أهل اللوح فينبعث له نشاط في الصوم ولولا لم أنبت هذا النشاط فبذا ربنا يظن أن عمر يا مؤان الواجب

(١) حديث أن مجالس الذكر رياض الجنة تقدم في الأذكار والدعوات .

نوبه يبغي أن يكون ما كوله من جنسه وإذا اختلف الثوب والأكل بدل على وجود أعراف لوجود هوى كامن في أحد الطرفين إما في طرف الثوب لموضع نظره الحلق وإما في طرف اللأ كحل لشرط الشره وكلا الوصفين مرض يحتاج إلى للدواة يعود إلى حد الاعتدال . ليس أبو سليمان الداراني ثوبا غسلا قتال له أحمد لوليت ثوبا أجود من هذا قتال ليت قلبي في القلوب مثل قيس في التباب

ترك للواقعة وليس كذلك على الإطلاق بل له تفصيل لأن كل مؤمن راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تحوّل العوائق وبمنه الاشتغال وبغلبه الفتن من الشهوات وأوتسبوه القلة فربما تكون مشاهدة القبر سبب زوال القلة أو تدفع العوائق والأشغال في بعض الواضع فيثبت له النشاط قد يكون الرجل في منزله فتقطعه الأسباب عن التهجّد مثل تمكّنه من النوم على فراش ومثّر أو تمكّنه من التمتع بزوجه أو الهادئة مع أهله وأقاربه أو الاشتغال بأولاده أو مطالعة حساب له مع معامليه فإذا وقع في منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التي تفرّغ رغبته عن الخير وحصلت له أسباب باعثة على الخير كشاهدته إياهم وقد أقبلوا على الله وأعرضوا عن الدنيا فانه ينظر إليهم فينافسهم ويشق عليه أن يستوفى بطاعة الله فتشرك داعيته للدين لا لرياء أو ربما يخافه النوم لاستنكاره للوضع أو سبب آخر فينتزع زوال النوم وفي منزله ربما يغلبه النوم وربما يضاف إليه أنه في منزله على الدوام والنفس لاتسمع بالتهجد دائما وتسمح بالتهجد وقتا قليلا فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يصر عليه الصوم في منزله ومعه أطباء الأطباء ويشق عليه الصبر عشا فإذا أعوزته تلك الأطعمة لم يشق عليه فتنبهت داعية الدين للصوم فإن الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تطلب باعث الدين فإذا سلم منها قوى الباعث فهذا وأمثاله من الأسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان مع ذلك ربما يصد عن العمل ويتول لا تعمل فانك تكون مراتبا إذا كنت لاتعمل في بيتك ولا تزد على صلاتك للعادة وقد تكون رغبته في التزادة لأجل رقيته وخوفا من ذمهم ونسبتهم إياه إلى الكسل لاسيما إذا كانوا يظنون به أنه يوم الليل فان نفسه لاتسمع بأن يسقط من أعينهم فيريد أن يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول الشيطان صل فانك خاص ولست تصل لأجلهم بل لله وإنما كنت لاتصل كل ليلة لكثرة العوائق وإنما داعيتك لزوال العوائق لا لإحلالهم وهذا أمر مشتبّه إلا على ذوى البصائر فإذا عرف أن المحرك هو الرياء فلا ينبغي أن يزيد على ما كان يتناه ولا ركة واحدة لأنه يسعى الله بطلب محمّدة الناس بطاعة الله وإن كان ابتاعته لدفع العوائق وتحرك القبضة والثاقفة بسبب عبادتهم فليوافق علامة ذلك أن يمرض على نفسه أنه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الوضع بينه هل كانت نفسه تسخو بالصلاة وهم لا يرونه فان سخطت نفسه فليصل فان باعته الحق وإن كان ذلك ينقل على نفسه لو غاب عن أعينهم فليترك فان باعته الرياء وكذلك قد يحضر الإنسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلاة مالا يحضره كل يوم ويمكن أن يكون ذلك لحب حدهم ويمكن أن يكون نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب إقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويتارة تزوع النفس إلى حباله فلهما علم أن الطالب على قلبه إرادة الدين فلا ينبغي أن يترك العمل بما يهدم من الحبال بل ينبغي أن يرد ذلك على نفسه بالكراهية ويشغل بالعبادة وكذلك قد يسكن جماعة فينظر إليهم فيحضره البكاء خوفا من الله تعالى لا من الرياء ولوم مع ذلك الكلام وحدهما إلى ولكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فببببب تارة رياء وتارة مع الصدق إذ يغشى على نفسه قسوة القلب حين يكون ولا تدفع عنه فببببب تنكفأ وذلك محمود وعلامة الصدق فيه أن يمرض على نفسه أنه لو مع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القسوة فبببببب أم لا فان لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن أعينهم فأنسا خوفا من أن يقال إنه قاسى القلب فينبغي أن يترك البكاء . قال لقمان عليه السلام لا تبه : لا ترى الناس أنك تخشى الله فيكركمك وقلبك فاجر وكذلك الصبغة والنفس والأعين عند القرآن أو الذكر أو بعض مجارى الأحوال

فكان الفقراء يبدسون
الربيع وربما كانوا
بأخذون الحرق من
الزوايل ويرقصون بها
نوبهم وقد فعل ذلك
طائفة من أهل الصلاح
وهؤلاء ما كان لهم
معلوم يرجعون إليه
فبببب كانت رقايعهم
من الزوايل كانت
لنفسهم من الأبواب .
وكان أبو عبيد الله
الرفاعي مثارا على
الفرق والتوكل ثلاثين
سنة وكان إذا حضر
للفقراء طعام لا يأكل
معه فقال له في ذلك
فيقول أتم تأكلون
بحق التوكل وأنا
أكل بحق للسكينة ثم

تارة تكون من الصدق والحرز والحرف والندم والتأسف وتارة تكون لشاهدته حزن غيره وقصاة قلبه فيكشف النفس والأعين ويتحازن وذلك محمود وقد تفرق به الرغبة فيه لدلالته على أنه كبير الحزن ليعرف بذلك فإن تجردت هذه الداعية فهي الرياء وإن اقترنت بداعية الحزن فإن أباها لم يقبلها وكرهاها سلم بكافؤ وتباكيه وإن قبل ذلك وركن إليه قبله حبط أجره وضاع سببه وتعرض لسلط الله تعالى به وقد يكون أصل الأئين عن الحزن ولكن يعمد ويذرف الصوت تلك الزيادة يادوهو محظور لأنها في حكم الابتداء لجرد الرياء قد يهيج من الحرف ما لا يملك البصمته نفسه ولكن سببه خاطر الرياء فيقبله فيدعو إلى زيادة تحزين للصوت أو رفع له أو حفظ العيبة على الوجه حتى يجر بعد أن استرسلت خشية الله ولكن يحفظ أثرها على الوجه لأجل الرياء وكذلك قد يسمع الله كره فتضف قوله من الحرف فيسقط ثم يستجى أن يقال له إنه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزق ويؤاجد تكلفا ليرى أنه سقط لكونه منشيا عليه وقد كان ابتداء السطة عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يبقى سريما فتجزع نفسه أن يقال حاله غير ثابتة إنما هي كبري خاطف فيستندم الزعقة والرقص ليرى دوام حاله وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سرعان فيرجع أن يقال لم تكن خشيت محبة ولو كان لدام ضعفه فيستندم إظهار الضعف والأئين فيتيك على غيره يرى أنه يصف عن القيام ويتمايل في الشيء وقرب الخطأ يظهر أنه ضعف عن سرعة الشيء فهذه كلها مكاييد الشيطان وتزغات النفس فإذا خطرت ضلالتها أن يترك أن الناس أو عرفوا عاقبة في الباطن واطلموا على ضميره لقتوه وإن الله مطلع على ضميره وهو له أشمعتا كالأرى عن ذي النون رحمه الله أنه قام وزعق مقام معه شيخ آخر رأى فيه أثر التكلف فقال يا شيخ الذي راكبت تقوم مجلس الشيخ وكل ذلك من أعمال للتافين وقد جاء في الخبر «توذوا بالله من خشوع التفاني» (١) وإيانا خشوع التفاني أن نخضع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه فإن ذلك قد يكون لحاظ خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون المراد أنه قد خضع طرطر على القلب متفاداة مترادفة متقاربة وهي مع تقاربها متشابهة فراق قلبك في كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن أين هو فإن كان له فأنضه واحذر مع ذلك أن يكون قد خفي عليك شيء من الرياء الذي هو كديب الخ وكمن له وجل من عبادتك أهي مقبولة أم لا ؟ فلو فك على الإخلاص فيها واحذر أن يتجدد لك خاطر الركون إلى حرم بعد الشروع بالإخلاص فإن ذلك مما يكثر جدا فإذا خطر لك خضرك في الطاع الله عليك ومقت لك وتذكر ما له أحد الثلاثة الذين حاجوا أيوب عليه السلام إذ قال أيوب أما علمت أن البعد فضل عنه علانيته التي كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريره وقول بعضهم أعوذ بك أن يرى الناس أني أشتاك وأنت في ماتت . وكان من دعاء علي بن الحسين رضي الله عنهما : اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لامة الميون علانيتي وتبيح لك في أخلو سررتي محافظا على رياء الناس من نفسي ومعصيا لما أنت مطلع عليه مني أبدى للناس أحسن أمرى وأفضى إليك بأسوأ عمل تقر يا إلى الناس بهناني وفراروا منهم إليك بيتان فيحل بي مقتك ويجب على غضبك أعوذ من ذلك يارب العالمين وقد قال أحد الثلاثة نهر لأيوب عليه السلام يا أيوب ألم تعلم أن الذين حفظوا علانيتهم وأصاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات إلى الرحمن تسود وجوههم فهذه جعل آفات الرياء ، فليراقب البعد قلبه ليقف عليها ففي الخبر « إن الرياء سبعين بابا » (٢) وقد عرفت أن بعضه أعمش من بعض حتى إن بعضه

يخرج بين المشاهدين يطلب الكسر من الأبواب وهذا شأن من لا يرجع إلى معلوم ولا يدخل تحت منة . حكم أن جماعة من أصحاب الرقعات دخلوا على جبر بن الحرث فقال لهم يا قوم اتقوا الله ولا تظهروا هذا الزنى فانكم تعرفون به وتكرمون له فتسكتوا كلهم فقال له غلام منهم الحمد لله الذي جعلنا من يعرف به ويكرم له والله ليظهرن هذا الزنى حتى يكون الدين كله لله فقال له جبر أحسنت يا غلام مثلك من يلبس الرقعة فكان أحدم

(١) حديث توذوا بالله من خشوع التفاني البيهقي في الشعب من حديث أبو بكر الصديق وفيه الحارث بن عبيد الإيادي ضفنه أحمد وابن معين (٢) حديث الرياء سبعون بابا هكذا ذكر

مثل ديب الجمل وبسده أخفى من ديب الجمل وكيف يدرك ما هو أخفى من ديب الجمل بالإسادة التقفد والرافقة وليته أدرك بسده بذل اليهود فكيف يطعم في إدراكه من غير تقفد للقلب وامتحان للنفس وتفتيش عن خدعها ، نسأل الله تعالى العافية بينه وكرمه وإيسانه .

(بيان ما ينفى للريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبسده وفيه)

اعلم أن أولى ما يلزم للريد قلبه في سائر أوقاته القناعة بعم الله في جميع طاعاته ولا يتعبد بعم الله إلا لمن لا يخاف إلا الله ولا يرجو إلا الله فأما من خاف غيره وارتجأه اشتبهى اطلاعه على محاسن أحواله فإن كان في هذه الرتبة قليلًا من قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والإيمان لما فيه من خطر التعرض للفت وليراقب نفسه عند الطاعات المطلوبة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فإن النفس عند ذلك تسكد تنلى حوصالي الانشاء وتقول مثل هذا العمل العظيم أو الخوف العظيم أو البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لجدوا لك ثلثي الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى بأخفائه فيجعل الناس محلك وينكرون قدرك ويعرجون الاقتداء بك ففى مثل هذا الأمر ينبغي أن يثبت قدمه ويتذكر في مقابلة عظم عمله عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامه أبد الآباد وعظم غضب الله ومقتته على من طاب بطاعته ثوابا من عباده ويعلم أن إظهاره لتبره محب إليه وسقوط عند الله وإحباط العمل العظيم فيقول وكيف أتبع مثل هذا العمل بمجد الخلق وهم عاجزون لا يقدر على طى رزق ولا أجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي أن يأس عنه فيقول إنما يقدر على الاخلاص الأنواء فأما المخلطون فليس ذلك من شأنهم فيترك المجاهدة في الاخلاص لأن المخلط إلى ذلك أوسع من النقي لأن للثني إن فسدت نوافله بقيت فرائضه كاملة تامّة والمخلط لا تخلو فرائضه عن نقصان والحاجة إلى الجبران بالنوافل فإن لم تسلم صار ما أخذ بالثني والنوافل وهلك به فاختلط إلى الاخلاص أوسع . وقد روى تميم الهارثي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وعاصم العبد يوم القيامة فإن تمس فرضه قيل انظروا هل له من تطوع فإن كان له تطوع أكل به فرضه وإن لم يكن له تطوع أخذ بطريقه فألقى في النار (١) فيأتي المخلط يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجتهاده في جبر القرائن وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك إلا بغلوض النوافل وأما الثني فجده في زيادة العرجات فإن حبط تطوعه بقي من حسناته ما يرجع على السيئات فيدخل الجنة ، فاذن ينبغي أن يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه لنقص نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بسده الفراغ حتى لا يظهره ولا يتحدث به وإذا فعل جميع ذلك فينبغي أن يكون وجلا من عمله خائفا أنه ربما داخله من الرياء الخفي ما لم يقف عليه فيكون شاكًا في قوله ورده مجوزًا أن يكون الله قد أحصى عليه من نيته الحفية ما مقتته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبسده إلا في ابتداء العمل بل ينبغي أن يكون متيقنا في الابتداء أنه غفاس ما يريد بعمله إلا الله حتى يصح عمله فاذا

النصف هذا الحديث هنا وكأنه تصحف عليه أو على من نقله من كلامه أنه الرياء بالمشاء وإيما هو الرياء بالموحدة والرسوم كتأنيبه بالواو والحديث رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ الرياء يسمون حوياً أبسرها أن يشك الرجل أمه وفي إسناده أبو معشر واسمه ينجح مختلف فيه وروى ابن ماجه أيضاً من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الرياء ثلاثة وسبعون باباً . وإسناده صحيح هكذا ذكر ابن ماجه الحديثين في أبواب التجارات وقد روى البراء حديث ابن مسعود بأن الرياء بسبع وسبعون باباً والشك مثل ذلك وهذه الزيادة قد يستدل بها على أنه الرياء بالثلاثة لا بقرائن مع الشرك والله أعلم (١) حديث تميم الهارثي في إكمال فريضة الصلاة بالتطوع أبو داود وابن ماجه وتقدم في الصلاة .

يتقى زمانه لا يطوى له ثوب ولا يملك غير ثوبه الذي عليه . وروى أن أمير المؤمنين علياً رضى الله عنه ليس قيصاً اشتراه بثلاثة دراهم ثم قطع كفه من ردوس أصابعه وروى عنه أنه قال لعمر بن الخطاب إن أردت أن تاتي صاحبك فرفع قيصك واخضع نفسك وقصر أملك وكل دون التسع . وسكن عن الجبرى قال كان في جامع بغداد رجل لا تسكد تجده إلا في ثوب واحد في الشتاء والصيف فمثل عن ذلك فقال قد

شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من التفتة عن شائبة خفية أحبطت عمله من رياء أوجب أولى به ولكن يكون رجاءه أغلب من خوفه لأنه استيقن أنه دخل بالإخلاص وشك في أنه لو أقصد رياء فيكون رجاءه القبول أغلب وبذلك تنظم قلبه في التاجات والطاعات، وبالإخلاص يقين والرياء شك وخوفه لذلك الشك جذير بأن يكفر خاطر الرياء إن كان قد سبق وهو غافل عنه ،
والذي يقرب إلى الله بالسعي في حوائج الناس وإفادة العلم ينبغي أن يلزم منه رجاءه الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل للتلم به فقط دون شكر ومكافأة وحمد وثناء من التلم والتم عليه فإن ذلك يحبط الأجر فهما توقع من التلم مساعدة في شغل وخدمة أو مصارفة في الشئ في الطريق ليستكثر باستتباعه أو ترددا منه في حاجة فقد أخذ أجره فلا ثواب له غيره،
نعم إن لم يتوقع هو ولم يقصد إلا الثواب على عمله لم يكن له مثل أجره ولكن خدمة التلم بنفسه قبل خدمته فترجو أن لا يحبط ذلك أجره إذا كان لا ينتظره ولا يريد منه ولا يستبعد منه لو قطعه ومع هذا فقد كان العلماء يحذرون هذا حتى إن بعضهم وقع في برهانه قوموا لأجل إيلافه وخلف عليهم أن لا يفتع معهم من قرأ عليه آية من القرآن أوسع منه حديثا خفية أن يحبط أجره ، وقال شقيق البلخي أهديت لسياف التوري ثوبا فردته علي قتلته لا بأباعد الله لست أنا من يسمع الحديث حتى ترد به على قال علمت ذلك ولكن أخوك يسمع مني الحديث فأخاف أن يبين قلبي لأخيك أكثر مما يبين لغيره . وجاء رجل إلى سفيان يبدرة أوبدتين وكان أبوه صديقا لسياف وكان سفيان يأتيه كثيرا فقال له يا أباعد الله في نفسك من أبي شئ فقال رحمه الله أبالك كان وكان أبي عليه فقال يا أباء عبد الله قد عرفت كيف صار هذا السال إلى فأحب أن تأخذ هذه تستعين بها على عيالك قال قبل سفيان ذلك قال فلما خرج قال لوالده يا مبارك الحق فرده على فترجع قال أحب أن تأخذ ذلك فإذن لولده حتى رده عليه وكأنه كانت أخوته مع أبيه في الله تعالى فسكره أن يأخذ قال ولده فلما خرج لم أملك نفسي أن جئت إليه قتلته وبلك أي شئ فبك هذا حجارة عد أنه ليس لك عيال أما ترى أماترحم إخوانك أماترحم عيالا فأكثر عليه فقال لي يا مبارك تأكلها أنت هنيئا مريئا وأسأل عنها أنا ، فإذن يجب على العالم أن يلزم قلبه طلب الثواب من الله في اعتدائه الناس به فقط ويجب على التلم أن يلزم قلبه حمد الله وطالب ثوابه ونيل التزلة عنده لا عند العلم وعند الحق وربما يظن أن له أن يرى بطاعته لينال عند العلم رتبة فيتعلم منه وهو خطأ لأن إرادته بطاعته غير الله خسران في الحال والعلم وربما يفيد وربما لا يفيد فكيف يخسر في الحال عملا قد علم على قوم علم وذلك غير جائز بل ينبغي أن يتعلم منه ويبدد له في العلم فلم لا يكون له في قلبه منزلة إن كان يريد أن يكون تلمه طاعة فإن العباد أمروا أن لا يبدوا إلا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم أبويه لا ينبغي أن يخدمهما لطلب التزلة عندهما إلا من حيث إن رضا الله منه في رضا الوالدين ولا يجوز له أن يرضى بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فإن ذلك مصيبة في الحال ولا يكشف الله عن رياءه وتسقط منزلته من قلوب الوالدين أيضا وأما الزاهد الفاضل عن الناس فينبغي أن يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بما هو ولا يخطر بقلبه معرفة الناس بهذه واستعظامهم عمله فإن ذلك يفسد الرياء في صدره حتى تتبرس عليه العبادات في خلوته به وإنما سكونه لحرفة الناس باعتزاله واستعظامهم له وهو لا يبدري أنه المحتف للعلم عليه . قال إبراهيم بن آدم رحمه الله تلمت للرفعة من راهب يقال له صميان دخلت عليه في صومته فقلت يا صميان منذ كم أنت في صومتك قال منذ سبعين سنة قلت فما طعامك قال يا بني وما ذلك إلي هذه قلت أحببت أن أعلم قال في كل ليلة حمصة قلت لما الذي يجيب من

كنت ولست بكثرة ليس الثياب فرأيت ليلة فها يرى الناس سكان دخلت الجنة فرأيت جماعة من أصحابنا من القسراء على مائدة فأردت أن أجلس معهم فاذا بجماعة من اللاتكة أخذوا يدي وأقاموني وقالوا لي هؤلاء أصحاب ثوب واحد وأنت لك قبصان فلا تجلس معهم فالتفت ونبرت أن لا أجلس إلا نواوا واحدا إلى أن ألقى الله تعالى .
وقول مات أبو يزيد ولم يترك إلا فيمسه الذي كان عليه وكان عارية فردوه إلى صاحبه .

قلبك حتى تتكبد هذه الحصة قال ترى المريد الذي عذاتك قلت نعم قال إنهم يأتون في كل سنة يوما واحدا فيزيتون صومعي ويطوفون حولها ويعظمون فكلما تناقلت نفسي عن العبادة كرتها عن تلك الساعة فأنا أحتمل جهد سنة لمن ساعة فاحتمل يا حنيتي جهد ساعة لمن الأبد فوفر في قلبي للرفة فقال حبيبك أو أزيدك ؟ قلت بلى قال أنزل عن الصومعة فنزلت فأدلى لي ركة فاعتشرون حصة فقال لي ادخل المريد قد رأوا ما أدليت إليك فلما دخلت الدراجة على النصارى فقالوا يا حنيتي ما الذي أدلى إليك الشيخ قلت من قوته قالوا فما تصنع به ونحن أحق بهم قالوا سمعنا قلت عشرون ديناراً فأعطوني عشرين ديناراً فرجست إلى الشيخ فقال يا حنيتي ما الذي صنعت قلت بهته منهم قال بك قلت بشرين ديناراً قال أخطأت لو صاومتهم بشرين ألف دينار لأعطوك هذا عز من لاتبه فانظر كيف يكون عز من تبته ، يا حنيتي أتبل على ربك ودم الذهب والحيطة. والقصد أن استعمار النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثاً في الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغي أن يلزمه شدة الحذر منه وعلامة سلامته أن يكون الخلق عنده والباهم بمثابة واحدة فلو تغيروا عن اعتقادهم لم يجزع ولم يثق به ذرعا إلا كراهة ضعيفة إن وجدها في قلبه فبردها في الحال بقله وإيمانه فانه لو كان في عبادة واطلع الناس كلهم عليه لم يزد به ذلك خشوعاً ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فأن دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن إذا قدر على رده بكرة العقل والإيمان وبأدرك ذلك لم يقبل ذلك السرور بالركون إليه فيرجى له أن لا يغيب سعيه إلا أن يزيد عن مشاهدتهم في الخشوع والاحتياض كي لا ينسبوا إليه شيء فلا بأس به ولكن فيه غرور إذ النفس قد تكون مشهوتها الخفية إظهار الخشوع وتصلب بطلب الاحتياض فيطالبها في دعاها قصد الاحتياض بموتق من الله غليظ وهو الله لو لم أن احتياضهم عنه إنما حصل بأن يعدو كثيراً أو يضحك كثيراً أو يأكل كثيراً فتدفع نفسه بذلك فإذا لم تسمع وصححت بالعبادة فيشبه أن يكون مرادها التزلة عندهم ولا ينبو من ذلك إلا من تقرر في قلبه أنه ليس في الوجود أحد سوى الله فيعمل عمل من لو كان على وجه الأرض وحده لكان يعمل فلا يفت قلبه إلى الخلق إلا خطرات ضعيفة لا يشق عليه إزالتها فإذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصديق فيه أنه لو كان له صاحبان أحدهما غني والآخر فقير فلا يجد عند إقبال التي زيادة هزة في نفسه ، لا كرامة إلا إذا كان في التي زيادة علم أو زيادة ورع فيكون بكرامه بذلك الوصف لا بالتي في كان استرواحه إلى مشاهدة الأغنياء أكثر فهو مرآة أو طماع ولا فالانظر إلى الفقراء يزيد في الرغبة إلى الآخرة وموجب إلى القلب للسكينة والنظر إلى الأغنياء بخلافه فكيف استروح بالنظر إلى التي أكثر مما يستروح إلى الفقير ، وقد حكى أنه لم ير الأغنياء في مجلس أدل منهم فيه في مجلس صفيان الثوري كان مجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يتمنون أنهم فقراء في مجلسه ، ثم لك زيادة إكرام للتي إذا كان أقرب إليك أو كان بينك وبينه حتى وصداقة سابقة ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة في قبر لكنت لا تقدم التي عليه في إكرام وتوقير أئمة فان الفقير أكرم على الله من التي فلنشارك له لا يكون إلا طمعا في غناه ورأى له ثم إذا سميت بينهما في المجالسة فينبغي عليك أن تظهر الحكمة والخشوع للتي أكثر مما تظهره للفقير وإنما ذلك رياء حتى أو طمع حتى كما قال ابن السكاة لجارية له مالى إذا أتيت بفداء فتحت لي الحكمة فقلت الطمع يشعل لسانك وقد صدقت فان اللسان ينطق عند التي بما لا ينطق به عند الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عنده مالا يحضر عند الفقير ومكابد النفس وخفاياها في هذا الفن لا تنصر ولا ينجب منها إلا أن تخرج ماسوى الله من قلبك وتجرد بالشفقة على نفسك فية حمرك

وحكى لنا عن الشيخ حماد شيخ شيخنا أنه بقي زماناً لا يلبس الثوب إلا مستأجراً حتى إنه لم يلبس على ملك نفسه شيئاً وقال أبو خنيس الحداد إذا رأيت وضاعة الفقير في ثوبه فلا ترجو غيره وقيل مات ابن الكرنبي وكان أستاذ الجندی وعليه مرمته قيل كان وزن فردكم له وتخارصه ثلاثة عشر رطلاً قد يكون جمع من الصالحين على هذا الزنى والتخفن وقد يحكون جمع من الصالحين يشكون لبس غير اللعق وزى

ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منصفة في أيام متقاربة وتكون في الدنيا كللك من ملوك الدنيا قد أمكنت الشهوات وساعدته اللذات ولكن في بذته سقم وهو يخاف الهلاك في نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات وعلم أنه لو احتسب وجاهد شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالى الأعباء وحلوف الصيادلة وعود نفسه شرب الأدوية للرة وصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدته كل يوم يزداد تحمولا لقله أكله ولكن سقمه يزداد كل يوم نقصا للشدته احتاجته فلما نازعته نفسه إلى شهوة تخسرك في توالى الأوجاع والآلام عليه وأداء ذلك إلى اللوت للفرق بيني وبين ملكته للوجب لثباته الأعداء به ومهما اعتد عليه شرب دواء تخسرك فبا يستغديه منه من الشفاء الذي هو سبب التمتع بملكه وتعيبه في عيش هنيء ويدنّ صحب قلب رخي وأمر ناذق فيخف عليه مهاجرة اللذات ومصاراة للسكروهات فكذلك للؤمن للربيد بملك الآخرة احتسب عن كل مهلك له في آخرته وهي لذات الدنيا وزهرتها فاجتزى منها بالقليل واختار التحول والودول والوحدة والحزن والحوف وترك اللؤاسة بالخلق خوفا من أن يحل عليه غضب من الله فيهلك ورجاه أن يتجوز عذابه بنصف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وإيمانه بقايع أمره وبما أعد له من النعم القيم في رضوان الله أبد الآباده ثم علم أن الله كريم رحيم لم يزل لعباده الريدن لرضوانه عوناً وبهم روفاً وعليهم عطفاً ولوشاء لأغنام عن التنب ولكن أراد أن يلوهم ويعرف صدق إرادتهم حكمة منه وعدلاً ثم إذا تحمل التنب في بدايته أقبل الله عليه بالهونة والتيسير وحط عنه الإجهاد وسهل عليه الصبر وجب إليه الطاعة ورزقه فيها من لذة النجاة ما يليه عن سائر اللذات ويقويه على إمامة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وأمدّه بموته فان السكرم لا يضيع سبي الراسي ولا تخيب أمل الحب وهو الذي يقول : من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعاً . ويقول تعالى : لقد قلنا سوف الأبرار إلى لقائى وإنى إلى قائمهم أشد شوقاً . فليظهر البديق البداية جده وصدة إخلاصه فلا يوزع من الله تعالى على القرب ماهو اللائق بحجوده وكرمه ورافته ورحمته . ثم كانت ذم الجاه والرياء والمجد وحده .

﴿ كتاب ذم الكبير والعجب ﴾

(وهو الكتاب التاسع من ربيع الملهكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الخالق الباري للصور العزيز الجبار التكبر الملى الذي لا يمتعه عن مجده واضع الجبار الذي كلى جبار له دليل خاضع وكل متكبر في جناب عزه مسكين متواضع فهو القهار الذي لا يدفعه عن مراده دافع التنى الذي ليس له شريك ولا منازع القادر الذي يهر إصار الخلق جلالة جلاله وقهر العرش الجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه وحصر ألسن الأنبياء وصفه وتناؤه وارتفع عن حد قدرتهم إحصاؤه واستعصاؤه فاعتز بالجزع عن وصف كنهه جلالة ملائكة وأنبياء وكسر ظهور الأكاسرة عزه وعلاؤه وقصر أيدي القياصرة عظمتهم وكبرياؤه فالظلمة إزاره والكبرياء ردائه ومن نازعه فيها قمعه بداء اللوت فأحجزه دواؤه جل جلاله وتقدست أسماؤه والصلاة على محمد الذي أنزل عليه النور للتشريف شياؤه حتى أشرقت بنوره أكناف العالم وأرجاؤه وعلى آله وأصحابه الذين هم أحباء الله وأولياؤه وخيرته وأصفياؤه وسلم تسليماً كثيراً .

﴿ كتاب ذم الكبير والعجب ﴾

القفراء ويكون بينهم في ذلك ستر الحال أو خوف عدم التروض أو اجب حق للرقصة وقيل كان أبو حفص الحداد يلبس الناعم وله بيت فرش فيه الرمل له كان ينام عليه بلاوطه وقد كان قوم من أصحاب الصفة يكرهون أن يميلوا بينهم وبين التراب عائلاً ويكون لبس أبي حفص الناعم يعلم ونية يلقى الله تعالى بصحبته وهصكدا الصادقون إن لبسوا غير الحسن من الثوب لينة تكون لهم في ذلك فلا يترض

[أما بعد] فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قل الله تعالى الكبرياء ردائي والمنظمة إزارى فمن نازعني فيها فصته»^(١) وقال عليه السلام «ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه»^(٢) فالكبر والعجب دامان مهلكان والتكبر والعجب مقبان مريضان وهما عند الله مقنوتان بنفان وإذا كان القصد في هذا الربع من كتاب إحياء علوم الدين شرح للهلكات وجب إضاح الكبر والعجب فاتها من قبائح الرديئات ونحن نستقصي ياتهما من الكتاب في شطرين شطري الكبر وشر في العجب: الشطر الأول من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذل الاختيال وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة التكبر وآفته وبيان من يشكر عليه ودرجات التكبر وبيان ما به التكبر وبيان البواعث على التكبر وبيان أخلاق للتواضع وما فيه يظهر الكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان النفس في خلق الكبر وبيان الممود من خلق التواضع وللذموم منه .

(بيان ذم الكبر)

قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى - صأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض غير الحق - وقال عز وجل - كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار - وقال تعالى - واستفتحوا وخلب كل جبار عنيد - وقال تعالى - إنه لا يحب المتكبرين - وقال تعالى - لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا - وقال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وذم الكبر في القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان»^(٣) وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والمنظمة إزارى فمن نازعني واحدا منهما ألقته في جهنم ولا أبالي»^(٤) وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال التقي عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على الصفا فترافعا فغضب ابن عمرو وأقام ابن عمر يركب قائوا ما يركب يا أبا عبد الرحمن فقال هذا بيني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكره الله في النار على وجهه»^(٥) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يركب في الجبارين فيفسيه ما أساهم من المذاب»^(٦) وقال سلمان بن داود عليها السلام يوما للغير والانس والجن والهائم اخرجوا عنى مائتي ألف من الإنس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى جمع زجل اللائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مسّت أقدامه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبك مثقال ذرة من كبر لحسفت به أيدهم فارتضوا وقال

(١) حديث قال الله تعالى الكبرياء ردائي والمنظمة إزارى فمن نازعني فيها فصته الحاكم في المستدرک دون ذکر المنظمة وقال صحيح على شرط مسلم وتقدم في العلم وسياق في حديثين بلفظ آخر (٢) حديث ثلاث مهلكات الحديث البراء والطبرانی والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف وتقدم فيه أيضا (٣) حديث لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان مسلم من حديث ابن مسعود (٤) حديث أبي هريرة يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والمنظمة إزارى فمن نازعني واحدا منهما ألقته في جهنم مسلم وأبو داود وابن ماجه واللفظ له وقال أبو داود قد ذه في النار وقال مسلم مذته وقال ردائه وإزاره بالنية وزاد مع أبي هريرة إسماعيل أيضا (٥) حديث عبد الله بن عمرو من كان في قلبه مثقال حبة من كبر كره الله في النار على وجهه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه بسند صحيح (٦) حديث لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يركب في الجبارين الحديث الترمذی وحسنه من حديث سلمة بن الأكوع ودون قوله من المذاب.

عليهم غير أن لبس
الحسن والرقع يصلح
لسائر الفقراء بنية
التقلل من الدنيا
وزهرتها وهبتها وقد
ورد «من ترك ثوب
جمل وهو قادر على
لبسه أبسه الله تعالى
من حل الجنة» وأما
لبس الناعم فلا يصلح
إلا لعالم بحاله بسبع
بصفات خسه متفقد
خفي شهوات النفس
يلقى الله تعالى بحسن
النية في ذلك فلحسن
النية في ذلك وجوه
متعددة يطول شرحها
ومن الناس من لا قصد
لبس ثوب بينه
لا خشوته ولا لثبوته

صل الله عليه وسلم « يخرج من النار عتق له أذنان تسمعان وعيان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت ثلاثة : بكل جبار عتيد وبكل من دعا مع الله إليها آثروا بالمصورين^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة غيل ولا جبار ولا سيء الملكة^(٢) » وقال **عليه السلام** « حاجت الجنة والنار قاتلت النار أوتت بالتكبرين والتعجبين وقالت الجنة مالي لا يدخلني إلا ضغفان الناس وسقاظهم وهجرتهم فقال الله الجنة إنما أنت رحمتي أرحم بك من أعاء من عبادي وقال النار إنما أنت عدائي أعذب بك من أعاء ولكل واحدة منك ماؤها^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « بش البديع عجب وعندي ونسي الجبار الأمل بش البديع عجب وعندي ونسي الكثير التمال بش البديع غفل وسها ونسي القابروا لبش البديع عتا وبش ونسي اللبدا وللتنهي^(٤) » وعن ثابت أنه قال « بلغنا أن قيل بإرسول الله ما أعظم كبر فلان قال أليس بمده الموت^(٥) » وقال عبد الله بن عمرو : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال إني أمرتكم بالثنتين وأنها كاعن الثنتين أنها كاعن الشرك والكبر وأمرتكم بالإله إلا الله فإن السموات والأرضين وما فيهن لو وضعت في كفة لليزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح منهما ولو أن السموات والأرضين وما فيهن كانتا حلقة فوضت لا إله إلا الله عليها لتصمتا وأمرتكم بحسان الله وبجمعه فأبصلا كل شيء وبها يرقى كل شيء^(٦) » قال السبع عليه السلام : طوي لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت بجبارا. وقال صلى الله عليه وسلم « أهل النار كل جطرى جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضغفاء للقول^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أجبركم إلينا وأفرجكم منا في الآخرة أحسنكم أخلاقا وإن أبغضكم أخلاقا أبغضكم منا النار إراون للتشدقون للتبهقون قالوا بإرسول الله قد علمنا التترارون وللتشدقون فالتفهمون قال للتكبرون^(٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « يحشر للتكبرون يوم القيامة في مثل صور الدقر تطوهم الناس طراف مثل صور الرجال يلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون إلى سجن في جهنم قاله بولس يلوهم نار الأنبار يستقون من طين الحبال عصارة أهل النار^(٩) » وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم

بل يلبس ما يدخله الحق عليه فيكون بحكم الوقت وهذا حسن وأحسن من ذلك أنه يتقدم فيه فان رأى لنفس شرها وشهوة خفية أو جلية في التوب إلى أمده الله عليه يخرجها إلا أن يكون حاله مع الله ترك الاختيار فعند ذلك لا يسمه إلا أن يلبس الثوب الذي ساءه الله إليه وقد كان شيخنا أبو العجب السهروردى رحمه الله لا يتجبد بيهن من اللبوس بل كان يلبس ما يفتق من غير تعد تكلف

(١) حديث يخرج من النار عتق له أذنان الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح غريب (٢) حديث لا يدخل الجنة جبار ولا غيل ولا سيء الملكة تنعم في أسباب الكسب والتماش والمعروف خائف مكان جبار (٣) حديث حاجت الجنة والنار قاتلت النار أوتت بالتكبرين والتعجبين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث بش البديع عجب وعندي ونسي الجبار الحديث مرسل من حديث أمعاء بنت حميس زيادة فيه مع تقديم وتأخير وقال غريب وليس إسناده بالقوى ورواه الحاكم في المستدرك وصححه ورواه البيهقي في الشعب من حديث نعم بن حمزة وضعفه (٥) حديث ثابت بلغنا أنه قيل بإرسول الله ما أعظم كبر فلان قال أليس بمده الموت البيهقي في الشعب هكذا سلا لفظ تعجب (٦) حديث عبد الله بن عمرو إن نوحا لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال إني أمرتكم بالثنتين وأنها كاعن الثنتين أنها كاعن الشرك والكبر الحديث أحمد والبخاري في كتابه الأدب والحاكم بزيادة في قوله قال صحيح الإسناد (٧) حديث أهل النار كل جطرى جواظ مستكبر جماع مناع وهذه الزيادة عندهما من حديث حارثة بن وهب الخزازي ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر (٨) حديث إن أجبركم إلينا وأفرجكم منا في الآخرة أحسنكم أخلاقا الحديث أحمد من حديث أبي ثلبة الخثعمي بلفظ إلى ومن وفيه انقطاع وتكحول لم يسمع من أبي ثلبة وقد تقدم في روضة النفس أول الحديث (٩) حديث يحشر للتكبرون يوم القيامة ذرا في صور الرجال الحديث الترمذي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ورواه حسن غريب .

« يحسر الجبارون والتكبريون يوم القيامة في صور الدرد تطوّم الناس لهوائهم من الله تعالى (١) » وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت له يا بلال إن أباك حدثني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن في جهنم واديا يقال له هيب حق على الله أن يسكب كل جبار فإياك يا بلال أن تكون ممن يسكب » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إن في النار قصرا يجعل فيه للتكبريون ويطبق عليهم » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم إني أعوذ بك من نخعة الكبرياء » (٤) وقال « من فارق روحه جسده وهو يرى من ثلاث دخل الجنة: الكبر والدين والقلول » (٥) الآثار: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لا يغترن أحد أحدا من السليين فإن صغير السليين عند الله كبير، وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر إليها فقال أنت حرام على كل متكبر. وكان الأحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصب ماذ رجله فلم يقبضهما وقد أحنف فزجه بمنى الزحمة فرأى أثر ذلك في وجهه قال هيبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين، وقال الحسن المجهب من ابن آدم ينسل الحرة يده كل يوم مرة أو مرتين ثم يمارض جبار السموات، وقد قيل في - وفي أنفكس أفلا تبصرون سهو سبيل الغالط والبول، وقد قال محمد بن الحسين ابن علي ما دخل قلب امرئ من الكبر قط إلا انقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر. وسئل سلمان عن البيعة التي لا تنفع معها حسنة فقال الكبر، وقال النعمان بن بشير على النبي إن الشيطان مصالي وغلوها وإن من مصالي الشيطان وغلوها البطر بأنهم الله والفخر بإعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله، وسأل الله تعالى العفو والمغفرة في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه. (بيان ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر في الشئ وجبر الثياب)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله إلى رجل يجر إزاره بطرا » (٦) وقال صلى الله عليه وسلم « بينا رجل يمشي في برده إذ أجهته نفسه تخلف الله به الأرض فهو يتجمل فيها إلى يوم القيامة » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة » وقال

(١) حدث أبي هريرة يحسر الجبارون والتكبريون يوم القيامة في صور الدرد الحديث البزار هكذا مختصرا دون قوله الجبارون وإسناده حسن (٢) حديث أبي موسى إن في جهنم واديا يقال له هيب حق على الله أن يسكب كل جبار أبو يعلى والطبراني والحاكم وقال صحيح الإسناد قلت فيه أزهر بن سنان ضعفه ابن معين وابن حبان وأورد له في الضعفاء هذا الحديث (٣) حديث ابن في النار قصرا يجعل فيه للتكبريون ويطبق عليهم البيهقي في الشعب من حديث أنس وقال توابيت مكان قصرا وقال فيقتل مكان يبطق وفيه أبان بن أبي عياش وهو ضعيف (٤) حديث اللهم إني أعوذ بك من نخعة الكبرياء لم أره بهذا اللفظ وروى أبو داود وابن ماجه من حديث جابر بن مطعم عن النبي ﷺ في أثناء حديث أعوذ بالله من الشيطان من نخعة ونفته وهمره قال نفته الشعر ونخعة الكبر وهمره الونة ولأصحاب السنان من حديث أبي سعيد الخدري نحوه تكلم فيه أبو داود وقال الترمذي هو أشهر حديث في هذا الباب (٥) حديث من فارق روحه جسده وهو يرى من ثلاثة دخل الجنة: الكبر والدين والقلول الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ثوبان وذكر للصف لهذا الحديث هنا موافق للشعور في الرواية أنه الكبر بالوحدة والراء لكن ذكر ابن الجوزي في جامع السائدين الدار فطلى قال إنما هو السكت بالثوب والقرأ وكذلك أيضا ذكر ابن مردويه الحديث في تفسير - والدين يتكزون الذهب والقضة - (٦) حديث لا ينظر الله إلى من جر إزاره بطرا متفق عليه من حديث أبي هريرة. (٧) حديث بينا رجل يمشي في برده قد أجهته نفسه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة.

واختيار، وقد كان يلبس العمامة بشرة دنانير وبابس العمامة بدائق. وقد كان الشيخ عبد القادر رحمه الله يلبس هيئة مخصوصة ويشطط لبس وكان الشيخ علي بن الهيثم يلبس لبس قسراء السواد وكان أبو بكر القراء يزجج بلبس فروا خشنا كآحاد العوام ولكل في لبسه وهيئة نية صالحة وشرح تفاوت الأقدام في ذلك باطل، وكان الشيخ أبو الصعود رحمه الله حاله مع الله ترك الاختيار وقد يساق إليه الثوب

زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فرأى به عبدالله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعت يقول أى بنى إزارك فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء»^(١) وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصر يوماً على كفه ووضع أصبعه عليه وقال يقول الله تعالى : ابن آدم أتجوزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويك وعدلتك مشيت بين بردن وللأرض منك وديد جمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأنى أو أن الصدقة»^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا مشيت أمتي للطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط الله بهم على بعض»^(٣) قال ابن الأعرابي هي مشية فيها اختيال ، وقال صلى الله عليه وسلم «من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان»^(٤) الآثار : عن أبي بكر الهذلي قال يأتنا نحن مع الحسن إذ مر علينا ابن الأهمم يريد للقصور وعليه جياب خز قد نصد بضاً فوق بعض على ساقه واتفرج عنها قباز وهو يمشي يتبختر إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال أفاف أفاف غلبه ، مصرخه ، ينظر في عطفه أى حتى أنت تنظر في عطفك في نم غير مشكورة ولا مذكرة غير لا أخذ بأمر الله فيها ولا تؤذى حتى الله منها والله أن يمشي أحد طيعته بتخليج تخليج المجنون في كل عضون أعضاءه تسوق للشيطان به لقطة تسمع ابن الأهمم فرجع يمشي إليه فقال لا تمسك إلى وبني ربك أما سمعت قول الله تعالى «ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا» - ومر بالحن شاب عليه بزة له حسنة فدعا فقال له ابن آدم معجب بشبابه محب لكما لله كأن القبر قد وارى بدتك وكأنك قد لاقت عمك ويحك داو قلبك فإن حاجة الله إلى البياد صلاح قلوبهم . وروى أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فظفر إليه طاوس وهو يخال في مشيته فغضب عليه بأصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خرقة قد لعمر كالعنزة ياعم لقد ضرب كل عضونى على هذه اللحية حتى تعلقها ، ورأى عمر بن حمران واسع كونه يخال فدعا وقال أتندرى من أنت أمامك فأعترها بما تاتي درهم وأما بوك فلما ذكر الله في السجين مثله ، ورأى ابن عمر رجلاً يجر إزاره فقال إن الشيطان إخواننا كرههم أربعين أو ثلاثاً ، ويرى أن مطرف بن عبدالله بن الشخير رأى الهلب وهو يتبختر في جبته فقال يا عبدالله هذه مشية يفضها الله ورسوله فقال له الهلب أما تترقى فقال بل أعرك أولك نطفة مذرة وآخرك جبفة قدرة وأنت بين ذلك تحمل المذرة فضى الهلب وترك مشيته تلك ، وقال مجاهد في قوله تعالى - ثم ذهب إلى أهله يتطمئ - أى يتبختر ، وإذ قد ذكرنا اسم الكبر والاختيال فلندكر فضيلة التواضع والله تعالى أعلم .

(بيان فضيلة التواضع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما زاد الله عبداً بغو إلا عزاً وماتوا تواضعاً أحدهم لإسلامه»^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم «لما من أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة يسكان به فانها هورفع نفسه»^(٦) (١) حديث ابن عمر لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء ورواه مسلم مقتصر على الرفع دون ذكر مرور عبدالله بن واقد على ابن عمر وهو رواية لمسلم أن للارد رجل من بني ثعلبة سمى (٢) حديث ابن عمر لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء وقال صلى الله عليه وسلم «من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان» (٣) حديث ابن عمر لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء وقال صلى الله عليه وسلم «من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان» (٤) حديث ابن عمر لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء وقال صلى الله عليه وسلم «من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان» (٥) حديث ابن عمر لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء وقال صلى الله عليه وسلم «من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان» (٦) حديث ابن عمر لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء وقال صلى الله عليه وسلم «من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان»

التام قلبه وكان يقال له ربما يسبق إلى مواطن بعض الناس الانكار عليك في لبسك هذا الثوب فيقول لا تلتقي إلا أحد رجلين رجل يطالبنا بظاهر حكم الشرع فيقول له هل ترى أن ثوبنا يكرهه الشرع أو يحرمه فيقول لا ورجل يطالبنا بمقتضى القوم من أرباب العزّة فيقول له هل ترى لنا في لبسنا اختياراً أو ترى عندنا فيه شبهة فيقول لا وقد يكون من الناس من يقدر على لبس التام ولبس الحشن ولكن يحب

جذباهن قالا اللهم ضمه وإن وضع نفسه قالا اللهم ارفعه ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «طوبى لمن ناضع في غير مسكنة وأثاق مالا جمعه في غير مصيبة ورحم أهل الدل والسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة ^(٢)» وعن أبي سلفة اللدني عن أبيه عن جده قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقاء وكان صائما فأتيته عند إفطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيئا من عسل فلما رقه وماذا وجد حلالة الصل قال ما هذا ؟ قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل فوضعوا قال ما إني لأأخره ومن تواضع لله رقه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اتقصد أغناه الله ومن بذر أفرقه الله ومن أكرزكر الله أحبه الله ^(٣)» وروى «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في نفر من أصحابه بيته بأكلون قمام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فأذن له فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال له اطعم فكأن رجلا من قريش التماز منه وتكره فامات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مطليا ^(٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «خيرى رى بين أمرين أن أكون عبدا رسولاً أو ملكا نيفاً أدور أهما اختار وكان صفي من اللاتسكة جبيل فرقت رأسى إليه فقال تواضع لربك قلت عبدا رسولاً ^(٥)» وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : إنما أقبل صلاته من تواضعه لأمطيق ولربنا عظم على خلقه وأتم قلبه خوفاً وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجل وقال **عليه السلام** «الكرم التوى والشرف التواضع واليقين التنى ^(٦)» وقال السبع عليه السلام: طوبى للتمواضعة في الدين أوصحاب الثأرب يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس في الدين أوصحاب الذين يرتون الفردوس يوم القيامة طوبى للسططرة قلوبهم في الدين أوصحاب الذين ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة. وقال بعضهم: لئن أبى الله صلى الله عليه وسلم قال «إذا هدى الله عبداً للإسلام وحسن صورته وجهه في موضع غير شائن له ورزقه ذلك تواضعاً فذلك من صفوة الله ^(٧)» وقال صلى الله عليه وسلم «أرنب لا يطعمه إلا من أحب الصمت وهو أول العبادة

(١) حديث عامن أخذ إلا ومعه ملسكان وعليه حكمة يسكانه بها الحديث القبل في الضعاف والبيهي في الشعب من حديث أبي هريرة والبيهقي أيضا من حديث ابن عباس وكلاهما ضيف (٢) حديث طوبى لمن تواضع في غير مسكنة الحديث البغوي وابن قانع والطبراني من حديث ركب الهري والبزار من حديث أنس وقد تقدم بضه في العلم ورضه في آفات اللسان (٣) حديث أبي سلة اللديني عن أبيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقاء وكان عامنا الحديث وفيه من تواضع رفته الله الحديث رواه البزار من رواية طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده طلحة فقد ذكر نحوه دون قوله ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله ولم يقل بقاء وقال الذهبي في البراز إنه خبر متكرر وقد تقدم ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة قالت أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدس في لبن وعسل الحديث وفيه أما لي لا أزعم إنهم الحديث وفيه من أكثر ذكر الوت أحبه الله وروى الزرقاني عن أحمد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد دون قوله ومن بدر أقفروا الله ذكر أفيه قوله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله وتقدم في ذم الدنيا (٤) حديث السائل الذي كان به زمانه متكررا تنصلى الله عليه وسلم أجلسه على فخذه ثم قال اطعم الحديث لأجله أصلا للوجود حديثاً كله مع مجرم ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث جابر وقال الترمذي غرب (٥) حديث خيرني في بين أمرين عبداً رسولاً وملكاً نيباً الحديث أبو يعلى من حديث عائشة الطبراني من حديث ابن عباس وكلاهما ضيف (٦) حديث الكرم التنوي والشرف التواضع واليقين الثنى ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين مرسل وأسنده الحاكم أوله من رواية الحسن عن حمزة وقال صحيح الإسناد (٧) حديث إلهادي الله عبداً للسلام وحسن صورته الحديث الطبراني موقفاً على ابن مسعود نحوه وفيه السموى مختلف فيه

أَن يَخْتَارَ اللَّهُ هَيْئَةً
 مَّخْصُومَةً يَفْكَرُ الْجَلَاءُ
 إِلَى اللَّهِ وَالْخِطَابُ إِلَيْهِ
 وَيَسْأَلُهُ أَن يَرْبِهَ أَحَبَّ
 الزَّوْجَى إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
 وَأَصْلَحَهُ لِدِينِهِ وَدُنْيَاهُ
 لِكُونِهِ غَيْرَ صَاحِبٍ
 غَرَضٍ وَهَوًى إِلَى زَيْ
 بِنْتِهِ فَهُوَ تَعَالَى يَفْتَحُ
 عَلَيْهِ وَيَعْرِفُهُ زَيْ
 مَخْصُومًا فَيَلْتَمِسُ
 بِذَلِكَ الزَّوْجَى يَكُونُ
 لِبَيْتِهِ بِأَقْرَبَ مَكَانٍ هَذَا
 أَنْ يَكُونَ وَأَكْبَلَ مِنْ هَذَا
 يَتَمَكَّنُ لِبَيْتِهِ قَهْرًا وَمِنْ
 النَّاسِ مَنْ يَتَوَقَّرُ حَظَّهُ
 مِنَ الْعِلْمِ وَيَنْتَضِلُّ بِمَا
 يَسْطُرُهُ أَقْدَامُ فَيَلْبِسُ
 الثَّوْبَ عَنْ عِلْمِ

والتوكل على الله والتواضع والزهّد في الدنيا ^(١) » وقال ابن عباس ذل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « إذا تواضع البدر رفعه الله إلى السماء السابعة ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « التواضع لا يزيد العبد
 إلا رغبة فتواضعوا يرحمكم الله ^(٣) » وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم فجاءه
 رجل أسود به جذري قد تشتر لجعل لا يجلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه
 وسلم إلى جنبه ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنه لم يجب أن يحمل الرجل الشيء في يده يكون
 مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه ^(٥) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه يوماً « مالي لأرى
 عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة ؟ قال التواضع ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا
 رأيتم التواضعين من أمي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم التكبرين فكبروا عليهم فإن ذلك مذلة لهم
 وصغار ^(٧) » . الآثار : قال عمر رضي الله عنه : إن البعد إذا تواضع قد رفع الله حكمته وقال امتنع
 رفعك الله وإذا تكبر وعدا طوره رهمه الله في الأرض وقال أخشأ خشأك الله فهو في نفسه كبير
 وفي أعين الناس حقير حتى إنه لأخفر عندهم من الخنزير . وقال جرير بن عبد الله : انتهت مرة إلى
 شجرة تحتمها رجل نائم قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم إن الرجل استعظ
 فاذا هو سلمان الفارسي فذكرت له ما صنعت فقال لي يا جرير تواضع في الدنيا فإنه من تواضع في الدنيا
 رفعه الله يوم القيامة يا جرير أتدري ما طلة النار يوم القيامة ؟ قلت لا قال إنه ظلم الناس بعضهم بعضاً
 في الدنيا . وقالت عائشة رضي الله عنها إنكم لنفعلون عن أفضل العبادات التواضع . وقال يوسف بن
 أسباط : يجرى قليل الورع من كثير العمل ويجزى قليل التواضع من كثير الاجتهاد . وقال الفضيل
 وقد شغل عن التواضع ما هو ؟ قل أن تخضع للحق وتتقاه ولو لم يستمن من قلبك ولم يستمن من أجل
 الناس قبلته . وقال ابن المبارك : رأس التواضع أن تضع نفسك عندهم دونك في نعمة الدنيا حتى تلههاته
 ليس لك بدنياك عليه فضل وأن ترفع نفسك عنهم هو فوقك في الدنيا حتى تلههاته ليس له بدنياك عليك
 فضل . وقال قتادة : من أعطى مالا أو جلالاً أو ثياباً أو علماً لم يتواضع فيه كان عليه وبالاً يوم القيامة .
 وقول أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : إذا نعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاسكانة آتمة عليها .

(١) حديث أربع لا يحطبن الله إلا من يحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع
 والزهّد في الدنيا الطبراني والحاكم من حديث أنس أربع لا يصبغ الصمت وهو أول العبادة
 والتواضع وذكر الله وقلة الشيء قال الحاكم صحيح الإسناد قلت في العوام من جورية قال ابن حبان
 يروي الموضوعات ثم روى له هذا الحديث (٢) حديث ابن عباس إذا تواضع البدر رفع الله رأسه إلى
 السماء السابعة النبي في الشعب نحوه وفيه زمة بن صالح ضعف الجمهور (٣) حديث إن التواضع
 لا يزيد البعد إلا رغبة الحديث الأصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث أنس وفيه بسمين الحسين
 وهو ضيف جداً ورواه ابن عدي من حديث ابن عمر وفيه الحسن بن عبد الرحمن الاحتياص
 وخارجة بن مصعب وكلاهما ضعيف (٤) حديث كان يطعم فجاءه رجل أسود به جذري فجعل لا يجلس
 إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه لم أجده هكذا والرواف أكله
 مع مجذوم رواه أبو داود والترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث جابر كما تقدم (٥) حديث
 إنه لم يجب أن يحمل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه ، غريب
 (٦) حديث مالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة ؟ قال التواضع ، غريب أيضاً
 (٧) حديث إذا رأيتم التواضعين من أمي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم التكبرين فكبروا عليهم
 فإن ذلك لهم مذلة وصغار ، غريب أيضاً .

وإيقان ولا يتالي بما
 لبسه ناعمال ليس أو خشنا
 وربما لبس ناعما
 ونفسه فيه اختيار
 وحظ وذلك الحظ فيه
 يكون مكفر المردودا
 عليه موهوبا له بواقته
 الله تعالى في إرادة نفسه
 ويكون هذا الشخص
 تام الزكية تام الطهارة
 محبوبا مراد ابرع الله
 تعالى إلى مراده ومحابه
 غير أن ههنا مزية قدم
 لكثير من الدعين .
 حكى عن يحيى بن معاذ
 الرازي أنه كان يلبس
 الصوف والحلقان في
 ابتداء أمره ثم صار في
 آخر عمره يلبس الناعم
 قبل لأبي يزيد ذلك

وقال كعب ما أئتم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نعمها في الدنيا ورفع بها درجة في الآخرة وما أئتم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله إلا منعه الله نعمها في الدنيا وفتح له طبقا من النار يعضه به إن شاء الله أو تجاوزته. وقيل لعبد الملك ابن مردوان أئتم الرجال أفضل ؟ قال من تواضع عن قدرة وزهد عن رغبة وترك النصره عن قوة . ودخل ابن السكك على هرون فقال بأمر للؤمنين إن تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك فقال ما أحسن ما قلت فقال بأمر للؤمنين إن امرأ آتاه الله جمالا في خلقته وموضعا في حسيه وبسط له في ذات يده فنف في جماله وولسى من ماله وتواضع في حسيه كتب في ديوان الله من خالص أولياء الله فغدا هرون بدولة وقرطاس وكتبه يده . وكان سليمان بن داود عليهما السلام إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يجيء إليه إلى لسا كين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين . وقال بعضهم كما تكبره أن يراك الأغنياء في الثياب الدون فكذلك فاكره أن يراك الفقراء في الثياب للترفة . وردى أنه خرج يولس وأيوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن أتدرون ما التواضع ؟ التواضع أن تخرج من منزلك ولاتلق مسلما إلا رأيت له عليك فضلا . وقال مجاهد: إن الله تعالى لما أغرق قوم نوح عليه السلام فحمضت الجبال وتطاوت وتواضع الجودي فرفضه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه . وقال أبو سليمان : إن الله عز وجل اطلع على قلوب الأدميين فلم يجد قلبا أهد تواضعا من قاب موسى عليه السلام فغضب من بينهم بالكلام . وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم أشك في الرحمة لولائي كنت معهم إني أخشى أنهم حرموا بسبي وقال أرفع ما يكون للؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه وأوضع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه . وقال زياد الحري : الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لاتثمر . وقال مالك بن دينار : لو أن ناديا نادى ياب السجد ليخرج شوك رجل وألها ما كان أحد يسبقني إلى الباب إلا رجلا بفضل قوة أو مسمى قال فلا يلج ابن الباركة قوله قال بهذه صار مالك مالكا . وقال الفضيل : من أحب الرياسة لم يباع أبدا . وقال موسى بن القاسم : كانت تخمدنا زلزلة وريح حمره فذهبت إلى محمد بن مقاتل فقلت يا أبا عبد الله أنت إمامنا قانع الله عز وجل لنا فبكي ثم قال ليتني لم أكن سبب هلاككم قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال إن الله عز وجل رفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما أنت ؟ وكان هذا دأبه وعادته فقال أنا النقطه التي تحت الباء قال له النبي أباد الله شاهدك أو تجعل نفسك موضعا . وقال النبي في بعض كلامه : ذلي عطل ذل البرود . ويقال من يرى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب . وعن أبي الفتح بن شحرف قال رأيت على بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت له يا أبا الحسن عظمي فقال لي ما أحسن التواضع بالأغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله وأحسن من ذلك تبه الفقراء على الأغنياء فقه منهم بالله عز وجل . وقال أبو سليمان : لا يتواضع البعد حتى يعرف نفسه وقال أبو يزيد : مادام البعد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قليل لهفتي يكون متواضعا قال : إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل إنسان في قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه . وقال أبو سليمان : لو اجتمع الخلق على أن يمشروني كاتنماعي عند نفسي ما قدروا عليه . وقال عروة بن الورد : التواضع أحد مفايد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها إلا التواضع . وقال يحيى بن خالد البرمكي : الشرف إذا تفلسك تواضع والسفيه إذا تفلسك عاظم . وقال يحيى بن ماز : التكبر على ذوى التكبر عليك بحاله تواضع ، ويقال التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الأغنياء أحسن والتكبر في الخلق كلهم قبيح

قال مسكين يحيى لم
يسبر على الدون
فكيف يسبر على
التعجب من الناس من
يسبق إليه علم ما سوف
يدخل عليه من
اللبوس فلبسه محمدا
فيه وكل أحوال
الصادقين على اختلاف
تنوعها مستحسنة
- قل كل يعمل على
شاكلته فربكم أعلمين
هو أهدى ميلا -
وليس الخشن من
التيب هو الأحب
والأولى والأسلم للعبد
والأبعد من الآفات .
قال مسلمة بن عبد الملك
دخلت على عمر بن

وفي الفقراء أفسح ، ويقال لأعزّ إلّا لمن تغفل عنه عز وجل ولا رفة إلّا لمن تواضع لله عز وجل ولا أمن إلّا لمن خاف الله عز وجل ولا ربح إلّا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل . وقال أبو يونس الجوزجاني : النفس معبودة بالكبر والحرص والحسد فمن أراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والصيغة والتناعة وإذا أراد الله تعالى به خيرا لطف به في ذلك فإذا هاجت في نفسه نار الكبر أدركها التواضع مع نصرة الله تعالى وإذا هاجت نار الحسد في نفسه أدركتها النصيحة مع توفيق الله عز وجل وإذا هاجت في نفسه نار الحرص أدركتها القناعة مع عون الله عز وجل . وعن الجنيّد رحمه الله أنه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولائه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ويكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ^(١) ماتكلمت عليكم . وقال الجنيّد أيضا : التواضع عند أهل التوحيد تكبر ولعل مراده أن التواضع يثبت نفسه ثم يضمها للوحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضمها أو يرفعها وعن عمرو ابن شبة ذلك كنت بمكة بين الصفا والروثة فرأيت رجلا راكبا بقعة وبين يديه غلمان وإذا هم ينفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بئداد فكنست على الجسر فإذا أنا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت أنظر إليه وأتأمله فقال لي مالك تنظر إلى قلعتك له شربتك برجله وأنت بمكة وكروصفت له الصفة فقال له أناذك الرجل قتلنا ماضل الله بك ؟ فقال إنى ترفض في موضع يتواضع فيه الناس فوضعي الله حيث يرفع الناس . وقال الثوري : كنا نهاب إبراهيم الخثعمي هبة الأمير وكان يقول إن زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء وكان عطاء السلي إذا مع صوت الرد قام وقعد وأخذ يبطن كأنه امرأة ماخض وقال هذا من أجلى يسبيكم ، لومات عطاء لا استراح الناس . وكان بشر الحافي يقول سلوا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله بن المبارك قال أعطاك ما ترجوه فقال إن الرجاء يكون بعد المرة فأبى المرة . وتخارعت قريش عند سلمان الفارسي رضى الله عنه يوما فقال سلمان لكنى خلقت من نطفة قدرة ثم أعود جيفة مفتقة ثم آتى البرزخ فان هلك فأننا كرم وإن خف فأننا لئيم . وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : وجدنا الكرم في التقوى والنهي في اليقين والشرف في التواضع . نسأل الله الكريم حسن التوفيق .

(بيان حقيقة الكبر وآفته)

اعلم أن الكبر ينقسم إلى باطن وظاهر : فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح واسم الصّكبر بالخلق الباطن أحق وأما الأعمال فانها ثمرات لتلك الخلق وخلق الكبر موجب للأعمال ولذلك إذا ظهر على الجوارح يقال تكبر وإذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالأصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاستراخ والركون إلى رؤية النفس فوق التكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبّرا عليه ومتكبّرا به وبه ينفصل الكبر عن الجب كما سيأتى فان الجب لا يستدعي غير الجب بل لو لم يخلق الإنسان إلا وحده تصور أن يكون معجبا ولا تصور أن يكون متكبّرا إلا لأن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فبذلك يكون متكبّرا ولا يكفي أن يستعظم نفسه ليكون متكبّرا فانه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي أن يستعثر غيره فانه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه

(١) حديث يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم الترمذى من حديث أبي هريرة إذا اتخذنا دولاً الحديث وفيه كان زعيم القوم أرذلهم الحديث وقال غريب وله من حديث علي بن أبي طالب إذا ضلّت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء فذكر منها وكان زعيم القوم أرذلهم ولا يقيم في الحلية من حديث حذيفة من اقتراب الساعة اثنان وسبعون خصلة فذكر هاهنا وفيها فخرج من فضلة ضعيف

بعد العزيز أعوده في مرثته فرأيت قيصة وسما قتلنا لامرأته فاطمة اغسلوا ثياب أمير المؤمنين قتلت قتل إن شاء الله قال ثم هددته فإذا القميص على حاله قتلنا فاطمة ألم أمركم أن تملؤوه ؟ قالت والله ما له قبص غير هذا . وقال سامان كان محمد بن عبد العزيز من أئمة الناس لباسا من قبل أن يسلم إليه الخلافة فلما سلم إليه الخلافة ضرب رأسه بين ركبتيه وبكى ثم دعا بطهارته ثم قال لبسا وتقبل المسامات أبو الورداء وجد في ثوبه أربعون

لم يشكر بل يبنى أن يرى نفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فمذهبه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خاف الكبر لا أن هذه الرؤية تنفي الكبر بل هذه الرؤية هي العقيدة تنفع فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون إلى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك تلك العزة والهزة والركون إلى العقيدة هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «أعوذ بك من نخعة الكبرياء» (١) وكذلك قال عمر أخشى أن تنتفع حتى تبلغ الثريا للذي استأذنه أن يظل بعد صلاة الصبح فكأن الإنسان مهما رأى نفسه بهذه العين وهو الاستظام كبر وانتفع وتمزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى أيضا عزة وتغطا ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى - إن في صدورهم إلا كبر مام ياليت - قال عظمة لا يلقوا ففسر الكبر بذلك العظمة ثم هذه العزة تختص أفعالا في الظاهر والباطن هي غررات ويسمى ذلك تكبر فإنه مهما عظم عنده قدره بالإضافة إلى غيره حقر من دونه وازدراء وأقصاء عن نفسه وأبعد وترفع عن مجالسته ومما كلفه ورأى أن حقه أن يقوم مثالا بين يديه إن اشتد كبره فإن كان أشد من ذلك استكف من استخدامه ولم يجعل أهلا للقيام بين يديه ولا بخدمة عبيته فإن كان دون ذلك فأنف من مساوئته وتقدم عليه في مضائق الطرق وارتفع عليه في الحافل وانتظر أن يبدأ به السلام واستبعد نفسه من قضاء حوائجه وتجب منه وإن حاج أو ناظر أنف أن يرد عليه وإن عظم استكف من القول وإن عظم غف في الصح وإن رد عليه شيء من قوله غضب وإن علم لم يرق بالتلميع واستخدمه واتبرم وامتن عليهم واستخدمهم وينظر إلى العامة كأنه ينظر إلى الخمر استهلا لهم واستقاروا الأعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهي أكثر من أن نحصى فلاحاجة إلى تعدادها فاتها مشهورة فها هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه ملك الخواص من الخلق وتلفا بنك عنه العباد والزهاد والملاء فضلا عن عوام الخلق وكيف لا تنظم آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر» (٢) وإيضا صار حجابا دون الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة والكبر وعز النفس يعاق تلك الأبواب كلها لأنه لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق المؤمنين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر أن يذم على الصديق وفيه العز ولا يقدر على ترك الضرب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز ولا يقدر على قول النصيحة وفيه العز ولا يقدر أن يلدن بالأس ومن اغتياهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فإسم خلق ذمهم إلا وصاحب العز والكبر مضطرا إليه ليحفظه عزمه وسام خاف محمود إلا وهو عاجز عنه خوفا من أن يغوته عزمه فمن هذا يدخل الجنة من في قلبه متغال بحمته والأخلاق السنية متلازمة والبعض منها داع إلى البعض لعلالة وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والافتقار له وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والتكبرين قال الله تعالى - وللناسكة باسطينا أيديهم - إلى قوله - وكنت عن آياته تستكبرون - ثم قال - فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين - ثم أخبر أن أشد أهل النار عذابا أشدهم عذابا على الله تعالى قال - ثم لنزعه من كل شيعة أبهم أشد على الرحمن عتيا - وقال تعالى - فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون - وقال عز وجل - يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنهم لكانوا مؤمنين -

(١) حديث أعوذ بك من نخعة الكبرياء تقدم فيه (٢) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر تقدم فيه .

رقعة وكان عطاؤه أربعة آلاف . وقال زيد بن وهب : لبس طي بن أبي طالب قيسا رازيا وكان إذا مدحه بلغ أطراف أصابعه فعابه الحوارج بذلك فقال أنبيوني طي لبس هو أجد من الكبر وأجد أن يفتدى بي السلم وقيل : كان عمر رضى الله عنه إذا رأى طي رجلا فبين رقيقين علام بالرد وقال دعوا هذه البراقات للنساء . وردى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال نوروا قلوبكم بلباس الصوف

وقال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال تعالى - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض غير الحق - قيل في التفسير سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفسيرات سأحبب قلوبهم عن الملكوت . وقال ابن جرير سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويتبرأوا بها ولذلك قال السبع عليه السلام إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تمل في قلب التواضع ولا تعمل في قلب التكبر ألا ترون أن من فجع برأيه إلى السفن شجه ومن طأطا أظله وأكفه فهذا مثل ضربه للمتكبرين وأنهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جلود الحق في حد التكبر والكشف عن حقيقته ، وقال « من صفه الحق وغشم الناس (١) » .

(بيان للتكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات التكبر فيه)

اعلم أن التكبر عليه هو الله تعالى أو رسله أو سائر خلقه موقد خلق الإنسان ظوا مجاهولاً خادراً يتكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخالق فاذن التكبر باعتبار التكبر عليه ثلاثة أقسام : الأول التكبر على الله وذلك هو الخشن أنواع التكبر ولا مثار له إلا الجهل المحض والظلمان مثل ما كان من نمرود فإنه كان يحدث نفسه بأن يقابل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجاهل بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فإنه تكبره قال أنا ربكم الأعلى إذ استنكف أن يكون عبداً لله ، ولذلك قال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال تعالى - لن يستنكف السبع أن يكون عبداً لله ولا لللائكة القربون - الآية وقال تعالى - وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا . القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تمزج النفس ورفضها عن الاتهاد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستيعار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فينتع عن الاتهاد وهو ظان أنه محق فيه وتارة يتمتع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للاتهاد للحق والتواضع للرسل كما حكي الله عن قولهم - أنؤمن لبشرين مثلنا - وقولهم - إن آتاهم إلا بشر مثنا - ولئن أعطهم بشراً مثلك إنك إذا لحاسرون - وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا اللائلة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا أكبرا - وقالوا لولا أنزل عليه ملك - وقال فرعون فيما أخبر الله عنه - أو جاءهم لللائكة مقترنين - وقال الله تعالى - واستكبروه وجنوده في الأرض غير الحق - فتكبر هو على الله وعلى رسله جميعاً ، قال وهب قال له موسى عليه السلام آمين ولك ملكك قال حتى أشاور هامان فشاور هامان فقال هامان يا أنت رب تبعد إذ صرت عبداً تبعد فاستنكف عن عبودية الله وعن إتباع موسى عليه السلام وقالت قريش فيما أخبر الله تعالى عنهم - لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - قال قتادة عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفي طلبوا من هو أعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم إذ قالوا غلام يتيم كيف يسه الله أن يقال تعالى - أقم يقيمون رحمة ربك - وقال الله تعالى - ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس استخفناهم واستبدناهم لتقمهم وقالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم - كيف تجلس إليك ومنك هؤلاء وأشأروا إلى قراء السلفين فازدروهم بأعينهم لقرهم وتكبروا من مجالستهم فأقر الله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالقعدة والشيء - إلى قوله - ما عليك من حسابهم - وقال تعالى - واسم

فانه منزلة في الدنيا وثور

في الآخرة وإياكم أن
تفسدوا دينكم بحمد
الناس وثائهم . وروى
أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم احتدى
نخلين فلما نظر إليهما
أعجبهما حسنا فسجد
له تعالى قبله في ذلك
فقال خشيت أن يمرض
عن ربى فواضعت
له لاجرم لا يبيتان
في منزلي لما تخوفت
للقب من الله تعالى
من أجلهما فأخرجهما
فدفعهما إلى أول
مسكين لقيه ثم أمر
فأعترى له ثلثان
مخضوفان . وروى أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم لبس

(١) حديث التكبر من صفه الحق وغشم الناس مسلم من حديث ابن مسعود في أثناء حديث وقال بطر
الحق وغشم الناس ورواه الترمذي فقال من بطر الحق وغشم الناس وقال حسن صحيح ورواه أحمد
من حديث عتبة بن عامر بلقظ الصنف ورواه البيهقي في الشعب من حديث أبي ربحانة كهنا ،

تسلك مع الذين يدعون ربه بالعداة والحق يريدون وجهه ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا (١) ثم أخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم إذ لم يروا الذين أزدروهم فقالوا لئلا نرى رجلاً كنا نعدهم من الأشرار قيل يصون عماراً وبلااً وصيباً والقعداء رضى الله عنهم ثم كان منهم من منه الكبر عن الفكر والمعرفة فجعل كونه صلى الله عليه وسلم محققاً ومنهم من عرف منه الكبر عن الاعتراف قال الله تعالى عبروا عنهم - فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به - وقال - وجعلوا بها واستغنياً أنفسهم علماً وعلواً - وهذا الكبر قرب من التكبر على الله عز وجل وإن كان دونه ولكنه تكبر على قبول أمراًه والتواضع لرسوله . القسم الثالث : التكبر على العباد وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحق غيره فتأني نفسه عن الاعتقاد لهم وتدعوه إلى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف من مساواتهم وهذا وإن كان دون الأول والثاني فهو أيضاً عظيم من وجهين : أحدهما أن الكبر والموالاة العظيمة والعلو لا يليق إلا بالملك القادر فأما البعد الملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن أين يليق بحاله الكبر ففهما تكبر البعد فقد نازع الله تعالى في صفة لا يليق إلا بعجله ، ومثاله أن يأخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على رأسه ويجلس على سريره فلما أعظم استحقاقه للقت وما أعظم تهدفه للخرى والتكال وما أشد استجراره على مولاه وما أقبح ما عاطاءه ، وإلى هذا النقي الإشارة بقوله تعالى والعظمة إزارى والكبرياء ردأى فمن نازعنى فيها قصمته أي أنه خاص صفى ولا يليق إلا به والنزاع فيه منازع في صفة من صفات وإذا كان الكبر على عباده لا يليق إلا به فمن تكبر على عباده قد جنى عليه إذ الذي يسترذل خواص غلمان الملك ويستعدهم ويترف عليهم ويستأثر بمناقب الملك أن يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض أمره وإن لم يبلغ درجة درجة من أراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالخافى كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه ، نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك في استغفار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في أصل الملك . الوجه الثاني الذي تعظم به رذيلة الكبر أنه يدعو إلى مخالفة الله تعالى في أوامره لأن التكبر إذا سمع الحق من عبد من عباد الله استكف عن قبوله وتشمر لجده ولذلك ترى الناظرين في مسائل الدين يزعمون أنهم يتباحثون عن أسرار الدين ثم إنهم يتجادلون بمجادد التكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم أنف الآخر من قبوله وتشمر لجده واحتمل لدفعه بما يقدر عليه من التلبس وذلك من أخلاق الكافرين والناقين إذ وصفتهم الله تعالى فقال - وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلون - فكل من يناظر للغبية والإفحام لا يهتم الحق إذا ظفر به فقد شاركتهم في هذا الخلق وكذلك جعل ذلك على الأنفة من قبول الوعظ كما قال الله تعالى - وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم - وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قرأها فقال إن الله وإنا إليه راجعون قام رجل بأمر المعروف فقتل قدام آخر فقال تفتلون الذين يأمرون بالقسمة من الناس فقتل التكبر الذي خالفه والذي أمره بكبراً وقال ابن مسعود كنى بالرجل [ع] إذا قيل له اتق الله قال عليك تسلك وقال عليه السلام لرجل وكل يمينك قال لا أستطيع فقال صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما منه إلا كبره قال فما رفعها بعد ذلك (٢) ؟

(١) حديث قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نجلس إليك وعندك هؤلاء الحديث في نزول قوله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربه - مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص إلا أنه قال فقال للشركون وقال ابن ماجه قالت قريش (٢) حديث قال لرجل كل يمينك قال لا أستطيع فقال لا استطعت الحديث مسلم من حديث سلمة بن الأكوع .

الصرف واحتذى
المصروف وأكل مع
البيد وإذا كانت
النفس على الآفات
فالوقوف على دسائسها
وخفى شوائبها وكمن
هواها عسر جداً
فالأيق والأجسام
والأولى الأخذ بالأحوط
وترك ما يريب إلى ما
لا يريب ولا يجوز للبدن
الدخول في السعة إلا
بعد إتيان علم السعة
وكان تزكية النفس
وذلك إذا غابت النفس
بشيء هواها التبع
وتخلصت النية وتسد
الصرف بلم صريح
واضح وللزعة أقوام
يركبونها ويراعونها

أى اعتات يده ، فأذن تكبره على الحاق عظيم لأنه سيدعوه إلى التكبر على أمر الله ولما مضى إبليس مثلما لمحاكمه من أحواله إلا ليحتر به فانه قال : أتأخير منه . وهذا التكبر بالنسب لأنه قال : أتأخير منه خاقتى من نار وخلقته من طين . فعمله ذلك على أن ينتقم من السجود الذى أمره الله تعالى به وكان يمدوه الكبر على آدم والحسد له بجره ذلك إلى التكبر على أمر الله تعالى فكان ذلك سبب هلاكه أبدأ الآداب فهذه آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بآيتين الآيتين إذ سأله ثابت بن قيس بن هاشم فقال يا رسول الله « إني امرؤ قد حبب إلى من الجاهل ماترى أفن الكبر هو ؟ » فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وخمسه الناس (١) . وفى حديث آخر « من سفه الحق (٢) » وقوله وخمسه الناس أى ازدرأهم واستحقرهم وهم عبادة الله أمثاله وأخيرهم وهذه الآفة الأولى وسفه الحق هو رده وهى الآفة الثانية فكل من رأى أنه خير من أخيه واحتقر أخاه وازدرأه ونظر إليه بعين الاستصغار أورد الحق وهو يعرفه قد تكبر فيها بينه وبين الحق ومن أنف من أن يخضع لله تعالى ويتواضع لله بطاعته واتباع رسله قد تكبر فيها بينه وبين الله تعالى ورده .

(بيان مآب التكرار)

اعلم أنه لا يتكبر إلا على ما استعظم نفسه ولا يستعظمها إلا وهو يعتقد لها صفات الكمال وجوامع ذلك يرجع إلى كمال ديني أو دنيوي فالدينى هو العلم والعمل والدينى هو التسبب والجل والقوة واللال وكثرة الأنصار فهذه سبعة أسباب الأول : العلم وما أسرع الكبر إلى العلماء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « آفة العلم الجلاء (٣) » فلا يلبث العالم أن يتميز بجزء العلم يستعظمه في نفسه جمال العلم وكاله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر إليهم نظره إلى الهائم ويستجلبهم ويتوقع أن يمدوه بالسلام فان بدأه واحد منهم بالسلام أورد عليه يشر أوقام له أو أجاب له دعوة رأى ذلك صنعة عنده ويداعبه يلزمه شكرها واعتقد أنه أكرمهم وقيل بهم ما لا يستحقون من مثله وأنه ينبغي أن يرفقوا له ويغذوه شكره على صنعه بل القالب أنهم يبرونه فلا يبرهم ويزورونه فلا يزورهم ويودونه فلا يودهم ويستخدم من خالطه منهم ويستخبره في حوائجه فان قصر فيه استكره كأنهم عبيده أو أجراءه وكان خائبه العلم صنعة منه إليهم ومعروف لديهم واستحقاق حق عليهم هذا فبا يتناق بالدينا ، أما في أمرا الآخرة فتكبره عليهم بأن يرى نفسه عند الله تعالى أعلى وأفضل منهم فيخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه ويرجو نفسه أكثر مما يرجو لهم وهذا بأن يسمى جاهلا أولى من أن يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذى يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الجامعة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه كسبائى في طريق معالجة الكبر بالعلم ، وهذا العلم يزيد خوفا وتواضعا وتخشعا ، ويتفتى أن يرى كل الناس خيرا منه لعظم حجة الله عليهم بالعلم وتقصره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال أبو البرداء من ازداد علما ازداد وجها وهو كما قال . فان قلت فما بال بعض الناس يزاد بالعلم كبرا وأمنا . فاعلم أن لذلك سببين : أحدهما أن يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس علما حقيقيا

(١) حديث قول ثابت بن قيس بن هاشم إني امرؤ قد حبب إلى من الجاهل ماترى الحديث وفيه الكبر من بطر الحق وخمسه الناس مسلم والترمذى وقد تقدم قبله بمحدثين (٢) حديث الكبر من سفه الحق وخمسه الناس تقدم منه (٣) حديث آفة العلم الجلاء . قلت هكذا ذكره للصفه وللغروف آفة العلم التسيان وآفة الجلال الجلاء هكذا رواه القضاعى في مسند الشهاب من حديث على بسند ضيف . وروى عنه أبو منصور الديلى في مسند الفردوس آفة الجلال الجلاء وفيه الحسن بن عبد الجيد السكوفي لا يدرى من هو حدث عن أبيه بحديث « موضوع قاله صاحب البران .

لا يرون التزول إلى الرخص خوفا من فوت فضيلة الزهد في الدنيا واللباس الناعم من الدنيا وقد قيل من رقى ثوبه رقى دينه وقد رخص من ذلك لمن لا يلتزم بالزهد ويقتطع على رخصة الشروع . وروى علقمة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يدخل الجنة كل من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر » فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ولعله حسنا فقال النبي عليه

وإنما العلم الحقيقي ما يعرف به البعد ربه ونفسه خطر أمره في لقاء الله والحجاب منه وهذا يورث الحشية والتواضع دون التكبر والأمن قال الله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - فأما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل المحسومات وطرق المجادلات فإذا تجرد الإنسان لها حق امتلاك منها امتلاكاً كبيراً وثاقاً وهذه بأن تسمى صناعات أولى من أن تسمى علوماً بل العلم هو معرفة الصبوة والربوبية وطريق العبادة وهذه ثور التواضع غالباً . السبب الثاني أن يحوض البعد في العلم وهو خبيث الدخلة ردى النفس سيئ الأخلاق فإنه لم يشغل أولاً بهذيب نفسه وتزكية قلبه بأنواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فيبقى خبيثاً الجوهر فإذا خاض في العلم أى علم كان صادف العلم من قلبه منزلاً خبيثاً فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير أثره وقد ضرب وهيب لهذا مثلاً فقال العلم كالقث يزل من السماء حلوا صافياً فتشربه الأشجار ببروقها فتحول على قدر طومها فيزداد للر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم تحفظه الرجال فتحوله على قدر همهم وأهوائهم فيزيد التكبر كبراً والتواضع تواضعاً وهذا لأن من كانت همته التكبر وهو جاهل فإذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبراً وإذا كان الرجل خاضعاً مع جهله فازداد علماً علم أن الحقبة قد تآكلت عليه فيزداد خوفاً واشفاقاً وذلك وتواضعا فالعلم من أعظم ما يتكبر به ولذلك قال تعالى لنبيه عليه السلام - واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين - وقال عز وجل - ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك - ووصف أوليائه فقال أدلة على المؤمنين أعزدة على الكافرين - وكذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الناس رضى الله عنه « يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأنا ومن منا ثم التفت إلى أصحابه وقال أولئك منكم أيها الأمة أولئك هم وقود النار » (١) ولذلك قال عمر رضى الله عنه لا تسكونوا جارية العلماء فلا يني علمكم بهلكم ، ولذلك استأذن نعيم الدارنى عمر رضى الله عنه في القصص فأبى أن يأذن له وقال إنه الذبح واستأذنه رجل كان إمام قوم أنه إذا سلم من صلاته ذكرهم فقال إني أخاف أن تنتهع حتى تبلغ التريا وصلى حذيفة يقوم فلما سلم من صلاته قال للتمس إماماً غيرى أو لصان وحدانا فأبى رأتى نفسى أنه ليس في القوم أفضل منى فإذا كان مثل حذيفة لا يسلم فكيف يسلم الضمفاء من متأخري هذه الأمة فساء على بساط الأرض علماً يستحق أن يقال له عالم ثم إنه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فإن وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي أن يخارق بل يكون النظر إليه عبادة فضلاً عن الاستفادة من أنفاسه وأحواله لو عرفنا ذلك ولو في أقصى الصين أسعينا إليه رجاء أن تشملنا بركته ونسرى إلينا سيرته وسجنته وهيبات فأبى يسمح آخر الزمان بثمنهم فهم أرباب الإقبال وأصحاب الدول قد اقترضوا في القرن الأول ومن يلهم بل يعز في زماننا عالم ينتج في نفسه الأسف والحزن على فوات هذه الحصة فذلك أيضاً إما معدوم وإما عزز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « سيأتى على الناس زمان من تمسك فيه بشئ ما أتم عليه نجاحاً » لكان جدرياً بنا أن نتعجم والبياد بالله تعالى ورحمة اليأس والقطوع مع ما نحن عليه من سوء أحوالنا ومن لنا أيضاً بالتمسك بشئ ما كانوا عليه ولتنا أعسكنا بشر عثره . فسأل الله تعالى أن يعاملنا بما هو أهله ويستر علينا قبائح أعمالنا كما يقضيه كرمه وفضله . الثاني : العمل والعبادة وليس يتجلى عن رذيلة العز والكبر وإساءة قلوب الناس

(١) حديث البساسى يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأنا منا الحديث ابن المبارك في الزهد والرقائق (٢) حديث سيأتى على الناس زمان من تمسك بشئ ما أتم عليه نجاحاً أحد من رواية رجل عن أبى ذر .

السلام إن الله جميل يحب الجمال « فككون هذه الرخصة في حق من يلبس لاهوى نفسه في ذلك غير مفتخر به وغتال فأما من ليس الثوب للفتاخر بالدنيا والتكبر بها فقد ورد فيه وعيد . روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أزره للؤمن إلى نصف الساق فبا بينه وبين السكعين وما كان أسفل من السكعين فهو في النار من جر إزاره بطرا لم ينظر الله إليه يوم القيامة فيينا رجل ممن كان قبلكم يبيض في

الزهاد والعباد ويفترش الكبر منهم في الدين والدنيا أما في الدنيا فهو أنهم يرون غيرهم يزارتهم أولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقفون قيام الناس بشقاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذكركم بالزورع والقوى وتهديتهم على سائر الناس في المخطوط إلى جميع ما ذكرناه في حق النساء وكأنهم يرون عبادتهم منة على الخلق وأما في الدين فهو أن يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو المهلك تخفيا منهما رأى ذلك قال صلى الله عليه وسلم « إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم » (١) وإنما قال ذلك لأن هذا القول منه يدل على أنه مژدر بخلق الله تعالى يقول هلك الناس فهو مكره غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفر شرا احتشاده لقبره قال صلى الله عليه وسلم « كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه للعلم » (٢) وكمن من الفرق بينه وبين من يحبه الله ويطعمه لبيادته ويستعظمه ويرجوه مالا يرجوه لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم إياه لله فهم يتقربون إلى الله تعالى بالدنو منه وهو يسمعت إلى الله بالقرء والتباعد منهم كأنهم مرفوع عن مجالستهم فأجدرهم إذا حووا لصلاحة أن يتعلم الله إلى درجته في العمل وما أجدره إذا ازدراهم بيته أن ينقله الله إلى حد الجاهل كما روى أن رجلا في بني إسرائيل كان يقال له خليع بن إسرائيل لكثرة فساده من رجل آخر يقال له عابد بن إسرائيل وكان على رأس العابد حمامة تظله فلما مر الخليع به فقال الخليع في نفسه أنا خليع بن إسرائيل وهذا عابد بن إسرائيل فلو جلست إليه لعل الله يرحمني فجلس إليه فقال العابد أنا عابد بن إسرائيل وهذا خليع بن إسرائيل فكيف يجلس إلى فأنت منه وقال له قم عن فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان مرهما فليستأغا العمل قد غفرت للخليع وأجبت عمل العابد. وفي رواية أخرى فتولت

ردائه إذ أحبه رداؤه
غضب الله به الأرض
فبو يتجامل فيها إلى
يوم القيامة والأحوال
تختلف ومن صرحه
بصحة عليه صحت نيته
في ما كوله ولبوسه
وسائر تصاريفه وفي
كل الأحوال يستقيم
ويستمد باستقامة
الباطن مع الله تعالى
وبقدر ذلك تستقيم
تصاريف البدن كلها
بحسن توفيق الله
تعالى .

[الباب الخامس
والأربون في ذكر
فضل قيام الليل]
قال الله تعالى - إذ
يشفيكم الناس أمة

التمناه إلى رأس الخليع وهذا يعرفك أن الله تعالى إنما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل العاصي إذا تواضع هيئة له وذل خوفا منه قد أطاع الله بقلبه فهو أطوع لله من المالم لتكبره والنابد العجب، وكذلك روى أن رجلا في بني إسرائيل أتى عبدا من بني إسرائيل فوطىء على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فو الله لا ينفر الله لك فأوحى الله إليه أيها للتألى على بل أنت لا ينفر الله لك (٣) وكذلك قال الحسن وحق إن صاحب الصوف أشد كرا من صاحب الطرز الخزاى أن صاحب الخزبذل لصاحب الصوف ويرى الفضل له وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآفة أيضا قلنا ينفر عنها كثير من الباد وهو أنه لو استخف باستخف أو آذاه مؤذ استبد أن ينفر الله ولا يشك في أنه صار محقوا عند الله ولو أذى مسلما آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين التكبر والعجب واغترار بالله وقد ينهى الحق والباوة يعضهم إلى أن يتعدى ويقول سترون ما يجري عليه وإذا أصيب بنسبة زعم أن ذلك من كراماته وأن الله ما أراد به لإغواء غلبه والانتقام له منه مع أنه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف جماعة أدوا الأنياء صلوات الله عليهم فمنهم من قتلهم ومنهم من ضربهم ثم إن الله أهمل أكرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربما أسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الآخرة ثم الجاهل الفروور يظن أنه أكرم الله على من أنبيائه وأنه قد انتقم له بما لا ينتقم لأنبيائه به ولعله في مت الله بالعجا به وكبره وهو غافل عن هلاك

(١) حديث إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه للعلم ، مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ امرؤ من الشر (٣) حديث الرجل من بني إسرائيل الذي وطىء على رقبته عابد من بني إسرائيل وهو ساجد فقال ارفع فو الله لا ينفر الله لك الحديث أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة في قصة العابد الذي قال للعاصى والله لا ينفر الله لك أبدا وهو ينفر هذه السابقة وإسناده حسن .

نفسه فبذع عقيدة الفترين ، وأمالاً أكياس من العباد فيقولون ما كان يقول عطاء السلي حين كان
 تهب ربح أوتقع صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم إلا يبدي ولومات عطاء لتخلصوا ومافله الآخر بد
 انصرافه من عرفات كنت أرجو الرحمة لجيهم لولا كوني فيهم فانظر إلى الفرق بين الرجلين هذا يتق
 الله ظاهراً وباطناً وهو وجل على نفسه مزدور لعله وسعيه وذلك ربما يضمر من الرياء والكبر والحسد
 والنل ما هو ضحكة للشيطان به ثم إنه يخفى على الله بسله ومن اعتقد جزماً ما فوق أحدهم عباد الله فقد
 أخطأ بحمله جميع عمله فان الجهل أغشى العاصي وأعظم شيء يبعد العبد عن الله وحكمه لنفسه بأنه خير
 من غيره جهل محض وأمن من مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ولذلك روى أن رجلاً ذكر
 غير للنبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يارسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال إني أرى
 في وجهه سفة من الشيطان فلم يوقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنك
 بالله حدثتك نفسك أن ليس في القوم أفضل منك قال اللهم نعم ^(١) فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بنور النبوة ما تستكن في قلبه سفة في وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها أحد من العباد إلا من عصه الله
 لكن العلماء والعباد في آفة التكبر في ثلاث درجات. الدرجة الأولى: أن يكون التكبر مستتراً في قلبه يرى
 نفسه خيراً من غيره إلا أنه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيراً من نفسه وهذا قدر سخ
 في قلبه شجرة التكبر ولكنه قطع أعضائها بالكلمة. الثانية: أن يظهر ذلك على أفعاله بالترفع
 المجالس والتقدم على الأقران وإظهار الانكار على من يقصر في حقّه وأدنى ذلك في العلم أن يصمرخه
 للناس كأنه معرض عنهم وفي العابد أن يبس وجهه ويقطب جبينه كأنه متزهد عن الناس مستغتر لهم
 أو غضبان عليهم وليس يعلم السكين أن الورع ليس في الجهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يبس ولا في
 الحد حتى يصمر ولا في الرقة حتى تغطأ ولا في الذيل حتى يضم إنما الورع في القلوب قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم «التقوى ههنا وأشار إلى صدره» ^(٢) فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 «أكرم الخلق وأتقاهم وكان أوسعهم خلقاً وأكثرهم شئراً وتبساً وإنسياطاً» ^(٣) ولذلك قال الحارث
 ابن جزء الزريدي صاحب رسول الله ﷺ يجيب عن القراء كل طالب ضحاً فأما الذي تفتاه بشر
 وبله كيبوس عين عليك بلمه فلا أكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله سبحانه وتعالى يرضى ذلك
 لما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين -وهو لا الذي يظهر أثر التكبر
 على شفاعتهم فأحوالهم أخف حالاً من هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر التكبر على لسانه حتى
 يدعو إلى الدعوى والفاخرة والبهاة وتركبة النفس وحكايات الأحوال واللقامات والتشتر للعبة الغير
 في العلم والعمل أما العابد فانه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد من هو ماعمله ومن أين زعمه
 فيقول اللسان فيهم بالتعصب ثم يقف على نفسه ويقول إني لم أنظر منذ كذا وكذا ولا أنام الليل وأقوم
 القرآن في كل يوم وفلان يتنام سحراً ولا يكتر القراءة وما يجري مجراه وقد ترك نفسه ضناً فيقول
 تصدني فلان بسوء فهلك ولده وأخذ ماله أو مرض أو ما يجري مجراه يدعي الكرامة لنفسه وأما بهاته
 فهو أنه لو وقع قوم يصلون بالليل قام وصلى أكثر مما كان يصلي وإن كانوا يصبرون على الجوع
 فكيف نفسه الصبر ليلهم ويظهر له قوته ويجزم وكذلك يشتد في العبادة خوفاً من أن يقال غيره

منه وينزل عليك من
 السماء ماء ليطهركم به
 ويذهب عنكم رجز
 الشيطان - نزلت هذه
 الآية في المسلمين يوم
 بدر حيث نزلوا على
 حكتيب من الرمل
 تسوع فيه الأقدام
 وحوافر الدواب وسبقهم
 المشركون إلى ماء بدر
 العظمى وغلبهم عليها
 ونصيح المسلمون بين
 محدث وجنب وأصلهم
 الظما فوسوس لهم
 الشيطان أنكم زعمون
 أنكم على الحق وفيكم
 نبي الله وقد غلب
 المشركون على الشاء
 وأنتم تصلون عديين
 ومحبسين فكيف

(١) حديث أن رجلاً ذكر غير للنبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يارسول الله هذا الذي
 ذكرناه لك فقال إني أرى في وجهه سفة من الشيطان الحديث أحمد والبرز والدار لطفى من حديث
 أنس (٢) حديث التقوى ههنا وأشار إلى صدره مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث
 كان أكرم الخلق وأتقاهم الحديث تقدم في كتاب أخلاق النبوة .

أعبد منه وأقوى منه في دين الله وأما العالم فانه يتفاخر ويقول أنا متفرد في العلوم ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن أنت وماضلاك ومن لقيت وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليصرفه وعظم نفسه وأما باباها ته فهو أنه يجتهد في المناظرة أن ينقلب ولا ينقلب وبسر طول الليل والهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المناظرة والناظر والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الألفاظ وحفظ العلوم القريبة ليغرب بها على الأقران ويتعظم عليهم ويعظم الأحداث ألقاظها وأسانيد حقا برجل من أخطأ فيها فيظهر فضله وتقصان أقرانه ويخرج مهما أخطأ واحد منهم ليرد عليه ويسوء إذا أصابوا أحسن خيفة من أن يرى أنه أعظم منه فهذا كله أخلاق التكبر وآثاره التي يثمرها التمزق بالعلم والعمل وأين من يغلو عن جميع ذلك أو عن بعضه فليت شعري من الذي عرف هذه الأخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» (١) كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه من أهل النار وإنما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذي فهم أنه تعالى قال له إنك عندنا قدرا مالم تر لنفسك قدرا فان رأيت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه أن لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو التكبر بالعلم والعمل الثالث: التكبر بالحسب والنسب فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملا وعلمًا وقد يتكبر بعضهم فيرى أن الناس له أموال وعبيد ويأمن من مخالطتهم ومجالستهم ومجمرته على اللسان التفاهر به فيقول لغيره يا بنطي ويا هندی ويا زرقى من أنت ومن أبوك فأنا فلان ابن فلان وابن ثلثك أن يكلمني أو ينظر إلى وجهي مثلي تتكلم وما يجري مجراه وذلك عرق ذفين في النفس لا ينفك عنه نسب وإن كان صالحا وعاقلا إلا أنه قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الأحوال فان غلبه غضب أطاع ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روى عن أبي ذر أنه قال «قالت رجلا عند النبي ﷺ قتل لها ابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل» (٢) فقال أبو ذر رحمه الله أفاضطجعت وقلت لرجل ثم فطأ على خدي فانظر كيف نهى رسول الله ﷺ أن يرى لنفسه فضلا بكونه ابن يضاء وأن ذلك خطأ وجهل وانظر كيف تاب وقنع من نفسه شجرة التكبر بأخص قدم من تكبر عليه إذ عرف أن العز لا يقيمه إلا الذل ومن ذلك ما روى أن رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما للآخر أنا فلان ابن فلان فمن أنت لأم لك فقال النبي صلى الله عليه وسلم «افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان ابن فلان حتى عدتة فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل للذي افتخر بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم» (٣) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا لحما في جهنم أوليكون أمون على الله من الجملان التي تدرف بآنفها القدر» (٤) . الرابع : التفاخر بالجمال وذلك أكثر

ترجون الظفر عليهم فانزل الله تعالى مطرا من السماء سال منه الوادي تشرب السفون منه واغسلوا وتوضوا وسقوا الدواب وملئوا الأرض الأسقية ولبد الأرض حتى ثبت به الأقدام قال الله تعالى - وثبت به الأقدام - إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى يمكن أمدم الله تعالى بالملائكة حتى غلبوا للسكرين ولكل آية من القرآن ظهر وبطن وحد ومطلع والله تعالى كما جعل العاص رحمة ولينة للصباية خاصة في تلك الواقعة والحادثة فهو

(١) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر تقدم (٢) حديث أبي ذر قالت رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم قتل له بابن السوداء الحديث ابن المبارك في البر الوصلة مع اختلاف ولأحمد من حديثه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بخير من أحمروا أسود إلا أن فضله بقوى (٣) حديث أن رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما للآخر أنا فلان ابن فلان فمن أنت لأب لك الحديث عبد الله بن أحمد في زوائد المسند من حديث أبي بن كعب بامداد صحيح ورواه أحمد موقوفا على معاذ بقصة موسى قطع (٤) حديث ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا لحما في جهنم أوليكون أمون على الله من الجملان الحديث أبو داود والترمذي وحسنه

ما يجري بين النساء ويدعو ذلك إلى التنقص والتلب والقيية وذ كر عيوب الناس ومن ذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يدي هكذا أي أنها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قد اغتبتها ^(١) » وهذا منشؤه خفاء الكبر لأنها لو كانت أيضا قصيرة لما ذكرتها بالقصير فكأنها أجمعت بجماعتها واستقصرت المرأة في جنب نفسها قالت ما قالت . الخامس : الكبر بالمسال وذلك يجري بين الملوك وبين الخزائن وبين التجار في بضائعهم وبين الدعاة في أراضهم وبين للتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستعقر الغني الفقير ويتكبر عليه ويقول له أنت مكء ومسكين وأنا لو أردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن أنت وما معك وأثاث بيتي يساوي أكثر من جميع مالك وأنا أفقر في اليوم مالا أنا كله في سنة وكل ذلك لاستغنامه للنفي واستحقاره للفقير وكل ذلك جهل منه بفضيلة الفقر وآفة النفي وإليه الإشارة بقوله تعالى - فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا - حتى أجابه فقال - إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا نفسي ربى أن يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليا حسباناً من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا - وكان ذلك منه تكبرا بالمال والولد ثم بين الله عاقبة أمره بقوله - يا ليتني لم أشرك بربى أحدا - ومن ذلك تكبر قارون إذ قال تعالى إخبارا عن تكبره - فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه ذو حظ عظيم - السادس : الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على أهل الضعف . السابع : التكبر بالاتباع والأنصار والثلاثة والنفسان وبالعسيرة والأقارب والبنين ويجرى ذلك بين الملوك في المكترة بالجنود وبين العلماء في الكترة بالمستغدين . وبالمجلة فكل ما هو نعمة وأمكن أن يستد كال وإن لم يكن في نفسه كالا أمكن أن يتكبر به حتى إن الخنثى يتكبر على أقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة الخنثى لأنه يرى ذلك كالا فينخر به وإن لم يكن فله إلا نكالا وكذلك القاسق قد ينخر بكثرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والنفسان ويتكبر به لظنه أن ذلك كالأ وإن كان مخظا فيه فهذه جماع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلى بشيء منه على من لا يدلى به أو على من يدلى بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله أو فوقه عند الله تعالى كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو أعلم منه لظنه أنه هو الأعلم ولحسن اعتقاده في نفسه . نسال الله اللون بلفظه ورحمته إنه على كل شيء قدير .

(بيان البواعث على التكبر وأسبابه الهيجة ٤)

اعلم أن الكبر خلق باطن وأما ما يظهر من الأخلاق والأفعال فهي ثمرة وتيجة ويبنى أن تسمى تكبرا ونحس اسم الكبر بالباطن الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدره فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب الذي يتعلق بالتكبر كما سيأتى معناه فانه إذا عجب بنفسه وبعلمه وبمعه أو بشيء من أسبابه استعظم نفسه وتكبر وأما الكبر الظاهر فأسابيه ثلاثة : سبب في التكبر وسبب في التكبر عليه وسبب في يتعلق بغيرها . أما السبب الذي في التكبر فهو العجب والذي يتعلق بالتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرها هو الرياء فتصير الأسباب بهذا الاعتبار أربعة العجب والحقد والحسد والرياء . أما العجب فقد ذكرنا أنه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر الظاهر في الأعمال والأقوال والأحوال . وأما الحقد فانه يحمل على التكبر من غير عجب كاذبي يتكبر

وإن جان من حديث أبي هريرة (١) حديث عائشة دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يدي هكذا أي أنها قصيرة الحديث ختم في آفات اللسان .

رحمة عم المؤمنين
والنماس قسم صالح
من الأنعام العاجلة
للمريدين وهو أمانة
لقلوبهم عن منازعات
النفس لأن النفس
بالتوهم تستريح ولا
تتكو الكلال والتعب
إذ في شكائنا ونصها
تصدير القلب
وباحترامها بالنوم
بشرط العلم والاعتدال
راحة القلب لما بين
القلب والنفس من
للواطئة عند طمأننتها
للمريدين السالكين
قد قيل ينبغي أن يكون
ثلث الليل والنهار وما
حق لا يضرب الجسد
فيكون ثمان ساعات

على من يرى أنه مثله أو فوفه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فأورثه الغضب حقدًا ورسخ في قلبه بضه فهو كذلك لانتواضعه نفسه أن يتواضع له وإن كان عنده مستحق للتواضع فكأن من رذل لانتواضعه نفسه على التواضع لواحد من الأكابر لحقدته عليه أو بضه له وعمله ذلك على الحق إذا جاء من جهته وعلى الأثرة من قبول نصحه وعلى أن يجتهد في التقدم عليه وإن علم أنه لا يستحق ذلك وعلى أن لا يستحله وإن ظله فلا يحتدر إليه وإن جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به وأما الحسد فإنه أيضا يوجب البغض للمحسود وإن لم يكن من جهته إيذاء وسب يقتضي الغضب والحقد ويدعو الحسد أيضا إلى جعد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم فكأن من جاهل يشاق إلى العلم وقد بقي في رذيلة الجبل لاستكنافه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه حسدا وبضا عليه فهو يمرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بأنه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يمنعه على أن يسأله بأخلاق التكبرين وإن كان في باطنه ليس يرى نفسه فوفه . وأما الرياء فهو أيضا يدعو إلى أخلاق التكبرين حتى إن الرجل لينظر من يعلم أنه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسبة ولا حقد ولكن يمنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستغناء خيفة من أن يقول الناس إنه أفضل منه فيكون باعته على التكبر عليه الرياء المجرى ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه وأما الذي يتكبر بالعجب أو الحسد أو الحقد فإنه يتكبر أيضا عند الحاجة به مهما لم يكن مهما ثالث وكذلك قد ينتهي إلى نسب شريف كاذبا وهو يعلم أنه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينسب إلى ذلك النسب وترفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطريق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنًا بأنه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لعرفته بأنه كاذب في دعوى النسب ولكن بحمله الرياء على أفعال التكبرين وكأن اسم التكبر إنما يطلق في الأكثر على من يفعل هذه الأفعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر إلى الغير بين الاحتقار وهو إن سمى متكبرا فلاجل التشبه بأفعال الكبر . نسأل الله حسن التوفيق والله تعالى أعلم .

(بيان أخلاق التواضعين ومجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر)

اعلم أن التكبر يظهر في شمائل الرجل كعمر في وجهه ونظيره مشر أو إبطا فراه رأسه وجلسه مترجلا ومثكنا وفي أقواله حتى في صوته ونعمته وصيغته في الإيراد ويظهر في مشيته وتغيره وقامه وجلسه وحركته وسكاته ، وتعاظمه لأحد . وفي سائر ثقلياته في أحواله وأقواله وأعماله فمن التكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فهذا التكبر بأن يجب قيام الناس له أو يديه وقد قال على كرم الله وجهه من أراد أن يظهر إلى رجل من أهل النار فليشقر إلى رجل قاعد يدين يديه وقوم قيام . وقال أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا راوه لم يقوموا له لما يملكون من كراهته لذلك (١) . ومنها أن لا يمشي إلا ومعه غيره يمشي خلفه . قال أبو الدرداء لا زال العبد زداد من الله جدا ماشى خلفه . وكان عبد الرحمن بن عوف لا يرف من عبيده إذا كان لا يمشي عنهم في صورة ظاهرة ، ومشي قوم خلف الحسن البصري فمنهم وقال ما يبقى هذا من قلب العبد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأوقات يمشي مع بعض الأصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم (٢) إما لتعليم غيره أو لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب

(١) حديث أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا راوه لم يقوموا له الحديث تقدم في آداب الصلوة وفي أخلاق النبوة (٢) حديث كان في بعض الأوقات يمشي مع الأصحاب فيأمرهم بالتقدم أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة بسند ضعيف جدا أنه خرج يمشي إلى البقيع فتبعه أصحابه فوقف فأمرهم أن يتقدموا

النوم ساعتين من ذلك
يجعلهما للربد بالتيار
وست ساعات بالليل
وزيد في أحدهما
وينقص من الآخر
على قدر طول الليل
وقصره في الشتاء
والصيف وقد يكون
بحسن الإرادة وصدق
الطلب ينقص النوم
عن قدر الثلث ولا
يضر ذلك إذا صار
بالتدريج عادة وقد
يحمل ثقل السهر وقلة
النوم وجود الروح
والأنس فان النوم
طبعه بارد رطب ينفع
الجسد والنامغ ويسكن
من الحرارة واليبس
الحادث في الزواج فان

كما أخرج الثوب الجديد في الصلاة وأبدله بالخلع لأحد هذين العنيتين^(١). ومنها أن لا يزور غيره وإن كان يحسن من زيارته خير لميره في الدين وهو هذا التواضع. روى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من أتى أخاه فسلم عليه فسلم له قال: إن الله يحب المتواضعين»^(٢). ومنها أن لا يمشي في غير الطريق إلا بالضرورة. روى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من أتى أخاه فسلم عليه فسلم له قال: إن الله يحب المتواضعين»^(٣). ومنها أن لا يمشي في غير الطريق إلا بالضرورة. روى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من أتى أخاه فسلم عليه فسلم له قال: إن الله يحب المتواضعين»^(٤). ومنها أن لا يمشي في غير الطريق إلا بالضرورة. روى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من أتى أخاه فسلم عليه فسلم له قال: إن الله يحب المتواضعين»^(٥).

وهو من الكبر دخل رجل وعليه جدرى قد تشرب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه وعنده ناس من أصحابه يأكلون فما جلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى جنبه^(٦) وكان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا برص ولا مبتلى إلا أقدم على ما دلت عليه. ومنها أن لا يتعاطى بيده شيئا من التواضع خلافه روى أن عمر بن عبد العزيز أنه ليلة ضيف وكان يكتب فكد السراج بطما فقال الضيف أقوم إلى الصباح فأصلحه فقال ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه قال فأثبه الغلام فقال هي أول نومة نلها فقام وأخذ البطوملا للصباح زينا فقال الضيف قلت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما قص من شيء وخبر الناس من كان عند الله متواضعا. ومنها أن لا يأخذ متاعا وعمله إلى بيته وهو خلاف عادة للتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعل ذلك^(٧) وقال علي كرم الله

وجهه لا يتنص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شيء إلى عياله وكان أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير يحمل سطلا له من خشب إلى الحمام وقال ثابت بن أبي مالك رأيت أبا هريرة أجبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك. وعن الأصمعي بن نباتة قال كآنى أنظر إلى عمر رضي الله عنه معلقا لحا في يده اليسرى وفي يده اليمنى البصرة يدور في الأسواق حتى دخل رحله. وقال بعضهم رأيت عليا رضي الله عنه قد اشترى لحبا بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له أحمل عنك يا أمير المؤمنين فقال لا يا أبا الديلم أحق أن يحمل. ومنها اللباس إذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «البذانة من الإيمان»^(٨) فقال هرون سألت معنا عن البذانة فقال هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رأيت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى السوق ويده الدرة وعليه إزار فيه أربع عشرة رقعة بضمان آدم وعوب علي كرم الله وجهه في إزارين مرقوع فقال يقتدى به المؤمن ويخشع له القلب وقال عيسى

ومشي خلفهم فقلت عن ذلك فقال إني سمعت خلقا فقالوا فأسفقت أن يقع في نفسي شيء من الكبر وهو منكسر فيه جماعة ضغفاء^(٩) حديث إخراج الثوب الجديد في الصلاة وإبداله بالخلع. قلت للمعروف زرع الشرك الجديد ورد الشرك الحق أنزع الحمصة وليس الأنجانية وكلامها تقدم في الصلاة^(١٠) حديث أنس كانت الوليدة من ولادة المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحديث تقدم في آداب المعيشة^(١١) حديث الرجل الذي به جدرى وإجلاسه إلى جنبه تقدم قريبا^(١٢) حديث حمله متاعه إلى بيته أبو بكر بن من حدث أبي هريرة في شرائه للسراويل وحمله وتقدم^(١٣) حديث البذانة من الإيمان أوداد وابن ماجه من حديث أبي أمامة بن ثعلبة وقد تقدم.

قصص عن الثالث
الذي مضى منه
اضطراب الجسم
فأما
ثابت عن النوم
روح
القلب وأنه لا
يضرب
طبيعة
الروح والأنس
باردة
رطوبة
كثيرة النوم
وقد قصص مدة
طول
الليل بوجود
الروح
فصير أوقات
الليل الطويلة
كالنوم
كما يقال سنة
والسنة المبركة
سنة
فيقصير الليل
لأهل
الروح. نقل عن
علي بن بكر أنه قال:
منذ أربعين سنة
ما حزني إلا طلوع
القمر. وقيل لبعضهم

عليه السلام جودة الثياب خيلاء في القلب . وقال طاوس إن لأغسل ثوبي هذين فأتكبر فلي ماداما
ثيبي . وروى أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان قبل أن يستخلف تفتش في الحلة بألف
دينار فيقول ما أجودها لولا خشونة فيها فما استخلف كان يشتري له الثوب بخمسة دراهم فيقول
ما أجود لولا ليته قيل له أين لباسك ومركبك وعطرك بأمر للؤمنين فقال إن لي ثوبا قد أفتقروا
لم تلق من الدنيا طبقة إلا تانت إلى الطبقة التي فوقها حتى إذا ذابت الحلافة وهي أرفع الطباق تانت
إلى ما عند الله عز وجل . وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه
قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال رجل بأمر للؤمنين إن الله قد أعطاك فلو لبست
فكسر رأسه مليا ثم رفع رأسه فقال إن أفضل القصد عند الجدة وإن أفضل الفعوى عند القدرة . وقال
صلى الله عليه وسلم « من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء لمرئياته كان حقا على الله
أن يدخره بعقرى الجنة (١) » فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام : جودة الثياب خيلاء القلب .
وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الجلال في الثياب هل هو من التكبر فقال لا ولكن من سنه
الحق وغشم الناس (٢) فكيف طريق الجمع بينهما . فاعلم أن الثوب الجديد ليس من ضرورته
أن يكون من التكبر في حق كل أحد في كل حال وهو الذي أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو الذي عرفه رسول الله ﷺ من حال ثابت بن قيس إذ قال في امرئ جيب إلى من الجلال مآثر (٣)
فصرف أن ماله إلى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته أن يكون من
التكبر وقد يكون ذلك من التكبر كما أن الرضا بالتواضع قد يكون من التواضع وعلامة التكبر
أن يطلب التجمل إذ آذاه الناس ولا يبالى إذا اضرده بنفسه كيف كان وعلامة طاب الحال أن يحب
الجلال في كل شيء ولو في خلوته وحق في سنور داره فذلك من التكبر فإذا انقسمت الأحوال
نزل قول عيسى عليه السلام على بعض الأحوال على أن قوله خيلاء القلب يعني قد تورث خيلاء في
القلب وقول نبينا صلى الله عليه وسلم إنه ليس من الكبر يعني أن التكبر لا يوجب ويجوز أن لا يوجب
التكبر ثم يكون هو مورثا للتكبر ، وبالجملة فالأحوال تختلف في مثل هذا والمحبوب الوسط من
الباس الذي لا يوجب شهرة بالجوذة ولا بالردامة . وقد قال صلى الله عليه وسلم « كلوا واشربوا
والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا عيية (٤) » . وإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده (٥) وقال
بكر بن عبد الله المزني البسوا ثياب اللوك وأمينوا قلوبكم بالخشية وإنما خاطب بهذا قوما يطلبون
التكبر بثياب أهل الصلاح . وقد قال عيسى عليه السلام : ما لكم تاترون وعليكم ثياب الرهبان
وقلوبكم قلوب القذاب الضواري البسوا ثياب اللوك وأمينوا قلوبكم بالخشية . ومنها أن يتواضع
بالاحتال إذا سب وأوذى وأخذ حقه فذلك هو الأصل . وقد أوردنا ما نقل عن السلف من احتال
الأذى في كتاب الغضب والحسد . وبالجملة فجماع حسن الأخلاق والتواضع سيرة النبي صلى الله عليه
وسلم فيه فينبغي أن يقتدى به . ومنه ينبغي أن يعلم . وقد قال أبو سلفة : قلت لأبي سعيد الخدري

كيف أنت والليل قال
مارأيت قط يرى
وجهه ثم يصرف
وما تأملته . وقال
أبو سليمان الداراني
أهل الليل في ليلهم
أعدتة من أهل اللوم
في لومهم . وقال بعضهم
ليس في الدنيا شيء
يشبه نعيم أهل الجنة
إلا ما يجده أهل الخلق
في قلوبهم . ليل من
حلاوة للنجاة خلافة
للنجاة ثواب عاجل
لأهل الليل . وقال
بعض الدارين إن
الله تعالى يطلع على
قلوب السائقين في
الأسرار فيملأها نوراً
تقدروا نوايد في قلوبهم

(١) حديث من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله الحديث أبو حميد الثعالبي في مسند الصوفية
وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس من ترك زينة لله الحديث وفي إسناده نظر (٢) حديث سئل
عن الجلال في الثياب هل هو من التكبر فقال لا ، الحديث تقدم غير مرة (٣) حديث إن ثابت بن قيس
قال لاني صلى الله عليه وسلم إن امرئ جيب إلى الجلال الحديث هو الذي قبله في السائل وقد تقدم
(٤) حديث كلوا واشربوا ولبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا عيية النسائي وابن ماجه من رواية
عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٥) حديث إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده الترمذي
وحسنه من رواية حمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أيضا وقد جعلها للصف حديثا واحدا .

ما ترى فيما أحدث الناس من اللبس والشرب والركب والطعام فقال يا ابن أخي: كل ذلك واشرب الله والبس
 الله وكل شيء من ذلك دخله زهو أو مباحة أو رياء أو سمعة فهو مصيبة وسرف وعالج في بيتك من
 الخدمة ما كان يجالج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته كان يطفئ الناضح ويقلع البير ويضم
 البيت ويحلب الشاة ويخفف الثعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطن عنه إذا أعيا واشترى
 الشيء من السوق ولا يلائنه من الحياء أن يلقاه يده أو يجله في طرف ثوبه وينقلب إلى أهله يصلح
 الثني والفتير والكبير والصغير ويسلم مبتدئاً على كل من استقبله من صغير أو كبير أسوداً أو أحمر أو عبد
 من أهل الصلاة ليست له حلة لمخله وحلة لخرجه لا يستحي أن يجيب إذا دعى وإن كان أشعث أغبر
 ولا يحقر مادي إليه وإن لم يجد إلا حشف الدقل لا يرفع غداة لعشاء ولا عشاء لعداة حين الوثنيين
 الخلق كريم الطيبة جميل العاشرة طليق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد غير
 عنف متواضع في غير ملة جواد من غير سرف رحيب لكل ذي قربى ومسلم رفيق القلب دائم الإطراق
 لم يشم قط من شبع ولا بعد يده من طمع ، قال أبو سلمة قد دخلت على عائشة رضي الله عنها فحدثتني بما
 قال أبو سعيد في زهد رسول الله ﷺ قالت ما أخطأ منه حرفاً ولقد قصر إذا أخبرك أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شيئا ولم يبيت إلى أحد شكوى وإن كانت الفتاة لأحب إلي من النساء
 والتي وإن كان ليلظل جامعاً يلبث في بيته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء أن يسأل ربه
 فيؤتي كنوز الأرض وغارها ورغد عيشها من مشارق الأرض ومغاربها لقلع ورعاً يكتبر رحمة
 بما أوتي من الجوع فأصبح بطنه يديء وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما قوتك
 وبغيتك من الجوع فيقول يا عائشة إخواني من أولى الزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا
 فمشوا على حلمهم وتدسوا على زهمهم فأكرم ما بهم وأجزل نوابهم فأجندني استحي إن ترفعت في معيشتي
 أن ينصرف بي دونهم فأصبر أياها بسيرة أحب إلي من أن ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء أحب
 إلي من الحق يا خواتمي وأخواتي قالت عائشة رضي الله عنها فو الله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى يقضه
 الله عز وجل (١) . فما قل من أحواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة أخلاق للتواضعين فمن طلب
 التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق عمله صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما رضى هو به
 فما أشد جهله فقد كان أعظم خلق الله منصباً في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة إلا في الاقتداء به
 ولذلك قال عمر رضي الله عنه : إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلن نطلب العز في غير ما عوتب في بدانة
 هيبته عند دخوله الشام . وقال أبو الدرداء : أعلم أن لله عباداً يقال لهم الأبدال خلف من الأنبياء
 هم أوتاد الأرض فما اهتضت النبوة أبدل الله مكانهم قوماً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضوا
 الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع
 المسلمين والنصيحة لهم إنشاء مرضاة الله بصبر من غير تحجب وتواضع في غير ملة وهم قوم اصطفاهم الله
 واستخلصهم لنفسه وهم أرحمون صديقاً أو ثلثون رجلاً فلوهم على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن عليه
 السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من خلفه . وأعلم يا أخي أنهم لا يلبسون شيئا ولا يؤذونه

فتستشير ثم تتصرف من
 قلوبهم القوائد إلى
 قلوب التافئين . وقد
 ورد أن الله تعالى أوحى
 في بعض ما أوحى إلى
 بعض أنبيائه أن لي
 عباداً يحبوني وأحبهم
 ويشتاقون إليّ
 وأشتاق إليهم
 ويذكرونهم وأذكروهم
 وينظرون إليّ وأنظروهم
 إليهم فإن حدثت
 طرفهم أحببتك وإن
 عدلت عن ذلك مبتكك
 قال يارب وما علامتهم
 قال يراعون الظلال
 بالتهار كإبراهيم الراعي
 غنمه ويحنون إلى
 غروب الشمس كالحنان
 الطير إلى أوكارها فإذا

(١) حديث أبي سعيد الخدري وعائشة قال الخدري: لأبي سلمة عالج في بيتك من الخدمة ما كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يجالج في بيته كان يطفئ الناضح ويقلع البير ويضم
 على عائشة لخدمته بذلك عن أبي سعيد فقالت ما أخطأ ما قصر أو ما أخبرك أنه لم يمتلئ قط
 شيئا الحديث بطوله لم أتف لحما على إسناد .

ولا يحزنوه ولا يتناولون عليه ولا يحسدون أحدا ولا يحرسون على الدنياهم أطلب الناس غير أوليهم
عريكة وأسقام نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية غدا
في غفلة ولكن مداومين على حلم الظاهر وهم فيها بينهم وبين ربهم لاندركهم الرياح الموصف
ولا الحيل الهزلة قلوبهم تصمد ارتياحا إلى الله واشتياقا إليه وقدماء في استباق الحيرات أولئك حزب
الله ألا إن حزب الله هم المفلحون - قال الراوي : قلت يا أبا الدرداء ما سمعت بصفة أشد لي من
تلك الصفة وكيف لي أن أبلغها فقال ما بينك وبين أن تكون في أوسمها إلا أن تكون تفيض
الدنيا فانك إذا أفيضت الدنيا أقبلت على حب الآخرة وبقدر حبك للآخرة تزهد في الدنيا وبقدر
ذلك تبصر ما ينمك وإذا علم الله من عبد حسن الطلب أفرغ عليه السداد واكتفه بالصمة . واعلم
يا ابن أخي أن ذلك في كتاب الله تعالى المنزل - إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون - قال يحيى
ابن كثير فنظرنا في ذلك فما نلناه التلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته اللهم اجعلنا من محبي المحبين
لك يارب العالمين فانه لا يصلح لحبك إلا من ارتضيتهم وولى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(بيان الطريق في معالجة الكبر وكتساب التواضع له)

اعلم أن الكبر من الهلكات ولا يخلو أحد من الحق عن شيء منه وإزالته فرض عين ولا يزول
بمجرد التقي بل بالمعالجة واستعمال الأدوية القائمة له وفي معالجته مقامان : أحدهما استئصال أصله من
سنته وقلع شجرته من مفرسها في القلب . الثاني دفع العارض منه بالأسباب الخاصة التي بها يتكبر
الإنسان على غيره . المقام الأول : في استئصال أصله وعلاجه على وعلى ولا يتم الشفاء إلا بالجموعهما
أما المعنى فهو أن يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى ويكتفي بذلك في إزالة الكبر فانه مهما عرف
نفسه حق المعرفة علم أنه أدل من كل دليل وأقل من كل قليل وأنه لا يليق به إلا التواضع واللذلة
والهانة وإذا عرف ربه علم أنه لا يليق العظمة والكبرياء إلا بالله أما معرفته ربه وعظمتهم ومجده
فالتقول فيه يطول وهو منتهى علم الكاشفة وأما معرفته نفسه فهو أيضا يطول ولكننا نذكر من
ذلك ما ينفع في إثارة التواضع واللذلة ويكتفي أن يعرف معنى آية واحدة في كتاب الله فان في القرآن
علم الأولين والآخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال تعالى - قتل الإنسان ما كفره من أي شيء خلقه
من نقطة خلقه قدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره - قد أشارت الآية إلى
أول خلق الإنسان وإلى آخر أمره وإلى وسطه فلينظر الإنسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية أما أول
الإنسان فهو أنه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان في حيز المدم دهورا بل لم يكن لدمه أول وأى
شيء أخس وأقل من الجو والدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله من أرذل الأشياء ثم من
أقذرهما إذ قد خلقه من تراب ثم من نقطة ثم من علقه ثم من مضغ ثم جعله عظاما ثم كسا العظم
لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث كان شيئا مذكورا فما صار شيئا مذكورا إلا وهو على أخس
الأوصاف والنعوت إذ لم يخلق في ابتدائه كاملا بل خلقه حمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس
ولا يتحرك ولا ينطق ولا يطمش ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله
قبل علوه وبعماء قبل بصره وبصمعه قبل سمعه وبكبره قبل نطقه وبضلالته قبل هداياه وبفقره
قبل غناه وبسجته قبل قدرته فهذا معنى قوله - من أي شيء خلقه من نقطة خلقه قدره - ومعنى
قوله - هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الإنسان من نقطة
أشباح نبتليه - كذلك خلقه أولا ثم أمّنت عليه فقال - ثم السبيل يسره - وهذا إشارة إلى ما تيسر
له في مدة حياته إلى اللوث وكذلك قال - من نقطة أشباح نبتليه فجعلناه سميا بصيرا إنا هدينا

جنهم الليل واختلط
الظلام وخلال كل حبيب
بحبيه نسبوا إلى
أقدمهم واقتروا إلى
وجوههم وتاجسون
بكلابى وتمقتوا إلى
يأنعاه فبين صارخ
وباك وبين متأوه
وشاك بين ما يتحلمون
من أجلى وبسمى
ما يشكون من حوى
أول ما أعطيهم أن
أقذف من نوري في
قلوبهم فيخبرون عنى
كما أخبر عنهم والثاني
لو كانت السموات
السبع والأرضون
وما بينهما في موازينهم
لاستقلنهم والثالث
أقبل يوحى عليهم

السبيل إما حراً وإما مكفوراً - ومعناه أنه أحياء بعد أن كان جماداً ميتاً تراباً أولاً ونطفة ثانياً وأصممه بعد ما كان أصم وصبره بعد ما كان فاقداً للبصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الأعضاء بما فيها من المجالب والآيات بعد الفقد لها وأغناه بعد الفقر وأشبعه بعد الجوع وكساه بعد العرى وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره وإلى السبيل كيف يسره وإلى طينان الإنسان ما كفراه وإلى جهل الإنسان كيف أظهره فقال - أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين سو من آياته أن خلقهم من تراب ثم إذا هم يهر تنكرون - فانظر إلى نعمة الله عليه كيف خلقه من تلك التلة والتلة والحسة والقذارة إلى هذه الرفعة والكرامة فصار موجوداً بعد عدمه وحياً بعد لولته وناطقاً بعد البكم وصيراً بعد العمى وقوياً بعد الضعف وعالماً بعد الجهل وهدى بعد الضلال وقادر بعد العجز وغنياً بعد الفقر فكان في ذاته لاشئ مؤتى شئ أخس من لاشئ - ونفى قلة أقل من عدم المحسن ثم صار بالله شيئاً وإنما خلقه من التراب الدليل الذي يوطأ بالأقدام والنطفة القذرة بعد الصم المحسن أيضاً ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه وإنما أكل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمتها وجلاله وأنه لا يليق للسكرباء إلا به جل - وعلا ولذلك آمنن عليه فقال - ألم يجعل له عينين ولساناً ومفتنين وهدىناه للتجدين - وعرف خسته أولاً فقال - ألم يك نطفة من مقي نقي ثم كان علقه - ثم ذكر منه عليه فقال - خلق فسوئاً فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى - ليوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده أولاً بالاختراع فمن كان هذا بدؤه وهذه أحواله فمن أين له البطور والسكرياء والفخر والحياء وهو على التحقيق أخس الأضياء وأضف الضعفاء ولكن هذه عادة المحسبين إذا رفع من خسته فمخ باثته وتعظم ذلك لذلك خسة أوله ولا حول ولا قوة إلا بالله، نعم لو أكله وقوض إليه أمره وأدام له الوجود باختياريه لجاز أن يطلى وينسى للبداء وللتنتهى ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الأمراض المائلة والأشقام العظيمة والآفات المختلفة والطباع للتضادة من اللذة والبلاء والريح والدم يهدم البعض من أجزائه البعض شاء أم أبى رضي أم سخط فيجوع كرها أو يسطس كرها ويمرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه شئاً ولا ضراً ولا خيراً ولا شراً يريد أن يعلم الشئ فيجهله ويريد أن يذكر الشئ فينساه ويريد أن ينسى الشئ ويشغل عنه فلا يفتل عنه ويريد أن يصرفه قلبه إلى ما يهجه فيقول في أودية الوسواس والأفكار بالاضطرار فلا يملك قلبه ولا نفسه وشهته التي تودعها يكون هلاكه فيه ويكره الشئ وربما تكون حياته فيه يستلك الأطلعة وتهلكه وترديه ويستبشع الأدوية وهي تنفخه وتغويه ولا يأمن في لحظة من ليله أونهاؤه أن يسلب محمه ويصره وتلقح أعضاؤه ويختلس عقله ويغطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه فهو مضطرب ذليل إن ترك بئى وإن اختطف ففى عبد مملوك لا يقدر على شئ من نفسه ولا شئ من غيره فأى شئ أفذل منه لو عرف نفسه وأن يلبق السكر به لولا جهله فهذا أوسط أحواله فليأمله. وأما آخره ومورده فهو الموت الشار إليه فبؤه تعالى - ثم أماته فأبقره ثم إذا شاء أخره - سو معناه أنه يسلب روحه ومحمه ويصره وعلمه وقدرته وحسه وإدراكه وحركته فيعود جماداً كما كان أول مرة لا يلقى إلا شكل أعضائه وصورته لا حسي فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منقطة قذرة كما كان في الأول نطفة مذنبة ثم إلى أعضاؤه وتنفتح أجزاؤه وتنشر عظامه ويصير زبياً رفاتاً ويأكل الودود أجزائه فيبندى بعذقيته فيقلعها ويغديه فيقطعها ويسأر أجزائه فيصير روتا في أجواف الله يدبان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستفد منه كل إنسان ويهرب منه لشدة الإنسان وأحسن أحواله أن يعود إلى ما كان فيصير تراباً يصل منه السكران ويصر منه البنيان فيصير مفقوداً بعد ما كان موجوداً فوصار كأن لم يكن بالأمر حصيداً

أفترى من أقبلت
بوجهي عليه أيل أحد
ما أريد أن أعطيه
فالسائق للريد إذا خلا
في ليله بتناجته ربه
انتشرت أنوار ليله على
جميع أجزاء نهاره
ويصير نهاره في حمية
ليه وذلك لامتلاؤه
بالأنوار فتكون حركاته
وتصاريه بالبار
تصدر من منبع
الأنوار المهتمة من
الليل ويصير قائله في
قبة من قباب الحق
مسدداً حركاته موفرة
سكاته. وقد ورد من
صلى بالليل - ونومه
بالنهار ويجوز أن
يكون لمصنعيه: أحدهما

كان في أول أمره أمدا مديدا وليته بقي كذلك فما أحسنه لو ترك زبانا ، لابل بحيه بدطول البلى
ليقاس شديد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه للتفرقة وبخرج إلى أهوال القامة فينظر إلى
قائمة قائمة وساء مشقة ممزقة وأرض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكسرة وخمس منكسفة وأحوال
مظلة وملاسة غلاظ شداد وجهم زفر وجنة ينظر إليها المجرم فيتحسر ويرى مصافح منشورة
فيقال له ١ اقرأ كتابك فيقول وما هو ؟ فيقال كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها
وتكبر بنعيمها وتفتخر بأسبابها ملكان رقيان يكتبان عليك ما كنت تنطق به أو تعلمه من قليل
وكثير وخير وقطير وأكل وشرب وقيام وقعود قد نسبت ذلك وأحساء الله عليك فعمل إلى الحساب
واستمد للجواب أو تسأل إلى دار العذاب فينقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب قبل أن تشتتر
الصفيحة ويشاهد ما فيها من عذابه فإذا شاهده قال يا ويلتنا ما لهذا الكتاب يا فاجر صغيرت ولا كبيرة
إلا أحسها - فهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى - ثم إذا شاء أنصره - فالحال هذا حاله والتكبر
والعظم بل ماله والفرح في لحظة واحدة فضلا عن البطر والأشر قد ظهر له أول حاله ووسطه ولو
ظهر آخره والياد بالله تعالى ربما اختار أن يكون كلبا أو خنزيرا ليصير مع البهائم زبانا ولا يكون
إنسانا يسمع خطايا أوليقي عذابا وإن كان عند الله مستحقا لتأخر فأنجز أشرف منه وأطيب وأرفع
إذ أوله التراب وآخره التراب وهو يحمل من الحساب والعذاب والكرب والخزير لا يهرب منه إلا خلق
ولورأى أهل الدنيا العبد للذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقه وقبح صورته ولو وجدوا ربحه
لسألتوا من قتله ولو قست قطرة من شرابه الذي يسقى منه في بخار الدنيا لاصارت أنثى من الجيفة فقل
هذا حاله في العاقبة إلا أن يسوق الله عنه وهو على شك من العقوبة فيفرح ويطر وكيف يتكبر
ويتجبر وكيف يرى نفسه شيئا حتى يتغذله فضلا وأى عبد لم يذب ذنبا استحق به العقوبة إلا أن
يسوق الله الكريم بفضلته ويجبر الكسر عنه والرجاء منه ذلك لكرمه وحسن الظن به ولا قوة إلا بالله
أرأيت من جنى على بعض الملوك فاستحق بجنايته ضرب ألف سوط فحس إلى السجن وهو ينتظر أن
يخرج إلى العرض وتقام عليه العقوبة على ملأ من الخلق وليس يدري أينى عنه أم لا كيف يكون ذلك
في السجن أفترى أنه يتكبر على من في السجن ومامن عبد مذنب إلا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة
من الله تعالى ولا يدري كيف يكون آخر أمره فيكفيه ذلك حزنًا وخوفًا وإشفاقًا ومما يتوكلون فيه
الملاجئ على القاصم لأهل الكبر وأما العلاج المعلى فهو التواضع بالقول وللسا الخلق بالمواظبة على أخلاق
التواضعين كما وصفناه وحكيته من أحوال الصالحين ومن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه
« كان يأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد كل كما يأكل العبد » (١) وقيل لسان لا تلبس ثوبا جديدا
فقال إنما أنا عبد فإذا اعتفت يوما لبست جديدا فأشار به إلى الحق في الآخرة ولا يتم التواضع بدلالة
إلا بالعمل ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالإيمان بآداب الصلاة جميعا وقيل الصلاة عماد الدين
وفي الصلاة أسرار لأجلها كانت عمادا ومن جعلتها مقاميا من التواضع بالمولدات بما وبالركوع والسجود
وقد كانت العرب قديما يأتون من الانحناء فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحني لأخذه
وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لإصلاحه حتى قال حكيم بن حزام يا بيت النبي صلى الله عليه وسلم
على أن لا آخر - إلا قاتما فبما به النبي صلى الله عليه وسلم عليه ثم قد وكل إيمانه بعد ذلك (٢)

أن الشكاة تستبر
بالمصباح فإذا صار
سراج اليقين في القلب
زهر بكثرة زيت العمل
بالليل فيزداد المصباح
إشراقا وتعتصب
مشكاة القاب نورًا
وضياء . كان يقول
سهل بن عبد الله
اليقيني ناز والإقرار
قبيلة والعمل زيت
وقد قال الله تعالى
- سبام في وجوههم
من أثر السجود - وقال
تعالى - مثل نوره
كشكاة فيها مصباح -
فقدور اليقين من نور
الله في زجاجة القلب
يزداد ضياء زيت
العمل حتى زجاجة

- (١) حديث كان يأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد كل كما يأكل العبد تقدم في آداب العيشة
- (٢) حديث حكيم بن حزام يا بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا آخر إلا قاتما الحديث
رواه أحمد مختصرا على هذا وفيه إرسال حتى .

فما كان السجود هتدم هو منتهى القلة والفضة أمروا به لتتكسر بذلك خيالهم وبزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه أمر سائر الخلق فان الركوع والسجود وللثول قائما هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فينظر كل ما يقتضاه الكبر من الأفعال فليؤاظ على إخباته حتى يصير التواضع له خافا فان القلوب لا تتخلق بالأخلاق المحسوسة إلا بالعلم والعمل جميعا وذلك لحفا العلاقة بين القلوب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلوب من عالم الملكوت . لقام الثاني : فيما يمرض من التكبر بالأسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه أن الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فأما معادهما مما يخفى بالموت فكمال وهي فمن هذا يسر على العالم أن لا يتكبر ، ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الأسباب السبعة . الأول النسب فمن يجره الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة أمرين : أحدهما أن هذا جهل من حيث إنه تميز بكمال غيره ، ولذلك قيل :

لئن غرت بآباء ذوي شرف قد صدقت ولكن بش ما ولدوا

فالتكبر بالنسب إن كان خسيسا في صفات ذاته فمن أين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينسب إليه جيا لكان له أن يقول الفضل لي ومن أمت وإنما أمت دودة خلقت من بولى أقرى أن الدودة التي خلقت من بولى إنسان أشرف من الدودة التي من بولى فرس هيئات بل هما متساويان والشرف للإنسان لا للدودة . الثاني أن يعرف نسبة الحقيقي فيعرف أباه وجده فان أباه القريب نقطة قدرة وجهه البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبة فقال - الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين - فمن أصله التراب المهيمن الذي يدايس بالأقدام ثم خر طينة حتى صار حما مسنونا كيف يتكبر وأحسن الأضياء ما إليه انتسابه إذ يقال لأهل من التراب ويا أنثى من الحناء ويا أفتر من اللثة فان كان كونه من أيه أقرب من كونه من التراب فليخبر نفسه بذلك ثم إن كان ذلك أخضر بالقرب دون البعيد فالنطفة واللثة أقرب إليه من الأب فليخبر نفسه بذلك ثم إن كان ذلك يوجب رغبة لقربه فالأب الأعلى من التراب فمن أين رفته وإذا لم يكن له رغبة فمن أين جاءت الرقة لولده فاذن أصله من التراب وفصله من النطفة فلا أصل له ولا فصل وهذه غاية خسة النسب فالأصل يوطأ بالأقدام والتصل تقص من الأبدان ، فهذا هو النسب الحقيقي للإنسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثله بعد هذه اللرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة أصله كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم وقد أخبره بذلك والده فلم يزل في نخوة الشرف فيبنا هو كذلك إذ أخبره عدول لاشك في قولهم إنه ابن هندی حجام يتماطى القاذورات وكشفوا له وجه التلبس عليه فلم يبق له شك في صدقهم أقرى أن ذلك يقي شيئا من كبره لابل يصير عند نفسه أحقر الناس وأذلهم فهو من استعمار الخزي لحسته في شغل عن أن يتكبر على غيره ، فهذا حال البصير إذا تفكر في أصله وعلم أنه من النطفة واللثة والتراب إذ لو كان أبوه ممن يتماطى قتل التراب أو يتماطى الدم بالحمامة وأغيره لكان يعلم به خسة نفسه لحاسة أعضاء أيه للتراب والدم فكيف إذا عرف أنه في نفسه من التراب والدم والأعضاء القفورة التي يتنزه عنها هو في نفسه . السبب الثاني : التكبر بالجمال ودواؤه أن ينظر إلى باطنه ونظر المتقلا ولا ينظر إلى الظاهر نظر البهائم ، ومهما نظر إلى باطنه رأى من القبايح ما يكدره عذبه تميزه بالجمال فانه وكل به الأقدار في جميع أجزائه الرجيع في أمماته والبول في مشائه والخطأ في أفعاله والبراق في فيه والوسخ في أذنيه والدم في عروقه والصديد تحت جتره والسان تحت إبطه بنسل الفاتطيد كل يوم دفعة أو دفتين ويتردد كل يوم الخلا مرة أو مرتين ليخرج من باطنه ما لوآه بينه

القلب كالكوكب
المدى وتكس أنوار
الترجاجة على مشكاة
الاقاب وأيضا يلين
القلب بنار النور
ويسرى لينة إلى القالب
فيلين القالب للين القالب
فيقتسبان لوجود الفين
الذي محموا . قال الله
تعالى - ثم تلين جلودهم
وقلوبهم إلى ذكر الله -
وصف الجلود باللين كما
وصف القلوب باللين
فأذا امتلأ القلب بالنور
ولان القالب بما يسرى
فيه من الأنس
والسرور يندرج
الزمان والسكان في نور
القلب ويندرج فيه
الكلم والآيات والنور

لاستفدته فضلا عن أن يسه أو يشمه كل ذلك يعرف قدرته وذله هذا في حال توسطه وفي أول أمره خلق من الأقدار الشفيع الصور من التطفة ودم الحيز وأخرج من مجرى الأقدار إذ خرج من الصلب ثم من الله كمر مجرى البول ثم من الرحم مفين دم الحيز ثم خرج من مجرى القدر . قال أنس رحمه الله : كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يخطبنا فيقول ربنا أغشنا ويقول خرج أحدكم من مجرى البول مرتين ، وكذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه خرة إذ رآه يتختر وكان ذلك قبل خلافة وهذا أوله ووسطه ، ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعدها بالتنظيف والفصل لثارت منه الأتان والأقدار وصار أنثى وأقندر من الدواب للهمة التي لا تمتدحها قط فانا نلظ أنه خلق من أقدار وأسكن في أقدار وسيموت فيصير جيفة أقندر من سائر الأقدار لم يتفخر بجماله الذي هو تكفراه للهمن وكون الأزهار في البوادي فينبأ هو كذلك إذ صار شيا تدروه الرياح ، كيف ولو كان جماله بائنا وعن هذه التبايح خاليا لكان يجب أن لا يتكبر به على التبيح إذ لم يكن قبس التبيح إليه فينبه ولا كان جمال الجبل إليه حتى يحمد عليه ، كيف ولا بقاء له بل هو في كل حين يتصور أن يزول بمرض أو جدي أو قرحة أو سبب من الأسباب فك من وجوه جملة قد سمعت بهذه الأسباب فمعرفة هذه الأمور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن أكثر تأمها .

السبب الثالث : التكبر بالقوة والأيدى ويعتبه من ذلك أن يعلم ماسلط عليه من العلل والأمراض وأنه لو توجع عرق واحد في يده لصار أحمر من كل عاجز وأذل من كل ذليل وأنه لو سلبه اللهب شيئا لم يستفد منه وأنه لو دخلت في آفة أو غلة دخلت في أذنه لتلتته وأن شوكة لو دخلت في رجليه لأتخبرته وأن حمى يوم تحلل من قوته مالا يتخبر في مدة فمن لا يطبق شوكة ولا يقاوم بقوله لا يقدر على أن يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغي أن يتفخر بقوته ثم إن قوى الانسان فلا يكون أقوى من حمار أو بقرة أو ذيل أو جمل وأى افتخار في صفة يسبقك فيها الهائم السبب الرابع والخامس : التلى وكثرة اللال وفي معناه كثرة الأتياع والأنصار والتكبر بولاية السلاطين والتمسك من جهتهم بكل ذلك تكبر يعنى خارج عن ذات الانسان كالجمال والقوة والعلم ، وهذا أقبح أنواع الكبر فان التكبر بما له كأنه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لما ذليل لاو التكبر بتمسك السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بنى أمره على قلب هو أشد غلبا من القدر فان تغير عليه كان أذل الخلق وكل متكبر بأمر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل ، كيف والتكبر بالتلى لو تأمل لراى في اليهود من يزيد عليه في التلى والثروة والتجمل فأشرف يسبقك به اليهودى وأشرف يأخذ السارق في غلطة واحدة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه أسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس إليه دوام وجوده وهو في الآخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس إليك فليس لك شيء من هذه الأمور ليس إليك بل إلى واهبه إن أبقاه لك وإن استرجعه زال عنك وماتت إلا عبد مملوك لا تقدر على شيء ومن عرف ذلك لا بد وأن يزول كبره ، ومثاله أن يفخر النافل بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله وسعة منزله وكثرة خيوله وغلطانه إذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بأنه وقيق لقلان وأن أبوه كانا مملوكين له فمل ذلك وحكم به الحاكم بقاء ماله فآخذ وأخذ جميع ما بيده وهو مع ذلك يغشى أن يباقيه وينكل به لتفريطه في أمواله وتقصيره في طلب ماله ليعرف أن له ماله كما نظر العبد فرأى نفسه هيبوسا في منزل قد أحدثت به الحيات والقارِب والهوم وهو فى كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة أتقرب من هذا حاله هل يفخر بقدرته وثروته وقوته وكاله أم تذل نفسه ويخضع ؟ وهذا حال كل

وتشرق الأرض بأرض
القالب . يور بها إذ
يصير القلب سما
والقالب أرضا وقد
تلوة كلام الله في عمل
للناجاة تستر كون
الكائنات والسلام
المجيد يكونه ينوب
عن سائر الوجود في
مزاحمة صفو الكبرياء
فلا يبقى حيث لا نفس
حديث ولا يسمع
لها جسي حسي وفي
مثل هذه الحالة يتصور
تلوة القرآن من
فأعته إلى خاتمة من
غير وسوسة وحديث
تس وذلك هو الفضل
العظيم . الوجه الثانى
قوة عليه السلام

عاقل يصرفه برى نفسه كذلك فلا يملك رقبته ويبدنه وأعضائه وما له وهوم ذلك بين آفات وشبوات وأراض وأسقام هي كالتمزق والحيات يخاف منها الهلاك، فمن هذا حاله لا يتكبر بقوة وقدرته إذ يعلم أنه لا قدرة له ولا قوة فلهذا طريق علاج التكبر بالأسباب الخارجة وهو أهون من علاج التكبر بالمعالم والعمل فأتيا كالآن في النفس جذيران بأن يشرح بهما ولكن التكبر بهما يضران من الجهل حتى كالسند كره. السبب السادس : الكبر بالمعالم وهو أعظم الآفات وأغلب الأدواء وأبدها عن قبول العلاج لا يشده شديدة وجهد جيد وذلك لأن قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو أعظم من قدر المال والجاه وغيرهما بل لا قدر لهما أصلاً إلا إذا كان معهما علم وعمل، ولذلك قال كعب الأجيال: إن العلم طيفاننا كطفئان للآل، وكذلك قال عمر رضي الله عنه العالم إذا زلزل بزلته عالم لا يميز العالم من أن لا يستعظم نفسه بالإضافة إلى الجاهل لكثرة ما نطق الفخر فخشائل العلم ولأن يقدر العالم على دفع الكبر لا يعرفه أمرين : أحدهما أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم أكد وأنه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل مشرة من العالم فإن من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم بكتابته أغشى إذ لم يقض حق نعمته عليه في العلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالمال يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه فيدور بها كالبدور الحمار بالرحا فيطيف به أهل النار فيقولون مالك ؟ فيقول كنت آمرهم بالخير ولا آتيتهم عن الشر وآتيتهم » وقد مثل الله سبحانه وتعالى من يعلم ولا يعمل بالبحار والكعب فقال عز وجل مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا - أراد به علماء اليهود، وقال في بلعم بن باعوراء - وأتت عليهم نيا الذي آتيتهم آياتنا فانساه منها - حتى بلغ فلهذا كمل الكعب إن يحمل عليه يلهث أو تترك يلهث - قال ابن عباس رضي الله عنهما : أوتي بلعم كتاباً فأخذه إلى شبوات الأرض أي سكن به إليها فلهذا بالكعب - إن تحمل عليه يلهث أو تترك يلهث - أي سواء آتيتهم الحكمة أو لم آتيتهم لا يبع شهوته ويكنى العالم هذا الخطر فأى عالم لم يتبع شهوته وأى عالم لم يأمر بالخير الذي لا يأتيه فلهما خطر لعالم عظيم قدره بالإضافة إلى الجاهل فليتنسك في الخطر العظيم الذي هو يصدده فإن خطره أعظم من خطر غيره كما أن قدره أعظم من قدر غيره فهذا بذاك وهو كالمالك المخاطر روحه في ملكه لكثرة أعدائه فإنه إذا أخذ وقهر اشتبه أن يكون قد كان قتيلاً فكم من عالم يشقى في الآخرة سلامة الجاهل والمياد بالله منه فهذا الخطر يمنع من التكبر فإنه إن كان من أهل النار فالخزي أفضل منه فكيف يتكبر من هذا حاله فلا ينبغي أن يكون العالم عند نفسه أكبر من الصعابة رضوان الله عليهم وقد كان بعضهم يقول : باليتي لم تدن أي ويأخذ الآخر تينة من الأرض ويقول باليتي كنت هذه التينة ويقول الآخر ليتي كنت طير أو كل ويقول الآخر ليتي لم أك شيئاً مذكراً كل ذلك خوفاً من خطر العاقبة فكانوا يرون أنفسهم أسوأ حالا من الطير ومن التراب ومهما طال الفكره في الخطر الذي هو يصدده زال بالكفة كره ورأى نفسه كأنه شر الخلق ومثاله مثال عبد امره سيده بأمر فصرع فيها فترك بعضها وأدخل النقصان في بعضها وشك في بعضها أنه هل أدها هل ما يرتضيه سيده أم لا فأنفذه غير أن سيده أرسل إليه رسولا يخرج به من كل ما هو فيه عرفاً ذليلاً وبقية على يابه في الحر والشمس زماناً طويلاً حتى إذا شاق عليه الأمر وبلغ به المجهود أمر برقع حسابه وقش عن جميع أحماله قليلاً وكثيراً ثم أمر به إلى سجن شيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة وقد علم أن سيده قد فعل بطوائف من عيبه مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدري من أي الفريقين يكون فإذا تنسك

(١) حديث يؤتى بالمال يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه فيلقى في النار والرجل وتهدم في العلم ابن زيد يلقط يؤتى بالرجل وتهدم في العلم

« من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار » معناه أن وجوه أموره التي يشوجه إليها تحسن وتنداركة للجنة من الله الكرم في تصاريفه ويكون معاناً في مصدره ومورده فيحسن وجهه مقاصده وأفعاله ويتنظم في سلك السداد مسدداً أفعاله لأن الأقوال تستقيم باستقامة القلب [الباب السادس والأربعون في ذكر الأسباب للجنة على قيام الليل وأدب النوم] فمن ذلك أن البعد يستقبل الليل عند غروب الشمس يجتهد الوضوء ويقصم مستقبل

في ذلك انكسرت قسه وذلك وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على أحد من الخلق بل تواضع رجاء أن يكون هو من شفاعة عند نزول المذاب فكذلك العالم إذا تفكر فيما بينه من أوصافه بمجانيات على جوارحه ويذنوب في باطنه من الرياء والحقد والحسد والسبب والتفاوق وغيره وعلم بما هو بسده من الخطر العظيم فارتد كبره لامحالة . الأمر الثاني : أن العالم يرى أن الكبر لا يليق إلا بالله عز وجل وحده وأنه إذا تكبر صار محموتا عند الله فيضاً وقد أحب الله منه أن تواضع وقاله إن ذلك عندي قدوا ما لم ترفضك قدراً فإن رأيت نفسك قدراً فلا قدرك عندي فلا بد أن يكلف قسه ما يجبه مولاه منه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وإن كان يستيقن أنه لا ذنب له مثلاً أو تصور ذلك وهذا زال التكبر عن الأنبياء عليهم السلام إذ علموا أن من تازع الله تعالى في رداء الكبرياء قسه وقد أمرهم الله بأن يضربوا أنفسهم حتى يطمع عند الله عليهم فهذا أيضاً مما يسهل على التواضع لامحالة . فان قلت فكيف يتواضع للفاسق للتظاهر بالنسب والذمت وكيف يرى قسه دونهم وهو عالم بأنه يجهل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى وكيف يتبين أن خطيئته ياله خطر العلم وهو يعلم أن خطر الفاسق ولتبتع أكثر . فاعلم أن ذلك إما يمكن بالنكر في خطر الحاتمة بل ونظر إلى كافر لم يمكنه أن يتكبر عليه إذ يتصور أن يسلم الكافر فيختم له بالإيمان ويضل هذا الذي يختم به بالكفر والكبر من هو كبير عند الله في الآخرة والكذب والخزير أقل مرتبة ممن هو عند الله من أهل النار وهو لا يدري ذلك فكمن مسلم نظر إلى مهر رضى الله عنه قبل إسلامه فاستعزموه أو ازدراءه للكفر ومقدرة الله الاحكام وفاق جميع المسلمين إلا أباهم وحده فالعواقب مطوية بين العباد ولا ينظر العالم إلى العاقبة وجميع الفضائل في الدنيا تارداً للعاقبة فاذن من حق العبد أن لا يتكبر على أحد بل إن نظر إلى جاهل قال هذا عصى الله يجهل وأنا عصيته بل فهو أعز مني وإن نظر إلى عالم قال هذا قد علم ما لم أعرف فكيف أكون مثله وإن نظر إلى كبير هو أكبر منه سناً قال هذا قد أطاع الله قبل فكيف أكون مثله وإن نظر إلى صغير قال إنى عصيت الله قبله فكيف أكون مثله وإن نظر إلى متبوع أو كافر قال ما يدري لله غتمه إلا بالاسلام ويحتمل لي بما هو عليه الآن فليس دوام الهداية إلى كما لم يكن ابتداءها إلى فبالحالة الحاتمة يتدبر على أن ينفي الكبر عن قسه وكل ذلك بأن يعلم أن الكمال في سادة الآخرة والقرب من الله لا يافى بظهور في الدنيا مما لا يقاوم له ولعمري هذا الخطر مشترك بين المتكبرين والتكبروا للكبر عليه ولكن حتى على كل واحد أن يكون مصروف الهممة إلى قسه مشغول القلب غمونه فالتبؤ لا أن يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء الظن مولود وخفة كل إنسان إلى قسه فاذا حبس جماعة في جنايتهم وعصوا بأن ضرب رءوسهم لم يفرغوا لتكبر بعضهم على بعض وإن سمعوا الخطر انفض كل واحد منهم قسه عن الالتفات إلى غيره حتى كأن كل واحد هو وحده في مصيبتهم وخطره . فان قلت فكيف لا يفتن للبتع في الله وأجنس الفاسق وقد أمرت بقتلها ثم مع ذلك أتواضعت لها والجمع بينهما متناقض . فاعلم أن هذا أمر مشتبه يلتبس على أكثر الخلق إذ يمتزج غشبيته في إنكار البدعة والنسب بغير النفس والدلال بالعلم والورع فكمن معاد جاهل وعالم مغرور إذا رأى فاسقاً جلس بهياً أو جهنم عنده وتزعم عنه بكبر باطن في قسه وهو ظان أنه قد غضب لله كما وقع لعاد بنى إسرائيل على صلحهم وذلك لأن الكبر على الطبع ظاهر كونه شراً والحمد لله منه يمكن والكبر على الفاسق ولتبتع يشبه الغضب لله وهو خير فان الغضب ان أيضاً يتكبر على من غضب عليه وللتكبر غضب وأحدهما يضر الآخر وبوجهيه وهما يمتزجان ملتبسان لا يميز بينهما إلا المؤمنون والذي يخلص من هذا أن يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة البتبع أو الفاسق أو عند أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر ثلاثة أمور :

القلب منتظراً مجيء الليل وصلاة القرب مقبلاً في ذلك على أنواع الأذكار ومن أولها التسبيح والاستغفار قال الله تعالى لتبني - واستغفر قد نبك وسبح بحمد ربك بالضحى والأيام ومن ذلك أن يواصل بين المشايين بالصلاة أو بال تلاوة أو بال ذكر وأفضل ذلك الصلاة فانه إذا واصل بين المشايين ينقل عن باطنه آثار السكينة الحادثة في أوقات التبار من رؤية الخلق وعظائمهم وسامع كلامهم فان ذلك كله له أثر وخش في القلوب

أحدها التفاتك إلى ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك في عينك . والثاني أن تكون ملاحظتك لما أنت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث إنها نعمة من الله تعالى عليك فله اللذة فيه لآلاف قري ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك وإذا لم تعجب لم تكبر . والثالث ملاحظة إيهام عاقبتك ، وعاقبته أنه ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالخير حتى يشعلك الخوف عن التكبر عليه . فان قلت : فكيف أغضب مع هذه الأحوال ؟ فأقول : تنضب لمولايك وسيدك إذ أمرك أن تنضب له لا لنفسك وأنت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبا هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك أكثر من خوفك عليه مع الجهل بالحاجة ، وأعرفك ذلك بمالك فتمل أنه ليس من ضرورة النضب له أن تكبر على الضروب عليه وترى قدرك فوق قدره .

فأقول : إذا كان للملك غلام وولد هو قرة عينه وقد وكل الغلام محبا مطيعا بالولد ليراقبه وأمره أن يضربه مهما أساء أدبه واشتغل بما لا يليق به ويضرب عليه فان كان الغلام محبا مطيعا بالولد فلا يجد بد أن يضرب مهما رأى ولده أساء الأدب وإنما يضرب عليه لمولاه ولأنه أمره به ولأنه يريد التقرب باستئصال أمره إليه ولأنه جرى من ولده ما يكره لمولاه فيضرب ولده ويضرب عليه من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لأن الولد أعز لأمهالة من الغلام ، فاذن ليس من ضرورة النضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك أن تنظر إلى اللبثدع والفاسق وتظن أنه ربما كان قد مرأى في الآخرة عند الله أعظم لما سبق لهما من الحسن في الأزل ولما سبق لك من سوء القضاء في الأزل وأنت غافل عنه ، ومع ذلك فتنضب بحكم الأمر محبة لمولايك إذ جرى ما يكره مع التواضع لمن يجوز أن يكون عنده أقرب منك في الآخرة ، فهكذا يكون بعض الماء الأكاس فينضم إليه الخوف والتواضع . وأما للفرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه أكثر مما يرجوه لغيره مع جهله بالعاقبة ، وذلك غاية الفرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله أو اعتقد البدعة مع النضب عليه ومجانته بحكم الأمر . السبب السابع : التكبر بالورع والعبادة وذلك أيضا فتنة عظيمة على العباد وسيله أن يلزم قلبه التواضع لساير العباد وهو أن يعلم أن من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي أن يتكبر عليه كيما كان لما عرفه من فضيلة العلم ، وقد قال تعالى - هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - . وقال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي »^(١)

إلى غير ذلك مما ورد في فضل العلم ، فان قال العابد : ذلك لما اعامل بسلامة هذا عالم فاجر ، فقال له : أما عرفت أن الحسنات يذهبن السيئات ، وكان أن العلم يمكن أن يكون حجة على العالم فكذلك يمكن أن يكون وسيله له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن ، وقد وردت الأخبار بما يشهد لذلك ، وإذا كان هذا الأمر غائبا عنه لم يحز له أن يحتر عالما بل يجب عليه التواضع له . فان قلت : فان صح هذا فينبى أن يكون للعالم أن يرى نفسه فوق العابد لقوله عليه السلام « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » . فاعلم أن ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة أمره وخاتمة الأمر مشكوك فيها فيحتمل أن يموت بحيث يكون حاله عند الله أشد من حال الجاهل الفاسق لأنب واحد كان محبة هينا وهو عند الله عظيم وقد مقت به ، وإذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فإذا كان كل واحد من العابد والعالم خائفا على نفسه وقد كلف أمر نفسه لا مرغية فينبى أن يكون الطالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء وذلك بمنه من التكبر بكل حال فهذا

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي الترمذي من حديث أبي أمامة وتقدم في العلم .

حتى النظر إليهم يعقب كدرا في القلب يدرك من يرزق صفاء القلب فيكون أثر النظر إلى الحق للبصيرة كاللذني في السنين للبصر وبالمواصله بين المشاؤون يرجى ذهاب ذلك الأثر . ومن ذلك ترك الحديث بعد المشاء الآخرة فان الحديث في ذلك الوقت يذهب طراوة النور الحادث في القلب من مواصله المشاؤون ويثيد عن قيام الليل سيما إذا كان عريا عن يقظة القلب ، ثم تجديد الوضوء بعد المشاء الآخرة أيضا

حال العابد مع العالم فأما مع غير العالم فهم منقسمون في حق إلى مستورين وإلى مكشوفين فينبغي أن لا يتكبر على المستور فقله أقل منه ذنوبا وأكثر منه عبادة وأشد منه حبا لله . وأما المكشوف حاله إن لم يظهر لك من الذنوب إلا ما تريد عليه ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي أن تتكبر عليه ولا يمكن أن تقول هو أكثر مني ذنبا لأن عدد ذنوبك في طول عمرك وذنوب غيرك في طول العمر لا تقدر على إحصائها حتى تعلم الكثرة ، نعم يمكن أن تعلم أن ذنوبه أشد كالورأيت منه القتل والشرب والرقا ونوع ذلك فلا ينبغي أن تتكبر عليه إذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والفنل واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله تعالى وتخييل الخطأ في ذلك كل ذلك شديد عند الله فربما جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله محموتا وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله وإخلاص وخوف وتعظيم ما أنت خال عنه وقد كفر الله بذلك عنه سيئاته فيكشف الغطاء يوم القيامة فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا يمكن والإمكان البعيد فبا عليك ينبغي أن يكون قريبا عندك إن كنت مشفقا على نفسك فلا تتكبر فيها هو يمكن لتترك بل فيها هو مخوف في حقه فانه لا تزر وازرة وزر أخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيئا من عذابك فإذا تكثر في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن أن ترى نفسك فوق غيرك ، وقد قال وهب بن منبه ماتم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعة حتى يبلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره أن يرى الناس كلهم خيرا منه وأما الناس عنده فرقان : فرقة هي أفضل منه وأرفع وفرقة هي شر منه وأدنى فهو يتواضع للفرقتين جميعا قبله إن رأى من هو خير منه سره ذلك وعنى أن يلحق به وإن رأى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو وأهلك أنا فلا تراه إلا خاتمان العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا أدري لعل فيه خلقا كرما بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه ويحتم له بأحسن الأعمال ويرى ظاهر فذلك شر لي فلا يأمي فبا أظهره من الطاعة أن يكون دخالها الآفات فأحبطها ثم قال فحينئذ كل عقله وساد أهل زمانه فهذا كلامه . وبالجملة فمن جوز أن يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء في الأزل بشقوته لما له السبيل إلى أن يتكبر بحاله من الأحوال ، نعم إذا غلب عليه الخوف رأى كل أحد خيرا من نفسه وذلك هو القضية كما روى أن عابدا آوى إلى جبل فقيل له في اليوم اثنتا فلانا الاسكاف فله أن يدعو لك فأتاه فساء له عن عمله فأخبره بأنه يصوم النهار ويكتب فيصدق يرضه ويظلم عياله يرضه فرجع وهو يقول إن هذا لحسن ولكن ليس هذا كالتمنع لطاعة الله فأتى في اليوم ثانيا فقيل له اثنتا فلانا الاسكاف قتل له ما عهد الصغار الذي يوجبك فأتاه فساء له قتل له ما رأيت أحدا من الناس إلا وقع لي أنه سينجو وأهلك أنا فقال العابد بهذه والذي يدل عليه فله هذه الحيلة قوله تعالى - يؤتون ما آتوا وقولهم ورجلة أنهم إلى ربهم راجعون - أي أنهم يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى - إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون - وقال تعالى - إننا كنا قبل في أهلنا مشفقين - وقد وصف الله تعالى الملائكة عليهم السلام مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادات على الدوام بالاشتغال فقال تعالى غير أنهم - يسبحون الليل والنهار لا يفترون - وهم من خشية مشفقون - ففى رال الاشتغال والحذر مما سبق به القضاء في الأزل وينكشف عند غائبة الأجل غلب الأمن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الأمن والأمن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد ، فاذن ما غسده العابد بإظهار الكبر واحتقار الخلق والنظر إليهم بسين الاستعزاز أكثر مما يصلحه بظاهر الأعمال فنهه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب

متعين على قيام الليل .
حكى لي بسن الفقراء
عن شيخ له بخراسان
أنه كان ينقل في الليل
ثلاث مرات مرة بعد
المساء الأخرى ومرة
في أثناء الليل بعد
الانتهاء من النوم
ومرة قبل الصبح
فلم يوضوء والنقل بعد
المساء الأخرى أثر
ظاهر في تسير قيام
الليل ومن ذلك التعود
على الذكر أو القيام
بالصلاة حتى يخلب
النوم فان التعود على
ذلك يبين على سرعة
الانتهاء إلا أن يكون
واقفا من تقصوده
فيتعمل في النوم

لا غير إلا أن النفس يجد هذه المرفة قد تضررت التواضع وتدعى البراءة من السكر وهي كاذبة فإذا وقعت الواقعة عادت إلى طبيعتها ونسيت وعدّها فمن هذا لا ينبغي أن يكتفى في الداواة بعجز المرفة بل ينبغي أن تسكن بالعدل وتجرب بأفعال التواضعين في مواقع هيجان السكر من النفس ، ويأمنه أن يتجنّب النفس بنفس امتحانات هي أدلة على استخراج مافي الباطن وإن كانت الامتحانات كثيرة : الامتحان الأول أن يتناظر في مسألة مع واحد من أقرانه فإن ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانتقاده والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعرفه وإخراجه الحق فذلك يدل على أن فيه كبرا دفتيا فليتنق الله فيه ويشغل بعلاجه ، أما من حيث العلم فيأن يذكر نفسه خسة وتسهو خطرا : يتوأن السكر لا يليق إلا بالله تعالى وأما العمل فيأن يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق وأن يطلق اللسان بالمدح والثناء ويقر على نفسه بالمعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما أحسن ما فعلتني وقد كنت غافلا عنه فجاءك الله خيرا كما نبهتني له فالحكمة ضالة المؤمن فإذا وجدها ينبغي أن يشكر من دله عليها فإذا واطب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبيعا وسقط ثقل الحق عن قلبه وطالب له قبوله ومهما ثقل عليه الشاء على أقرانه بما فيهم فقيه كبر فإن كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل عليه في اللأفاس في كبر وإعما فيه رياء فليعالج الرياء بمذاكراته من قطع الطمع عن الناس ويذكر الصلح بأن منفعة في كماله في ذاته وعند الله لا عند الخلق إلى غير ذلك من أدوية الرياء وإن ثقل عليه في الخلوة وللأفاس جميعا فقيه السكر والرياء جميعا ولا ينفعه التخلص من أحدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج كلا الداءين فانهما جميعا مهلكان . الامتحان الثاني أن يجتمع مع الأقران والأمثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويثني خلفهم ويجلس في الصدور تحته فإن ثقل عليه ذلك فهو مكبر فليواطب عليه كنعنا حتى يسقط عنه ثقله فذلك يزياله السكر وهمم للابستيطان مكيدة وهو أن يجلس في صف التمال أو يجمل بينه وبين الأقران بعض الأردال فيظن أن ذلك تواضع وهو عين السكر وإن ذلك يخفف على نفوس المتكبرين إذ يذوبون أنهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والفضل فيكون قد تسكبر وتكبر باظهار التواضع أيضا بل ينبغي أن يقدم أقرانه ويجلس بينهم بمنهم ولا ينحط عنهم إلى صف الناله فذلك هو الذي يخرج خبث السكر من الباطن . الامتحان الثالث أن يجيب دعوة الفقير ويسر إلى السوق في حاجة الرقاء والأقارب فإن ثقل ذلك عليه فهو كبر فإن هذه الأفعال من مكارم الأخلاق والثواب عليها جزيل فغور النفس عنها ليس إلا لحث في الباطن فليشتغل بأزائه بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء السكر . الامتحان الرابع أن يجعل حاجة نفسه وحاجة أهله ورقاته من السوق إلى البيت فإن أبى نفسه ذلك فهو كبر أورياء فإن كان يثقل ذلك عليه مع خلو الطريق فهو كبر وإن كان لا يثقل عليه إلا مع مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من أمراض القلب وعاله الهلوسة له إن لم تتدارك وقد ألت الناس طب القلوب واشتغلوا بطلب الأجساد مع أن الأجساد قد كتب عليها الموت لهالة والقلوب لا تدرك السعادة إلا بسلامتها إذ قال تعالى : إلام أنى الله بقلب سليم - ويروي عن عبدالله بن سلام أنه حمل حزمة حطب قليل له لا بأبا يوسف قد كان في غلمانك وبنك ما يكبيك قال أجل ولكن أردت أن أجرب نفسي هل تسكر ذلك ففتح منها بما أعطته من العزم على ترك الأتعة حتى جربها أهي صادقة أم كاذبة وفي الخبر من حمل الفاكهة أو الشيء قد برى من السكر ^(١) . الامتحان الخامس أن يلبس ثيابا بدلة فان غور النفس عن ذلك في اللأرياء وفي الخلوة كبر . وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله

(١) حديث من حمل الشيء والفاكهة قد برى من السكر البهقي في الشعب من حديث أبي أمامة ومنعه بنظر من حمل بضاعة .

ويستجلبه ليقيم في وقته الممود وإلا فالزوم عن الغلبة هو الذي يصلح للرديين والطالين وبهذا وصف المحزون قيل نومهم نوم الفرقى وأكلهم أكل الرضى وكلامهم ضرورة فمن نام عن غلبة بهم مجتمع متعلق بقيام الليل يوفق لقيام الليل وإنما النفس إذا أطمعت ووطئت على النوم استرسلت فيه وإذا أزهجت بصدق العزيمة لا تسترسل في الاستغراق وهذا الازعاج في النفس بصدق العزيمة

عنه له مسح بلبسه بالليل وقد قل صلى الله عليه وسلم «من اعتقل البعير وليس الصوف قد برى من الكبر» (١). وقال عليه الصلاة والسلام «إنما أنا عبد أكمل بالأرض وليس الصوف وأعقل البعير وأدق أصابعي وأجيب دعوة المملوك، فمن رغب عن سقن فليس مني» (٢). وروى أن أبوسمى الأشعري قيل له إن أتواما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فليس عبادة فصل في بابا الناس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فليختص بالملأ فهو الرياء، وما يكون في الخلوة فهو الكبر، فأعرف فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه، ومن لا يدرك للرض لا يدأويه.

(بيان غاية الرضاة في خلق التواضع)

اعلم أن هذا الخلق كسائر الأخلاق له طرفان وواسطة: فطرفه الذي يميل إلى الريادة يسمى تكبراً وطرفه الذي يميل إلى القنصان يسمى تخاسواً ومذلة، والوسطية تواضعاً. والمهمود أن يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسن فان كلا طرفي الأمور ذميم. وأحب الأمور إلى الله تعالى وأساطمها أن يتقدم على أمثاله فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع أي وضع شيئاً من قدره الذي يستحقه والم إذا دخل عليه إسكاف فتضى له عن جلسته وأجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وغدا إلى باب الدار خلفه قد تخاسن وتذلل، وهذا أيضاً غير محمود بل الممود عند الله العدل، وهو أن يعطى كل ذي حق حقه فبغير أن يتواضع مثل هذا لأمرانه ومن يقرب من درجته فأما تواضعه للسوق فيالقيام والبشرى الكلام والرفق في السؤال وإجابة دعوته والسعي في حاجته وأمثال ذلك وأن لا يرى نفسه خيراً منه بل يكون على نفسه أخوف منه على غيره فلا يحقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة أمره، فأذن سيده في أن يكتب التواضع أن يتواضع للأقران ولبن دونهن حتى يخف عليه التواضع الممود في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وإن كان يقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكسف لا يتواضع بل الخلق ما يصد عنه القمل بسهولة من غير تقل ومن غير روية فان خذلك وصار بحيث يتقل عليه رعاية قدره حتى أحب الخلق والتخاسن قد خرج إلى طرف القنصان، فليرفع نفسه إذ ليس لهؤن أن تذلل نفسه إلى أن يعود إلى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق وفي سائر الأخلاق والليل عن الوسط إلى طرف القنصان وهو الخلق أهون من الليل إلى طرف الريادة بالتكبر كأن الليل إلى طرف التبذير في المال أحمد عند الناس من الليل إلى طرف البخل، فقبالة التبذير ونهاية البخل مذمومان وأحدهما أخفى، وكذلك نهاية التكبر ونهاية التقتص والتذلل مذمومان وأحدهما أفتح من الآخرة، والمهمود المطلق هو العدل ووضع الأمور موضعها كما يجب على ما يجب كما يعرف ذلك بالصرح والمادة، ولتقتصر على هذا القدر من بيان أخلاق الكبر والتواضع.

الشرط الثاني: من الكتاب في العجب وفيه بيان ذم العجب وآفاته وبيان حقيقة العجب والإدلال وحدها وبيان علاج العجب على الجملة وبيان أقسام ما به العجب وتخصيل علاجه.

(بيان ذم العجب وآفاته)

اعلم أن العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى: «يوم حنين إذ أعجبتكم كثيركم فلم تفتح عنكم شيئاً - ذكر ذلك في معرض الإنكار وقال عز وجل - وظنوا أنهم ما منهم حصونهم من الله فأناهم الله من حيث لم يحتسبوا - فرد على الكفار في إعجابهم بحصونهم وهو كبرهم وقال تعالى - وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وهذا أيضاً يرجع إلى العجب بالعمل. وقد

- (١) حديث من اعتقل البعير وليس الصوف قد برى من الكبر البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة زيادة فيه وفي إسناده القاسم البعري ضعيف جداً.
- (٢) «إنما أنا عبد أكمل بالأرض وليس الصوف الحديث تقدم بعنه ولم أجد بغيره.

هو التجافي الذي قال الله تعالى - تجافى جنوبيهم عن الضاحج - لأن المهم بقيام الليل وصدق المزعمة يحصل بين الجنب والضاحج نبواً ونجافياً وقد قيل للنفس نظران: نظر إلى تحت لاستيفاء الأقسام البدنية ونظر إلى فوق لاستيفاء الأقسام السلوية الروحية. فأرباب المزعمة تجافت جنوبيهم عن الضاحج لتظلم إلى فوق إلى الأقسام السلوية الرحانية فأعماوا النفوس حقها من النوم ومنعوا حظها من النفس

يحب الإنسان بعمل هو خطي. فيه كما يجب بعمل هو مصيب فيه. ودل على الله عليه وسلم
 ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإيجاب للرء بنفسه (١) وقال لآل عليه حيث ذكر أكثر
 هذه الأمة ، قال « إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإيجاب كل ذى رأى رأيك فليكن منك (٢) »
 وقال ابن مسعود : الهلاك في اثنين القنوط والجيب وإنما جمع بينهما لأن السادة لآل الإلهام
 والطب والجد والتشعر والقائط لا يسمي ولا يطلب والمجيب ابتداءً بقدمه قد تقرر بمراعاة فلا يسمي
 فالوجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسادة موجودة في اعتقاد الجيب حاصلة له ومستحقة في اعتقاد
 القائط فن هنا جمع بينهما. وقد قال تعالى - فلا تركوا أشككم - قال ابن جريج معناه إذا علمت
 خيرا فلا تخل محلت. وقال زيد بن أسلم لا يروها أى لا تمتدوها إلى بارء وهو من العيب وولى طلبة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بنفسه فأبى عليه حتى أصيبت كفة فكأنه أعجبه فله
 العظيم إذ فداه بروحه حتى جرح فخرس ذلك عمر فيه فقال ما زال يرفرف طلعته وأ منذ أصيبت أصبه
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) والثأ هو العيب في اللغة إلا أن يقل فيه أثاره وهو واحتر مسحا
 ولما كان وقت الشورى قال له ابن عباس أين أنت من طلبة قال ذلك رجل فيه نخوة ، فإذا كان
 لا يتخلص من الجيب أمثالهم فكيف يتخلص الضفاء إن لم يأخذوا حذرهم. وقال طرفة بن زينة
 نائما وأبعس نادما أحب إلى من أن أبيت قائما وأبعس مجيبا . وقال عليه السلام « لو لم يندبنوا
 لحقيقتك عليك ما هو أكبر من ذلك العيب الجيب (٤) » فجعل العيب في القلوب. وكان ابن جرير بن منصور
 ممن الذين إذا رؤوا ذكر ابن تعالى والدار الأخرى لطلبه على الباطنة عاقل الصلاة وما يولد خلفه فيمنظر
 فقتلهم له جبر ، فلما أصراف عن الصلاة قال له لا يصعبنك ما رأيتم منى فان إيليس الله الله فقد عبد الله
 استقامت مع اللطاسة مدة طويلة ثم صار إلى أمار إلىه . وقيل لثلاثة رضى الله عنهم يكون الرجل
 مسيئا قال إذا ظن أنه عمن وقد قال تعالى - لا يتبلاوا صدقاتكم إلى والأذى و إن تقيبة استعظام
 الصدقة واستعظام العمل هو الجيب ، فظهر هذا أن الجيب مذموم جدا .

(يان آفة العجب)

اعلم أن آفات الحب كثيرة فإن الحب يبدى على الكبر لأمدأمدأياه ، إذ كراهة قبوله من الحب الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تحصى هذا مع البعاد . وأما مع الله تعالى فالحب يبدى على نسيان الدنوب وإهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدناها لظنه أنه مستغن عن تفقدها فبإهمالها ومتدكرها منكم ما فيستغفره ولا يستغفله فلا يجتهد في تداركه وتلافيه بل يظن أنه يغفره . وأما العبادات والأعمال فإنه يستغفها ويبيح بها وعن الله فعلها ويؤنس نعمة الله عليه الترفق والتحكم بنسائها إذا أحب بها عى آفاتهما ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان كرسوب ضالفاً من الأعمال الظاهرة إذا لم تكن خالصة هية عن الشوائب لها ترفع وإنما يتفقد من يخلب عليه الإشفاق والخوف

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم غير (٢) حديث أبي ثعلبة إذا رأيت شعاعاً طأها وهي متباعدة وأجاب كل ذي رأي برأيه فليكن ينسك أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وقد تقدم (٣) حديث روى في ملحة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وأكب عليه حتى أميت كنه البخاري من رواية قيس ابن أبي حازم قال رأيت يد طلحة غلام روى بها النبي صلى الله عليه وسلم (٤) حديث لم يذنبوا الخشيت عليكم ناهو أكبر من ذلك الجب السبب البرزخ وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث أنس وفيه سلام بن أبي الصهلاء قال البخاري ينسك الحديث . وقال أحمد حسن الحديث ورواه أبو منصور العمري في مستند القردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف جدا .

بما فيها مركزون من
 التراب يتواجد في رطب
 وفستحلى وسنق
 الزوم. قال الله تعالى
 - هو الذي خلقكم من
 تراب - وللاي بىكل
 أصل من أصول خلقه
 طبيعة لازمة له .
 والرسوب صفات التراب
 والكسل والتقاعد
 والتأوم بسبب ذلك
 طبيعة في الانسان ،
 فأرباب المهنة أهل العلم
 الذين حكم الله تعالى لهم
 بالعلم في قوله تعالى آمن
 هو فانت قائم الله اليل
 ساجدا وآمنا به حتى
 - قل بعد بسنوى
 الذين يملون والذين
 لا يملون - حكم هؤلاء
 الذين قاموا باليد بالعلم

دون العجب والعجب يغتر بنفسه ورأيه ويأمن مكر الله وعذابه ويظن أنه عند الله مكان وأنه عند الله منة وحقا بأعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويغتره العجب إلى أن يقنط على نفسه ومحمداه ويزكيا وإن أعجب برأيه وعمله وعقله ومنع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيسقي نفسه ورأيه ويستنكف من سؤال من هو أعلم منه وربما يجيب بالرائي الخطأ الذي خطره فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصيحة ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر إلى غيره بعين الاستبجال ويصر على خطئه فإن كان رأيه في أمر ديني يفتق فيهِ وإن كان في أمر دنيي لاسيا فإيا يتعلق بأصول العقائد فيهلك به ولواتهم نفسه ولم يقنط برأيه واستغناء بنور القرآن واستعان ببداء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال أهل البصيرة لأن ذلك يوصله إلى الحق، فهذا وأمثاله من آفات العجب فذلك كان من الهلكات ومن أعظم آفاته أن يغتر بالسعي لظنه أنه قد فاز وأنه قد استغنى وهو المهلك الصريح الذي لاشية فيه . نسأل الله تعالى العظيم حسن التوفيق لطاعته.

(بيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما)

اعلم أن العجب إنما يكون بوصف هو كالألحاح والجمالك تعالى على عقل وعمل ومال وغيره جالتان: إحداها أن يكون خائفا على زواله ومشققا على تنكده أو سليه من أصله فهذا ليس بمعجب والأخرى أن لا يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث إنه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث إضافته إلى نفسه وهذا أيضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهي أن يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا إليه ويكون فرحه به من حيث إنه كمال ونعمة وخير ورفعة لا من حيث إنه عطية من الله تعالى ونعمة منه فيكون فرحه به من حيث إنه صفته ومنسوب إليه بأنه لا من حيث إنه منسوب إلى الله تعالى بأنه منه فهما غلب على قلبه أنه نعمة من الله مهما شاء سلبيها عنه زال العجب بذلك عن نفسه فذن العجب هو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى التمجيد فإن انضاف إلى ذلك أن غلب على نفسه أن له عند الله حقا وأنه منه يمكن حق يتوقع بمعله كرامة في الدنيا واستبعد أن يجري عليه مكروه استبعادا يزيد له استعباده ما يجري على النفساني من هذا إدلالا بالعمل فكأنه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطى غيره شيئا فيستعظمه ويعين عليه فيكون معجبا فإن استخدمه أو اقترح عليه الاقتراحات أو استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه وقال قتادة في قوله تعالى - ولا تمنن تستكثر - أي لا تدل بمهلك وفي الخبر « إن صلاة للدل لأترفع فوق رأسه ولأن تضحك وأنت ممتزق بذنك خير من أن تبكي وأنت مدل بمهلك » (١) والإدلال وراء العجب فلا مدل وهو معجب ورب معجب لا يدل إذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والإدلال لا يتم إلا مع توقع جزاء فإن توقع إجابة دعوتك واستكرامها يباطنه وتجب منه كان مدلا بمعله لأنه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء غيره . هاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والإدلال وهو من مقدمات السكر وأسبابه ، والله تعالى أعلم .

(بيان علاج العجب على الجملة)

اعلم أن علاج كل علة هو مقابلة سببها ببدنه وعلّة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة للعادة لذلك الجهل قسط للفقرض العجب بفعل داخل تحت اختيار البدك العباد والصدقة والفرو وسياسة الخلق وإصلاحهم فإن العجب بهذا أغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول : الورع التقوى العبادة والعمل الذي به يجيب إنما يجيب بمن حيث إنه فيه (١) حديث إن صلاة الدل لأترفع فوق رأسه الحديث لم أجده له أصلا .

فهم لموضع علمهم
أزعموا النفوس عن
مقار طبيعتها ورفوها
بالنظر إلى الذات
الروحانية إلى ذرا
حقيقتها فتجانب
جنوبهم عن الضائع
وخرجوا من صفه
الذات المراجع . ومن
ذلك أن يشير العادة
فإن كان ذا وسادة
يترك الوسادة وإن
كان ذا وطاء يترك
الوطاء وقد كان بعضهم
يقول لأن أرى في يدي
شيطانا أحب إلى من
أن أرى وسادة فانها
تدعوني إلى النوم
وتنشير العادة في
الوسادة والنقاء

فهو محله ويجراه أومن حيث إنه منه وبسببه وبقدرته وقوته وإن كان يعجب به من حيث إنه فهو هو
محله ويجراه يجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لأن المحل مسخر ويجري لادمخله في الإبداع
والتحصيل فكيف يعجب بما ليس إليه وإن كان يعجب به من حيث إنه هو منه وإليه واختياره
حصل وبقدرته ثم فينبغي أن يتأمل في قدرته وإزادته وأعضائه وسائر الأسباب التي بها يتم عملها
من أين كانت له فإن كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يبدل بها
فينبغي أن يكون إيجابه بجوده الله وكرمه وفضله إذ أفاض عليه مالا يستحق وآثره به على غيره من غير
سابقة ووسيلة فهما برز للملك لتمامه ونظر إليهم وخلع من جملتهم على واحد منهم لالصفة فيه والوسيلة
ولا لجمال ولا لخدمة فينبغي أن يتعجب للتم عليهم من فضل الملك وحكمه وإثاره من غير استحقاق وإيجابه
بنفسه من أين وما سببه ولا ينبغي أن يعجب هو بنفسه ، ثم يجوز أن يعجب العبد يقول الملك حكم
عدل لا ينظم ولا يقدم ولا يؤخر إلا لسبب فلولا أنه تفضل في صفته من الصفات المحمودة بالباطل لا تنفى
الایشار بالخلعة ولما آتاني بها فقال وتلك الصفة أيضا هي من خلعة الملك وعطيت التي خصصك بها من
غيرك من غير وسيلة أو هي عطية غيره فإن كانت من عطية الملك أيضا لم يكن لك أن تعجب بها بل
كان كما لو أعطاك فرسا فلم تعجب به فأعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول إنما أعطاني غلاما لأن
صاحب فرس فأما غيري فلا فرس له فيقال وهو الذي أعطاك الفرس فلا فرق بين أن يعطيك الفرس
والغلام مما أو يعطيك أحدهما بعد الآخر فإذا كان الكل منه فينبغي أن يعجبك جوده وفضله لا نفسك
وأما إن كانت تلك الصفة من غيره فلا يعد أن تعجب بتلك الصفة وهذا ينصorf في اللوك ولا يتصور
في حق الجبار القاهر ملك اللوك المنفرد باختراع الجميع المنفرد بإيجاد اللوصوف والصفة فانك إن أعجبت
بعبادتك وقلت رقتي للعبادة لحي فيقال ومن خالق الحب في قلبك فتقول هو فيقال فالحب والعبادة
كلاهما نعمتان من عنده ابتدأك بهما من غير استحقاق من جهتك إذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون
الاعجاب بجوده إذ أنه بوجودك وجود صفاتك وبوجود أعمالك وأسباب أعمالك إذا لاسمى لعجب
العابد بعبادته وهب العالم بصله وهب الجليل بجماله وهب الغني بفضله لأن كل ذلك من فضل الله وإنما
هو محل لفيضان فضل الله تعالى وجوده والمحل أيضا من فضله وجوده ، فإن قلت لا يمكن أن أجعل
أعمال وآني أنا عملها فأن انتظر عليها ثوابا ولولا أنها عمل لما انتظرت ثوابا فإن كانت الأعمال مخلوقة
فهل سبيل الاختراع فمن أين لي الثواب وإن كانت الأعمال مني وبقدرتي فكيف لا أعجب بها ،
فاعلم أن جوابك من وجهين : أحدهما هو صريح الحق والآخر في مسامحة ، أما صريح الحق فهو أنك
وقد تركت وإرادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه لما عملت إذ عملت وامسكت إذ
صليت ومارمت إذ رميت ولكن الله رعى فهذا هو الحق الذي انكشف لأرباب القلوب بمشاهدة
أوضح من إبطار العين بل خلقك وخلق أعضائك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك
الفكر والعلم وخلق لك الإرادة ولو أردت أن تنفي شيئا من هذا من نفسك لم تقدر عليه ثم خلق
الحركات في أعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركة من جهتك معه في الاختراع إلا أنه خلقه
على ترتيب فلم يخلق الحركة مالم يخلق في الضو قوة وفي القلب إرادة ولم يخلق مالم يخلق علما
بالمعاد ولم يخلق علما مالم يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدرجه في الخلق شيئا بدمي . هو الذي
خيل لك أنك أوجدت مملك وقد غلطت ، وإيضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هون خلق الله سبحانه
تحريره في كتاب الشكر فانه أليق به فأرجع إليه ، ونحن الآن نزيل إشكالك بالجواب الثاني الذي
فيه مساهمة ما هو أن تعجب أن العمل حصل بقدرتك فن إن قدرتك ولا يتصور العمل إلا بوجودك

والوطاء تأثير في ذلك
ومن ترك شيئا من
ذلك والله عالم بنيه
وعزته يشبه على ذلك
بتيسير مرام ومن ذلك
خفة المدة من الطعام
ثم تناول ما يأكل من
الطعام إذا اقترن بذلك
الله ويقلع الباطن
أعان على قيام الليل
لأن بالذكر ينهب
داؤه فان وجد للطعام
تقلا على المدة ينبغي
أن يعلم أن قله على
القلب أكثر فلا يتم
حق يذيب الطعام
بالذكر والتسلاوة
والاستفارة قال بعضهم
لأن أعين من عشاى
لعمه أحب إلى من

ووجود عملك وإرادتك وقدرتك وسائر أسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك فان كان العمل بالقدره فالقدره مفتاحه وهذا للفتح بيد الله ومهما لم يعطك للفتح فلا يمكنك العمل فالإبداء خزائن بها يتوصل إلى السعادات ومفاتيحها القدرة والإرادة والعلم وهي بيد الله لا محالة أرايت لو رأيت خزائن الدنيا بمجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن ولو جلست على بابها وحول حيطانها أقسمت لم يتمكن أن تنظر إلى دنياها فيها ولو أعطاك للفتح لأخذته من قريب بأن تبسط يدك إليه فتأخذه فقط فإذا أعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها ومكنك منها فهدت يدك وأخذتها كان إيجابك بإعطاء الخازن المفاتيح أو بما إليك من مد اليد وأخذها فلا شك في أنك ترى ذلك نعمة من الخازن لأن الثؤنة في تحريك اليد بأخذ السالك قرية وإنما الشأن كله في تسليم المفاتيح فكذلك مهملة خلقت القدرة وسلطت الإرادة الجازمة وحركت الدواعي واليوغات وصرفت عنك اللواعج والصوارف حتى لم يبق صارف إلا دفع ولا باعث إلا وكل بك فالعمل حين عليك وتحريك اليوغات وصرف العوائق وتيسر الأسباب كلها من الله ليس شيء منها إليك فمن الجواب أن تعجب بنفسك ولا تعجب بمن إليه الأمر كله ولا تعجب بجموده وقضه وكرمه في إثارة إليك على القساق من عباده إذ سلط دواعي القساق على الصفاق وصرفها عنك وسلط أخذان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من أسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم يوغات الخير ودواعي وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فهل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جرعة سابقة من القاسق الماضي بل آتراك وقدمك واصطفاك بفضل وأيد الماضي وأغناه بدهف العجب إيجابك بنفسك إذا عرفت ذلك فاذن لاتصرف قدرتك إلى القدرور بالإسليط الله عليك داعية لا تحبس لئلا في مخالفتها فكأنه الذي اضطررك إلى الفعل إن كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والثناء لولاك وميأتى في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الأسباب والسبب ما تسبين به أنه لا فاعل إلا الله ولا خالق سواه والعجب بمن يتعجب إذا رزقه الله عقلا وأقره بمن أفاض عليه المال من غير علم فيقول كيف معنى قوت يوى وأنا العاقل الفاضل وأفاض على هذا نعم الدنيا وهو العاقل الجاهل حتى يكاد يرى هذا ظلاما ولا يدري للثورور أنه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بانظلم أشبه بظواهر الحال إذ يقول الجاهل الفقير يارب لم جمعت له بين العقل والتمنى وحرمتي منها فها لاجسمته إلى أو هلا رزقتني أحدها وإلى هذا أشار على رضى الله عنه حيث قيل له ما بال الفقراء قد امتلكوا إن عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب أن العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الذى أحسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جمه وغناه عوضا عن عقلك وقرر لك لامتنع عنه فاذن ذلك يدل على أن نعمة الله عليه أكبر فلم يتعجب من ذلك وللرأه الحسنة الفقيرة ترى الحلى والجواهر على البسمة البسيطة فتعجب ويقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخص مثل ذلك القبيح ولا تدرى للثورة أن الجمال محسوب عليها من رزقها وأنها لو خربت بين الجمال وبين القبيح مع التنى لآثرت الجمال فاذن نعمة الله عليها أكبر وقول الحكميم الفقير العاقل قبله يارب لم حرمتنى الدنيا وأعطيتها الجاهل كقول من أعطاه للثلك فرسا فيقول أيها الملك لم لا تعطىنى التلام وأنا صاحب فرس فيقول كنت لاتعجب من هذا لو لم أعطك الفرس فهب آتى ما أعطيتك فرسا أصارت نعمتى عليك وسيلة لك وحيمة تعطى بها نعمة أخرى ؟ فهذه أو هام لا تخلو الجاهل عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل وزال ذلك بالحق بأن العبد وعمله وأوصافه كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتداء بها قبل الاستحقاق وهذا ينشأ العيب والإدلال وبورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور أن يجب

أن أقوم لله والأحوط أن يوتر قبل النوم فإنه لا يدري ماذا يحدث ويضطهروهم وسواكم عنده ولا يدخل النوم إلا وهو على الطهارة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا نام العبد وهو على الطهارة عرج روحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم ينم على الطهارة قصرت روحه عن البلوغ فتكون النامات أضغاث أحلام لا تصدق » والريد للتأهل إذا نام على القرائن مع الزوجة ينفض وضوءه بالمس ولا يفته بذلك فائدة

بعله وعمله إذ يعلم أن ذلك من الله تعالى وقد قال داود عليه السلام ما تأتي ليله إلا وإنسان من آل داود قائم ولا يأتي يوم إلا وإنسان من آل داود صائم . وفي رواية ما تخبر صاعق من ليل أو نهار إلا وعابد من آل داود يمدك إياي صلي وإياي صوم وإياي ذكرك فأوحى الله تعالى إليه يا داود من أين لم ذلك إن ذلك لم يكن إلا في ولولاعون إياك ما قويت وسأكلك إلى نفسك . قال ابن عباس : إنما أصاب داود ما أصاب من القنب يسببه بسمله إذ أضافه إلى آل داود مدلا به حتى وكل إلى نفسه فأذنب ذنبا أورهه الحزن والندم . وقال داود : يارب إن بني إسرائيل يسألونك بإبراهيم وإسحق ويعقوب فقال إني ابتليهم فصيروا فقال يارب وأنا إن ابتليتني صبرت فأذل بالعمل قبل وقته قال الله تعالى فاني لم أخبرهم بأى شيء ابتليهم ولا في أى شهر ولا في أى يوم وأنا أخبرك في سنتك هذه وشرك هذا ابتليك غدا بأمرأة فاحذر نفسك فوقع فيها وقع فيه وكذلك لما استكمل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله تعالى عليهم وقالوا لا تغلب اليوم من قلة^(١) وكلا إلى أنفسهم فقال تعالى - ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تخفن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم ولّينهم مدبرين - . روى ابن عيينة أن أيوب عليه السلام قال إلهي إنك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد على أمر إلا أنرت هواك على هواي فودى من حمامة بشجرة آلاف صوت يا أيوب أتى لك ذلك أم من أين لك ذلك ؟ قال فأخذ رمادا ووضع على رأسه وقال منك يارب منك يارب فرجع من نسيانه إلى إضافة ذلك إلى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكناكم من أحد أبدا - وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهم خير الناس « ما منكم من أحد ينجي عمله قالوا ولأنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتخمدني الله برحمته^(٢) » ولقد كان أصحابه من بعده يتخمنون أن يكونوا نرايا وتينا وطيرا مع صفاء أعمالهم وقولهم فكيف يكون لدى بصيرة أن يجب بعمله أو يدل به ولا يخاف على نفسه فاذن هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الإعجاب بها بل هو ينظر إلى الكفار والفاسق وقد سلخوا نعمة الإيمان والطاعة بفير ذنبه أذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول إن من لا يبالى أن يجر من غير جناية ويعطى من غير وسيلة لا يبالى أن يعود ويسترجع ما وهب فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بسوء وهذا لا يلقى معه عجب بحال ، والله تعالى أعلم .

(بيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه)

اعلم أن العجب بالأسباب التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يسبب بملا يتكبره كعجه بالرأى الخطأ الذي يزني به عمله فإبه العجب ثمانية أقسام : الأول أن يسبب يدينه في جماله وهيبته ومجته وقوته وتناحب أشكاله وحسن صورته وحسن سوته وبالجملة تفصيل خلقته فليفت إلى جمال نفسه وينسى أنه نعمة من الله تعالى وهو برخصة الزوال في كل حال وعلاجه ما ذكرناه في السكبر بالجمال وهو التفكير في اقتدار باطنه وفي أول أمره وفي آخره وفي الوجوه الجلية والأبدان الناعمة تأم كيف تمزقت في التراب وأنت في القبور حتى استقرتها الطباع . الثاني : البطش والقوة كما حكى عن قوم عاد

- (١) حديث قولهم يوم حنين لا تغلب اليوم من قلة النبوة من رواية الريح بن أنس مرسلان رجلا قال يوم حنين لن تغلب اليوم من قلة فسق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأثّر الله عز وجل - ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم - ولا ين مردويه في تفسيره من حديث أنس لما اتقوا يوم حنين أعجبتهم كثرتهم فقالوا اليوم قتال قفروا ، فيه القرع بن فضالة خضف الجمهور في التراب وأنت في القبور حتى استقرتها الطباع . الثاني : البطش والقوة كما حكى عن قوم عاد
- (٢) حديث ما منكم من أحد ينجي عمله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

القوم على الطهارة مالم
يسترسد في التلذذ
النفس بالفس ولا يندم
بقطة القلب فأما إذا
استرسد في التلذذ
وغفل فتعجب الروح
أيضا لمكان صلافة
ومن الطهارة التي تشر
صدق الرؤيا طهارة
الباطن عن خدش
الهوى وكدورة عجة
الدنيا والتسز عن
أنجاس النل والحقد
والجدود وقد ورد من
أوى إلى فراشه لا ينوي
ظلم أحد ولا يعتقد على
أحد غفلة ما يجزم
وإذا طهرت النفس
عن الرذائل انجلت
مرآة القلب وقابل

حين ذلوا فيما أخبر الله عنهم - من أشد منا قوة - وكما استكمل عوج طي قوته وأعجب بها فتطلع جيلا
ليطبعة على عسكر موسى عليه السلام كتب الله تعالى تلك القطعة من الجبل بقرعه هدهد ضيف للنفار
حتى صارت في عنقه وقد يتكل المؤمن أيضا على قوته كما روى عن سليمان عليه السلام أنه قال: لأطوفن
البلية على مائة امرأة ولم يقل إن شاء الله تعالى لحرم ما أراد من الولد (١) وكذلك قوله وادع عليه السلام
إن ابتائتي صبرت وكان إجماعا منه بالقوة فلما ابتلى بلراة لم يصبر ويورث العجب بالقوة المجهوم في
الحروب وإلقاء النفس في التهلكة واللبادة إلى الضرب والقتل لكل من قصد بالسوء وعلاجه
مذكراته وهو أن يعلم أن حى يوم تخفف قوته وأنه إذا أعجب بها ربما سلها الله تعالى بأذى آفة
يسلها عليه . الثالث : العجب بالنقل والكياسة والنظن لدقائق الأمور من مصالح الدين والدنيا ونعمته
الاستبصار والرأى وترك للشهوة واستجهاج الناس المخالفين له ولرأيه وخرج إلى قلة الإساءة إلى أهل
العلم إغراما عنهم بالاستغناء بالرأى والنقل واستحقار لهم وإهانة وعلاجه أن يشكر الله تعالى على
ما رزق من النقل ويشكر أنه بأذى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويغن بحيث يضحك منه
فلا يأمن أن يسلب عقله إن أعجب به ولم يقل بشكره وليستغفر عقله وعلمه وليعلم أنه ما لو من
العلم لا يقلل وإن اتسع عقله وأن ما جهله بمعرفته الناس أكثر مما عرفه فكيف يعلم بما يعرفه الناس
من علم الله تعالى وأن يتهم عقله وينظر إلى الحق كيف يسجون بمقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر
أن يكون منهم وهو لا يدري فإن القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فينسى أن يعرف مقدار عقله
من غيره لا من نفسه ومن أعدائه لا من أصدقائه فإن من يدهانه يقضى عليه فيزيده عجبوا وهو لا يظن
بنفسه إلا الخير ولا يظن لغيره لنفسه فيزياد به عجباً . الرابع : العجب بالنسب الشريف كعجب المخاشية
حتى يظن بعضهم أنه ينجز بشفرة نسيه ونجاة آياته وأنه مقدور له وبشئيل بعضهم أن جميع الخلق
له موال وعبيد وعلاجه أن يعلم أنه مهما خالف آياه في أخلاقهم وأخلاقهم وظن أنه ملحق بهم فقد
جهل وإن اتقنى آياته لما كان من أخلاقهم العجب بل الخوف والإزراء على النفس واستعظام الخلق
ومدانة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب فليترتب بما شرفوا به وقد
ساووا في النسب وشاركهم في القبال من لم يؤمن بالله واليوم الآخر وكانوا عند الله شرار الناس
وأخس من الخنازير ولذلك قال تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى سائر لا نفوذ في أنسابكم
لاجتناكم في أصل واحد ثم ذكر فائدة النسب قال - وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا من أن الشرف
بالنقوى لا بالنسب قال - إن أكرمكم عند الله أتقاهم - ولما قيل رسول الله ﷺ من أكرم الناس من
أكيس الناس لم يقل من ينتمي إلى نسي ولكن قال أكرمهم أكثرهم للودت ذكر أكرمهم استنادا (٢)
وإنما نزلت هذه الآية حين أذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحرب بن هشام وسيل بن عمرو
وخالد بن أمية هذا العبد الأسود يؤذن قال تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاهم - وقال النبي
صلى الله عليه وسلم «إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية أي كبرها كنكم بنو آدم وادم بن نراب (٣)»

الوجه المحفوظ في النوم
وانتشت فيه هجاب
النبي وغرائب الأنبياء
ففي الصديقين من
يكون في مناه مكاله
ومعادته فيأمره الله
تعالى وينهاه ويغنيه
في اللام ويصرفه
ويكون موضع ما ينشئ
له في نومه من الأمر
والنهي كالأمر والنهي
الظاهر بمعنى الله تعالى
إن أخذ بها بل
تكون هذه الأمور
أكدا وأعظم وقالان
المخالفات الظاهرة
تحموها التسوية
والثابت من الدين
كمن لا ذنب له وهذه
أوامر خاصة تتعلق بحاله

- (١) حديث قال سليمان لأطوفن الليلة بمائة امرأة الحديث البخاري من حديث أبي هريرة
- (٢) حديث لما قيل له من أكرم الناس من أكيس الناس قال أكرمهم للودت ذكر أكرم الحديث
ابن ماجه من حديث ابن عمر دون قوله وأكرم الناس وهو بهذه الزيادة عند ابن أبي الدنيا في
ذكر اللوت آخر الكتاب (٣) حديث إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية الحديث أبو داود
والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة ورواه الترمذي أيضا من حديث ابن عمر وقال غريب .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « يامعشر قريش لآتائي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدينيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فأقول هكذا أي أعرض عنكم ^(١) » فبين أنهم إن مالوا إلى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش « ولما زل قوله تعالى - وأندر عشرتك الأقرين - نادام بطننا بعد بطن حتى قال بإفاطمة بنت محمد يافضة بنت عبد اللطيف عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمالا لأحسنا كاني لأغني عنكما من الله شيئا ^(٢) » فن عرف هذه الأمور وعلم أن شرفه بقدر قوته وقد كان من عادة آباءه التواضع اتحدى بهم في التقوى والتواضع وإلا كان طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله مهما اتسى إليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والإسفاف . فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم بعد قوله قاطعة وصفية « إني لأغني عنكما من الله شيئا إلا أن لكم رحما سأبليها ليلها ^(٣) » وقال عليه الصلاة والسلام « أرجو سليم شفاعة ولا يرجوها بنو عبد اللطيف ^(٤) » فذلك يدل على أنه سيخسر قرايته بالشفاعة . فاعلم أن كل مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والذئب أيضا جدير بأن يرجوها لكن بشرط أن يتقى الله أن يضرب عليه فاته إن يضرب عليه فلا يأذن لأحد في شفاعة لأن القلوب منقسمة إلى ما يوجب للثقت فلا يؤذن في الشفاعة إلا إلى ما يوجب عنه بسبب الشفاعة كالذئب عند ملوك الدنيا فان كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيها اشتد عليه غضب الملك فمن القلوب مالا تتجى منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى - ولا يشعرون إلا لمن أراضى - وبقوله - من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه - وبقوله - ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له - وبقوله - فما تتمتع شفاعة الشافعين - وإذا انقسمت القلوب إلى ما يشفع فيه وإلى مالا يشفع فيه وجب الخوف والإسحاق لعمالة ولو كان ذنب تقبل فيه الشفاعة لما أمر قريشا بالطاعة ولما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم قاطعة رضى الله عنها عن اللصبة ولكان يأذن لها في اتباع الشهوات لتكمل قاداتها في الدنيا ثم يشفع لها في الآخرة لتكمل قاداتها في الآخرة فلا يهاك في القلوب وترك التقوى امتكالا على رجاء الشفاعة يضاهي إهمالك للرب في شهواته أعبادا على طبيب حاذق قريب مشفق من أب أو أمع أو غيره وذلك جهل لأن سعى الطبيب وهمته وحذقه تنفع في إزالة بعض الأمراض لا في كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا أعبادا على مجرد الطب بل للطبيب أثر في الحق ولكن في الأمراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج فيمكننا ينبغي أن نفهم عناية الشفاء من الأبناء والصالحين للأقارب والأجانب فانه كذلك قطعا وذلك لازيل الخوف والحدركين بزل وخير الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقد كانوا يتنون أن يكونوا بهم من خوف الآخرة مع كمال تقوهم وحسن أعمالهم وصفاء قلوبهم وما معموم من وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بإمام بالجنة خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة عامة ولم يتكلموا عليه ولم يفارق الخوف والخشوع قلوبهم .

فيا بينه وبين الله تعالى
فأذله أهل بها يخشى
أن ينقطع عليه طريق
الإرادة ويكون في
ذلك الرجوع عن الله
واستيجاب مقام اللت
فان أبلى البدني بسب
الأحايين بكسل وقصور
عزيمة يمنع من تجديد
الطهارة عند التورم بعد
الحدث بمسح أعضائه
بالماء مسحا حتى يخرج
بهذا القدر عن زمرة
النافلين حيث تقاعد
عن فصل التيقظين
وهكذا إذا كسل عن
القيام عقب الابتداء
بمجهد أن يستاك
ومسح أعضائه بالماء
مسحا حتى يخرج في

(١) حديث يامعشر قريش لآتائي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدينيا تحملونها على رقابكم الحديث الطبراني من حديث عمران بن حصين إلا أنه قال يامعشر بني هاشم وسند ضعيف (٢) حديث لما زل قوله تعالى - وأندر عشرتك الأقرين - نادام بطننا بعد بطن حتى قال بإفاطمة بنت محمد يافضة بنت عبد اللطيف الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه مسلم من حديث عائشة (٣) حديث قوله بعد قوله للتقدم قاطعة وصفية ألا إن لكم رحما سأبليها ليلها مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ غير أن لكم رحما سأبليها ليلها (٤) حديث أرجو سليم شفاعة ولا ترجوها بنو عبد اللطيف الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن جعفر وفيه أصيرم بن حوشب عن إسحاق ابن واصل وكلاما ضعيف جدا .

فكيف يعجب بنفسه ويشكل على الشفاعة من ليس له مثل محبتهم وسابقتهم . الخامس : العجب بنسب السلاطين الظلة وأعوانهم دون نسب الدين والعلم ، وهذا غاية الجهل وعلاجه أن يتفكر في عنايتهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله وأنهم المقوتون عند الله تعالى ولو نظر إلى صورهم في النار وأنتائم وأقدارهم لاستكشف منهم وكثيراً من الانتساب إليهم ولأنكر على من نسب إليهم استغذاراً واستحقاراً لهم ولو انكشف له ظلمهم في القيامة وقد تعاقب الحباء بهم ولولا لاسكة أخذون بنواصيرهم يحرقونهم على وجوههم إلى جهنم في مظالم العباد لتبرأ إلى الله منهم ولكان انتسابه إلى الكلب والحزير أحب إليه من الانتساب إليهم خلق أولاد الظلمة إن عصمهم الله من ظلمهم أن يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لأبائهم إن كانوا مسلمين ، فاما العجب بنسب جهل حمض . السادس : العجب بكثرة العدد من الأولاد والحكم والعلما والمثيرة والأقارب والأنصار والأيتام كما قال الكفار - نحن أكثر أموالاً وأولاداً - وكما قال المؤمنون يوم حين لا تنقلب اليوم من قلة وعلاجه ما ذكرناه في الكبر وهو أن يتفكر في ضعفه وضعفهم وأن كلهم عبيد يحجز فلا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً . و - كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله - ثم كيف يعجب بهم وأنهم يستفتون عنه إذا مات فيدفن في قبره ذليلاً مهيناً وحده لا يرافقه أهل ولا ولد ولا قريب ولا حم ولا عشير فيسلطونه إلى البلى والحيات والقاربات والديدان ولا يظنون عنه شيئاً وهو في أحوال وقواته إليهم وكذلك يهربون منه يوم القيامة - يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحته وبنيه - الآية ، فأى خير فمن يفارقك في أشد أحوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفك في القبر والقيامة وعلى الصراط إلا عملك وفضل الله تعالى فكيف تتكلم على من لا ينفك، وتنتسبهم من تلك نعمك وشرك وموتك وحياتك . السابع : العجب بالمال كما قال تعالى إخباراً عن صاحب الجنتين إذ قال - أنا أكثر منك مالا وأعز نقراً - و رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً غنياً جلس بجنبه قبر فاقبض عنه وجمع ثيابه فقال عليه السلام : أشحبت أن يبدو إليك قبره (١) وذلك للعجب بالثني وعلاجه أن يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظم غوائله وينظر إلى فضيلة الفقراء ويستعظم إلى الجنة في القيامة وإلى أن المال غاد ورأع ولا أصل له وإلى أن في اليهود من يزيد عليه في المال وإلى قوله عليه الصلاة والسلام « بينا رجل يتبختر في حلقة قد أهبطته نفسه إذ أمر الله الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة (٢) » أشار به إلى عقوبة إصحابه بماله ونفسه، وقال أبوذر « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا أباذر ارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا رجل عليه ثياب جياذ ثم قال ارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا رجل عليه ثياب خلقة فقال لي يا أباذر هذا عند الله خير من قراب الأرض مثل هذا (٣) » وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب دم الدنيا وكتاب دم المال بين حقارة الأغنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى فكيف يتصور من المؤمنين أن يعجب بثروته بل لا يغتو المؤمنين عن خوف من تقصيره في القيام بمحقوق المال في أخذه من حله ووضعه في حقه ومن لا يفتل ذلك لصيره إلى الحزى والبوار فكيف يعجب بماله . الثامن : العجب بالرأى الخطأ . قال تعالى - أقمن زين له سوء عمله فرآه حسناً - وقال تعالى - وهم يحسبون أنهم

قلوبه وانتباهاته عن زمرة المنافقين في ذلك فضل كثير لمن كثرت نومه وقل قياته . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاك في كل ليلة مراراً عند كل نوم وعند الانتباه منه ويستقبل القبلة في نومه وهو على نوعين فلما على جنبه الأيمن كاللحدود وإما على ظهره مستقبلاً للقبلة كالبيت السجى ويقول بأمرك اللهم وضعت جنبي وبك أرفعه اللهم إن أمسكت نفسي فاغفر لها ولرحمها وإن أزلمتها فاخفظها بما

(١) حديث رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً غنياً جلس بجنبه قبر فاقبض منه الحديث ورواه أحمد في الزهد (٢) حديث بينا رجل في حلة قد أهبطته نفسه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث أبي ذر كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا أباذر ارفع رأسك فرفعت رأسي الحديث وفيه هذا عند الله خير من قراب الأرض مثل هذا إن جان في صحيحه .

يحتنون صنما - وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ذلك يخلب على آخر هذه الأمة (١) وبذلك هلكت الأم السالفة إذ ائتمرت فرقا فكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون ، وجميع أهل البدع والفلال إنما أصروا عليها ليجبهم بأرائهم والسبب بالبدعة هو استعسان ما يسوق إليه الهوى والشهوة مع ظن " كونه حقا ، وعلاج هذا السبب أخذ من علاج غيره لأن صاحب الرأي الخاطئ جاهل بحضك ولو عرفه تركه ولا يبالغ الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتفسير مدوااته جده لأن المعارف يندر على أن يبين للجاهل جهله ويزيله عنه إلا إذا كان معجبا برأيه وجهله فإن لا ينفى إلى المعارف ويزنجه قد سلب الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الحرب معاهو سبب سعاده في اعتقاده وإنما علاجه على الجملة أن يكون متبعا لرأيه أبدا لا يفتري به إلا أن يسجد له قاطع من كتاب أوسنة أودليل على صحيح جامع لشرائط الأدلة ولن يعرف الإنسان أدلة الشرع والفعل وشروطها ومكمن القلطيها إلا بخرجة تامة وعقل ثابت وجد وتشر في الطلب وممارسة للكتاب والسنة ومجالسة لأهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه القلطي ببعض الأمور والصواب لمن لم يتفرغ لاستتراق عمره في العلم أن لا يخوض في المذاهب ولا يصني إليها ولا يجمعها ولكن ينتد أن الله تعالى واحد لا شريك له وأنه - ليس ككله شيء وهو السميع البصير - وأن رسوله صادق فبا أخبره ويشيع سنة السلف ويؤمن بمجمل ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتقرير وسؤال عن تفصيل بل يقول آمنا وصدقنا ويشهد بالثبوتى واجتباب المصطفى وأداء الطاعات والتفقه على السليين وسائر الأعمال فإن خاض في المذاهب والبدع والتصبب في القائله هلك من حيث لا يشعر ، هذا حق كل من عزم على أن يشتغل في عمره بشيء غير العلم ، فأما الذي عزم على التجرد للعلم فأول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الأترفيه والوصول إلى اليقين والفرقة في أكثر للطلاب شديد لا يندر عليه إلا الأقوياء للؤبدون بنور الله تعالى وهو عزز الوجود جدا ، فنسأل الله تعالى الصمة من الضلال ونعوذ به من الاعتقار غيالات الجبال .

تم كتات دم الكبير والمعجب والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(كتاب دم التور)

(وهو الكتاب العاشر من ربيع الهلكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي يده مقاليد الأمور ، وقدرته مقادير الخيرات والتور ، وخرج أوليائهم من الظلمات إلى النور ، ومورد أعدائه ووطأت التور ، والصلاة على محمد وخرج الخلائق من الدجور ، وعلى آله وأصحابه الذين لم يقرم الحياة الدنيا ولم يخرم بالله التور ، صلاة تتوالى على عمر الدهور ومكر الساعات والتور . [أما بعد] ففتاح السعادة التيقظ والفتنة ومنبع الشقاوة التور والفلة فلا نعمة لله على عباده أعظم من الإيمان والفرقة ولا ميلة إليه سوى انسراح الصدر بنور البصرة ولا نعمة أعظم من السكفر والصية ، ولا داعي إليها سوى عمى القلب بظلمة الجبال فالأكياس وأرباب البصائر

(١) حديث أنه يخلب على آخر هذه الأمة الإعجاب بالرأى هو حديث أبي ثعلبة التتقدم فاذا رأيت شحا مطاها وهو متبعا وإعجاب كل ذي رأى برأيه فليكن بغضه شكا وهو عند أبي داود والترمذى .

(سكتاب دم التور)

تحفظ به عبادك الصالحين
اللهم إني أسألت خبي
إليك وجهت وجهي
إليك وفوضت أمري
إليك وألجأت ظمري
إليك رهبتك ورغبة
إليك لاملأ ولا منجى
منك إلا إليك آمنت
بكتاك الذي أنزلت
ونبيك الذي أرسلت
اللهم قى عذابك يوم
تبث عبادك الحمد لله
الذي حكم قهر الحد
فه الذي بطن غير
الحدفه الذي ملك
تقدر الحدفه الذي
هو يحيى اللوق وهو
على كل شيء قدير اللهم
إني أعوذ بك من
غضبك وسوء عقابك

فأفهم كشكاة فيها مصباح الصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يطفى ولولم تحسه نار نور على نور وافترون قلوبهم كظلمات في بحر لجي يشاء موج من فوقه موج من فوفه سحب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فلهال من نور فالأكياس هم الذين أراد الله أن يهديهم فخرج صدورهم للإسلام والهدى والفترون هم الذين أراد الله أن يضلمهم فجعل صدورهم ضياء حرا كأنما يسمد في الساء والتور هو الذي لم تفتح بصيرته ليكون هديا نفسه كميلا وبقي في العمى فالتخذل هو قائد الشيطان دليلا ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا، وإذا عرف أن التور هو أم الشقاوات ومنع للهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع التور فيه ليجرد المرء بعد معرفته فيتيقن فالوفاق من الباد من عرف مداخل الآفات والفساد فآخذ منها حذره ونهى على الحزم والبصرة أمره ونحن نشرح أجناس مجاري التور وأصناف التورين من القضاة والملاء والصالحين الذين اغتروا ببيادى الأمور، أجليا ظواهرها لقيحة سرورها ونشير إلى وجه اغترارهم بها وعقلهم عنها فان ذلك وإن كان أكثر مما يعنى ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تفتى عن الاستفهام وفرق التورين كثيرة ولكن بجمعهم أربعة أصناف. الصنف الأول من الملاء. الصنف الثاني من الباد. الصنف الثالث من التصوفة. الصنف الرابع من أرباب الآداب والوللقرن كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى للشكر معروفا كالذى يتخذ المسجد ويخزفها من اللال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يمسى فيه لنفسه وبين ما يمسى فيه لله تعالى كالواضع الذى غرضه القول والجاه ومنهم من يترك الأهم ويشغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشغل بالعلقة ومنهم من يترك اللباب ويشغل بالشر كالذى يكون همه في الصلاة مقصورا على تصحيح مخارج الحروف إلى غير ذلك من مداخل لاتضح إلا بتفصيل الفرق وضرب الأمثلة ولنبدا أولا بذكر غرور الملاء ولكن بعد بيان التور وبيان حقيقته وحده.

(بيان ثم التور وحقيقته وأمثله)

اعلم أن قوله تعالى - فلا تترنكم الحياة الدنيا ولا ترنكم بالله التور - وقوله تعالى - ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرركم الأمانى - الآية. كاف في ثم التور وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم «حيذا نوم الأكياس وفطارهم كيف يبنون سهر الحق واجتأدهم ولتلاذد رتمن صاحب تنوى وبين أفضل من مله الأرض من للقرن (١)» وقال صلى الله عليه وسلم «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها ونهى على الله (٢)» وكل ما ورد في فضل العلم وثم الجهل فهو دليل على ثم التور لأن التور عبارة عن بعض أنواع الجهل إذا الجهل هو أن يعتقد الشيء وراءه على خلاف ماهو به والتور هو جهل لأن كل جهل ليس بغرور بل يستدعى التور وغرورا فيه مخصوصا وغرورا به وهو الذى يبرء فلها كان الجهل هو للتقديس باوفاق الهوى وكان السبب للوجوب للجهل شبهة وغيلة فاسدة يظن أنها دليل ولاتكون دليلا لى الجهل الحاصل به غرور والتور هو سكن النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتد أنه على خير إما في الما قبل أو في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور وأكثر الناس يظنون بأنفسهم

(١) حديث جبريل نوم الأكياس وفطهم الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين من قولنا في الرداء (٢) بدوه وفيه اشتغال وفي بعض الروايات أبي الورد موضع أبي الرداء ولم أجده مرفوفا (٣) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث الترمذى وابن ماجه من حديث خديدا بن أوس

وشر عبادك وشر الشيطان وشر كوكبا قرأ خمس آيات من البقرة الأربع من الأول الآية الحامسة - إن في خلق السموات والأرض - وآية الكرسي، وآمن الرسول. وإن ربكم الله. وقل ادعوا الله، وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد والمؤذنين، وينفخ بجن في يديه ويمسح بوجهه وجسده وإن اضف إلى ما قرأتموا من أول الكهف وعثرا من آخرها غفن ويقول اللهم

الحير وهم عثثون فيه فأكثر الناس إذن مغرورون وإن اختلفت أصناف غرورهم واشتاتت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض وأظهرها وأشد غرور الكفار وغرور الصائغ والساق فورده لهما أمثلة لحقيقة الغرور . المثال الأول : غرور الكفار فهم من غرته الحياة الدنيا ومنهم من غرته بالله الغرور أما الذين غرهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من السيئة قالوا بقاء الدنيا والآخرة نسيئة فهم إذن خير فلا بد من إشارتها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا بين ولذات الآخرة شك فلا ترك اليقين بالشك وهذه أقيسة فاسدة تشبه قياس إبليس حيث قال - أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين - وإلى هؤلاء الاغارة بقوله تعالى - أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون - وعلاج هذا الغرور إما بتصديق الإيمان وإما بالبرهان أما التصديق بمجرد الإيمان فهو أن يصدق الله تعالى في قوله - ماعدنكم بنقد وما عند الله باق - وفي قوله عز وجل - وما عند الله خير - وقوله - والآخرة خير وأبقى - وقوله وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور - وقوله - فلا تفرحكم الحياة الدنيا - وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوائف من الكفار قلدوه وصدقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان (١) . ومنهم من قال نندتك الله أبشك الله رسولا ؟ فكان يقول نعم فيصدق (٢) وهذا إيمان العامة وهو يخرج من الغرور ويبرز هذا منزلة تصديق السي والله في أن حضور للكتب خير من حضور للملب مع أنه لا يدري وجه كونه خيرا وأما المعرفة بإبائن والبرهان فهو أن يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان فإن كل مغرور فخرور مسبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكن إليه وإن كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بألفاظ العلماء فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه أصلا : أحداهن الدنيا هد والآخرة نسيئة وهذا صحيح والآخر قوله إن النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبس فليس الأمر كذلك بل إن كان النقد مثل النسيئة في القدار والقصد فهو خير وإن كان أقل منها فالنسيئة خير فإن الكفار الغرور يبدل في تجارته درهما يأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا تركه وإذا حذرهم الطبيب القواكه ولذا إذا أطمعه ترك ذلك في الحال خوفا من ألم المرض في المستقبل فقد ترك النقد ورضى بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار ويتبعون في الأسفار هذا لأجل الراحة والرغيب نسيئة فإن كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فأفسد الله الدنيا من حيث مدتها إلى مدة الآخرة فإن أقصى عمر الإنسان مائة سنة وليس هو عشر عشر من جزء من ألف جزء من الآخرة فكأنه ترك واحد يأخذ ألف بل يأخذ مالا لا نهاية له ولا حد وإن نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكدره مشوبة بأنواع النقصات ولذات الآخرة صافية غير مكدره فاذن قد غلط في قوله النقد خير من النسيئة فهذا غرور منشوء مقبول لقطعه مشهور أطلق

(١) حديث تصديق بعض الكفار بما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمانهم من غير مطالبة بالبرهان هو مشهور في السنن من ذلك قصة إسلام الأنصار ويصحبهم وهي عند أحمد من حديث جابر وفيه حتى بشا الله إليه من يشرب فأولنا وصداقه فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقره القرآن فيقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه الحديث وهي عند أحمد بإسناد جيد (٢) حديث قول من قاله نندتك الله أبشك الله رسولا فيقول نعم فيصدق منتفق عليه من حديث أنس في قصة ضلم بن ثعلبة وقوله لقي صلى الله عليه وسلم الله أرسلك للناس كلهم فقال اللهم نعم وفي آخره فقال الرجل آمنت بما جئت به والطبراني من حديث ابن عباس في قصة ضلم قال نندتك به أو أرسلك بما آتيناك كتبك وآتينا رسلك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن نبع اللات والعزى قال نعم الحديث .

أعظم في أحب الساعات
إليك واستمعني
بأحب الأعمال إليك
التي تقر بي إليك زلي
وبعدني من سخطك
بما أصابك تخطي
واستغفرك تخفلي
وأدعوك تسجبي لي
اللهم لا تؤمئ سكر
ولا تولي غيرك ولا
ترض عني شرك ولا
تنسئ ذكرك ولا تعجاني
من الدافين . ورد
أن من قال هسنة
الكلمات بث الله
تعالى إليه ثلاثة
أملاك يوظفونه للصلاة
فان صلى ودعا مؤاويل
دعاه وإن لم ينجس
الأملاك في الهواء كتب

وأريد به خاص فضّل به المرور عن خصوص معناه فإن من قال النقد خير من النسبة أراد به خير من نسبة هي مثله وإن لم يصرح به وعند هذا يغزع الشيطان إلى القياس الآخر وهو أن اليقين خير من الشك والآخره شك وهذا القياس أكثر فسادا من الأول لأن كلا أصليه باطل إذ اليقين خير من الشك إذا كان مثله والافتاجر في تبه على يقين وفي ربه على شك والتفتة على اجتهد على يقين وفي إدراك كبرية العلم على شك والصيداء في تردده في للتفتة على يقين وفي الظفر الصبد على شك وكذا الحزب دأب العقلاء بالاضافى وكل ذلك ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول إن لم أبحر بقيت جاسا وعظم ضرر رعى وإن أبحرت كان تبه قليلا ورجمي كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكرهى وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قليل بالاضافة إلى ما أخافه من المرض ولت ذلك فيكذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم أن يقول أيام الصبر قلائل وهو منتهى العمر بالاضافة إلى ما ياقل من أمر الآخرة فإن كان ما قيل فيه كذبا فهو يفتنى إلا التمس أيام حيان وقد كنت في الصدم من الأزل إلى الآن لا أتمم فأحسب أني بقيت في الصدم وإن كان ما قيل صدقا فأبقى في النار أبدا الأباد وهذا لا يطاق . ولهذا قال على كرم الله وجهه ليس للحد من إن كان ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وإن كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكنا وما قلنا هذا عن شك من في الآخرة ولكن كظم للحد على قدر عقله وبين له أنه وإن لم يكن متيقنا فهو مفرور . وأما الأصل الثاني من كلامه وهو أن الآخرة شك فهو أيضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان : أحدهما الإيمان والتصديق تقليدا للأنبياء والعلماء وذلك أيضا يزول المرور وهو مدرك يقين العوام أكثر الخواص ومثلهم مثا مريض لا يعرف دواء علة وقد اتفق الأطباء وأهل الصناعة من عند آخرهم على أن دواء البت القلائل فانه مطمئن نفس المريض إلى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبرهان الطبية بل يثق بقولهم ويحمل به ولو بقي سوادى أو متوه يكذبهم في ذلك وهو يلزم بالتأويل وقرائن الأحوال أنهم أكثر منه عددا وأغزر منه فضلا وأعلم منه بالطب بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يتقدم كذبهم بقوله ولا يتر في علمهم بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الأطباء كان مستوها منوروا فكذلك من نظر إلى المقرين بالآخرة والمخبرين عنها والقائلين بأن التقوى هو الداء النافى في الوصول إلى سعادتها وجدهم خير خلق الله وأعلام رتبة في البصرة والمعرفة والمثل وهم الأنبياء والأولياء والحكام والعلماء واتباعهم عليه الخلق على أصنافهم وعشده منهم آحاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم إلى التمتع فظلم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بأنهم من أهل النار ليجسدوا الآخرة وكذبوا الأنبياء فكان أن قول الصبي وقوله السوادى لا يزال طمانينة القلب إلى ما تنافى عليه الأطباء فكذلك قول هذا الفتى الذى أسترته الشهوات لا يشكك في صحة أقوال الأنبياء والأولياء والعلماء وهذا القدر من الإيمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحق على العمل لاجل حاله المرور يزول به . وأما المدرك الثانى لمعرفة الآخرة فهو الوحي للأنبياء والألهم للأولياء ولا نطق أن معرفة النبي عليه السلام لأمر الآخرة والأمور الدين تقليد لجبريل عليه السلام والباع منه أن كان معرفتك تقليد لنبى صلى الله عليه وسلم حتى تكون معرفتك مثل معرفته وإنما يختلف التقليد قط وهيات فإن التقليد ليس بمعركة بل هو اعتقاد صحيح والأنبياء عارقون ومعنى معرفتهم أنه كنف لهم حقيقة الأهياء كما هي عليها فشاهدوها بالبصرة الباطلة كما تشاهد أنت المحسوسات بالبرر الظاهر فيخبرون عن مشاهد لا عن سماع وتقليد وذلك بأن يكشف لهم عن حقيقة الروح وأنه من أمر الله تعالى وليس المراد يكون من أمر الله الأمر الذى يقابل الهى ، لأن ذلك الأمر كلام والروح ليس بكلام ، وليس المراد بالأمر

لهم ثواب عبادتهم
ويسبح ويحمد ويكبر
كل واحد ثلاثا وثلاثين
ويتم المسألة بلا إله إلا
الله والله أكبر ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلى
ال العظيم .

[الباب السابع
والأربعون في أدب
الانتباه من التسووم
والعمل بالليل]
إذ افرغ المؤمن من أذان
المغرب يصل ركعتين
خفيفتين بين الأذان
والاقامة وكان العلماء
 يصلون هاتين الركعتين
في البيت بسجودهما
قبل الخروج إلى الجماعة
كيلا يظن الناس أنها

الشأن حتى يكون الراديه أنه من خلق الله فقط لأن ذلك عام في جميع الخلقوات بل العالمان عالم
الأمس وعالم الخلق والله الخلق والأمس فالأجسام ذوات السكينة والقادر من عالم الخلق إذا خلق عبارة عن
التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزّه عن السكينة القادر انه من عالم الأمر وشرح ذلك سر الروح
ولا رخصة في ذكره لاستضرار أكثر الخلق بسماحه كسر القدر الذي منع من إبداءه فمن عرف سر الروح
قد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه وإذا عرف نفسه وره عرف أنه أمر رباني بطبعه
وفطرته وأنه في العالم الجسائي غريب وأن هبوطه إليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بأمر عارض
غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على آدم صلى الله عليه وسلم وعبر عنه بالمصيبة وهي التي
حطته من الجنة التي هي ألبق به بمقتضى ذاته فاتها في جوار الرب تعالى وأنه أمر رباني وخبيته إلى جوار
الرب تعالى له طبعه ذاتي لأن يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند
ذلك نفسه وره ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه إذ قيل له لو أنك نواكذب نسا الله فأفسام أنفسهم
أولئك هم الفاسقون - أي الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن
كأسها إذا خرجت عن معدنها القطري وهذه إشارة إلى أسرارهم بترلاستشراق وأنها العارفون وتشمّر
من صراع ألقاظها القاصرون فاتها تضرهم كما تضر رياح الورد بالجمل وتبر أعينهم الضعيفة كاتبر
الشمس أصحاب الحفايش واشتاع هذا الباب من سر القلب إلى عالم السكوت يسمى معرفة وولاية
ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهي مبادئ مقامات الأنبياء وآخر مقامات الأولياء أول مقامات الأنبياء
ولترجع إلى الغرض المطلوب فالقصد أن غرور الشيطان بأن الآخرة شك يدفع إياهم يقين تغليده ولما
يصيرة ومشاهدة من جهة الباطن واللؤمون بالسوء وبمقامهم إذا ضيعوا أو أراقة تعالى وهجروا
الأعمال الصالحة ولا سوا الشهوات واللصا فيهم مشاركون للسكينة في هذه التورر لأنهم ترو الحياة
الدنيا على الآخرة نعم أمرهم أخف لأن أصل الإيمان بمصممهم عن عقاب الأبد فيخرجون من النار ولو
بدين ولكهم أيضا من التورر فإنهم اعترفوا بأن الآخرة خير من الدنيا ولكهم ما لو إلى الدنيا
وآزروها وبمجرد الإيمان لا يكفي للفوز قال تعالى - وإن لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى -
وقال تعالى - إن رحمت الله قريب من المحسنين - ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لا إحسان أن تعبد
الله كأنك تراه (١) وقال تعالى - والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر - فوعد التفرقة في جميع كتاب الله تعالى بنوط بالإيمان والعمل الصالح
جميعا لا بالأيمان وحده فهو لا أيضا مغرورون أغنى للطمعئين إلى الدنيا الفرحين به الترفين بنعمها
المحين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة إبداءه فمآل التورر
بالدنيا من الكفار واللؤميين جميعا . ولذا كرر للتورر بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين فأما
غرور الكفار بالله فتأله قول بعضهم في أنفسهم . وألستم إن لو كان فقه من معاد فحقن أسقى به من غيرنا
ونحن أوفر حظا فيه وأسعد حالا كما أخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين إذ قال - وما أظن
الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها من قبلي - وجملة أمرهما كما نقل في التفسير أن الكافر منهما
بني قصرا بألف دينار واشترى بستانا بألف دينار وخبدا بألف دينار وزوج امرأة ألف دينار وفي
ذلك كله يخطه اللؤم ويقول اشترت قصرا يغني وغرب الأاشريت قصرا في الجنة لا يغني واشترت
بستانا يغرب ويغني الأاشريت بستانا في الجنة لا يغني وخبدا لا يغني ولا يوتون وزوجة من الحور
العين لا تموت وفي كل ذلك يد عليه الكافر ويقول ما هناك شيء وما قيل من ذلك فهو أكاذيب وإن كان

(١) حديث الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم .

سنة مرتبة فيقضى
بهم طنائهم أهما سنة
وإذا صلى المغرب يصل
ركعتي السنة بعد المغرب
يسجل بهما فاتها
رضان مع الفريضة
بقرا فيها بقل بأيتها
الكافرون وقل هو الله
أحدثهم سلم على ملائكة
الليل والسكرام
الكاتبين فيقول مرحبا
بملائكة الليل مرحبا
بالمسكين الكربين
الكاتبين اكتبوا في
صيفي أني أشهد أن
لا إله إلا الله وأشهد
عهدا رسول الله وأشهد
أن الجنة حق والنار
حق والحوش حق

فليكونن^(١) لي في الجنة خير من هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل إذ يقول: لا وبين مالا وولدا - قال الله تعالى ردّا عليه - أطلع القيب أم اتخذ عند الرحمن عبدا كلا سوروي عن خباب ابن الأرت أنه قال وكان لي على العاص بن وائل دين بخت أخصاه فلم يقض لي قتلتي إني أخذه في الآخرة - فقال لي إذ صارت إلى الآخرة فإن لي هناك مالا وولدا أفضيك منه فأزل الله تعالى قوله - أفرايت الذي كفر بآتنا وقال لأولين^(٢) مالا وولدا - وقال الله تعالى - ولئن أذناهم رحمتنا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إني ربي إني لفي عنده للحسن - وهذا كله من الفرور بالله . وسببه قياس من أقيسه إليهم نموذ بالله منه ، وذلك أنهم ينظرون مرة إلى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعمة الآخرة وينظرون مرة إلى تأخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى - ويقولون في أنفسهم لو لا يذكرنا الله بما قول - فقال تعالى جوابا لقولهم - حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير - ومرة ينظرون إلى المؤمنين ، وهم قراء شعث غير فيزدرونهم ويستحقرونهم ، فيقولون - أهؤلاء من الله عليهم من بيننا - ويقولون - لو كان خيرا ما سبقونا إليه - وترتيب القياس الذي نظمه في قلوبهم أنهم يقولون قد أحسن الله إلينا بنعم الدنيا وكل حسن فهو بحسبنا فانه يحسن أيضا في المستقبل كما قال الشاعر :

لقد أحسن الله فيما مضى كعذلك بحسن فيما بقي

وإنما يقبس السليل على الماضي بواسطة الكرامة والحب إذ يقول لولائي كريم عند الله وهو محبوب لما أحسن إلي والتبليس تحت ظنه أن كل حسن بحسب لابل تحت ظنه أن إقامته عليه في الدنيا إحسان قد اغتر بالله إذ ظن أنه كريم عنده بدلي لا يدل على الكرامة بل عند ذوى البصائر يدل على الهوان . ومثاله أن يكون للرجل عبدان مقيرون يفضن أحدهما ويحب الآخر ، فالذي يحبه يتنه من اللعب ويلزمه للكتب ويحببه فيه ليمله الأدب ويتنه من القواك وماذا الأطعمة التي تنفذه ويسقيه الأدوية التي تنفعه والذي يفضيه بهمه ليعيش كيف يريد فيلب ولا يدخل للكتب وبأ كل كل مايشتهى فيظن هذا العبد المفضل أنه عند سيده محبوب كريم لأنه مكنه من شهوته ولذاته وساعده على جميع أغراضه فلم يتنه ولم يعجز عليه وذلك محض الفرور وهكذا انعم الله علينا ولذا نألفها فأنها مملكات وبميدات من الله وفان الله يحمي عبده من الدنيا وهو بحسبنا كما يحمي أحدكم من بضعته الطعام والشراب وهو بحسبنا^(٣) هكذا ورد في الخبر عن سيد البشر - وكان أرباب البصائر إذا أقيمت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عقوقه ورأوا ذلك علامة للقت والاهمال ، وإذا أبل عليهم الفقر قالوا مرحبا بشارت الصالحين . والفرور إذا أقيمت عليه الدنيا ظن أنها كرامة من الله ، وإذا صرف عنه ظن أنها هوان كما أخبر الله تعالى عنه إذ قال - فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول رب أكرمني وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول رب أهانني - فأجاب الله عن ذلك - كلا - أي ليس كما قال إنما هو ابتلاء نموذ بالله من شر البلاء ونسأله الله التثبت في أن ذلك غرور . قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا بأكرامي ولا هذا بهواني ولكن الكريم من أكرمه بطاع غنيا كان أو فقيرا . والهان من أهنته بمعصيته غنيا كان أو فقيرا وهذا الفرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان إما بالبصيرة أو بالتقليد . أما البصيرة فبأن يعرف وجه كون الالتفات

والشفاعة حقا والصراط والليزان حق ، وأشهد أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يمتحن في القبور اللهم أودعك هذه الشهادة ليوم حاجتي إليها . اللهم احطط بها وزري واغفرها ذنبي وتقل بها ميزاني وأوجب لي بها أمانتي ونجوازي يا أرحم الراحمين فان واصل بين المتألمين في مسجد جماعته يصكون جامعا بين الاعتكاف ومواصلة المتألمين وإن رأى انصرافه إلى منزله وأن للواصلين بين المتألمين

(١) حديث خباب بن الأرت قال كان لي على العاص بن وائل دين بخت أخصاه الحديث في نزول قوله تعالى - أفرايت الذي كفر بآتنا - الآية البخاري ومسلم (٢) حديث إن الله يحمي عبده من الدنيا وهو بحسبنا الحديث الترمذي وحسنه والحاكم وصححه من حديث قتادة بن النعمان .

إلى شهور الدنيا بعدا عن الله وجهه كون التباعد عنها مقربا إلى الله ويدرك ذلك بالإلهام في منازل العارفين والأولياء وشرحه من جملة علوم الكاشفة لابلقي بعلم العامة. وأما سره بطريق التقليد والتصديق فهو أن يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله وقد قال تعالى - أيحسبون أن ماغدوم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون - وقال تعالى - سنستدرجهم من حيث لا يلبون - وقال تعالى - فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرغوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون - وفي تفسير قوله تعالى - سنستدرجهم من حيث لا يلبون - أنهم كلما أهدوا ذنبا أهدناهم لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى - إنما نعلمهم ليزدادوا إثما - وقال تعالى - ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار - إلى غير ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله فمن آتبع به تخلص من هذا التور فأن منشأ هذا التور والجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يأمن مكره ولا يفر بأمثال هذه الحيلالات القاسدة وينظر إلى فرعون وهامان وقارون وإلى ملوك الأرض وما جرى لهم كيف أحسن الله ابتداءهم ثم دمهم تدميرا فقال تعالى - هل تحس منهم من أحد - الآية وقد حذر الله تعالى من مكره واستدراجه فقال - فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون - وقال تعالى - ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون - وقال عز وجل ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين - وقال تعالى - إنهم يكيدون كيدا وكيد الله لعل الكافرين أمهلهم رويدا - فكان لا يجوز للعبد للعمل أن يستدل بأهل السيد إياه وتعكبه من التمسح على السيد بل ينبغي أن يحذر أن يكون ذلك مكرامته وكيدا مع أن السيد لم يحذره مكر نفسه فإن يجب ذلك في حق الله تعالى مع تحذيره استدراجه أولى فاذن من آمن مكر الله فهو مغتر ومنشأ هذا التور أنه استدلل بنعم الدنيا على أنه كرم عند ذلك التمسح واحتمل أن يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب إلى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حد التور . المثال الثاني : غرور العصاة من المؤمنين بقوله لهم إن الله كريم وإننا نرجو عفوه واتكلمهم على ذلك وإهمالهم الأعمال وتحسين ذلك بتسمية نعيمهم واغترارهم رجاء وظنهم أن الرجاء مقام محمود في الدين وأن نعمة الله واسعة ورحمته عاملة وكرمه عظيم وأين معاصي العباد في بحر رحمته وإننا موحدون ومؤمنون فخرجوه بوسيلة الإيمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بصلاح الآباء وعلو رتبتهم كافتراء العلوية بنسبهم ومخالفة تفسير آياتهم في الحوق والتقوى والورع وظنهم أنهم أكرم على الله من آياتهم إلا آياتهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية الفسق والفجور آمنون وذلك نهاية الافتقار بالله تعالى بقياس الشيطان للعلوية أن من أحب إنسانا أحب أولاده وأن الله قد أحب آباءكم فيجبكم فلا تحتاجون إلى الطاعة وينسى التور أن نوحا عليه السلام أراد أن يتصحب ولده معه في السفينة فلم يرد فكان من الفرقين - فقال رب إن ابني من أهلي - فقال تعالى - يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح - وأن إبراهيم عليه السلام استغفر لأبيه فلم يقفتمته ، وأن نبينا صل الله عليه وسلم وحل كل عبد مصطفي استأذن ربه في أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار فجلس يبكي على قبر أمه لقرته لها بسبب القرابة حتى أبكى من حوله (١) فهذا أيضا افتقار بالله تعالى وهذا لأن الله تعالى يحب الطبع ويبغض العاصي فكأنه لا يفيض الأب للطبع يبغضه لاولد العاصي فكذلك لا يجب الولد العاصي

(١) حديث أنه صل الله عليه وسلم استأذن أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

في ينشئه ألم لديه وأقرب إلى الاخلاص وأجمع لهم فليعلم . وسئل رسول الله عليه السلام عن قوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - فقال هي الصلاة بين العشاءين وقال عليه السلام « عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بعلاغة النهار وتذهب آخره » ويجعل من الصلاة بين العشاءين ركعتين بسورة البروج والطارق ثم ركعتين بعد ركعتين بقرا في الأولى عشر آيات من أول سورة البقرة والآخرتين وإلهكم إله

بجه لألب الطبع ولو كان الحب يسرى من الأب إلى الولد لأوعك أن يسرى البنس أيضا بل الحق أن لأز وازرة وزر أخرى ، ومن ظن أنه ينبو بتقوى أبيه كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه ويرى شرب أبيه ويصير طالما تعلم أبيه ويصل إلى الكعبة وبراهم بشى أبيه فالتقوى فرض عين فلا يجزى فيه والد عن ولده شيئا وكذا العكس وعند الله جزاء التقوى - يوم يفر الرء من أخيه وأمه أبيه - إلا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فيأذن في الشفاعة له كسابق في كتاب الكبر والصجب . فان قلت فأين القلط في قول الصاء والنجار إن الله كريم وإننا رجور رحمة ومغفرة وقد قال أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فما هذا إلا كلام صحيح مقبول الظاهر في القلوب .

فاعلم أن الشيطان لا يخفى إلا بكلام مقبول الظاهر محمود الباطن ولولا حسن ظاهره لما اتخذت به القلوب ولكن التي صلى الله عليه وسلم كفف من ذلك فقال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحق من أتبع نفسه هواها ونفى الله تعالى » وهذا هو الحق بل الله تعالى غير الشيطان اسمه فهاه رجاء حق خضع به الجبال وقد شرح الله الرجاء فقال - إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في نبيل الله أولئك يرجون رحمة الله - يعني أن الرجاء بهم البقى وهذا لأنه ذكر أن ثواب الآخرة أجر وجزاء على الأعمال قال الله تعالى - جزاء بما كانوا يعملون - وقال تعالى - وإنما نؤتون أجوركم يوم القيامة - أقرى أن من استؤجر على إصلاح أوان وشرط له أجره عليه وكان الشرط كريما بنى بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فيها الأجر وكسر الأوان وأفسد جميعها ثم جلس ينتظر الأجر وزعم أن للتأجر كريم أقرام العقلاء في اشتغاله ثمتنا مغرورا أو راجيا وهذا الجبل بالفرق بين الرجاء والفرقة قبل الحسن قوم يقولون ترجوا أو وضويعون العمل فقال لهيات هيأت تلك أمانهم يترجون فيها من رجا شيئا طلبة ومن خاف شيئا هرب منه . وقال مسلم بن يسار : لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثيأتي فقال له رجل إننا لالرجوا فقال مسلم هيأت هيأت من رجا شيئا طلبة ومن خاف شيئا هرب منه وكأ أن الذي يرجو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح أو نكح ولم يجمع أو جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن أو آمن ولم يعمل صالحا أو عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور فكأ أنه إذا نكح ووطى ، وأزلى بتي متردا في الولد يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الأم إلى أن يتم فهو كئيب فكذلك إذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي متردا بين الخوف والرجاء يخاف أن لا يقبل منه وأن لا يدوم عليه وأن يختم له بالسوء ويرجو من الله تعالى أن يشنه بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد وعمرس قلبه عن الليل إلى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل إلى المعاصي فهو كئيب ومن عدا هؤلاء فهم للفرودون بالله - فسوف يطردون حين يرون العذاب من أمثل سبيلا - . ولتلمن نبأ بعد حين - وعند ذلك يقولون كأ أخبر الله عنهم - ربنا أهرنا وصمنا فأرجعنا نعمل صالحا إنا موقنون - أي علمنا أنه كأ لا يوك إلا بواقع ونكاح

ولا يثبت زرع إلا بجرأة وبث بذر فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب وأجر إلا بعمل صالح فأرجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الآن صدقك في قولك - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وسوف يرى - كأ أتني فوج سألمهم خزنتي ألم يأتكم نذير قالوا بل قد جاءنا نذير - أي ألم نسلمك سنة الله في عباده وأنه - توفي كل نفس ما كسبت - . وأن - كل نفس بما كسبت رهينة - فما الذي عرکم بالله بعد أن سمعتم وعقلتم - قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبيهم فسحقا لأصحاب السعير -

(١) حديث الكيس من دان نفسه تقدم قريبا .

واحد إلى آخر الآيتين وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد وفي الثانية آية الكرسي وآمن الرسول وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد ويقرأ في الركعتين الأخيرتين من سورة الزمر والواقعة ويسمى بعد ذلك ماشاء فان أراد أن يقرأ آيتين من حزب في هذا الوقت في الصلاة أو غيرها وإن شاء صلى عشرين ركعة خفيفة بسورة الاخلاص والفاحة ولو واصل بين المشاهدين ركعتين يطيلهما لحسن وفي هاتين الركعتين يطيل القيام

فان قلت فأين مظنة الرجاء وموضعه المسمود . فاعلم أنه محمود في موضعين : أحدهما في حق الماصي للهلك إذا خطر له التوبة فقال له الشيطان وآتى تهبك توبتك فينقذه من رحمة الله تعالى فيجب عند هذا أن يقع القنوط بالرجاء ويتذكر - إن الله ينفر الذنوب جميعا - وأن الله كريم يقبل التوبة عن عباده وأن التوبة طاعة تكفر الذنوب قال الله تعالى - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تهنطوا من رحمة الله إن الله ينفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وأنبؤوا إلى ربكم - أمرهم بالإتابة وقال تعالى - وإن لتفارقن تاب وآمن وحمل صالحا ثم اهتدى - فإذا توقع النفرة مع التوبة فهو راجع وإن توقع النفرة مع الإصرار فهو مغرور كما أن من ضاق عليه وقت الجملة وهو في السوق فخطر له أن يسعى إلى الجملة فقال له الشيطان إنك لا تدرك الجملة فأتم على موضعك فكذب الشيطان ومضى يدعو وهو يرجو أن يدرك الجملة فهو راجع وإن استمر على التجارة وأخذ يرجو تأخير الإمام للصلاة لأجله إلى وسط الوقت أو لأجل غيره أو لسبب من الأسباب التي لا يجرها فهو مغرور. الثاني أن تفر نفسه عن فضائل الأعمال وتقتصر على القرائن فيرجى نفسه نعم الله تعالى وما وعده الصالحين حتى يثبت من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى - قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون - إلى قوله وأولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون - فالرجاء الأول يقع القنوط للناقص من التوبة والرجاء الثاني يقع القنوط للناقص من النشاط والتشمر فكل توقع حث على توبة أو على تشمر في العبادة فهو رجاء وكل رجاء أوجب فورا في العبادة وركونا إلى البطالة فهو غرّة كما إذا خطر له أن يترك الذنوب ويشغل بالصلوات فيقول له الشيطان مالك وإبداء نفسك وتصفيا ولك رب كريم غفور رحيم ففتر بذلك عن التوبة والعبادة فهو غرّة وعند هذا واجب على العبد أن يستعمل الخوف فيخوف نفسه بنضب الله وعظم عقاب ويقول إنه مع أنه غافر الذنوب وقابل التوب شديد العقاب وإنه مع أنه كريم خلد السكفاري النار بالأبدان مع أنه لم يضره كفرهم بل سلط المذاب والحزن والأمراض والممل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على إزالتها فمن هدم مسكنه في عباده وقد خوف عقابه فكيف لا أخافه وكيف أعزّه به فالحوف والرجاء قائدان وسائقان يثبتان الناس على العمل فلا يبيت على العمل فهو متين وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب قنوطهم وسبب إقبالهم على الدنيا وسبب إغراضهم عن الله تعالى وإهمالهم السعي للآخرة فذلك غرور فقد أخبر ^(١) وقال أن التورر سيغل على قلوب آخر هذه الأمة (١) وقد كان ما وعد به صلى الله عليه وسلم فقد كان الناس في الأعصار الأول يواطون على العبادات ويؤتون مآثوا وقولهم وجلة أهم إلى ربهم راجعون يخافون على أنفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبالغون في التقوى والحذر من الشهوات والشهوات ويكون على أنفسهم في الخوفات وأما الآن قري الخلق آتئين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع إكبابهم على اللامى وانها كهم في الدنيا وإغراضهم عن الله تعالى زاعمين أنهم واثقون بكرم الله تعالى وفضله راجعون لعفو ومغفرتهم بأنهم يزعمون أنهم عرفوا من فضله وكرمه ما لم يعرفه الأنبياء والصالحين والسلف الصالحون فأن كان هذا الأمر يدرك بالحق وينال بالهوى ضلالم إذن كان بكاء أولئك وخوفهم وحزنهم وقد قدز تاعقيق هذه الأمور في كتاب الخوف والرجاء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فباروا بمقلين يسار «أتى على الناس زمان خلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما خلق الشياطين في الأبدان أمرهم كله يكون

(١) حديث إن التورر ينقلب على آخر هذه الأمة تهدم في آخر ذم الكبر والسجب وهو حديث أبي ثعلبة في إيجاب كل ذى رأى برأيه .

تاليا للقرآن حزه
أومكرا آية فيها الدعاء
والتلاوة مثل أن يقرأ
مكررا - ربنا هليك
توكلنا وإليك أنبنا
إليك الصير - أو آية
أخرى في معناها
فيكون جامعا بين
التلاوة والصلاة والدعاء
ففي ذلك جمع لهم
وطقر بالفضل ثم صلى
قبل العشاء أربعا
وبعدا ركعتين ثم
ينصرف إلى منزله
أوموضع خلوته فيصلى
أربعا أخرى وقد كان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلى في بيته أول
ما يدخل قبل أن يجلس
أربعا ويقرأ في هذه

طعنا لا خوف منه إن أحسن أحدكم قال يتقبل مني وإن أساء قال يغفر لي^(١) فأخبر أنهم يضمنون الطعم موضع الحرف لجهلهم بتعويضات القرآن وما فيه ومثله أخبر عن النصارى إذ قال قائل - شغلنا من بدم خلف ورتوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيفقر لنا - ومعناه أنهم ورتوا الكتاب أي هم علماء يأخذون عرض هذا الأدنى أي شهورهم من الدنيا بما كان أكل وحلا وقد قال تعالى - ولن خاف مقام ربه جنتان - ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد والقرآن من أوله إلى آخره تحذير وتخوف لا يتفكر فيه متفكر لا يطول حزنه ويعظم خوفه إن كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خضباؤها ونصبها كأنهم يقرءون شعرا من أشعار العرب لا يهمهم الالتفات إلى معانيه والعمل بمساقبه وهل في العالم فرور يزيد على هذا فإنه أمثلة الفرور بالله وبيان الفرق بين الرجاء والفرور وغرب منه فرور طوافهم طاعات ومعاصي إلا أن معاصيهم أكثر ذم يتوقفون للفرور ويظنون أنهم ترجح كفة حسناتهم مع أن ما في كفة السيئات أكثر وهذا غاية الجهل قرى الواحد يتصدق بدرهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتنازل من أموال المسلمين والشهات أضعافه ولعل ما تصدق به من أموال المسلمين وهو يتكلم عليه ويظن أن أكل ألف درهم حرام يقاومه التصديق بشتر من الحرام أو الحلال وما هو إلا كن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الأخرى ألفا وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالسكة الخفيفة وذلك غاية جهله . ثم - ومنهم من يظن أن طاعاته أكثر من معاصيه لأنه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه وإذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يفتاب المسلمين ويمزق أعراسهم ويتكلم بمال يرشاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره إلى عدوسه حتى أنه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هدياته طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة وألف مرة وقد كتبه الكرام الكابون وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة قال - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - فهذا أبدا يتأمل في فضائل التسبيحات والتهللات ولا يلتفت إلى ما ورد من عقوبة الغفابين والسكذابين والفسامين والناقضين يظهرون من الكلام ما لا يضرهم إلى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الفرور ولعمري لو كان الكرام الكابون يطلبون منه أجرة التسبيح لما يكتبونه من هدياته الذي زاد على تسبيحه لكان هند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به في قراءته كان حده وعصبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجرة نسخه فيأجبها لمن يحاسب نفسه ويحاط خوفه على قيراط إخوته في الأجرة على النسخ ولا يحاط خوفه من فوت الدروس الأعلى وتعيبه ما هذه إلا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها لقد دفنا إلى أمر إن شككنا فيه كنا من السكفرة الجاحدين وإن صدقنا به كنا من الحق للفرورين فاهذه أعمال من يصدق بمجاهد القرآن وإننا نبأ إلى الله أن نسكون من أهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والفرور على القلوب أن يخشى أن يفتن ولا يخرجه استكلا على الأباطيل التي وتمايل الشيطان والموى والله أعلم .

(بيان أصناف القرين وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف)

الصنف الأول : أهل العلم والفتور منهم فرق . ففرقة أحكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها وأهلوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي وإزائها الطاعات واقتروا بلهم وظنوا

(١) حديث معقل بن يسار يأتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال الحديث أبو منصور الدبلي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس نحوه بسند فيه جهالة ولم أره من حديث معقل .

أنهم عند الله بكان وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يذوب الله مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم وأنه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون قائم لو نظروا بين البصيرة علموا أن العلم علان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله وبصفاته التي بالعلم بالعادة علم المعرفة فأما العلم بالمعاملة كعرفة الحلال والحرام ومعرفة أخلاق النفس الذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والقرار منها فهي علوم لأزاد إلا للعلم ولولا الحاجة إلى العلم لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعلم فلا يتعلمه دون العمل فمثل هذا كريض به علة لا يزيلها إلا دواء مركب من أخلاط كثيرة لا يجرها إلا الاحتذاء الأطباء فيسمى في طلب الطبيب بعد أن هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفضل له الأخلاط وأنواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها يجلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية خلطه وبجته فتعلم ذلك وكتب منه نسخة حسنة خط حسن ورجع إلى بيته وهو يكررها ويعلمها للمرضى ولم يشتغل بتربيتها واستعمالها أقوى أن ذلك يخفى عنه من مرضه شيئا هيئات هويا لم يكتب منه ألف نسخة وعلمه ألف مريض حتى شفي جميعهم وكرره كل ليلة ألف مرة لم يشنه ذلك من مرضه شيئا إلا أن يزن الذهب ويشترى الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحياء وجميع شروطه وإذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف إذا لم يشربه أصلا فهما ظن أن ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي أحكم على الطاعات ولم يعلمها وأحكم على المعاصي ولم يجنبها وأحكم على الأخلاق للذمومة وما ذكر نفسه منها أو علم الأخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور إذا قال تعالى - قد أفلح من زكاه - ولم يقل قد أفلح من تعلم كيفية زكاه أو كتب علم ذلك وعلمه الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يخرتك هذا الثالث فإن العلم بالدواء لا يزيل المرض وإنما مطلبك القرب من الله وثوابه والتمس جلب الثواب وتوكل على الأخبار الواردة في فضل العلم فإن كان السكين معنوها مغرورا وافق ذلك مراده وهواه فاطمأن إليه وأكمل العمل وإن كان كسيفا فقول للشيطان أتذكرني فضائل العلم وتنسيف ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يحمل بعلمه كقوله تعالى - فقله كمثل الكلب - وكقوله تعالى - مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الجوارح حمل أسفار - فأى خسر أعظم من التفتيل بالكلب والحمار وقد قال **عليه السلام** «من ازداد علما ولم يزد دمي لم يزد من الله إلا بعدا» (١) وقال أيضا «يلقي العالم في النار فتندلق أفتابه فيدور بها في النار كالدور الحمار في الرمي» (٢) وكقوله عليه الصلاة والسلام «شر الناس العلماء السوء» (٣) وقول أبي بردة: «ويل للذي لا علم له مع ولو شاء الله لعلمه» وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات: أي أن العلم حجة عليه إذا يقال له ماذا عملت فجا علمت وكيف قضيت فشكر الله وقال **عليه السلام** «أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه» (٤) فهذا أوامره الله بما أوردناه في كتاب العلم في باب علامة علماء الآخرة أكثر من أن يحصى إلا أن هذا في الأوفق هو العلم العالم الفاجر وما ورد في فضل العلم بواقفه فيميل الشيطان قلبه إلى ما بهواه وذلك عين الغرور فإنه إن نظرا إلى البصيرة فثابه ما ذكرناه وإن نظر بين الإيمان فالذي أخبره بفضيلة العلم هو الذي أخبره بدم العلماء السوء وإن حالمه عند الله أشد من حال الجهال فيبعد ذلك اعتقاده أنه في خير مع تأكد حجة الله عليه غاية الضرور والى الذي يدعى علوم المكاشفة كالمعلم بالله وبصفاته وأسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضع أمر الله وحدوده وفروده أشد من حاله مثال من أراد خدمة ملك صرف الملك وهرف أخلاقه وأوصافه ولو نه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجاشه

(١) حديث من ازداد علما ولم يزد دمي الحديث تقدم في العلم (٢) حديث يلقي العالم في النار فتندلق أفتابه الحديث تقدم غير مرة (٣) حديث شر الناس العلماء السوء تقدم في العلم (٤) حديث أهد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله تعالى بعلمه تقدم فيه

الملك إلى آخر القرآن وهو ألف آية فهو خير عظيم كثير وإن لم يحفظ القرآن يقرأ في كل ركعة خمس مرات قل هو الله أحد إلى عشر مرات إلى أكثر ولا يؤخر الوتر إلى آخر التهجيد إلا أن يكون واتقا من نفسه في عاداتها بالانتهاء للتهجد فيكون تأخير الوتر إلى آخر التهجيد حيث يشاء أفضل. وقد كان بعض العلماء إذا أوتر قبل النوم ثم قام بتهجد بصل ركعة يشفع بها وتره ثم يقول ما شاء وبوتر في آخر ذلك وإذا كان الوتر من أول

ولم يتعرف ما يحبه ويكرهه وما يهضب عليه وما يرضى به أو عرف ذلك إلا أنه قصد خدمته وهو ملايس
لجميع ما يهضب به وعليه وعاطل عن جميع ما يحبه من زى وهينة وكلام وحركة وسكون فورد على
الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به منطلقاً بجميع ما يكرهه الملك عاطلاً عن جميع ما يحبه
متوسلاً إليه بعرفته له ولنسبه واسمه وبهده وصورته وشكله وعادته في سياسة غلماناً ومعاملة رعيته
فهذا مفرور جداً إذ لو ترك جميع ما عرفته واشتغل بعرفته فقط ومعرفة ما يكرهه وجبه لكان ذلك
أقرب إلى نيله المراد من قربه والاختصاص به بل تقصيره في التقوى واتباعه للشهوات يدل على أنه
لم يتكشف له من معرفة الله إلا الأساس دون المعاني إذ لو عرف الله حق معرفته خشية وإتقانه فلا تصور
أن يعرف الأسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام خفي كافخاف
السبع الضاري نعم من يعرف من الأسد لونه وشكله واسمه لا يخافه وكأنه ماعرف الأسد فن عرف
الله تعالى عرف من صفاته أنه يهلك العالمين ولا يبالي ويسلم أنه مسخر في قدرة من لو أهلك مثله الألفا
مؤلفة وأبد عليهم العذاب أبد الآباد لم يؤثر ذلك فيه أثراً ولم تأخذه عليه رقة ولا اعتراه عليه جزع
ولذلك قال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وفاحة الزبور رأس الحكمة خشية الله وقال
ابن مسعود كفى خشية الله علماً وكفى بالاعتزاز بالله جهلاً واستغنى الحسن عن مسألة فأجاب قبله
إن فقها ما لا يتولون ذلك فقال وهل رأيت فقياً قط الفقيه القائم إليه الصائم نهاره الزاهد في الدنيا وقال
مرة الفقيه لا يدارى ولا يمارى ينشر حكمة الله فإن قبلت منه حمد الله وإن ردت عليه حمد الله فاذن
الفقيه من قته عن الله أمره ونهيه وعلم من صفاته ما يحبه وما كرهه وهو السلام ومن برد الله به
خبراً يبقعه في الدين وإذا لم يكن بهذه الصفة فهو من الفرورين. ورفرة قآخرى: أحكموا العلم والعمل
فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي إلا أنهم لم يشفقوا قلوبهم ليجوئها الصفات للسمومة
عند الله من الكبر والخذل والرياء وطلب الرياسة والملاذ وإرادة السوء للأقران والنظراء وطلب
الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم أن ذلك مذموم فهو مكب عليها غير متحز عنها ولا
يلتفت إلى قوله ﷺ « أدنى الرياء شرك » (١) وإلى قوله عليه السلام « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال
ذرة من كبر » (٢) وإلى قوله عليه الصلاة والسلام « الحسد يأكل الحسنات كأنه كل النار الحطب » (٣) وإلى
قوله عليه الصلاة والسلام « حب الشرف والسلب بينتان النفاق كما ينبت الماء البقل » (٤) وإلى غير ذلك
من الأخبار التي أوردناها في جميع ربيع الهالكات في الأخلاق الذمومة فهو لا يزنيوا طاهرهم وأهموا
بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى
قلوبكم وأعمالكم » (٥) فتمدوا الأعمال وما تصدوا القلوب والقالب هو الأصل إذ لا ينسبوا إلا من أتى الله
بقلب سليم ومثال هؤلاء كثير الحش ظاهرها جسي وباطنها نقي أو كعبور الوقي ظاهرها زين وباطنها
جيفة أو كبيت مظلم باطنه وضع سراج على سطحه فاستنار ظاهره وباطنه مظلم أو كرجل قصد الملك
شيفته إلى داره فخصص باب داره وترك الزايل في صدر داره ولا يخفى أن ذلك غرور بل أقرب مثال إليه
رجل زرع زرعاً فثبت ونبت معه حبشيس ففسده فأمر بتقنية الزرع عن الحبشيس فقلعه من أصله فأخذ يجز
رموسه وأطرافه فلا تزال تقوى أصوله فثبت لأن مغارس المعاصي هي الأخلاق الذميمة في القلب فمن

الليل يصل بعد الور
ركتين جالساً يقرأ
قبسماً يداً زلزلت
والهاكم ونيل فعل
الركتين قائداً بقرلة
الركمة قائماً يشفع له
الوتر حتى إذا أراد
التهجد يأتي به ويوتر
في آخر تهجده ونية
هاتين الركعتين نية
النفل لا غير ذلك
وكثيراً ما رأيت الناس
يتفاوضون في كيفية
نفيهما وإن قرأ في كل
ليلة السجرات وأصناف
إليها مسورة الأعلى
ضمير ستا قد كان
العلماء يقرءون هذه
المسورة ويترقبون
بركبتها فإذا استيقظ

- (١) حديث أدنى الرياء شركك تقدم في ذم الجاه والرياء (٢) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه
مثقال ذرة من كبر تقدم غير مرة (٣) حديث الحسد يأكل الحسنات تقدم في العلم وغيره
(٤) حديث حب الشرف والسلب بينتان النفاق في القلب الحديث تقدم (٥) حديث إن الله لا ينظر
إلى صوركم الحديث تقدم .

لا يظهر القلب منها لانهم له الطاعات الظاهرة لإمع الآفات السكتية بل هو كمرض ظهر به الجرب وقد أمر بالطلاء وشرب الدواء فالطلاء ليزيل ما على ظاهره والدواء ليقطع مادته من باطنه فتمت بالطلاء وترك الدواء وبقي يناقش ما يزيد في المادة فلا يزال يبطل الظاهر والجرب دائم به فيخرج من المادة ثاني في الباطن. وقررة أخرى : علوا أن هذه الأخلاق الباطنة مذمومة من جهة الشرع إلا أنهم لجبهم بأنفسهم يظنون أنهم منصفون عنها وأنهم أرفع عند الله من أن يبتليهم بذلك وإنما يبلى به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم فأما هم فأعظم عند الله من أن يبتليهم ثم إذا ظهر عليهم غايل الكبر والرياسة وتطلب التلو والتشرف قالوا ما هذا كبر وإنما هو طلب عز الدين وإظهار شرف العلم ونصرة دين الله وإبرام أفض الخلقين من اللتدعين وإنى لولبت البدن من الثياب وجلست في البدن من المجالس لسمت في أعداء الدين وفرحوا بذلك وكان ذلي ذلا على الإسلام ونسى الضرور أن عدو الذي حذر منه مولا هو الشيطان وأنه يفرح بما يفعله ويسخر به وينسى أن النبي صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين وبماذا أكرم السكارين ونسى ما روى عن الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالقرى والمسكنة حتى عوبت عمر رضي الله عنه في بذانة زبه عند قدومه إلى الشام فقال : إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا للضرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والديق والبريس الحرم والجوهر والراكب وزعم أنه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك مما أطلق اللسان بالحسد في أقرانه أو فيمن رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه أن ذلك حسد ولكن قال إنما هذا غضب للحق ورد على البطل في عدوانه وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يحتد أنه لو ظن في غيره من أهل العلم أومنعه غيره من رياسة وزعم فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه ثم لم لا ينضب مهما طعن في عالم آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لأقرانه من حيث باطنه وهكذا يرى بأعماله وعلومه وإذا خطر له خاطر الرياء قال هيات إنما غرضي من إظهار العلم والعمل اقتداء الخلق في ليهتدوا إلى دين الله تعالى فيخلصوا من عقاب الله تعالى ولا يتأمل الضرور أنه ليس يفرح باقتداء الخلق بغيره كما يفرح باقتدائه به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم فانه لا يغرق بين أن يحصل شفاؤهم على يده أو على يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يغلبه الشيطان أيضا ويقول إنما ذلك لأنهم إذا هتدوا إلى كان الأجر لي والثواب لي قائما فرحى ثواب الله لا يقول الخلق قولي هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع من ضميره على أنه لو أخبرني به بأن ثوابه في الجحود وإخفاء العلم أكثر من ثوابه في الإظهار وحسن مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل لاحتاح في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع إلى موضعه الذي به تظهر رياسته من تدريس أو وعظ أو غيره وكذلك يدخل على السلطان ويتودد إليه ويثني عليه ويتواضع له وإذا خطر له أن التواضع للسلطان الظلمة حرام قال له الشيطان هيات ذلك عند الطمع في ما لم فاما أنت فترشك أن تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر أعدائهم عن نفسك والله يعلم من باطنه أنه لو ظهر لبعض أقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفعه في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين نقل ذلك عليه ولو قدر على أن يقبح حاله عند السلطان بالظن فيه والكذب عليه لفل وكذلك قد يتهم غرور بضمهم إلى أن يأخذ من ما لم وإذا خطر له أنه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مال له وهو لمصالح المسلمين وأنت إمام المسلمين وعالمهم وملك قوام الدين أفلا تعلم أنك تأخذ قدر حاجتك فيقترب بهذا التلبس في ثلاثة أمور : أحدها في أن مال لا مال له فانه يعرف أنه يأخذ خارجا من المسلمين وأهل السواد والذين أخذ منهم أحياء وأولادهم وورثتهم أحياء وغاية الأمر وقوع الخلق

من التورم فمن أحسن الأدب عند الاقتباء أن يذهب يباطه إلى الله ويصرف فكره إلى أمر الله قبل أن يحول الفكر في شيء سوى الله ويشغل اللسان بالذكر فالصديق كاطل الكلف بالشيء إذا نام بنام على حبة الشيء وإذا انتبه يطلب ذلك الشيء الذي كان كلف به وعلى حسب هذا الكلف والشغل يكون الود والقيام إلى الخير فيلنظر ويعتبر عند ابتهاجه من اليوم ما معه فانه هكذا يكون عند القيام من الصبر إن

في أموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة أنس وخالفها فإلخاف في أنه مال حرام ولا يقال هو مال لملك له ويجب أن يقسم بين العشرة ويرد إلى كل واحد عشرة وإن كان مال كل واحد قد اختلط بالأخر الثاني في قوله إنك من مصالح للدين وبك قوام الدين ، ولعل الدين قد بينهم واستحلوا أموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والآقبال على الرياسة والإعراض عن الآخرة بسببه أكثر من الدين زهدوا في الدنيا ورفضوها وأقبلوا على الله فعملوا التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لإمام الدين إذا إمام هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الدنيا والآقبال على الله كالأنبياء عليهم السلام والصالحين وعلماء السلف . والدجال هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الله والآقبال على الدنيا فله موت لهذا أنشع للمسلمين من حياته وهو يزعم أنه قوام الدين ومثله كآل السبع عليه السلام فلما لم السوء إنه كسخره وقت في فم الوادي فلا هي تسرب للاء ولا هي تترك للنام يخلص إلى الزرع وأصناف غرور أهل العلم في هذه الأعصار للتأخرة خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه القليل على الكثير ، وفرقة أخرى أحسوا العلم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظواهر للناسي وتفقدوا أخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والحقد والكبر وطلب الملو وجاهدوا أنفسهم في الثبري منها وقلعوا من القلوب منافها الجلية القوية ولكهم بعد مرورون ذبقت في زوايا القلب من خفايا مكاييد الشيطان وخفايا خداع النفس ماذق وهمض مدركه فلم يغطوا لها وأهلوها وإعيا مثاله من يريد تيقية الزرع من الحشيش فدار عليه وقتش عن كل حشيش رآه قعله إلا أنه لم يقتش على مالم يخرج رأسه بعد من تحت الأرض وظن أن الكل قد ظهر وبرز وكان قد تبث من أصول الحشيش شبح لطاف فانبسطت تحت التراب فأهلها وهو يظن أنه قد اقتنما فإذا هوبا في غفلته وقد تبثت وقويت وأندست أصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن الرقابة للخفايا والتفقد للفتائن فقرأه يسر ليه ونهاره في جمع العلوم وتربيتها وتحسين لفظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى أن باعته الحرس على إظهار دين الله ونشر شرعته ولعل باعته الحق هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الأطراف وكثرة الرحلة إليه من الآفاق والانطلاق الألسنة عليه بالثناء وللحس بالزهد والورع والعلم والتقديم له في الهامات وإشارة في الأغرض والاجتماع حوله للاستفادة والتقليد بحسن الامتثال عند حسن اللفظ والابراء والتعجب بشريك الرؤوس إلى كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الأصحاب والأتباع وللمستفيدين والسرور بالتخصص بهذه الخاصية من بين سائر الأثران والأشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والفكر من بين إطلاق لسان الطعن في الكفاة للقليلين على الدنيا لآعن تنميع بمعية الدين ولكن من إدلال بالخير واعتداد بالتخصيص ولعل هذا للسكين للفرور حياته في الباطن بما انتظم له من أمر وإمارة وعز وإقياد وتوقير وحسن ثناء فتوقرت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من أعماله فساء يشق على قلبه وتختلط أوداره ووظائفه وعسا يعتذر بكل حيلة لنفسه وزعما يحتاج إلى أن يكذب في تغطية عيه وعسا يؤثر بالكرامة والبراعة من اعتقد فيه الزهد والورع وإن كان قد اعتقد فيه فوق قدره ويتوقر له من عرف حد فضله وورعه وإن كان ذلك على وفق حاله وعسا يؤثر بمن أصحابه على بعض وهو يرى أنه يؤثر تقدمه في الفضل والورع وإعيا ذلك لأنه أطوع له وأبغى لمراده وأكثر ثناء عليه وأشد إعناء إليه وأحرص على خدمته ولطمهم يستنبدون منه ويرغبون في العلم وهو يظن أن قومهم لا خلاصه وصدة وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه من منافع خلقه ويرى أن ذلك مكفر للدنوب ولم يتفقد مع نفسه تصحيح التوبة فيه وعسا لو وعد بثل ذلك الثواب في إشارا لمحول

كان همه الله فهمه هو وإلهامه غير الله والعباد إذا اتبه من النوم فباطنه عائد إلى طهارة القطرة فلا يدع الباطن يتغير بشير ذكر الله تعالى حق لا يذهب عنه نور القطرة الذي اتبه عليه ويكون قادرا إلى ربه يباطنه خوفا من ذكر الأعيان ومهما وفي الباطن بهذا للبار قد اتفق طريق الأنوار وطرق التفجعات الإلهية لجذر أن تصب إليه أقسام الليل انصباا ويصير جناب القرب له موعلا ومأبا ويقول

والعزلة وإخفاء العلم لم يرغب فيه لتفقد في العزلة ولا إخفاء لئلا القبول وعزة الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من بني آدم أنه يعلم امتنع من فيجعله وقع في جانيه وغماه بصفتين ويجتهد فيه ظانا أنه يجمع علم الله لينتفع به وإنما يريد به استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدح تصنيفه وعما عنه اسمه ونسبه إلى نفسه تقل عليه ذلك مع علمه بأن ثواب الاستفادة من التصنيف إنما يرجع إلى الصنف والله يعلم بأنه هو الصنف لا من ادعاه ولعله في تصنيفه لا غلو من التناهي على نفسه إما صريحا بالدعوى الطولية العريضة وإما ضمنا بالظن في غيره ليستبين من ظنه في غيره أنه أفضل ممن ظن فيه ولا أعظم منه علما وقد كان في غيبة عن الظن فيه ، ولعله يحكى من الكلام المزيف ما يزيد تزييفه فيزيمه إلى قائله وما يستحسنه فله لا يميز به إليه ليلظن أنه ممن كلامه فينتقل به كالكساري له أو يشير أدنى تفتير كالتدبير بسوق فيما فيتحذه قباء حتى لا يعرف أنه مسروق ، ولعله يجتهد في تزوين ألقائه وتسميته وتحسين نظمه كيلا ينسب إلى الركاكة ويرى أن غرضه تزويق الحكمة وتحسينا وتزيينا ليكون أقرب إلى شمع الناس وعسا فاعلاما عاروا أن بعض الحكماء وضع ثلثا من مصنف في الحكمة فأوحى الله إلى نبي زمانه قل له قد ملأت الأرض ثقا وإني لأقبل من ثقائك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من المقربين إذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه فلو اتفقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من أصحابه نظر كل واحد إلى كثرة من يتبعه وأنه أكثر تبعا أو غيره فيفرح إن كان أتباعه أكثر وإن علم أن غيره أحق بكثير الأتباع منهم ثم إذا تفرقوا واشتغلوا بالأفادة تباينوا وتحاسدوا ولعل من يختلف إلى واحد منهم إذا انقطع عنه إلى غيره تقل على قلبه ووجد في نفسه خيرة منه فيعد ذلك لا يهتز باطنه لا كرامه ولا يتشمر لقضاء حوائجها كما كان يتشمر من قبل ولا يحرص على التناهي عليه كما أتى مع علمه بأنه مشغول بالاستفادة ولعل التنجيز منه إلى فئة أخرى كان أضع له في دينه لآفة من الآفات كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة توهم ذلك لا نزول التنفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم إذا تحركت فيه مبادئ الحسد لم يدع على إظهاره فيقتل بالظن في دينه وفي ورعه ليحمل غشبه على ذلك ويقول إنما غضبت لدين الله لأنفسى ، ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح له وإن أتى عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه إذا ذكرت عيوبه يظهر أنه كاره بسية المسلمين وسر قلبه راضى به ومريد له والله مطلع عليه في ذلك ، فهذا وأمثاله من خفايا القبول لا يظن له إلا ألا أكياس ولا يتزهد عنه إلا الأقوياء ولا مطمع فيه إلا المتأمنان الصنف إلا أن أقل الدرجات أن يعرف الإنسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه وربما يحرص على إصلاحه فإذا أراد الله بهد خيرا صبره بميوب نفسه ومن سرتته حسنته وساءت سيئته فهو من جوارح الحال وأمره أقرب من الفرور الزكي لنفسه للمتن على الله بعمله وعلو النان أنه من خيار خلقه فهو ذو باقة من الثقة والاعتقاد ومن للفرقة بغضايا العيوب مع الإجمال ، هذا غرور الذين حصلوا العلوم الهلمية ولكن قصروا في العمل بالعلم ، ولندكر الآن غرور الذين قطعوا من العلوم بمسارهم وتركوا العلم وهم به مغترون إما لاستغنائهم عن أصل ذلك العلم وإما لاقتصارهم عليه ، فهم فرقة انحصروا على علم الفتاوى في الحكومات والحصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لصالح العباد وخصوصا اسم الفقه بها وصمو الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الأعمال الظاهرة والباطنة فلم ينفقوا الجوارح ولم يحرصوا على الكسب ولا البطن عن الحرام ولا الرجل من الشئ إلى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يحرصوا على الكبر والرياء وسائر المهلكات فهو لا مغرورون ومن وجهين : أحدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم . أما العمل فتعدد كراته وجه الفرور فهو أن مثلهما

باللسان الحمد لله الذي
أحيانا بعد ما أماتنا
وإليه النشور وخيرا
الشر الأواخر من
سورة آل عمران ثم
يقصد الساء الطهور
قال الله تعالى - وينزل
عليكم من السماء ماء
ليطهركم به - وقال
عن رجل - أنزل من
السماء ماء فسالت
أودية بقدرها - قال
عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما الساء
الترسان والأودية
القبول فسالت
بقدرها واحتملت
ما وسعت والسماء مطهر
والقرآن مطهر والقرآن
بالطهر أجدر فالسواء

مثال المريض إذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه لأبلى مثلهم مثال من به علة الكواشير والبرسام وهو مشرف على الهلاك وعحتاج إلى تعلم الدواء واستباله فاشتغل بتعلم دواء الاستعاضة بتكرار ذلك ليلاً ونهاراً مع علمه بأنه رجل لا يحصى ولا يستعاض ولكن يقول ربما تنفع علة الاستعاضة لأمرأة وتسلمني عن ذلك وذلك غاية الضرر فكذاك التفقه للسكينة قد بسط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر الهلكات الباطنة وربما يخطئه الموت قبل التوبة والتألف فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والإجارة والظهار والعمان والجراحات والديات والعداوى والبيّنات وكتاب الحيز وهو لا يحتاج إلى شيء من ذلك قط في عمره نفسه وإذا احتاج غيره كان في اللتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والرياسة والمال وقد دهاه الشيطان وما يشعر إذ يظن الضرر بنفسه أنه مشغول بفرض دينه وليس يدري أن الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين مصيبة ، هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وقد كان قصد بالقفة وجه الله تعالى فإنه وإن قصد وجه الله فهو يشتغله به معرض عن فرض عينه في جوارحه وقوله فهذا غروره من حيث العمل ، وأما غروره من حيث العلم فليست اقصر على علم الفتاوى وظن أنه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما طعن على الله تعالى بادره جلالة أخبار وحمة أسفار لا يتفهون وترك أيضاً علم تهذيب الأخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بادره جلالة وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والمحبة والخشوع ويعمل على التقوى قرأه آمنان الله مقترابه متكلوا على أنه لا بد وأن يرسمه فانه قوام دينه وأنه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعلم الحلال والحرام لم يقدر ترك المعلوم التي هي أم وهو غافل مغرور وسبب غروره ماسع في الشرع من تعظيم القول بغير أن ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته الحقوة المرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلزم التقوى إذ قال تعالى - فلو لا خير من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون - والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الأموال والشروط والمعاملات وحفظ الأبدان بالأموال وبدفع القتل والجراحات والمسال في طريق الله آفة والدين صريحاً إنما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين الصديق وبين الله تعالى وإذا مات مولوا بتلك الصفات كان محجوباً عن الله فشأنه في الاتصاف على علم الفقه مثالي من اقصر من سلوك طريق الحق على علم خرز الراوية والخف ولا شك في أنه لو لم يكن لتعلم الحق ولكن القصر عليه ليس من الحق في شيء ولا بسبيله وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقصر من علم الفقه على الحلايات ولم يعمه إلا تعلم طريق المجاهدة والإمام وإتمام الحجة ووضع الحق لأجل القلب واللباهة فهو طول الليل والتهارر في التفقيش عن مناقضات آراء المذاهب والتفقد لسيب الأقران والتلفق بأنواع التسيببات المؤذي وهو هؤلاء هم سباع الإنس طبعهم الإبقاء وهم السوء ولا يقصودون العلم الا للفرور وما يلزمهم لمباحات الأقران فكل علم لا يحتاجون إليه في المباحة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق إلى الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه الزنوبي وكلام الوعاظ وإنما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العريضة التي تجري بين المتصارعين في الجدل وهو لا قد جمعوا ما جمعه الدين من قبيلهم في علم الفتاوى ولكن زادوا إذا اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات أيضاً بل جميع دقائق الجدل في الفقه بدعاً لم يعرفها السلف ، وأما أخلة الأحكام فيشتغل عليها علم المذهب وهو كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيها وأما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتضدية فأنما أبدعت لإظهار الغلبة والإطام وإقامة سوق الجدل بها فزور هؤلاء أخذ

بقوم غيره مقامه والقرآن والملم لا يقوم غيرهما مقامهما ولا يسد سدوها فالداء الظهور يظهر الظاهر والملم والقرآن بطهران الباطن وينهبان رجز الشيطان فالنوم غفلة وهو من آثار الطبع وجدير أن يسكنون من رجز الشيطان لما فيه من النلفة عن الله تعالى وذلك أن الله تعالى أمر بقبض القبضة من التراب من وجه الأرض فكانت القبضة جهة الأرض والجلدة ظاهرها وشره وباطنها أدمة قال الله تعالى

كثيرا وأبشع من غرور من قبلهم . وفرقة أخرى اشتغلوا بمل الكلام والمجادلة في الأهواء والرذيل الخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة القلالت المختلفة واشتغلوا بتمل الطرق في مناظرة أولئك وإخفافهم واقتروا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا أنه لا يكون لمبدع عمل إلا بإيمان ولا يصح إيمان إلا بأن يتم جديهم وما سموه أدلة عقائدهم ونظروا أنه لا أحد أعرف بالله وبصفاته منهم وأنه لا إيمان لمن لم يمتد منهجه ولم يتم علمهم ودعت كل فرقة منهم إلى نفسها ثم هم فرقتان ضالقة ومحنة فالضالقة التي تدعو إلى غير السنة والحقة هي التي تدعو إلى السنة والفرور شامل للجميع . أما الضالقة فللضالعين ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكثر بعضهم بضأ وإعسا أثبت من حيث إنهم لم يتم رأيها ولم تحكم إلا شروط الأدلة ومناجها فرأى أحدهم الشبهة دليلا والدليل حجة . وأما الفرقة الحقة فأنما اغترابها من حيث إنهم ظنت بالجدل أنه أم الأمور وأفضل القربات في دين الله ووعظت أنه لا يتم لأحد دينه مالم يخلص ويصحت وأن من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحري دليل فليس يؤمن أو ليس كامل الإيمان ولا يقرب عند الله فلهذا الظن القاسد قطعت أعمارها في تعلم الجدل والبحث عن القلالت وهذيانا للبدعة ومناقضاتهم وأهلوا أنفسهم وقلوبهم حتى صميت عليهم ذنوبهم وخطاياهم الظاهرة والباطنة وأحدهم يظن أن اشتغاله بالجدل أولى وأقرب عند الله وأفضل ولكنه لا تذاذنه بالنسبة والإطعام وقلة الرياسة وعز الاتصاف إلى الدب عن دين الله تعالى حيث صبرته فلم يلتفت إلى القرن الأول فان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بأنهم خير الخلق وأتهم فقد أدركوا كثيرا من أهل البدع والهوى لما جلول أعمارهم ووديتهم غرض الخصوصات والمجالات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم وأحوالهم بل لم ينشكروا فيه إلا نحن حيث رأوا حاجة نوجوا على قبوله فقد كروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلاله وإذا رأوا مصرا على ضلالة هجروا وأعرضوا عنه وأبشعوه في الله ولم يفلحوا إلا للاصاحبة معه طول العمر بل قالوا إن الحق هو الدعوة إلى السنن من السنة ترك الجدل في الدعوة إلى السنة إذ روى أبو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ما ضل قوم قط بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» (١) وخرج رسول الله ﷺ يوما على أصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فضرب عليهم حتى كأنه في وجه حب الزمان (٢) حرمة من الضرب فقال: «الهدى يمشي بهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بضه بعضن انظروا إلى ما أمرتم به فاعملوا وما نهيتهم عنه فامتنوا» فقد جزم عن ذلك وكانوا أولى خلق الله بالحجج والجدل ثم إنهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ثبت إلى كافة أهل اللل فلم يقدّم معهم في مجلس مجادلة لإلزام وإفحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وإيراد إلزام جادلهم إلا بتلاوة القرآن التزل عليهم ولم يزد في المجادلة عليه لأن ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها الإشكالات واللبس ثم لا يقدّر على محوها من قلوبهم وما كان يجز عن مجادلتهم بالفتيا بدقائق الأقيسة وإن يعلم أصحابه كيفية الجدل والإلزام ولكن الأكياس وأهل الحزم لا يفتروا بهذا وقالوا لنجنا أهل الأرض وهلكنا لن تنفنا بجأتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة أكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى وأهل اللل وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلتهم فسانا نضيق العمر ولا نصرفه إلى ما يفتننا في يوم فقرنا وفاقنا ولم نخوض فيها لا نأمن على أنفسنا الخطأ في خصائصه ؟ ثم رى أن للبدع ليس يترك بدعته مجداله بل يزيده التعصب والخصومة تشددا في بدعته فاشتغلت بمخاصمة قضى ومجادلتها لم تترك الدنيا للأخرة أولى هذا لو كنت لئلا عن الجدل

(١) حديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل تقدم في العلم وفي آفات اللسان (٢) حديث خرج يوما على أصحابه وهم يجادلون ويختصمون فضرب حتى كأنه في وجه حب الزمان الحديث تقدم.

- إن خالق جبرامن
طين - قال البشر والبشر
عبارة عن ظاهره
وصورهم الأدمية عبارة
عن باطنه وآدميته
والأدمية جمع الأخلاق
الحسنة وكان القرباب
موطى أقدم إبليس
ومن ذلك اكتسب
ظلمة وصارت تلك
الثقله مصبوبة في طينة
الآدمي . ومنها الصفات
للذمومة والأخلاق
الرديئة . ومنها الفعلة
والسوء فاذا استعمل
السوء وقرأ القرآن آتى
بالمطهرين جميعا ويذهب
عنه رجز الشيطان
وأثر وطائنه وعكمه
بالعلم والخروج من

والخسومة فكيف وقد نهيت عنه وكيف أدعوا إلى السنة بترك السنة فالأولى أنفقد نفسى وأنظر من صفاتها ما يرضه الله تعالى وما يحبه لأتبعه عما يرضه وأتسلح بما يحبه . وفرقة أخرى: اشتدوا بالوعظ والتذكير وأعلام رتبة من يتسلك في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهّد واليقين والإخلاص والصدق ونظارهم مفرورون ينظون بأنفسهم أنهم إذا تسكعوا بهذه الصفات ودعوا الخلق إليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منفكرون عنها عند الله إلا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام السليين وغرور هؤلاء أشد القروا لأنهم يعجبون بأنفسهم غاية الإعجاب وينظنون أنهم ما تبرعوا على علم الحبة إلا وهم محبون لله وما قدروا على تحقيق دقائق الإخلاص إلا وهم غاصون وما تقوا على خفايا عيوب النفس إلا وهم عنها مزهونون ولولا أنه مقرب عند الله لما عرفه معنى القرب والجدد وعلم السالك إلى الله وكيفية قطع النازل إلى طريق الله فالسالكين بهذه الظنون يرى أنه من الحاققين وهو آمن من الله تعالى ويرى أنه من الراجين وهو من القترين الضعيف ويرى أنه من الراضين بقضاء الله وهو من الساطعين ويرى أنه من التوكلين على الله وهو من التسكين على المزم والجاه والسال والأسباب ويرى أنه من المخلصين وهو من الرابطين إلى صف الإخلاص فيترك الإخلاص في الوصف ويصف الرياء ويذكره وهو يرائي بذكره ليجتديا أنه لا أول له مخلص لما اعتدى إلى دقائق الرياء ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الهداء إلى الله وهو منه قار . وخوف بالله تعالى وهو منه آمن ويذكر بالله تعالى وهو له ناس ويقرّب إلى الله وهو منه متباعد ويحث على الإخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات للذمومة وهو بها يتصف ويصرف الناس عن الحقائق وهو على الخلق أشد حرصا لو منع عن مجلسه الذي يدعو الناس فيه إلى الله لضاقت عليه الأرض بما رحبت ويزعم أن غرضه إصلاح الخلق ولو ظهر من أقرانه من أتيل الخلق عليه وصلحوا على يديه لما تم غما وحسدا ولو أتى أحد من الترددون إليه على بعض أقرانه لكان أبغض خلق الله إليه فهو لأعظم الناس غرة وأبدم عن التنبه والرجوع إلى السداد لأن للرغب في الأخلاق المحمودة والنفر عن الذمومة هو العلم بنوائلها وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفسه وشغله حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يصلح وكيف سبيل تخوفه وإنما الخوف ما يتلوه على عبد الله فيخافون وهو ليس بخائف ثم إن ظن نفسه أنه موصوف بهذه الصفات المحمودة يمكن أن يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو أن يدعى مثلا حب الله لما الذي تركه من محاب نفسه لأجله ويدعى الخوف لما الذي امتنع منه بالخوف ويدعى الزهد لما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعى الأنس بالله فمضى طاب له الخلوه ومن استوحش من مشاهدة الخلق لابل يرى قلبه يتلى به الحلاوة إذا أحرق به الريدون وتره يستوحش إذا خلا بالله تعالى فقل رأيته محبا يستوحش من محبوه ويستروح من إلى غيره فالأكياس يمتحنون أنفسهم بهذه الصفات ويطلبونها بالحقيقة ولا يمتنون منها بالزويق بل بموفق من الله غليظ والمتفرون يمتحنون بأنفسهم بهذه الصفات ويطلبونها بالحقيقة الفطاء عنهم في الآخرة يفتضحون بل يطرحون في النار فتندلق أنفاسهم فيدور بها أحدم كابدور الحمار بالرسى كما ورد به الخبر لأنهم يأسرون بالخير ولا يأتونه وينهون عن الشر ويأتونه وأمسوا وقع القروا هؤلاء من حيث إنهم يصادفون في قلوبهم شيئا ضيقا من أصول هذه المعاني وهو حب الله والخوف منه والرضا بفضله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه المعاني فظنوا أنهم ما قدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله علمه وما تقع الناس بكلامهم فيها إلا لأصنافهم وأذهب عليهم أن القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة للعلم وأن كل ذلك غير الأصناف بالصفة

حين الجهل فاستعمال الطهور أمر شرعى له تأثير في تنوير القلب بإزالة النور الذي هو الحكم الطبيعي الذي له تأثير في تكدير القلب فيذهب نور هذا بظلمة ذلك ولهذا رأى بعض العلماء الوضوء مما مست النار وحكم أبو حنيفة رحمه الله بالوضوء من القهقهة في الصلاة حيث رآها حكا طبيعيا جالبا للآثم والإثم رجس من الشيطان والماء يذهب رجس الشيطان حتى كان بعضهم يتوضأ من التيبة والكسب وعند النضب لظهور

فم يارق آحاد المسلمين في الانصاف بصفة الحب وال خوف بل في القدرة على الوصف بل برعا اذامته
وقل خوفه وظهر إلى الخلق بيله وصف في قلبه حب الله تعالى ، وإنما مثاله مثال مريض يصف
للرض ويصف دواءه بفصاحته ويصف الصحة والشفاء وغيره من الرضى لا يقدر على وصف الصحة
والشفاء وأسبابه ودرجاته وأصنافه فهو لا يارقهم في صفة الرضى والانصاف به وإنما يارق في الوصف
والعلم بالغالب فظنه عند علمه حقيقة الصحة أنه صحيح غاية الجبل فكذلك العلم بالخوف والحب
والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الانصاف بمقتاتها ، ومن التيس عليه وصف الحقائق
بالانصاف بالحقائق فهو مغرور فهذه حالة الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم بل مناج وعظم مناج
وعظ القرآن والأخبار وعظ الحسن البصري وأمثاله رحمة الله عليهم . وفرقة أخرى . منهم عدلوا
عن اللهاج الواجب في الوعظ وهم وعظ أهل هذا الزمان كافة إلا من عصمه الله على التدور في بعض
أطراف البلاد إن كان ولنا نعرفه فاشتغلوا بالمطامير والسطح وتلقى كلات خارجة عن قانون التمرع
والعمل طلبة للإغراب ، وطائفة شفقوا بطارات النكت وتسجع الألفاظ وتلفيها فأكثر همهم
بالأمجاع والاستبداد بأشعار الوصال والفرق وغرضهم أن تكثر في مجالسهم الزفات والتواجدولو
على أغراض فاسدة ف هؤلاء شياطين الانس ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل فان الأولين وإن لم يصلحوا
أنفسهم قد أصلحوا غيرهم وصحوا كلامهم وعظمهم ، وأما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله
ويحرون الخلق إلى الضرور بالله بلطف الرجاء فيزيدم كلامهم جرأة على المعاصي ورغبة في الدنيا
لأسا إذا كان الواعظ منزنا بالثياب والجل والراكب فانه تشبه هيئته من فرقه إلى قدمه بشدة
حرصه على الدنيا لما يفسده هذا الضرور أكثر مما يصلحه بل لأجله أصلا ويضل خلقا كثيرا ولا
يخفى وجه كونه مغرورا . وفرقة أخرى منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد وأجادتهم في ذم الدنيا فهم
يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير إحاطة بمعانيها فيضهم بفعل ذلك على التابر ،
وبضهم في المحاريب ، وبضهم في الأسواق مع الجلساء وكل منهم يظن أنه إذا تميز بهذا القدر
عن السوق والجندية إذ حفظ كلام الزهاد وأهل الدين دونهم فقد أفلح ونال الرضى وصار مغفورا
له وأمن عقاب الله من غير أن يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام ولكنه يظن أن حفظه لكلام أهل
الدين يكفيه ، وغرور هؤلاء أظهر من غرور من قبلهم . وفرقة أخرى استنشقوا فهمة أحدهم أن
الحديث أعمى في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الأسانيد القريبة العالية فهمة أحدهم أن
يدور في البلاد ويرى الشيخ ليقول أنا أروى عن فلان ولقد رأيت فلانا ومعنى من الاستناد أحسن
مع غيري ، وغرورهم من وجوه : منها أنهم كسلة الأسفار فانهم لا يعرفون الناية إلى فهم معاني
السنة فلمهم قاصر وليس معهم إلا النقل ويظنون أن ذلك يكفيهم . ومنها أنهم إذا لم يفهموا معانيها
لا يملكون بها وقد يفهمون بعضها أيضا ولا يملكون به . ومنها أنهم يتركون العلم الذي هو مرض عين
وهو معرفة علاج القلب ويشغلون بتكثير الأسانيد وطلب العالي منها ولا حاجة بهم إلى شيء من ذلك .
ومنها وهو الذي أكب عليه أهل الزمان أنهم أيضا لا يقيدهون بشرط السماع فان السماع بمجرد دون
لم تكن له فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول إلى إثبات الحديث إذ التفهم بعد الاتبات والعمل بعد
التفهم فالأول السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصرُوا من الجملة على السماع
ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ ينام والصبي يلعب
ثم يكتب اسم الصبي في السماع فاذا كبر تصدى لسمع منه والبالغ الذي يحضر ربما يفتل ولا يسمع
ولا يفتي ولا يضبط وربما يشتغل بمحدث أو نسخ والشيخ الذي يقرأ عليه لو نصح وغير ما يقرأ عليه

النفس وتصرف
الشیطان في هذه
الواطن ، ولو أن
للتحفظ للسراعي
للمراقب المحاسب كما
انطلقت النفس في مباح
من كلام أومسا كنة
إلى مخالطة الناس أو
غير ذلك مما هو بمرصة
تحليل عقد العزيمة
كالجنوح فيها لاجئ
قولا وقضا عقب ذلك
بتجديد الوضوء ثبت
القلب على طهارته
وتزاهته ولصكان
الوضوء لصفاء البصيرة
بثابة الجفن الذي
لا يزال بخفة حركته
بحول البصر وما يقطرها
إلا المألون - ففكر

لم يشعر به ولم يعرفه ، وكل ذلك جهل وغرور . إذ الأصل في الحديث أن يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحفظه كما سمعه ، ويرويه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان هجرت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت من الصحابة أو التابعين وصار سماعك عن الراوى كسماع من سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن تسمى لتسمع تحفظ وتروى كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تتبر من حرقا ولو غير غيرك منه حرقا أو أخطأ علمت خطأه . ولحفظك طريقان : أحدهما أن تحفظ بالقلب وتستدعيه بالذكر والتكرار كما تحفظ ما جرى على سمعك في مجارى الأحوال . والثاني أن تكتب كما تسمع وتصحح للكتاب وتحفظه حتى لا تصل إليه يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب معك وفي خزانة قلبك فانه لو امتدت إليه يد غيرك ربما غيرته فإذا لم تحفظه لم تشتر بشيئه فيكون محفوظا بقلبك أو بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته وتأمنا فيه من التغير والتحريف ، فإذا لم تحفظ بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة ذلك الشيخ وجوزت أن يكون ما فيه مغيرا أو غافرا حرف منه للنسخة التي سمعتها لم يجر لك أن تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدري لذلك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيئا يخالف ما فيه ولو في كلمة ، فإذا لم يكن معك حفظ بقلبك وللنسخة صحيحة استوثقت غلبا لقابل بها فمن أين تعلم أنك سمعت ذلك وقد قال الله تعالى - ولا تخف ما ليس لك به علم - وقول الشيوخ كاهم في هذا الزمان إنا سمعنا ما في هذا الكتاب إذ لم يوجد الشرط الذي ذكرناه فهو كذب صريح . وأقل شروط السماع أن يجرى الجلب على السمع مع نوع من الحفظ يشعر معه بالتغير ، ولو جاز أن يكتب سماع الصبي والتافل والتأثم والذي ينسخ لجاز أن يكتب سماع المجنون والصبي في اللهد ، ثم إذا بلغ الصبي وأفاق المجنون يسمع عليه ولا خلاف في عدم جواز ولو جاز ذلك لجاز أن يكتب سماع الجنين في البطن فان كان لا يكتب سماع الصبي في اللهد لأنه لا يسمع ولا يحفظ . فالصبي الذي يلعب والتافل والشغول بالنسخ عن السماع ليس يسمع ولا يحفظ وإن استجرا جاهل فقال يكتب سماع الصبي في اللهد فليكتب سماع الجنين في البطن فان فرق بينهما بأن الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فما ينفع هذا وهو إنما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر إذا صار شيخا على أن يقول سمعت يد بلوغى آق في صباى حضرت مجلسا يروى فيه حديث كان يقرع سمعى صوته ولا أدري ما هو فلا خلاف في أن الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح ولو جاز إثبات سماع التركي الذي لا يسمع العربية لأنه سمع صوتا غفلا لجاز إثبات سماع صبي في اللهد وذلك غاية الجهل ، ومن أين يأخذ هذا ؟ وهل للسمع مستند إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «نفس الله امرأ سمع مقالتي فادأها كما مممها»^(١) وكيف يؤذى كما سمع من لا يدري ما سمع فهذا أغشى أنواع الضرور وقد بلى بهذا أهل الزمان ولو احتاط أهل الزمان لم يجدوا شيوخا إلا الذين يسمعون في الصبا على هذا الوجه مع الثقة إلا أن للمحدثين في ذلك جاها وقبولا لخلاف السالكين أن يشترطوا ذلك فيقول من يجتمع لذلك فيحتمل فيقتض جاههم ونقل أيضا أحاديثهم التي قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدوا ذلك واقتضوا فاسطلحوا على أنه ليس يشترط إلا أن يقرع سمعه مدممة وإن كان لا يدري ما يجرى ، وهمة السماع لا تصرف من قول المحدثين لأنه ليس من علمهم بل من علم

فما نهيك عليه تجد بر كته وآثره ، ولو اغتسل عند هسنة للتجذبات والمواضع والاتباع من النوم لكان أزيد في تور قلبه ولكن الأجدد أن البعد يقتل لكل فريضة إذا لم يجدوه في الاستعداد لمناجاة الله ويجسد غسل الباطن بصدق الإجابة وقد قال الله تعالى - متبين إليه وأخوه وأقيموا الصلاة - قدم الإجابة للدخول في الصلاة ولكن من رحة الله تعالى وحكم الحنفية السهلة السمحة أن يدفع الحرج وعوض

(١) حديث نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها الحديث أصحاب السنن وابن حبان من حديث زيد ابن ثابت والترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود وقال الترمذي حديث حسن صحيح وابن ماجه ققط من حديث جبير بن مطعم وأنس .

علماء الأصول باللقنه وما ذكرناه مقطوع به في قوانين أصول اللغه فهذا عرور هؤلاء ولوموا على الشرط لسكانوا أيضا مغرورين في انتصارهم على النقل وفي إثناء أعمارهم في جمع الروايات والأسانيد وإعراشهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الأخبار بل الذي يقصد من الحديث سلوك طريق الآخرة ربما يكفيه الحديث الواحد عمره كما روى عن بعض الشيوخ أنه حضر مجلس السبع فساكن أول حديث روى قوله عليه الصلاة والسلام « من حسن إسلامه المرء تركه ما لا ينبغي »^(١) فقام وقال يكفيني هذا حتى أفرغ منه ثم أسمع غيره ، فهكذا يكون سبع الأكياس الذين يخذرون الفرور . وفرقة أخرى : اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واقتروا به وزعموا أنهم قد غفر لهم وأنهم من علماء الأمة إذ قوام الدين بالكاتب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والتخوفا في هؤلاء أعمارهم في دقائق النحو وفي صناعة الشعر وفي غريب اللغة ومثلهم كمن ينفي جميع المعرف في الحط وتصحيح الحروف وتصحيحها وزعم أن العلوم لا يمكن حفظها إلا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعل أنه يكفيه أن يتعلم أصل الحط بحيث يمكن أن يقرأ كما كان والباقي زيادة على الكتابة وكذلك الأدب لو عقل لعرف أن لغة العرب كلغة الترك والضيع عمره في معرفة لغة العرب كالضيق له في معرفة لغة الترك والمهند وإثما فارتقا لغة العرب لأجل ورود الشريعة بها فيسكني من اللغة علم الفرخين في الأحاديث والكتاب ومن النحو ما يتناق بالحديث والكتاب فأما التعمق فيه إلى درجات لا تنهاه فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه وأعرض عن معرفة معاني الشريعة والعمل بها فهذا أيضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع عمره في تصحيح مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه وهو غرور إذ المقصود من الحروف المعاني وإثما مخارج الحروف في القرآن ومن احتاج إلى أن يشرب السكبين ليزول ما به من الصفراء وضيق أوقاته في تحسين القصد الذي يشرب فيه السكبين فهو من الجهال الفرورين فكذلك غرور أهل النحو واللغة والأدب والقراءات والتدقيق في مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها ونجدوا لها وعرجوا عليها أكثر عما يحتاج إليه في تعلم العلوم التي هي فرض عين فالأقصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالقتل للعمل وكاتب بالإضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو سماع الألفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو كقتل بطريق الإضافة إلى المعرفة ولب بالإضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك هو القدر الأعلى العلم بمخارج الحروف والقانون بهذه الدرجات كلهم مغرورون إلا من أخذ هذه الدرجات منازل فلم يرجع عليها إلى لا يقدر حاجته فتجاوز إلى ما وراء ذلك حتى وصل إلى لباب العمل فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه ورجى عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الأعمال وتصحيحها عن الشوائب والآفات فهذا هو المقصود المندوم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدع له وسائل إليه وقشور له ومنازل بالإضافة إليه وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان في المنزل التريب أو في المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها أربابها . فأما علم الطب والحساب والصناعات وما يعلم أنه ليس من علوم الشرع فلا يعتد أصحابها أنهم يبالون المنفعة بها من حيث إنها علوم فساكن الفرور بها أقل من الفرور بعلوم الشرع لأن العلوم الشرعية مشتركة في أنها محموده كإشراك القدر الب في كونه محمودا ولكن الممود منه لئنه هو المنتهى والثاني محمود لاوصول به إلى المقصود الأقصى فمن أخذ الشرع مقصودا وعرج عليه فقد اغتر به . وفرقة أخرى : عظم غرورهم

(١) من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينبغي الترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث أبي هريرة وهو عند مالك من رواية أبي بن الحسين مرسل وقد تقدم .

بالوضوء عن الفسل وجوزأه مفرضات بوضوء واحد دضا للخرج عن عامة الأمة وللخواص وأهسل العزبة مطالبات من بواطنهم تحكم عليهم بالأدلى وتلجهم إلى سلوك طريق الأهل فاذنهم إلى الصلاة وأراد استفتاح التهجيد يقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ويقول سبحان الله والحمد لله الكلمات عشر مرات ويقول الله أكبر كبيرا والملك والملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال

في فن الثقة فظنوا أن حكم الصديق بين الله يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضوا الحيل في دفع الحقوق وأسأوا تأويل الألفاظ البهية واغترتوا بالظواهر وأخطئوا فيها وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والتورود فيه والخطأ في الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم السكاسة إلا الأكياس منهم قضى إلى أمثة : فمن ذلك قوام بأن المرأة متى أبرأت من الصداق برى الزوج بينه وبين الله تعالى وذلك خطأ بل الزوج قد يسيء إلى الزوجة بحيث يضيق عليها الأمور بسوء الحق فتخطر إلى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتخلص منه فهو إبراء لاطئ طيبة نفس وقد قال تعالى - فان طلق لكم عن شيء منه خسا فكلوه هنثا مريثا - وطية النفس خير طية القلب قد يرد الإنسان بقلبه مالا تطيب به نفسه فانه يريد الحجابة بقلبه ولكن تتركها نفسه وإنها طيبة النفس أن تسمح نفسها بالإبراء لاجن ضرورة تخالفه حتى إذا ردت بين ضررين اختارت أهونها فهذه مصادرة على التحقيق بأكرام الباطن ثم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والأغراض فينظر إلى الإبراء الظاهر وأنها لم تتركه بسبب ظاهر والاكرام الباطن ليس يطلع الحق عليه ولكن مهما تصدى القاضي الأكرام في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الإبراء ولذلك لاجل أن يؤخذ مال إنسان إلا بطيب نفس منه فلو طلب من الإنسان مالا على ما لم ينس الناس فاستنجا من الناس أن لا يعطيه وكان يود أن يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف أن يهزأه الناس وخاف أن لم تسليم المال وردد نفسه بينها فاختار أهون الأئين وهو ألم التسليم فسله فلأفرق بين هذا وبين المصادرة إذ معنى المصادرة لإبلاء البدن بالصوت حتى يصير ذلك أقوى من ألم القلب يدلل للمال فيختار أهون الأئين والسؤال في مظنة الحياء والراء ضرب قلب بالسرور والفرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فإن الباطن عند الله تعالى ظاهر وإنما حاكم الدنيا هذه التي يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لأنه لا يمكنه الوقوف على مالى القلب وكذلك من يعطى انشاء فسر لسانه أو لشر سمائه فهو حرام عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام ألا ترى ما جاء في قصة داود عليه السلام حيث قال بعد أن غفر له يارب كيف لي بحضى فأمر بالاستعجال منه وكان ميتا فأمر ببدنه في صبرة بيت للقدس فنادى بأوربا فأجابا بليك يا بني الله أخرجنى من الجنة فسادا تريد ؟ فقال إني أسأت إليك في أمر فبه لي قال قد فعلت ذلك يا بني الله فاضرف وقد ركن إلى ذلك فقال له جبريل عليه السلام هل ذكرت له ما فعلت ؟ قال لا قال فارجع فبين له فرجع فناداه فقال لليك يا بني الله فقال إني أذنبت إليك ذنبا قال ألم أهب لك قل الأنسانى ما لك الذنب قال ما هو يا بني الله ؟ قال كذا وكذا وذكر هان للراء فاضطع الجواب ، وقال بأوربا ألا تخشعني قال يا بني الله ما لكذا يفعل الابتيان حتى أتفت منك بين يدى الله فاستقبل داود الكاهن والصراع من الرأس حتى وعده الله أن يستوجه منه في الآخرة ، فهذا يشبه أن الملبى من غير طيبة قلب لا يصدق وأن طيبة القلب لا تحصل إلا بالمعركة فكذلك طيبة القلب لا تكون في الإبراء والمعية وبغيرها إلا إذا خلى الإنسان واختاره حتى تثبت الدوامى من ذات نفسه لأن تضطر بوعائه إلى الحركة بالحيل والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة في آخر الحول من زوجته وأهله ما لم يسلح لاسقاط الزكاة فالقضية يقول سقطت الزكاة فان أراد به أن مطالبة السلطان والبساع سقطت عنه قد صدق فان مطمح نظرم ظاهر الملك وقد زل وإن ظن أنه يعلم في القيامة ويكون كمن لم يملك المال أو كمن باع حاجته إلى البيع لاطئ هذا القصد فما أعظم جهل بقية الدين وسر الزكاة فان سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال صلى الله عليه وسلم

والقدرة اللهم لك الحمد
أنت نور السموات
والأرض ولك الحمد
أنت بهاء السموات
والأرض ولك الحمد
أنت قيوم السموات
والأرض ولك الحمد
أنت رب السموات
والأرض ومن فيهن
ومن عبيد أنت الحق
وملك الحق وقاؤه
حق والجنة حق والنار
حق والنيون حق
ومحمد عليه السلام حق
الله لك أسلمت وبك
آمنت وعليك توكلت
وبك خاضعت وإليك
جاءت فافترق ما قدمت
وما أخرت وما أسررت
وما أعلنت أنت القديم

«ثلاث مهلكات شح^(١) مطاع^(٢)» وإنما صار شح مطاع بما فعله وقوله لم يكن مطاعاً فقد تم هلاكه بما يظن أن فيه خلاصه فإن الله مطاع على قلبه وحبه المال وحرصه عليه وأنه بلغ من حرصه على المال أن استعبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهد والقرور ومن ذلك إباحة الله مال الصالح للفقير وغيره بقدر الحاجة والفقهاء القرورون لا يميزون بين الأمانى والفضول والشهوات وبين الحاجات بل كل مالا تم رعوتهن إلا به يرونه حاجة وهو محض القرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد إليها في العبادة وسلك طريق الآخرة فكل ما تناوله العبد للاستعانة به على الدين والعبادة فهو حاجته وماعدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولودهننا نصراً غرور الفقهاء في أمثال هذا للمأنا في مجلدات والقرض من ذلك التنبيه على أمثلة تعرف الأجناس دون الاستيعاب فإن ذلك يطول . الصنف الثاني : أرباب العبادة والعمل والقرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره في الصلاة ومنهم من غروره في تلاوة القرآن ومنهم في الحج ومنهم في التزو ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول ينسج من مناهج العمل فليس خالياً عن غرور إلا الأكياس . ولقد كان مأم . فمنهم فرقة : أهواوا القراض واشتغلوا بالقضال والنوازل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا إلى السدوان والسرف كالتي تغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرضى الماء المحكوم بطهارته في فتوى الشرع ويتدر الاحتالات البعيدة قربة في النجاسة وإذا آل الأمر إلى أكل الحلال قدر الاحتالات القربة بعيدة وربما أكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء إلى الطعام لكان أشبه بيرة الصحابة إذ توسماً عمر رضى الله عنه بماء في جرة نصرانية مع ظهور احتمال الجبانة وكان مع هذا يدع أبواباً من الحلال مخافة من الوقوع في الحرام ثم من هؤلاء من يخرج إلى الاسراف في صب الماء وذلك منهى عنه^(٣) وقد يطول الأمر حتى يضيق الصلاة ويخرجها عن وقتها وإن لم يخرجها أيضاً عن وقتها فهو مغرور لما فاتته من فضيلة أول الوقت وإن لم يفته فهو مغرور لاسرافه في الماء وإن لم يدرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو أغز الأشياء فبا له مندوحة عنه إلا أن الشيطان يصد الخلق عن الله بطريق سني ولا يقدر على صد العباد إلا بما يغيل إليهم أنه عبادة فيعدهم عن الله بمثل ذلك . وفرقة أخرى : غلب عليها الوسوسة في نية الصلاة فلا بدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تنوته الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت وإن تم تكبيره فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يثيرون صفة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في أول الصلاة ثم ينفلون في جميع الصلاة فلا يحضرون قلوبهم ويفترون بذلك ويظنون أنهم إذا اتعبوا أنفسهم في تصحيح النية في أول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم . وفرقة أخرى : تغلب عليهم الوسوسة في إخراج حروف الفاتحة وسائر الأذكار من مخارجهم فلا يزال يختلط في التشديدات والفرق بين الصاد والظاه وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلاته لا يهمله غيره ولا يتفكر فيها سواء ذاهلاً عن معنى القرآن والاتفاظ به وصرف الذم إلى أمراره وهذا من أفسح أنواع القرور فانه لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف إلا بما جرت به عادتهم في الكلام .

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث النهي عن الاسراف في الوضوء الترمذي وصفه وابن ماجه من حديث أبي بن كعب إن للوضوء شيطاناً يقال له الولهسان الحديث وتقدم في عجائب القلب .

وأنت المؤخر لإله إلا
أنت اللهم آت نفسي
نواها وزكها أنت خير
من زكها أنت وليها
ومولاه اللهم اهدني
لأحسن الأخلاق
لا يهدي لأحسنها إلا
أنت واصرف عني سيئها
لا يصرف عني سيئها إلا
أنت أسألك مسئلة
البائس للسكين
وأدعوك دعاء الفقير
الذليل فلا تجعلني
بدعائك رب حقياً
وكن بي رؤفاً رحماً
يا خبير السؤولين
وياً أكرم المطيعين ثم
يعلى ركعتين تحية
الطهارة يقرأ في
الأولى بعد الفاتحة

ومثال هؤلاء مثل من حمل رساله إلى مجلس سلطان وأمر أن يؤذي بها على وجهها فأخذ يؤذي الرسالة ويتأنق في خارج الحروف ويكررها ويبدعها مرة بعد أخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فما أحراه بأن تقام عليه السباسة ورد إلى دار المجانين ويحكم عليه بقدر العقل. وفرقة أخرى : اغتروا بقرأة القرآن فيذوقونه هذا وربما يغمثونه في اليوم والليلة من قولسان أحدهم يجرى به وقلمه يتردد في أودية الأمانى إذ لا يشكر في معاني القرآن لينجز زواجره ويتعظ بأعظاه ويقت عند أوامره ونواهيته ويحترع بواضع الاعتبار فيه إلى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن أن للقصود من إزال القرآن المهمة به مع الغفلة عنه. ومثاله : مثال عبد كتب إليه مولاه ومالكه كتاباً وأشار عليه فيه بالأوامر والنواهي فلم يصرف عنايته إلى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما أمر به مولاه إلا أنه يكرر الكتاب بصوته وتقمته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة ومهما ظن أن ذلك هو الراد منه فهو مغرور . نعم تلاوته إنما تراد لكيلا ينسى بعد لحفظه وحفظه يراد لمعاته وسنانه يراد للعمل به والاستمتاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذ به ويقرأ باستذائه ويظن أن ذلك لذة مناجاة الله تعالى وصالح كلامه وإنما هي لذته في صوته ولوردد الحائنه بشراً أو كلام آخر لا يذ بذلك اللذ الذي فهو مغرور إذ لم يتفقد قلبه فيعرفه أن لذته بجملة الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه أو بصوته. وفرقة أخرى : اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر أو صاموا الأيام الشريف يوم فم لا يحفظون ألبتة من القية وخواطرم عن الرياء وبطونهم عن الحرام عند الإفطار وأسلمتهم عن الهذيان بأنواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيعمل الزايف ويطلب الفضل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور . وفرقة أخرى : اغتروا بالجمع فيخرجون إلى الحج من غير خروج عن اللطام وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الإسلام ويضيئون في الطريق الصلاة والقرائن ويحجزون عن طهارة الثوب والبدن ويترشون لمسك الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يحذرون في الطريق من الرقت والحصام وربما جمع بعضهم الحرام وأغفقه على الرقاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فيصعب الله تعالى في كسب الحرام وأولاً في إتقائه بالرياء ثانياً فلا هو أخذته من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت قبل ملوث بذائل الأخلاق وذم الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن أنه على خير من به فهو مغرور . وفرقة أخرى : أخذت في طريق الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشكر على الناس ويأمرهم بالخير وينسى نفسه وإذا أمرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعزة وإذا باشر منكرها ورد عليه غضب وقال أنا المحتسب فكيف تنكر على وقد يجمع الناس إلى مسجده ومن تأخر عنه أغلظ القول عليه وإنما غرضه الرياء والرياسة ولو قام بتعهد السجدة غيره لجرده عليه بل منهم من يؤذن ويظن أنه يؤذن لله ولوجاه غيره وأذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم أخدق وزوسحت على مرتبتي وكذلك قد يتفقد إمامة مسجد ويظن أنه على خير وإنما غرضه أن يقال إنه إمام المسجد فلو تقدم غيره وإن كان أروع وأعلم منه قل عليه . وفرقة أخرى : جاوروا بمكة أو المدينة واغترروا بمكة ولم يراقبوا فواهم ولم يظهروا ظاهرم وباطنهم قلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة إلى قول من يعرف أن فلانا مجاور بذلك وتراه يتحدى ويقول قد جاورت بمكة كذا كذا سنة وإذ اسمع أن ذلك ليس بترك صريح التحدى وأحب أن يعرفه الناس بذلك ثم إنه قد جاور ويعد عين علمه إلى أوسان أموال الناس وإذا جمع من ذلك شيئاً شح به وأمسكه لم تسمح نفسه بلقمة تصدق بها على قبر فيظهر فيه الرياء والبخل

- ولواهم إذ ظنوا
أنهم - الآية - ومن يعدل
الثانية - ومن يعدل
سوا أو يظلم نفسه ثم
يستغفر الله يجد الله
غفوراً رحباً - ويستغفر
بعد الركعتين مرات
ثم يستفتح الصلاة
بركعتين خفيئتين
إن أراد يقرأ فيها
بآية الكرسي وآمن
الرسول وإن أراد غير
ذلك ثم يصلي ركعتين
طويلتين هكذا روى
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه كان
يتجد هكذا ثم يصلي
ركعتين طويلتين
أقصر من الأولين
وهكذا يتدرج إلى أن

والطعم وجلة من الملهمات كان عنها يمزج لو ترك المجاورة ولكن حب الخدمة وإن يقال إنه من
 المجاورين أئزمه المجاورة مع الضم مع هذه الرذائل فهو أيضا مغرور وما من عمل من الأعمال وعيادة
 من العبادات إلا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتنا واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك
 إلا من جملة كتب إحياء علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في الصلاة من كتاب الصلاة في الحج من
 كتاب الحج والزكاة والتلاوة وسائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها وإنما الغرض الآن الإشارة
 إلى جماع ما سبق في الكتب . وفرقة أخرى زهدت في المال وفتت من اللباس والطعام بالبدون ومن
 السكن بالمساجد وظلت أنها أدركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه إما بالعلم أو
 بالوعظ أو بمجرد الزهد فقد ترك أهون الأمور وباع أعظم الملهمات فان الجاه أعظم من المال ولو
 ترك الجاه وأخذ المال كان إلى السلامة أقرب فهذا مغرور إذ ظن أنه من الزهاد في الدنيا وهو لم ينهم
 معنى الدنيا ولم يدرك أن منتهى أهداف الرياسة وأن الراغب فيها لا بد أن يكون منافقا وحسودا ومتكبرا
 ومراثيا ومتصفا بجميع خباثات الأخلاق ثم وقد يترك الرياسة ويؤثر الخوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور
 إذ يتناول بذلك على الأغنياء ويغشن معهم الكلام وينظر إليهم بعين الاستحقار وبرجولفسه أكثر
 مما يرجو لهم ويحبب عمله ويتصف بجملة من خباثات اللب وهو لا يدري ورعيا يعطى المال فلا يأخذه
 خيفة من أن يقال بطل زهده ولو قيل له إنه حلال غفله في الظاهر وردة في الخفية لا تسمح به نفسه
 خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من الأدب الدنيا ويرى نفسه أنه زاهد في الدنيا وهو
 مغرور ومع ذلك فرسا لا غلو من توقير الأغنياء وتقديمهم على الفقراء والبال إلى الريدين والالتصق عليه
 والفرقة عن السائلين إلى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان فهو ذاهب في العباد
 من يشده على نفسه في أعمال الجوارح حتى رعبا يصل في اليوم والليلة مثلاً لذكره وتغمي القرآن
 وهو في جمع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقد تطهير من الرياء والكبر والعجب وسائر الملهمات
 فلا يدري أن ذلك مهلك وإن علم ذلك فلا يظن بنفسه ذلك وإن ظن بنفسه ذلك توهم أنه مغفوره
 لعمله الظاهر وأنه غير مؤاخذ بأحوال القلب وإن توهم فيظن أن العبادات الظاهرة تترجح بها كفة
 حسنة وهيات وذرة من ذي ثوى وخلق واحد من أخلاق الأكياس أفضل من أمثال الجبال
 عملا بالجوارح ثم لا غلو هذا الغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشوته وتلوث باطنه عن الرياء
 وحب التناء فإذا قيل له أنت من أوتاد الأرض وأولياء الله وأحبابه فرح الغرور بذلك وصدق به
 وزاده ذلك غرورا وظن أن تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدري أن ذلك
 لجلل الناس بخباثات باطنه . وفرقة أخرى حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالقرائن ترى
 أحدهم يفرح بصلاة الضحى وصلاة الليل وأمثال هذه النوافل ولا يجد للفرصة لذة ولا يستحضره
 على البادية بها في أول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه « ما تنزب
 التقربون إلى بئس أدام ما اقترضت عليهم » (١) وترك الترتيب بين الحيرات من جملة الشرور بل قد
 يشين على الإنسان فرضان : أحدهما غيوت والآخر لا يغوت ، وأفضلان أحدهما يضي وتفتت الآخر يستع
 وقته فان لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى فان الصيغة ظاهرة
 والطاعة ظاهرة وإنما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم القرائن كعلم على النوافل وتقديم
 فروض الأعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قرأه غيره وتقديم الأهم
 (١) حديث ما تنزب للتقربون إلى بئس أدام ما اقترضت عليهم ، البخاري من حديث أبي هريرة
 باقظ ما تنزب إلى عبدي .

بصل اثنى عشرة ركعة
 أو ثمان ركعات أو يزيد
 على ذلك فان في ذلك
 فضلا كثيرا والله أعلم .
 [الباب الثامن
 والأربعون في تيسير
 قيام الليل]
 قال الله تعالى - والذين
 يبيتون لربهم سجدا
 وقياما - وقيل في تفسير
 قوله تعالى - فلا تعلم نفس
 ما أخفى لهم من قرة
 أعين جزاء بما كانوا
 يعملون - كان عملهم
 قيام الليل وقيل في
 تفسير قوله تعالى
 - استنبوا بالصبر
 والصلاة - استنبوا
 بصلاة الليل على مجاهدة
 النفس ومصارعة البدو

من فروض الأعيان على مادونه وتقديم مايقوت على مالا يقوت وهذا كما يجب تقديم حاجة الوالدة على حاجة الوالد إذ « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل هـ : من أبر يا رسول الله . قال أمك ثم من ذل أمك . قال ثم من قال أمك . قال ثم من قال أبك . قال ثم من . قال أدناك فأذاك »^(١) فيبني أن يبدأ في الصلة بالأقرب ، فإن استويا فبالأخوحي فإن استويا فبالأخت والأورع وكذلك من لا يني ماله ينقذ الوالدين والحج فرميا يحج وهو مغرور بل ينبي أن يقدم حقه على الحج وهذا من تقديم فرض أم على فرض هو دونه وكذلك إذا كان على البعد ميعاد ودخل وقت الجمعة فجمعة ثبوت والاشتغال بالإفاء بالوعد ممعية وإن كان هو طاعة في نفسه ، وكذلك قد تصيب ثوبه النجاسة فيغسل القول على أبويه وأهله بسبب ذلك فالنجاسة محذورة وإبداؤها محذور . والحذر من الإيذاء أهم من الحذر من النجاسة . وأمثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر . ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور ، وهذا غرور في غابة التموض لأن للفرور فيه في طاعة إلا أنه لا يفتن لصبرورة الطاعة ممعية حيث ترك بها طاعة واجبة هي أهم منها ومن جعلته الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه في حق من بقى عليه شغل من الطاعات والمأصبي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لأن مقصود الفقه معرفة ما يحتاج إليه غيره في حوائجه ، فعرفة ما يحتاج هو إليه في قلبه أولى به إلا أن حب الرياسة والجاه ولذة الباهة وقهر الأقران والتقدم عليهم يعمى عليه حتى يفتن به مع نفسه ويظن أنه مشغول بهم دينه . الصنف الثالث التصوفة وما أغلب الفرور عليهم وللقترن منهم فرق كثيرة . فقرة منهم وهم متصوفة أهل الزمان إلا من عصمه الله اغتروا بالزنى والهيئة والنطق فسعدوا الصادقين من الصوفية في زيههم وهينهم وفي ألفاظهم وفي آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة في الباع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع إبطاء الرأس وإدخاله في الجيب كالتمسك وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث إلى غير ذلك من التباثل والحيثيات فلما تكلفوا هذه الأمور وتشبهوا بهم فيها غنوا أنهم أيضا صوفية ولم يتبعوا أنفسهم قط في المجهود والرياسة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يبدؤا أنفسهم في الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئا منها بل يشككون في الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحية ويتحاسدون على التقير والقطمير ويزرق بعضهم أعراض بعض مهما خالقه في شيء من غرضه . وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة هجوز سمعت أن الشجمان والأبطال من القتالين ثبتت أسأؤهم في الديوان ويقطع لكل واحد منهم قطر من أقطار المملكة فتأقت نفسها إلى أن يقطع لها ملكة فليست درعا وضعت على رأسها مغفرا وتعلت من رجز الأبطال أياها وتعودت إيراد تلك الأبيات بفمها حتى تيسرت عليها وتعلت كنية يتخترم في الديدان وكيف تحريكهم الأيدي وتلقفت جميع شاكلهم في الزنى والنطق والحركات والسكنات ثم توجهت إلى المسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجمان فلما وصلت إلى المسكر أنفذت إلى ديوان العرض وأمر بأن تجرد عن المنفر والدرع وينظر مآخذه وتحتن بالمبارزة مع بعض الشجمان ليعرف قدر عائشها في الشجاعة فلما جردت عن المنفر والدرع فإذا هي هجوزة ضئيلة زمنة لا تطيق حمل البعر والمنفر ؟ قيل لها أجيئت لاستتراء بالملك وللإستخفاف بأهل حضرة والتلبس عليهم

وفي الخبر وعليك قيام الليل فانه مرض تتركه وهو دأب الصالحين قبلكم ومنه عن الأئمة وملاعة للوزر ومذهب كبد الشيطان ومطرقة للقاء عن الحيد . وقد كان جمع من الصالحين يقومون الليل كله حتى تقل ذلك عن أربعين من التابعين كانوا يصلون الفداة بوضوء المشاء . منهم سعيد بن المسيب وفضيل بن عياض . وهب بن الورد وأبو سليمان السمراني وطى بن بكار . وحبيب العجمي . وكهس ابن التبال . وأبو حازم ومحمد بن المنكدر . وأبو حنيفة رحمه الله

(١) حديث من أبر قال أمك الحديث الترمذى والحاكم وصححه من حديث زيد بن حكيم عن أبيه عن جده وقد تقدم في آداب الصبة .

خذوها فآلقوها فقام الفيل لسخفها فألقيت إلى القمل فهكذا يكون حال اللعين واللعن في القيامة إذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الأكبر الذي لا ينظر إلى الزى والرفق بل إلى سر القلب. وفرقة أخرى: زادت على هؤلاء في الضرر إذ شق عليها الاقتداء بهم في بذلة الثياب والرضا بالدون وأرادت أن تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزين بزهرهم فتركوا الحرير والإبرسم وطلبوا الرفقات النفيسة والنوط الرقيقة والسجادات المصنفة ولبسوا من الثياب وهو أرفع قيمة من الحرير والإبرسم وظن أحدهم مع ذلك أنه متصوف بمجرّد لون الثوب وكونه مرقعا ونسى أنهم إنما تولوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لإزالة الوسخ، وإنما لبسوا للرفقات إذ كانت ثيابهم محرقة فكانوا يرقونها ولا يلبسون الجديد. فأما تقطيع النوط الرقيقة قطعة قطعة وخياطة الرفقات منها فن ابن يشبه ماعتادوه فهو لا أظهر حماقة من كافة اللعروين فانهم يقتسمون بتفيس الثياب ولقد أبطأ الطعمة ويطولون رعد الميض ويأكلون أموال السلاطين ولا يجنبون المعاصي الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بأنفسهم الخير وشرا هؤلاء مما يتعدى إلى الحق إذ يهلك من يقتدى بهم ومن لا يقتدى بهم تمسّد عقيدته في أهل التصوف كافة ويظن أن جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من شؤم القترين وشرم. وفرقة أخرى: ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاورة المقامات والأحوال والالزمة في عين الشهود والوصول إلى القرب ولا يعرف هذه الأمور إلا بالأسامي والألفاظ لأنه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن أن ذلك أطي من علم الأولين والأخريين فهو ينظر إلى القتها والفسرين والمحدثين وأصناف العلماء بين الأزدراء فضلا عن العوام، حتى إن الفلاح ليرك فلاحته والحائك ليرك حياكته ويلتزمهم أياما معدودة ويلتفت منهم تلك الكلمات الزينة فيرددها كأنه يتكلم عن الوحي ونجبر عن سر الأسرار ويستعجز بذلك جميع العباد والعلماء ويقول في الباد أنهم أجراء متدبون، ويقول في العلماء أنهم بالحدث عن الله محجوبون ويدعى لنفسه أنه الواصل إلى الحق وأنه من القترين، وهو عند الله من القفار الناقين، وعند أرباب القلوب من الحق الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلفف الهذيان وحفظه. وفرقة أخرى: وتمتق في الإباحة وطوا بساط الشرع ورفضوا الأحكام وسوا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم أن الله مستغن عن عمل فلم يحب نفس. وبعضهم يقول: قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك عمال فقد كلفوا ما لا يمكن، وإنما يشتر به من لم يجرب. وأما نحن فقد جربنا وأدركنا أن ذلك محال، ولا يعلم الأحق أن الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من أصلهما بل إنما كلفوا قلع مادتهما بحيث يتقاركل واحد منهما لحكم العقل والشرع. وبعضهم يقول الأعمال بالجوارح لا وزن لها، وإنما النظر إلى القلوب وقلوبنا بحب الله وواصلته إلى معرفة الله وإنما نخوض في الدنيا بأبداننا وقلوبنا كأكفة في الحاضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويرمضون أنهم قد ترقوا عن رتبة الدوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية وأن الشهوات لا تصدم عن طريق الله لقوتهم فيها ويرفضون درجة أنفسهم على درجة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذ كانت تصدم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يبيكون عليها وينوحون سنين متواليه وأنصاف غر وأهل الإباحة من القترين بالصوعية لا تحصى وكل ذلك بناء على غاليط ووساوس يمدعهم الشيطان به الاشتغال بهم بالمدح قبل أحكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم صالح للاقتداء به وإحصاء أنصافهم يطول.

تعالى وغيرهم عددهم
وسامهم بأنصافهم
الشيخ أبو طالب الكي
في كتابه قوت القلوب
فمن عجز عن ذلك
يستحب له قيام تشبه أو
تلك. وأقل الاتعجاب
سدس الليل فيما أن
ينام ثلث الليل الأول
ويقوم نصفه وينام
سدسه الآخر أوثان
النصف الأول ويقوم
ثلثه أوثان السدس
روى أن داود عليه
السلام قال يارب إني
أحب أن أنعم بذلك فأني
وقت أقوم فأوحى الله
تعالى إليه: يا داود
لا تنعم أول الليل ولا
آخره فانه من قام أوله
نام آخره ومن قام آخره
نام أوله ولكن قم
وسط الليل حتى

وفرقة أخرى : جاوزت حدّ هؤلاء واجتنبت الأعمال وطاقت الحلال واشتغلت بتفقد القالب وصار أحدهم يدعى للقمامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه القمامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها ، فثم من يدعى الوجد والحب لله تعالى ويؤمن أنه والله بالله ولله قد تحيل في الله خيالات هي بدعة أو كفر فيدعى حب الله قبل معرفته ثم إنه لا يغفل عن مفارقة ما يكره الله عز وجل وعن إثارة هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الأمور حياة من الحق ولو خلا لما تركه حياة من الله تعالى وليس يدري أن كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل إلى التناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصح دعوى التوكل وليس يدري أن ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحابة وقد كانوا أعرف بالتوكل منه فافهموا أن التوكل المحاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد وهذا مباديكم الزاد وهو متوكل على سبب من الأسباب واثق به ومانع من اللقيات لا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات في ربيع اللقيات من السكتات فلا يمكن إعادتها ، وفرقة أخرى : ضيقت على نفسها في أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص وأهملوا تفقد القالب والجوارح في غير هذه الحصلة الواحدة ، ومنهم من أهل الحلال في مطعمه وملبسه ومسكنه وأخذ يعمق في غير ذلك وليس يدري للسكين أن الله تعالى لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الأعمال دون طلب الحلال بل لا يرضى إلا بالتقوى في جميع الطاعات والعماسي ، فمن ظن أن بعض هذه الأمور يكفي وينجي فهو مغرور . وفرقة أخرى : ادعوا حسن الحلق والتواضع والسمعة فخذوا والخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكافؤا بخدعتهم وأخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وإعماضهم للتكبر وهم يظهرون الحمة والتواضع وغرضهم الارتفاع وهم يظهرون أن غرضهم الافراق وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون أن غرضهم الخدمة والتبعية ثم إنهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم لتكبر ألبانهم وبشر بالخدمة اسمهم وبعضهم يأخذ أموال السلاطين ينفق عليهم وبعضهم يأخذها ليقف في طريق الحج على الصوفية ويؤمن أن غرضه البر والافتقار وباغث جميعهم الرياء والسمعة وآية ذلك إهمالهم جميع أوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم بأخذ الحرام والاتفاق منه ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج لارادة الخير كن يعمر مساجد الله فيطبخها بالمذرة ويؤمن أن قصده الصعارة . وفرقة أخرى : اشتغلوا بالمجاهدة وتهذب الأخلاق وتظهر النفس من عيوبها وصاروا يهتمون بها فها أخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرقة فهم في جميع أحوالهم مشغولون بالبحث عن عيوب النفس واستبطاط دقيق الكلام في آفاتنا فيقولون هذا في النفس عيب والفتنة عن كونه عيبا عيب والاتفات إلى كونه عيبا عيب ويشغفون فيه بكلمات مسالة تضعيف الأوقات في تلقيها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن عيوب وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا ينفيه . وفرقة أخرى : جاوزوا هذه الرتبة وأبدؤوا سلوك الطريق وانفتح لهم أبواب المعرفة فكمما تشمموا من مبادئ المعرفة رائحة تعجبوا منها وفروا بها وأعجبهم غرابها فضيدت قلوبهم بالانفات إلى الله والتفكير فيها وفي كيفية افتتاح بابها عليهم والاندساة على غيرهم وكل ذلك غرور لأن محائب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل أهوية وتقيدها نصرت خطاه وحرم الوصول إلى القصد وكان مثاله مثال من قصد ملكا فرأى على باب مدينته بركة وضوء فيها أزهار وأنوار لم يكن قد رأى قبل ذلك مثلهما فوقف ينظر إليها ويتعجب حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك . وفرقة أخرى : جاوزوا هؤلاء ولم ياتفتوا إلى ما يفيض عليهم من الأنوار في

تحاولي وأخلو بك وارفع إلى حوائجك ويكون القيام بين نومتين وإلا فيغالب النفس من أول الليل ويشغل فاذا غلبه النوم ينام فاذا انتبه يتوضأ فيكون له قومتان ونومتان ويكون ذلك من أفضل ما يفتله ولا يصل وعنده نوم يشغله عن الصلاة والتلاوة حتى يعقل ما يقول ، وقد ورد « لا تكذبوا الليل » وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلاة تصلى من الليل فاذا غلبها النوم تعلقت بجبل فتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال « ليس أحدكم من الليل ما ينسبر

الطريق ولا إلى ما تبسّر لهم من العطايا الجزيلة ولم يرجوا على الفرح بها والالتفات إليها جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا إلى حد القربة إلى الله تعالى فظنوا أنهم قد وصلوا إلى الله وقوة وأوغاطوا فان لله تعالى سبعين حجاباً من نور لا يصل السالك إلى حجاب من تلك الحجب في الطريق إلا ويظن أنه قد وصل ، وإليه الإشارة بقول إبراهيم عليه السلام إذ قال الله تعالى إخباراً عنه - فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي - وليس المعنى به هذه الأجسام اللضيئة فانه كان يراها في الصغر ويعلم أنها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحداً والجهال يظنون أن الكوكب ليس إلا فئسل إبراهيم عليه السلام لا يفره الكوكب الذي لا يفر السواوية ، ولكن المراد به أنه نور من الأنوار التي هي من حجب الله عز وجل وهي على طريق السالكين ولا يتصور الوصول إلى الله تعالى إلا بالوصول إلى هذه الحجب وهي حجب من نور بعضها أكبر من بعض وأصغر الثيرات الكوكب فاستمر له لفظه وأعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل إبراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات حيث قال تعالى - وكذلك ترى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - يصل إلى نور بعد نور ويتخيل إليه في أول ما كان يلقاه أنه قد وصل ثم كان يكشف له أن وراءه أمراً فيترقى إليه ويقول قد وصلت فكشف له ما وراءه حتى وصل إلى الحجاب الأقرب الذي لا وصول إلا بعده قال هذا أكبر فلما ظهر له أنه مع عظمه غير خال عن الهوى في حضيض النقص والخطا عن ذروة الكمال ساقلاً لأحب الألقين - إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - وسالك هذه الطريق قد نبئت في الوتوف على بعض هذه الحجب وقد يفتقر بالحجاب الأول وأول الحجب بين الله وبين العبد هو نفسه فانه أيضاً أمر رباني وهو نور من أنوار الله تعالى : أعنى سر القلب الذي تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى إنه ليسع لجملة العالم ويحيط به وتتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره إشراقاً عظيماً إذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في أول الأمر محبوب بمشكاة هي كاساتره فإذا تجلّى نوره وانكشف جمال القلب بعد إشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب إلى القلب فبرى من جماله الفائق ما يدهشه وربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول أنا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من أنوار الحضرة الهلالية لم يصل بعد إلى القمر فضلاً عن الشمس فهو مغرور وهذا عمل الالتباس إذ التجلى يلتبس بالمتجلى فيمكن الالتباس لون ما يتراءى في المرآة بالمرآة فيظن أنه لون المرآة وكما يلتبس مافي الزجاج بالزجاج كما قيل :

رقق الزجاج ورتت الحجر فتشابهها فتشاكل الأمر

فكأنما شجر ولا قدح وكأنما قدح ولا خر

وهذه العين نظر النصارى إلى المسيح فأروا إشراق نور الله قد تلافاه فيمقاطو فيه كن يرى كوكبا في مرآة أو في ماء فيظن أن الكوكب في المرآة أو في الماء فيمده إليه ليأخذه وهو مغرور ودأب أنواع الفرور في طريق السلوك إلى الله تعالى لا تخصي في مجلدات ولا تستقصي إلا بعد شرح جميع علوم الكاشفة وذلك مما لارخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه أيضاً كان الأولي تركه إذا السالك لهذا الطريق لا يحتاج إلى أن يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به إذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع مالا يفهم ولكن فيه فائدة وهو إخراجهم من الفرور الذي هو فيه بل ربما يصدق بأن الأمر أعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجده الزخرف وصدق أيضاً بما عكس له من المكاشفات التي أخبر عنها أولياء الله من عظم غروره بما أمره كذاباً باسمه لأن كما يكذب بما سمعه من قبل ، الصنف الرابع : أرباب الأموال والمغترور منهم فرق

فاذا غلبه النوم فليتم

وقال عليه السلام :

« لاتشادوا هذا الدين

فانه متين لمن يشاهده

بغلبه» ولا تنفض إلى

نفسك عبادة الله

ولا يلبق بالطالب ولا

يبنى له أن يطلع الفجر

وهو نائم إلا أن يكون

قد سبق له في الليل

قيام طويل فيعذر في

ذلك على أنه إذا استيقظ

قبل الفجر ساعة مع

قيام قليل سبق في

الليل يكون أفضل

من قيام طويل ثم

النوم إلى بعد طلوع

الفجر فاذا استيقظ

قبل الفجر يصح

الاستغفار والتسبيح

ويتم تلك الساعة وكما

يصل بالليل مجلس

قليلا بعد كل ركعتين

فرقة منهم : يجرءون على بناء المساجد وتدارس والرباطات والتقاطر وما يظفر للناس كافة ويكتبون أسامهم بالأجر عليها ليتخذ ذكرهم ويبقى بعد الموت أثرهم وهم يظنون أنهم قد استمتعوا بالفرقة بذلك وقد اعتزوا فيه من وجهين : أحدهما أنهم يبنونها من أموال اكتسبوها من الظلم والتهب والرشا والجميات المظنونة فهم قد تعرضوا لسخط الله في كسبها وتعرضوا لسخطة في إتيانها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها فاذن قد عصوا الله بكسبها فالواجب عليهم التوبة والرجوع إلى الله وردها إلى ملاكها إما بأعانتها وإما يرد بدنها عند العجز فإن عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها إلى الولاية فإن لم يبق للمظالم وارث فالواجب صرفها إلى أهم للصالح وربما يكون الأهم التفرقة على المساكين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من أن يظهر ذلك للناس فيبنون الأبنية بالأجر وغرضهم من بنائها الرياء وطلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء أسماهم المكتوبة فيها لابقاء الخير . والوجه الثاني أنهم يظنون بأنفسهم الإخلاص وقصد الخير في الإغناق على الأبنية ولو كلف واحد منهم أن ينق ديارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذي أتفق عليه لثق عليه ذلك ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه أو لم يكتب ولولا أنه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر إلى ذلك . وفرقة أخرى : ربما اكتسبت المال من الحلال وأفتت على المساجد وهي أيضا مغرورة من وجهين : أحدها الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون في جوارره أو ببلده قراء وصرف المال إليهم أهم وأفضل وأولى من الصرف إلى بناء المساجد وزينتها وإنما يخف عليهم الصرف إلى المساجد ليظهر ذلك بين الناس . والثاني أنه يصرف إلى زخرفة المسجد وتزيينه بالقشوش التي هي منهى عنها وشاغلة قلوب المصلين ومختطفة ألبصارهم ^(١) والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المصلين ومحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع إليه وهو مع ذلك يفتخر به ويرى أنه من الخيرات وبعد ذلك وسيلة إلى الله تعالى وهو مع ذلك قد تعرض لسخط الله تعالى وهو يظن أنه مطيع له ويمتثل لأمره وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم به إلى زخارف الدنيا فيشتبهون مثل ذلك في يومهم ويشتهون طلبه ووبال ذلك كله في رقبته إذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى . قال مالك ابن دينار : أتى رجلان مسجدا فوقف أحدهما على الباب وقال متى لا يدخل بيت الله فكتب للمسكان عند الله صديقا فكذا يفتنى أن تعظم المساجد وهو أن يرى ثلوث المسجد بدخوله فيه بنسه جناية على المسجد لا أن يرى ثلوث المسجد بالحرام أو يزخرف الدنيا منه على الله تعالى ، وقال الحواريون للمسيح عليه السلام انظر إلى هذا المسجد ما أحسنه فقال أمي أمي بحق أقول لك لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر إلا أهلكه بذنوب أهله إن الله لا يهاب الذهب والفضة ولا يهذه الحجارة التي تعجبك شيئا وإن أحب الأشياء إلى الله تعالى القلوب الصالحة بها يجرء الله الأرض وبها تحرب إذا كانت في غير ذلك . وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا زخرتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم ابن مصاحفكم فالدمار عليكم ^(٢) » وقال الحسن « إن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبنى مسجدا المدينة أتاه جبريل عليه السلام فقال له ابنه سبعة أذرع طول في السماء لأزخره فلا تنقشه ^(٣) » ففرو هذا من حيث

ويسبح ويستغفر
ووصل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فانه يجد بذلك زوجا
وقوة على القيام وقد
كان بعض الصالحين
يقول هو أول نومة فإن
انتهيت ثم عدت إلى
نومة أخرى فلا أنام
الله عني . وحكى
لى بعض القراء عن
شيخ له أنه كان يأمر
الأصحاب بنومة واحدة
بالليل وأكلة واحدة
ليوم واليلة . وقد
جاء في الخبر « قهمن
الليل ولو قدر حلب
شاة » وقيل يكون
ذلك قرأ أربع ركعات
وقدر ركعتين . وقيل
في تفسير قوله تعالى
« تؤتي الملك من تشاء
وتنزعه الملك ممن تشاء »

(١) حديث انتهى عن زخرفة المساجد وتزيينها بالقشوش البخاري من قول عمر بن الخطاب « أكن الناس ولا تحمر ولا تصفر » (٢) حديث إذا زخرتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم ابن المبارك في الزهد وأبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف موقوفا على أبي الدرداء (٣) حديث الحسن مرسل لما أراد أن يبنى مسجدا المدينة أتاه جبريل فقال ابنه سبعة أذرع طول في السماء ولا زخره ولا تنقشه لم أجده .

إنه رأى الشكر واتسلك عليه . و فرقة أخرى : ينفقون الأموال في الصدقة على الفقراء ، والساكنين ويطلبون به المأكل الجامعة ومن عاده الشكر والإنشاء للمعروف ويكرهون الصدق في السر ورون إخفاء الفقير لما يأخذ منهم جنابة عليهم وكفرانا وربما يحرصون على إغراق المال في الخلع فيحبون مرة بعد أخرى وربما تركوا جيرانهم جباة ولذلك قال ابن مسعود في آخر الزمان يكثر الحاج بلا صلب يهون عليهم السفر وييسطط لهم في الرزق ويرجعون محزونين مساكين يهوى بأحدم بعيره بين الرمال والقفار وجاره مأسور إلى جنبه لا يؤاسيه وقال أبو نصر النخعي إن رجلا جاء بوعده بشر ابن الحرث وقال قد عزمت على الخلع فتأمرني بشيء فقال له كم أعددت للنفقة فقال أتني درهم دل بشر فأبى شيء تبتني بحبك زهدا أو اعتياقا إلى البيت أو ابتداء مرضاة الله قال ابتداء مرضاة الله قال فان أصبت مرضاة الله تعالى وأنت في متركك وتنفق التي درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى أشهد ذلك قال نعم قال اذهب فأعطها عشرة أنفس مديون يقضى دينه وتقدير يرم شتم وميعل يثنى عباده ومربي يقيم بفرحه وإن قوى قلبك تطيبها واحدا فاضل فإن إدخالك السرور على قلب السلم وإغاثة الهممان وكشف الضر وإغاثة الضعيف أفضل من مائة حبة بعد حبة الاسلام فخرجها كأمركا له ولا يقل لنا ما في قلبك فقال يأبى نصر سرفى أنوى في قاي تقسم بشر رحمه الله وأقبل عليه وقاله للسالم إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات انتضت النفس أن تنقى به وطرا فأظهرت الأعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه لن لا يقبل إلا عمل التقيين . و فرقة أخرى : من أرباب الأموال اشتغلوا بها يحفظون الأموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالبدنية التي لا يحتاج فيها إلى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لأن البخل المهلك قد استولى على يواطهم فهو محتاج إلى قومه بأخراج السالم قد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ومثاله مثال من دخل في ثوبه حبة وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكجيين ليسكن به الصغراء ومن قتلته الحية متى محتاج إلى السكجيين ، ولذلك قيل لبشر إن فلانا الذي كثير الصوم والصلاة فقال للسكجيين ترك حاله ودخل في حال غيره . وإنما حال هذا إلهام الطعام للجباة والاختاق على السالكين فهذا أفضل له من نجو به نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه لادنيا ومنه للفقراء . و فرقة أخرى : غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم إلا بأداء الزكاة فقط ثم إنهم يخرجون من المال الخبيث الردي الذي يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من مخدمهم ويرتدو في حاجاتهم أو من محتاجون إليه في المستقبل للاستخبار في خدمة أومن لهم فيه على الجملة غرض أو يسلمون ذلك إلى من يبيته واحدا من الأكابر ممن يستظهر بحشمه لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومجبطات للعمل وصاحبه مغرور ويظن أنه مطيع لله تعالى وهو فاجر إذ طلب بعبادة الله عوضا من غيره فهذا أمانة من غرور أصحاب الأموال أيضا لا يعمى وإنما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على أجناس الغرور . و فرقة أخرى : من عوام الخلق وأرباب الأموال والفقراء اغتروا بحدود مجالس الله كرك واعتقدوا أن ذلك ينهيم ويكفيهم واخذوا ذلك عادة ويظنون أن لهم كرك مجرد صاع الوعظ دون العمل ودون الاعتناظ أجرا وهم مغرورون لأن فضل مجلس الله كرك لسكونه مرغباتي الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لأنها تمت على العمل فان صنعت عن العمل على العمل فلا خير فيها وما راد لتبريها فإذا قصر عن الأداء إلى ذلك التبرير فلا قيمة له وربما يتر بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل البسكاء وربما تدخله رقة كربة النساء فيبكي ولا عزم وربما يسمع كلاما غوفا فلا يزيد على أن يصفق يديه ويقول بإسلام سلم أو نموذج بالله أو سبحان الله ويظن أنه قد أتى بالخير كله وهو مغرور

هو قيام الليل ومن
حرم قيام الليل كلا
وفتورا في السرعة
أو تهاونا به لقلة
الاعتداد بذلك
أو اغترارا بحاله فليكن
عليه فقد قطع عليه
طريق كبير من الخير
وقد يكون من أرباب
الأحوال من يكون له
إملاء إلى القرب ويحده
من دعة القرب ما فتر
عليه داعية الشوق
ويرى أن القيام وفوق
في مقام الشوق وهذا
يضايق فيه ويهلك به
خافي من اللدسين
والذي له ذلك ينبغي
أن يعلم أن استمرار
هذه الحالة متدور
والانسان متعرض
للقصور والتخلف
والشهية ولا حالة أجل

وإنما مثله مثال المريض الذي يحضر مجالس الأطباء فيسمع ما يجري أو الجائع الذي يحضر عندهم يصف له الأطعمة الذليلة الشهية ثم ينصرف وذلك لا يفتنى عنه من مرضه وجوعه شيئا فكذلك سامع وصف الطاعات دون العمل بها لا يفتنى من الله شيئا كذلك وعظم شير منك صفة تغيير أشرافك حتى تقبل على الله تعالى إقبالا قويا أو ضيقا وتعرض عن الدنيا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فإذا رأته وسيلة لك كنت مغرورا . فإن قلت لما ذكرته من مداخل الفرور أمر لا يتخلص منه أحد ولا يمكن الاحتراز منه وهذا يوجب اليأس إذ لا يقوى أحد من البشر على الحذر من خبايا هذه الآفات . فأقول الإنسان إذا قرت همة في شيء أظهر اليأس منه واستعظم الأمور واستوعب الطريق وإذا صمحه الهوى اهتدى إلى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول إلى الغرض حتى إن الإنسان إذا أراد أن يستزل العليز المخلق في جو الساء مع بعده منه استزله وإذا أراد أن يخرج الحوش من أعماق البحار استخرجه وإذا أراد أن يستخرج الذهب أو الفضة من تحت الجبال استخرجه وإذا أراد أن يقتبس الوحوش الطلقة في البراري والصحارى انتصها وإذا أراد أن يستخرج السباع والطيقة وعظم الحيوانات استخرجها وإذا أراد أن يأخذ الحيات والأفاعي وجبت بها أخذها واستخرج السرايا من أجوافها وإذا أراد أن يتخذ الدجاج للتلقيش من ورق الثوت أخذته وإذا أراد أن يعرف مقادير السكاكب وطولها وعرضها استخرج بدقيق الهندسة ذلك وهو مستقر على الأرض وكل ذلك باستنباط الحيل وإعداد الآلات ففسخ القرس للركوب والسكباب للصيد وسخر البازي للقتاس الطيور وعبأ الشبكة لاصطياد السمك إلى غير ذلك من دقائق حيل الآدمي كل ذلك لأن همه أمر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو أهمه أمر آخرته فليس عليه إلا شغل واحد وهو تقويم قلبه فيعجز عن تقويم قلبه وتخاذل وقال هذا محال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بمحال لو أصبح وجهه هذا الملم الواحد بهو كما يقال • لو صم منك الهوى أرشدت للحيل • فهذا شيء • يحجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم باحسان فلا يصعز عنه أيضا من صدقت إرادته وقويت همة بل لا يحتاج إلى عشر تعب المخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم أسبابها . فإن قلت قد قربت الأمر معي • أنك أكثر في ذكر مداخل الفرور فم ينجو العبد من الفرور . فاعلم أنه ينجو منه ثلاثة أمور : بالقل واليد والسرقة فهذه ثلاثة أمور لا بد منها . أما العقل فأغنى به الفطرة الفريضة والنور الأملى الذى به يدرك الإنسان حقائق الأشياء فالقطة والسكيس فطرة الحق والبلاد فطرة والبلد لا يقدر على التحفظ عن الفرور صفاء العقل وذكاء الفهم لا بد منه في أصل الفطرة فهذا إن لم يطر عليه الإنسان فاكتسب به غير ممكن . نعم إذا حصل أصله أمكن تويته بالممارسة فأساس السعادات كلها العقل والسياسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم • تبارك الله الذى قسم العقل بين عباده أشناتا ^(١) إن الرجل ليستوى عملها وبرها وصومها وصلاتها ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب أحد وماقسم الله خلقه مظاهروا أفضل من العقل واليقين . وعن أبي الهرداء أنه قيل • يا رسول الله أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويعرج ويحتمر ويصدق ويغزو في سبيل الله ويودد المريض ويشبع الجائر ويعين الضيف ولا يعلم منزله عند الله يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما يجزى على قدر عمله ^(٢) وقال

من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما استغنى عن قيام الليل وقام حتى تورمت قدماء وقد يقول بعض من يحاج في ذلك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ترحما فقول ما بالنا لا تتبع حريمه وهذه دقيقة تعلم أن رؤية القليلة في ترك القيام وادعاء الإيواء إلى جنب القرب واستواء النوم واليقظة امتلاء وإبتلاء حالى وهو تعبد بالحال وتحكيم للحال وتحكم من الحال في العبد والأقوياء لا يتحكم فيهم الحال ويصرفون الحال متصرفون في الحال لا الحال متصرف فيهم

(١) حديث تبارك الذى قسم العقل بين عباده الحديث الترمذى الحكيم في نوادر الأصول لمن رواية طائوس مرسلات وفي أوله قصة وإسناده ضعيف ورواه نحوه من حديث أبي حميد وهو ضعيف أيضا (٢) حديث أبي الهرداء أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل الحديث وفيه إنما يجزى على قدر عمله الخطيب في التاريخ وفي إسماء من روى عن مالك من حديث ابن عمر ومنه ولم أر من حديث أبي الهرداء.

أنس «أثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخيراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف عقله؟ قالوا يا رسول الله تقول من عبادته وفعله وخلقه فقال كيف عقله؟ قال إن أحق بصيب جمعه أعظم من لجور الفاجر وإنما يقرب الناس يوم القيمة على قدر عقولهم» (١) وقال أبو البراء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله فإذا قالوا حسن قال إن رجوعه وإن قالوا غير ذلك قال لن يبلغ (٢) وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشيء قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون فالد كاه صحيح وغريرة العقل نعمة من الله تعالى في أصل القطرة فإن قامت بيلاده وحماقة فلا تدرك لها . الثاني : العرفة وأغنى بالمرقة أن يعرف أربعة أمور: يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل ويكونه غريباً في هذا العالم وأجانباً من هذه السموات البهيمية وإنما الواقع له طبعها معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه كقطعة فلا تصور أن يعرف هذا عالم يعرف نفسه ولم يعرف ربه فليستعين على هذا بما ذكرناه في كتاب الحجة وفي كتاب شرح محب القلب وكتاب التفسر وكتاب الشكر إذ فيها إشارات إلى وصف النفس وإلى وصف جلال الله وعمل به التنبه على الجلمة وكال العرفة وراعه فإن هذا من علوم الكاشفة ولم ينطب في هذا الكتاب إلا في علوم العامة وأما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليهما بما ذكرنا في كتاب دم الدنيا وكتاب ذكر الموت ليتبين له أن لانبسة للدنيا إلى الآخرة فإذا عرف نفسه ورغب في الآخرة نار من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة فيها وصيرهم أمورهم مايوصله إلى الله تعالى وينفعه في الآخرة وإذا غلبت هذه الإرادة على قلبه صحت نيته في الأول وكما فإن أكل مثلاً أو شغل قضاء الحاجة كان قصده منه الاستماعة في سلك طريق الآخرة ومحت نيته واندفع عنه كل غرور منشوء تجاذب الأغراض والتزوع إلى الدنيا والجم والمساك فان ذلك هو الفسد للنية ومادامت الدنيا أحب إليه من الآخرة وهو نفسه أحب إليه من رضا الله تعالى فلا يمكنه الخلاص من الغرور فإذا غلب حب الله على قلبه بمعرفة الله وبفعله الصادرة عن كمال عقله فيحتاج إلى لفتي الثالث وهو العلم أغنى العلم بمعرفة كيفية سلك الطريق إلى الله والعلم بما غفر به من الله وما يبيده عنه والعلم بأفان الطريق وعقباته وغوائه وجميع ذلك قد أودعناه كتب إحياء علوم الدين فيعرف من ربيع العبادات شروطها فرائعها وآفاتنا فينتقيها ومن ربيع العادات أسرار العايش وما هو مضطر إليه فيأخذ به بأبى التصرع وما هو مستثنى عنه فيعرض عنه ومن ربيع الهالكات يعلم جميع العقبات للامانة في طريق الله فان النالغ من الله الصفات للذمومة في الخلق فبالمذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربيع النجيات الصفات المحمودة التي لا بد وأن توضع خلفان للذمومة بعد محوها فإذا أحاط بجميع ذلك أتكنه الحذر من الأنواع التي أشرنا إليها من الغرور وأصل ذلك كله أن ينطب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الإرادة وتصح به التيقن لأصل ذلك إلا بالمعرفة التي ذكرناها . فان قلت فإذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه . فأقول يخاف عليه أن يخذله الشيطان ويدعوه إلى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس إلى ما عرفه من دين الله فان اللريد الخلس إذا فرغ من تهذيب نفسه وأخلافه وراقب القلب حتى صفاه من جميع السكدرات واستوى على الصراط للنتيم وسمرت الدنيا في عينه فتحركها واقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت إليهم ولم يلق إلاهم

(١) حديث أنس أثنى على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف عقله الحديث داود بن المهبر في كتاب العقل وهو ضيف وتقدم في العلم (٢) حديث أبي البراء كان إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله الحديث الترمذي الحكيم في النوادر وابن عدى ومن طريقه البيهقي في الشعب ووضعه.

فليعلم ذلك فلما رأينا من الأصحاب من كان في ذلك ثم انكشف لنا بتأييد الله تعالى أن ذلك وتوف وقشور . قبل لحسن باباسيد إن أبيت معافي وأحب قيام الليل وأعد طهوري لما لي لأفوم قل ذنوبك قدبتك فليحذر العبد في نهارة ذنوباً تعبه في ليله وقال النووي رحمه الله حرمت قيام الليل سبعة أشهر بذنب أذنبته قبيل له ما كان الذنب قل رأيت رجلاً بكاء قلت في نفسي هذا مراد . وقال بعضهم : دخلت على كز بن وبرة وهو يسكن قللت ما لك أناك نبي بعض أهلك فقال

واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره وناجته والشوق إلى لقائه وقد هيز الشيطان عن إخوانه إذ رأيت
 من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطعمه فأيّاه من جهة الدين ويدعوه إلى الرحمة على خلق الله
 والشفقة على ذنوبهم والنصح لهم والدعاء إلى الله فينظر البعد برحمته إلى العبد فيراهم جباري في أمرهم
 سكارى في دينهم صامعيّا قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وقد هو الطيب وأشر فواطي الطيب
 قلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة المرفة بما بهديهم وبين لهم ضلالهم ويرشدهم إلى
 سعادتهم وهو بقدر على ذكرها من غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة فكان مثله كمثل رجل كان يدا
 عظيم لا يطاق أله وقد كان لذلك يسير ليه وبقلي نهاره لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يصرف
 لشدة ضربان الألم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير عجن ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرئ
 وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهذأ بالهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية السكدر
 وأصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر إلى عدد كثير من المسلمين وإذاهم تلك الملة بدينهم وطال
 سهرهم واشتد قلقهم وارتفع إلى السماء أنينهم فذكر أن دواهم هو الذي يبره وقد عد على شفائهم بأسهل
 ما يكون وفي أرجى زمان فأخذته الرحمة والرفقة ولم يجد قسعة من نفسه في التراجع عن الاشتغال
 بهاجهم فكذلك العبد الخالص بعد أن اهتدى إلى الطريق وشفى من أمراض القلوب شاهد خلق وقد
 مرضت قلوبهم وأعضل دأؤهم وقرب هلاكهم وإشفاؤهم وسهل عليه دواؤهم فأنبت من ذات نفسه
 عزم جازم في الاشتغال بنصحهم وحرصه الشيطان على ذلك رجا أن يجد جاللا للفتنة فذا اشتغل بذلك
 وجد الشيطان جاللا للفتنة فدعاه إلى الرياسة دعاء خفيا أنفى من ديب الجلل لا يشعر به المرء فيزل
 ذلك الديب في قلبه حتى دعاه إلى التصنع والتزين للخلق بتجسين الألفاظ والتفعات والحركات والتصنع
 في الزى والمهيئة فأقبل الناس إليه يعظمونه ويحجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير اللوك إذ راوه
 شافيا لأدواتهم بعض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم وأقاربهم فآثروه
 بأبدانهم وأموالهم وصاروا له خولا كالبيد والخدم تقدموه وقد موه في المحافل وحكوه على اللوك
 والسلطين فعد ذلك انتشار الطبع وارتاحت النفس وذات لذة يالها من لذة ما صابت من الدنيا شهوة
 يستحق معها كل شهوة فكان قد ترك الدنيا فوقع في أعظمها أتاه عند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت
 إلى قلبه يده فزو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وأمرة انتشار الطبع وركون النفس إلى
 الشيطان أنه لو أخطأ فزده عليه بين يدي الخلق غضب فاذا انشكر له نفسه ما وجد من الغضب بادر الشيطان
 غلب إليه أنه أن ذلك غضب فله لأنه إذا لم يحسن اعتقاد الرديدين فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع في
 الضرور فرجما أخرجه ذلك إلى الوقعة فيمن رد عليه فوقع في التيبة المخطورة بعد تركه الحلال
 للنسح ووقع في السكير الذي هو محرر عن قبول الحق والشكر عليه ببدان كان يحذر من طوارق
 الخطر وتوكل ذلك إذا سبقه الضحك أوتر عن بعض الأوراد جرت النفس أن يطلع عليه فيسقط قولوه
 فأنبت ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وربما زاد في الأعمان والأوراد لأجل ذلك والشيطان يخيل إليه
 إنك إنما تفعل ذلك كيلا يفر رأيهم عن طريق الله فيترك كون الطريق بتركه ويتمادى خدعة وغرور
 بل هو جزع من النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لا يجزع نفسه من اطلاع الناس على مثل ذلك
 من أقرانه بل ربما يحب ذلك ويستبشر به ويطهر من أقرانه من مالت القلوب إلى قبوله وزاد أثر
 كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا أن النفس قد استبشرت واستندت الرياسة لكان
 ينتم ذلك إذ مثاله أن يرى الرجل جماعة من إخوانه قد وقوا في بر وتخطي رأس البئر بحجر
 كبير فصبزوا عن الرق من البئر بسببه فرق قلبه لآخوانه لجاء ليرفع الحجر من رأس البئر فشق
 عليه لجاءه من أعانه على ذلك حتى تيسر عليه أو كفاه ذلك ونجا بنفسه فيعلم بذلك فرحه لاهالة

أشد قلت وجمع بولك
 قال أشد قلت وما ذلك
 قال باني مذاق وسترى
 مسبل ولم أقرأ حزني
 البارحة وما ذلك إلا
 بذب أحدثه . وقال
 بعضهم : الاحتلام
 عقوبة وهذا صحيح
 لأن المراعى للتحفظ
 بحسن تحفظه وعلمه
 بحاله بقدر ويتمكن
 من سد باب الاحتلام
 ولا يتطرق الاحتلام
 إلا على جاهل بحاله أو
 مهمل حكم وقته وأدب
 حاله ومن كل تحفظه
 ورعايته وقيامه بأدب
 حاله قد يكون من ذنبه
 للوجب للاحتلام ووضع
 الرأس على الوسادة فإذا
 كان ذا عزيمة في ترك
 الوسادة وقد يتهم بدونهم
 ووضع الرأس على

إذ غرضه خلاص إخوانه من البئر فإن كان غرضه التامع خلاص إخوانه للسلبين من النار فإذا ظهر من أمانه أو كفاه ذلك لم يثقل عليه أرايت لو اهتموا جميعهم من أنفسهم أكان ينبغي أنه يثقل ذلك عليه إن كان غرضه هدايتهم فإذا اهتموا بنيره فلم يثقل عليه ومهما وجد ذلك في نفسه دناه الشيطان إلى جميع كبار القلوب وفواحي الجوارح وأهلكه فتوهم بالله من زينة القلوب يبدى الهدى ومن اعوجاج النفس يبدى الاستواء . فإن قلت فحق يصح له أن يشتغل بتصح الناس . فأقول إذا لم يكن له قصد إلا هدايتهم فحق تعالى وكان يود لو وجد من يهتد أو لو اهتموا بأنفسهم وانقطع بالكيفية طمعه عن شائهم وعن أموالهم فاستوى عنده مخدمهم وذمهم فلم يبال بدمهم إذا كان الله يعمده ولم يفرح بمخدمهم إذا لم يقرن به حمد الله تعالى ونظر إليهم كما ينظر إلى السادات وإلى الهمم أما إلى السادات فمن حيث إنه لا يشكر عليهم ويرى كلمهم خيرا منه لحمله بالحقنة وأما إلى الهمم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب اللزلة في قلوبهم فانه لا يبالي كيف تراه الهمم فلا يترن لها ولا يصنع بل راعى المشايبة إنما غرضه رعاية المشايبة ودفع القاذب عنها دون نظر المشايبة إليه فالمراسر الناس كالمشايبة التي لا يلتفت إلى نظرها ولا يبالي بها لا يسلم من الاشتغال بأصلاهم، نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه بأصلاهم فيكون كالسراج يضيء لغيره ويحترق في نفسه . فإن قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ إلا عند نيل هذه الدرجة لخلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب . فأقول قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب الدنيا رأس كل خطيئة ^(١) » ولو لم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعاش وهلكت القلوب والأبدان جميعا إلا أنه صلى الله عليه وسلم علم أن حب الدنيا مهلك وأن ذكر كونه مهلكا لا يترغى الحب من قلوب الأكثرين لا أكثرين الذين لا تحزب الدنيا بتركهم فلم يترك النصع وذكر ما في حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من أن يترك نفسه بالشهوات للهلكة التي سيطر بها على عباده ليسوقهم بها إلى جهنم تصديقا لقوله تعالى - ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - فكذلك لا تزال ألسنة الوعاظ مطلقة لحب الرياسة ولا يدعونها بقول من يقول إن الوعظ لحب الرياسة حرام كما لا بدع الخلق التهرب والزنا والسرقة والرياء والظلم وسائر المعاصي يقول الله تعالى ورسوله إن ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب من حديث الناس فإن الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بإنسان شخص واحد أو أشخاص - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض - وإن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لأخلاقهم فأما يخشى أن يفسد طريق الاعتنا فأما أن تخرس ألسنة الوعاظ ووراهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك أبدا . فإن قلت فإن علم الريد هذه السكينة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصع أو نصع ورأى شرط الصدق والأخلاص فيه لما الذي يخاف عليه وما الذي يقي بين يديه من الأخطار وجبال الاغترار . فأعلم أنه يقي عليه أعظمه وهو أن الشيطان يقول له قد أعجزتني وأقلت مني بذلك وكال عقلت وقد قدرت على جملة من الأولياء والكبراء وما قدرت

(١) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة البيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسل وقد تقدم في كتاب فم الدنيا .

تم الجزء الثالث من تخريج أحاديث الإحياء لحافظ العراقي
وبله الجزء الرابع ، وأوله : كتاب التوبة

السادة حسن التوبة
من لا يكون ذلك ذنبه
وله فيه نية لقول على
القيام وقد يكون ذلك
ذنباً بالنسبة إلى بعض
الناس فإذا كان هذا
القدر يصلح أن يكون
ذنباً جالياً للاحتلام
قضى على هذا ذنوب
الأحوال فإنها تنحصر
بأربابها وبسرفها
أصحابها وقد يرتفع
بأنواع الرفق من
الفسراض الوطء
والوسادة ولا يعاقب
بالاحتلام وغيره على
فعله إذا كان عالماً بأنه
بحرف مداخل الأمور
وعاجزها وكمن من
نائم يسبق القيام لو فر
عنه وحسن نيته وفي
الحبر « إذا نام العبد

عليك فما أصبرك وما أعظم عند الله قدرك وعملك إذ قواك على قهرى ومكنتك من الشيطان لجميع
مداخل غرورى فيصنى إليه ويصدق به وبسبب نفسه فى فراوه من التورر كله فيكون إيجابه بنفسه
غاية التورر وهو للهالك الأكبر السبب أعظم من كل ذنب وذلك قال الشيطان يا ابن آدم إذا طغنت
أنك بملكك تخلص مني فيهلك قد وقعت فى حيايى . فان قلت فلو لم يجب بنفسه إذ علم أن ذلك
من الله تعالى لانه وإن مثله لا يتوى على دفع الشيطان إلا بتوفيق الله ومعوته ومن عرف ضعف
نفسه وهجزه عن أقل القليل فإذا قدر على مثل هذا الأمر العظيم علم أنه لم يقو عليه بنفسه بل بالله
تعالى لما الذى يخاف عليه بعد نفي السبب ، فأقول : يخاف عليه التورر بفضل الله والثقة بكرمه
والأمن من مكره حتى يظن أنه يبقى على هذه الوتيرة فى المستقبل ولا يخاف من الفترة والاقبال فيكون
حاله الانسكال على فضل الله فقط دون أن يقارنه الخوف من مكره ومن أمن مكر الله فهو خاسر
جدا بل سيئه أن يكون مشاهدا جملة ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسه أن يكون قد سدت
عليه سعة من صفات قلبه من حب دنيا ورياء وسوء خلق والتفات إلى عز وهو غافل عنه ويكون
خائفا أن يسلب حاله فى كل طرفة عين غير آمن من مكر الله ولا غافل عن خطر الحاتمة وهذا خطر
لا يحصى عنه وخوف لا نجاة منه إلا بعد مجاوزة الصراط وذلك لما ظهر الشيطان لبعض الأولياء
فى قت الزرع وكان قد بقى له نفس فقال أفلت منى يا فلان فقال لا بعد وذلك قيل : الناس كلهم هلكى
إلا المالمون والمالمون كلهم هلكى إلا العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا المتحصنون والمتحصنون
على خطر عظيم غاذن للتورر هالك والمتحصن القار من التورر على خطر فذلك لا يخاف الخوف
والحذر قلوب أولياء الله أبدا .

فنسأل الله تعالى الدون والتوفيق وحسن الحاتمة ، فان الأمور بخواتمها .

تم كتاب ذم التورر وبه تم ربيع المهايكات ، ويتلوه فى أول ربيع للتجبات كتاب التوبة
والجهد فى أولا وآخره وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلى العظيم .

تم الجزء الثالث من إحياء علوم الدين
وبله الجزء الرابع ، وأوله : كتاب التوبة .

عقد الشيطان على رأسه
ثلاث عقد فان عقد
وذكر الله تعالى أعلت
عقدة وإن تومنا أعلت
عقدة أخرى وإن صلى
ركعتين أعلت العقد
كلها فأصبح نشيطا
طيب النفس وإلا
أصبح كسلان خبيث
النفس « وفى خبر آخر
« إن من نام حتى يصبح
بال الشيطان فى آذنه »
والذى يغلب بقيام الليل
كثرة الاهتمام بأمور
الدنيا وكثرة أشغال
الدنيا وإنعاب الجوارح
والإستلاء من الطعام
وكثرة الحديث والنثر
والغنى وإهمال التلوة
وللوقن من بختن وقته
ومرف داهه ودوامه
ولا يهمل فيعمل .

صفحة	مفحة
٥١	٢ (كتاب شرح عجائب القلب)
٥٤	وهو الكتاب الأول من ربيع الهلكت
٥٦	٣ يان معنى النفس والروح والقلب والفعل وما هو للراد بهذه الأسماء
٥٩	٥ يان جنود القلب
٦١	٦ يان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة
٦٢	٧ يان خاصية قلب الانسان
٦٣	١٠ يان بجامع أوصاف القلب وأمثله
٦٤	١٢ يان مثل القلب بالاضافة إلى العلوم خاصة
٦٥	١٥ يان حال القلب بالاضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية واللاهوتية والأخرى
٦٦	١٧ يان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق التظاهر
٦٧	١٩ يان الفرق بين التلاميذ بمثل محسوس
٦٨	٢٢ يان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة لامن التعلم ولامن الطريق الصاد
٦٩	٢٥ يان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها
٧٠	٣٠ يان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب
٧١	٣٩ يان ما يؤخذ به العبد من وساوس القلوب ومهما وخواطرهما وقصودهما وما ينبغي عنه ولا يؤخذ به
٧٢	٤٢ يان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكيفية عند الذكر أم لا
٧٣	٤٤ يان سرعة قلب القلب واتساع القلوب في التثبير والتثبت
٧٤	٤٧ (كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب وهو الكتاب الثاني من ربيع الهلكت
٧٥	٤٨ يان فضيلة حسن الخلق وبذمة سوء الخلق
٧٦	٥١ يان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق
٧٧	٥٤ يان قبول الأخلاق للتثبير بطريق الرياضة
٧٨	٥٦ يان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة
٧٩	٥٩ يان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق
٨٠	٦١ يان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها إلى الصحة
٨١	٦٢ يان الطريق الذي يعرف به الإنسان عيوب نفسه
٨٢	٦٣ يان شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق في معالجة أمراض القلوب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هي اتباع الشهوات
٨٣	٦٧ يان علامات حسن الخلق
٨٤	٦٩ يان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوئهم ووجه تأديبهم ونحسين أخلاقهم
٨٥	٧٢ يان شروط الإرادة ومقدمات المجاهدة وتدرج المرید في سلوك سبيل الرياضة
٨٦	٧٧ (كتاب كسر الشهوتين)
٨٧	وهو الكتاب الثالث من ربيع الهلكت
٨٨	٧٨ يان فضيلة الجوع وذم الشبع
٨٩	٨١ يان فوائد الجوع وآفات الشبع
٩٠	٨٦ يان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن
٩١	٩٣ يان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه
٩٢	٩٥ يان آفة الرياء المتطرق إلى من ترك أكل الشهوات وقلل الطعام
٩٣	٩٦ القول في شهوة الفرج
٩٤	٩٨ يان ما على المرید في ترك التزويج وفعله
٩٥	١٠١ يان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

صفحة	١٠٤	(كتاب آفات اللسان)	صفحة
١٥٤	وهو الكتاب الرابع من ربيع الهللكات	١١١	آلة السابعة عشرة كلام ذي اللسانين
١٥٦	بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت	١١٢	آلة الثامنة عشرة للدخ
١٥٧	آلة الأولى من آفات اللسان الكلام	١١٣	بيان ما على المدوح
١٥٨	فيا لا ينيك	١١٤	آلة التاسعة عشرة الغفلة عن دقائق
١٥٩	آلة الثانية فضول الكلام	١١٥	الحطأ في لغوى الكلام
١٦٠	آلة الثالثة الخوض في الباطل	١١٦	آلة العشرون سؤال العوام عن صفات
١٦١	آلة الرابعة الرأء والجدال	١١٧	الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف الخ
١٦٢	آلة الخامسة المحسومة	١١٨	(كتاب ذم الغضب والحقد والحسد)
١٦٣	آلة السادسة التعمر في الكلام بالتشدق	١١٩	وهو الكتاب الخامس من ربيع الهللكات
١٦٤	ونكلف السجع والفساحة الخ	١٢٠	بيان ذم الغضب
١٦٥	آلة السابعة الفحش والسب وبداة	١٢١	بيان حقيقة الغضب
١٦٦	اللسان	١٢٢	بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله
١٦٧	آلة الثامنة العن	١٢٣	بالرياضة أم لا
١٦٨	آلة التاسعة الفناء والشعر	١٢٤	بيان الأسباب المهيجة للغضب
١٦٩	آلة العاشرة للزاح	١٢٥	بيان علاج الغضب بعد هيجانه
١٧٠	آلة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء	١٢٦	بيان فضيلة كظم الغيظ
١٧١	آلة الثانية عشرة إفشاء السر	١٢٧	بيان فضيلة الحلم
١٧٢	آلة الثالثة عشرة الوعد الكاذب	١٢٨	بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي
١٧٣	آلة الرابعة عشرة الكذب في القول	١٢٩	به من الكلام
١٧٤	واليمين	١٣٠	القول في معنى الحقد وتأنيبه وفضيلة
١٧٥	بيان ما رخص فيه من الكذب	١٣١	العفو والرفق
١٧٦	بيان الحذر من الكذب بالمعارض	١٣٢	فضيلة العفو والاحسان
١٧٧	آلة الخامسة عشرة التوبة	١٣٣	فضيلة الرفق
١٧٨	بيان معنى التوبة وحدودها	١٣٤	القول في ذم الحسد وفي حقيقة وأسبابه
١٧٩	بيان أن التوبة لا تقتصر على اللسان	١٣٥	ومعالجته وغاية الواجب في إزالته
١٨٠	بيان الأسباب الباعثة على التوبة	١٣٦	بيان ذم الحسد
١٨١	بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن التوبة	١٣٧	بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه
١٨٢	بيان تحريم التوبة بالقلب	١٣٨	بيان أسباب الحسد والتنافسة
١٨٣	بيان الأعداء للرخصة في التوبة	١٣٩	بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال
١٨٤	بيان كفارة التوبة	١٤٠	والأقارب والإخوة وبين الم والم والأقارب
١٨٥	آلة السادسة عشرة التهمة	١٤١	وتأنيده وقتله في غيرهم وضحه
١٨٦	بيان حد التهمة وما يجب في ردها	١٤٢	بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد من
١٨٧		١٤٣	القلب

صفحة	صفحة
٣٦٨ (كتاب ذم الجاه والرياء)	١٩٥ يان القدر الواجب في نفى الحسد عن القلب
وهو الكتاب الثامن من ربع	
للهلكات وفيه شطران	١٩٦ (كتاب ذم الدنيا)
٣٦٩ الشطر الأول في حب الجاه والشهرة	وهو الكتاب السادس من ربع
وفي يان ذم الشهرة ويان فضيلة	للهلكات
المحول الخ	١٩٧ يان ذم الدنيا
يان ذم الشهرة وانتشار الصيت	٢٠٦ يان المواظ في ذم الدنيا وصفها
٣٧٠ يان فضيلة المحول	٢٠٩ يان صفة الدنيا بالأمثلة
٣٧١ يان ذم حب الجاه	٢١٤ يان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد
٣٧٢ يان معنى الجاه وحقيقته	٢١٩ يان حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها
٣٧٣ يان سبب كون الجاه محبوا بالطبع	الى استغرت هم الخلق حتى أنتمهم
حق لا يخلو عنه قلب إلا يشهد بالمجاهدة	أنفسهم وخالفهم ومصدرهم ومورد
٣٧٦ يان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي	٢٢٥ (كتاب ذم البخل وذم حب المال)
الذي لاحقيقة له	وهو الكتاب السابع من ربع
٣٧٨ يان ما محمد من حب الجاه وما به	للهلكات
٣٧٩ يان السبب في حب اللذخ والثناء	٢٢٦ يان ذم المال وكراهة حبه
وارتياح النفس به وسيل الطبع إليه	٢٢٨ يان مدح المال والجمع بينه وبين الذم
وينضها للذم وتفرتها منه	٢٣٠ يان تفصيل آفات المال وفوائده
٢٨٠ يان علاج حب الجاه	٢٣٢ يان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة
٢٨١ يان وجه العلاج لحب اللذخ وكراهة الذم	والأيس مما في أيدي الناس
٢٨٣ يان علاج كراهة الذم	٢٣٥ يان علاج الحرص والطمع والدواء
٢٨٤ يان اختلاف أحوال الناس في اللذخ والذم	الذي يكتب به صفة القناعة
٢٨٥ الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه	٢٣٧ يان فضيلة السخاء
والمسئلة بالعبادات وهو الرياء وفيه	٢٤٢ حكايات الأسخياء
يان ذم الرياء إلى آخره	٢٤٧ يان ذم البخل
٢٨٦ يان ذم الرياء	٢٥٠ حكايات البخلاء
٢٩٠ يان حقيقة الرياء وما يبرأى به	٢٥١ يان الإتيار وفنده
٢٩٣ يان درجات الرياء	٢٥٣ يان حد السخاء والبخل وحقيقتها
٢٩٧ يان الرياء الحفى الذى هو أخفى من	٢٥٥ يان علاج البخل
ديب الخ	٢٥٧ يان مجموع الوظائف التى على العبد
٢٩٩ يان ما يحبط العمل من الرياء الحفى	فى ماله
والجلى ، وما لا يحبط	٢٥٨ يان ذم التنى ومدح الفقر
٣٠٢ يان دواء الرياء وطريق معالجته القلب فيه	

صفحة
 ٣٤٤ يان أخلاق للتواضعين ومجامع ما ينظر
 فيه أثر التواضع والتكبر
 ٣٤٨ يان الطريق في معالجة التكبر
 واكتساب التواضع له
 ٣٥٨ يان غاية الرياضة في خلق التواضع
 الشطر الثاني من الكتاب في العجب
 وفيه يان ذم العجب وآفاته الخ
 يان ذم العجب وآفاته
 ٣٥٩ يان آفة العجب
 ٣٦٠ يان حقيقة العجب والإدلال وحدها
 يان علاج العجب على الجملة
 ٣٦٣ يان أقسام مابه العجب وتفصيل علاجه
 ٣٦٧ (كتاب ذم الغرور)
 وهو الكتاب العاشر من ربيع المهلكات
 ٣٦٨ يان ذم الغرور وحقيقته وأمثله
 ٣٧٦ يان أصناف الغرور وأقسام فرق كل
 ريب وهم أربعة أصناف
 اصف الأول أهل العلم والفترون
 منهم فرق
 ٣٨٩ الصنف الثاني أرباب العبادة والعمل
 والفترون منهم فرق كثيرة الخ
 ٣٩٢ الصنف الثالث المتصوفة والفترون منهم
 فرق كثيرة الخ
 ٣٩٥ الصنف الرابع أرباب الأموال والفترون
 منهم فرق الخ.

صفحة
 ٣٠٨ يان الرخصة في قصد إظهار الطاعات
 ٣١١ يان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة
 اطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم له
 ٣١٣ يان ترك الطاعات خوفا من الرياء
 ودخول الآفات
 ٣٢٠ يان ما يصح من نشاط العبد للعبادة
 بسبب رؤية الخلق وملاصيح
 ٣٢٣ يان ما ينبغي للفريد أن يلزم نفسه قبل
 العمل ويبدء وفيه
 ٣٢٦ (كتاب ذم التكبر والمعجب)
 وهو الكتاب التاسع من ربيع المهلكات
 وفيه شطران
 ٣٢٧ الشطر الأول من الكتاب في التكبر
 وفيه يان ذم التكبر الخ
 يان ذم التكبر
 ٣٢٩ يان ذم الاختيال وإظهار آثار التكبر
 في اللثى وجر الثياب
 ٣٣٠ يان فضيلة التواضع
 ٣٣٤ يان حقيقة التكبر وآفته
 ٣٣٦ يان التكبر عليه ودرجاته وأقسامه
 ونمحات التكبر فيه
 ٣٣٨ يان مابه التكبر
 ٣٤٣ يان البواعث على التكبر وأسبابه
 للهيبة له

[غت]

فهرس

بقية عوارف المعارف للسهروردي الذي بالمهامش

صفحة	مفحة
٢٤٧ الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم وحسن أثره	٢ الباب الثلاثون في تفاصيل أخلاق الصوفية
٢٥٤ الباب الأربعون في اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والإنظار	١١٠ الباب الحادى والثلاثون في ذكر الأدب ومكانه من التصوف
٢٦٥ الباب الحادى والأربعون في آداب الصوم ومهامه	١٢٣ الباب الثانى والثلاثون في آداب الحضرة الالهية لأهل القرب
٢٧٨ الباب الثانى والأربعون في ذكر الطعام ومافيه من الصالحة والفسدة	١٣٩ الباب الثالث والثلاثون في آداب الطهارة ومقدماتها
٢٩٥ الباب الثالث والأربعون في آداب الأكل	١٥١ الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأسراره
٣١٥ الباب الرابع والأربعون في ذكر أدبهم في اللباس ونياتهم ومقاصد في	١٦١ سنن الوضوء ثلاثة عشر
٣٤٠ الباب الخامس والأربعون في ذكر فضل قيام الليل	١٦٢ الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الخصوص والصوفية في الوضوء
٣٥٣ الباب السادس في ذكر الأسباب للجنة على قيام الليل وأدب النوم	١٧٣ الباب السادس والثلاثون في فضيلة الصلاة وكبر شأنها
٣٧٠ الباب السابع في أدب الالتباه من النوم والعمل بالليل	١٨٩ الباب السابع والثلاثون في وصف صلاة أهل القرب
٣٩١ الباب الثامن والأربعون في هجيم قيام الليل	٢٢٥ الباب الثامن والثلاثون في ذكر آداب الصلاة وأسرارها